



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

كتاب

الأزمة والأمن

تأليف

الشيخ ابن عثيمين محمد بن محمد بن عبد الوهيد بن عبد الوهيد
الدمشقي سنة ١٤١٤ هـ

نسخة ومراجعة
تأليف الدكتور



دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الازمنه و الامكنه

كاتب:

احمد بن محمد مرزوقى اصفهانى

نشرت فى الطباعة:

دار الكتب العلميه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس	٥
الازمنه و الامكنه	١٣
اشاره	١٣
المجلد ١	١٣
اشاره	١٣
مقدمه	١٥
[مقدمه المصنف]	١٧
ذكر أبواب الأزمنه و الأمكنه، و فصولها	٢٩
اشاره	٢٩
الباب الأول [فى تعظيم شأن القرآن و فصل بيانه بالتظم العجيب و التأليف الرصيف]	٣٤
اشاره	٣٤
فصل فى بيان النسي ء	٨٢
فصل فى تأويل أخبار مرويه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و الصحابه و بيان ما يحمده و يذمه من معتقدات العرب فى الأنواء و البوارح	٨٤
فصل آخر [فى بيان معنى الرؤيه لله تعالى الوارده فى القرآن]	٩١
فصل آخر فى جواب مسائل للمشبهه من الكتاب و السنه مما تستدل به المشبهه	٩٢
فصل آخر و هو بيان قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [سوره الأنعام، الآيه: ١٢٤]	٩٦
فصل فى تبيين المحكم و المتشابه	٩٧
فصل الاستدلال بالشاهد على الغائب	١٠٢
فصل فى أسماء الله و صفاته و أحكامه (و بيان الأصوات كيف تكون حروفا، و الحروف كيف تصير كلاما)	١٠٤
فصل آخر [فى أن اللغه لا يجوز أن يكون فيها غلط]	١٠٧
الباب الثانى فى ذكر أسماء و معان للزمان و المكان	١١٧
اشاره	١١٧
فصل [فى أن أسماء الزمان و المكان إنما تسمى ظروفًا إذا كانت محتويه لما هى ظروف لها]	١١٧
فصل فى ماهيه الزمان	١١٩

١٢٤	فصل [فى بيان أنواع الضلال]
١٢٧	فصل آخر يزداد التناظر فيه و العارف به استبصارا فيما وضع الباب له
١٢٩	الباب الثالث و يشتمل على بيان الليل و النهار
١٢٩	اشاره
١٢٩	الفصل الأول [فى بيان معنى الليل و النهار]
١٣١	فصل آخر [فى بيان قوله الليله لليلتك التى أنت فيها، و البارحه لليله يومك الذى أنت فيه]
١٣٣	فصل آخر [فى بيان معنى البكره و العشى]
١٣٦	الباب الرابع فى ذكر ابتداء الزمان و أقسامه
١٤٢	الباب الخامس فى قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها
١٤٩	الباب السادس فى ذكر الأنواء، و اختلاف العرب فيها
١٤٩	اشاره
١٥٣	فصل فى ذكر أسماء المنازل و صفاتها
١٦٥	فصل فى بيان الاختلاف الواقع بين العرب فى أوقات الأنواء و الكلام فى الضيقه
١٦٧	فصل و اعلم أنّ ما ذكرته من الطلوع و الغروب يختلف فيهما أحوال البلدان
١٦٩	الباب السابع فى تحديد سنّى العرب و الفرس و الزوم و أوقات فصول السنه
١٧٣	الباب الثامن فى تقدير أوقات التهجد التى ذكرها الله تعالى فى كتابه عن نبيّه و الصحابه
١٧٩	الباب التاسع فى ذكر البوارح و الأمطار مقسمه على الفصول و البروج و فى ذكر المراقبه
١٧٩	اشاره
١٨٣	فصل فى المراقبه و المطالعه
١٨٤	الباب العاشر فى ذكر الأعياد و الأشهر الحرم و الأيام المعلومات، و الأيام المعدودات و الصلاه الوسطى
١٨٤	اشاره
١٨٨	[فصل فى] بيان الصلاه الوسطى:
١٨٩	فصل [فى ذكر العرب اسما تعلق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصفات و الأفعال]
١٩١	الباب الحادى عشر فى ذكر- سحر- و غدوه- و بكره- و ما أشبهها
١٩١	اشاره
١٩٤	فصل فى المحدود من الزمان و غير المحدود

الباب الثّاني عشر في لفظ أمس- و غد- و الحول- و السنه- و العام- و ما يتلو تلوه	٢٠١
اشاره	٢٠١
فصل [في تعريف العام و السنه]	٢٠٥
الباب الثالث عشر فيما جاء مثنى من أسماء الزّمان و اللّيل و النّهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها	٢١٠
اشاره	٢١٠
فصل في ترتيب الأوقات و تنزيلها	٢١٤
فصل في قوله تعالى: ما ذا قالَ أنفأ [سوره محمد، الآية: ١٦]	٢١٧
الباب الرابع عشر في أسماء الأيّام على اختلاف اللّغات و مناسبات اشتقاقها و تثنيتها و جمعها	٢٢٠
الباب الخامس عشر في أسماء الشّهور على اختلاف اللّغات، و ذكر اشتقاقها	٢٢٤
اشاره	٢٢٤
فصل [في بيان] معنى الشّهر	٢٢٤
أسماء الشّهور العربيّه غير الأسماء المشهوره:	٢٣٤
فصل اعلم أنّ سرار الشّهر	٢٣٥
الباب السادس عشر في أسماء الدّهر و أقطاعه	٢٣٨
اشاره	٢٣٨
فصل قالوا: الأزلم الجذع و الأزلم الجذع	٢٣٨
فصل فيما يجرى من التأكيدات في أوقات الدّهر	٢٤٤
الباب السابع عشر في أقطاع الدّهر و أطراف النّهار و اللّيل- و طوائفهما	٢٤٤
اشاره	٢٤٤
فصل [في بيان غبره و برهه و زمنه و طرقه و حقبه و هبه و سبه و غيرها]	٢٤٤
فصل [في أن عادا سمت الشّهور بأسماء]	٢٥١
فصل [مستخرج من كتاب سيبويه في الأماكن و الأوقات]	٢٥٢
الباب الثّامن عشر في اشتقاق أسماء المنازل و البروج و صورها	٢٥٥
و ما يأخذ مأخذها و الكواكب السبعه و هو فصلان:	٢٥٥
فصل [في بيان معنى] العواء	٢٥٥
فصل في بيان الكواكب السبعه	٢٤١

٢٦٤	الباب التاسع عشر فى أقطاع اللّيل - و طوائفه - و ما يتّصل به و يجرى مجراه
٢٧٣	الباب العشرون فى أقطاع التّهار و طوائفه - و ما يتّصل به و يجرى مجراه
٢٨٦	المجلد ٢
٢٨٦	اشاره
٥٤٠	الباب الحادى و العشرون فى أسماء السّماء و الكواكب، و الفلك، و البروج
٥٤٠	اشاره
٥٤٠	فصل [فى بيان معنى السّماء]
٥٤٣	فصل [فى بيان معنى الفلك]
٥٤٥	فصل فى بيان أمر المجزه و شرح بعض أحوالها
٥٤٨	الباب الثّانى و العشرون فى برد الأزمنه و وصف الأيام و اللّيالى به
٥٤٨	اشاره
٥٥٥	فصل فيما وضع على ألسنه البهائم
٥٥٨	الباب الثّالث و العشرون فى حرّ الأزمنه و وصف اللّيالى و الأيام به
٥٦٦	الباب الرّابع و العشرون فى شدّه الأيام و رخائها و خصبها و جديها و ما يتّصل بها
٥٧٩	الباب الخامس و العشرون فى أسماء السّمس و صفاتها و ما يتعلق بها
٥٩٢	الباب السّادس و العشرون فى أسماء القمر و صفاته، و ما يتّصل بها من أحواله
٥٩٢	فصل [فى بيان معنى الهلال]
٦٠١	فصل فى أسماء ليالى من أول الشّهر
٦٠٣	الباب السّابع و العشرون فى ذكر أسماء الهلال من أول الشّهر إلى آخره و ما ورد عنهم فيها من الأسجاع و غيرها
٦٠٩	الباب الثّامن و العشرون فى ذكر أسماء الأوقات لأفعال واقعه فى اللّيل و التّهار
٦١٩	الباب التّاسع و العشرون فى ذكر الرّيح الأربع، و تحديد مهاجتها، و ما عدل عنها
٦١٩	اشاره
٦١٩	الفصل الأول [فى بيان أنواع الرّيح]
٦٣٠	فصل فى تبين ما ذكر من كلام الأوائل فى ذلك
٦٣٢	الباب الثّلاثون فى أسماء المطر و صفاته و أجناسه
٦٣٢	اشاره

- ٦٣٢ فصل [فى بيان أوّل المطر الوسمى و أنوؤه]
- ٦٣٨ الفصل الثانى فى عله ما ذكرنا من كلام الأوائل
- ٦٤٠ الباب الحادى و الثلاثون فى السحاب و أسمائه و تحليه بالمطر
- ٦٤٠ اشاره
- ٦٤٠ فصل [فى ذكر ما عدّد من نعمه على خلقه فيما نصبه من الأدله على وحدانيته فى خلق السماوات و الأرض]
- ٦٤٨ فصل فى كلام الأوائل، يتبين منه حال الأنديه و الأمطار و العيون و الأنهار و غيرها
- ٦٥٠ الباب الثانى و الثلاثون فى الزعد و البرق و الصواعق، و أسمائها و أحوالها
- ٦٥٠ اشاره
- ٦٥٠ فصل [فى بيان كيفيه تسبيح الرعد بحمده]
- ٦٥٤ فصل فى الزعد و البرق و السحاب من كلام الأوائل
- ٦٥٦ الباب الثالث و الثلاثون فى قوس قزح، و فى الدائره حول القمر، و فى البرد
- ٦٥٦ اشاره
- ٦٥٦ فصل [فى بيان معنى قوس قزح]
- ٦٥٨ فصل من كلام الأوائل فى البرد و الطّل و الدّمق
- ٦٥٩ فصل فى أسباب الطل
- ٦٦٠ الباب الرابع و الثلاثون فى ذكر المياه، و التّبات ممّا يحسن وقوعه فى هذا الباب
- ٦٦٠ اشاره
- ٦٦٠ فصل [فى بيان معنى قوله وقع الغيث بمكان]
- ٦٦٩ الباب الخامس و الثلاثون فى ذكر المراتع المخصبه و المجديه و المحاضر و المبادى
- ٦٦٩ اشاره
- ٦٦٩ فصل [فى أن الأوطان و المراتع تختلف فى هذا الباب اختلافا شديدا]
- ٦٧٣ فصل فى ذكر ما كانت العرب تفعله وقت إمساك القطر فى الجاهليه الجهلاء
- ٦٧٤ الباب السادس و الثلاثون فى ذكر أحوال البادين و الحاضرين، و بيان تنقلهم و تصرف الزّمان بهم
- ٦٨٣ الباب السابع و الثلاثون فى ذكر الرّواد و حكاياتهم
- ٦٨٣ اشاره
- ٦٨٣ فصل [فى بيان معنى قوله ماء مدرع و غيرها]

٦٨٧	فصل فى ذكر مواقعهم و مسارحهم
٦٩٢	الباب الثامن و الثلاثون فى ذكر الورد و من جرى مجراهم من الوفود
٦٩٢	اشاره
٦٩٩	[فصل فى] تفسير الألفاظ الغريبه
٧٠١	الباب التاسع و الثلاثون فى الشير، و التّعاس، و الميح، و الاستقاء و ورود المياه
٧٠٩	الباب الأربعون فى أسواق العرب
٧٠٩	اشاره
٧٠٩	دومه الجندل
٧١٠	المشقر
٧١٠	صحار
٧١١	دبا
٧١١	الشّحر
٧١١	عدن
٧١١	صنعاء
٧١٢	ثم رابيه حضرموت و عكاظ
٧١٢	ذو المجاز و نطاه خبير و حجر اليمامه
٧١٦	الباب الحادى و الأربعون فى ذكر مواقيت الضّراب و التّناج، و أحوال الفحول فى الإلقاح و الغرور
٧٢٣	الباب الثّانى و الأربعون فيما روى من أسجاع العرب عند تجدد الأنواء- و الفصول- و تفسيرها
٧٢٣	اشاره
٧٢٣	فصل [فى أن العرب أحفظ الأمم لما أدت إليه تجاربهم من أحوال الزّمان و تعاقب الشهور و الأيام و اختلاف الفصول و الأعوام]
٧٣٠	فصل [فى أن الفصل اسم قد جرى فى كلام العرب و جاءت به أشعارهم]
٧٣١	الباب الثالث و الأربعون فى ذكر العيافه و القيافه و الكهانه
٧٣١	اشاره
٧٣١	فصل [فى حكايه قصه ترتبط بالعيافه]
٧٣١	فصل [فى حكايه قصه ترتبط بالقيافه]
٧٤٤	فصل فى القيافه و العيافه

٧٥٠	الباب الرابع و الأربعون فى ذكر ما أبهم من الأوقات حتى لا يتبين للسامع حاله و ما شرح منها
٧٥٦	الباب الخامس و الأربعون فى الاهتداء بالتجوم، و جوده استدلال العرب بها و إصابتهم فى أمهم
٧٦٨	الباب السادس و الأربعون فى صفه ظلام الليل و استحكامه و امتزاجه
٧٧٨	الباب السابع و الأربعون فى صفه طول الليل و النهار، و قصرهما و تشبيه التجوم بها
٧٩١	الباب الثامن و الأربعون فى ذكر الشراب، و لوامع البروق، و متخيلات المناظر و وصف السحاب
٨٠٣	الباب التاسع و الأربعون فى تذكر طب الزمان - و التهلف عليه- و الحنين إلى الآثاف - و الأوطان
٨١٩	الباب الخمسون فى ذكر أنواع الظل و أسمائه و نعوته
٨٢٧	الباب الحادى و الخمسون فى ذكر التاريخ و ابتدائه و السبب الموجب له، و ما كانت العرب عليه لدى الحاجه إليه فى ضبط أماد الحوادث و المواليده
٨٢٧	اشاره
٨٢٧	فصل [فى أن تاريخ كل شىء فى اللغه غايته و وقته الذى انتهى إليه]
٨٣٣	فصل فى حكام العرب فى الجاهليه
٨٣٥	فصل فى أوقات التواريخ
٨٤٣	الباب الثانى و الخمسون فيما هو متعالم عند العرب، و من داناهم، و أدركوها بالتفقد و طول التربه و لم يدخل فى أسجاعهم
٨٤٣	اشاره
٨٤٦	تشرين الأول
٨٤٦	تشرين الآخر
٨٤٧	كانون الأول
٨٤٧	كانون الآخر
٨٤٨	شباط
٨٤٨	آذار
٨٤٩	نيسان
٨٤٩	أيار
٨٥٠	حزيران
٨٥٠	تموز
٨٥٠	آب
٨٥١	أيلول

٨٥٣	الباب الثالث و الخمسون فى انقلاب طبائع الأزمنه و ثباتها، و امتزاجها و الاستكمال و الامتحاق
٨٥٨	الباب الرابع و الخمسون فى اشتداد الزمان بعوارض الجذب و امتداده بلواحق الخصب
٨٧٠	الباب الخامس و الخمسون فى حدّ ما يشتمل على ذكر ما فى إعرابه نظر من حديث الزمان
٨٨٥	الباب السادس و الخمسون فى ذكر الكواكب اليمانيه و الشاميّه و تميز بعضها عن بعض
٨٩٠	الباب السابع و الخمسون فى ذكر الفجر - و الشفق - و الزوال و معرفه الاستدلال بالكواكب و تبين القبله
٨٩٠	اشاره
٨٩٣	فصل فى صرف القبله من بيت المقدس إلى الكعبه
٨٩٥	الباب الثامن و الخمسون فى معرفه أيام العرب فى الجاهليه و ما كانوا يحترفونه و يتعايشون منه
٩٠٥	الباب التاسع و الخمسون فى ذكر أفعال الرياح لواقحها - و حوائلها - و ما جاء من خواصها فى هبوبها و صنوفها
٩١٢	الباب العاشر و الستون فى ذكر الأوقات المحموده للتوء و المطر و سائر الأفعال، و ذكر ما يتطير منه أو يستدفع الشر به
٩٢٦	الباب الحادى و الستون فى ذكر الاستدلال بالبرق، و الحمرة فى الأفق، و غيرهما على الغيث
٩٣٢	الباب الثانى و الستون فى الكواكب الختس و فى هلال شهر رمضان
٩٣٥	الباب الثالث و الستون فى ذكر مشاهير الكواكب التى تسمى الثابته و هذه التسميه على الأغلب من أمرها
٩٣٥	اشاره
٩٥٠	تقريظ وجد آخر الأصل
٩٥٢	فهرس كتاب الأزمنه و الأمكنه
٩٦٤	تعريف مركز

سرشناسه : مرزوقی اصفهانی، احمد بن محمد، - ق ۴۲۱

عنوان و نام پدیدآور : ...الازمنه و الامكنه/ تالیف ابی علی احمد بن محمد بن الحسن المرزوقی الاصفهانی؛ ضبطه و خرج آیاته خلیل المنصور

مشخصات نشر : بیروت : دارالکتب العلمیه ، ۱۹۹۶م. = ۱۴۱۷ق. = ۱۳۷۵.

مشخصات ظاهری : ص ۵۶۶

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه بصورت زیر نویس

موضوع : فضا و زمان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴

موضوع : زبان -- جنبه های مذهبی -- اسلام

موضوع : هستی شناسی (فلسفه اسلامی)

شناسه افزوده : منصور، خلیل

رده بندی کنگره : BD۶۳۲/م ۴ الف ۴ ۱۳۷۵

شماره کتابشناسی ملی : م ۸۱-۲۳۱۳۴

ص : ۱

نضع بين يدي قرائنا الكرام كتاب الأزمنه و الأمكنه فهو كتاب جامع شامل الموضوعات لها من الأهميه شأن كبير فى معرفه علوم زاد الاهتمام بها فى الماضى كثيرا و ما يزال الاهتمام بها فى العصر الحاضر يأخذ مجالا واسعا لكونها تبحث فى الطبيعه و فى حركه الكواكب و تسمياتها و قوانينها و هى قاعده انطلاق أساسيه فى العصر الحاضر للتعرف على الفضاء و على معرفه جوانب منه ما زالت غامضه و تشغل الكثير من العلماء فى العصر الحاضر و يعتبر الكشف عنها أو البحث فيها يخدم الإنسانيه فهى مترابطه إلى حد بعيد مع بعضها فالعلوم جميعا تكمل بعضها البعض فإثبات صحه تجربه علميه أحيانا و للتأكد من نجاحها يتطلب إجراء اختبارات لها فى الفضاء لهذا فإن أجدادنا العرب فى الماضى اهتموا كثيرا بالعلوم التى كان لها علاقه مباشره بحياتهم فى حلهم و ترحالهم و من أهم هذه العلوم علم الفلك الذى كان له دور كبير و مرتبطا ارتباطا وثيقا بهم لمعرفة أحوال الجو و للاهتداء بالنجوم و الكواكب فى السير و لمعرفة الزمن و أقسامه، و أدركوا مدى الارتباط بين الزمان و المكان و أهميه هذا الترابط الوثيق بينهما لدرجه أنه لا يمكن لأحدهما أن يكون بدون الآخر.

و قد قسّم الكتاب إلى أبواب و فصول اشتملت على مضمون الكتاب حسب تسلسل الحروف الأبجديه و قد بدأها فى ذكر الآى المنهيه من القرآن على نعم الله تعالى على خلقه فى آناء الليل و النهار و فى ذكر أسماء الزمان و المكان و متى تسمى ظروفها و معنى قول النحويين الزمان ظرف الأفعال. المهم أن العناوين تجسدت فيها روح النصوص و لم تنفصل عن بعضها البعض فكلها أعطت للكتاب أهميه خاصه فى جعله وحده متكامله مثل أسماء الشمس و أسماء القمر و ختمها فى ذكر مشاهير الكواكب التى تسمى الثابته و غيرها المتحركه.

أما المؤلف فقد كان له باع طويل فى رفد العلم بمؤلفاته الفريده فى فنون العلوم فقد

ذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ج ١٧ / ٤٧٥ فقال إمام النحو أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى و ذكره ياقوت الحموى فى معجم الأدياء ٣٤ / ٥، ٣٥ كما ذكره صاحب كتاب انباه الرواه و غيره و قد عاش أبو على و عمر طويلا فقد قارب التسعين عاما و توفى فى ذى الحجه سنه إحدى و عشرين و أربع مائه و كان له أكبر الأثر فى إتحاف المكتبه العربيه بمؤلفاته العلميه و الأدبيه.

[مقدمه المصنف]

(الجزء الأول) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الذى لا تحصى آلاؤه بتحديد، و لا تعد نعمائوه بتعدد، خالق الظلم و الأنوار بعجائب صنعته، و مالك المدد و الأقدار بغرائب حكمته، فله فى كل ما أنشأ و ابتدع، و فى جميع ما أوجب و اخترع، عند تناسخ الأزمنه فى أهاليها و تعاقب الملل و الدول بين مترفيها، آماذ و رتب و آيات و عبر لا يجمع جملها إلّا إدراكه و علمه، و لا يتوع تفاصيلها إلّا إحصاءه و حفظه، و إن كان كثير منها يحصله العيان و يصوره الأذهان من الأفلاك و بروجها، و منازل النيرين فيها و استمرار مسيرها فى حدى الاستقامه و الرجعه و البطر، و السيره، و تكوير الليل على النهار، و تكوير النهار على الليل و تبدل رطوبتها و بردها و حرها و يبسها و لينها، و تغير أدوار النجوم فى طلوعها و أفولها، قال الله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَيْتَ عَسَ وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [سوره التكوير: الآيات ١٥ - ١٨] و فى الاختفاء عن بعض الأمصار و ظهورها و تساوى الجميع فى الدلاله على حكم الآثار، و له الخلق و الأمر، و إليه المرجع و المستقر، تبارك الله أحسن الخالقين و صلاته على من اختاره للنداره، و تبليغ الرساله، فصدع بأمره و أدى حق نعمته فى خلقه محمد و آله و أصحابه أجمعين.

أما بعد: فإنّ الإنسان و إن كان ذا لدد و خصام، و جدال فيما يهوى و جذاب بتيقن الحوادث بوجه الثبت، و يتسبب إلى الازدياد، بحب التوسع فىرى جلائل الأقدار كأنّها تواريه أو تلاعبه، و يحسب غوائل الأخطار كأنّها تساوفه أو تسابقه، ترشح بما رشح له عناصره عند الاختبار، و تجليه لما هيب له مكاسره لدى الاعتبار، فهم فيما يترددون فيه طلعه خباءه، و عن صفايا غنائمهم غفله نومه لا- يردون مستنكرا، و لا- يجدون عند الزله مستمسكا، نجدهم على تفاوت من أجسامهم، و أقدارهم، و مناشئهم، و مدارجهم، و أسماحهم، و إياهم، و مأخذهم فى استقراء مآربهم، و فى أداتهم، و لغاتهم، و صورهم و هيآتهم و اقتراحاتهم و شهواتهم و أقواتهم، و مطاعمهم و حرفهم و مكاسبهم، و تباين ألسنتهم و ألوانهم، و على تنافس بينهم شديد، و تحاسد فى خلال أحوالهم عجيب، و تضاعن يلوح من مستكن سرائرهم، و تباغض يبوح به تدانى جوارهم.

قد جبلوا على ما إليه سيقوا، وخلقوا لما عليه أدبروا، متوافقين في الانجذاب إلى مدى من حب الوطن والسيك، والصبر على مرارى الزمن، والاستظهار فى تخليد الذكر باتخاذ المصانع المؤبده، والمباني المشيده، كالخورنق، والحضر، والأبق الفرد، و غمدان، والمشقر، والهرمين، ومنف، و هو مسكن فرعون و تدمر و الشعراء ذكروها فى ذلك قوله:

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعافى رأس غمدان دار أمنك محلالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن شييا بماء فما ذا بعد أبوالا

و قول الآخر: شعرا:

ما ذا أوئل بعد آل محرّق تركوا منازلهم و بعد إياد

أهل الخورنق و السدير و بارق و القصر ذى الشرفات من سنداد

أرض تخيرها الطيب مقيلها كعب بن مامه و ابن أمّ داود

و قول الآخر شعرا:

و أخو الحضر إذ بناه و إذ دجله نحى إليه و الخابور

شاده مرمرًا و جلله كلسافلطير فى ذراه و كور

و قول النابغه:

و خيس الجنّ إننى قد أذنت لهم بينون تدمر بالصّفائح و العمد

و كايوان كسرى أنوشيروان، و هى من الأبنية القديمه و التّهالك فى مناصب القرون الخاليه، و الأرزاء بمناصبهم و طلب التقدّم عليهم فيما حمدوا فيه و إن كان كلّ منهم يذمّ زمانه و يحمد زمان غيره حتى روى قول لبيد شعرا:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجر

و من قول عائشه رضى الله عنها فيه ما روى:

و سار متى قصروا عنه ذمّواو إن ما هم استأنسوا فيه ملّوا

لا- جرم أنهم ابترموا مما اختبر لهم فيجمعوا أيديهم عليه مؤثرين لقبوله، و مقتنعين بحصوله كمن أطلع على ما أبدله فى القسم

فاغتنمه، و أوزن بما أعدله عند السّوم فاخصه، فترى ذكر الزّمان في المكان في جميع ما يندرجون فيه شقيق أرواحهم و مشرع
الزّوج لأفئدتهم و مستمد لذّاتهم، و مشتكى أحزانهم، به يكشف البلوى و يستنزل المطر، فليسوا

بشىء من حظوظهم أفنع منهم باجتماع الوطن و المطر، و استطلاع المستنجد من العين و الأثر، لذلك قال شاعرهم:

و كنت فيه كممطور ببلدته فسر إن جمع الأوطان و المطرا

و قد قيل: ليس الناس بشىء من أقسامهم أفنع منهم بأوطانهم، فلولا ما منّ الله تعالى به على طوائف الأمم و عصائب الزمر من الألفاظ فى تحبيب ما حب و تأنيس من أنس، و المنع من الاستيثار و الاقتدار، و الاجتهاد بنهمه الاقتار، لما رضيت المهج الكريمة بمجاوره البلاد و الديار، و لا سكنت القلاع، فى قلل الجبال و التلاع، و لا عمرت المهارى و الأرانب فى مساكن الأسود و الضباع، و لا نبت حبال الألفه.

و نقطع نظام ما له فسبحان من جعل الاختلاف سبباً للاتلاف، و بدل التنافر فصيره داعياً إلى التوافق، و لله الحمد على ما أمضى و قدر، و نسأله التوفيق فيما أتى و غبر، و قل عن اشتمام الأبنيه الرّفعة إلى غايه ما فى نفوسهم، بل يدعون منه شياحين يلزمهم اسم التمام و الفراغ ليس للكلام نهايه، و لا لاختلافهم غايه، لأنّ عددهم كثير، و النظر فيهم قديم و طبائعهم مختلفه، و قواهم متفاوتة و ألسنتهم مرسله، و خواطهم مطلقه، و لو كان الفاسد يشعر فساده، و المنقوص يجد مسّ نقصه لكان الفاسد صالحاً و الناقص وافراً.

و روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «من باع داراً أو عقاراً، فلم يجعل ثمنها فى مثلها كان كرماد اشتدّت به الريح فى يوم عاصف».

و ذكر أحمد بن أبى طاهر أنه سمع آذرباد المؤيد يقول: إنّه وجد فى حكم الفرس تربه الصّيبى تغرس فى القلب حرمة كما تغرس الولاده فى الكبد رقه، و مما قيل فى الوطن:

عجبت لعطار أتانا يسومنا بدهن القيوم دهن البنفسج

فويحك يا عطار هلاً أتيتنا بضعف حزار أو بخوصه عرفج

و قالوا: خلق الله آدم من تراب فهمته فى التراب، و خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم فهمتها فى الرّجال، و مما يعرف به موقع الوطن و الزّمن من ذوى البصائر السليمه و العقائد الصّحيحه قول جرير:

سقى الله البشام و كلّ أرض من الغورين أنبتت البشاما

فيا نعمى الزّمان به علينا يا نعمى المقام به المقاما

فجمعهما فى قول، و أنشدنى أبو أحمد العسكرى، قال أنشد الصّولى:

سقى الله دار الغاضر به منزلاترفّ عليه الرّوض خضر الرّفارف

و أيامنا و الغاضريون خضرو عيشى بهم يهتز لدن المعاطف

و رأينا الله تعالى قسم مصالح خلقه و لذائذهم بين المقام و الطعن فجعل أكثر مجارى الأرزاق مع الحركة و الاضطراب، و اغتنام الأرباب بعد التقادى فى البلاد لذلك قال الشاعر:

فألقت عصاها و استقرت بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

و قال آخر:

سررت بجعفر و القرب منه كما سرّ المسافر بالإياب

و قد شهد أصحاب المعانى لابن الرومى، فقالوا: لم بين أحد العله فى الحنين إلى الوطن إبانته حين قال:

و حبّ أوطان الرجال إليهم مآرب قضّاهم الشّباب هنالكا

و قد قال الأسدى أيضا شعرا:

أحبّ بلاد الله ما بين منعج إلىّ و رضوى أن نضوب سحابها

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى و أوّل أرض مسّ جلدى ترابها

و أخذه ابن ميادة فقال:

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى و قطّعن عنّى حين أدركنى عقلى

و قال بعض أصحاب المعانى: العله التى من أجلها تساوت الطّباع المختلفه فى الحنين إلى الألف، و حب ما مضى من الزّمان هى أنّ الدّوات فينا و منا لما كانت لا تحصل إلّا فى مكان و زمان صارت لتضمّنها لهما و لكونهما ناشئه حياتها و فاتحه شبيبتها، و طالعه نمائها، تشوقهما و تستنشئ على البعد أرواحهما حتى كأنّهما منها.

و فسّر بعضهم قول ابن الرومى، فقال: يريد بالمآرب المقضيّه للشّباب ما أقامه الصّبى من روادف الهوى، و قد ظفر بالمرتاب، أو كان على استقبال من العمر و قوه من الركن، و استعلام من الأمل، و استخبار من الأجل، و تماسك من الجوارح و تساعد من الأعضاء الحوامل، و رخاء من البال و أمن من عوارض الآفات.

و الذى شرحه هذا المفسر الزائد فيه على مذهبهم كالواصل إليه لاجتماعهما فى غواشى العشق و الصّبر تحت بيان الحب رجاء الفوز بالمراد، و أظنّ جميعه فى قول امرئ القيس:

و هل ينعمن إلا خلّى مخذقليل الهموم ما بييت بأوجال

و هذا فى قضايا الأوقات كما اقتصّ الجاحظ من تعصّبه لمصره، فقال: من فضله البصره ما خصّت به من أرض الصّيدقه إنه لا يسوغ تغيرها ولا- يتهيأ تبدليها، و من المد و الجزر المبخر خصوصا لأهلها المجمعول نوما بين قاطنها و مسافرها، و مصعدها، و منحدرها على مقابلات من الأوقات و مقادير من الشّاعات، و على منازل القمر فى زياده الثّور و امتلائه، و نقصان ضوئه و استساراه، فلا يعرف مصر جاهلى، و لا إسلامى أفضل من البصره، و لا أرض جرى عليها الآثار أشرف من أرض الصّدقه، و لا شجره أفضل من الثّخله و لا بلد أقرب برا من البصره، فهى واسطه أبجر، و خضراء من بداو، و ريعاء من فلاه، و قانص وحش من صائد سمك، و ملاحا من جمال من البصره.

فهى وسطه الأرض و فرضه البحر و مضبض الأقطار، و قلب الدّنيا فساحله بعض المتقضييه للغيث، و بلاده بأن قال: الكرمه أفضل الأشجار، و العنب سيّد الثمار، ناعمه الورق كأنها سرقه ناضره الخضره بديعه الشكل، سلسه الأفتان، رقيقه الجلد عند المذاق يسرح فى البدن نورها، و فى القلب سرورها، مع ذكاء العرق و صحّه الجوهر إن عرشت على عمد الخشب، و طبقات القصب تضاعف علتها، و تكامل حسننها و دخلها و رأفه جهارتها و أنق ينعها، و إن بسطت أغصانها على الدّار التى هى فيها أظلت و إن مدّت على الجدران و قيدت إلى حدود الجيران سامحت قائدها و قلّ اعتياضها تغنى عن الشارات و الفساطيط، و تكفّ صيد الحر فى حماره القيظ، و احتدام الشمس أوان الحاجه إلى الرّوح و تردّ عواصف الرّياح و قواصفها، بكثافه ورقها، و ضفاقه ظلّها فى كلام يتصل بين الفريقين و لا ينقضى.

و ليس من همتى و لا سدمى إنما أردت التّنبيه على أنّ كلّ ذى أرب همّته فى نظريه بلدته طبعلا لا تكلفا و كل ذى سبب نهّمته فى تركيه ممكنه عمدا لا- سهوا، ثم حسن الشّى ء و قبحه و فضله و نقصه لما عليه فى نفسه لا لجوى راصد أو ألف جاذب. و الحديث شجون، و الفخر بالشّى ء فنون، لكنّ الله تعالى لمّا ذكر الدّيار فخير عن موقعها من عباده حتّى سوى بين قتل نفسهم و الخروج من ديارهم فى قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [سوره النساء: ٦٦] و فى موضع آخر: وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَانِنَا [سوره البقره: ٢٤] جعل لهم فى الأرض بيتا نسبه إلى نفسه بإزاء البيت المعمور لملائكته، و صيره حرما و أمنا، و مثابه للناس، و مطافا يلوذ به الخائف و لو كان من الوحش.

كما يأوى إليه الهارب من الأتس عظيما شأنه منيعا جاره لا يغشى أهله غضاضه الامتهان، و لا سأمه الابتذال، فهم على مر الأيام و كله و حمس فى أديانهم متمنع، و قد كان من الفيل و الحبشه ما أرّخ به الرّمن كما أرّخت الحوادث و الثّحل، و كما قيدت أيام الثّبوات

بما يكشفها من أنباء الفترات و أحوال الأنبياء و المعجزات، و ذكر الله تعالى النعمة على قريش، فانبأ عن رحله الشتاء و الصيف بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام لسكان مكة فقال:

رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ [سوره البقره: ١٢٦]، و قد كان قال:

رَبَّنَا إِنِّي أَسْـَٔ كُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِعَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [سوره إبراهيم: ٣٧] فاستجاب الله دعوته فهم يصيفون (الطائف)، و يشتون (جده) و أنواع الخير منهم بمرصد و فعل مثل ذلك في الزمان فعظم ليله القدر و جعلها خيرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ بما ضمّنها من تنزل الملائكة بقضايها إلى رأس الحول، و لأنها ليله السلامه و الأمن من كل داء و بلاء إلى مطلع الفجر.

فالحمد لله الذي بنوره اهتدينا و بفضل غينا، حين أدب الأخلاف بما درج عليه الأسلاف، و قرن العباده باعتبار ما أمضى عليه القرون الماضيه في الدهور الخاليه فإنهم و إن مضوا سلفا فقد السبيل عليهم، و الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم، و قد أكثرت، و ظهر الفرض فيما أبدأت، و أعدت، و الترفيه عن المطبه أعون في إملاء قطع الدود أنّ من نكص عن المنهاج تاه في الفجاج، فإنّما هذا الكلام وصله إلى كتاب في الأزمنه و الأمكنه، و ما يتعلّق بهما من أسماء الليل و النهار و البوارح (١)، و الأمطار، و المزالف، و المآلف، و ما أخذ أخذها مما تعداده يطول و ينطق به الحدود بعد هذا.

و الفصول فقد قدّمت ذكرها، و قد غبرت مده من الزمان، و هذا الكتاب منى ببال أ تصفّح ورقه بأيدي فكري، و أتصوّر مضمونه في مطارح فهمي، فينيلني إذا صادفته جموحا، و يوليني إذا صافحته ازورارا، و شسوعا، كأنه يطلب لنفسه حظا زائدا على ما أوتيه، و سهما عاليا لما أجيله فأعطيه إلى أن تبوأ من علو الوكد، و الاهتمام في أعلى الرّبي، و من مرتقى التّوفر في الاعتناء في أسنى الذرى.

فحينئذ أطلع الله على ضميري نور الأستاذ النفيس أبي على إسماعيل بن أحمد أدام الله رفعته، و برهان سلفه قرنا بعد قرن، و كابرا عن كابر من كمال النبل، و جماع الفضل و الجمال الظاهر، و الكرم الغامر، و التّهوض بأعباء الرّئاسه، و الاستظهار في أنحاء السّياسه، و تدبير المسالك و المهالك، و المدائن و الممالك، و الميل إلى ذوى الأخطار، و أعلام الآداب.

فهم يكرعون من جداهم في أعذب المشارع، و أكرم الموارد.

هذا إلى ما حباه الله في خاص و عام قصده من محييات القلوب، و مزيات القبول. فإنّ العزيز الشريف و التّبت الرّفع إذا أشر بالدونه المعطف، و سهوله الملتقى، و المختبر ترجما عن الكمال، و وفرا ابهه الجلال. و هذا الشاء منى ليس على طريقه المادحين فأتجوّز، و لا

قصدي فيه قصد المجتدير فأتسّمح، بل إملاء طول الصّحبه بلسان الخبره، فعليه فيه حكم الحق و المعلوم مع تواطؤ الأخبار عنه و شهاده الإثار له، و توارد الوسائل فأقبل بتغاير أبوابه، و انثال عليّ و تسابق أجزاءه، و فصوله تنساق إلى كانه كان من رباط الشّد في عقل فأنشط، و من حفاظ المنع في وثاق فأهمل، و بيد الله تعالى أمره تسهيل المراد و تعجيل الفراغ بحوله و منه.

و اعلم أنّ رؤساء الأمم أربعه بالاتفاق: العرب، و فارس، و الهند، و الروم و هم على طبقاتهم في الذكاء و الكيس، و الدّهاء، و الكيد، و الجمال، و العناد و تملك الممالك و البلاد، و السّياسه و الإياله، و استنباط العلوم و إثارة الحكم في جوامع الأمور و معلوم شأنهم معروف أمرهم، و ما في على طبقاتهم في الغباوه و العظاظه و سوء الفهم و الدّرايه و القسوه، و الغذامه، و النّوك، و الجهاله مراعون لما رهنوا به و قيصوا له، و قد صاروا إلى وجوه المعاش، و فنون الممارسات، و الإغراب في أسرار الصناعات، و الإبداع في أنواع التّركيبات، انفتح لهم من أبواب المعرفه، و حسن التّوفيق في الإصابه، ما لم يفتح لهم في سواه و ذلك ما لا يدرك غوره من غرائب حكمه الله تعالى فيما دبر، و امضى و إن كان للعرب خاصه طبع عجيب في الأخبار، و الاستخبار، و المباحثه، و الاستكشاف، و سرعه إدراك ما يسفر عن الأواخر عند النّظر في الأوائل، فحصل لهم بذلك أخلاق عادت مفاخر، و أفعال صارت مناقب، مع ثبات فيما يعز، و جلد، و بيان و لدد، و افتنان في الخطب و الشّعور و الرّجز على اختلاف أنواعها و تصارييف أساليبها، و على كثره الأمثال الحكيمه، و طرائف الآداب الكريمه.

ثم لهم الفراسه الصّحيحه، و الكهانه العجيبه، و صدق الفأل الحسن، و الحسّ المصيب مع العلم بأثر القدم في الصّخر الأصم، و القاع العفراء، و قيافه الأثر مع قيافه البشر، ليست لغير العرب لأنهم يرون المتفاوتين في الطّول و القصر، و المختلفين في الألوان و النّعم فيعلمون أنّ هذا الأسود ابن هذا الأبيض، و هذا القصير ابن أخ هذا الطّويل، مع الرّعايه لأنسابهم و أيامهم، و محاسن أسلافهم و مساوئ أكفائهم، للتّعاير بالقبيح و التّفاخر بالجميل، و ليجعلوه مبعثه على اصطناع الخير، و مزجره عن ادخار الشّر، و لهم تبيين أحوال النّجوم سعدها و نحسها، و الأنواء و مقتضياتها و الأمطار و موافقتها، و بوارح الرّياح في إبانها و حينها، و الرّجز المغنى عن التّنجيم و حسن الاهتداء في المسالك المهلكه، و المرامى غير المسلوكه.

و هم على كلّ حال من عيشهم يخافون مأثور الحديث و يتجرّعون من غوارب البحار، و يحبّون المادحين و تقرّظهم، و يؤثرون على أنفسهم الخيل، و على عيالهم الصّيفان أصحاب حياء و أنفه، و جود، و فروسيه، و فخر، و همه لا تطل دماؤهم و لا يعجز طوائلهم، و لا

ينسيهم طول الأيام دفائن أحقادهم، يراعون الدّم، و يوفون بالمواثيق، و يوجون الجوار باعلاق الدلو بالدلو و شد الطنب بالطنب حتى قال زهير:

و جار سار معتمدا علينا أجابته المخافه و الرّجاء

فجاور مكرما حتّى إذا مادعاه الصّيف و انصرم الشّفاء

ضممنا ما له فغدا علينا جميعا نقصه و له التّماء

ثم لم يرضوا لأنفسهم بالاسم الواحد، و الكنيه الواحد، و النّعت الشّريف و الذّكر الرّفيح و المنصب المفخم، و الفخر المقدم حتى تنقلوا فى أسامى و كنى كما اكتنى حمزه بن عبد المطلب بأبى يعلى - و أبى عماره، و عبد العزى بن عبد المطلب بأبى لهب - و أبى عتبه، و صخر بن حرب بأبى سفيان - و أبى حنظله، و حسان بن ثابت بأبى الوليد و أبى الحسام، و عثمان بن عفان بأبى عبد الله و أبى عمرو، أو أبى ليلى و عبد الله بن الزّبير بأبى بكر، و أبى خبيب و أبى عبد الرّحمن.

و الذين أسماؤهم كنى كثير فى العرب يسمّى بعضهم بعضا بسمات تفيد التّفخيم و التّعظيم كقولهم: ملاعب الأسنه، و سم الفرسان و زيد الخيل، و محكم الأقران و أشباه ذلك. فهذه الخصال تختصّ بهم إلى كثير ممّا إن شغلنا الكلام به خرجنا عن الغرض المنصوب و لله تعالى فى خلقه أن يفعل ما شاء، و يصطفى بفضله من شاء، و هو الحكيم العليم، و لو لا اهتزازى لتقديم ما يتعلق به همّه برّ أشاد التّفيس، و سرعه إجابتى إذا أهاب لما رهبته، و ليحصل لى به الفأل الحسن و الذّكر المؤيّد، و الالتذاذ بالدّخول فى جملة أهل الفضل و الاستئان بسننهم فى إذاعه ما تكسيهم الأيام و يفيدهم الاجتهاد لبقيت فى حجر الفن بما أورده لما أرى فى أهل الزّمان من اطراح العلم، و احتقار أهل الفضل، و لا أزيد على هذا مخافه الخروج إلى ما يعد سرفا، بل أنشد قول الأول شعرا:

إذا مجلس الأنصار حفّ من أهله و حلّت مغانيه غفار و أسلم

فما الناس بالناس الذين عهدتهم و لا الدّهر بالدّهر الذى كنت أعلم

و اعلم أنّ قرب الشىء فى الوهم ليس بموجب حصوله، و لا بعده فيه يقتضى بطوله، و هذا الكتاب ليس اختيارى لعلمه لغلبته، و لا- اشتغالى به عن شبهه لكنى حصته تحصين الحزم، و صنته صون العرض المكرم، فهو مذخوره المتلهف، و عقد المعتال المحتكم، ثمره عند الينع لا يخلف، و ماؤه على الميخ لا يكدر.

و قد قيل لحاضنك عليك حق اللّبن، و لتربتك حبّ الوطن، و لنسلك حرمة السيكن، و لطربك خلع الرّسن، كما أنّ لما تخلد به ذكرك من نثر أو نظم عليك شرف التحليه، و حسن

التَّعْتِ والتَّسْمِيَةِ، و جمع الفوائد الزَّكِيَةِ، و هجر الهوى و العصبِيَّةِ، و بيد الله تبليغ المراد و توطير المرتاد.

و اعلم أنَّ مدار الأدب على الطَّلَبِ، و عمدته البحث، و مصرفه الرِّغْبَةَ، و الحث و أزمه الجميع بيد القريحه فإذا سلمت القريحه من عوارض الآفات و تملست من شوائب الأقدار، و العاهات، و ترقَّت في مدارجها من دلائل الرِّسْمِ إلى حقائق الحدود أقبلت تصنع في نيل المطلوب صنعه من طَبِّ لمن حَبَّ، و إني و إن أنشأت هذا الكتاب فما في نفسي ادعاء الفضل على الأسلاف؛ و كيف أستجيز ذلك و من ذكرتهم ننفق، و بشهاداتهم نتوثق، و بين المسلم و المنازع ما بينهما من برزخ التَّضَادِ، و لكن لمن ضمَّ النَّشْرَ، و سوَّى في البناء النَّضْدَ و تأنق في الإثارة، ثم بلغ و تناهى إلى الغايه، فسدّد حقه من العمل. نسأل الله تعالى حسن التَّوْفِيقِ فيما نأتى و نذر، و عليه المعوّل في إيزاعنا شكر نعمته، و إعانتنا على ما تعرب من رحمته، و نعم المولى و نعم النصير.

هذا و بيان ما يختلف من أحوالها و يتفق من أسمائها، و صفاتها، و أطرافها، و إقطاعها، و متعلقات الكواكب منها في صعودها و هبوطها و طلوعها و غروبها، و جميع ما يأخذ أخذها، أو يعدّ معها، أو لا ينفكّ في الوقوع و الاستمرار منها، أو متسبب بضرب من ضروب التشابه، أو قسم من أقسام التَّشَارِكِ إلى الدَّخُولِ في أثنائها موشّحه بما يصححها من أشعارهم و أمثالهم، و أسجاعهم و مقامات و قوفهم و منافراتهم جاذين و هازلين، و من كلام روادهم و وزادهم و كتابهم في ظعنهم و إقامتهم و تتبعهم مساقط الغيث و بوارح الرِّيحِ، و عند ما يقيمون من الجذب، و الخصب و السلم و الحرب، و قرى الضيف في الشتاء و الصيف، و أعيادهم، و حجهم، و نسكهم، و وجوه معاشهم و مكاسبهم، و آدابهم.

و قد صدرته بجميع آى من كتاب الله تعالى بعض حقائقه لتردد المعانى إذا شافهت الالتباس، بين الوجوب و الجواز و الامتناع فيتسع أمد القول و يمتد نفسه بحسب الحاجه و على قدر العنايه، و من أنكر في طلب الحق واجبا، أو رد جائرا، أو جحد ممتنعا فقد صافح الخذلان. كما أنَّ من قصر و كده على ما لا يرد من دينه فائتا و لا يعمر ثابتا، فقد جانب حسن التَّوْفِيقِ. و على الله في الأحوال كلها المعوّل و التَّكْلَانِ.

و بعد الفراغ من ذلك أتبعته بالكلام في حقيقه الزَّمان و المكان، و الزد على من تكلم بغير الحق فهما بعد تتبع لما أصله شديد، و بحث عنه بليغ، و ردّ للسَّابِقِ من دعاويهم على اللّماحق(١) على الوارد إذ كانا عندى كالأصل في إلحاد أكثر الملحدين من الأوائل

و المتأخرين، و إذ كنت قد شيدت من قبل فصول ما ذكرت، و وصوله بلمع من الكلام فى المحكم و المتشابه و الاستدلال بالشاهد على الغائب، و بيان أسماء الله تعالى و صفاته، و ما يجوز إطلاقه عليه أو يمتنع لأن أطراف هذه الأبواب متعلقه بموارد الآى التى تكلفت الكلام فيها و مصادرها، و مستقيه من العيون التى تحوم أطيافها حوله، و فى جوانبها و لأن الاشتغال به هو الغرض المرمى فى تأليف حل هذا الكتاب و ترتيبه، و تنسيقه هذا إلى غير ذلك مما خلا منه مؤلفات اللغويين و النحويين و الباحثين عن طرائق العرب، و ما يراعونه من معتقداتهم فى الأنواء و غيرها، و إيمان من آمن منهم بالكواكب حتى عبدوها لما ألفوه من استمرار العادات بهم و اطرادها على حد سالم من التبدل و التحول.

ثم شرعت فى الكتاب و تبويب معارفه و تنويع أساليبه و مدارجه، و أستعين الله تعالى على بلوغ ما يزلف عنده، و يستحق به مزيد الإحسان و أصحاب التوفيق الكامل منه، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

ذكر أبواب الأزمنة والأمكنه، و فصولها

إشاره

هي ثلاثه و ستون بابا، و تئيف و تسعون فصلا:

أ: في ذكر الآي المنهيه من القرآن على نعم الله تعالى على خلقه في آناء الليل و النهار، و بيان النسيء، و في ذكر أخبار مرويه، و في ذكر الأنواء، و ذكر معتقدات العرب فيها و فيما يجرى مجراه، و ذكر فصل في جواب مسائل للمشهد من الكتاب و السنه، و في بيان المحكم و المتشابه و غيرهما، و بيان أسماء الله تعالى و صفاته، و هو يحوى تسعه و عشرين فصلا.

ب: في ذكر أسماء الزمان و المكان، و متى تسمى ظروفًا، و معنى قول النحويين الزمان ظرف الأفعال، و الرد على من قال فهما بغير الحق من الأوائل و الأواخر، و يحتوى على فصول أربعة.

ج: هو يشتمل على بيان الليل و النهار، و على فصول من الإعراب تتعلق بظروف الأزمنة و الأمكنه، و فصوله ثلاثه.

د: ذكر ابتداء الزمان، و أقسامه، و التنبه على مبادئ السنه في جميع المذاهب، و ما يشاكل من تقسيمها على البروج.

ه: في قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها.

و: في ذكر الأنواء و اختلاف العرب فيها، و منازل القمر مقسمه الفصول على السنه، و أعداد كواكبها، و تصوير مأخذها ضاربه، و نافعها، و فصوله أربعة.

ز: في تحديد سنن العرب، و الفرس، و الروم، و أوقات فصول السنه.

ح: في تقدير أوقات التهجد التي ذكرها الله تعالى في كتابه عن نبيه و الصيحه، و تبين ما يتصل بها من ذكر حلول الشمس في البروج الاثنى عشر.

ط: في ذكر البوارح، و الأمطار مقسمه على الفصول، و البروج، و في ذكر المراقبه، و هو فصلان.

ى: فى ذكر الأعياد والأشهر الحرم والأيام المعلومات والأيام المعدودات، والصلوات الوسطى، و هو فصلان.

يا: فى ذكر سحر، و غدوه، و بكره، و ما أشبهها و الحين و القرن و الآن و أيان، و أوان، و الحقبه، و الكلام فى إذ، و إذا، و هما للزمان و إبان، و أفان، و هو فصلان.

يب: فى لفظه أمس، و غد، و الحول، و السنه، و العام، و ما يتلو تلوه، و لفظه حيث، و ما يتصل به، و الغايات كقبل و بعد، و ذكر أول و حينئذ، و قط، و إذ، و إذا المكانية، و منذ، و مذ، و من، و على و هو فصلان.

يج: فيما جاء مثنى من أسماء الزمان، و الليل، و النهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها، و هو أربعة فصول.

يد: فى أسماء الأيام على اختلاف اللغات و قياسات اشتقاقها و تثنيها و جمعها.

يه: فى أسماء الشهور على اختلاف اللغات، و ذكر اشتقاقها، و ما يتصل بذلك من تثنيها و جمعها، و هو فصلان.

يو: فى أسماء الدهر و اقطاعه، و ما يتصل بذلك، و هو فصلان.

يز: فى اقطاع الدهر، و أطراف الليل و النهار، و طوائفهما و ما يتصل بذلك من ذكر الحوادث فيها، و هو ثلاثة فصول.

يج: فى اشتقاق أسماء المنازل، و البروج، و صورها، و ما يأخذ مأخذها، و هو فصلان.

يط: فى اقطاع الليل، و طوائفه، و ما يتصل بذلك و يجرى مجراه.

ك: فى اقطاع النهار، و طوائفه، و ما يتصل بذلك و يجرى مجراه.

كا: فى أسماء السماء و الكواكب، و الفلك و البروج، و هو ثلاثة فصول.

كب: فى برد الأزمنه، و وصف الأيام و الليالى به.

كج: فى حرّ الأزمنه، و وصف الأيام، و الليالى به.

كد: فى شدّه الأيام و رخائها و خصبها و جذبها، و ما يتصل بذلك.

كه: فى أسماء الشمس و صفاتها، و ما يتعلّق بها.

كو: فى أسماء القمر و صفاته، و ما يتصل بها من أحواله، و هو فصلان.

كز: فى ذكر أسماء الهلال من أول الشهر إلى آخره، و ما ورد عنهم فيها من الأسجاع، و غيرها.

كح: فى أسماء الأوقات، و الأفعال الواقعة فى الليل و النهار، و أسماء الأفعال المختصة بأوقات فى الفصول و الأزمان.

كط: فى ذكر الرّيح الأربع، و تحديدها بها، و ما عدل عنها، و هو فصلان.

ل: فى أسماء المطر و صفاته و أجناسه، و هو فصلان.

لا: فى السّحاب، و أسمائه و تحليه بالمطر، و هو فصلان.

لب: فى الرّعد و البرق، و الصّواعق و أسمائها و أحوالها، و هو فصلان.

لج: فى قوس قزح و فى الدائره حول القمر، و فى البرد من قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَـَّحَابًا [سوره النور، الآيه: ٤٣]، و هو ثلاثه فصول.

لد: فى ذكر المياه و النبات ممّا يحسن وقوعه فى هذا الباب، و هو ثلاثه فصول.

له: فى ذكر المرايع الخصبه و المجديه، و المحاضر، و المبادى، و هو فصلان.

لو: فى ذكر أحوال البادين و الحاضرين، و بيان تنقلهم و تصرّف الزّمان بهم.

لز: فى ذكر الزّواد و حكاياتهم، و هو فصلان.

لح: فى ذكر الوزاد و من جرى مجراهم من الوفود.

لط: فى السّبر و النّعاس، و الميح، و الاستقاء، و ورود المياه.

م: فى ذكر أسواق العرب.

ما: فى ذكر مواقيت الصّراب و التّاج.

مب: فيما روى من أسجاع العرب عند تجدد الأنواء و الفصول، و تفسيرها، و هو فصلان.

مج: فى ذكر الصّيام، و القيافه، و الكهانه، و هو ثلاثه فصول.

مد: فى ذكر ما لهم من الأوقات حتى لا يبين للسّامع و ما شرح منه.

مه: فى الاهتداء بالنّجوم و جوده استدلال العرب بها و إصابتهم فى أمهم.

مو: فى صفة ظلام اللّيل و استحكامه، و امتزاجه.

مز: فى صفة طول اللّيل و النّهار و قصرهما، و تشبيه النّجوم فيهما.

مح: فى ذكر السراب، و لوامع البروق، و متخيّلات المناظر، و وصف السّحاب.

مط: فى تذكّر طيب الزّمان، و التّلهف عليه و الحنين إلى الألف، و الأوطان.

ن: فى ذكر أنواع الظلّ و أسماءه و نعوته.

نا: فى ذكر التاريخ و ابتدائه، و السبب الموجب له و ما كانت العرب عليه لدى الحاجه إليه فى ضبط آماذ الحوادث و المواليذ، و هو فصلان.

نب: فيما هو متمم لما عند العرب و من داناهم و أدركوه بالتفقد و طول الدربه، و لم يدخل فى أسجاعهم.

نج: فى انقلاب طبائع الأزمنه، و ثباتها، و امتزاجها، و الاستكمال و الامتحاق، و أزمان مقاطع النجوم فى الفلك، و معرفه ساعات الليل من رؤيه الهلال، و مواقيت الزوال على طريق الإجمال.

ند: فى اشتداد الزمان بعوارض الجذب، و امتداده بلواحق الخصب.

نه: و يشتمل من حدّها على ذكر ما فى إعرابه نظر من حديث الزمان.

نو: فى ذكر الكواكب اليمانيه، و الشّماميه، و تمييز بعضها عن بعض، و ذكر ما يجرى مجراها من تفسير الألقاب.

نز: فى ذكر الفجر، و الشفق، و الزوال، و معرفه الاستدلال بالكواكب و تبين القبلة.

نح: فى معرفه أيام العرب فى الجاهليه، و ما كانوا يحرفونه و يتعاشون منه، و ذكر ما انتقلوا إليه فى الإسلام على اختلاف طبقاتهم.

نط: فى ذكر أفعال الرياح لواقحها، و حوائلها، و ما جاء من خواصها فى هبوبها و صنوفها.

س: فى ذكر الأيام المحموده للّوء و المطر و سائر الأفعال، و ذكر ما يتطير منه، أو يستدفع الشربه.

سا: فى ذكر الاستدلال بالبرق، و الحمره فى الأفق و غيرهما على الغيث.

سب: فى الكواكب الخنّس، و فى هلال شهر رمضان.

سج: فى ذكر مشاهير الكواكب التى تسمى الثابته، و هذه التسميه على الأغلب من أمرها إذ كانت حركه مسيرها خافيه غير محسوسه.

الباب الأول [فى تعظيم شأن القرآن و فصل بيانه بالنظم العجيب و التأليف الرصيف]

إشارة

اعلم أنّ الله تعالى عظم شأن القرآن، و فصل بيانه بالنظم العجيب و التأليف الرصيف على سائر الكلام، و إن وافقه فى مبانيه، و معانيه ثم أودعه من صنوف الحكم، و فنون الآداب و العذر، و جوامع الأحكام و السير، و طرائف الأمثال و العبر، ما لا يقف على كنهه ذوو القرائح الصافية، و لا فى بعد فوائده أو لو المعارف الوافية، و إن تلاحت آلاتهم، و توافقت أسباب التفهم و الأفهام فيهم، فترى المشتغل به المتأمل له، و قد صرف فكره إليه، و قصر ذكره عليه، قد يجد نفسه أحيانا فيه بصورة من لم يكن سمعه، أو كان بعد السماع نسيه استغرابا لمراسمه، و استجلاء لمعالمه، و ذلك أنه تعالى لما أنزله ليفتح بتنزيله التحدى به إلى الأبد، و يختتم بترتيبه و آدابه البذاره إلى انقضاء السند، على ألسن الرسل، جعله من التنبهات الجليه و الخفيه، و الدلالات الظاهره و الباطنه ما قد استوى فى إدراك الكثير منها العالم بالمقلد، و المتدبر، و المهمل.

و إن كان فى أثناءه أغلاق لا- تنفتح الأشياء بعد شىء بأفهام ثاقبه، و فى أزمان متباينه، ليصل أمد الإعجاز به إلى الأجل المضروب لسقوط التكليف، و لتجدد فى كل أوان بعوائده و فوائده ما يهيج له بواعث الأفكار، و نتائج الاعتبار، فيتبين ثناؤه الراسخ المتثبت، و الناظر المتدبر عن قصور الزائغ المتطرف و تقصير الملول الطرف. لذلك اختلفت الفرق، و استحدثت المذاهب و الطرق، فكل يطلب برهانه على صحه ما يراه منه، و إن ضلّ عن سواء السبيل من ضلّ لسوء نظره و فساد تأنيه، و عدو له عن منهج الصّحابه و التابعين و صالحى الأسلاف، فلما كان أمر القرآن الحكيم على ما وصفت، و كان الله تعالى فيما شرع من دينه و حدّ عليه من عبادته، و دعا إليه من تبين صنعه و تبته ما أقامه من أدلته. قال: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ [سوره العنكبوت، الآية: ٤٤] مبينا أنه اخترعها بما يشتمل عليه حقا لا باطلا و حتما لا عبثا لتوفّر على طوائف خلقه منافعها، و مثبتها من يصدق بالرسل، و يميز جوامع الكلم على بعد غورها فى قضايا التحصيل و تراجع الأفهام، و الأوهام عن تقصى مأخذها بأوائل التكليف.

ثم كثر ذكرها في مواضع كثيرة في جملتها ما يقتضى الكشف عن نظومها و تصاريفها لما يكشفها من الغموض، و كان مبنى التأليف الذى هو مبنى على كتب لا يتم من دون الكلام عليها بترتيبه، بأن جعلتها مقدّمه ثم تجاوزت إلى ما سواها و الله المعين على تسهيل المراد منه بمنه.

فمن ذلك قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ يَوْمَ يَقُولُ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] الْآيَةَ، وصف الله تعالى نفسه فيما بسط من كلامه هنا بفصول أربعة، كلّ فصل منها عند التأمل جمله مكثفيه بنفسها عن غيرها، و داله على كثير من صفاته التى استبدّ بها.

فالفصل الأول قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، و المعنى فى قوله: بالحق، أنّ الحكمة البالغه أوجبت ذلك، ففطرها ليدلّ على نفسه بها و يظهر من آثاره العجيبه فيها ما تحقّق إلهيته و تثبت قدمه، و ربوبيته و يظهر أنّ ما سواه مدبر مخلوق و مسخر مقهور، و أنه الحقّ تمّ له ما أحدثه، و أنشأه لا يبطل، و وجبت له العباده من خليفته بقول فصل لا بهزل، فحجّته بينه و آياته محكمه، لا- تخفى على الناظر، و لا- تلتبس على المتأمل المباحث إذ كانت الأبصار لا تدركه، و الحواس لا تلحقه، فعرف عباده قدرته، و ألزمهم بما غمرهم من منفعه و نعمه عبادته، فلا مانع لما منح، و لا واهب لما ارتجع، أو حرم تسليمًا لأمره و رضى بحكمه.

و الفصل الثانى قوله: وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] قوله: و يوم نصب على الظرف، و العامل فيه ما يدل عليه قوله الحق، و لا- يجوز أن يكون العامل قوله: يقول لأنه قد أضيف اليوم إليه، و المضاف إليه لا يعمل فى المضاف. و قوله:

فيكون معطوف على يقول، و ما بعد القول، و هو جمله تكون حكاية فى كلامهم، و كن فى موضع المفعول ليقول، و قد أبان الله هذا المعنى فى قوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [سوره النحل، الآية: ٤] لأنّ معنى الحكايه ظاهر فيه و مفهوم منه، و إذا كان الأمر على هذا فقوله: كن، حكاية، و المعنى فيه إيجاب خروج الشئ من العدم إلى الوجود. و قوله: فيكون بيان حسن المطاوعه من المراد و تكوّنه، و ليس ذلك على أنه مخاطبه المعدوم، و لكنّ الله تعالى أراد أن يبين على عادته الأمرين إذا أمروا كيف يقرب مراده إذا أراد أمراً، فأخرج اللفظ على وجه يفهم منه ذلك، إذ كان لا- لفظ فى تصوير الاستعجال، و تقريب المراد أحضر من لفظه كن فاعلمه. و تلخيص الآية و إذا كان يوم البعث و النّشر و السّوق إلى الحشر يوجب وقوع المكون بقولنا: كن، فيقع بحسب الإراده لا تأخير فيه و لا تدافع، لأنّ حكمنا فيه المحقوق الذى لا يبدل، و لأنّ الملك فيه للملك الذى لا يغالب و لا

يما، فقولته فى الفصل الأول: بالحق - أى بما وجب فى الحكمة و حسن فىها. و قوله فى الفصل الثانى قوله الحق - أى المحقوق الذى لا يحول و لا يغير إذ كان البدء لا يجوز عليه، و أوائل الأمور فى علمه كأواخرها.

و الفصل الثالث قوله: وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] يريد به أنه فى ذلك الوقت متفرد بتدبير الفرق و الأمم و تنزيلهم منازلهم من الطاعة و المعصية، كما أبدأهم فكما كان تعالى الأول لقدمه يكون الآخر لبقائه، لا مشارك له، و لا مؤازر، و أبين منه قوله فى موضع آخر: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [سوره غافر، الآية: ١٦] و هذا حال المعاد، و المعنى إذا أردنا سوقهم بعد الإماتة للنشر لم يخف علينا شىء من أحوالهم لأننا نملكهم، فأمرنا حتم لا تخير و فور لا تأخير، و الإحصاء يجمعهم، و الإدراك يعمهم. و قوله: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] لم يشر به إلى وقت محدود الطرفين و لكن على عادة العرب فى ذكر الزمان الممتد الطويل باليوم، فهو كما يقال: فعل كذا فى يوم فلان، و على عهد فلان.

الفصل الرابع: قوله: عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [سوره الأنعام، الآية: ٧٣] يريد أنه لا يخفى عليه ما فيه لأنه العالم لنفسه فلا يغرب عنه أمر، و الغائب عنده كالحاضر و البعيد كالقريب و هو حكيم فيما يقضيه عليم فيما يقضيه. لا يذهب عليه شىء من أحوال عباده، و من مواعيده فيحشرهم جميعا، و يوفيهم مستحقهم موفورا.

و منه قوله تعالى: وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ [سوره يس، الآية: ٣٧] إلى يسبحون، قوله: نسلخ منه النهار أى نخرجه منه إخراجا لا يبقى معه شىء من ضوء النهار، ألا ترى قوله فى موضع آخر: آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسِلَخْ مِنْهَا [سوره الأعراف، الآية: ١٧٥]، و فى هذا دلالة بينة على ما تذهب إليه العرب من أن الليل قبل النهار لأن السيلخ و الكشف بمعنى واحد بين ذلك أنه يقال: كسخت الإهاب، و الجلد عن الشىء، و سلخته أى كسفته، و السيلخ الإهاب نفسه، و سلخت المرأه درعها نزعته، و سلخت الشهر: صرت فى آخر يوم منه، و سلاح الحية جلدها، و إذا كان ذلك، و كان الله تعالى قال: الليل نسلخ منه النهار، و المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ فيجب أن يكون الليل قبل النهار، كما أن المغطى قبل الغطاء قوله: فإذا هم مظلّمون - أى داخلون فى الظلام يقال: أظلم الليل إذا تغطى بسواده، و أظلمنا دخلنا فى ظلمات، و هذا كما يقول: أجنبنا و اشملنا - أى دخلنا فى الجنوب و الشمال، و أنجدنا، و أتهمنا أى أتيناهم، ثم قال: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا [سوره - يس، الآية: ٣٨] و هذا يحتمل وجوها من التأويل.

أ- أن يكون المراد جريها لاستقرار يحصل له إذا أراد الله وقوفها للأجل المضروب

لانقضاء وقت عاداتها فى الطلوع و الأفول.

ب- أن يكون المراد بالمستقر وقوفها عنده تعالى يوم القيامة، و الشاهد لهذا قوله فى آيه أخرى: كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ [سوره القيامة، الآية: ١٠، ١١] فهو كقوله فى غير موضع: ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ* [سوره الحديد، الآية: ٥]، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* [سوره البقره، الآية: ٢٤٥].

ج- أن يكون المعنى أنها لا تزال جاريه أبدا ما دامت الدنيا تظهر و تغيب بحساب مقدر كأنها تطلب المستقر الذى علمها صانعها فلا قرار لها؛ و يشهد لهذا الوجه قراءه من قرأ و الشمس تجرى لا مستقر لها، و ذلك ظاهر بين يوضحه قوله تعالى بعقبه: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* [سوره يس، الآية: ٣٨]، أى تقدير من لا يغالب فى سلطانه و لا يجاذب على حكمته، قوله: وَ الْقَمَرَ قَدْرَ نَاهُ [سوره يس، الآية: ٣٩]، الآية. برفع القمر على، و آيه لهم الليل و إن شئت على الابتداء، و ينصب على، و قدّرناه و العرجون) عود لعذق الذى تسمى الكباسه تركبه الشماريخ مثله الأثكول و العثكول من العذق، فإذا جفّ و قدم دقّ و صغر و حينئذ يشبهه الهلال فى أول الشهر و آخره.

و قال أبو إسحاق الزجاج: وزنه فعلول لأنه من الانعراج، و قال غيره: هو فعلول لأنه كالفتلول، و معنى الآية و قدّرنا القمر فى منازل الثمانيه و العشرين، و فى مأخذه من ضوء الشمس، فكان فى أول مطلعته دقيقا ضئيلا، فلا يزال نوره يزيد حتى تكامل عند انتصاف الشهر بدرا، و امتلائه من المقابله نورا، ثم أخذ فى النقصان بمخالفته لمحاذاه، و تجاوزه لها حتى عاد إلى مثل حاله الأولى من الدقه و الضؤل و ذلك كله فى منازل الثمانيه و العشرين لأنه ربما استتر ليله، و ربما استتر ليلتين فمشابهه الهلال للعرجون فى المستهل و المنسلخ صحيحه.

فأما قوله: حتى عاد فكأنه جعل تصوّره فى الآخر بصورته الأولى فى الدقه مراجعه، و معاوده. و القديم يراد به المتقادم كما قال فى قصه يعقوب عليه السلام: إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ [سوره يوسف، الآية: ٩٥]. و قال الفراء القديم يقال لما أتى عليه حول. و قيل أيضا:

معنى عاد صار، و يشهد لذلك قول الشاعر:

أطعت العرس فى الشهوات حتى تعود لها عسيفا عبد عبد

و لم يكن عسيفا قط، و قال امرؤ القيس:

و ماء كلون البول قد عاد آجناقليل به الأقوات ذى كلاً مخل

أى صار، و قال الغنوى:

فإن تكن الأيام أحسن مرهالِي فقد عادت لهنّ ذنوب

قوله: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ [سوره يس، الآية: ٤٠]، يعنى ينبغى لها.

أى: لو كانت تطلب إدراك القمر لما حصلت لها بغيتها، ولا ساعدتها طلبتها يقال: بغيت الشىء، فانبغى لى. أى طلبته، فأطلبنى، وإذا لم ينبغ لها لو طلبت، فيجب أن لا- يحصل الفعل منها البتّه، لأنّ الإدراك معناه اللّحوق و سببه الذى هو البغاء ممنوع منه، فكيف يحصل للسبب؟ و أيضا فإنّ سرعه سير القمر و زيادته على سير الشّمس ظاهر فهو أبدا سابق لها بسرعه، و تلك متأخره لبطئها، و قوله: وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ [سوره يس، الآية: ٤٠] محمول على وجهين.

الأول: أن يكون المعنى بالسبق أوّل إقباله و آخر إدبار النّهار.

و الثانى: أن يكون المعنى آخر إدبار النّهار و أوّل إقبال الصّبح، و سبق اللّيل النّهار بإقباله أن يقبل أوّل اللّيل قبل آخر إدبار النّهار و هذا ما لا يكون.

و أما سبقه إيّاه بإدباره، فإن سبق آخر إدبار اللّيل أوّل إقبال الصّبح قبل كونه، و هذا أيضا لا يكون، و لا يجوز كونه لأنهما ضدّان يتنافيان و يتعاقبان فلذلك لم يجر سبق اللّيل النّهار فى شىء من أحواله.

و قيل معنى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ أى ليس لها أن تطلع ليلا، و لا القمر له أن يطلع نهارا لأنّ لكلّ منهما شأننا قدّر له و وقتا أفرد به، فلا يقع بينهما زاجر فيدخل أحدهما فى حد الآخر قوله: وَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبِقُ بَحُونَ [سوره يس، الآية: ٤٠] أى كلّ واحد منهما له فلك يدور فيه فلا يملك انصرافا عنه؛ و لا تأخرا إلى غيره، و لفظ الفلك يقتضى الاستداره أى و كلّ له مكان من مسبحه مستدير يسبح فيه أى يسير بانسباط، و منه السّباحه، و قال تعالى لنبئّه: إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا [سوره المزمّل، الآية: ٧] و لا- يمنع أن يكون يشير بقوله: فى فلك إلى الذى هو فلك الأفلاك، و إذا جعل على هذا فهو أبهر فى الآيات، و أدلّ على اقتدار صانعه و إنمّا قال: يسبحون لأنّه لمّا نسب إليها على المجاز و السعه أفعال العقلاء المميّزين جعل الاخبار عنها على ذلك الحد، و مثله: رَأَيْتُهُمْ لى ساجدين [سوره يوسف، الآية: ٤] و هذا كثير.

و منه قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتَيْنِ [سوره الإسراء، الآية: ١٢] الآية نبه بهذه الآية، و بقوله إنّ عدّه الشهور الآية على نعمه على خلقه فيما إن شاء حالا بعد حال لهم، و ابتدعه و ما عرف مصالحه وقتا بعد وقت، فيما قدّر لهم فكر و ذكر و نصب للحاضره و الباديه من الأعلام و الأدله بالمنازل و الأهلّه، و مطالع النّجوم السّياره و غير السّياره حتى جعلت

مواقيت و آجالا، و مواعيد، و آمادا، فعرفوا حلالها و حرامها و مسالمها و معاديتها و ذا العاهه منها مما لا عاهه معها؛ و تبينوا بطول التجارب أضرها أنواع، و أعودها أمطارا، و أعزها فقدانا، و أهونها أخلاقا، فأخذوا لكل أمر أهبتة، و لكل وقت عدته، إلى كثير من المنافع و المضار التي تتعلق باختلاف الأهواء و تفاوت الفصول و الأوقات؛ و من تدبر قوله: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ [سوره الإسراء، الآية: ١٢]. ثم فكر في تميز أحدهما عن الآخر باختلاف حالهما في النور، و الظلمه، و الظهور و الغيبه، و لما ذا صارا يتناوبان في أخذ كل واحد منهما من صاحبه، و يتعاقبان في إصلاح ما به مصالح عبادته و بلاده؟ و كيف يكون نمو القمر من استهلاله إلى استكماله و نقصه، و انمحاقه من ليالى شهره و أيامه؟ و أتى يكون اجتماع الشمس و للقمر، و افتراقهما، و تساويهما، و تباينهما، ظهر من حكمه الله تعالى له إذا تدبره، و رد آخره على أوله، و ولى كل فصل منه ما هو أولى به.

ثم سلك مدارجها، و تتبع بالنظر معالمها و مناهجها أداه الحال إلى أن يصير من الزاسخين فى العلم به تعالى و بمواقع نعمه، و آثار ربوبيته، ألا ترى أنه لو جعل الليل سرمدا، أو جعل النهار أبدا لانقطع نظام التعايش، و انسدت أبواب النمو و التزايد، و تأذى انقلاب التدبير إلى ما شرحة بتعذر فسبحانه من حكيم رءوف بعباده رحيم.

و قد سئل النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن نقصان القمر و زيادته، فأنزل الله تعالى أن ذلك لمواقيت حجكم، و عمرتكم، و حل ديونكم و انقضاء عده نساءكم، و قوله تعالى:

آيَةَ اللَّيْلِ، و آيَةَ النَّهَارِ إِضَافَتُهُمَا عَلَى وَجْهِ التَّبْيِينِ وَ الشَّيْءِ، قَدْ يُضَافُ إِلَى الشَّيْءِ لَأَدْنَى عِلَاقَةٍ بَيْنَهُمَا، قَالَ تَعَالَى: فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ [سوره العنكبوت، الآية: ٥]. و لما كان هو المؤجل، و قال فى موضع آخر: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ* [سوره الأعراف، الآية: ٣٤] لما كان الأجل لهم، فكذلك قوله: آيَةَ اللَّيْلِ، و آيَةَ النَّهَارِ، يعنى الآية التي يختص بهما هذا فى إضافته الغير إلى الغير.

فأما إضافته البعض إلى الكل فقولك: خاتم حديد، و ثوب خز، فلا يمنع دخوله فيما نحن فيه، و يكون المعنى أن الآية المحووه كانت بعض الليل، كما أن الخاتم، يكون بعض الحديد، كأن الليل ازداد بالمحو آيتها سوادا، و يقال؛ دمنه محووه إذا درست آثارها و آياتها، و يقال: محوت الشىء، أمحوه، و أمحاه و فى لغه على محيته، و حكى بعضهم: محا الشىء و محاه غيره، و كتاب ماح، و ممحو و محوه، اسم لريح الشمال لأنها تمحو السحاب، و المحووه المطره التي تمحو الجذب و من كلامهم تركت الأرض محووه إذا جادت كلها.

و قال بعضهم: يجوز أن يكون عنى بآيه النهار الشمس، و بآيه الليل القمر، و عنى بالمحو ما فى ضوء القمر من التقصان، و حكى عن السلف أن المراد بالمحو الطخاء الذى

فى القمر قوله: وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] هو على طريق التّسببه أى ذات إبصار، و فى موضع آخر: وَ النَّهَارَ مُبْصِرَةً* [سوره يونس، الآيه: ٦٧] أى مضيئاً و كما يقال هو ناصب أى ذو نصب، و يجوز أن يكون لما كان الإبصار فيها جعله لها، كما يقال رجل مخبت إذا صار أصحابه خبتا، و نهاره صائم، و ليله قائم.

و قال أبو عبيد يريد قد أضاء للناس أبصارهم، و يجوز أن يكون كقولهم: أصرم النّخل أى أذن بالصّرام، و أحرق الرّجل إذا أتى بأولاد حمق و قوله: لَتَبْتَغُوا فُضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] مثل قوله فى موضع آخر: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَشِيْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرَةً* [سوره يونس، الآيه: ٦٧] و مثل قوله: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاساً وَ النَّوْمَ سُيَّاتاً وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ٤٧] و فى آخر: وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً [سوره النبأ، الآيه: ١١] و مثل قوله: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَتَشِيْكُنُوا فِيهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ٧٣] و هذه الآى، و إن تشابهت فى معانيها، فقد اختلفت تفاصيل نظومها، فقوله: جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً أى يغشى كلّ شىء من الحيوان و غيره فيصير ذا دعه و سكون و انقطاع عما يعالجه فى النهار لا ابتغاء الفضل فيه، وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً أى وقت معاش، و المعاش، و المعيش ما أعان على الحياه به ممّا الحياه به، و ليس الحياه، قال أميه:

ما أرى من معيشى فى حياتى غير نفسى

و قد قال أبو العباس محمد بن يزيد: ثم يرى تفسيرهما جملة ثقه بأنّ السّامع يرد كلّاً إلى ماله يريد مثل قوله: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ، ثم قال: لَتَشِيْكُنُوا فِيهِ وَ لَتَبْتَغُوا وَ السّكون فى اللّيل، و الابتغاء فى النهار، و مثله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٢] و إنّما هو من أحدهما، فإن قال قائل: ما تصنع على هذا بقول سيبويه:

لا- يقول لقيته فى شهرى ربيع إذا كان اللقاء فى آخره قال: و كذلك لا يجوز أن يقول لقيته فى يومين، و اللقاء فى أحدهما. قلت: هذا الذى قال صحيح لأنّ ذكرك الشّهر الذى لم يكن فيه اللّقاء، فصل و لكن لو و صفت الشّهرين بما يكون فى واحد منهما فجمعت الصّيفه فيهما كان جيداً، و ذلك قولك فى الشتاء يكون المطر و يقعد فى الشّمس أى هذا و هذا، و كذلك فى شهرى ربيع تأكل الرّطب و التمر أى هذا فى أحدهما، و هذا فى أحدهما كما يقول: لو لقيت زيدا و عمرا لوجدت عندهما نحواً أو خطّاً، إن كان النّحو عند أحدهما، و الخط عند الآخر فليس هذا بمنزله الأوّل لأنّ اللّقاء فى أحد الشّهرين و الآخر لا معنى لذكره البتّه.

قال أبو العباس: و من ذلك قوله تعالى: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ [سوره الرحمن، الآيه: ١٩] بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٠] ثم خبر بفضائلهما فقال:

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٢] و إنما خرج من الملح لا من العذب و لكنه ذكرهما ذكرا واحدا فخبير بما يتضمّنه. و كذلك قوله: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ٧٣]، فالسّكون في اللّيل و الاكتساب في النّهار، و لكن كما جمعهما في الذّكر ابتداء جمعهما في الخبر انتهاء، افتنانا في النظم و تبخرا في السّبك و ثقه بأنّ اللبس عنه بعيد كيف رتب و في قوله تعالى:

لِتَعْلَمُوا عَٰدَةَ السَّانِنِ وَ الْحِسَابِ* [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] إشاره إلى التّواريخ و ضبط مبالغ الدّيون و المعاملات و آمادها و موافقتها، و ما فيه معاشهم و رياسهم و عليه تبتنى منافعهم و مصالحهم، و قد دخل تحت ما ذكرنا ما أشار تعالى إليه بقوله: وَ كُلَّ شَيْءٍ ءِ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيْلًا [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] و إن كانت هدايته أبلغ، و مجامع بيانه من اللبس أبعد، فأما قوله تعالى من الآيه الأخرى التي أوردتها مستشهدا بها جعل اللّيل لباسا أي للتودع و السّكون يقال في فلان ملبس أي مستمتع.

قال امرؤ القيس شعرا:

ألا إنّ بعد العدم للمرء فنيهو بعد المشيب طول عمر و ملبسا

و قال ابن أحرمر:

لبست أبي حتّى تملّيت عمره و ملّيت أعمامى و ملّيت خاليا

و يجوز أن يريد باللباس السّتر لأنّ اللّيل عطاء كل شىء و ستره كما قدّمنا، و الأحسن الأول يدل على ذلك قوله تعالى: أُجِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ [سوره البقره، الآيه: ١٨٧] و جعل العله فيما أحلّ منهنّ لهم من الرّفث إليهنّ كون الجميع لباسا أي مستمتعا و قوله: وَ النَّوْمُ سُبَاتًا أَى راحه و أمانا و يقال: رجل مسبوت إذا استرخى و نام و سبت فلان العمل بالفتح إذا ترك العمل و استراح و انسبت البسره، إذا لانت و قوله: وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا [سوره الفرقان، الآيه: ٤٧] مثل قوله: إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ٧] أَى ذهابا و تصرّفا في طلب الرزق، و لمّا كان النّشور في النّهار جعله على المجاز نفسه، كقولك: فلان أكل و شرب على تقدير هو ذو أكل فحذف المضاف، أو لغلبه الفعل عليه، جعله كأنه الفعل على هذين الوجهين يحمل قوله شعرا:

ترتع ما رتعت حتّى إذا أدكرت فإنّما هى إقبال و إدبار

و هو يصف وحشيه. قال بعض أصحاب المعانى النّشور فى الحقيقه الحياه بعد الموت بدلاله قوله شعرا:

حتى يقول النّاس مما رأوا عجا للميم النّاشر

و هو فى هذا الموضوع الانتباه من النوم و الاضطراب من الدّعه، و كما سمى الله تعالى نوم الإنسان و فاه بقوله تعالى: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا [سوره الزمر، الآيه: ٤٢] كذلك وفق بين إبقاء من الموت فى التسميه بالنشور.

و منه قوله تعالى: أَلَمْ تَرِ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ [سوره الفرقان، الآيه: ٤٥] الآيه قوله أ لم تر لفظ استفهام و حقيقه البعث على النظر و المعنى انظر حتى تتعجب إلى ما مدّه الله من الظلّ و إنّما قلنا هذا لأنّ المد مدرك متبين و تبين كقيته يبعد فى الوهم فكيف فى الإدراك فلا يعلمه إلا الله و هذا على عادتهم فى التفاهم بينهم يقولون: أ رأيت كذا، و المراد أخبرنى و أ رأيتك و أ لم ترك كذا و هل رأيت كذا، و لم تر إلى كذا، و أ لم تر كيف كذا؟ و الفصل فى أكثره أن تعق المخاطب على ما تجب منه من المدعو إليه، و قد استعمل هل رأيت معدولا به من حيث المعنى على ظاهره أيضا؟ و ذلك كقول القائل: متى إذا جنّ الظلام، و اختلط جاءوا بمدق؟ هل رأيت الذئب قط؟ و يسمى مثل هذا التصوير لأنّ المعنى جاءوا بمدق أ ورق فصوّروا الورقه بلون الذئب، فأما قوله تعالى: أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ [سوره البقره، الآيه: ٢٥٨] فمعناه أ رأيت كالذى حاجه بين ذلك ما عطف عليه من بعد لأنه تعالى قال: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبِهِ [سوره البقره، الآيه: ٢٥٩] لأنّ المعنى على ذلك، و الكلام جار على التعجب، و لفظه إلى تأتي إذا حملت أ رأيت على النظر.

فأما قوله تعالى: أَلَمْ تَرِ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ [سوره الفيل، الآيه: ١] فالمعنى أ لم تعلم و لا يحتاج إلى ذكر إلى.

و المراد بالظلّ عند بعضهم الذى يكون بعد طلوع الفجر فى انبساط و قبل طلوع الشمس و ظهورها على الأرض، و قد قال أهل اللغه فى الفرق بين الظلّ و الفى ء إنّ الظلّ يكون بالغداه و العشى، و الفى ء، لا يكون إلا بالعشى لأنه اسم للذى فاء من جانب إلى جانب. و منه قولهم فى ء المسلمين للغنائم و الخراج الرجعه إليهم. و قد جاء ما يفيد فائدته فى صفة الظلّ فى مواضع، منها أكلها دائم و ظلّها. و منها قوله: و ظلّ ممدود، فجعل ما فى الجنه ظللا فيئا، و كان رؤبه يقول: الظلّ ما لم تنسخه الشمس، و هو أول و الفى ء ما نسخته الشمس، و هو آخر، و قالوا: الظلّ بالغداه و العشى، و الفى ء بالعشى، و قيل أيضا: الظلّ يكون ليلا و نهارا، و الفى ء لا- يكون إلّا بالنهار، و ما نسخته الشمس ففى ء و كان فى أول النهار فلم تنسخه الشمس، و قيل الظلّ لليل فى كلام العرب قال:

و كم هجرت و ما أطلقت عنهاو كم ربحت و ظلّ الليل دان

فجعل لليل ظلا و قول الآخر و تفيثوا الفردوس ذات الظلال، اتساع أيضا لأنه جعل للأفياء ظللا فأما قوله شعرا:

فلا الظل من برد الضحى نستطيعه و لا الفى ء من برد العشى نذوق

فقد فصل بينهما قوله: وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا [سوره الفرقان، الآية: ٤٥] سئل عنه متى كان متحركا فقول: معنى السكون هاهنا الدوام و الثبات، أ لا ترى أنك تقول للماء الساكن الواقف ماء دائم و راكد و يمكن أن يقال: إِنَّ السَّاكِنَ هَاهُنَا مِنَ السَّيِّئِ كُنِيَ لَا مِنَ السُّكُونِ أَى لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ ثَابِتًا لَا يَزُولُ كَمَا أَنَّ سَكَنِيَ الرَّجُلِ الدَّارَ يَكُونُ إِذَا قَامَ وَ ثَبَتَ.

و قوله: ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا [سوره الفرقان، الآية: ٤٥] يراد به أنه لو لا الشمس لما عرف الظل، فالله تعالى يقبضه و يبسطه فى الليل و النهار، و على هذا يكون الدليل بمعنى.

الدال.

و قال بعضهم المعنى دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به و نسخته أى أتبعناها إياه قال: و يدللك على ذلك قوله: ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا [سوره الفرقان، الآية: ٤٦] أى شيئا بعد شىء فعلى طريقته يكون دليلا فعليا فى معنى مفعول لا فى معنى الدال، و روى عن الحسن أنه كان يقول: يا بن آدم أما ظلك فسجد لله، و أما أنت فتكفر بالله.

و قال بعضهم: و قد أحسن ما قال: الظل من آيات الله العظام الداله بإلزامه الإنسان منه ما لا يستطيع انفكاكا عنه، فدل بذلك على لزوم القمر له و لسائر الخلق قال الله تعالى:

أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتِّهُوا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ [سوره النحل، الآية: ٤٨] فظلال الأشياء تمتد عند طلوع الشمس من المشرق طولا ثم على حسب ارتفاع الشمس فى كبد السماء تقصر حتى ترجع إلى القليل الذى لا تكاد تحس، و حتى يصير عند انتصاف النهار فى بعض الزمان بمنزله التعل للابسها، ثم يزيد فى المغرب شيئا شيئا حتى تطول طولا- مفرطا، قبيل غروب الشمس و إلى غروبها. ثم يدوم الليل كله، ثم يعود فى النهار إلى حاله الأولى، فالشمس دليل عليه لو لا- الشمس ما عرف الظل، فالله بقدرته القاهره يقبضه و يبسطه فى الليل و النهار. و إنما قال: قَبْضًا يَسِيرًا لِأَنَّ الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعه واحده، و لا يقبل الظلام كله جملة واحده، و إنما يقبض الله تعالى ذلك الظل قبضا خفيا و شيئا بعد شىء، و يعقب كل جزء منه بقبضه بجزء من سواد الليل حتى يذهب كله، فدل الله على لطفه فى معاقبته بين الظل و الشمس و الليل، و من كلامهم وردته و الظل عقال و طباق و حذاء. و قال:

و لو احقت أخفافها طبقاو الظل لم يفضل و لم يكر

أى لم ينقص، و يقولون: لم يزل الظل طاردا أو مطرودا، و محولا، و ناسخا، و منسوخا، و سارقا، و مسروقا، و كل الذى ذكرت عند التحصيل بيان و تفصيل لما أجمل فيما قدمته، و سيجى ء من صفات الظل و أسمائه فى باب ما ترداد به أنسا بما ذكرناه.

و أما قوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ [سورة النحل، الآية: ٤٨] الآية فقوله: من شىء من دخلت للتبيين كدخولها مع المعرفه فى قوله: فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ [سورة الحج، الآية: ٣٠] و المعنى من شىء له ظل كالشخص، و من هذه قد تجىء مع النكره فتلزم و لا تحذف تقول: من ضربك من رجل و امرأه فاضربه. هذا فى الجزاء كقوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ و إنما كرهوا حذف من لأنهم خافوا أن يلتبس الكلام بالحال إذا قلت إلى ما خلق الله شيئاً، و معنى الحال هاهنا بعيد فالزموه من ليعلم به أنه تفسير و تبين لما قد وقع غير مؤقت يكشف هذا أنك لو قلت: لله دره من رجل، جاز أن يقول: لله دره رجلا، و من رجال فإنك قد أمنت الالتباس بالحال إذا لم يكن ذلك موضعه.

فأما قولك: لله درك قائماً، فإنما جاز سقوط (من) لأن الذى قبله مؤقت فلم يبال التباسه بالحال، قوله تعالى: يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ [سورة النحل، الآية: ٤٨] معناه ما قدمته فى بيان قوله تعالى: كَيْفَ مِيدَ الظَّلِّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا [سورة الفرقان، الآية: ٤٥] و كشفه أن جميع ما خلقه عزّ و جلّ ظلّه يدور معه و يمتدّ لا ينفك منه حتى لو رام انسلاله من دونه لما قدر عليه يصحبه مقبلاً و مدبراً، و كيف مال زائداً عليه و ناقصاً منه ليذكره عجزه، و يصوّر له أنه على تصرفه المتين فى لزام أضعف قرين و ذلك تفيؤه أى ترجعه يمنه و يسره و متنعلاً من تحت، و معتلياً من فوق على حسب اختلاف الأحوال، فيكون للأشخاص فى ء عن اليمين و الشمال إذا كانت الشمس على يمين الشخص، كان الفىء عن شماله، و إذا كانت على شماله كان الفىء عن يمينه، و قيل: أول النهار عن يمين القبلة، و فى آخره عن شمال القبلة، و معنى قوله: سَيَجِدَا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ [سورة النحل، الآية: ٤٨] انها بآثار الصنعه فيها خاضعه لله تعالى، و ذكر السجود قد جاء فى هذا المعنى فى غير هذا الموضع قال: (غلب سواجد لم يدخل بها الحصر)، و قال آخر:

بجمع تضلّ البلق فى حجراته ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

و المراد الاستسلام بالتسخير و الانقياد.

فأما قوله تعالى: وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ [سورة الكهف، الآية: ١٧] بعد أن قال: فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا [سورة الكهف، الآية: ١١] فمعنى ضربنا على آذانهم أى أمتناهم، و منعناهم الإدراك، و يقال فى الجارحه: إذا أبطلتها ضربت عليها، و فى الممنوع عن التصرف فى شىء ضربت على يده، و معنى تراور، و تزور تنحرف عنهم، أى تطلع على كهفهم ذات اليمين و لا تصيبهم، و العرب تقول: قرضته ذات اليمين، و قرضته ذات الشمال، و قرضته قبلاً و قرضته دبراً، و حدوته ذات اليمين و ذات الشمال، أى كنت بحدائه من كلّ ناحيه، و أصل القرض القطع - أى تعدل عنهم و تتركهم.

وقيل: إنَّ باب الكهف كان بإزاء بنات نعش فلذلك لم يكن الشَّمس تطلع عليه و إنما جعل الله تعالى ذلك آية فيهم، و هو أنَّ الشَّمس لا تقربهم في مطلعها و لا عند غروبها. و قال الله تعالى: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ [سوره الرحمن، الآية: ٦] و قد بيّن الله المراد بما ذكرنا في آية أخرى فقال تعالى: وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ [سوره الرعد، الآية: ١٥] يريد الانقياد في الطاعة من الملائكة و المؤمنين في السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِينَ، و أنه يستسلم من في الأرض من الكافرين كرها و خوفاً من القتل، و ظلالهم بالغدوِّ، و الأصال يؤدّي ما أودع من آيات الحكم و غرائب الأثر فسبحانه من معبود حَقَّتْ له العبادة من كلِّ وجه، و على كل حال فلا- يتوجه إلا- إليه و إن قصد بها غيره، و لا تليق إلا به دون من سواه و الدّاخِر: الصّاغر، و يقال: تفتأت الشجره بظلها إذا تميلت. فأما قوله شعرا:

تتبع أفياء الظلال عشيه على طرق كأنهن سبوب

فإنما أضاف الأفياء إلى الظلال لأنه ليس كل ظل فيئا، و كل فيء ظل، و تحقيق الكلام تتبع ما كان فيئا من الظلال، و مثله في الاتساع قول الآخر:

لما نزلنا نصبنا ظلّ أخيهو فاز باللحم للقوم المراجيل

لأن المنصوبه هي الأخيه، و يقال: أظلّ القوم عليهم أى أوقعوا عليهم ظلالهم، و إنما قال: و هم داخرون، لأن المنسوب إليها من أفعال العقلاء، فأعيرت عبارتهم، و قد مضى مثل هذا.

و منه قوله تعالى: فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآية: ١٧] إلى تظهرون.

اعلم أنّ قولك: سبحان مصدر كقولك: كفران، و غفران إلا أنّ فعله لم يستعمل، و لو استعمل لكان سبح مثل كفر و غفر، و معناه التباعد من أن يكون له ولدا، و يجوز الكذب عليه و التّزويه له، و البراءه من السّوء و كل ما ينفي عنه إلا أنه التزم موضعا و لم يجر مجرى سائر المصادر في التّصرف و الاستعمال. و ذلك أنّه لا يأتي إلا منصوبا مضافا و غير مضاف، لكنّه إذا لم يضاف ترك صرفه فقليل: سبحان من زيد، قال الأعشى شعرا:

أقول لما جاءني فخر فسبحان من علقمه الفاخر

فلم يصرفه لأنّه معرفه في آخره ألف و نون زائدتان فهو كعثمان، و سفيان كأنّه أجرى مجرى الإعلام في هذا، و هم يحملون المعاني على الدّوات في تخصيصها بأشياء كالأعلام لها، و على ذلك أسماء الأفعال، فأما قولهم: سبح تسبيحا، فهو فعل بني على سبحان، و معنى سبح الله، أى قال: سبحان الله فهو عروض قولهم: بسمل إذا قال بسم الله، و قد

أطلق سبّح في وجوه سوى هذا.

منها الصلاة التافلة يشهد لهذا قوله تعالى: فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ [سوره الصافات، الآية: ١٤٣] أى من المصلّين، و هو مستفيض أنّ السّبحه هى النافله، و كان ابن عمر يصلى سبّحته فى موضعه الذى يصلى فيه المكتوبه.

و منها الاستثناء كقوله تعالى: قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ [سوره القلم، الآية: ٢٨] أى لو لا تستنون. و قيل: هى لغه لبعض أهل اليمن و ليس للكلام وجه غيره لأنه تعالى قد قال: قَبْلَ ذَلِكَ: إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَ لَا يَسْتَنُونَ [سوره القلم، الآية: ١٧-١٨] ثم قال: قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ [سوره القلم، الآية: ٢٨] فأذكرهم تركهم الاستثناء، و المراد من الله تعالى أن يعرفنا عبادته و يعلمنا حمده و ما يستحق به إذا أقمناه و كأنه قال: سبّحوا الله فى هذه الأوقات و تذكروا فى كلّ طرف منها ما يجدد عندكم من أنعامه، ثم قابلوا عليه بمقدار وسعكم من الحمد و التّسبيح. قوله: حين تمسون و حين تصبحون- أى إذا أفضيتم إلى الصّباح و المساء و حق النّظم أن يكون حين تمسون و حين تصبحون و عشيا و حين تظهرون، لكنه اعترض بقوله تعالى: لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سوره الروم، الآية: ١٨] و مثل هذا الاعتراض إلا أنه أبين الفعل و الفاعل قوله شعرا:

و قد أدركننى و الحوادث جمّهأسنه قوم لا ضعاف و لا نكل عزل

و فى القرآن: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ [سوره الواقعة، الآية: ٧٥-٧٦-٧٧]، ففصل بين اليمين و جوابها كما ترى، و حسن ذلك لأنّ المعترض يؤكّد المعترض فى الأوّل، و الحمد إذا اقترن بالتّزويه و التّسبيح صار الأداء أوفر بهما و أبلغ، و الصّبح، و الصّباح، و الإصباح كالمسىء، و المساء، و الإمساء، و هذا مما حمل فيه النّقيض على النّقيض، و على هذا المصباح و المسعى، و جاء فائق الإصباح، و يعنى به الصّبح و صبّحت القوم أتيتهم صباحا، أو ناولتهم الصّبح، و يقولون: يا صباحاه إذا استغاثوا، و المصباح السّراج، و اصطبحت بالزّيت، و الصّباح قرط المصباح الذى فى القنديل و العشى آخر النهار، فإذا قلت عشية: فهى ليوم واحد، و العشى السّحاب لأنه يغشى البحر بالظلام الذى يتلخّص به الآية أن يعلم أنّ المساء منه ابتداء الظلمه كما يكون من الصّبح ابتداء النور، و الظّهيره نصف النهار، و فلان يرد الماء ظاهره إذا ورد كلّ يوم نصف النهار يقول، فعلموا الله تعالى بما يدلّ عليه آياته فى الصّباح و المساء، و الغدو، و الرّواح فإنّ فى معنى كلّ لمحّه من هذه الأوقات بما يحويه من غرائب صنع الله فى تبديل الابدال، و تحويل الأحوال و إيلاج اللّيل فى النهار و النّهار فى اللّيل إيجاب شكره علينا معشر عبيده مؤتلف،

و إلزام حمده ببقاء الزمان متصل قوله تعالى: وَ لَهُ الْحَمِيدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سورة الروم، الآية: ١٨] يريد به في أهل السماوات و الأرض، فهو على حذف المضاف كقوله تعالى: وَ سَيَلِّ الْقَرْيَةَ وَ الْمَرَادِ أَهْلِهَا، وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ مَحْمُودٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَ بِكُلِّ لِسَانٍ.

و ذكر بعض المفسرين أن قوله: فَسَيُبْحَانُ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ [سورة الروم، الآية: ١٧] الآية دالّة على أوقات الصلاة، و هذا سائغ و إن كانت الفوائد فيما ذكرناه أعمّ و قد قال الله تعالى في موضع آخر: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكَ الشَّمْسِ [سورة الإسراء، الآية: ٧٨] الآية، منها على أوقات الصلاة مجملا، و تاركا تفصيلها و بيانها للنبي صلى الله عليه و سلم، و الدلوک مختلف فيه فمنهم من يجعله الزوال و منهم من يجعله الغروب، و هذا كما اختلفوا في الآية الأخرى و هي:

حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى [سورة البقرة، الآية: ٢٣٨]، فمنهم من قال: أراد بالوسطى العصر، و منهم من قال: أراد بها الفجر و يجوز أن يكون المفروض بقوله: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ [سورة الإسراء، الآية: ٧٨] أربع صلوات في النهار صلاتان: الظهر و العصر، و في الليل صلاتان: المغرب و العشاء الآخرة.

و قوله تعالى: كَانَ مَشْهُودًا [سورة الإسراء، الآية: ٧٨] أى يشهده الملائكة، و يجوز أن يكون المراد حقه أن يشهد، و الغسق الظلمة. فأما اختصاص السماوات و الأرض بالذكر من بين الأشياء كلها فلشمولها لكل مخلوق، و مثله قوله تعالى: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سورة الأنعام، الآية: ٣] و المعنى و هو الذى يحق له العبادة، و إذا كان كذلك فكلّ مذکور معلوم داخل فيهما، و يكون قوله: يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سورة الأنعام، الآية: ٣] خبرا ثانيا أى هو إله فى الأرض كما هو إله فى السماء لا يخفى عليه خافية.

و يحتمل أن يكون المراد و هو الله فى السماوات أى هو معبود فيها، و قد تم الكلام و يكون قوله: وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سورة الأنعام، الآية: ٣] على أنه خبر ثان، و المراد أنه معبود فى جميع ذلك عالم بالسر و الجهر. و قيل فى قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ [سورة الزخرف، الآية: ٨٤] أن الخلق يؤلهون إليه - أى يفزعون فى الشدائد إليه مستعينين به (١) و أهل الأرض متساوون فى حاجتهم إلى رحمته و جميل تفضله. فأما قوله: فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ [سورة الزخرف، الآية: ٨٤] فإنه مشترك غير مخصوص و جاز فيه الجمع كما جاء: اجشاء الآلهة إلهها واحدا.

و كما قال: اجشاء لنا إلهها كما لهم آلهه و هو يعمل عمل الفعل، ألا ترى أن قوله:

١- كذا فى الأصل، و الظاهر، و أهل السماء، و أهل الأرض ١٢ الحسن النعمانى.

وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهَ الظَّرْفِ فِيهِ مَتَعَلِقٌ بِمَا فِي الْإِلَهِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ وَ فِي تَقْدِيرِهِ وَ إِعْرَابِهِ عَدَهُ وَ جَوْهٌ: مِنْهَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْعَائِدَ إِلَى الَّذِي مَحذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ: وَ هُوَ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ، وَ سَاغَ حَذْفَ الْعَائِدِ بِطَوْلٍ، وَ هِيَ قَوْلُهُ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ، وَ هَذَا كَمَا حَكَى عَنْهُمْ مَا أَنَا بِالَّذِي قَائِلٌ لَكَ شَيْئًا، وَ قَدْ قَالَ الْخَلِيلُ: إِنِّي أُسْتَحْسِنُهُ إِذَا طَالَ الْكَلَامُ فَهَذَا وَجْهٌ، وَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ مَرْتَفِعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ وَ خَبْرُهُ فِي السَّمَاءِ وَ فِي الْأَرْضِ وَ الْعَائِدُ إِلَى الَّذِي هُوَ الَّذِي يَعُودُ إِلَى إِلَهٍ لِأَنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَعْنَى وَ الْحَمَلُ عَلَى الْمَعْنَى مَذْهَبُ أَبِي عَثْمَانَ، وَ قَالَ مَعَ ذَلِكَ لَوْ لَا كَثْرَتُهُ لِرُدَّتِهِ، وَ مِثْلُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ: أَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ، وَ قَوْلُهُ:

(أنا الذي سممتني أمي حيدرته) و القياس فعال، و سمته و قوله: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَغْلَمُ سِرِّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سوره الأنعام، الآية: ٣] الظرف لا- يتعلق بالاسم أعني لفظه الله على حد ما يتعلق بإله إلا- على حد ما ذكره لك، و هو أن الاسم لما عرف منه معنى التدبير للأشياء و إبقائها بحفظ صورها في نحو: أن الله يمسك السماوات و الأرض أن تزولا، و نحو:

و يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا- بإذنه، و نحو: أمن جعل الأرض قرارا، و جعل خلالها أنهارا، صار إذ ذكر كأنه ذكر المدبر و الحافظ فيجوز أن يتعلّق الظرف بهذا الذي هو الاسم العالم بعد أن صار مخصوصا و في حكم أسماء الأعلام التي لا معنى فعل فيها، فهذا بمعنى الاسم، و ما كان يدل عليه من قبل من معنى الفعل.

و على هذا تقول: هو حاتم جوادا، و هو أبو حنيفة فقيها، و هو زهير شاعرا، فتعلق الحال مما دخل في هذه الأسماء من معنى الفعل لاشتهارها بهذه المعاني، فلا ترى أنك لا تقول: هو زيد جوادا ما لم يعرف بذلك و على هذا تقول: هو حاتم كل الجواد، و هو أبو حنيفة كل الفقيه.

و منه قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ* [سوره يونس، الآية: ٣] الآية، لما كان الله تعالى خالق الأشياء و مبتدعها، و مدبر الأفلاك و مسخرها، و كانت الأبصار لا تدركه، و الأقطار لا تحده، و أراد مع ذلك أن يعرف نفسه إلى من يتعبده من خلقه لتسكن نفوسهم إلى مصطنعهم فيعتصموا به و يتمسكوا بدعائه أحالهم على مراده من ذلك بآثاره و آياته في أرضه و سمائه، إذ كان الطريق إلى معرفه الشيء إما أن يكون بما يؤدي إليه رواتب الحس، و هي الأجسام و الأعراض، أو بما يبرهن عليه دلائل الصّنع، و هو ما يكشف عند الاستدلال، فأعلم المشركين فيما أنزله أن الذي يجب تعظيمه و يحق ربوبيته هو خالق السماوات و الأرض في ستة أيام، فتوصّلوا إلى معرفه ما نصبه من أدلته، فسيشهد لكم من جلائل قوته و عزّته ما يزيد في البيان على ما يصل إليه الواحد منكم بحاسيته و يصرّو لكم النظر بما مهل في أوائل عقولكم ما تميّز الشك من اليقين لكم و تخلص الصفو من الكدر

فى معتقدكم، فالآله تامه، و العله مزاحه، و ما كلف بما كلفتم إلاً بحكمه بينه، و طريقه فى فنون الصواب ثابتة، و إنما خلقهما فى ستة أيام ليعرف عباده أن الرفق فى الأمور، و ترك التعجيل هو المرضى المختار فى التدبير لأنه تعالى لو شاء أن يخلقهما فى أدنى اللمحات، و أوحى (١) الأوقات لما مسه فيما يأتيه إعياء و لا لغوب، و لا أعجزه كلال و لا فتور.

و إنما أراد أن يحدثه حالاً بعد حال لتدرج ثمرات عبرهم شيئاً بعد شىء، و ليتأدب أولو البصائر بآياته، و حملة قرنا بعد قرن، يبين هذا أنه تعالى نهى نبيه عليه السلام فيما يتلقاه من وحيه، و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه و قل رب زدنى علماً [سوره طه، الآيه: ١١٤] و قال أيضاً: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ [سوره الإنسان، الآيه: ٢٣-٢٤]، ثم جعل فيما نزله مجملاً و مطلقاً و لو شاء لجعل الكل مفسراً، و نعى على الكفار لما قالوا: لو لا نزل عليه القرآن جملة واحده. و قال: كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا [سوره الفرقان، الآيه: ٣٢] و هذا أحسن.

و قال بعض مشايخ أهل النظر: لو أراد الله تعالى أن يخلقها و يخلق أضعافاً كثيره معها لفعله، و هو عليها قادر لكنه جعلها فى ستة أيام ليعتبر بذلك ملائكته الذين كانوا يشاهدونه، و هو يحدث شيئاً بعد شىء فى هذه الأيام الستة عبره مجدده، و يستدل بكل ما يحدث دلالة مستأنفه و ليكون ذلك زياده فى بصائرهم، و الحجج التى يقيمها عليهم، فقيل له فى ذلك: إن كان ذلك حكمه فيجب أن يطرد فى جميع ما خلقه و ليس الأمر على هذا على أن ذلك ليس بسائغ لأن الملائكه لا يستغنون عن مكان يحويهم و إذا كان لا مكان فى العالم إلا السماء و الأرض فليس يعقل كون الملائكه قبل كونهما.

و يمكن أن يقال: فى هذا و الله أعلم أنه تعالى أعلمنا أنه أحدث شيئاً بعد شىء حتى وجدت عن آخرها فى ستة أيام، و بين لنا بذكر الأيام الستة ما أراد أن يعلمنا إياه من الحساب الذى لا سبيل لنا إلى معرفه شىء من أمور الدنيا و الدين إلا به، كما قال: وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عِدَّةَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ [سوره يونس، الآيه: ٥] الآيه. فأصل جميع الأعداد التامه ستة، و منها: يتفرع سائر الأعداد بالغاً ذلك ما بلغ إذ كان ما عداها من الأعداد ناقصاً، أو زائداً.

ألا ترى أن لهذا النصف و هو ثلاثه و الثلث، و هو اثنان، و السيدس، و هو واحد، و إذا حسبت جميعها كانت ستة، و عند من يعنى بهذا الشأن أن نظير الستة من العشرات ثمانية و عشرون، و كذلك لها فى كل من المائتين و الألوف نظير واحد، فالسنة أول الأعداد التامه

كما أنّ التسعة منتهى الأنواع كلها الآحاد والعشرات والمئات والألوف لاشتمالها على الفرد، وهو واحد والزّوج وهو اثنان و الزّوج والفرد، وهو ثلاثه و الزّوجين، وهو أربعة، وقد انتهى أنّ ما يجىء من بعد يكون مكرراً، وإذا حسبت الجميع كان تسعة، فكأنه سبحانه من حكيم أراد أن يكون انتهاء خلقه للعالم بأسره إلى عدد تام فيما يحصى كما أنّه فى نفسه تام لا بخص فيه ولا شطط فيما يروى و يتلى.

و نظير هذه الآيه قوله تعالى فى موضع آخر: وإن كان فيه زياده بيان، و سنحكم القول فى جميعه لأنّ ما فيه من زياده بيان نقيضه إن شاء الله تعالى.

و قوله تعالى: قُلْ أَإِنكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذى خَلَقَ الْأَرْضَ فى يَوْمَيْنِ [سوره فضّلت، الآيه: ٩] إلى فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلْسَّائِلِينَ [سوره فصلت، الآيه: ١٠] يريد ما أضيف إليه لو لا- ذلك لما كان لقوله سواء للسائلين معنى فكأنه قال فى تمام أربعه أيام سواء لمن يسأل عن ذلك، ثم قال: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ [سوره فضّلت، الآيه: ١١] إلى فى يَوْمَيْنِ [سوره فصلت، الآيه: ١٢].

و اعترض بعض الملاحده فقال: هذا باطل إنكم وفقتم بين التفصيل فى هذه الآيه و بين الإجمال فى الآيه المتقدّمه، بأن تقولوا: قوله فى أربعه أيام، يريد مع اليومين الذين خلق الأرض فيهما، فما قولكم فى قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ الْآيَه. فدلت هذه الآيات على أنه خلق الأرض قبل السماء.

و قال فى موضع آخر: أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا إِلَى وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا [سوره النازعات، الآيه: ٢٧، ٣٠] فدلت هذه الآيه على أنه خلق السماء قبل الأرض.

و الجواب أنه إنما كان يحد الطّاعن متعلقاً لو قال: و الأرض بعد ذلك خلقها، أو أنشأها و إنّما قال: دحاهها، فابتدأ الخلق فى يومين، ثم خلق السّماوات و كانت دخاناً فى يومين، ثم دحا بعد ذلك الأرض أى بسطها و مدها و أرساها بالجبال و أنبت فيها الأقوات فى يومين فتلك سته أيام و ليس أحد أنه تعالى لها فى سته أيام إلا كتكوينه إياها فى غير مده و لا زمان لكن الحكمة التى دللها عليها أوجبت تقسيمها و الإتيان بها على ما ترى.

و قال فى موضع آخر: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيَّامٍ* [سوره يونس، الآيه: ٣] و كان عرشه على الماء، و هذا أبلغ فى الأعجوبه أن يكون العرش هذا البناء العظيم على الماء و إنّما يراعى فى أسباب الأبنيه و وضع قواعدها أن يكون على أحكم الأشياء فهو مثل ابتداع أعيانها و إقامتها بلا عهد و لا علاقته. و قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ [سوره فصلت، الآيه: ١١] أى قصد خلق السماء كما خلق الأرض سواء، و عمد إليها بعقب خلقها من غير

حائل بينهما و ذلك تكوينه لهما جميعا كما أراد. و هذا كما يقال: فعلنا كذا، ثم استوينا على طريقنا، أو استمررنا فيها سائرين و لم يشغلنا عن الامتداد شاغل. قال زهير في مصداق ذلك:

ثم استمرّوا و قالوا إنّ موعدكم ماء بشرقى سلمى فيد أو ركك

و يروى ثم استووا، و تنادوا، و قد كان الله تعالى قبل تسويته إياها على ما هي عليه خلقها دخانا، فكون بعد ذلك من الدخان سماء و شمسا و قمرا و كواكب و منازل و بروجاً و قوله: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ* [سوره يونس، الآية: ٣] يريد الاستيلاء، و الملك يدل عليه قول بعيث:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهران

يعنى بشر بن مروان لما ولى العراق، و العرش يحتمل أن يكنى به عن الملك و إن كان الأصل فيه ما يتخذة الملوك من الأسرّه، و لهذا قيل لقوام أمر الرّجل العرش، و إذا اضطرب قيل ثلّ عرشه، و يحتمل أن يراد به السّماوات و الأرض لأنّ كلها سقف عند العرب، و يقال:

عرشت الشىء، و سمكت، و سقفت، و سطحته بمعنى، و يكون مجىء ثم على هذا النسق خبرا على خبر لا لترتيب وقت على وقت و مثل هذا قول الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد بعد ذلك جدّه

و ذكر بعض شيوخ أهل النظر أنّ ثم إنما هو لأمر حادث، و استيلاء الله على العرش ليس بأمر حادث بل لم يزل مالكا لكل شىء، و مستوليا على كل شىء فيقول: إنّ ثم لرفع العرش إلى فوق السّماوات و هو مكانه الذى هو فيه فهو مستول عليه و مالك له فثم للرفع لا للاستيلاء، و الرفع محدث، قال و يشبه هذا قوله تعالى: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ [سوره يونس، الآية: ٣١] لأنّ حَتَّى يكون لأمر حادث و علم الله ليس بحادث. و إنّما المعنى يجاهد المجاهدون و نحن نعلم ذلك و إنّما قال هذا لأنه لم يعرف ما ذكرناه من الوجه الثّانى فى ثم، و معنى يغشى اللّيل النّهار أى يغطى ضياءه و نوره، فهو كقوله: يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ* [سوره لقمان، الآية: ٢٩] قوله: يطلبه حثيثا أى يطلب اللّيل النّهار، و الحثيث السّريع، و ذلك كما قال: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ [سوره يس، الآية: ٤٠] جعل التّعاقب كالطلب و قد مرّ القول فى ذلك مستقصى.

قوله تعالى: مَسِيخَاتٌ بِأَمْرِهِ* [سوره النحل، الآية: ١٢] أى بإرادته و انتصب القمر و ما بعده بالفعل، و هو خلق، و مسخّرات انتصبت على الحال أى سخّرت بالسير، و الطّلوغ و الغروب. قوله تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ [سوره الأعراف، الآية: ٥٤] المراد بالخلق

المخلوق و للأمر في اللغة وجوه تجي ء و معناه الإرادة و الحال و مصدر أمرت، و تختص هنا بالإرادة على ذلك قوله تعالى: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ [سورة الروم، الآية: ٥٤].

و المعنى الأمر كله له لا شريك معه في شى ء و لا معين، و لا وزير، و لا ظهير. و إنّ إرادته هي النافذة لا ترتد و لا تبوء، و لا تتوقف، و لا تكبو، بل يحصل المراد على الوجه الذى يريده بلا تعب و لا نصب.

قوله تعالى: فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [سورة غافر، الآية: ٦٤] تمجيد و تجليل، و هذا تعليم من الله كيف يمجد كما أنّ قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سورة الفاتحة، الآية: ٢]، تعليم كيف يحمد، و العالمين الخلائق. و قال بعضهم: هو من العلامه لأنه بآثار الصنعه فيه يدل على الصانع فهو كالعلامه له فى الأشياء، و قيل هو من العلم كأنه علم الصانع جرى مجرى قولهم الخاتم و الطابع لأنه يختم بهما الشى ء و يطبع، ثم اختير له جمع السلامه لغلبيه العقلاء الناطقين. و قوله تعالى من الآية الأخرى: ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ [سورة فصّلت، الآية: ٩] بعد قوله: لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ تَبْكيت للمخاطبين و إزرء بهم. و إنّ أمثال كيدهم لا يعبأ بها و لا تأثير لها مع خالق أصناف الأشياء كلّها على اختلاف فطرها. و تلخيص الكلام أ تكفرون بمن هذه آثاره، و تجحدون نعمه عليكم، مع ادعاء شركاء له ذلك رب الأرباب و خالق الأرض و السماوات، و هو لنا و لكم بمرصاد.

و معنى قوله تعالى: فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [سورة فصّلت، الآية: ١١] بيان التكوين، و قوله تعالى: قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ [سورة فصّلت، الآية: ١١] بيان حسن الطاعة، و سرعه التكوّن لكنه لمّا جعل العبارة مبنيه على الابتداء و الجواب بالألفاظ المستعارة و الأمثال المضروبه لتمكن فى نفوسهم و تعشش فى صدورهم جريا على عاداتهم فى أفانين الكلام، و أساليب التصاريّف فى الاستفهام و الأفهام، و إخراجهم ما لا نطق له البتّه فى صوره الناطق حتى صارت أجوبه أسند لهم إذا واجهوها، و إن كانت من عندهم كأنها من مخاطب، إذ كان اعتبارهم يغنى عن الجواب و المجيب، حتّى قال بعضهم: إذا وقفت على المزارع المرفوضه و الدّيار الدّارسه المتروكه فقل: أين من شقق أنهارك و غرس أشجارك، و جنى ثمارك؟ أين من بنى دورك و أسّس ربوعك و عرّش سقوفك؟ فإنها إن لم تجبك جوارا أجابتك اعتبارا. فعلى هذا الذى ربّنا الكلام صار ظاهر بناء الأمر بالإتيان طوعاً أو كرها إيجاباً لحصول الفعل حتى لا- معدل عنه إذا كان وقوع الفعل من الفاعلين لا يقع إلّا على أحد هذين الوجهين، و هذا كاف لمن تدبّر.

فأما الطّوع و الكره و الطائع و المكروه و استعمال الناس لهما فيما يثقل أو يخف و يهون أو يشتد فظاهر، و قد قال الله تعالى فى قصه ابنى آدم: فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ [سورة

المائدة، الآية: ٣] أى سهّلته عليه و دمثته. و أما التأنيث فى قال لها و قالتا فللفظ السماء و الأرض و كونهما فى لغتهم مؤنثين، و أما جمع السّلامه فى طائعين فلما أجرى عليهما من خطاب المميزين، و قد مضى مثله. و روى فى التفسير أنّ ابتداء خلق الأرض كان فى يوم الأحد، و استقام خلقها فى الاثنين، و بارك فيها و جعل فيها رواسى فى تتمه أربعة أيام مستويات تامّات للسائلين عنها ثمّ استوى إلى السماء [سوره فضّلت، الآية: ١١] أى عمد فقضاهن سبع سماوات فى يومين أى أحكمهما و فرغ منهما قال الهذلى:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السّوابغ تبع

و قيل: اللّام فى السائلين تعلق بقوله تعالى: وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا [سوره فضّلت، الآية: ١٠] و المعنى قدر الأقوات لكلّ محتاج إليها سائل لها، و الأول أحسن فى النّظم و أجود، و يجوز أن يكون المراد بقوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ أى قصد لبنائها من غير فصل و لا- زمان كما يقال لمن كان فى عمل و أريد منه إتمامه و ترك الانقطاع عنه استقم ما أنت عليه و معنى: جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ [سوره فضّلت، الآية: ١٠] أى جبالا ثوابت تمسكها، و هذا كما قال تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا [سوره النبأ، الآية: ٦، ٧] و قوله: سَوَاءٌ الْمُنْتَصِبُ عَلَى الْمَصْدَرِ أَى استوت سواء، و استواء، و يجوز الرفع على معنى و هى سواء أى مستويات. و يجوز الخفض على أن يكون صفه لقوله فى: أَرْبَعَهُ أَيَّامٍ سَوَاءً [سوره فضّلت، الآية: ١٠] و المعنى مستويات.

و قوله تعالى: وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا [سوره فضّلت، الآية: ١١] المراد بالوحى الإبراده و التكوين، و المعنى أخرج كل واحده من السّماوات على اختلافها على ما أراد كونها عليه و قدرها من مراده قال تعالى: وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا [سوره الأحزاب، الآية: ٣٨] و كما جعل السّماوات سبعا شدادا كذلك خلق الأرض سبعا طباقا بدلاله قوله تعالى: وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ [سوره الطلاق، الآية: ١٢] و قوله: وَ زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظًا [سوره فضّلت، الآية: ١٢] يريد جعلنا الكواكب زينه للسماء و حفظناها من مسترقه السّمع، فالمصابيح يستضاء بها فى الأرض ليلا و نهارا، و قال: وَ حِفْظًا لِأَنَّهَا بِاللَّيْلِ رَجُومٌ لِلشَّيَاطِينِ، و انتصب بفعل مقدر كأنه. قال: زَيْنَتْ بِمَصَابِيحٍ، و حفظت بها حفظا، ثم ختم القصّه بأن قال: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [سوره فضّلت، الآية: ١٢] نبه على حكمته فيما فعل و قدرته و أنه العالم بعواقب الأشياء حتى تقع وفق إرادته.

و منه قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا [سوره الفرقان، الآية: ٦١] إلى سُكُورًا أراد بالبروج الحمل، و الثور إلى الحوت، فالفلك مقسوم بها، و كل برج منها ثلاثون قسما، و يسمى الدرّج و إنما قسّم الفلك بهذه القسمة ليكون لكلّ شهر برج منها لأنّ

القمر يجتمع مع الشمس في مده هذه الأيام اثنتي عشرة مره، فجعلت السنه اثني عشر شهرا، و هي التي تسمى الشهور القمرية، و جعل الفلك اثني عشر برجاً لأن الشمس تدور في هذا الفلك دوراً طبيعياً فمتى انتقلت من نقطه واحده بعينها عادت إلى تلك النقطه بعد ثلاث مائه و خمسه و ستين يوماً و قريب من ربع يوم و يستعد فيها فصول السنه التي هي الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء. و لهذه العله سميت هذه الأيام سنه الشمس.

فلما كانت العرب تراعى القمر و منازلها، و هي ثمانيه و عشرون منزلاً في قسمه الأزمان و الفصول و الحكم على الأحداث الواقعه في الأحوال و الشهور مراعاة عجيبة. و لهم في ذلك من صدق التأمل و استمرار الإصابه ما ليس لسائر الأمم حتى تستدل منها على الخصب و الجدب، و يعتمد منها على ما تبنى أمورهم عليه في الظن و الإقامه ذكرهم الله تعالى بنعمته عليهم فيها، و على جميع الخلق و دعاهم إلى إقامه الشكر عليها ليستحقوا المزيد، فقال تعالى في موضع آخر: أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا [سوره نوح، الآية: ١٥] و قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً [سوره يونس، الآية: ٥] فقوله: تَبَارَكَ تَعْلِيمُ مِنْهُ أَي قَوْلُوا تَبَارَكَ، و المعنى دام ذكره و ثبت بركته عليكم و يمنا و استدماه الخير و نفعاً.

و أصل البروج في اللغة الحصون، فاستعيرت على التشبيه و قوله تعالى: جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا [سوره الفرقان، الآية: ٦١] أي الشمس و قد كرر ذكر الأنوار و الظلم في عده مواضع؛ و لم يجعل لفظه السراج من بينها إلا للشمس، و ذلك لشيء حسن و هو أن الضياء و النور و المصباح و ما أشبهها من أسماء ما يستضاء به لا يقتضى شيء منها أن يكون في الموصوف به اتقاد و حمى إلا الشمس، فبته تعالى على ذلك فيه بأن سماه سراجاً، و لا تسمى سراجاً حتى يكون محرقاً، و كشف الله تعالى عن المراد بقوله في موضع آخر: وَ جَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا [سوره النبأ، الآية: ١٣]. و الوهيج ضوء الجمر و اتقاده، فلهذا خصّ الشمس بأن و صفت بالسراج و هذا بين. قوله: جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [سوره الفرقان، الآية: ٦٢] أي مختلفه يجيء هذا خلف هذا، و هذا خلف هذا، و يجوز أن يريد به أنها تجيء و بعضها يخلف بعضها لأنها لا تستقرأ إلا بهذا بل تتابع و تختلف في قصورها و يكون شاهد هذا الوجه قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ [سوره آل عمران، الآية: ١٩٠]. و انتصاب خلفه يجوز أن يكون على الحال، و قوله: لِمَنْ أَرَادَ مَفْعُولًا- ثانياً لجعل، و المعنى صير الليل و النهار على اختلافهما لمن أراد تذكرها، أو تشكرها، و اللام في لمن تعلق بجعلنا، و يجوز أن ينتصب خلفه على أنه مفعول ثان لجعل، و اللام في لمن تعلق بها حينئذ أي صير خلفه لهم و من أجلهم و الوجه في تفسير خلفه حينئذ أن يكون من الخلافه لا من الاختلاف فاعلمه،

وقوله تعالى: لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ روى عن الحسن فيه أنه قال: من فاتته (١) عمله من التذکر والتشکر كان له فى اللیل مستعتب و من فاتته باللیل كان له فى النهار مستعتب.

و تلخیص الآیه من أراد الاستدلال على الله، فتفكر فى آلائه التى لا تضبط و تذكر أنعمه التى لا تحصى كانت أوقات اللیل و النهار میسر له مهیأه، فلیأت منها کیف شاء، و الشکر کل ما كان طاعه و ثناء على الله، و یكون بالفعل و القول جميعا قال تعالى: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِیَ الشُّكُورُ [سوره سبأ، الآیه: ١٣] قال تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ* [سوره القمر، الآیه: ١٧] و من تأمل هذا التوسیع من الله علیه حتى لا وقت من أوقاته إلّا و له أن ينقطع فيه إلى الله من غير تضيق و لا- مدافعه على أنّ الله تعالى شکور کریم یقبل الإنابه کیف اتفقت، فنعمته عند إنعام من شکره مثل نعمته حين یتدی من صنيعه، فسبحانه من منعم فى کلّ حال.

و منه قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [سوره المرسلات، الآیه: ٢٩] إلى اللّمكذبینّ قوله تعالى: انْطَلِقُوا لم یرد به الأمر بالانطلاق و إنما هو مقدمه یأس من المأمور و بعث على الأخذ فى غيره على هذا قوله تعالى: وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا [سوره ص، الآیه: ٦] و هذا فى المعنى كقولهم: طفق یفعل كذا، و أقبل یأمر بكذا، و قم بنا نفعل و إن لم یكن، ثم اقبال و قیام و یقولون: ذهب یقول فى نفسه و إن لم یكن منه ذهاب لأنّ المراد ما كان مهیأ لذلك و فى صورته و على هذا قولهم: تعال نفعل كذا و هلم نأخذ فى كذا قوله تعالى: إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ الذى كذبوا به فى الدنیا هو البعث و النشور و ملائكه الله و كتبه و رسله و شىء من ذلك لم یوجهوا إليه إنما المراد صيروا إلى ما كنتم تحذرونه و تخوفون له فلا تعبئون به و لا تنزجرون لمكانه و هذا تبكیت و تفریع.

قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ [سوره المرسلات، الآیه: ٣٠] ذكر أهل التفسیر أنه یرجى لسان من النار فتحیط بهم كالسیرادق، ثم تنشعب منه ثلاث شعب من الدخان فیظللهم حتى یفرغ من حسابهم و یساقون إلى النار و لا یمنع أنّ یكون المراد انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من شذائد عقابه و أليم سخطه. و یكون انطلقوا التانى شرحا للأول، و كالتفسیر له و المراد انطلقوا من العذاب إلى ما یلزمكم لزوم الظل و لا- روح فيه و لا- راحه من الحرکه، كما كنتم ألفتيموه فى الدنیا عند الحرب من لفح الهاجره و لهب الحرور إلى الظلال الثابته بل یرمى بشرر یتطایر، و كأنها فى عظمها جمالات صفر، و الجمالات جمع جماله، و زیدت التاء توكید التانیث الجمع. و هذا كما یقال: بحر و بحاره و ذكر و ذكاره، و قد قرأ ابن

مسعود جماله، و قرئ جمالات و هو أكثر في القراءه و أقوى و لا تمنع في قراءه ابن مسعود أنها الطائفه منها، و يراد بالجمالات الطوائف، و هذا كما يقال: جمال، و جمالات، و عند التفرق في الهجاء جمالات، و يكون جمالات، و جمال كجمال، و جمالات، و بيوت، و بيوتات للطوائف، و قد قيل: رجال و رجاله كرجالات في كلامهم يريدون ما فسرت و بينت لأن رجال نهايه الجمع و رجاله إذا جعلتها للطائفه فهي دونه، و معنى صفر سود قال: هي صفر ألوانها كالزغب.

و قد قيل: جعلها صفرا لأن لون النار إلى الصفرة قوله تعالى: بِشَرِّ كَالْقَصْرِ [سوره المرسلات، الآية: ٣٢] قيل فيه: واحد القصور و التشبيه بها لعظمتها، و قيل: القصر بسكون الصاد جمع قصره، و هي الغليظ من الشجر و قرئ كالقصر بفتح الصاد و هي أعناق الإبل.

فأما تكرير التشبيه و جعلها أولا كالقصر و في الثاني كالجمالات فكأنه أراد بالقصر الجنس فتحصل الموافقه لأن الجنس كالجمع في الدلاله على الكثره؛ أو أراد تشبيه الشره الواحده بالقصر، فإذا توالى شررا كثيرا فهي كالجمالات، فعلى هذا حصل التشبيه للواحد و للجمع و الله أعلم.

و قوله تعالى: لا- ظليل فهو كقولهم: داهيه دهياء، و نهار أنهر، و ليل أليل، و ليله ليلاء يتبعون الشىء بصفه مبنيه منه. و المراد المبالغه و التأكيد. و قال: ظلّ ذى ثلاث شعّب [سوره المرسلات، الآية: ٣٠] لأنها محيطه بأهلها من جميع الجوانب إلا القفاء لأنها لا- تقفى نفسها و على هذا كل ذى ظل إذا تأملته و يشهد للإحاطه قوله تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ [سوره الزمر، الآية: ١٦]. و قال تعالى: يَوْمَ يَعْشَاهُمُ الْعِيدَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [سوره العنكبوت، الآية: ٥٥]، و قال بعض أصحاب المعانى: فى (ثلاث شعّب) المراد أنه غير ظليل، و أنه لا يغنى من اللهب و أنها ترمى بالشرر كالقصر، و تحصيل هذا ذى ثلاث صفات.

و منه قوله تعالى: فلا- أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ [سوره الواقعه، الآية: ٧٥] إلى الْعَالَمِينَ قوله: فلا- أُقسِمُ يجوز أن يكون قوله: فلا- نفيًا لشيء قد تقدّم، و تكون الفاء عاطفه عليه و ابتداء اليمين من قوله: أُقسِمُ و يجوز أن تكون لا دخلت مؤكده نافية كما جاء فى قوله تعالى: لئنَا يَغْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ [سوره الحديد، الآية: ٢٩]، و المعنى لأن يعلم، و قال بعضهم: لا دخلت لنفى الأقسام، و قال لأنّ الإيمان يتكلفها المتكلم تأكيدًا للإخبار، و إزاله لما يعترض فيها من التجوز و التسمح؛ و إذا كان الأمر على هذا فقوله: فلا أُقسِمُ يجوز أن يراد به أنّ المحلوف له فى الظهور و خلوصه من الشكّ أبين و أوضح من أن

يتكلم إثباته بالإيمان. و على هذا يكون قوله: و إنّه لقسم يراد به أنّ الحلف بمواقع النجوم عظيم ممّن أقسم بها، و قوله: لَوْ تَعْلَمُونَ بعث على الفكر فى المحلوف فيه و بما يتضمّنه مما يعظم موقعه فى الصّيدور عند تأمل الأحوال المبهجه للاستدلال؛ و قيل: أراد بالنجوم الأنواء و ما يتعلق بها من حاجات النفوس و من المآرب و الهموم على اختلاف المعتقدات فيها. و قيل: بل المراد بها فرق القرآن لأنّ الله تعالى أنزله نجوما لما عرفه من مصالح المكلفين و المدعوين إلى الدّين، و يكون الشّاهد لهذا الوجه قوله: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٧]، و يكون الطّريق فيمن جعلها الأنواء التّنبيه على وجوه النّعم فى الأنداء و الغيوث، و ما به قوام الخلق فى متصرفاته. قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ جواب اليمين عند من أثبتة يمينا و فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٨] يجوز أن يريد به اللّوح المحفوظ لأنّه أودع التّنزيل اللّوح، ثم فرّق منه نجوما و يشهد لهذا قوله تعالى: وَ إِنَّهُ فى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا [سوره الزخرف، الآيه: ٤] و ذكر الأم كما قيل فى المجرّه أم النّجوم، و كما قيل مكه أم القرى، و معنى كريم أنّه خلص من جميع الأدناس، و طهر من الشّوائب، يشهد لهذا قوله تعالى فى صفه المؤمنين: وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا [سوره الفرقان، الآيه: ٧٢].

و هذا كما يقال: فى صفه الشىء العظيم الخطير هو مكرم على أى يجلّ موقعه، و المراد بقوله تعالى: لا- يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٩] الملائكه إذا جعلت الكتاب اللّوح المحفوظ، و المعنى لا- يصل إليه و لا- يقربه غيرهم و ذلك على حسب ما يصرفون فيه عند تنزيهه، و إن جعلت الكتاب المكنون ما حكم الله به من قضاياه و تعبد به عباده من أصناف العبادات، و شاهد هذا قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [سوره الحجر، الآيه: ٩] و إنّ حفظ الشىء و صيانتة و كنه واحد، و الشّاهد فى أنّ الكتاب المكنون هو الحكم المفروض. قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [سوره النساء، الآيه: ٦٦]، و قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ [سوره البقره، الآيه: ١٨٣]، فحينئذ يكون معنى لا- يمسّه لا يطلبه كما قال:

مسسنا من الإباء شيئا و كلنا إلى حسب فى قومه غير واضح

و قد حكى أنّ اللمس و الالتماس و المس متفقات، و الحجه فى أنّ اللمس مثل الالتماس قوله تعالى: وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ [سوره الجن، الآيه: ٨]. و قول الشاعر:

الأم على تبكيه و ألمسه فلا أجده

فقوله: لا أجده يشهد بأنّ المراد باللمس الطّلب لا غير، و قد أحكمت القول فى هذا:

فى (شرح الحماسه)، و قال بعض النّظار: قوله تعالى: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٩]، لفظه لفظ الخبر، و المراد به النهى، و المعنى لا يتناولن المصاحف إلّا

المطهرون، فليس يجوز للجنب و الحائض مس المصاحف، تعظيما لها و إجلالا- قوله تعالى: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سوره الواقعه، الآيه: ٨٠] تصديق للنبي صلى الله عليه و آله و سلم فى جميع ما دعا إليه من الإيمان بالله تعالى أو فى إبطاله دعاويهم و شهاداتهم فى القرآن و سائر العبادات، و ارتفع تنزيل على أنه صفة لقوله: لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف.

و منه قوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ [سوره الإسراء، الآيه: ٤٢]، كما يقولون إلى حليماً غفوراً ذكر الله تعالى فيما وعظ من قبل قوله: وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ [سوره الإسراء، الآيه: ٣٩] ثم أتبعه بقوله تعالى: وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا [سوره الإسراء، الآيه: ٤١]، و الإنذار بالتبكيث الشديد و الوعيد الممض إلزاما للحججه، و إظهارا للعناد منهم، و أنه هداهم فلم يهتدوا، و ذكّهم فلم يعبثوا إعجابا برأيهم، و ذهابا عند التبدّر، و النظر ليومهم و غدهم و دنياهم و آخرتهم، ثم أخذ عزّ و جلّ يحاجهم على لسان نبيهم فقال: قل لهؤلاء الذين ضلّوا عن الرّشاد، و عموا عن الصّواب، إنّ الله تعالى لو شرّكه فى ملكه غيره كما تدعون لفسدت الأحوال، و تقطعت الوصل و الأسباب. و لعلا بعضهم على بعض و كان يطلب كلّ الاقتسار، و تسليم الأمر له، كما قال هو: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا [سوره الأنبياء، الآيه: ٢٢]. و كان لا- ينفع الاستثناء فيما بينهم و ترك الخلاف و إظهار الرّضاء، لأنّ الاستبداد، أو طلبه و إن لم يظهر فعلا من واحد منهم فلا مهرب من تجويزه عليهم؛ و جوازه لن يحصل إلّا عن تقدير استضعاف، و من قدر فيه ضعف فإنه لا يكون إلها و هذا بين. قوله تعالى: إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا [سوره الإسراء، الآيه: ٤٢]، أى لطلبوا إلى أخصّهم بالملك، و أولاهم بالأمر منازعته و مجاذبته و مساواته و مسامتته؛ قوله:

ذِي الْعَرْشِ يجوز أن يريد به ذا السلطان و العزّ، و يجوز أن يريد به ذا السّيرير الذى حمّله فى السّماء و الملائكه يطوفون حوله. كما أنّ البيت المعمور فى السّماء الرابعه. و قال بعضهم: أى العرش، و أنشد قول الشّماخ: (فأدمج دمج ذى شطن بعيد). قال: يريد أدمج شطن، فزاد ذى، فكذلك قوله: إلى ذى العرش، يريد إلى العرش، و المعنى لطلبوا إلى الاستيلاء على العرش، و الاستواء عليه طريقا، قال و مثله لفظ حى أنشد أبو زيد:

يا قرّ إنّ أباك حىّ خويلد قد كنت خائفه على الإحماق

يريد أنّ أباك خويلد، فزاد قوله: حى، و قوله تعالى: عَمَّا يَقُولُونَ الظّالمون بمعنى علا، و المعنى جلّ، و ارتفع عما يقول المشركون أكده بقوله: عُلُوًّا، و وصف العلو بالكبر مبالغه فى التّبعيد. قوله تعالى: وَ إِنِّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [سوره الإسراء، الآيه: ٤٤]. يريد ما من شىء إلا و بما فيه من أثر الصّنع يدلّ على قدره الله تعالى و يشهد.

بالهيته، و يدعو إلى عبادته و ينفي عنه مشابهه لخلقه، و جميع ما لا يليق بحكمته. و معنى يسبح بحمده أى ينزهه، إما إعراباً باللسان، أو دلالة بواضح البرهان، و فائده قوله: يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ أى فيما يظهر من حكمته فى خلق ما خلق. و الأنعام على من أنعم حمداً له إذا لم يكن إعداد الشكر فى مقابله النعم أكثر من إضافه النعم إلى المنعم، فإذا كان الحمد توليه النعمه ربها و إشاده ذكره و نسبتها إليه، فأثار النعم حامده شاكره لمسديها. ألا ترى إلى قول القائل: (و لو سكتوا أثنت عليك الحقائب). فنسبه الشاء إلى الحقائب كنسبه التسبيح بالحمد لله إلى الدال عليه و المقيم له. و هذا حسن بالغ. قوله تعالى: وَ لَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [سوره الإسراء، الآية: ٢٢] أى تجحدونه، أو تعرضون عنه فعل من لا يفهم و هذا كقوله تعالى يصفهم: لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا [سوره الأعراف، الآية: ١٧٩]، ثم قال: أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ [سوره الأعراف، الآية: ١٧٩]. قوله تعالى: إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا [سوره الإسراء، الآية: ٤٤]، يريد هو حلیم حين لم يعاجلهم فيما ادعوه بالعقوبه و لكن تركهم إمهالا و رفقا، و هو غفور لمن أناب و إن ارتكب كل منكر قبيح رحمه منه لعباده و حسن تفضل.

و منه قوله تعالى: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ [سوره الحديد، الآية: ٢] إلى عَلِيمٌ، أثبت الله لنفسه أنه القادر الغالب، فهو يملكك و جميع ما تدركه الأبصار و الأوهام من أصناف العالم جليلها و دقيقها، خيرها و شرها، يتصرف فيها كما شاء؛ و اختار تصرف الملاك، فهو ملك مالك يبدئ، و يعيد، و يحيى و يميت، و قد أقرت له الصعاب.

و تذلل له الرقاب. لا- يمتنع عليه مراد و إن عزّ و شقّ. و لا يوجد عنه ذهاب فيما ثقل أو خفّ. إليه آماذ الأعمار، و الأرزاق، و مصارف البقاء و الفناء فهو القادر الحكيم، و العالم الغنى، لا يخفى عليه معلوم و إن دقّ، و لا يعزب عن الظهور له مطلوب و إن رقّ، الأول فى الوجود لقدمه لا عن ابتداء مده، و الآخر بعد فناء كل شىء خلقه فى الدنيا لبقائه لا إلى غايه، لم يزل و لا يزال على ما هو عليه من ديموميته، و حكمته، و صواب فعله و قدرته، يحيى الأموات إذا شاء، و يميت الأحياء إذا شاء، و ينفي المخلوقات إذا شاء، و يعيدها إذا شاء. الظاهر بما له من آياته التى لا تخفى، و عبره التى لا تبنى، و الباطن لأنه لا تدركه الأبصار و لا تحصله الحواس، و هذا وجه فى الآية. و قيل: أراد بالظاهر أنه غالب على كل شىء، بما دلّ به على نفسه، من أصناف صنعه كما قال تعالى: فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَآصَيْبُهُمْ ظَاهِرِينَ [سوره الصف، الآية: ١٤]، أى عالين غالبين، و يقال: ظهرت على الجلى الواضح الذى هو كالجمر. و قيل فى الباطن التى هى فى خفائها كالسير فهو بما تجلّى منها ظاهر، و بما خفى منها باطن، و هذه آيه لها جوانب تقتضى الكلام عليها و أنا إن شاء الله أبلغ الغايه بمقدار فهمى.

اعلم أنّ الله تعالى قال فى موضع من كتابه: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٦، ٢٧] ما قال على الموت لأنّ الموت إنّما نعدم به الحياه، والله تعالى قال: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا، و لم يقل حياه من عليها، و قال بعده: وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ، و الميت جيفه تبقى، و إذا كان كذلك فلا فضيله فى البقاء مع الشركه فيه، و إذا سقطت الفضيله فلا تمدح لرب العالمين، و قال تعالى فى موضع آخر: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [سوره العنكبوت، الآيه: ٨٨]. و ذكر فى صفات نفسه هو الأول، و الآخر، و الظاهر، و الباطن. و كلّ هذه الآى دالّه على أنّه تعالى يصير منفردا بالوجود، كما كان منفردا به من قبل أن يخلق الخلق و أنه تعالى يفتى كل ما خلقه إفناء لا يبقى له أثر و لا رسم حتى يصير بالفناء فى حكم ما لم يخلق و لم يوجد، و قال تعالى: هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [سوره الروم، الآيه: ٢٧] و فى آخر: كَمَا يَدَأُكُمْ تَعُودُونَ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ [سوره الأعراف، الآيه: ٢٩]، و المعاد هو وجود على صفة لا زياده عليها، و هو أن يتقدّم الوجود للشىء فيبطل، ثم يعاد إلى الذى كان عليه من الوجود، و إذا كان السمع قد أثبت معادا، و حقيقه المعاد ما ذكرناه من أنّ ما سمّيناه فى الأول إحدائا و محدثا سمّيناه، و قد بطل و استجد الجاده فى الثانى معادا، و مستجدا فقد وضح معنى قوله: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ وَ الْآى التى معها.

فإن قيل الذى يعرفه أهل اللغه من معنى الفناء هو نفاذ المركب قليلا قليلا كنفاد الزّاد و الاضمحلال و الهزال هو تحلّل الأجزاء؛ و الاستحاله هو تغيير مزاج الشىء. قلت: الفناء بطلان الشىء دفعه واحده، و هو ضد الإنشاء و الاختراع فإذا تجاوزت هذا الموضع فاستعماله على ضرب من التشبيه به فقوله تعالى: كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٦]، يريد أنّ جميع ما خلقه قبل الوقت الموعود للتّواب و العقاب يبطله بمعنى يخزعه، إذا حصل فنى به الأجسام، و الأعراض كلّها. فناء الضّد بالضّد، و ليس ذلك المعنى بمقدور للعباد. و البقاء لا يجوز عليه، فإذا أفناهم بعزته الغالبه بذلك المعنى أعادهم بقدرته الواسعه كما كانوا قبل الفناء، و لا يصح ما أجمع عليه المسلمون من أمر المعاد و الفناء إلّا على ما ذكرناه، و هو اللغه و الشّرع، و الناظر فيما ذكرناه بين له معرفه الفناء مثل ما بين له من معرفه المعاد.

و حكمه وضع اللغه لأنّ الذى ينقطع وجوده بالموت كالحى منّا ظاهر التميز عما لا ينقطع وجوده بالفناء، و ما أشبهه من الأعراض. و إذا كان كذلك فإنّا نثبت بالسمع كما ثبت جواز كونه و خلق الله له بالعقل و لكلّ معرفه حقيقه إلى الله تعالى، كما قال: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [سوره الإسراء، الآيه: ٨٥]. و يكون من جملة ما استأثر بعلمه، و إذا أعادهم حشرهم النّظر فى أعمالهم فى مواقف مختلفه، كما قال تعالى: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [سوره الغاشيه، الآيه: ٢٥، ٢٦]. و كما قال تعالى: فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ [سوره إبراهيم، الآيه: ٤٧]، و كما قال تعالى: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ

مِيقَاتًا [سورة النبأ، الآية: ١٧] إِلَى سَيْرَابًا فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: فَكَانَتْ أَبْوَابًا [سورة النبأ، الآية: ١٩]. و عن وجه التشبيه بالسَّيراب قلت: معنى قوله: أبوابا يريد كانت ذات أبواب مفتحة، وليس المعنى صارت كلها أبوابا، كما أن قوله: كانت فراخا بيوضها صارت كلها فراخا، لأنها إذا صارت كلها أبوابا عادت فضاء، و خرجت من أن تكون أبوابا.

و أما التشبيه بالسَّيراب، فالمراد به بيان إلماعها، و تخلخلها في نفسها، و السَّيراب هو الذى يتخيل للنَّاطِرِ نصف النَّهار كأنه ماء يطرد، و يقال: سرب الماء يسرب، إذا سال، و المراد ما يتداخل النَّفس من تغيير المعهود، و قد أخرج الله تعالى صفه القيامه فى معارض مختلفه لاختلاف أحوال المسوفين، و كرر ذكرها، و حدَّرها، و نبه من أمرها على كثير مما يكون فيها لبيِّن فطاعتها فقال تعالى: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ [سورة المرسلات، الآية: ٨] إِلَى لِيَوْمِ الْفُضْلِ، و قال تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ [سورة الحجر، الآية: ٤٨] الْآيَةَ، فتبدل الأرضين و السَّماوات و إطفاء الصُّوء و تفريج السَّماء و تحليل عقدها حتى تصير أبوابا و طمس نجومها؛ و انتشار كواكبها، و نسف جبالها كل ذلك، أو أكثرها مما تؤكد حال الفناء، و إزاله معاهد الأرض و السَّماء. و قد درج تعالى فى هذه الصفات لأنه تعالى ردَّدها متفننه فى أوقاتها بين أوائلها، و وسائطها، و أواخرها فمن ذلك قوله تعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ [سورة النازعات، الآية: ٦] إِلَى بِالسَّاهِرَةِ. و قال تعالى: ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ أَى الوعد به صدق، أو يراد به أنه يوم حق لا باطل معه إذا قام الأولون و الآخرون، و يجتمع متفرق الأسباب، و متمزق الأجلاد، و يعود غائب الأرواح، و يحشر الأفواج. و قد قال تعالى: فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى [سورة النازعات، الآية: ٣٤] و الطَّامَّةُ هى العالیه على ما قبلها.

و قال تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ [سورة الانفطار، الآية: ١] إِلَى وَ أَخْرَتْ، و قال تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ [سورة الانشقاق، الآية: ١] إِلَى وَ تَخَلَّتْ و إِذَا السَّمْسُ كُوِّرَتْ [سورة التكوير، الآية: ١] و إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، و إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا [سورة الزلزله، الآية: ١]، و قال تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا [سورة الأعراف، الآية: ١٨٧] إِلَى آخر السورة. و هذا السؤال، و الجواب مثل سؤالهم عن الروح فقوله: فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا [سورة النازعات، الآية: ٤٤] مثل قوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي و قال تعالى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ و يُعِيدُ [سورة البروج، الآية: ١٢] و الإبداء إبداعه الخلق كله لا من شىء و الإعادة ما وعد به من الإحياء بعد الإماتة، و البعث، و الحشر، و إعداد الثواب و العقاب.

و حكى عن الأصمعى أنه قال: إذا قال الرجل: أول امرأه أتزوجها فهى طالق لم يعلم هذا من قوله حتى يحدث بعدها أخرى، فإن ماتت لم تكن أول لكنه لا تشرکہا أخرى.

قال أبو العباس المبرد: وهذا خطأ لأن قوله: أول هو موقع لما بعده و ذلك أن تأتي بعده بما شئت، و لا يكون آخر إلا لشيء قبله غيره، و إنما هو مأخوذ من آخره. و قيل: لما كان لا أول له. قال المبرد: و لا يجوز هذا إلا في صفة القديم تعالى، فهو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن. و قال الفقهاء: إذا قال الرجل: أول عبد أملكه فهو حر، فملكك عبدین جميعاً معاً لم يعتق واحد منهما، و إن ملكك بعد ذلك عبداً آخر لم يعتق أيضاً لأنه ليس بأول، و لو قال: أول عبد أملكه فهو حر، فملكك عبداً و نصف عبد عتق العبد و لم يعتق النصف لأن هذا أول عبد ملكه، و النصف لا يسمى عبداً واحداً، و لو قال آخر: امرأه أتزوجها من النساء فهي طالق، فتزوج امرأه، ثم تزوج أخرى، ثم طلق الأولى، ثم تزوجها، ثم مات فإن الطلاق يقع على الثانية التي تزوجها و ما يقع على التي تزوجها أول مره و ليست بآخر، و التزوج بها ثانياً لا يخرجها من كونها أول امرأه.

ألا ترى أنه لو نظر إلى امرأتين، فقال: آخر امرأه أتزوجها منكما فهي طالق، فتزوج إحداهما، ثم تزوج الأخرى طلقت الثانية حين يتزوجها لأنها آخر امرأه تزوجها منكما و لو تزوج الأولى بعد الثانية لم تطلق، و كان المبرد إنما قال: لا يجوز هذا إلا في صفة القديم لمكان الآخر لأنه لم يزل و لا يزال، أولاً و آخراً، و الواحد منا ليس كذلك فاعلمه.

و منه قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي [سوره طه، الآية: ١٤] و في موضع آخر أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] إلى مقاماً محمّوداً، و قوله تعالى:

وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ يَرِيدُ أَدْمَهَا وَ اثْبَتَ عَلَيْهَا فَلَانَ لَا يَقُومُ لَكَذَا، وَ هَذَا يَقُومُ عَلَى بَكْذَا، فَلَهُ تَصَرَّفَ فِي الْأَمْرِ وَاسِعًا. قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي يحتمل وجهين: أحدهما أقم الصلوة لتذكركي بها أي الصلوة ذكرى لقوله تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُتَكْرِرِ وَ لَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ [سوره العنكبوت، الآية: ٤٥] و قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي أي إذا ذكرتني، فأقم الصلوة كأنه يرجع التسيان كالذكر في الوجه الأول تسبيح الله و تمجيده بصفاته الكريمة، و في الوجه الثاني الرجوع إليه بعد ذهول يسبق و نسيان يلحق، و اللام من قوله:

لذكرى أي عند ذكرى، و كذلك قوله تعالى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ أي عنده و لام الإضافة يدخل في الكلام لوجوه.

أ- التمليك: كقوله تعالى: وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ* [سوره النجم، الآية: ٣١] و كقوله تعالى: وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ [سوره الجن، الآية: ١٨].

ب- أن يكون الشيء سبباً لغيره، و علله له مثل قوله تعالى: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ [سوره الإنسان، الآية: ٩].

ج- أن يكون دخوله لمعنى إرادته كقولك: قمت لأضرب زيداً أي قمت إرادته

لضربه، و لكي أضربه أى قمت من أجل هذه الإرادة، و قد يحذف اللام من هذا و أشباهه.

د- أن يكون بمعنى فى كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ [سوره الحشر، الآية: ٢] أى فى أول الحشر.

ه- أن يكون لمرور الوقت على الشئ كقول النابغه شعرا:

توهمت آيات لها فعرفتها لسته أعوام، و ذا العام سابع

أى عرفتھا و قد أتت عليها ستة أعوام، أو توهمتها لذلك، و يقال أتى للصبى ستان عليه و كم سنه أتت لك؟

و- أن يكون لمعنى بعد كقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «صوموا لرؤيته»، و قوله تعالى: فَطَلَّقُوهُنَّ لِإِعْدَّتِهِنَّ [سوره الطلاق، الآية: ١] و العده هاهنا ظرف للطلاق و بمنزله وقت له لا عله و لا سبب، كما لم يكن الحشر عله لإخراج الذين كفروا إنما كان عله إخراجهم كفرهم، و الدليل على ما قلنا أنه قال: لأول الحشر جعل له أولا.

ز- أنه يدخل لما ذكرناه أولا، و هو قوله تعالى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذَكَّرِي و أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكِ الشَّمْسِ أى لاصفرارها عند غروبها دلكت فهى دالك و قال ابن عباس: لدلوك الشمس لزوالها الظهر، و العصر و أنشد:

شادخه (١) الغره غراء الضحك

تبلج الزهراء فى جنح الدلك

فجعل الدلك غيبوبه الشمس، و قال أبو حاتم: روى عن أبى عمرو أن دلوكها زوالها فعلى هذا يجوز أن يكون المفروض بالآيه أربع صلوات الظهر- و العصر، و المغرب، و العشاء- بالليل. و يجوز أن يكون إلى غسق فى موضع مع، فيدل على فرض صلاتين من الليل و النهار، و ثالثه يدل عليها: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآية: ٧٨].

ثم سائر الصلوات يدل عليها بغير هذه من الآيات و قوله: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] يريد، و أقم قرآن الفجر، و المعنى أقم الصلاة بالقراءه، و هذا يدل على أن الصلاة لا- تكون إلا- بقراءه، فالضمير فى به يرجع إلى القرآن، و معنى كَانَ مَشْهُوداً أى حقه أن يشهد أى يخرج له إلى المساجد، و يقام مع الجماعة فيشاهد و قيل أراد تشهده الملائكه، و قوله تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ [سوره الإسراء، الآية: ١٧] معنى تهجد اسهر يريد استيقظ، و معنى به أى بالقرآن و يقال هجد أيضا بمعنى نام.

قال:

هجدنا، فقد طال السرى و قدرنا أن حنا الدهر غفل

يريد يومنا و مثل هجد، و تهجد قولهم حث و تحث لأن معنى حث لم يبر فى اليمين، و معنى تحث ألقى الحث عن نفسه.

و هذا الأمر اختص به النبى صلى الله عليه و آله و سلم تفضيلا له على جميع الخلق.

و معنى نافله لك عطاء لك و تكرمه لذلك أتبعه بقوله تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا [سوره الإسراء، الآية: ٧٩] أى افعل ذلك رجاء أن تثاب هذا الثواب العظيم.

و قيل فى المقام المحمود إن المراد به الشفاعة للمذنبين، و الذى عليه الناس أن الدلوک مغيب الشمس، و يذهب العرب لذلك إلى أن قول القائل:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتى دلكت براح

يدل على صحه قولهم و أصله أن الساقى يكثرى على أن يسقى إلى غيبوبه الشمس، و هو فى آخر النهار يتبصير هل غابت الشمس. قوله: براح أى يضع كفه فوق عينه و يتبصر، قال: و يسلم للحديث ما جاء أن ابن عباس قال: إن غسق الليل ظلمته الأولى للعشاء و المغرب، فإذا زادت قليلا، فهى السدفة، و قوله: (نافله لك) ليست لأحد نافله إلا للنبى صلى الله عليه و آله و سلم لأنه ليس من أحد إلا يخاف ذنوبه غيره فإنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فعمله نافله.

و منه قوله تعالى: أقيم الصلاة طرفي النهار [سوره هود، الآية: ١١٤] إلى المحسبين، و قوله تعالى: قم الليل إلا قليلا [سوره المزمل، الآية: ٢] الآية طرفا النهار النهار الفجر و العصر و كما ثنى الطرف هنا جمع فى قوله تعالى: فسبح بحميد ربك* [سوره الحجر، الآية: ٣٩] إلى و أطراف النهار لعلك ترضى [سوره طه، الآية: ١٣٠] لذلك اختلف الناس فبعضهم جعله من أوقات الصلوات المفروضة، و القائل بهذا يكون عنده الفجر من النهار محتجا بأنه ابتداء الصوم لقوله تعالى: و كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل [سوره البقره، الآية: ١٨٧] و الذين يخالفونه يجعلونه من الليل، و يدعون أن ابتداء النهار طلوع الشمس و انتهاءه غروبها، و إذا زالت الشمس انتصف النهار فأما قوله تعالى: و أطراف النهار [سوره الحجر، الآية: ٣٩] فيجوز أن يجعل النهار للجنس حتى يصير له أطرافا، و يجوز أن يجعل الجميع مستعارا للتشبيه لأن أرباب اللغة قد توسعوا فى ذلك ألا ترى قوله: يا ناحه و دخيلا، ثم قال: طرفا فتلك لهما تنمى، و كقوله تعالى: ففقدت صرحت قلوبكمما [سوره التحريم، الآية: ٤] و ليس

بمستكر أن تسمى الساعات أطرافا، كما قيل أصياله و عشيات في آخر الأصيل، و العشي.

قال أبو العباس ثعلب أطراف النهار قيل يعنى صلاه الفجر، و الظهر، و العصر، و هو وجه أن جعل الظهر، و العصر من طرف النهار الآخر، ثم يضم الفجر إليهما فيكون أطرافا، و قال أبو العباس المبرد: معناه أطراف ساعات النهار أى من الليل سبحه و أطعه فى أطراف ساعات النهار (الآنء) الساعات واحدها أنى، و يكون من آنت- أى أخرت و من قول الشاعر:

و آنت العشاء إلى سهيل أو الشعرى فطال بى الإناء

و قال العجاج: طال الإناء، و انتظر الناس الغير من أمرهم على يديك، و التور طال الإناء و زایل الحق الأشر. و فى القرآن: غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنْهَاءُ فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ [سوره هود، الآيه: ١١٤]، فالزلف الساعات و من أبيات الكتاب:

طى الليالى زلفا فزلفاسماوه الهلال حتى احقوقفا

و الزلفه واحده الزلف، و يقال لفلان عندى زلفه، و زلفى، و هى القربه، و فى القرآن:

وَ أَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ * [سوره الشعراء، الآيه: ٩٠] أى قربت، و سميت المزلفه لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضه من عرفات، و انتصب سماوه على المفعول من طى الليالى، و المعنى أن الليالى طوت شخص الهلال، و نقصته شيئا شيئا حتى ضمير و دق.

قوله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ [سوره هود، الآيه: ١١٤] يجوز أن يريد أن الحسنات من أفعال النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و المؤمنين يبطلن سيئات الكفار و المجرمين، و هذا بشاره من الله للمؤمنين بأنه سيعلى كعبهم، و ينفذ كلمتهم كما قال: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ [سوره الأنبياء، الآيه: ١٨] و يجوز أن يكون مثل قوله تعالى: إِنَّ تَجْتَبَيْتُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ [سوره النساء، الآيه: ٣٠] و يكون هذا مثل قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ * [سوره التوبه، الآيه: ٣٣]، و قوله تعالى: ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ [سوره هود، الآيه: ١١٤] أى أخبرناك بما أخبرنا من ضمان النصره، و قمع الباطل، و إعلاء كلمه الحق لكى تذكر به فيزداد حرصا على الإدخار و الإصلاح و لأنك إذا أقررت به و التزمته فتذكرته تيسر لك المطلوب و قد قال تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ [سوره ق، الآيه: ٣٧] يريد أن المأمور بهذا، أو الموعوظ إذا قبله حصل لك بذلك ذكر فى الذاكرين، و هذا ترغيب لأن ما يبقى به الذكر ليس كما يلغى و ينسى. قال:

فقال له هل تذكرن مخبرايدل على غنم و يقصر معملا

أى هل تعتد بهذا الخبر فتذكره به، فأما قوله تعالى: قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نَضِيفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا [سوره المزمل، الآية: ٢] أى من النصف، أو زد عليه، فانتصاب الليل إلا قليلا أى قبله بقليل أو بعده بقليل لأن بيان أو انقص منه، أو زد عليه ذلك، والمعنى قم نصف الليل، أو انقص من نصفه حتى يرجع إلى الثلث، أو زد على نصفه حتى يبلغ الثلثين، وفي هذه الأشياء منها أنه جعل نصف الليل قليلا منه سواء جعلته بيانا للقليل المستثنى، أو جعلته بيانا للباقي الواجب لأن الكلام يقوم على الوجهين جميعا ومنها أن قوله: أو انقص منه قليلا- بمعنى إلا قليلا فى التحصيل و لكنّه ذكر مع الزيادة، و كان كالمكزّر، و كثير من أهل النظر يذهبون إلى أن القله تقع على ما دون الثلث لقوله عليه السلام لسعد فى الوصية:

«و الثلث كثير» و منها أن هذا التنويع يدل على أنه تعالى لم يفرضها عليه لكنه على سبيل التّرخيب لأنّ الفرائض التى يفرضها الله على عباده ليس يجعل الأمر فيها إليهم فينقصوا ما شاءوا، و يزيدوا فيها ما شاءوا، و قد قيل: إن الله تعالى كان فرض على رسوله و على المؤمنين قيام الليل، ثم نسخه إذ كان شقّ عليهم فقال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يُضِدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ [سوره المزمل، الآية: ٢٠] أى يعلم مواقيتها و يعلم أنكم لن تحصوه أى لن تطيقوا معرفه حقائق ذاك و القيام فيه، فتاب عليكم فاقروا ما تيسّر من القرآن، قالوا: و هذا فى صدر الإسلام، ثم نسخ بالمكتوبات الخمس.

و قوله تعالى: أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ يجوز أن يكون من دنا الشىء إذا سفل، فنزل كما قال: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى أى نزل، و منه قوله تعالى: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ [سوره الأحزاب، الآية: ٥٩] أى يرسلن، و قال بعضهم: معنى أدنى أدون، لكنه قلب فقدّم اللام و قوله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [سوره المزمل، الآية: ٥] يجوز أن يكون المعنى قولاً- يثقل العمل به، و يجوز أن يريد به قولاً- له وزن، و خطر بين الكلام إذا ميّز أى ليس باليسّ فساد الدون، و معنى يلقي ينزل فيلقنه. و منه قولهم: ألقيت على فلان مسأله كذا، فأعيبته. و قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ [سوره السجده، الآية: ٢٣] فبعضهم يجعله من هذا أى لا- تلك فى شك من نزول هذا الكتاب قبلك، و كان شيخنا أبو على ينكر أن يكون القيت من لقيت، و يقول: إن لقي يتعدى إلى مفعول واحد يقول: لقيت زيدا فلو كان ألقيت من لقيت لوجب أن يتعدى إلى مفعولين. كما أنه إذا دخل على ما لا يتعدى إلى المفعول عداه إلى واحد يقول: خرج زيد و أخرجته و ذهب زيد، و أذهبته.

و تقول فى المتعدى: قرأ كذا و أقرأته أنا كذا، و سمع زيد شرا، و أسمعته أنا خيرا. و إذا كان كذلك، و وجدنا لقي يتعدى إلى مفعول واحد، و ألقيت مثله يتعدى إلى مفعول واحد

و علمنا أنهما من أصلين فاعلمه. قوله تعالى: إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ [سورة المزمل، الآية: ٦] يريد السَّاعه منشأ الحدوث و يقال فلان ناشئ و نشأت السَّحابه من قبل البحر، و يجوز أن يكون ناشئ يراد بها الحدث لا الفاعل فيكون كالللاغيه فى قوله تعالى: لا تَسْمَعُ فِيهَا لِاِغْيَةِ [سورة الغاشيه، الآية: ١١] أى لغوا و كالكاذبه فى قوله تعالى: لَيْسَ لَوْعَتِهَا كاذِبُهُ [سورة الواقعة، الآية: ٢] أى كذب و مثل ذلك قم قائما أى قم قياما. قوله تعالى: هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلًا [سورة المزمل، الآية: ٦] أى أبلغ فى القيام و أبين فى القراءة لما فى الليل من السكون و القرار، و يجوز أن يريد أنها أشد على الإنسان و أشق لأن الليل للتودع و الراحة.

و قرئ و طاء بالواو و المد و المعنى أشد مواطاه للقلب إذا نقله السمع.

و منه قوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ [سورة الانشقاق، الآية: ١٦] إلى لا- يَشْجُدُونَ أول السوره إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ و الانشقاق و الانفطار، و الانفتاح يتقارب فى المعنى و ذلك من أهوال القيامة، و ما يتغير فيها من الأمور، و يتبدل. و قيل: المراد انشقت بالغمام كقوله تعالى فى موضع آخر: وَ يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ [سورة الفرقان، الآية: ٢٥]. و جواب إذا محذوف لما يدل عليه ما عرف من أهوال القيامة و شدائدها و تخمر فى النفوس و تقرّر.

و المراد إذا انشقت السماء كان من أشرط القيامة فيكم ما عرفتموه، و تكرر عليكم وصفه، و قيل جوابه فى قوله تعالى: إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ [سورة الانشقاق، الآية: ٦] و قيل جواب إذا مضمّر مقدم، و المراد اذكر إذا حدثت هذه الحوادث. و قيل جوابه أذنت، و الواو زائده. و التحويون على اختلافهم يردون هذا و كأنّ قائله شبهه بقوله تعالى: حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا [سورة الزمر، الآية: ٧١] لأنّ المعنى عنده فتحت و الأجود عندى أن يكون جواب إذا قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ [سورة الانشقاق، الآية: ٦] أى فى ذلك الوقت يكون ذلك حالك، و معنى أذنت لرّبها أطاعت، و استمعت، و أجابت، و حقّت أى وجب ذلك عليها، و كانت محقّقه بالانشقاق.

و قوله تعالى: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ [سورة الانشقاق، الآية: ٣] كأنه بسط مجموعها و أخرج مضمونها و موعدها حتى تخلت. قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ [سورة الانشقاق، الآية: ٦] عموم دخلت الكافه تحته، و قوله تعالى: إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ [سورة الانشقاق، الآية: ٦] يشير إلى ما قاساه مده حياته و اكتسبه فى متصرفاته و نيل فيه من سعادته و شقوه و حياه و إماته، و ما تزوّده من دنياه و أعدّه لأخراه، أى تسعى سعيا قد أتعبك و تلاقى له كل ما قدّمته من عملك و تصير من حميته إلى ما تستحقّه بفعلك. قال:

و ما الدهر إلّا تارتان فمنهما موت و أخرى أبتغى العيش أكّح

و قوله: فَمُلَاقِيهِ من قولك: لاقيت من كذا جهدا و أذى، و قاسيت من كذا

مكروها. و الضّمير في ملاقيه إن شئت جعلته للكدرح و الأجود أن تجعله للزّب، و المعنى تلاقى جزاء ك منه فيكون على حذف المضاف. و الشفق الحمره تبقى من الشّمس في المغرب إلى وقت العشاء. و قال بعضهم: هو البياض الذي إذا ذهب صليت العشاء الآخره لأنّ الحمره تذهب عند الظلام.

قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: عليه ثوب مصبوغ كأنه الشّفق و كأن أحمر.

قوله تعالى: وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ [سوره الانشقاق، الآية: ١٧] أى جمع و أدرك من مقتضياته، و هوله و يجوز أن يكون وسق بمعنى، طرد يريد و ما جاء به و احتمله، و الوسيقه الطّريده.

و قوله تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ [سوره الانشقاق، الآية: ١٨] يريد استتبّ، و استوسق لثلاث عشره و أربع عشره، و يجوز أن يريد بالتّساقه استمراره في سيره و تناهيه في ازدياد ضيائه:

لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ [سوره الانشقاق، الآية: ١٩] كما قيل سادوك كابر، عن كابر، و المعنى كيرا عن كبير أى يترددون بعد أحوال مختلفه، و يخرجون من بعضها إلى بعض من نشر و حشر و فناء و إعاده؛ و (الطّبّق) الشّده قال: (قد طرقت بيكرها أم طبق).

و قال:

فلو رآنى أبو حسّان و انحسرت عنى الأمور إلى أمر له طبق

يقال: رغب، و رهب أنت بينهما حب الحياه، و هول الموت و الشّفق و فائده القسم تأكيد الوعيد على المخاطبين بهذا الكلام، و هو قوله تعالى: لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ [سوره الانشقاق، الآية: ١٩] و قرئ لتركبنّ جعل الخطاب للنبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و المراد لتركبنّ طبقا من طباق السّماء.

و قوله تعالى: فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [سوره الانشقاق، الآية: ٢٠] لفظه استفهام معناه الإنكار، و التّبكيه يقول: ما الذى منعهم من الإيمان، و قد وضحت الدلائل و السّبل، و تكررت الآيات و التّنذر، و ضاقت المعذره و حقّت الكلمه. قوله تعالى: وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمِعُونَ [سوره الانشقاق، الآية: ٢١] أكبارا و إعظاما و إيمانا، و إيقانا و هو من المعجزات الباهره و الإلزامات المسكته. و هل ذهابهم عن تدبّره و اشتغالهم إلّا عناد فبشّرهم بعذاب أليم. أصل البشاره من البشره استبشر بشىء انبسط جلده، و نضر وجهه، و هذا و أمثاله إذا استعملت في غيره كقوله: تحيه بينهم ضرب و جيع. أى يقيمون بدل التّحيه عند اللّقاء ذلك، فأما قوله تعالى: افْتَرَبَتِ السّاعه وَ انشَقَّ الْقَمَرُ [سوره القمر، الآية: ١] فإنما معناه سينشق القمر، و من أثبت ذلك دليلا لا ختص به عبد الله بن مسعود، و إنّ سائر الناس لم يروه لأنّ الله حال بينهم و بين رؤيته بغمامه، أو غير ذلك. و يجوز أن يكون غير عبد الله بن مسعود قد رأى ذلك، فاقتصر في نقله على رؤيه عبد الله، و على ما نطق به القرآن من ذكر،

و كان الجاحظ ينفيه و يقول: لم يتواتر الخبر به و يقول أيضا: لو انشق حتى صار بعضه فى جبل أبى قبيس لوجب أن يختلف التقويمات بالزيجات لأنه قد علم سيره فى كل يوم و ليله فلو انشق لكان وقت انشقاغه لا يسير.

و منه قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا [سوره الملك، الآية: ٣] إلى وَهُوَ حَسْبُكُمْ أَوَّلُ السُّورَةِ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ [سوره الملك، الآية: ١] و ليس تفاعل هذا كتفاعل الذى يفيد التكلف للشىء عن غير موجب له نحو تخازر، و تعارج، و تساموا، و تجاهلوا لكنّه بمعنى فعل و أصل البركه البقاء و الزيادة، و كذلك لفظه تعالى فى صفه الله، فهى بمعنى علا و مثله لعلا و تكبر بمعنى كبر و علا، و هذا كما يقال: علا قرنه، و استعلاه و قال زهير: و كان أمرين كل أمرهما يعلو. و مثله قر و استقر، و هزأ، و استهزأ، و يشهد لما قلنا قول امرئ القيس: تجبر بعد الأكل فهو نيمص. و إنما يصف نباتا قد رعى ثم عاد منه شىء فتجبر بمعنى جبر من قوله: قد جبر الدين الإله فجبر.

و قد كشف عن المراد بقوله: فهو نيمص أى لقصوه كأنه ينمص بالنمص، و هو المنقاش، و متى جعلت تجبر صار كالجباره، و هى النخلة التى فاتت اليد طولا و أوقع آخر الكلام أوله لأن المنموص لا يتجبر و لا يطول. و على هذا قوله تعالى الندى فى متنه و تحذرا يريد علا و حدر، و أنشد أبو عبيده: تخاطأت النبل أحشاه معناه أخطأت، فهذا شاهد تبارك و تعالى، و مثل هذا أجاب، و استجاب و قوله تعالى: بِيَدِهِ الْمُلْكُ [سوره الملك، الآية: ١] أى يملك الملك الذى يمكن عباده منه، و يصرفهم فيه، فالبقاء له و القدره و التمكّن، و القمر بأمره و حكمه، و إضافه الفعل إلى اليد ضرب من التوسع يقال: و فى يدي و ملكي و فى قبضى، و هو قبضى. قال تعالى: وَ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [سوره الزمر، الآية: ٦٧] أى يحكم فيها حكما لا قصور فيه عن المراد، و لا تجاوز إلى أكثر من المرتاد، ففعله وفق إرادته و وفق قصده و إرادته، فخلق الحياه لمن يريد استبقائه ليعبده، و الموت إلى غير ما هو عليه إخبارا منه لطاعه المطيع منهم، فيشيبه و معصيه العاصى منهم فيعاقبه، و هو العزيز فلا يفوته الهارب، القدير فلا يعجزه المغالب. قوله تعالى: خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا أى بعضها فوق بعض و على حده، فيطابقه، و يشابهه، و لا يخالفه فيبائنه و قال الشاعر شعرا:

إذا نزل الظلّ القصير بنحره فكان طباق الخف أو قل زائدا

و يقال: طابق فلان فلانا على كذا إذا وافقه عليه. و يقال: الناس طبقات أى بعضهم فوق بعض. و منه قولهم: طابق البعير إذا وضع خفى رجله فى موضع خفى يديه. و قد قال تعالى: وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ [سوره فصلت، الآية: ١٢] فقوله الدنيا يدل على أن

بين السماوات تقاربا، و تباعدا، و أن التي هي فوق هذه ليست بالدنيا منه، قوله تعالى: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوتٍ [سوره الملك، الآيه: ٣] و قرئ من تفاوت أي بنى ما خلقه على حكمه فلا- يفوت بعضه بعضا و لكنه يتعادل، و في هذا المعنى قالوا: وجه مقسم إذا كان الحسن مقسوما فيه فأعطى كل جزء نصيبه منه حتى لا استبداد فيه، و قالوا: ما أحسن قسمه وجهه و هذا بخلاف ما ذكرناه في تفسير المتفاوت لأن المتفاوت ما يزيد على الاعتدال، أو يخرج عن القدر الملائم بالانتقاص، و ذلك ضد التقدير و قوله تعالى: فأرجع البصير هل ترى من فطورٍ [سوره الملك، الآيه: ٣] المراد به أيها الإنسان قد أعطيت من الآلات، و رتب في عقلك و تحصيلك من البنات ما تدرك به حيناً، أو تقديرا تراكب الأشياء و سلامتها مما يشينها إذ دخولها فيما يجتذب وجوه الفساد إليها، فتأمل ما صنعه الله و اخترعه في هذا الخلق العظيم و اقتف آثاره فيها، و ردّد طرفك و عقلك في ظواهرها و بواطنها و مفرداتها؛ و مركباتها و تأمل بعد تقصّي و سمك و استفراغ جهدك، و ردّد المفضل على المفصل و المشاع على المقسوم، هل تجد فيه خلا، أو هل تتبين فيه عيبا؟ و قوله تعالى: ثم ارجع البصير كرتين ينقلب إليك البصير خاسئا [سوره الملك، الآيه: ٤] بعث على الكشف و البحث و تأكيد في المبالغه فيهما و إنما قال هذا لما يعتقد العرب من أن النظره الأولى حمقاء فينبغي أن لا يكتفى بها في المزاوالات، و التتبع في المستكشفات حتى أن بعضهم قال في صفه امرأه شعرا:

لها النظره الأولى عليهم و بسطهو إن كرت الأَبصار كان لها العقب

يقول لهذه المرأه، على من يستقرى محاسنها النظره الأولى، فإن لم يقنعهم ذلك، فأخذوا يستنبطون في المعاوده، و يحيلون الطرف في العين و الأثر كان لها البسطه أيضا، فإن أبوا إلّا أن يكرروا الأبصار، و ردّدوا النظر حالا بعد حال كان لها العقب، و هو ما يسلم على التعاقب من أواخر البحث فقوله تعالى: كرتين تأكيد على ما ذكرناه، و حكى لى عن بعض أهل النظر أنه قال: إن الله تعالى أمر بكر البصر ثلاث مرات لأنه قال: ارجع البصر، ثم ارجع البصير كرتين، و هذا الذى ذكره و عول عليه من ذكر الكرتين لا يحصل له المراد، بل يفسد عليه ما اعتمده لأنه قال تعالى: فأرجع البصير هل ترى من فطورٍ [سوره الملك، الآيه: ٣] و هذا لا- يقتضى إلّا مره واحده، و قال من بعد: ثم ارجع البصير كرتين [سوره الملك، الآيه: ٤]، و لو اقتصر الكلام على ارجع البصر، و لم يأت بذكر المرّتين لكان للسامع أن يتجاوز إلى ما فوقها من الكرات لأنّ ثم لا يقتضى الحصر، و لا يوجب الوقوف.

فلما قال: كرتين علم أنه أكد به ما ذكر من الرجعتين على أن قوله تعالى: فأرجع البصير ليس قبله فعل مذكور فيكون الرجوع عن ذلك الفعل لأنه قال تعالى: ما ترى في

خَلَقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصِيرَ [سوره الملك، الآيه: ٣] فكان المراد انظر، فارجع، ثم ارجع أى لا ترض بالنظره الأولى و لكن راجع بعدها، ثم راجع، و إذا كان التكرار هو الرجوع إلى الأول، و الأول هنا النظر المضممر فقوله تعالى: فَارْجِعِ الْبَصِيرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ كَرَّرَ أَوَّلَ إِلَى النظر المستدل عليه، و قوله: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصِيرَ كَرَّتَيْنِ، و إذا كان الأمر على هذا لم تحصل ثلاث كرات فلذا اتبع الكلام بقوله كرتين و هذا جيد بالغ، و قوله تعالى: هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ أَى من شقوق و صدوع.

و قوله تعالى: يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِمًا [سوره الملك، الآيه: ٤] المعنى إنك إن أدمت النظر، و اتبعت البصر تطلب العيب فى حكمه الله و الفطور فى صنعه رجعت من مطلوبك خاسر الصفقه، صاغر الرجعه، خائب الطلبه بعيدا من البغيه، و الخاسى من قولك خسأت الكلب إذا طردته و بعدته خسأ و لا- تقل انخسأ، و الحسير الكال المعى. و يقال: إبل حسرى لأن حسيرا فعيل بمعنى مفعول، فهو كجريح، و جرحى.

و منه قوله تعالى: فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ [سوره الرحمن، الآيه: ٣٧] الآيه، و قوله:

و يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا [سوره الفرقان، الآيه: ٢٥] خضراء ملساء متّصله الجوانب و الأكناف مرتبه الوسائط، و الأطراف محفوظه من مسترقه السمع بما أعد لها من الارصاد.

و تلخيص هذا يبين إذا ضم إلى قوله تعالى: وَ يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ و إلى قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ [سوره البقره، الآيه: ٢١٠] لأن المعنى يأتيهم أمر الله، و السماء كالورده، و قد انفطرت بالغمام أى تنشق بها، و الملائكه تنزل منها فى الغمام فكأنها تنشق، و هم فى تكاثفهم، و تراكمهم بما معهم كظل من الغمام و هذا كما يقال: رعى الباب بفلان- أى جاء من قبله، و سال الوادى بنى فلان إذا خرجوا منه، و كقول الشاعر:

و سالت بأعناق المطى الأباطح

و كما قال:

ألا صرمت حباثلنا الجنوب ففرقنا و مال بنا قضيب

قضيب: واد باليمامه، و المعنى أنجدنا لما افترقنا، و انهمت هذه المرأه و يقال: نزل بقارعه الوادى- أى أعلاه، و قوله: مال بها، كقوله: سالت الأباطح بأعناق المطى قوله تعالى: فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ [سوره الرحمن، الآيه: ٣٧] يريد تحولها عما كانت، و الورد الأحمر و ليس بمشبع قال:

فهو ورد اللون في ازبئراو كميته اللون ما لم يزبئر

وقال الفراهسيه: تلون السيماء تلون الورده من الخيل لأنها تكون في الربيع إلى الصفره، فإذا اشتد البرد كانت ورده حمراء، فإذا كانت بعد ذلك كانت ورده إلى الغبره قال عبد بنى الحسحاس شعرا:

فلو كنت وردا أحمر لعشقتني ولكن ربي شانني بسواديا

وقيل في الدهان: إنها جلود حمر، وقيل: هي جمع دهن - أي تمور كالدهن صافيه، والشاهد لهذا قوله تعالى: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا [سوره الطور، الآية: ٩] أي تتميع.

وقال تعالى: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ [سوره المعارج، الآية: ٨] وهو الصفر المذاب، و كان التشبيه وقع بالذوب، فيكون المور والذوب على طريقه واحده، وقوله تعالى: يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ [سوره الفرقان، الآية: ٢٢]، وقوله تعالى في سوره الرحمن: عند ذكر وعيد الكفار، والإنذار من يوم الحشر، والمعاد وما يجري مجراه من الاقتصاص، والأمر بالعدل والإنصاف: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* [سوره الرحمن، الآية: ١٣]. سأل سائل: أي شىء في هذا من الآلاء حتى ذكره الله ممثنا به في جملة ما عدده من صنوف النعم، و وجوه القسم في الأولى والآخره.

والجواب إن الله تعالى منعم في كل حال و مدكر بما يزيد المتعبد استبصارا في الأمر الأولى و نفورا، و زهدا في الدنيا، و واعظ بما يكون السامع له أقرب إلى الطاعة فيما يعمله من الاستطاعه، و إذا كان الأمر على هذا فنعمه على خلقه في الإنذار والإعذار مثل نعمه في التبشير والتحذير إذ كان الصارف عن الشر بلطفه مثل الباعث على الخير بفضله، و قد توعد الله جاحدى نعمه و المهملين لآياته و نذره بالخسف و الرجف و الخزي الثابت، و البعث المفاجئ، و المسخ المرصد و الريح العاصف و الزلازل، و الصواعق بعد أن أمضى بها أو بأكثرها الحكم على من حقت عليه الكلمه فمن سعد و وعظ بغيره فأجاب حين دعى، و أدرك لما بصر و نفعته المهله و الإملاء، و استسعد بالإعاده، و الإبداء و نبهه ضرب الأمثال و المبالغه في الإبلاغ.

ثم عرف حال أولئك المستمرين في الضلاله و الداهيين عن طريق الهدايه و مصائر أحوالهم، فإنه إذا راجع نفسه درى عظم نعم الله عليه فيما وفقه، أو يسر أخذه به من العدول عن سلوك مناهجهم، و أوجب على نفسه شكرين (الأول) لاهتدائه، (و الثانى) لما زاده الله من الاستضاءه بنور الهدى و قربه من التقوى، ألا ترى قوله تعالى: حاكيا عن أهل الجنه و قد استقروا في منازلهم منها: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ [سوره الأعراف، الآية: ٤٣] قوله تعالى: وَقُضِيَ الْأَمْرُ [سوره البقره، الآية: ٢١٠] نصف

عقبى حالهم وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سوره يونس، الآية: ١٠] وقال تعالى بين أحوالهم قبل ذلك: فَوَرَّبُّكَ لَنُحْشِرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ [سوره مريم، الآية: ٦٧] إِلَى وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا [سوره مريم، الآية: ٧٢] فعلى هذا الذى بنينا الكلام عليه قدر الله نعمه على الجن و الإنس فى دنياهم، و أخراهم، ثم قال: يا أيها تكذبون و كل ما تتصرفون فيه من حياه و ممات و نعمه و نقمه و تيسير و تعسير، و تقريب و تباعد آثار إحصانى فيها ناطقه و أعلام آلائى فيها سنه واضحه و هذا بمن الله ظاهر.

و منه قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سوره البقره، الآية: ١٦٤] إِلَى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سوره البقره، الآية: ١٦٤] الخلق هو الاحداث على تقدير من غير احتذاء مثال و لذلك لا يجوز إطلاقه إلا فى صفه الله تعالى لأنه لا أحد جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء أمثال إلا الله و إنما جمع السَّمَاوَاتِ، و وحَّد الأرض لأنَّ الأرضين لتشاكلها تشبه الجنس، و الواحد كالترجل، و الماء الذى لا-يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف، و ليس يجرى السَّمَاوَاتِ مجرى الجنس المتفق لأنه ذبّر فى كل سماء أمرها بالتدبير الذى هو حقها قوله تعالى: وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ [سوره البقره، الآية: ١٦٤] يجوز أن يكون من الخلاف كالشواد و البياض لأنَّ أحدهما لا يسد مسد الآخر فى الأحوال.

و يجوز أن يكون من الخلف لأنَّ كل واحد منهما يخلف صاحبه على طريق المعاقبه و النهار فى اللغه يفيد الاتساع أيضا، و يقال: انهرت العنق إذ أوسعته، و ذكر الله تعالى هذه الآيات مجموعها معظما شأنها ليصرف بكريم عطفه و حسن نظره أوهام المخاطبين بها إليها، و إلى النظر فى تراكيبها و ابتداء خلقها مدرجا إلى الاستدلال بها على خالق لا يشبه الأشياء و لا يشبه من جهه أنه لا يقدر على خلق الأجسام إلا-القديم الذى ليس بجسم و لا-عرض، إذ جميع ذلك محدث و لا-بد له من محدث لاستحاله التسلسل، فتقديم السماوات و الأرضين فى الذّكر لأنها المعظم فى المشاهدات و الأصل و ما عداها تبع لها، و لتكون الحواس إلى تمييزها أسرع، و الأذهان إلى تبحيثها أميل، و النفوس فى الكشف عن سرائرها أرغب، و العقول عنها أفهم، و اختلاف الليل و النهار يدل على عالم مدبر لأنه متقن فى الصنع محكم فى التدبّر قريب التحوّل بعيد التأخر، فهو أبلغ أداء و أبين مأخذا، و أفصح برهانا، وَ الْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ [سوره البقره، الآية: ١٦٤] لأنه فعل منعّم عالم بما يكون قبل أن يكون هيا الله لمنافع الناس و من جرى مجراهم لكى يفكروا، مع كثره بلواهم بها، و مع تعذر فعل مثلها عليهم منها و ليعلموا بمواقع حاجاتهم و تيسر مرافقهم بها أن الله لهو الحكيم الرؤوف المحدث لهم، و المنشئ و المصرف و المسخر.

فأما الماء المنزل من السَّماء، فيدل على الرازق المنعم المبدع لما شاء لا يعجزه شىء

مروم، و لا يتكأده مطلوب، لا يخطئ تدبيره، و لا يقصر عن الحاجه تقديره آخر مراده وفق أوله لائق بأخره.

و أما إحياء الأرض بعد موتها فتمثيل للحشر و البعث، و تنبيه على أنه تعالى تتجدد منحه حالا بعد حال، و وقتا بعد وقت ليكون للعائشين بها أهناً، و فى إظهار القدره عليها أحكم، و يجوز أن يقال: و صفت الأرض بالحياه لينشأ النبات عنها كنشوء النتاج عن الحيوان فقيل: إذا كانت عامره حيّه، و إذا كانت هامده ميته، و يجوز أن يقال: و صفت بذلك لأنها تخرج ما تحيى به النفوس من الثمار و الزروع. قوله: وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ [سوره البقره، الآيه: ١٦٤] يريد من جهه السماء و من نحو السماء، و فى موضع آخر: وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا [سوره الفرقان، الآيه: ٤٨] يجوز أن يكون بدلا من الماء، أو تبيينا له و تفسيراً، أو يكون كالفطور و أمثاله فلا يدل على الكثره، و إذا جاز ذلك فيه فليس لأحد من الفقهاء أن يتعلق بظاهر الآيه فيقول: إنَّ طهوراً فعول، و هو صفة للماء فيجب أن يدل على الكثره و المبالغه فى الحكم الذى يجب فى فعول إذا كان صفة لأنَّ فعولا قد يكون كالفطور فلا يدل على الكثره، و لأنه قد يجوز أن لا يكون صفة للماء بل يكون بدلا و تفسيراً، و يسقط التعلّق بظاهر الآيه.

و أما قوله تعالى: وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ [سوره البقره، الآيه: ١٦٤] فيستدلّ به على الاقتدار على ما لا يتأتى للعباد إن ميسرها لأوان فقرهم إليها إن شاء جعلها السبب فى إهلاكهم بها، فهو مذكّر واعظ و مبشّر قادر، و معنى تصرفها تحوّلها من حال إلى حال و من جهه إلى جهه، و كذلك صرف الدهر تقلبه، و قال الحسن: الصّرف النافله، و العدل الفريضة.

قوله تعالى: وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ [سوره البقره، الآيه: ١٦٤] أصل البث التفريق، ثم توسع فيه فقيل بث فيه الشراب و السم، و يريد بالفلك السفن إذا أصعدوا فى البحر للتجارات و ما يجرى مجراها، و يقع على الواحد، و الجمع قال تعالى: فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* [سوره الشعراء، الآيه: ١١٩] و إذا أنث فلائنه أريد به الجمع، و أصله الدوران، و منه تفلكت الجاربه إذا استدار ثديها، و إنّما استوى الواحد، و الجمع فيه لأنَّ فعلا- و فعلا يشتركان كثيرا كمثل قولهم: العرب العرب، و العجم، و العجم، و البخل، و البخل، فمن قال: فى أسد أسد، قال: فى فلك فلك، فجمعه على فعل، و مثل هذا قولهم: هجان لأن فعلا و فعلا يشتركان فى الجمع، كقولك: قضيب و قضب، و كتاب و كتب، فمن قال: كريم و كرام، و طويل، و طوال يلزمه أن يقول: هجين، و هجان. فإن قال قائل: لم جمعت الليل و لم يجمع النهار؟ قلت: النهار بمنزله المصدر، فهو كقولك: الضياء و الظلام، فوقع على القليل

و الكثير، و الليله مخرجها مخرج الواحد من الليل على أنه قد جمع في الشذوذ على نهر قال:

لو لا الثريد إن هلكنا بالضمثرريد ليل و ثريد بالنهر

و أصل التسخير: التذليل، و المراد إنَّ الله يمسكه، و تسكين الأجسام الثقال بغير دعامة و لا علاقه فعل من لا شبيه له و لا نظير، فهو القادر الذي لا يعجزه مراد قوله تعالى: لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سورة البقره، الآية: ١٦٤] يريد أن هذه البراهين على التوحيد، و بطلان التشبيه يستدل بها العقلاء، فيصلون إلى العلم بما يلزمهم، ثم العمل بها ففيه مدح المفسرين المتأملين، و ذم لمن سلك غير طريقهم، فأهملوا مع المهملين.

و منه قوله تعالى في سورة النمل: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ [سورة النمل، الآية: ٥٩] إلى قوله:

بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ [سورة النمل، الآية: ٦٦].

اعلم أن هذه الآي تشتمل على فوائد كثيرة و مسائل جمه عجيبه. فمنها بيان الفائدة في قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، و كيف جعل قرآنا متلوا؟ و الظاهر أنه من كلام جبرائيل مخاطبا للنبي صلى الله عليه و سلم عند أداء المنزل إليه، و منها: كيف مورد قوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سِلاَمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ [سورة النمل، الآية: ٥٩] و القصد إلى تبيكيت المعاندين و إنذارهم و جمع الحجّه عليهم و قل إنكارهم بدلالة قوله: اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ [سورة النمل، الآية: ٥٩] إلى غير ذلك مما سنبينه شيئا بعد شيء إن شاء الله تعالى، فنقول و بالله التوفيق.

أما لفظه قل: فحيث ما جاء في التنزيل مبتدأ كان، أو متوسطا، فهو أماره كونه من كلام الله خطابا للنبي صلى الله عليه و سلم تبصيرا عند افتتاح القول، و تهذيبا، أو إسقاطا للسؤال، يوجهه المعاندون نحوه امتحانا، فكان النبي صلى الله عليه و سلم ينتظر في مثل هذه الأحوال ما يلقنه من وحى فيدفع به مضرتهم، أو يبطل به حجّتهم، أو يتوضّل به إلى تعجيزهم و رد كيدهم في نحورهم، أو يستظهر به داعيا عند طلب السّلامه عليهم ظهر الابتداء المعقب بقل و الله يمدّه بما يعلو به أمره، و يشتد به أزره فلا يجي ء لفظه قل في القرآن إلّا و هو تلقين للنبي صلى الله عليه و سلم و كموعد ينتظر إنجازه على هذا قوله تعالى: يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [سورة الإسراء، الآية: ٨٥] و قوله تعالى: مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ [سورة الأحقاف، الآية: ٩]، و كقوله تعالى: قُلِ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ [سورة ص، الآية: ٦٥] و قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ [سورة الكافرون، الآية: ١] و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [سورة الإخلاص، الآية: ١] و قُلْ أَعُوذُ* [سورة الفلق، الآية: ١] و ما أشبهها.

و أما قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ فَإِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا تَقَرَّرَ الْكَلَامُ عَلَيْهِمْ وَ اسْتَمَرَّ رَاهِمُ فِي لُزُومِ الْجُحْدِ وَ مَبَايِنَتِهِمْ لِنَهْجِ الْحَقِّ جَعَلَ اللَّهُ ابْتِدَاءَ الْكَلَامِ خُطْبَهُ عَلَىٰ عَادَةِ الْعَرَبِ فِي مَقَامَاتِهِمْ وَ عِنْدَ تَصَرُّفِهِمْ فِي مَنَافِرَاتِهِمْ لِأَنَّهُمْ يَبْدُءُونَ فِي مَقَارِضَاتِهِمْ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَ الصَّيْلَةِ عَلَىٰ رَسُولِهِ يَأْخُذُونَ فِي مَآرِبِهِمْ وَ يَسْتَقَرُّونَ فِي وَجْهِ الْقَوْلِ مَدَارِجَهُمْ لِتَكُونَ طَرِيقَ الْبَيَانِ بِهَا أَوْسَعُ، وَ بَرَاهِينِ الْمَوْجِبَاتِ فِيهَا أُثْبِتَ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَيَّ ابْتِدَاءٍ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ فِيمَا آتَاكَ مِنْ فَضْلِهِ وَ اخْتَصَّكَ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى إِخْوَانِكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ اللَّهُ كَمَا اصْطَفَاكَ، وَ حَمَلَهُمْ مِنْ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ مِثْلَ مَا حَمَلْتَكَ، ثُمَّ سَلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنَازِعُونَكَ الْأَمْرَ، وَ يَرَادُونَكَ فِيمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْقَوْلَ، وَ قُلِ اللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا تَجْعَلُونَهُ شُرَكَاءَ.

و مثل هذا من الكلام يستعمل مع من حقت عليه الشّماتة و لزمت الحجة و تيرأت منه المعذرة فيقرع لسوء اختياره به و يرى بعد ما بين أمره فيه، ثم أخذ تعالى في إحصاء نعم الله التي تفرد بإنشائها يقّررهم على ما يضطرون إلى تسليمها و نقص يد المنازعة فيها من خلق السماء و الأرض و إنزال الغيث الذي تنبت به الحدائق، و يحيى به الموات، و يعيش منه الناس و الأنعام كما قال تعالى في موضع آخر: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ [سورة الزمر، الآية: ٢١] الآية. يقول: انظر كيف أنزل الغيث، و كيف أحى به الأرض؟ ثم جعله فيها ينابيع إلى أن أخرج به المرعى فجعله غثاء أحوى.

و وجه التقرير بهذا تأنيسهم بما كانوا لا ينكرونه لأنهم كانوا معترفين بأن ما يدعونه من الشركاء لم ينبثوا شجرها، فكيف ما عداها، و أن مثل الشركاء في العجز عنها مثلهم في أنفسهم لا تباين و لا تمايز لتساوى أحوالهم و تقارب آماد قواهم، فقال ذات بهجه، و لم يقل ذوات لأنه لَمَّا كَانَتِ الْجُمُوعُ مَوْثِقَةً بِالْتَأْنِيثِ عَنِ الْجَمْعِ وَ مِثْلَهُ الْقُرُونُ الْأُولَى، وَ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سورة النمل، الآية: ٦٠] أَمْ فِيهِ لِتَحْوُلِ الْكَلَامِ، عَنِ حَالِ إِلَى أُخْرَى فَهِيَ أَمْ الْمُنْقَطِعَةُ لَا الْمَعَادِلَةَ، وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ هِيَ الْمَعَادِلَةُ وَ الْمَفْسَرَةُ بِأَيٍّ، وَ فِي كُلِّ مِنْهُمَا تَبْكِيتٌ شَدِيدٌ وَ تَعْنِيفٌ بَلِيغٌ وَ إِنْ اخْتَلَفَ طَرِيقَاهُمَا لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ [سورة النمل، الآية: ٦٠] مَمْتَرَجٌ بِوَعِيدٍ وَ تَعْجِيبٍ. وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: اللَّهُ خَيْرٌ [سورة النمل، الآية: ٥٩] مَمْتَرَجٌ بِتَسْخِيرٍ وَ لَوْ قِيلَ إِلَيْهَا بِإِضْمَارِ فَعَلٍ جَازٍ. وَ مِثْلُهُ:

أَعْبَادًا حَلَّ فِي شَعْبِي غَرِيبًا لَوْ مَا لَا أَبَا لَكَ وَ اغْتَرَابًا

وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ [سورة النمل، الآية: ٦٠] حَكْمٌ بِأَنَّ الْكَلِمَةَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ لِعِبَادَتِهِمْ أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَابِعٌ بَيْنَ الْبَرَاهِينِ الشَّاطِعَةِ وَ الْإِلْزَامَاتِ الدَّامِغَةِ، فَأَخَذَ يَسْأَلُهُمْ عَنِ

الأرض و مصيرها قرارا للخلق و ما فى خلالها من الأنهار، و ما ثبت بها من الجبال، و عن البحرين و الحاجز بينهما، و عن إجابته المضطر، و إغاثته الملهوف من يقيمها فيقول: من أنشأها و جعلها كذلك تكزّر التفرّيع، و مثل هذا من القول مع المصر الجاحد أبلغ من كل وعيد، و أوعظ من كلّ نكير. قوله تعالى: قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ [سوره النمل، الآية: ٦٢] يجرى مجرى الالتفات فى كلام البلغاء لأنه تعالى بعد تعداد آلائه عليهم و على جميع الخلق معهم، و بعد إظهار الآيات البينه و ذهابهم عن المناهج المستقيمه و أنّهم لا يرجون بالنذر و لا يراعون للعبر.

قال: بلغت المقال فى نكوصهم إليهم و يقبح فيما يؤثرونه من صوابهم لديهم: قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، و هو لا يثبت بالقليل شيئا و إنما هو نفى خالص فكأنه قال: لا تذكرون شيئا، و يجوز أن يكون انتصاب قليلا على الظرف و على أن يكون صفة لمصدر محذوف قوله تعالى: أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ [سوره النمل، الآية: ٦٣] يريد من يسيّركم و يرشدكم إلى القصد و السمّت فى تلك الحال، وَ مَنْ يُزِيلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ [سوره النمل، الآية: ٦٣] أى أمام الغيث ناشره، أو مبشره، فقد قرئ نشرا بالنون، و بشرا بالباء، و معنى النّشر ضد الطى أى تفتح الأرض، و تعرج أطباقها للمطر و الثبات كما قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ [سوره الحجر، الآية: ٢٢]، و ختم الكلام بإعادته التّبكيث لأنّ هذه المسائل لا أجوبه لها تعالى الله عما يشركون، ثم قال تعالى: أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [سوره النمل، الآية: ٦٤] جعل الخطاب فى هذا الفصل، و فى فصلين قبله و هما: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ [سوره النمل، الآية: ٦٢] و أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ بلفظ المستقبل بعد أن ساق فى أول الفصول الكلام على بناء الماضى فقال: أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سوره النمل، الآية: ٦٠] و أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا [سوره النمل، الآية: ٦١] لأنّ بعض أفعاله لعدم و حصل محصل المستكمل المفروغ منه، و فعل ما يساء فى خلقه حالا بعد حال، فهو كالمّتصل الدائم لذلك خالف الآخر الأول، و قال بعد المسائل التى ربّتها معجزاتها: قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ [سوره النمل، الآية: ٦٤] على مقالتم، و استأنف تعليم النّبي صلى الله عليه و سلم بما يورده عليهم فى إنكارهم البعث و استعجالهم من النّشور بعد الموت لما قالوا: أِذَا كُنَّا تُرَابًا [سوره النمل، الآية: ٦٧] وَ آبَاؤُنَا أِإِنَّا لَمُخْرَجُونَ [سوره النمل، الآية: ٦٧] لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [سوره النمل، الآية: ٦٨] فقال تعالى: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ [سوره النمل، الآية: ٦٥] فما غاب عنكم كيف تحكّمون عليه بالبطلان و الامتناع، و قد استوى المخلوقون فى استبهاهم أمر الساعه عليهم فلا يشعرون متى يبعثون أ لا تسمع قوله تعالى: يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتِهَا إِلاَّ هُوَ [سوره الأعراف، الآية: ١٨٧] و إذا

كان القيامه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه لما تعلق بخفائه من مصالح المكلفين، فالمتكلم فيه آمن الكفار واقف من مطلوبه موقف الخزى و الخيبه، و الزاجع من مرتاد القيامه يفوت السلامه.

قوله تعالى: بل أدرك علمهم فى الآخرة استهزاء بهم جعل علمهم كالثمر المنتظر ينعه و تكامله، فإذا تم بلوغه قيل أدرك، و قرئ بل إدراك علمهم، و المعنى تدارك، و هو أبلغ فى المعنى لأن تفاعل بناء لما يحصل شيئاً بعد شىء على هذا قولهم: تداعى البناء و تلاحق القوم و ما أشبهه، ثم قال مرزياً بهم و مبطلا لظاهر ما أعطاهم: بل هم فى شك منها بل هم منها عمون [سوره النمل، الآية: ٦٦] فانظر كيف ارتجع منهم ما بذله و على أى ترتيب رتبته لأنه قال: بل أدرك علمهم بلسان التهكم و الهزاء، ثم حطهم عن تلك الرتبة فقال: بل هم فى شك منها فضعف علمهم و إدراكهم بالشبهه العارضه لهم إذ كان الشك لا يحصل إلا لعارض شبهه، ثم قال: يجهلهم و يردهم إلى أسوأ منازل الباحث، فقال: بل هم منها عمون، و قال بعض أصحاب المعانى: بلغنى عن ابن عباس أنه قرأ: بلى إدراك يستفهم، و يشدد الدال، و هو وجه جيد لأنه أشبهه بالاستهزاء بأهل الجحد كقولك للرجل بكذبه و العمى المذكور وإنما هو من الرى دون البصر، و هذا بين و الحمد لله.

و منه قوله تعالى: الله نور السموات و الأرض [سوره النور، الآية: ٣٥] إلى و الله بكل شئ عليم [سوره النور، الآية: ٣٥] أراد بقوله تعالى: الله نور السموات و الأرض أن الآيات الباهره الداله عليه و على أنه لا نظير له و لا شبيهه، و أن العباده لا تحق إلا له مبينه مضيقه لعذر من شبهه بخلقه ظاهره ظهور المصباح لذى وصفه فى المشكاه التى بين أمرها إذا كان الله تعالى خالق الظلم و الأنوار، ثم جعل المصباح فى زجاجه صافيه تشرق إشراق الكوكب المضىء الوقاد، و قد استصبح ذلك السراج بزيت من شجره زيتون قد بورك فيها ثابته على خط استواء لا شرقيه، فيكون خطها منها العشيات فقط بل تستوفى قسطها مما ينمىها و يرببها كل وقت حتى إن عصيرها إذا اعتصر يقرب من أن يشرق و إن لم تمسه نار، ثم قال: نور على نور [سوره النور، الآية: ٣٥] يعنى نور المصباح، و نور الزجاجه، و نور الزيت يدل على أن أسبابه متعاونه فى الإضاءة فكل موادها نور مفرد لو اكتفى به فى الإشراق لأغنى عن غيره، فيقول: إن هذه الأنوار المجتمعه المترادفه مثل آيات الله فى وضوحها، و الدلاله على وحدانيته، فلا شبهه تعرض لناظر و لا مريه يتسلط على خاطر فكل من ضل عما دعى إليه فإنما أتى من قبل نفسه و سوء تأنيه، أو من هو يجذبها إلى الضلال فيرديه. فإن قيل: هل تعرف فى نظوم كلامهم مثل هذا التركيب، و التلفيق؟ أو هل تعرف فى الأمثال المضروبه لتأكيد القصص و الأخبار ما أسس هذا التأسيس؟

قلت: هم يقولون مثل هذا إذا قصدوا التنبية على تنهى الشىء و بلوغه أقصى مأخذه حتى يستغرق أكثر أوصافه على ذلك قول الأعشى، و هو يهول أمره و يعظمه فيما قاساه فى الغزل حتى بلى فيه بما لا مزيد على شأنه فقال:

علقتها عرضاً و علقت رجلاً غيرى و علق أخرى غيرها الرجل

و علقتة فتاه ما يخاف لها من قومها ميت يهدى بها و هل

و علقتنى فتاه ما تلا يمنى فاجتمع الحبّ حبا كله تبل

فكلنا هائم يهدى بصاحبه قآب و دان مخبول و مختبل

فهذا من الباب الذى نحن فيه، و قد فعل الله مثل ذلك فيما ضربه من المثل للكفر و الضلال فقال تعالى: **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ آيَةٍ، فَمَا ضَرَبَ لِلْهُدَى الْمَثَلُ بِالنُّورِ عَلَى ذَلِكَ الْحَدِّ مِنَ التَّأْكِيدِ ضَرْبٌ لِلْكَفْرِ مِثْلَهُ وَ عَلَى حَدِّهِ.**

فأما قوله: **يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** [سوره النور، الآية: ٣٥] فإنه يحتمل وجهين:

(أحدهما) أن يكون مثل قوله تعالى: **أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صِدْرَهُ لِلْبِإْسَامِ** [سوره الزمر، الآية: ٢٢] و قوَى بصيرته و نور منهاجه و قصده، و يجوز أن يريد بالنور الذى يهديه له ما يفعل الله بالمؤمنين من إرشادهم إلى طريق الجنة، كما قال فى صفتهم: **نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيْمَانِهِمْ** [سوره التحريم، الآية: ٨]، و مثل قوله تعالى: **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ**، قوله تعالى فى صفه النبى صلى الله عليه و سلم: **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا*** [سوره الفتح، الآية: ٨] الآية، و هذا واضح بين.

قوله تعالى: **وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ إِلَىٰ شِهَابًا رَّصِيدًا** [سوره الجن، الآية: ٨] يقال لمس و التمس بمعنى طلب و حمل عليهما المس أيضا، فالحجه فى الأول قوله الام على تبكيه فلا- أجده يكشف ذلك قوله: فلا أجده، و فعل، و افتعل يتصاحبان كثيرا، و أما المس و خروجه إلى معنى اللمس فقد استشهد له بقوله:

مسسنا من الآباء شيئا و كلنا إلى حسب فى قومه غير واضح

فقيل المعنى طلبنا فى نسب آبائنا هل فيه ما يقتضى ما أنكرناه من أخلاقهم لأنّ المس بالجرحه لا- يتأتى فى الأنساب، و الأحساب، ثم حمل قوله تعالى: **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** [سوره الواقعة، الآية: ٧٩]، و قيل معناه لا يطلب النظر فى أدله الله المنصوبه فى كتابه العزيز للاقتباس من آدابه و حكمه، و الاعتبار بأمثاله، و حججه إلا المطهرون من دنس الشرك و دغل الكفر، و يكون على هذا التأويل الكلام خيرا.

وقيل فيه أيضا: إنَّ المس هو التناول باليد، ويكون على هذا اللفظ لفظ الخبر، والمعنى معنى التَّهْي كَأَنَّهُ نَهَى الْحَائِضَ وَالْجَنبَ، و من جرى مجراهما من تناول المصاحف تنزيها لها، و تعظيما لشأنها، و الوجهان قريبان، فأما الآية فهي إخبار عن الجن المسترقه للسمع و أنهم كانوا قبل الإسلام يقعدون من السِّمَاءِ مقاعد تقرب الاستماع إلى الملائكة و تسهله في السِّمَاءِ الدُّنْيَا، فكانوا يلتقطون من تجاورهم و تذاكرهم بما يوحى إليهم امتحانا لهم ما يلقونه على ألسن الكهنة حتى يتصوروا للناس بصورة من يعلم الغيب، فيؤمنوا بهم و ذلك من الإضلال، و فساد الأدله ما لا خفاء فيه، فقالوا: قد كان هذا فلما بعث النبي صلى الله عليه و سلم منعنا من ذلك بما أرصد لنا من ثواقب النجوم.

و قد اعتقد قوم أن انقضا الكواكب ظهر في الإسلام لأنها جعلت رجوما للشياطين فيه، و قد جاء في الشعر القديم تشبيه المسرع من الخيل و غيرها بمنقض الكواكب، فالأقرب في هذا أنه كثر في الإسلام، و من قبل كان يتفق نادرا، أو يكون جعلها رجوما إسلاميا و فيما تقدم من الزمان لم يكن لذلك من الشأن فإنه تعالى قال: وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ [سورة الملك، الآية: ٥] و قوله تعالى لا يبدل و لا يدخل التسمح بل هو الوحي المحقق و الخبر المصدق.

فإن قيل: من أين لك أن الملائكة كان يرد عليهم الوحي فيتدارسونه بينهم و يجاذبونه حتى توصلت الشياطين منه إلى الاستماع. قلت: يدل على مثل ذلك قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا [سورة البقرة، الآية: ٣٠] الآية، فتبين أنه قدم إلى الملائكة خبر ما أراده من آدم عليه السلام و ما كان من ذريته في الأرض امتحانا لهم. قوله تعالى: فَوَجَدْنَا مُلْأَةً حَرَسًا [سورة الجن، الآية: ٨] يعني الملائكة فدعاهم حرسا لما كان منهم من منع الشياطين من السمع. و الحرس جمع حارس، و مثله غائب، و غيب. و الشهب جمع شهاب، و هو النار و لو لا فعل الله تعالى ذلك لكان الوحي إلى النبي يتخلله الفساد، بما يكون من الجن فله الحمد و الشكر على نعمه في كل حال و سيجي ء من الكلام من بعد فيه ما تزداد به هذه الجملة انشراحا إن شاء الله تعالى.

و منه قوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ [سورة التوبة، الآية: ٣٦] الآية، بته الله تعالى على عدد الشهور العربية، و هي التي تسمى شهور القمر. و ميزان السنة اثنا عشر شهرا لأن القمر يجتمع مع الشمس في مدة هذه الأيام اثنتي عشرة مره، ألا ترى قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً، وَ الْقَمَرَ نُورًا وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ [سورة يونس، الآية: ٥] و كذلك فعلت الفرس بقسمه أيام السنة باثني عشر قسما، و جعلوا أيام كل شهر ثلاثين يوما، و زادوا في آخر (ماه ابان) خمسه أيام سموها اللواحق، و المسرقة،

و سموها الكبيسه و إنما زادوا ذلك لستم سنه الشمس.

و كذلك زادت الزوم فى أيام شهرهم و نقصت، و كبست ليكون أيام سنتهم موافقه لأيام سنه الشمس، و هى ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع يوم، و ذكر بعضهم أن العرب كانت تعمل الكبيسه أيضا لثلاثه تنغير أحوال فصول سنتهم، و كان شتاؤهم أبدا فى جمادى الأولى، و جمادى الآخرة، و يجمد الماء فى هذين الشهرين و لذلك سموهما بهذا الاسم، و يكون صيفهم فى شهر رمضان، و شوال، و سموا رمضان بهذا الاسم لشده الحر فيه، و وجدوا أيام السنه القمرية ثلاث مائه و أربعة و خمسين يوما، و تنقص عن أيام السنه الشمسية نحو أحد عشر يوما، و أحبوا أن تكون فصول سنتهم على حال واحده لا تتغير، و كانوا يكسبون فى كل ثلاث سنين شهرا، و يجعلون سنتهم ثلاثه عشر شهرا و يسمونها النسى إلى أن بعث محمد صلى الله عليه و سلم، و أنزل الله تعالى هذه الآية: **إِنَّمَا النَّسِيءُ** [سوره التوبه، الآية: ٣٧] الآية فلم يكبس بعد ذلك، فصار شهر رمضان يتقدم فى كل سنه نحو أحد عشر يوما، و يدور على جميع فصول السنه فى نحو ثلاثين سنه، و لا يلزم نظاما واحدا، و هذا الذى حكاه هذا الإنسان يطله ما ذكره الله تعالى، و رواه نقله الأخبار، و سأبينه من بعد.

ف قوله تعالى: **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ** [سوره التوبه، الآية: ٣٦] فالكتاب هاهنا هو الحكم و الإيجاب أ لا- ترى قوله تعالى: **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ** * [سوره البقره، الآية: ٢١٦] و **كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** [سوره الأنعام، الآية: ١٢]، و المعنى إن الواجب عند الله أن عدد الشهور على منازل القمر و أن أعياد المسلمين و حجهم و صلواتهم فى أعيادهم و غير ذلك تدور و أنه أجزاها على هذا المنهاج: **يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**، [سوره التوبه، الآية: ٣٦] ثم قال تعالى: **مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ** يريد من الأشهر، أى جعل لها حرمة كما جعل البلد الحرام، و البيت الحرام ذلك الدين القيم [سوره التوبه، الآية: ٣٦] يريد دين الإسلام قوله تعالى: **فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ** [سوره التوبه، الآية: ٣٦] أى لا تدعوا مقاتله عدوكم إذا قاتلوكم فى هذه الأشهر، فتكونوا معينين على أنفسكم و ظالمين لها بكشف هذا قوله تعالى: **يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** [سوره البقره، الآية: ٢١٧]، و المعنى عن قتال فى الشهر قتل قتال فيه كبير [سوره البقره، الآية: ٢١٧] و قد تم جواب السؤال لكن الله تعالى زاد فى الكلام ما انشرح به القصة و أتى من وراء القصة، فقال: **وَصَدُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِيْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ** عِنْدَ اللَّهِ [سوره البقره، الآية: ٢١٧]، فقاتلوهم فإنكم معذورون، و معنى قوله تعالى:

كأفهم جميعا، و محيطين بهم و مجتمعين. و انتصابه على الحال، و مثل كاهه قولهم: قاموا معا لا يدخلها الألف و اللام، و كذلك قاموا جميعا، و قال الزجاج: اشتقت من كفه الشىء

و هي حرفه و كأنها مأخوذه من كف لأين الشىء إذا انتهى إلى ذلك كف عن الزيادة و لا- يثنى و لا يجمع لأنها مصدر فى الأصل كالعاقبه، و قم قائما، و كقولهم: العامه و الخاصه.

و من هذا قولهم: لقبته كفه كفه، و المعنى كفه ككفه، أو كفه إلى كفه، قوله تعالى:

وَ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [سوره التوبه، الآيه: ٣٦] ضمان منه يقال لنصره المؤمنين قوله تعالى: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ [سوره التوبه، الآيه: ٣٧] النساء، التأخير، و قال: نسا الله فى أجله، و منه النسىء فى تأخير الدين يقول: فالذى يفعله الكافرون فى تقديم الأشهر الحرم على أوقاتها التى جعلها الله لها و تأخيرها زياده فى كفر الكافرين، و استمرار فى ضلالهم و ذهاب عن الواجب عليهم و إنما كانوا يفعلون ذلك فيحلون الشهر من هذه الشهور فى بعض الأعوام و يحرمونه فى العام الآخر ليوافقوا بالتحليل تحريم الله تعالى فيحلوا الحرام و يحرموا الحلال.

قوله تعالى: زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ [سوره التوبه، الآيه: ٣٧] أى استحسنا من ذلك ما هو سيئ و أتى بلفظ الخبر، عن المفعول و لا فاعل، ثم و مثله قولهم: أعجب بنفسه، و عنى بكذا و هذا كان من عادتهم كما كانوا يفعلونه فى البحيره و السائبه، و الوصيله، و الحامى حتى أبطلها الله تعالى بما أنزل فيه: (و البحيره) كانت الناقه إذا انتجت خمسه أبطن، و كان آخرها ذكرا شققوا أذنها، و امتنعوا من ركوبها و نحرها، و لا تمنع عن ماء و كلاء و لا يركبها المعى إذا لقيها.

و السائبه: كان الرجل إذا نذر لقدم من سفر، أو برء من عله يقول: ناقتى سائبه، أو عبدى سائبه فلا يستعان بعد ذلك به و لا يحدث عما يريد.

و الوصيله: هى الغنم إذا وضعت أنثى كانت لهم و إن وضعت ذكرا جعل لآلهتهم، و إن ولدت ذكرا، و أنثى قالوا؛ وصلت أخاها فلم يذبوا الذكر لآلهتهم.

و الحامى: كانوا إذا نتجت من صلب الفحل عشره أبطن قالوا: حمى ظهره فلا يحملون عليه و لا يمنعونه من ماء و مرعى.

فصل فى بيان النسىء

فيما قاله الناس نقله الأخبار و المفسرون ذكروا أنه كان قوم من بنى كنانه يقال لهم بنو فقيم يتولون ذلك إذا اضطروا إليه عند اتفاق حرب عظيمه و داعيه خطب قويه يرى فى الواجب عليهم الاشتغال فى المحرم به، فكان فى ذى الحجه إذا اجتمعت العرب لموسمهم يقوم مناد فينادى: الآن استنسانا، و استفرضنا إلا أن المحرم صفر، و أن صفر هو المحرم

الأكبر، فكانوا يحلون في المحرم ما كان فيه من قتال و سفك دم و استباحه حريم، و يحرمون في صفر ما كان مباحا عندهم و في مذهبههم ليواطئوا العده، و يبلغوا فيما رأوه من الإراده، و المواطاه: الموافقه.

و حكى ثعلب أنّ الكنانى كان يقال له: نعيم بن ثعلبه، و كان رئيس الموسم فى الجاهليه فيقوم إذا أرادوا الصّيدر عن منى فيقول: أنا الذى لا أعاب و لا أخاب، و لا يرد لى قضاء فيقولون: صدقت انسينا شهرا، و يريدون أحرّ عنا حرمة المحرم، و اجعلها فى صفر فيفعله، و لهذا ذكره أبو عبيده معمر بن المثنى أنّ الأشهر الحرم كانت فى الجاهليه عشرون.

من ذى الحجه، ثم المحرم، ثم صفر، و شهر ربيع الأول، و عشر من شهر ربيع الآخر، و فى الإسلام هى ذى القعدة، و ذى الحجه، و المحرم، و رجب ثلاثه متناسقه، و واحد منفرد، و كانت العرب تعظم رجا، و تسميه منضل الأسنه، و منضل الآل لأنهم كانوا ينزعون الأسنه من الحراب و الرّماح توطينا للنّفوس على الكف عن المحظور فيه فى مذهبههم و يسمونه أيضا شهر الله الأصم لأنه كان لا يسمع فيه تداعى القبائل و لا قعقه السلاح.

قالوا: فلما قام الدّين لمحمد صلى الله عليه و سلم أنزل الله فى النسيء ما أنزل و لتأكيد الأمر فيه ذكره صلى الله عليه و سلم فى خطبه الوداع فقال: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السّماوات و الأرض السّينه اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثه متواليه ذى القعدة، و ذى الحجه، و المحرم، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان». ثم انتسب الناس بعد فراغه مما أراد تأكيدا للقول فيه فقال: فى أى يوم يخطب؟ و من أى شهر هو؟ حتى أجابوه فأشهد الله على ما فعل فقال: «ألا هل بلغت اللهم فاشهد».

فهذا الأمر النسيء، و معنى قوله عليه السلام: قد استدار كهيئته هو أنهم كانوا يحلون المحرم و يحرمون صفرا كما ذكرنا.

ثم كانوا يحتاجون فى سنه أخرى إلى تأخير صفر إلى الشّهر الذى بعده كحاجتهم فى المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع، ثم يمكنون بذلك دعه، ثم يحتاجون إلى مثله، ثم كذلك، و كان يتدافع شهرا شهرا حتى دار التّحريم على شهور السنه كلّها. و قد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه الله به و ذلك بعد دهر متناول، فكان النبى صلى الله عليه و سلم أراد رجعه الأشهر إلى مواضعها و بطل النسيء.

و روى عن مجاهد أنه قال: كانت العرب فى الجاهليه يحجّون عامين فى ذى القعدة، و عامين فى ذى الحجه، فلمّا كانت السّينه التى حج فيها أبو بكر رضى الله عنه كان الحج فى السنه الثانيه من ذى القعدة، و هى حجه قراءه براءه قرأها على كرم الله وجهه على الناس، ثم

حج النبي صلى الله عليه وسلم فلما كانت السنه التي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم عاد الحج إلى ذى الحجه، فذلك قوله: «إِنَّ الزَّمانَ قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض».

ثم قال لما فرغ من خطبته: «أَيُّ يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام، قال: «أَيُّ شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام. قال: «أَيُّ بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام، فقال: «ألا إِنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمه يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اللهم هل بلغت».

و مراد النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد ثبت الحج في ذى الحجه على ما كان عليه في أيام إبراهيم عليه السلام، فهذا أيضا طريقه، والأول أشبه وأشهر وجميع هذا، أو أكثره حكاه أبو عبيد القاسم بن سلام أيضا. وقيل: إنما قيل رجب مضر لأنها كانت تعظمه، و تحرمه، ولم يكن يستحلّه العرب إلّا حيان خثعم وطىء فإنهما كانا يستحلان الشهور، فكان الذين ينسئون الشهور أيام الموسم يقولون حرما عليكم القتال في هذه الشهور إلّا دماء المحلّين.

فصل في تأويل أخبار مرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرح حابه و بيان ما يحمد و يذم من معتقدات العرب في الأنواء و البوارح

و هذا الفصل لائق بما قدّمناه من التّزليل، فلذلك جعلناه من تمامه. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاث من أمر الجاهليه الطعن في الأنساب، و النّياحه، و الاستسقاء بالأنواء». فالاستسقاء بها منكر، كما قال صلى الله عليه وسلم إلّا أنّ العرب مختلفون فيما يراعونه من قسمه الأزمان و الفصول و الحكم على الأحداث الواقعه في الأحوال و الشهور، و لهم في ذلك من صدق التأمل، و استمرار الإصابه ما ليس لسائر الأمم، يدل على ذلك أنّ كل ما حكموا به قديما عند طلوع هذا المنازل من تحت شعاع الشمس بالغدوات في ناحيه المشرق و سقوط نظائرها في المغرب من أحوال فصول السنه، و أوقات الحر، و البرد، و مجيء الأمطار و الرياح فإنّها تجرى على ما حكمت به إلى أن لا يتغير و لا يتبدل إلّا على طريق الشذوذ، و على وجه لا يحصل به الاعتداد و على ذلك فهم مختلفون.

فمنهم من اعتقد أن تلك الحوادث من أفعال الكواكب، و أنها هي المدبره لها و الآتيه بها حتى صارت كالعلل فيها و الأسباب؛ و أنّ للأزمنه تأثيرا في أهلها كما أنّ للأمكنه تأثيرا في أهلها و لذلك أخذ قرن عن قرن الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم، قالوا: فتصاريق الأزمان تؤثر في الخلق و الأخلاق و الصور و الألوان و المتاجر، و المكاسب و الهمم و المآرب و الدواعي و الطّباع و اللّسن؛ و البلاغات و الحكم و الآداب، فذمّ الله تعالى طرائقهم و نعى عليهم عقائدهم، و قال حاكيا عنهم: ما هي إلّا حياتنا الدُّنيا نُموتُ وَ نَحْيَا وَ ما يُهْلِكُنَا إلّا الدَّهْرُ [سوره الجاثيه، الآيه: ٢٤] الآيه، و هذا تجهيل من الله تعالى لهم، و ذكر بعضهم أنّ

الذى يدلّ على أنّ شأنهم كان تعظيم الرّجال و الاستسلام للمنشأ و الذّهاب مع العصبية و الهوى ما نجد من اعتقاد أكثر أهل البصرة و سوادهم لتقديم عثمان، و اعتقاد أهل الكوفة لتعظيم على، و من اعتقاد أكثر الشاميين لدين بنى أميه و حب بنى مروان حتى غلط قوم فزعموا أنّ هذا لا- يكون إلّا من قبل الطالع، أو من قبل التربة، كما تجد لأهل كل ماء و هواء نوعا من المنظره و الرّأى و الطّبيعه و اللّون و اللّغه، و النّشوء و البلده و لو كان ذلك كما ظنّوا لما حسن الأمر و النّهى و لا كان لإرسال الرّسل معنى، و لما جاز الثّواب و العقاب بلى لاستماله النّاس بالترغيب و التّرهيب و الاصطناع و التّقريب؛ و الذّهاب مع المألوف شأن عجيب.

و ذكر بعض المفسرين و هو عبد الله بن عباس فى قوله تعالى: وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ٨٢] أنه القول بالأنواء و قرأ على، و تجعلون شكركم أنكم تكذبون، فأما قوله تعالى: إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [سوره البقره، الآيه: ٧٨] فَإِنَّ لَلْأَلْفِ وَ الْعَادَةِ سُلْطَانًا عَلَى النَّفْسِ وَ الْقُلُوبِ قَوِيًّا وَ أَخْذًا بِالْبَصَائِرِ، وَ الْعِيُونَ عَزِيزًا. وَ كَانُوا إِذَا اسْتَهْجَنُوا مُسْتَكْرَمًا، وَ اسْتَقْبَحُوا مُسْتَحْسَنًا، وَ عَدَلُوا عَنِ مَأْلُوفٍ إِلَى مَتْرُوكٍ، وَ عَنِ مَعْمُولٍ إِلَى مَرْفُوضٍ وَ تَنَقَّلَتْ بِهِمُ الْأَحْوَالُ وَ تَبَدَّلَتْ لَهُمُ الْأَبْدَالُ طَلَبُوا الْمَعَاذِيرَ وَ الْعُلَلِ، وَ صَرَفُوا الْفِكْرَ فِى الْأَسْبَابِ وَ الدَّوَاعِىِّ مِنْ جَوَانِبِ الْإِلْفِ وَ الْعَادَةِ لَا مِنْ نَوَاحِى النَّظَرِ وَ التَّدْبِيرِ لَطَلَبِ الْإِصَابَةِ، فَضَرَبُوا بِأَنْ يَعْمَلُوا الظُّنُونَ، وَ الْأَوْهَامِ، وَ تَحَمَّلُوا تِلْكَ الْأَفَاعِيلَ عَلَى الْأَسْمَاءِ فَضَلَا عَنِ الدَّوَاتِ ثَقَهَ بِمَا يَشَاهِدُونَ وَ اغْتَرَارًا بِآرَائِهِمْ فِيمَا يَحْكُمُونَ لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» لِأَنَّهُ رَأَاهُمْ يَقُولُونَ لِذَلِكَ الْعِتْقَادِ الْفَاسِدِ: أَبَادَ بَنَى فَلَانَ الدَّهْرَ، وَ أَفْنَاهُمْ اللَّيَالَى كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ شَعْرًا:

يا دهر قد أكثرت فجعتنا إذابساتنا و قررت فى العظم

و سهلتنا ما لست تعقبنا به يا دهر ما أنصفت فى حكم

و كقول الآخر:

و إنّ أمير المؤمنين و فعله لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

و معنى قوله صلى الله عليه و سلم لا تسبوا الدهر أى لا تسبوا الذى يفعل هذه الأشياء فإنكم إذا سببتم فاعلها فإنما يقع السب على الله تعالى. و منهم من اعتقد أنّ تلك الحوادث من فعله تعالى لكنّه أجرى العاده بأن يفعلها عند طلوع تلك النّجوم، أو أفولها لأنّهم مختلفون فى ذلك أيضا كأنهم يعدّون تلك التّغيرات أوقاتا لها، و أمارات و سمّوها الأنواء باتّفاق منهم لأنّ النّوء يكون السّقوط و الطّلوغ، و هذا قريب فى الدّين و العقل لا إنكار فيه، و على هذا يحمل قول عمر للعبّاس حين استسقى: يا عمّ رسول الله كم بقى من نوء الثّريا. فإنّ العلماء بها يزعمون أنّها تعرض فى الأفق سبعا لأنّ هذا أمر عيان على مجار قائمه و مسير مركب، و قد جعل الله

يكون، و إن كان الله تعالى يأتي به إذا شاء لو لا ذلك ما عرفوا وقت حرث و لا بذر و لا ركوب بحر و لا بر، و لا انتظر حين لمجيء شئ و لا - لانصراف شئ، و لكانوا و من يعاملهم كذلك في أجهل الجهل فمما هو ظاهر في زوال المكروه عنه قولهم: إذا طلعت الشعري سفرا و لم يروا مطرا فلا تعدون أمره و لا أمرا، لأنهم وجدوا ذلك مستمرا في العاده و منه قول الشاعر شعرا:

إذا ما قارن القمر الثريا الخامسة فقد ذهب الشتاء

لأن مقارنة الثريا في الليلة الخامسة من مهله لا يكون أبدا إلّا في قبل الدجفاء و كقول الآخر شعرا:

إذا كبد النجم السماء بشقوه على حين هز (١) الكلب و الثلج خاسف

لأنه موافاته كبد السماء في أول الليل يكون في صباره الشتاء و مما يكون على العكس من هذا في موافقه المكروه قول الآخر شعرا:

هنأناهم حتى أعان عليهم عوافى السماك ذى السجال السواجم

قال أبو حنيفة الدينوري: هذا الشعر لجاهلي و اتبع أثره بعض الإسلاميين فقال:

هنأناهم حتى أعان عليهم من الدلو أو عوا السماك سجالها

قال و هنوء القوم أن يكفهم مئونه و قد يجيء من كلامهم ما يغمض، فيرد بالتأويل إلى كل واحد من الناس، و للقائلين بالأحكام في النجوم مضاهاه للقوم في إثباتهم السعد و النحس بمقتضيات الكواكب إلا من عصمه الله تعالى و لله الأمر و الحكم يفعل ما يشاء، و يحكم ما يريد لا رادّ لأمره، و لا مناص من قضائه.

و قد روى عنه صلى الله عليه و سلم: «من تعلم بابا من النجوم تعلم بابا من السحر و من زاد استزاد».

كما روى عنه صلى الله عليه و سلم في بعض خطبه أنه قال: «ما بال أقوام يقولون إن كسوف هذه الشمس، و خسوف هذا القمر و زوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال قد كذبوا». الزوال، و الزولان بمعنى و هذا يمكن حمله على قوله: إن من البيان لسحرا، فيكون الكلام مدحا لهذا العلم، و للمشتغلين به إذا تبرءوا من الحول و القوه و مما يدخلهم في الإشراك بالله و التسليم إلى الكواكب.

و قال ابن عباس لعكرمه مولاة اخرج فانظر كم مضى من الليل؟ فقال: إنى لا أبصر النجوم فقال له ابن عباس: نحن نتحدى بك فتیان العرب و أنت لا تعرف النجوم، و قال:

١- هزّ الكلب: صات دون نباح.

وددت أنى أعرف هفت، و دوازده يريد النجوم السبعة السيّاره، و البروج الاثنى عشر، و قال معاويه لدغفل بن حنظله العلامه و قد ضمه إلى يزيد علمه العربيه و الأنساب و النجوم: أ ترى هؤلاء حصوا على الضلاله، و رغبوا فى السّفاهه، فتأمل ما ذكرتّه فإنه واضح.

فإن قيل: إذا كان القول فى قضايا النجوم على ما ذكرتّه فما وجه قول إبراهيم عليه السلام مخاطبا لقومه و هم يعبدون الأصنام ليقرّبهم إلى الله زلفى: فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ [سوره الصافات، الآيه: ٨٧-٩٠] قلت: قد تكلم الناس فى هذا فقال بعضهم النجوم جمع نجم، و هو ما نجم من كلامهم لما سألوه أن يخرج معهم إلى عيدهم، و نظر نظره معناه تفكر ليدبر حجه فقال: إني سقيم يريد سقيم من كفرهم و إيمانهم بغيره، و هذا كما يقال أنا مريض القلب من كذا و إنما تخلف عنهم لما أضمر من كيد أصنامهم لأنّ حجه عليهم فى تعطيل عيدهم فلما غابت عيونهم جعلها جذاذا.

و سئل ابن الأعرابى عن معنى قوله تعالى: سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ [سوره الأنبياء، الآيه: ٦٠] معنى يذكرهم يعيهم و أنشد:

لا تذكرى فرسى و ما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجر

قال أبو إسحاق الزجاج: قال ذلك لقومه، و قد رأى نجما فقال: إني سقيم يوهمهم أنّ به الطاعون، فتولوا عنه مدبرين فرارا من أن يعذبهم الطاعون، و إنما قال: إني سقيم لأنّ كل أحد و إن كان معافى لا بدّ له من أن يسقم و يموت. قال تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [سوره الزمر، الآيه: ٣] أى أنك ستموت فيما تستقبل فكذلك إني سقيم أى سأسقم لا محاله.

و روى فى الحديث لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلا فى ثلاث و إنّ هذه الثلاث وقعت فيها معارضه. و ذلك قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا عَلَىٰ مَعْنَىٰ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ [سوره الأنبياء، الآيه: ٦٣] فقد فعله كبيرهم، و قوله فى ساره: هى أختى فى الإسلام. و قوله: إِنِّي سَقِيمٌ [سوره الصافات، الآيه: ٨٩] على ما فسرناه، و قال أبو مسلم: عطف بالفاء هذا الكلام على ما تقدم من أمره فى مخاطبه قومه بقوله: ما ذا تعبدون، قال: و نظره فى النجوم هو الذى أخبر الله تعالى به عنه إذ يقول الله: وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ [سوره الأنعام، الآيه: ٧٠] إلى و ما أنا من المشركين [سوره الأنعام، الآيه: ٧٩] فكانت نظره تلك للتبين.

فلما أراه الله الآيات فى نفسه، و فى الآفاق كما قال الله تعالى: سَتُنَبِّئُهُم بِآيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمُ الْآيَةَ، قال لقومه: أ إفكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ [سوره الصافات، الآيه: ٨٦] و ذلك حين قال: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سوره

الأنعام، الآية: ٧٩] الآية، و كان قوله: إِنِّي سَيِّئِمٌ قَبْلَ التَّبِينِ، و أراد بالسَّيِّئِمِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى يَقِينٍ وَ لَا شَفَاءَ مِنَ الْعِلْمِ وَ يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَ عَنْهُ وَ بَيَّنَّ لَهُ: شَفَانِي فَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ وَ الْيَقِينُ شَفَاءً صُلِحَ تَسْمِيهِ الْحَالِ الَّتِي قَبْلَ كُنْهِ الْبَيَانِ سَقَمًا.

وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْمٍ لَمْ يَكُونُوا عَلَى إِيمَانٍ مَحْضٍ: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ * [سورة البقرة، الآية: ١٠]، وَ هَذِهِ الْحَالُ الَّتِي انْتَسَبَ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّيِّئِمِ هِيَ الْحَالُ الَّتِي فِيهَا الْبُلُوغُ، وَ وَقُوعُ التَّكْلِيفِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَزُومُ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ، وَ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

فَتَوَلَّوْا فَاءَ عَطْفٍ أَيْضًا يَنْعَطِفُ بِهَا مَا هِيَ مَعَهُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ: أَلِفِكُمْ آيَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ عِبَادَةَ مَا يَعْبُدُونَ دُونَ اللَّهِ تَوَلَّوْا عَنْهُ مَدْبِرِينَ.

وَ زَعَمَ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَبَ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْهَا، وَ حَاشَ لِلرَّسُولِ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا أَنْ يَكْذِبَ، أَوْ يَأْتِيَ بِالْقَبَائِحِ، وَ الَّذِي تَوَجَّهَ التَّلَاوُحَ وَ شَهَادَةَ بَعْضِ الْقُرْآنِ لِبَعْضٍ، وَ يَحْسَنُ فِي أَوْصَافِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَ صِفَوْتِهِ مِنْ عِبَادِهِ هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَ تَلْخِصُ مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْذُ ابْتِدَاءِ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَيْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِأَنَّهُ وَافَقَ نُوحًا فِي الْإِيمَانِ وَ الْإِحْلَاصِ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ سَلِيمٍ الْقَلْبَ لثَلَاثِ شُرَكَائِهِ بِهَ شَيْئًا وَ أَنَّهُ نَظَرَ فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ النُّجُومِ فَاسْتَدَلَّ عَلَى خَالِقِهَا بِهَا وَ تَبَيَّنَ لَهُ بِالتَّأَمُّلِ لَهَا أَنَّ إِلَهًا وَ آلِهَةً وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَ خَالِقُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى مِثْلِ مَا أَرَادَ اللَّهُ، وَ هَدَاهُ لَهُ وَ زَرَى عَلَيْهِمْ، وَ عَابَ اخْتِيَارَهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ لَا تَسْمَعُ وَ لَا تَبْصُرُ وَ لَا تَعْنِي عَنْهُمْ وَ لَا عَنْ أَنْفُسِهَا شَيْئًا، فَتَوَلَّى الْقَوْمَ عَنْهُ مَدْبِرِينَ عِنْدَ ذِكْرِهِ رَبَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخِيدَهُ وَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا [سورة الإسراء، الآية: ٤٦] وَ قَالَ تَعَالَى: فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ [سورة المدثر، الآية: ٤٩] الآية. وَ قَالَ تَعَالَى: وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخِيدَهُ [سورة الزمر، الآية: ٤٥] الآية. وَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ النَّظَرِ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَاهُمْ يَعْتَمِدُونَ فِيمَا يَعْزَمُ لَهُمْ وَ يَحْدُثُ فِيمَا يَسْتَأْنِفُونَ مِنْ مَبَادِئِ الْأُمُورِ، وَ مَفَاتِحِهَا عَلَى النَّظَرِ فِي النُّجُومِ وَ أَحْكَامِهَا، فَاقْتَدَى بِهِمْ تَأْنِيسًا لَهُمْ وَ أَخَذَا بِعَادَتِهِمْ لَيْسَكُنُوا إِلَيْهِ بَعْضُ السُّكُونِ وَ إِنْ لَمْ يَرْكُنُوا كُلَّ الرَّكُونِ.

قَوْلِهِ: إِنِّي سَيِّئِمٌ، وَ إِنْ قَالَهُ مُتَأَوَّلًا، فَبِهِ اسْتِبْنَاءٌ، وَ رَجَاءٌ رَفَقَ مِنْهُمْ إِمَّا لَعَلَّهُ، وَ إِمَّا لِلتَّرْبِصِ بِهِ حَتَّى يَأْمَنُوا شَرَّهُ، وَ يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ: فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مَدْبِرِينَ [سورة الصافات، الآية: ٩٠] وَ هَذَا حَسَنٌ قَرِيبٌ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: قَوْلُهُ تَعَالَى: فَتَنَظَّرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ [سورة الصافات، الآية: ٨٨] يَعْنِي بِهِ مَا يَنْجَمُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ كَانَ يَقْلِبُ الْأَدْوِيَةَ مَتَخِيرًا مِنْهَا مَا يَقْرَبُ الشَّفَاءَ عِنْدَهُ، وَ قِيلَ

أيضا أراد نظر فيما كان ينزل عليه من نجوم الوحي كيف يتوصّل إلى ما يهمهم به في آلهتهم، وبما ذا ابتدئ و من أين مخلصه إذا أقدم ويكون قوله: إِنِّي سَيَقِيمُ اخْتِدَاعًا مِنْهُمْ وَإِنِّي إِذَا نَا مِنْهُ بِأَنَّهُ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ تَارِكٌ لِمَا كَانَ لَا يُؤْمِنُ مِنْ مَكَايِدِ، وَ هَذَا نَهَايَهُ مَا يُقَالُ. فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: فَارْأَيْتُمْ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ [سورة الصافات، الآية: ٩٣] يريد مال عليها بالضرب، كما تقول: التقى الفريقان فراغ أحدهما: أي عزل عن الحرب يقال دار فلان رائغه عن الطريق أي عدله، وقوله: باليمين قيل: بيده اليمنى، وقيل: هي يمين كان حلف بها، وهي قوله تعالى: تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ [سورة الأنبياء، الآية: ٥٧] وقيل بالقدره كما قال:

إذا ما رايه رفعت لمجد تلقاها عرابه باليمين

وقيل: راغ معناه أقبل مستخفيا كروغان الثعلب، وكذلك قوله: فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ أَي لَمْ يَرِدْ أَنْ يَشْعُرُوا بِهِ.

فصل آخر [في بيان معنى الرؤيه لله تعالى الوارده في القرآن]

و ذكر أبو علي الفارسي فيما سمعته منه أنّ قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر لا تضامون في رؤيته» [سورة الذاريات، الآية: ٢٦] أنّ هذا ليس من الرؤيه التي هي إدراك البصر بل هي بمعنى العلم و ساغ حذف المفعول الثاني الذي تقضيه تلك لأنّ الكلام قد طال ما هو بمعنى المفعول الثاني لو أظهر، أ لا ترى أنّ قوله: كما ترون القمر ليله البدر تأكيد، و تشديد للتيقن، و تبعيد من اعتراض الشبهه على العلم به تعالى، و إذا كان بمنزله ما بمنزله المفعول الثاني إذا جرى ذكره في الصيغلات نحو: علمت أنّ زيدا منطلق، و أحسب الناس أن يتركوا فلما سدّ ما جرى في الصلتين مسد المفعولين، و من قال: إنه يضم في الموصولين مفعولا ثانيا كان قياس قوله: أن يضم هنا مفعولا ثانيا كأنه ترونه متيقنا، و نحو ذلك و أن يقال: إنّ ما ذكر سدّ مسد المفعول الثاني أقيس.

أ لا ترى أنّ ما جرى في صله أن بعد لو في قولك: إنك لو جئتني قد سدّ مسدّ المفعول الذي يقع بعد لو حتى لم يظهر ذلك الفعل معه، و اختزل فكذلك المفعول مع الموصولين في هذا الباب، و مثل هذا قوله: أ عنده علم الغيب فهو يرى لأنّ القول في يرى أنها التي تتعدى إلى مفعولين لأنّ علم الغيب لا يوجب الحسن حتى إذا علمه أحسّ شيئا، و إنما المعنى عنده علم الغيب مثل ما يشهده لأنّ من حصل له علم الغيب يعلم ما يغيب كما يعلم ما يشاهد.

فإن قلت: فكيف حذف المفعولين جميعا؟ قيل: المعنى أ عنده علم الغيب، فهو يرى الغيب مثل المشاهد و المبتدأ و الخبر قبل دخول رأيت عليه كان الغيب فيهما مثل المشاهده، ثم حذفنا للدلاله عليهما و قد قال الأعشى:

فأثبت قيساً و لم أبله كما زعموا خير أهل اليمن

و قال الكميت: (ترى حُبهم عارا على و تحسب)، فالدلالة من الفحوى و المعنى فى الآيه على المفعولين المحذوفين كالدلالة عليهما فى البيتين لجرى ذكرهما فيهما و إنما ذكرنا ما قاله لغرابته.

فصل آخر فى جواب مسائل للمشبهه من الكتاب و السنه مما تستدل به المشبهه

أنهم قالوا قال الله تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [سوره غافر، الآيه: ٧] و قال: وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ [سوره الزمر، الآيه: ٧٥] ثم قال: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [سوره طه، الآيه: ٥] و قال: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ * [سوره يونس، الآيه: ٣] كما قال: وَ رَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ [سوره يونس، الآيه: ١٠٠] و لا- فصل بين الكلامين و قال أيضا: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ [سوره البقره، الآيه: ٢٥٥] و الكرسي و العرش بمعنى و مما جاء فى الخبر قول النبى صلى الله عليه و سلم حيث حكم فى بنى قريظه: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات» (و عنه) حين قال: «فأقوم على يمين العرش» و لا- يكون يمين إلا- لما له يسار، قالوا فقول الله: وَمَنْ حَوْلَهُ وَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ فيه دلالة على أن العرش مطاف يطاف به، و دوار يدار عليه و هذه المواضع و أشباهها عمدهم.

و الجواب عنها أن للعرش مواضع عدده فى كلام العرب منها الملك و العز و قوام أمر الرجل و ملاكه و يشهد له قولهم ثل عرش فلان إذا أزيل و حطت رتبته و منها سرير الملك و يشهد له قوله تعالى: وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ [سوره النمل، الآيه: ٢٣] و قوله: أ هكذا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ [سوره النمل، الآيه: ٤٢] و يجمع على العرشه و الاعراش. و منها سقف البيت و ما يستظل به و العرش كذلك، و منه قيل عرش المكرم فهو عرش و قالوا عرش السماك لكواكب أربعة تشبها به لأنه على صورته النعش. و منها طى البير بالخشب بعد ما يطوى موضع الماء منها بالحجاره، و يقولون عرّشوا بيركم و إذا ثبتت هذه الوجوه حقيقه و تشبها فى لفظه العرش، فالواجب حملها حيث جاءت على الأملق بالمعنى مع قرائنه و الأقرب فى الاستعمال و الأشبه فى قضيه السمع و العقل و هذا الذى ذكرناه هو الميزان عند طلب الرجحان حيث حصل الاشتراك فى الألفاظ و غيرها.

فأما الخبر المروى و هو: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات» فقله من فوق ظرف لقله حكم الله و متعلق به فهو كما يقال حكم الله العالى المكان الرفيع المحل

و القدر و أنت تصف الحكم و لا- يجوز أن يكون متعلقا بلفظه الله لأنه تعالى لا تحويه الأماكن و لا تحيط به الأقطار و الجوانب و المعنى بحكم يشبه حكم الله الذى محله و مكانه من الإصا به و الغلبه و العلو فوق سبع سماوات و قوله تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ [سوره غافر، الآيه: ٧] و منهم من يطوف به و كلهم يسبح لله بالحمد له و الاعتراف بنعمه و الإيمان بجميع ما تعبد الله به خلقه و يستغفرون لمن فى الأرض إلى الشفاعة التى قال الله تعالى ما حالهم و لا يشفعون إلا لمن ارتضى و قوله تعالى: وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ [سوره الحاقه، الآيه: ١٧] يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [سوره الحاقه، الآيه: ١٨] يريد أن جميع من خلق الله من البشر فى ذلك اليوم يعرضون بأعمالهم و أقوالهم، و كل ما أعلنوه و أسرّوه أيام حياتهم فيحاسبون عليه، و ذلك كما يستعرض السلطان جنده بأسلحتهم و دوابهم و آلاتهم، فأما العدد المذكور فهو مما استأثر الله به و مثله مما رأى الله تعالى إيهام الأمر فيه و الكف عن بيانه كثير، و ذلك لتعلق المصلحه بأن يكون حازما و سائر ما سألوا عنه إذا أجملناه.

فإننا نقول فى جوابهم الشامل لمقالهم المسقط لكلامهم لما أن كان أسفل الأشياء الثرى و كان أعلى الأشياء السماء السابعة ثم الكرسي ثم العرش فكان الله تعالى قد جعل للأعلى فى القلوب من التعظيم و القدر و الشرف ما لم يجعل للأسفل، كما عظم بعض الشهور و بعض الأيام و بعض الليالى و بعض الساعات، و بعض البقاع و بعض المحال، و كان قد جعل للعرش ما لم يجعل للكرسي و جعل للكرسي ما لم يجعل للسماء السابعة ذكر العرش و الكرسي و السماء بما لم يذكر به شيئا من سائر خلقه فذكر مره العرش و الكرسي و السماء فى جملة الخلق، و أنه عال على جميعها بالسلطان و القدره و القوه حيث قال تعالى:

أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [سوره البقره، الآيه: ١٠٦] و حيث قال تعالى: وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا [سوره الكهف، الآيه: ٤٥] و قد يقول الرجل فلان شديد الإشراف على عماله و ليس يذهب إلى اشراف بدنه و رأسه، قد خبر الله أنه على كل شىء قدير و مقتدر و حافظ و ظاهر، و قد قال: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سوره الحديد، الآيه: ٣] و العرش شىء هو عال عليه بالقدره، و الظاهر عليه بالسلطان و إنما خصه بالذكر إذ كان مخصوصا عندنا بالتباهه و أنه فوق جميع الخلق فذكر مره فى الجملة و مره بالإبانه قال تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [سوره البقره، الآيه: ٢٥٥] فخير أنه عال عليه و حافظ له و مانع له من الزوال و قوله كُرْسِيُّهُ كقوله بيته و لو كان متى ذكر أن له كرسيه و عرشا فقد أوجب الجلوس عليهما كان متى ذكر بيته فقد أوجب أنه ينزله و يسكنه و ليس بين بيته و عرشه و كرسيه و سمائه فرق، و لو كنا إذا قلنا: سماؤه فقد جعلناه فيها كنا إذا قلنا أرضه فقد جعلناه فيها قال تعالى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ

وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ [سورة البقرة، الآية: ٩٨] فأدخلهما في جملة الملائكة ثم أبانهما إذ كانا باثنين من سائر الملائكة، وكذلك سبيل القول في العرش والكرسى والسماء والأرض والحوت، والثرى، لأن الكرسى إذا كان مثل السماوات والأرض والعرش أعظم منه فمتى ذكر أنه عال على العرش وظاهر عليه فقد خبر أنه على كل شىء قدير، وقد يكون العلو بالقدره والاعتلاء، فمره يذكر العرش، و مره يذكر الكرسى دون العرش، و مره يذكر السماء دون الكرسى و مره يقول: وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ [سورة الأنعام، الآية: ٣] بعد أن قال: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ وَ تَرَكَ ذَكَرَ الْأَرْضَ فَلَوْ كَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّمَاءَ دُونَ الْأَرْضِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ كَانَ فِي ذَكَرَهُ أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ وَقَدْ قَالَ: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ [سورة الملك، الآية: ١٧] و مره يذكر معاذم الأمور، و جلائل الخلق، و كبار الأجسام و أعالي الأجرام، و مره كل شخص كيف كان و حيث ما كان كقوله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ [سورة المجادلة، الآية: ٧] الآية. و قد قال أيضا على هذا المعنى: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَقَالَ: نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ [سورة الواقعة، الآية: ٨٥].

فإن زعم القوم أنه إنما ذهب إلى معنى القدره و العلم لأن قربه منهم كقربه من العرش قلنا: فقد صرتم إلى المجازات و تركتم قطع الشهاده على ما عليه ظاهر الكلام، فكيف نعيتم ذلك علينا، حين زعمنا أن تأويل قوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [سورة طه، الآية: ٥] ليس على كون الملك على سريره بل هو على معنى العلو و القدره و الحفظ و الإحاطه و الظهور بالسلطان و القوه و هذا بين و الحمد لله.

فإن قالوا: ما تأويل استوى؟ و ما فائده على؟ قلنا: قد زعم أصحاب التفسير عن ابن عباس و هو صاحب التأويل و الناس عليه عيال، أن تأويل قوله: استوى استولى، و قد قال تعالى لنوح: فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ [سورة المؤمنون، الآية: ٢٨] و لم يرد الله تعالى أنهم كانوا مائلين فاعتدلوا، و إنما معناه فإذا صرتم في السفينه فقل: كذا و كذا، و قد يقول الرجل: قلت كذا و كذا ثم استويت على ظهر الدابة بعد أن لم أكن عليها فقلت كذا و قال تعالى: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا [سورة يوسف، الآية: ٢٢] و إنما يريد: فلما انتهى و بلغ جعلناه حكيما، و كما يقال للغلام المقدود: هذا غلام مستوفٍ فإن قالوا: قد عرفنا هذه الوجوه و لكن ما معنى قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ [سورة فصلت، الآية: ١١] قلنا معناه: ثم عمد إلى السماء فخلقها كما قال ابن مقبل شعرا:

أقول و قد قطعنا بنا شرورى عوامد و استوين من الضجوع

أى خرجن، و قال الآخر:

استوت العير إلى مروان مسير شهر قبله شهران

و لفظه على تختلف مواقعها، فمنها قوله تعالى: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ [سورة الغاشية، الآية: ٢٥] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [سورة الغاشية، الآية: ٢٦] و قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ [سورة القيامة، الآية: ١٧] فإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [سورة القيامة، الآية: ١٨-١٩] و قوله تعالى: وَ عَلَى اللَّهِ قَضُ السَّبِيلِ وَ مِنْهَا جَائِزٌ وَ الْمَرَادُ فِي الْجَمِيعِ اللَّزُومِ وَ الْوَجُوبِ وَ مِنْهَا قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ شِعْرًا:

و لو أنى ملكت يدي و نفسى لكان على للقدر الخيار

و إنما قال هذا حين ندم على تطليق امرأته نوار و أوله:

ندمت ندامه الكسعي لَمَا غَدَت مَنِّي مَطْلَقَهُ نَوَارِ

و المعنى لو ملكت أمرى فكان على أن أختار للقدر، و لم يكن على القدر أن يختار لي، و منها قوله تعالى: فَإِذَا اسْتَيْوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْمِكِ [سورة المؤمنون، الآية: ٢٨] و قوله تعالى: وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ [سورة هود، الآية: ٧] و هذا كما أن السَّمَاوَاتِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، و يجوز أن يكون عليه على جهه الالتراق. و منها قوله تعالى:

وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٣] و هذا من قولهم: على فلان نذر، و عليه حتم و عليه يمين. و منها قوله:

سلام الله يا مطر عليها و ليس عليك يا مطر السلام

و منها قول الآخر شعرا:

و لا الحي على الحدثان قومي على الحدثان ما تبني السقوف

يقول: لا ألوم قومي أن يحنوا على و أن يحدثوا الأحداث. فعلى احتمال ذلك بنى بيت السؤدد. و منها قوله تعالى: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا [سورة البقرة، الآية: ٢٥٩] فمعنى مر على قريه مر بجنابتها، و لم يرد أنه مر فوقها، و قوله: هي خاويه على عروشها: يريد و هي خاليه على عروشها أى هي على ما بها من السقوف خاليه كما يقال: زيد على كثره محاسنه متواضع. و قال بعضهم: أراد بقيت حيطانها لا سقوف لها و ما قلناه أشبه. و قال أبو عبيده، هي الخيام و بيوت الأعراب، و منها قولهم: عليك الجاده و الطريق الأعظم فى الإغراء بها و فى القرآن: عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا- يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [سورة المائدة، الآية: ١٠٥] هذا ما حضر من مواضع على.

فصل آخر و هو بيان قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [سوره الأنعام، الآية: ١٢٤]

و بيان قول القائل: الله أعلم بنفسه من خلقه و الفصل بينهما.

أما قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [سوره الأنعام، الآية: ١٢٤] فلا- يجوز أن يكون انتصاب حيث على حد انتصابه إذا كان ظرفاً لأنّ علمه تعالى في جميع الأماكن على حدّ واحد لا يدخله التزايد و التناقص، و إذا لم يسقم حمل أفعال على زياده علم في مكان فيجب أن يحمل على انتصابه انتصاب المفعول به، و يكون العامل فيه فعلاً مضمراً يدلّ عليه قوله: (أعلم) و يحصل الاكتفاء بقوله: اللَّهُ أَعْلَمُ ثم أعلم يدل على يعلم مضمراً أو التقدير الله أعلم العالمين يعلم حيث يجعل رسالاته فيختار لأدائها من يصطفيه و مثل هذا قول الشماخ شعراً:

و جلاهما عن ذى الأراكه عامر أخو الحضرمي يرمى حيث تكوى التواجر

فقوله: حيث مفعول لأنه هو المرمى إذ لم يجر أن يكون المعنى يرمى شيئاً في ذلك المكان و هذا مثل قول الآخر:

أكروا حمى للحقيقه منهم و اضرب منا بالسيوف القوانسا

انتصب القوانس بفعل مضمراً دلّ عليه قوله و اضرب منا.

و أما قول القائل: الله أعلم بنفسه من خلقه حتى قيل: لم يزل معلوماً لنفسه فاعلم أنّ هذا الكلام له منصرفات بعضها يجوز و يحسن في وصفه تعالى، و بعضها يمتنع، فإن أردت بقولك نفسه صفه لأنه به حسن، و جاز و يكون هذا كقوله في صفه قدرته و تدبيره و عظمته و إرادته و كرمه و رحمته: يَشِئُلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [سوره الرحمن، الآية: ٢٩] و كذلك إن أردت أنّ علم العبد قد يعترض فيه الشكّ و يتسلط عليه النسيان و يعتريه الآفات كالغشى و النوم و الموت فتعطله و علم الله يدوم و يثبت على حد واحد كان صواباً و قائماً و صحيحاً (و إن أردت أنّ علمه بذاته متكامل فهو يسعها و علم خلقه بها متناقص فيعزّ عن الإحاطه بها كان غير لائق به و ممتنعاً من تجويزه فيه، و كذلك إن أجريت مجرى قول القائل إنّ جبرائيل أعلم بالله من الإنسان، تريد أنّ علمه أعلق به و ألزم له كما يزداد حباً على حبّ، و يكون تعين أثبت من تعين امتنع أيضاً و ذكر النفس ليس يثبت به شيء غير الذات و كذلك الوجه في قوله تعالى: وَ يَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ [سوره الرحمن، الآية: ٢٧] و ليس ذلك على ما ينسب إلى المحدثين من الأعضاء و كذلك العين إذا قلت عين الشيء و يصح أن يقال:

الله أعلم بنفسه من خلقه و يراد أنه أذكر لوجوه قدره و صنوف ما تدل عليه الحكمة و العظمة

و لجميع صفاته العلى و أسمائه الحسنى فلا أمد لعلمه، و لا نهايه و لا مدد و لا غايه. و شاهد هذا قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ [سوره لقمان، الآيه: ٢٧] الآيه، و هذا لأنَّ العبد لا يكون ذاكرا من وجوه القدره و الحكمه كلَّها إلَّا ما علم منها و الله تعالى ذاكر لها كلَّها، و يكون هذا كما يقال فلان أعلم بالله من فلان، و يراد أنه قد عرف أنَّ الدنیا محدثه من وجوه عده، و أنَّ الآخر لا يعرف ذلك إلا من وجه واحد، و قد ظهر بما بيّناه الفصل بين ما يسأل عنه فى الموضوعين جميعا.

فصل فى تبين المحكم و المتشابه

من قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ وَ الْحِكْمَه فى إنزاله مقسما بين الوجهين المذكورين و الكلام فى المعارف و المعجز.

أعلم أنَّ الله تعالى لما ابتلى العقلاء بتكاليف الدين بعد إزاحه العلل و تسهيل السبيل و بعث الرسل رتب فى مراسمه مراتب، و جعل لكل مرتبه قدرا من الجزاء و المثوبه ترغيبا فى الاستكثار من طاعته، و حضا على التنافس فى أشرف المنازل لديه و من أجل تلك المراسم ما ندب إليه من تدبّر كتابه الحكيم الجامع للأوامر و النواهي و أصول الحلال و الحرام، و المندوب إليه و المباح، و قصص الأمم السالفه، و أخبار الأنبياء معهم، و المواعظ و الأمثال، و الحكم و الآيات و التذير و المثالات، و العبر و الامتنان بأنواع النعم، و الإخبار بالشىء، قبل كونه و التنبيه على مغيبات الأمور و سرائر القلوب من دونه، هذا و قد أنزله علما لنبئيه يتحدى زمان الفصاحه، و أوان التبليغ بالبلاغه جعل بعضه جليا واضحا و بعضه خفيا متشابها، ليعمل من تسمو نفسه إلى أعلى الدرجات فكره، فيمتاز فى العاجل بما يستنبطه و يثيره من جليل العلم و دقيقه عن غيره ممن لم يسع سعيه، و إن جاهد فى ربه و يجتاز فى الأجل عند الله من الزلفه و جزيل المثوبه ما يقرب من غايات الأنبياء و ذوى العزم و النصيحة فلولا حكمه الله فيما ذكرته لبطل التفاضل فيما هو أشرف و تدانت الأقدار فيما هو أفخم.

ألا ترى أنَّ الصبر فى أعمال القلب و أعمال الفكر و كد الروح لنتائج النظر ليس كالصبر فى إتعاب الجوارح و إنصاف الآراب و المفاصل، لذلك قال تعالى: وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [سوره العنكبوت، الآيه: ٦٩] فأما ما روى من أن لكل آيه ظهرا و بطنا و مطلعا فالمعنى لكلها لفظ و معنى، و مأتى أى طريق يؤتى منه فيتبين علمه من ذلك الطريق و قيل أيضا فيه: الظهر للإخبار عن مخالفه الأمم و هلاكها و البطن يكون تحذيرا أى لا تفعلوا فعلهم فتهلكوا هلاكهم.

و حكى عن النظام أنه قال القرآن كله أو بعضه جاء على كلام العامه فى أمثالهم إياك أعنى فاسمعى يا جاره. و قد ظهر وجه الحكمه بما بيّناه فى تنزيله بعض الكتاب محكما و بعضه متشابها فأما التنبيه على كل نوع منهما فإننا نقول و بالله التوفيق:

اعلم أنّ المحكم من الآى هو الذى لا- يحتمل إلا- معنى واحدا فيوافق ظاهره باطنه إذا تأوّل كأنه أحكم أمره و منع متدبره من تسليط الشبّهه عليه كما منع هو فى نفسه من أن يتورده الاحتمال، و أصل الأحكام المنع. و منه حكمه الدابه فإن قيل: إنّ الله تعالى قد وصف آيات القرآن كلّها بمثل هذه الصفه لأنه قال تعالى: الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [سوره هود، الآيه: ١] و إذا كان كذلك فالمتشابهه محكم أيضا و يؤدّى ظاهر الآيتين إلى تناقض قلت: إنّ قوله: أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ معناه أتقنت و أتى بها على حدّ من الوثاقه فى النّظم و الإصابه فى المواضيع لا- يتخلّلها اختلال، و هذا كما يقال للبناء الوثيق محكم. و قد قال الله تعالى فى موضع آخر: الر تَلْعَكُ آيَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [سوره يونس، الآيه: ١] فجعل الكتاب حكيما بما تضمّنه من الحكمه و إذا وضع ذلك فقد سلم ما قلناه و لم يحصل بحمد الله تناقض، و يشهد لما تأوّلنا عليه المحكم أنه جعل فى مقابله المتشابهه.

و جوّز بعض المتأولين أن يكون معنى أحكمت آياته أجملت من حيث جاء بعده، ثم فصّلت إذ كان الإجمال و التفصيل يتعاقبان، و هذا الذى قاله لا يعرف فى اللغه، و المتشابهه هو الذى دخل فى شبهه غيره فيعتوره تأويلات أو أكثر، و من شرطه أن يرد إلى المحكم فيقضى به عليه، لهذا قال تعالى فى صفه ثمر الجنه: وَ أُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا [سوره البقره، الآيه: ٢٥] فقيل المعنى يشبه بعضه بعضا فى الجوده و الحسن. و قال المفسرون: يشبه بعضه بعضا فى الصوره و مختلف الطعوم و قد وصف تعالى الكتاب كله بالمتشابهه كما وصفه بالحكيم، و كما وصف آيه بالإحكام فقال: كتابا متشابها و المعنى يصدّق بعضه بعضا فلا يختلف و لا يتناقض. و قل علىّ لابن عباس حين وجّه به إلى الشراه(١) قبل القتال لا تناظروهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه، و لكن ناظروهم بالسّنه فإنهم لا يكذبون عليها فقوله:

حمّال أى: يحمل عليه كل تأويل، و هذا يترجم عن معنى المتشابهه و مثال المحكم نحو قوله تعالى: اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [سوره النحل، الآيه: ١٢٥] و كقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبُغْيِ [سوره النحل، الآيه: ٩٠].

فأما وجوه المتشابهه فمختلفه، (منها) اتّفاق اللفظين مع تنافى المعنيين فى ظاهر آيتين كقوله تعالى: هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ [سوره فاطر، الآيه: ٣] فهذا محكم لفظه استفهام

١- قال فى القاموس: الشراه الخوارج، و الجبل و الطّريق و جبل بنجد لطيّ.

و معناه نفى، و المراد لا- منشىء إلا- الله. ثم قال تعالى فى موضع آخر: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [سوره المؤمنون، الآيه: ١٤] فقلنا الخلق فى كلامهم يكون الإنشاء و يكون التقدير يقال: خلقت الأديم إذا قدرته قال: و لأنت تعزى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يعزى، و الآيه الثانیة تقضى على المثبتة بأن الخلق يكون فيه التقدير لا غير لأن الذى يخلص لله تعالى من معنى الخلق فلا- يشارك فيه هو الإنشاء و مثله قوله تعالى: وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ [سوره محمد، الآيه: ١١] مع قوله تعالى: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ [سوره يونس، الآيه: ٣٠] لأنّ المولى فى اللغة يقع على السيد و العبد و المعتق و الولى و الناصر و ابن العم، فمعنى لا مولى لهم: لا ناصر، و لا ولى و معنى مولاهم الحق الإله و السيد الذى لا شك فيه يوم يكون الحكم و الأمر له و هذا بين. (و منها): التنافى بين المعنيين فى ظاهر آيتين و إن لم يكن عن اتفاق لفظين مثل قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ [سوره الزلزله، الآيه: ٦] مع قوله تعالى: وَ نَفِخْ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا [سوره الكهف، الآيه: ٩٩] و هاتان حالتان إحداهما حاله الورود و هى عند البعث و النشور، و الأخرى حاله الصّيدور و الانسياق إلى المعد من الثواب و العقاب، و هذا معنى ليروا أعمالهم فالمحكمه التى يرد إليها يصدر الناس أشتاتاً قوله تعالى: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ [سوره الروم، الآيه: ١٤] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضِهِ يُحْبَرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ [سوره الروم، الآيه: ١٥-١٦] و هذا واضح و مثله قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ [سوره النمل، الآيه: ٨٣] أى يدفعون و يستعجلون مع قوله تعالى: وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [سوره مريم، الآيه: ٩٥] و معنى فرداً لا- عدد معه و لا عضد و لا عدّه و لا ذخيره و المحكمه التى ترد إليه هذه قوله تعالى: وَ نَرِيهِ مَا يَقُولُ وَ يَأْتِينَا فَرْدًا [سوره مريم، الآيه: ٨٠] و إذا كان كذلك انتفى التشابه.

و منها استغلاق الآيه فى نفسها و بعدها باشتباهها عن وضوح المراد منها و من جعل وجه التشابه هذا و ما يجرى مجراه استدلال بقوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ [سوره آل عمران، الآيه: ٧] و جعل وجه الأحكام ظهور المعنى و تساوى السامعين فى إدراك فهمه و لذلك مثل كثير من أهل العلم المحكمات بالآي الثلاث التى فى آخر الأنعام و هى قوله تعالى:

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَالِيكُمْ [سوره الأنعام، الآيه: ١٥١] إِلَى ذَلِكَ وَ صَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [سوره الأنعام، الآيه: ١٥٣]، و المتشابهات بقوله تعالى: الم*، و الر*، و كهيعص، و طه و ما أشبهها. و منها ألا يعلم السبب الذى نزلت الآيه فيه على كنهه و حقه لاختلاف قديم يحصل فيه بين الرّواه، و ادعاء بعضهم النسخ فيه و لغرابه القصه و قلّه البلوى بمثلها و الصواب عندى فى مثل هذا أن يؤثر ما يكون لفظه الكتاب أشهد له و ادعى إليه،

و مثاله قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ [سوره المائده، الآية: ١٠٦] إِلَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمِعُوا [سوره التغابن، الآية: ١٦].

و منها أن يروى فى تفسير الآية عن طرق كثيره و عن رجال ثقات عند نقاد الآثار و رواتها، أخبار يختلف فى أنفسها و لا يتفق و لا- يستجاز مخرها أو يستبعد، ثم تجد إذا عرضتها على ظاهر الكتاب لا تلائم من أكثر جوانبها و لا توافقه و ذلك مثل قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا [سوره الأعراف، الآية: ١٨٩] إِلَى فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [سوره الأعراف، الآية: ١٩٠] و مثل قوله تعالى:

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [سوره الأعراف، الآية: ١٧٢] إِلَى أَفْتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [سوره الأعراف، الآية: ١٧٣] و الوجه فى الآيتين و أشباههما عندى أن يراعى لفظ الكتاب بعد الإيمان به و يبدل المجهود فى انتزاع ما يتفق فيه أكثر الرواه من جهة الأخبار المرويه و ما هو أشبه بالقصه، و أقرب فى التدين، ثم يفسر تفسيراً قصد لا يخرج فيه عن قصه الزوايه و اللفظ و لا يترك الاستسلام بينهما للجواز و الانقياد للاستبشار لما عرف من مصالحنا فيما يمنعنا علمه أو يقنعنا عليه ألا ترى قوله تعالى فيما استأثر بعلمه: يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [سوره الإسراء، الآية: ٨٥] و قوله: وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا [سوره الأعراف، الآية: ٨] بعد قوله تعالى: لَوْ أَحَ لَلْبَشَرِ [سوره المدثر، الآية: ٢٩] عَلَيْهَا تَشِيْعَهَ عَشْرَ [سوره المدثر، الآية: ٣٠] و مثل هذا الاستبشار ما فعل الله من الصِّرفه ببعقوب و بنيه حين انطوى عليهم خبر يوسف و كان بينه و بينهم من المسافه ما كان بينهم. و يشبهه الصِّرفه التى ذكرناها ما يفعل الله من سلب الانبساط من الكفَّار فيكون ذلك سبباً للتسلى فيما يتلون به من العقاب و ذلك قوله تعالى: وَ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ [سوره الزخرف، الآية: ٣٩].

و منها الالتباس حال التاريخ أو ما يجرى مجراه فى آيتين تتعارضان أو آيه و خبر فتختلف فى النَّاسخه منهما و القاضيه على الأخرى و ذلك كما روى عن مجاهد فى قوله تعالى: وَ أَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ [سوره المائده، الآية: ٤٩] و هو أمر بالحكم فنسخت ما قبلها و هو: فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ [سوره المائده، الآية: ٤٢] و هو تخير. و روى السدى عن عكرمه فى قوله تعالى: فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ [سوره المائده، الآية: ٤٢] قال نسختها: وَ أَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ [سوره المائده، الآية: ٤٩] و هذا قول أهل العراق و يرون النظر فى أحكامهم إذا اختصموا إلى قضاء المسلمين و الأئمه، و لما روى من رجم النبى صلى الله عليه و سلم اليهوديه و اليهود، و أما أهل الحجاز فلا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون

إلى أنهم قد صولحوا على شركهم و هو من أعظم الحدود التي يأبون و يتأولون في رجم النبي صلى الله عليه و سلم اليهوديين على أن ذلك كان قبل أن يؤخذ منهم الجزية و المقاره على شركهم و في هذا القدر بلاغ للمتأمل.

فأما الكلام في المعرفة بالله تعالى و وجوبها و بيان فساد قول القائلين بالإلهام فإننا نذكر طرفا منه و نقول: اختلف الناس في ذلك فزعم قوم أن المعرفة لا يجب على العاقل القادر و أنها تحدث بإلهام الله تعالى و كل من لم يلهمه الله المعرفة به فلا حجه عليه و لا يجب عليه و قالوا: إن الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكونوا كفارا و إنما قتلوا على سبيل المحنة، كما يقتل التائب و الطفل و لا يجب عليهم عقاب لأن الله تعالى لا يجوز أن يغضب و على من لم يرد إغضابه.

و قال الجاحظ: إن المعرفة غير واجبه و لكنّها تحدث بالطبع عند النظر، و قال: إن الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم كانوا عارفين بالله معاندين و احتج بقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ [سوره النمل، الآية: ١٤] و قال لا يأخذ الله الإنسان بما لم يعلم و لا- بما أخطأ فيه أ لا تراه يقول تعالى: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ [سوره البقره، الآية: ٢٢٥] و استدلوا على صحه مذهبهم بأن قالوا إن الاعتقاد لا يعلم أنه حسن أو قبيح حتى يعلم أنه علم أو ليس بعلم فإذا علم أنه علم فقد علم المعلوم لأن العلم بالعلم علما هو علم بالمعلوم فإذا علم المعلوم فقد استغنى عن اكتساب العلم به و إن كان لا يعلم أنه علم فإذا لا يجب على هذا الإنسان فعل ما لا يأمن أن يكون قبحا.

و قال أكثر أهل العلم إن المعرفة واجبه و هي من فعل الإنسان و إن أول المعرفة يقع متولدا عن النظر و لا يجوز أن يقع مباشرة ثم ما بعد ذلك لا يجوز أن يقع مباشرة و أن كل من أكمل الله عقله و عرفه حسن الحسن و قبح القبيح فلا بد من أن يوجب عليه المعرفة به، و أن يكلفه فعل الحسن و ترك القبيح و بعضهم يضيف إلى هذه الجملة و قد جعل شهوته فيما قبحه في عقله و نفور نفسه عما حسنه في عقله.

و يستدل على وجوب معرفه الله فإنه لا يخلو من أن يكون قد كلفنا الله لحسنها و قبح الذهاب عنها أو لم يكلفنا و تركنا مهملين، فإن كان قد كلفنا فهو الذي يزيد، و إن كان تركنا سدى فإن الإهمال لا يجوز عليه. و يقال أيضا: نحن نرى على أنفسنا آثار نعم، و نعلم وجوب شكر المنعم، فإذا يجب أن نعرف المنعم لنشكره.

و اعلم أن المعجز هو ما لا يقدر عليه في صفته أو في جنسه، فأما لا يقدر عليه في جنسه فهو مثل إحياء الموتى و أمّا ما لا يقدر عليه في صفته فهو فلق البحر. لأننا نقدر على تفريق

الأجسام المؤتلفه، و لكن على تلك الصِّفه و تلك الحاله لا نقدر عليه، فأما الخبر عن الغيوب فليس بمعجز و لا وقوع المخبر على ما أخبر به معجز إذ يجوز على الخبر عن الغيب أن يكون صدقا أو كذبا و إذ قد ثبت أن يخبر الإنسان عن الشئ ء أنه يكون فيكون و ليس يعلم في حال الخبر أنّ المخبر به يقع على ما أخبر به عنه و لا يعلم أنه معجز و إنّما العلم بأنّ الشئ ء يكون قبل أن يكون يعجز بلى من سمع النبي صلى الله عليه و سلم يذكر أنه سيكون كذا و كذا و يخبر عن الغيب ثم يبقى إلى الحاله يكون فيها ما ذكره فحينئذ يكون ذلك دلاله و حجه عليه، فأما من لم يبق إلى تلك الحاله فهو ليس تقوم عليه الحجّه في وقت الإخبار و لا يصح الاستدلال بذلك بل يجب أن يدلّه الله بدليل آخر.

فإن قال قائل: كيف يصحّ أن يكون انقضا الكواكب رجما للشياطين و لا يخلو من أن يكون الذى يرمى به الشيطان ليحرقه كوكب فيجب أن يفارق مكانه و ينقص من عدد الكواكب و قد علمنا منذ عهدت الدنيا لم تنقص و لم تزد أو يكون الذى يرمى به شعاعا يحدث من احتكاك الكواكب و اصطكاك بعضها ببعض فيفصل ذلك الشعاع من الكواكب و يتصل بالجنى حتى يحرقه، إذ لو لم يتصل به لم يحترق و هذا أيضا لا يجوز لأنّ الكواكب لا تحتك. قيل له: إنّ كل ما ذكرت غير ممتنع قد يجوز أن يكون هناك كواكب لا تلحقها العين لصغرهما كما قال قوم فى المجره إنها كلها كواكب و لا تبين، فيجوز أن يحتك بخاران عظيمان فيحدث الشعاع و يحترق الجنى، و كلّ ذلك ليس بمستنكر و على هذا جاء فى القرآن.

و أما انشقاق القمر فإنّ الجاحظ كان ينفيه و يقول: لم يتواتر الخبر به و يقول أيضا لو انشق حتى صار بعضه فى جبل أبى قبيس لوجب أن نختلف التقويمات بالزيجات لأنه قد علم سيره فى كلّ يوم و ليله، فلو انشق القمر لكان وقت انشقاقه لا يسير، فأما قوله تعالى:

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ [سوره القمر، الآية: ١] فَإِنَّمَا معناه سينشقّ و نحن نثبتته و نقول:

يكون ذلك دليلا خصّ به عبد الله بن مسعود رضى الله عنه و أنّ سائر الناس لم يردّه لأنّ الله حال بينهم و بين رؤيته بغمامه أو غيرها و يجوز أن يكون غير عبد الله رآه، فاقصر فى نقله على روايه عبد الله و على ما نطق به القرآن من ذكره.

فصل الاستدلال بالشاهد على الغائب

لأنّه الأصل فى معرفه التوحيد، و حدوث الأجسام و صدق الرّسل. قال الله تعالى:

الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [سوره البقره، الآية: ١-٣] قيل معناه يؤمنون بما غاب عنهم من أمر الآخرة و قيل: يؤمنون بما غاب من

البعث و النشور، و أخبرهم به النبي. و قيل: المراد يؤمنون بالله و رسوله و ما أنزل إليه، يظهر الغيب لا كالمناقين الذين يقولون للمؤمنين إنا معكم، و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم، إنما نحن مستهزؤون، و مثله قوله تعالى: ذَلِكَ لِيُعَلِّمَ أَنَّى لَمْ أَخْتَهُ بِالْغَيْبِ [سوره يوسف، الآية: ٥٢] و قوله تعالى: الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ* [سوره الأنبياء، الآية: ٤٩].

و اعلم أن من لا يفعل ذلك لم يجر له أن يعرف شيئا إلا من جهة المشاهده أو ببداهه العقل، أو بخبر ممن شاهده و لو كان كذلك لسقط الاستدلال و النظر، و لما جاز أن يعرف الله و لا حدوث الأجسام، و لا صدق الرسل فيما أتت به من عند الله، لأنه يجوز أن يعرف الله بالمشاهده و لا ببداهه العقل لأنه لا يشاهد، و لأنه لو عرف ببداهه العقل لاستوى العقلاء في معرفته، فوجب بهذا أن لا يعرف الله إلا بدلاله المشاهده، و كذلك حدوث الأجسام، و لسنا نريد باستشهاد الشاهد أن يستدل به على ما لم نشاهده إلا بأن نشاهد نظيره، و مثله ألا ترى أنا لو شاهدنا في هذا البلد إنسانا لم نعرف بذلك أن في غير هذا البلد إنسانا آخر من غير أن نشاهده، و لكن هو أنا إذا وجدنا الجسم في الشاهد إنما كان متحركا لوجود حركته، ثم وجدنا حركته لا توجد إلا فيه، و متى بطلت حركته لم يكن متحركا دلنا ذلك على أن كل جسم متحرك فيما لم نشاهده لم يكن متحركا إلا لوجود حركته، و لا توجد حركته إلا فيه، و متى بطلت حركته لم يكن متحركا؛ لأنه لو جاز أن يكون متحركا في الغائب مع عدم حركته لجاز في الشاهد مثله، و كذلك إذا وجد الجسم في الشاهد إنما كان جسما لأنه طويل عريض عميق و متى عدم طوله أو عرضه أو عمقه لم يكن جسما لزمه أن يعلم بدلاله الشاهد أن الجسم الغائب إنما كان جسما لمثل ذلك.

و كذلك إذا وجد الجسم في الشاهد لا يكون في مكانين في وقت واحد لأن وجوده في أحد المكانين ينافي وجوده في المكان الآخر كان علينا أن نجرى القضييه في الغائب على حده. و كذلك القول في امتناع اجتماع الضدين، و الحركة و السكون و السواد و البياض، و الاجتماع و الافتراق بحسب أن يراعى حالها في الشاهد فيحمل الغائب عليها و إذا كان الأمر كذلك و جب أيضا أن يكون إذا وجدنا الفعل في الشاهد لا يوجد إلا من فاعل، و لا يحصل موجود إلا بفعله له، ثم وجدنا فعلا لم نشاهد له فاعلا أن نعلم بدلاله الشاهد أن له فاعلا و إن كنا لم نشاهده، و لا يجب إذا لم نجد إلا أجناسا من الأشياء أن لا يثبت في الغائب خلافا لما شاهدنا، لأن الأعمى الذي لم يشاهد الألوان قط لا يجوز له أن يثبت شيئا إلا من جنس ما شاهده بسائر جوارحه، إذ قد ثبت الألوان التي هي خلاف جميع ما شاهده، و إن كان هو لم يشاهد و كذلك الحياه و القدره و العلم لا يشاهد و لا شوهده نظائرها و لا يجب مع ذلك أن لا نثبتها مع وضوح الأدله عليها فلم يجب علينا لمن أراد منا نفى القديم إذ كنا لم

نشاهد له مثلاً و لا نظيراً أن نفيه من أجل ذلك إذ كان يجوز أن تثبت بالأدلة ما لا نظير له كما مثلناه.

و إنما يجب تكذيب من وصف الغائب لصفه الشاهد ثم أزال عنه المعنى الذى استحق الشاهد به تلك الصفه، فأما متى أثبت فى الغائب شيئاً مثبتاً من غير أن يكون بصفه المشاهد الذى وجبت له هذه الصفه لعله، و قال مع ذلك: إنه غير مثبت لما شوهد لم يجر أن نبطل قوله بما شاهدنا، إذ كان يجوز أن يكون ما ادّعاه خلافاً لما شاهدناه، كما لم يكن للأعمى إنكار الألوان إذا أخبرناه بها من حيث كانت مخالفه لما شاهدته بسائر جوارحه، و لم يكن لأحد أن ينكر الحياه و القدره لأنهما خلاف ما شاهدته، و لكن يجب أن يطالب بالدلاله على صحه الدعوى، فإذا ثبت مدلولهما، و إلا سقطت الدعوى، و هذا أصل القول فى استشهاد الشاهد على الغائب فاعلمه.

فصل فى أسماء الله و صفاته و أحكامه (و بيان الأصوات كيف تكون حروفاً، و الحروف كيف تصير كلاماً)

اعلم أن الأصوات جنس من الأعراض تحته أنواع تعلم، فإذا توالى حدودها منقطعه بمخارج الفم و ما يجرى مجراها سميت حروفاً، لذلك قيل: الكلام (مهمل) و (مستعمل).

(فالمستعمل) ما تناولته المواضعه أو ما يجرى مجراها من توقيف حكيم، فجعل عبارته عن الأعيان أنفسها و عنها بأحوالها. (و المهمل) ما خالف ذلك، و إنما قلنا هذا لأن جنس الصوت لا يقتضى كونه حرفاً و لا كلاماً متى لم تطرأ المواضعه عليها، و ما جرى مجراها، و المواضعه لا تصح إلا مع القصد إليها لذلك قيل: ما ينقسم إليه الكلام من الخبر و الأمر و النهى و الاستخبار لا يكاد يحصل مفيد إلا بإرادته غير القصد إلى المواضعه، لهذا متى ورد الكلام من سفيه لم يفد السامع شيئاً، كما يفيد إذا ورد من الحكيم على المخاطب العارف بالمواضعه لما تعذرت معرفه قصده و صار الصّيدق و الكذب يستوى حالتهما و تقام صور أنواع الكلام بعضها مقام الآخر حتى يوجب ذلك التوقف عن قبول الأخبار و ترك القطع على ما يسمع منها إلا مع البينه.

و اعلم أن الحاجه إلى المواضعه بالأصوات هى البيان عن المراد لما كان الكلام المستعمل تنبها عليه، فلذلك يستغنى الحكيم فيما عرف مراده عن الخطاب إلا عند كونه لطفاً فى فعل المراد و متى أمكنه بالإشاره و الإيماء بيان غرضه عدل عن الخطاب إلا أن يكون لطفاً كما ذكرناه. و لما كان الأمر على ذلك اختلفت العبارات لاختلاف المراد و احتيج إلى التبين بعد ذلك، إذ كان الكلام بنفسه لا يدل على ما وضع له و لا بالمواضعه أو التوقيف.

فإن قيل: فما الفرق بين (المهمل) و (المستعمل)؟ حينئذ قلت: الفرق بينهما أنّ الحكيم متى تكلم بكلام مستعمل صحّ أن يعرف السامع لكلامه مراده بما يقارنه من الدليل غير الكلام، و متى تكلم بكلام مهمل لم يجر أن يعلم مراده و إن قارنه ما قارنه و كان وجوده و عدمه بمنزله، و لو كان الكلام دليلا يجوز الاستطراق منه إلى ما وضع له قبلها، لأن الدلالة لا تحتاج في كونها دلالة يجوز الاستطراق منها إلى مدلولها إلى المواضعه و إنما يحتاج في تسميتها دلالة إلى المواضعه لأنهم يسمونها دلالة إذا أراد فاعلها عند فعلها الاستطراق منها إليه و لذلك لا يجوز أن يسمّى فعل اللص دلالة عليه، و كذلك فعل البهيمه، و إن جاز الاستطراق منها إليه، و لهذا جاز أن يعرف الله بدلائله من لا يعرف شيئا من المواضعات.

و اعلم أنّ الكلام لثما وضع للإبانه عن مراد المخاطب للمخاطب، لأنّ الغرض فيه إعلامه حدوث الشئ ء إذ إعلامه أنّه يريد منه إحداثه أو إعلامه أنه يكره منه إحداثه، و الحدوث لا يكون إلا للدّوات و لم يكن بدّ من إعلامه العبارات عن ذوات الأشياء ليجوز منه أن يفرق الحدوث بها على وجه المراد انقسم الكلام أربعة أقسام:

الأول: عبارته عن الأعيان أنفسها و هي الأسماء.

الثاني: عبارته عن حدوث الشئ ء و هو الخبر عنه.

الثالث: عبارته عن إرادته إحداثه و هي الأمر به.

الرابع: عبارته عن كراهيته إحداثه و هي النهى عنه.

و الأسماء على ضربين:

الضرب الأول: اسم وضع لتعريف المسمّى به و ليكون علما له دون غيره فيقوم مقام الإشاره إليه عند غيبته، أو لاشتمالها عليه، و يسمّى هذا الضرب لقبا و لا يفيد في المسمّى به شيئا و لذلك لا يدخله الحقيقه و المجاز إذ كان لا يتعلّق بفعله و لا بحاله و لا بشئ ء، مما يحلّه أو يحلّ بعضه، و لا يوجب الاشتراك فيها اشتراكا في غيرها كما لا يوجب الاشتراك في غيرها اشتراكا فيها و قال بعضهم هذا القبيل ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وضع تعريفا لآحاد الأشخاص كزيد و عمرو.

القسم الثاني: وضع تعريفا لآحاد أجمل الأشخاص و ليقوم مقام تعداد ذكر جميعها كقولك: إنسان و أسد و حمار و طائر، و لذلك لا يتعلّق بشئ ء من أوصافها و لا بما يحلّها، و يوجب الاشتراك فيها اشتراكا في الصورة دون غيرها و تسميه أهل اللغه الجسم جسما من هذا لأنه وجب له هيئته و تركيبه و لذلك لم يجر إجراءه على الله تعالى.

القسم الثالث: وضع تعريفا لآحاد جمل الأجناس المختلفه المشتركه فى باب التعلق بغيرها على وجه واحد، ليقوم مقام ذكر جميع الأجناس الداخلة تحتها، وهذا كاللون و الكون و الاعتقاد و السيهو و ما يجرى مجراها، و هذا النوع يسمى جنس الفعل و يلزم الاشتراك فيها اشتراكا فى نوعيتها.

الضرب الثانى: على وجهين:

الوجه الأول: اسم على المسمى به تعريفا لجنسه و للتمييز بينه و بين ما خالفه و إن شاركه فى التسميه غيره من طريق القياس لاشتراكهما فى الفئده، و رسم بأنه اسم جنس لما كانت المسميات به أعدادا كثيره مماثله و هذا كالسواد و البياض و الحمرة و الخضرة و الحلاوه و ما جرى مجراها، يوجب مماثله الموصوفين بها فلذلك استحال اشتراك المختلفين بالذوات فى اشتقاق الوصف بها.

النوع الثانى: اسم جرى على المسمى ليفيد فيه ما يفارق به غيره مما لم يشاركه فيه من غير أن يكون افتراقهم فى الوصف موجبا لمخالفتهم كما لم يوجب اشتراكهم فى ذلك مما يليهم فى اللفظ بل فى المعنى أوجب ذلك لكونه جواهر و رسم بأنه صفه، و إذا قصد به الإكرام فى التعلق قيل: إنها مدح كما إذا قصد بها الاستخفاف قيل إنها ذم، إذ كانت لا تخلو من الحسن أو القبح و هى على وجوه:

الوجه الأول: صفه تفيد فى الموصوف معنى حالا فيه و ذلك كقولك: متحرك و ساكن، و أسود و أبيض، و حلو و حامض، و رسمت هذه الصفات بمعانى لأنها علل فى إجراء الوصف على محالها من طريق الاشتقاق، فلذلك أخذ الاسم من لفظها، و الاشتراك فى هذه الصفه يوجب الاشتراك فيما أفادته، و يقتضى مماثله الموصوفين فى المعنى لكونها جوهرا.

الوجه الثانى: صفه تفيد كون الموصوف فاعلا لمقدوره و الاسم يجرى عليه مشتقا من لفظ اسم فعله، و هذا كقولك: ضارب و شاتم و متكلم، و رسمت هذه الصفات لصفات الفعل و لا يوجب الاشتراك فى هذه الصفه تماثل الموصوفين لا بالمعنى و لا باللفظ كما أوجب فى الأولى.

الوجه الثالث: صفه تفيد الإضافه و النسبه و ذلك كقولك: هاشمى و بصرى و دار زيد، و غلام عمرو، فبإتصال الياء المشدده بالاسم صار صفه بعد أن كان علما أو غير صفه.

الوجه الرابع: صفه تفيد وجود الموصوف بها يجرى عليه هذه الصفه و يرجع إلى غيره و هذا كوصف الاعتقاد بأنه علم أو جهل، أو تقليد أو ظن. و وصف العلم بأنه غم أو سرور.

و وصف السَّيهو بأنه نسيان، و كوصف الكون بأنه حركة أو سكون، أو مجاوره أو مفارقه، و كوصف الحروف بأنَّها كلام و الكلام بأنه خبر أو أمر أو نهى. و وصف الإرادة بأنَّها عزم أو قصد أو خلق و كذلك جميع ما يجرى. و الاشتراك فى هذه الصِّفات يوجب اشتراك الموصوفين بها فيما أفادته دون غيرها مما يجرى مجرى تماثل ذواتها و اختلافها.

الوجه الخامس: صفة تفيد كون الموصوف بها على حال من الأحوال و هذا كوصف الشَّىء بأنه معدوم أو موجود، أو حى، أو قادر أو عاجز أو معتقد، أو عالم أو جاهل، أو ساه أو مرید، أو كاره أو سميع أو بصير. و على الأحوال التى إذا كان عليها إدراك المدركات يسمَّى به الشَّىء لتهيأ ذكره و الإخبار عنه و هو قولهم شىء و نفس و عين و ذات. و كذلك الأسماء المضمرة و المبهمة نحو هو و أنت، و ذلك و هذا و الهاء فى ضربته و الياء فى ضربتى.

و فرقوا فى بعضها بين المذكّر و المؤنث و الواحد و الجمع. و هذه الصِّفات و الأسماء التى نوّعناها و أشرنا إليها مقتسمة بين الحقيقة و المجاز، و سنبيّن كيفية وضعها و استمرارها أو انقطاعها فى البابين إن شاء الله تعالى.

فصل آخر [فى أنّ اللغة لا يجوز أن يكون فيها غلط]

اعلم أنّ اللغة لا يجوز أن يكون فيها غلط و ذلك أنه إن كان الله تعالى واضعها على ما يذهب إليه أكثر العلماء، و على ما أخبر به عند قوله تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا [سوره البقره، الآية: ٣١] فلا يجوز أن يكون فيها غلط لأنّ الحكيم الذى بيننا لعباده لا يجوز عليه الغلط و إن كان يجوز أن يكون قد ذهب عنهم بعض ما بينه لآدم عليه السلام و أحدثوا أبداً منه، أو زادوا عليه على حسب الدّواعى و الحاجه، و لو كانوا فعلوا ذلك لما جاز أن يعلم أحد تغييرهم لذلك إلا بخبر من الله ينزله على نبي من أنبيائه لأنّ اللغات لا تعرف إلا من جهة السَّمع و لا تعرف بدلاله العقل، و لو كانوا غيروها بأسرها لما أنزل الله القرآن بها على لسان محمد صلى الله عليه و سلم، و إن كان ابتداء اللغه من كلام العباد و تواضعهم على ما يقوله بعضهم فلا يجوز أن يقع فيها أيضا غلط لأنّهم إنما سمّوا الأشياء بأسماء جعلوها علامات لها لتعرف بها و ليكون التّباين و التّمايز منها، و إذا كان أصل كلامهم و لغتهم جروا فيه على ما بيننا فلا يجوز أن يكون فيها غلط لأنّ الحكمة تلحقه و لا تفارقه فى الحالتين جميعا، و إذا ثبت ما بيننا من أمر اللغه و وجدنا انقسامها إلى الحقيقة و المجاز و الحقيقة ما وضع من الأسماء للمسمّيات على طريق اللّزوم لها، و الاطراد فيها لأنّها يحق لها عند التعبير عنها و أمثلتها ما قدّمناه، و المجاز ما أجرى على الشَّىء و ليس له فى أصل الوضع، تجوزا على طريق الاستعاره، و تفاصحا منهم و افتنانا و يكون قاصرا عن الأصل و زائدا عليه و مماثلا له، و كيف اتفق يكون

مستفاده أبلغ من مستفاد الحقيقة و لذلك عدل إليه نظرنا فوجدنا طريق استحقاق الموصوفين من وجوه أربعة:

الوجه الأول: طريق الاختصاص والاستبداد و هو المرسوم لصفات النفس ليفيد في الموصوف أنها مستبد بها، و مستغن بكونه عليها عن غيره و أنه مختص بها من غير أن يجعل نفسه كالعلة الموجبه للعلل، و لا قائمه مقامها و هذا كوصف المحدث بأنه موجود و حى و قادر و عالم و سميع و بصير و ما جرى مجراها، و لذلك رسمت بصفات التوحيد لما توحد الله بطريق استحقاقها فلم يشاركه فيها غيره مع جواز وصفهم بها لاستحقاقهم لها من غير هذا الوجه.

الوجه الثانى: طريق المعانى الموجبه لها و هو المرسوم بصفات العلل ليفيد في الموصوف بها أنه مستحق لها بالعلة الموجبه له عند تعلقها به دون غيره و هذا كوصف المحدث بأنه عالم و قادر و حى و سميع و بصير و وصف كل موصوف بأنه مريد و كاره، و كقولهم مشتة و نافر النفس و ما شاكل ذلك.

الوجه الثالث: من طريق القادرين و هو المرسوم بصفات الفعل ليفيد في الموصوف بها أنه مستحق لها بكون القادر قادرا عند فعله و إيجاد إياه دون غيره، و هذا كوصف المحدث بأنه موجود لما كان معدوما و مقدر القادر عليه و ليس فى الأحوال ما يتعلق بالقادر غير المعدوم الموجود.

الوجه الرابع: من طريق استحاله ضدها على الموصوف بها و رسمت بالصفات اللآزمه ليفيد فى الموصوف بها أنه مستحق لها على طريق اللزوم له من غير أن يكون محتاجا فى ذلك إلى غير ما يوجبها له، كالعلة و ما يجرى مجراها و من غير أن يكون مختصا به كصفات النفس و هذا كوصف الشىء بأنه معدوم، و معنى المعدوم أنه لا يجوز أن يحصل له من أحكامه التى تخصه و صفاته الجائزه عليه شىء، كما أن الموجود هو الذى يكون على حاله يلزمه جميع أحكامه به و الموجبه له، فلذلك قلنا إنه لا يكون معدوما بفاعل و لا بمعنى و لا بنفسه لما لم يكن له واسطه بين الوجود و العدم، فلذلك لزمه العدم عند استحاله الوجود عليه، فأما الأوصاف التى تتعلق بالأعيان مما لا يكون عباره عن أحوالها بل هى إخبار عنها و عن غيرها لا اختصاصها بها فى باب الحلول أو التعلق أو ما يجرى مجراها فليس لها عله و لا ما يجرى مجراها و لا يجوز أن يكون شىء من ذلك بالفاعل.

و اعلم أن أعتم الأشياء قولنا شىء لأنه يتعلق بالمسمى لكونه معلوما فقط و مستحيل أن يكون ذات غير معلومه أو ذات على حال غير معلومه عليها أو غير جائز أن يكونا معلومين، فإن كان العلم لا يحصل بالحال التى عليها لأن العلم بالذات هو الذى منه يصل إلى العلم

بالحال، و لذلك كان الذات لا يخلو من الوجود و العدم معا إذ لو لم يكن الذات معلومه فى العدم للقديم تعالى لم يصح منه القصد إلى اختراعها و إيجادها و ليس قولنا شىء مثل قولنا موجود، بدلاله أنك تقول هذا شىء زيد، فتضيفه و يمنع أن يقال: هذا موجود زيد، و كان يجوز أن يحد القديم بأنه الشىء لم يزل و المحدث بأنه الشىء عن أول كما يقال هو الموجود لم يزل و الموجود عن أول، و إذا كان قولنا معلوم غير متعلق بفائده فيه و إنما تتعلق فائده بغيره فالواجب أن لا يكون قولنا شىء مفيدا من هذا الوجه.

و يمكن أن يقال: إنه يفيد الذات فكل ذات يسمى شيئا و كل شىء يسمى بذات، و يمكن أن يقال أيضا إنه يفيد المعلوم، فصلا بينه و بين ما يسمى محالا كاجتماع الصدين لأن مثل ذلك لا يصح علمه، قال و ليس يخرج الذات من أن يكون على حال مع كونه عليها يجوز أن يستحق غيرها و لا- يجوز، فإن كان يجوز عبر عنها بأنها موجوده، و إن كان لا- يجوز عبر عنها بأنها معدومه، فلذلك يسمى المعدوم بالشىء كما يسمى الموجود به لما كانا معلومين فى الحالين جميعا لذلك قلنا: المراد بقولنا موجود إفاده حال من أحواله أيضا و حاله له أخرى و هى العدم. و فائده قولنا معلوم أن عالما علمه لذلك جاز أن يقال معلوم زيد للشىء الذى هو مجهول عمرو، و الحال واحده و يستحيل أن يقال للشىء إنه موجود زيد أو معدوم عمرو على الأحوال كلها.

و اعلم أن الله تعالى لما أوجب فى حكمته عند تكليف المكلفين مداواه دائهم بالرّحمه لهم و العطف عليهم و الحلم عنهم، و طلب صلاحهم من حيث لا يدرون و يؤلفهم من جانب لا يشعرون رسم لهم فى تعييدهم الرجوع إليه فى مهماتهم و سوغ لهم دعاءه فى رفع مأربهم فقال: وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا [سوره الأعراف، الآية: ١٨٠] وَ إِذَا سَأَلْتَهُ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ [سوره البقره، الآية: ١٨٦] الآية ثم أنزل فى محكم كتابه من أسمائه ما بصرنا و هدانا و من صفاته ما قوى إيماننا و إرشادنا، لو لا ذلك و التأسي بالتبى صلى الله عليه و سلم فى أفعاله و قبول أقواله التى بها إبطال الضلال، و إذا كان كذلك فإن ما أثبتته التلاوه يضاف إليه ما دونه الروايه عن الصّحابه و التابعين و ما عدا ذلك مما لهج به ألسنه فصحاء الأمه و الصّالحين من أهل اللغه.

فقد روى فى التفسير أن قوله تعالى: وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى [سوره الأعراف، الآية: ١٨٠] أنه تسعه و تسعون اسما من أحصاها دخل الجنة، و جاء فى الحديث أن: «اسم الله الأعظم الله» و روى أبو هريره عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «لله مائه اسم غير واحد من أحصاها دخل الجنة» فيجب أن ينظر فيه فيما سبكه التحصيل، و كما ذكرنا و ينقى من درن الغباوه و يتلقى بالقبول فيما يجوز إطلاقه على القديم تعالى، و الباقي يتوقف فيه و الوصف و الصّفه

جميعا لا يكونان إلا كلاما و قولاً فهو كالوعد و العده. و سمعت شيخنا أبا على الفارسي يقول: أسماء الله تعالى كلها صفات فى الأصل إلّا قولنا الله و السّلام لأنّ السّلام مصدر، و لفظ الله بما أحدث من صفة و لزوم الألف و اللّام له، يعدّ من الصفات فصار متبوعا لا تابعا كالألقاب يريد يتبعه الصفات و يقدم به، و معناه الذى تحق له العباده، فإذا قلنا لم يزل إليها الذى حقّ له العباده من خلقه إذ أوجدهم. و قولنا إله نكره و يجمع على الآلهه قال تعالى:

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا [سوره القصص، الآيه: ٥] و اشتقّ منه تأله الرّجل إذا تنسّك، قال:

سَبَّحَنَ وَ اسْتَرْجَعَنَ مِنْ تَأَلَّهِ لِلَّهِ دَرَّ الْغَايَاتِ الْمُبْدِرَةَ

و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم: «أن عيسى عليه السّلام قال له رجل: ما الله؟ قال: الله إله الآلهه». و روى عن ابن عباس أنه ذو الألوهيه و العبوديه على خلقه أجمعين. و روى فى قوله تعالى: وَ يَذَرُكَ وَ آلِهَتَكَ [سوره الأعراف، الآيه: ١٢٧] أنّ معناه و عبادتك، فالأصل إله حذف الهمزه منه و جعل الألف و اللّام عوضا منه لازما و أدغم فى اللّام التى هى عين الفعل، فصار الاسم بالتعويض و الإدغام مختصا بالقديم حتى كأنه ليس من الإله فى شىء، قال سيبويه: و مثله أناس و الناس يريد فى حذف الهمزه لا فى التعويض بدلاله قوله:

إِنَّ الْمَنِيَا يَطْلَعْنَ عَلَى الْآنَاسِ الْآمِنِيَا

فجمع بين الألف و اللّام و الهمزه، و لو كان عوضا لما جاز الجمع بينهما، و قد قيل فى قوله تعالى: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا [سوره مريم، الآيه: ٦٥] إنّ الاسم الذى لا سمى له فيه هو قول القائل: الله بهذه البنيه الصفيه، و قولهم فى صفات الفعل: يا غياث المستغيثين، و يا رجاء المرتجيين، و يا دليل المتحيرين، موضوع موضع الاسم و كلّ ذلك مجاز و توسّع، و كذلك قولنا: قديم إنما وجب له هذا لتقدمه لا إلى أول، فهو صفة لذاته و ليس ثبت بهذا معنى يسمّى قدما. و قوله تعالى: كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [سوره يس، الآيه: ٣٩] و فى آخر:

هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ [سوره الأحقاف، الآيه: ١١] يراد به تقدّم له و إن كان القصد إلى المبالغه.

فإن قيل: فهل يوجب إجراء لفظ القديم على الله تعالى و على الواحد منّا كما ذكرت تشبها به؟ قلت: لا و ذلك لأنّ الله تعالى قدم و تقدّم لنفسه و المحدث يقدم بأن الفاعل فعله فى الأوقات المتقدمه، و إذا كان كذلك فقد اختلف موجب الصّفتين فلم يجب منهما تشبيه، و على هذا قولنا: عالم فى القديم و المحدث و قادر و سميع و بصير و حى و قدير و عزيز و ملك و مالك و مليك، على أنّه لو ساعدت عبارته لكان تفرد ما يستحق للذات بعبارته تلمزه، و يخالف بها غيره و كانت الحيطه فى ذلك، لكنهم استطالوا ذلك و كان يكتفى بعلم الذات من لا يعلم حالها المختصه بها، فاقصدوا فى عبارته كما اقتصدوا فى الأخبار فى بابى التذكير

و التأنيث، فأجروا ما لا يصح وصفه بالتذكير الحقيقي و لا التأنيث الحقيقي مجرى غيره فى العبارة.

و كذلك فى الاخبار عن الله تعالى و إضمار أسمائه فى الاتصال و الانفصال إذ قلت هو و أنت و إياك و رأيتك و رأيتك و مثل ذلك اقتصادهم فى صفات ما غاب عنا من أمور الآخرة و أهوال القيامة و طى السّماوات و تبديل الأرض غير الأرض إلى غير ذلك مما أخفيت حقائقه عنا فاقصروا فى بيانها على عبارات لا تستوفىها، و على كنهها لا يؤدبها، و هى ما نستعمله إذ عبرنا عما نشاهده.

فأما الفصل بين السّامع و السّميع حتى قيل: لم يزل الله سميعا و امتنع لم يزل الله سامعا فهو أنّ السّميع لا يقتضى مسموعا فيعدى إليه و السّامع لا بدّ له من مسموع، و المسموع لا يكون مسموعا حتى يكون موجودا و ذلك يدافع قوله: لم يزل و هذا كما يقول: هو عالم و عليم فى كل حال ثم تمنع من أن يقول: لم يزل الله عالما بأنه خلق زيدا إذ كان ذلك يوجب وجود زيد فى الأزل، و على ما ذكر من الاقتصاد و الاقتصار تركوا العبارة عن أشياء و إن أدركها الفهم لقله البلوى بها و ذلك تركهم وضع فى الصناعات المستجدّه ما أحدث من الأسماء و وضع فى الشّرع أو نقل ما وضع و نقل.

و أما الأسماء المشتقة من الأعراض التى ليست مهيأت كقولهم: فاعل و محدث و عادل و جابر و صادق و كاذب و مرید و كاره فإنها لا توجب تشبها و ذلك أن الإنسان قد يكون فاعلا لفعل لا يحلى به، و الفعل لا يختلف به هيئته عند أحد ممن يدركه، (أ- لا ترى) أنّ هيئته لا- تختلف لما يفعل فى غيره من الحركات و التآليف و الافتراق و العدل و الجور و لا الإرادة و الكراهه و لا الأمر و النّهى فلم يجب أن تكون تسميتنا بهذه الأسماء للمسمّى بها إذا استحقها تشبها له، لأنّ التّشبه فى الشاهد لا يعقل إلا من وجهين اثنين، أحدهما: اشتباه بالهيئته كالأسود و الأسود و الطويل، أو يشبهان بأنفسهما و أن يكونا من جنس واحد نحو البياض و البياض، و التّقدم و التّقدم، و التّأخر و التّأخر، و ما جرى هذا المجرى من الأجناس المتفقّه بأنفسها، فلما كانت تسميتنا بالفاعل لا توجب جنسيته و لا- هيئته لم يوجب تشبها و هذا كقولهم أمر و ناه و قائل و معلوم و مذكور، فأما رحيم و رحمن فهما من الرّحمه و بناءان للمبالغه و حقيقه الرّحمه النعمه إذا صادفت الحاجه.

و ذكر بعضهم أنّ الرّحمن هو الاسم الذى لاسم القديم سبحانه فيه و ليس كذلك لأنهم قالوا لمسيلمه رحمن، و قالوا أيضا فيه رحمن اليمامة، و ذكر بعضهم أنه لمّا سمعوا النّبى صلى الله عليه و سلم يذكر الرّحمن قالت قريش: أ تدرّون ما الرّحمن؟ هو الذى كان باليمامة، و إذا كان كذلك فما بقى إلا أن يكون لفظه الله هى التى لا سمّى فيها، فإن قيل: فقد نرى الفاعل هيئته يخالف

هيئه من ليس بفاعل و القائل منا له هيئته السّاكت، قيل له: لم تخالف هيئته هيئه السّاكت بالقول و إنما خالفت هيئتهما بالسكون الذى فى شفتى السّاكت و بالحركات التى فى لسان المتحرك، لا بالكلام، فإذا كان الله يفعل الكلام و الأمر و النهى من غير أن تحل فيه حركه صحّ أنه لا تكون تسميتنا إياه آمرا و ناهيا أو متكلما تشبيها.

و على هذا قولنا: العالم و الحى و القادر و السميع و البصير لأن شيئا من ذلك لا يوجب تجنيسا و لا تركيبا و لا هيئه، فإن قال: أ ليس العالم فى الشاهد يحل العلم فيه أو فى بعضه، و كذلك الحى فلم زعمتم أن الحيزين لا يشتبهان لحلول الحياه فيهما؟ قلت: إن الحياه ليست بهيئه لهما فيشتبهان بها عند حلولها فيهما، و لو كانا مشتبهين بسائر هيئتهما، فإن قال: فيلزمكم أن لا يكون من وصف الله تعالى بأنه يحله العلم و الحياه مشتبهها بخلقه، قيل:

ليس هو بهذا القول مشبها، و لكن بتجويزه حلول الأعراض فيه يكون مشبها لأن ذلك يرجع إلى الهيئه.

و اعلم أنّ الصفه قد تجرى على الموصوف من وجهين فى أحدهما: يجب له عن اختصاص و استبداد فيكون للذات و يقترن بما لم يزل و فى الثانى: يقصر غايته فنقف دون موقف الأول، و ذلك كقولنا: بصير و مبصر لأنهما للذات، إلّا أنّ مبصرا يتعدى إلى مبصر موجود، و لذلك لم يجز أن يقال لم يزل مبصرا، كما قيل: لم يزل بصيرا و على هذا قولك رأى يتصرف على وجهين.

فإن أريد أنه عالم قلت لم يزل الله رائيا و إن أريد أنه مبصر للمبصرات امتنع منه؛ لأنّ المرئى المدرك لا يكون إلا موجودا، و على هذا قولك الصّمد إن جعلته بمعنى السيد قلت لم يزل الله صمدا، و إن قلت هو من الصّمد إليه من العباد و القصد امتنع أن يقال لم يزل صمدا.

و مثله كريم يراد به العز فيقال: لم يزل كريما و هو أكرم علىّ، و يراد به الإفضال فيكون من صفات الفعل، و مثله حكيم يكون بمعنى عالم فيقال لم يزل حكيفا و إن أريد به أنه يحكم الفعل لحق بصفات الفعل، و الصفات المستحقه من طريق اللغه الحقيقه و المجازيه فإنها تجرى عليه تعالى متى لم يمنع مانع من جهه العقول و الشّرع، فإن التبس الحال يختار الأكرم فالأكرم و الأبعد من التشبيه فالأبعد، و ذلك لمجانبتنا لأنّ نصفه بأنه يعقل أو يحس أو يفقه و يستبصر و يتيقن أو يظن أو يفهم أو يشعر لما تتضمنه هذه الألفاظ من الأحوال التى حصولها لا يليق بالله تعالى.

فإن قيل: هو شاهد و شاهد كل نجوى و قريب مجيب و مطلع على الصّمائير قلت:

أجرينا عليه هذه الألفاظ مجازا و توسعا و لأنها بكثره دورانها فى ألسنه السلف الصالح، و الإشاره بها إلى ما لا يخيل و لا يلتبس من القصود السليمه انتفى عنها ما يلبس غيرها من

كل موهم، و لمثل هذا أجرى قوى فى صفة مجرى القادر و امتنع فى شديد و متين و ما أشبهه من أن يجرى مجراه، فأما قوله تعالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [سوره البقره، الآيه: ١٥] و سَيَخِرُّ اللَّهُ مِنْهُمْ [سوره التوبه، الآيه: ٧٩] و ما جرى مجراه فمثله فى البلاغه يسمى المجانسه و المطابقه و هو ضرب من المجاز سَمَّى الثَّانِي فِيهِ بِالْأَوَّلِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ جَزَاؤُهُ و قد أجرى إلى مثله، و المعنى يجازيهم جزاء الاستهزاء و السخرية و نحو قوله تعالى: وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا [سوره الشورى، الآيه: ٤٠] و الثانى لا يكون سيئه.

فإن قيل: فهل يجرى التهاتف و التهكم مجرى السخرية فتجيزه عليه اتساعاً؟ قلت: لا يجوز ذلك؛ لأن المجاز لا يقاس، ألا ترى أن أرباب اللغة مجمعون على أنه لا يجوز سل الجبل، و إن جاء سل القرية، و مثل هذا قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سوره النور، الآيه: ٣٥] و امتناعنا من بعد من أن تقول الله سراج السماوات، أو شمسها أو قمرها إذ كانت المجازاه لها انتهاء تجاوزها إلى ما ورائها محذور، هذا مع توافق الصفات، فكيف إذا اختلفت؟ و يقارب هذا قولهم فى الله لطيف و رحيم، و المراد به الإنعام، ثم امتنعوا فيه من رفيق و مشفق لرجوعهما إلى رقه القلب و استيلاء الخوف، فأما الغضب و السخط و الإراده و الكراهه و الحب و البغض و الرضاء و الطالب و المدرك و المهلك فمن صفات الفعل، و الله يحدثها لا فى مكان إذ كان جميعها لا يوجب تصويراً و لا تهيئه و لا تركيباً، و إنما تفيد عقاباً للمكلفين أو إثابه أو إيجاباً لإيقاع الفعل، أو نفيها له و إذا كانت كذلك انتفت عن المحال على أنه لو أحدثها فى المحال لعادت المحال الموصوفه بها.

فإن قيل: فهل يجوز أن تقع من إرادته لا فى محل؟ قلت: لا و ذلك أن أفعالنا تقع مباشره، أو متولده عن مباشره، فلا بد لها من محل و أفعال الله تعالى بخلافها. فإن قيل:

هل يجوز أن يوصف الله بأنه راع، و أنه خفير، و حارس كما وصف بأنه رقيب و حافظ؟

قلت: قد جاء رعاك الله و حرسك و حاطك فى دعاء المسلمين و معانيها صحيحه، لكن بناء اسم الفاعل منها فى صفاته لم يجىء و هم يستغنون بالشىء عن شبهه فى اللغة، فيذهب عن الاستعمال و مع ذلك فوصفه يجب أن يكون كريماً، و لفظه الحارس و الراعى و الحائط ليس مما يستكرم فيقرن بيا للاختصاص، فيقال يا حارس أو يا راعى، أو يا حائط و مما ينفر منه فيترك قول القائل فى الله يا معلم و إن كان قد جاء الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ [سوره الرحمن، الآيه: ١ - ٢] لاشتهاره فى صفات المحترفين به، على أن الفرق بين ما يجعل إخباراً و بين ما يجعل خطاباً و يصدر بحرف النداء ظاهر. و إذا كان كذلك فلفظ الخطاب بيا كالمترجم عن تواضع و فاقه فيجب أن يختار معه من الصفات ما يؤكّد الحال و يحزّر السؤال و يشبه ما نحن فيه أنهم قالوا فى صفاته علام الغيوب.

ثم امتنعوا من علامه و إن كانت تاء التانيث زائده فى المبالغه لما يحصل فى اللفظ من علامه التانيث و لا تنحط رتبته عن رتبه التذكير. و لأنهم جعلوا اللفظ مؤنثا لاقتران علامه التانيث فقالوا للبيضتين الاثنيان، و وصف بعضهم المنجنيق و هو مؤنث فى اللغه فقال و كل أنثى حملت أحجارا، فأما الخفير فمعناه لا يصح على الله لأنه من الستر و منه خفرت المرأه.

و قول القائل ثابت فى صفه الله قليل الاستعمال و معناه صحيح فيه و هو الكائن الذى ليس بمنتف، و قولهم: وتر، و فرد و فذ جميعه جائز عليه لأن معناه معنى التوحيد، إلا الفذ، لأن معناه القله. و قولهم إبراهيم خليل الله فمعناه الاختصاص، و لا يقال الله خليل إبراهيم، لأنه يخص الله بشىء و لا يقاس الصديق و لا الوامق و لا العاشق على الخليل، و لا على المحب، و لا يوصف الله بالكامل، و لا الوافر لأن معناه الذى تمت أبعاضه و توفرت خصاله و لا يوصف الله بالفرح، لأن الفرحة إنما يجوز على من يجوز عليه الغم على أنه مع ذلك متناوله مذموم و ليس كالسرور. يدل على ذلك قوله تعالى: إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ [سوره هود، الآية: ١٠] و مما يقل استعماله وصفه بالسار و البار، و إن كان معناهما صحيحا إذا كان تعالى يسر أولياءه و يبزهم سمعه و طوله.

فإن قيل: أفيجوز أن يقال فى الله تعالى: إنه يمكنه أن يفعل، و يستطيع أن يفعل و يطيق أن يفعل؟ قلت: كل ذلك جائز إلا قولك: يطيق أن يفعل، لأن الطاقه استفراغ الجهد فيما يقصده الإنسان و قوله تعالى: ذِي الطَّوْلِ [سوره غافر، الآية: ٣] حسن جائز لأن معنى ذو الطول و له الطول واحد فاعلمه.

و اعلم أن قول القائل: ما زال زيد يفعل كذا من العبارات الداخلة على المبتدأ و الخبر يفيد الزمان دون الحدث، و إذا كان كذلك فزيد هو الذى كان مبتدأ و هو المخبر عنه، و الخبر ما بعده، و لا يستقل بنفسه كما أن المبتدأ لا يستقل بنفسه و ما زال مثل كان و أصبح و أمسى فى أنه أفاد الزمان، إلا أنه بدخول حرف النفي عليه عاد إلى الإثبات، لأن نفي النفي إثبات، و مما صدر بحرف النفي من إخوانه ما برح و ما فتى، و ما انفك، و قال سيبويه: تقول زايته مزايله و زيالا و التزاييل تباين الشىء، و زيلت بينهم فرقت.

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: ما زال زيد يقطع الكلام به، و المراد ثبت زيد. قلت:

إن أخرجته من جمله العبارات الداخلة على المبتدأ و الخبر و جعلته فعلا- تماما يستغنى بفاعله، و يفارق ما لا يتم إلا بخبره، لم يمتنع ذلك فيه، و حينئذ يصير مثل كان الذى يفسر يحدث و جاء فى القرآن: وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ [سوره البقره، الآية: ٢٨٠] و على هذا قوله تعالى:

فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ [سوره يوسف، الآية: ٨٠] لأن تقديره لن أبرح من الأرض لأن أبرح لا يتعدى مثل زال، و الأرض مخصوص لا يكون ظرفا، و هذا غير المستعمل فى قولهم لم يزل

الله واحدا سميعا بصيرا، ومثله أصبح الذى يمثل باستيقظ، وأمسى الممثل بنام.

وقد فسّر سيبويه ما برح بما زال، ولم يجعله من البراح إيذانا بالفرق بين ما جعل عبارته وبين غيره، وقال تعالى: لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ [سوره طه، الآية: ٩١] و فى موضع آخر: وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ [سوره الكهف، الآية: ٦٠] والمعنى لا أزال أسير حتى أبلغ، ولو جعل من البراح لدافع قوله حتى أبلغ، لأنّ الثابت فى موضعه لا يكون متبغا، ومما يشرح هذا الذى قلناه امتناعهم من قول القائل: ما زال زيد إلا كذا حتى ردوا على ذى الرّمه قوله:

حراجيح (١) ما تنفك إلا مناخه

على الخف أو ترمى بها بلدا قفرا

وقالوا الاستثناء ممتنع هنا وإنّما هو حراجيح ما ينفك مناخه أى لا يزال شخوصا مجهوده، وحمل إلا على الكثرة والجنس، ومنهم من قال: ما تنفك من قولهم فككته فانفكّ كأنه يخرج من أن يكون مما يدخل على المبتدأ والخبر، ويجعله مستقلا بفاعله مثل كان التامه، ويكون المعنى لا ينخل قواه إلا فى هذه الحاله وعلى هذا ما فتى وفى القرآن:

تَاللَّهِ تَفْتُنُوا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ [سوره يوسف، الآية: ٨٥] أى لا تفتؤ ولا تزال.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن يوصف الله تعالى بأنه ذخر وسند؟ قلت: هذا لا يكون إلا مجازا وما لا يجب من جهة الحقيقة لا يجوز عندنا وصف القديم به إلما إذا كثر فى كلام أهل الدين وأخبار أرباب اللغة فيصير تبعا فيه لهم، وذلك أنّ الذخر ما يذخره الإنسان ويحززه لنفسه وليوم حاجته، ويكون فى الوقت كالمستغنى عنه فيقال: أذخر هذا لطوارق الزمان ونوائب الدهر والأيام وعلى هذه الطريقه لا- يجوز ذلك على الله لأنّ الحاجه إليه دائمه فهذا فى الذخر وكذلك السند فى الحقيقة هو ما أسند الإنسان إليه ظهره والله متعال عن هذه الصفه. فإن قيل: فهل يجوز أن يوصف الله بأنه نجى وولى؟ قلت: النجى فعيل ويراد به الذى ينجى، و وصف به الجمع فى قوله تعالى: خَلَصُوا نَجِيًّا [سوره يوسف، الآية: ٨٠] وإن كان على لفظ الواحد كما جاء فعول فى قوله تعالى: عِدُّوْ لِي * [سوره طه، الآية: ٣٩] وإذا كان كذلك فليس هو كالنكير والتذير لأنهما مصدران، ولكنّه بمنزله العلى والولى ونحوه مما يكون، والوالى والولى بمعنى واحد، قال تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا [سوره البقره، الآية: ٢٥٧] وقال تعالى: مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ [سوره الرعد، الآية: ١١]، وكذلك النجى ومثله الصديق والخليط فى أنه بلفظ الواحد و وصف به الجمع، وقوله: إني إذا ما القوم كانوا أنجيه. فأنجيه كقولهم كثيب وأكثبه ورغيف وأرغفه شبه الصفه بالاسم فكسرت تكسيره

وقوله تعالى: **وَإِذْ هُمْ نَجْوَى** [سوره الإسراء، الآية: ٤٧] وصف بالمصدر كما وصف بالعدل والرضى، وإذا كان الكلام بيانا عن المعانى فعلى المتكلم أن يبين المعانى التى يخبر عنها بكلامه وإلا كان بمنزله من يلغز ويعمى كلامه لئلا يفهم، وفاعل هذا مختار عابث فأما قولنا: وكيل علينا أى متول لأمرنا وقائم، بحفظنا ونصرتنا، ولا يجوز أن يقال: وكيل لنا لأن الوكيل لنا هو النائب عنا وخليفتنا فيما يليه لنا فأما قولنا: توكلنا على الله، فليس من الوكاله فى شىء وإنما معنى يتوكل يلتجئ ويعتمد وإذا كان كذلك فإننا نقول: الله وكيل علينا، ولا نقول: متوكل علينا.

فإن قيل: كيف جاز مجىء تفاعل فى صفاته ومما من أبنية التكلف والتكلف لا تجيزه على الله. قلت: قوله المتكبر والكبير المتعالى فى صفاته كالكبير والعالى والمباني كما يتفرد بالمعانى أو يكثر مجيئها لها فإنها قد تتداخل وتتشارك حتى لا تمايز ولا تباين، وإذا كان كذلك فقول القائل تعالى وتعالى وعلا بمعنى واحد قال: (تعالى الذى فى منته وتحدرا) بمعنى علا وحدر وقال شعرا:

و مستعجب مما يرى من إنا تناو لو زينه الحرب لم يترمرم

بمعنى عجب. وقال أوس:

وقد أكلت أظفاره الصخر كلما تعايا عليه طول مرقى توصلا

بمعنى أعياء، وهذا كثير ظاهر فاعلمه. ومنه قوله تعالى: **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ** [سوره الأعراف، الآية: ١٦٧] بمعنى آذن. واعلم وقد انتهى هذا الباب وكمل بما ضم إليه من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها، جامعا إلى الوفاء بما وعدته ومجيئه على المشال الذى خططته، أنى لم آل جهدا فى اختيار ما كانت الحاجه إلى بيانها أمس، والنفس إلى تبيينها أتوق، حتى بلغ حدا يمكن الاستعانه به، مع أدنى تأمل على فتح كثير مما يستغلق من نظرائه، وكل ذلك بعون الله وحسن توفيقه، وأنا الآن مشغول بالباب الثانى والكلام فى حقيقه الزمان والمكان، والرّد على من تكلم بغير الحق فيهما والله بحوله وقوته يعين على بلوغ ما نعرب منه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الباب الثاني في ذكر أسماء ومعان للزمان والمكان

إشاره

و متى تسمى ظروفها، و معنى قول النحويين الزمان ظرف للأفعال، و الرد على من قال في بيانها بغير الحق من الأوائل و الأواخر. و هذا الباب يشتمل على ما ذكر ماهيه الزمان و المكان و حكاية أقوال الأوائل فيهما، محققهم و مبطلهم و إبطال الفاسد منها و ما يتعلق بذلك و فصوله أربعة:

فصل [في أن أسماء الزمان و المكان إنما تسمى ظرفا إذا كانت محتويه لما هي ظروف لها]

اعلم أن أسماء الزمان و المكان إنما تسمى ظرفا إذا كانت محتويه لما هي ظروف لها فإن لم تكن محتويه فليست بظروف، بل هي أسماء تبين ما وقعت عليه من غيره كسائر الأسماء، كقولك: مكانكم طيب، و خلفك واسع، و أمامك الصحراء، و يوم الجمعة مبارك، و شهر رمضان شهر طاعه و إنابه، فإنما هذا كقولك: عبد الله كريم، و زيد مبارك، و موضع كونها ظرفا أن تقول: سرت يوم الجمعة و ضربت زيدا يوم السبت، فالיום مفعول فيه.

و سنذكر قطعه واسعة من الأزمنة تأتيا بأسمائها إلى أن تتمكن من شرح جملها و تفاصيلها، و تأتي على حقها و حقيقتها و يندس في أثنائها الكثير من مبهمات الأمكنه لأنها هي التي تكون ظرفا دون محدوداتها، و اتسع باب الأزمان، لأن الأحداث انقسمت بانقسامها فهي تتضمنها دون الجثث و الأشخاص، و لذلك قال سيبويه: المكان أشبه بالإناسي فلها صور تثبت عليها و حدود تنتهي إليها و تتباين بها.

فمن أسماء الزمان: اليوم و الليله و البارحة الأولى و أمس و أول من أمس، و أول من أول من أمس، و إذ مضافه إلى جمله كالفعل و الفاعل و الابتداء و الخبر و قط و عصر و زمان و دهر و وقت في الزمان و المكان، و أسبوع و شهر و عام و سنه فيما مضى و حقب، و غد و أبد في المستقبل، و إذ مضافه إلى فعل و فاعل، و ذات مره، و ذات المرار، و لا يستعملان إلا ظرفا، و ذات العويم و إبان و إبان و قبل و بعد، و لا يرفعان، و بعيادات بين، و كذلك، و ليس قبل و بعد و لا بعيد من أسماء الزمان، و لا بعيادات بين، و لا من أسماء ساعاته.

و كذلك ذات مرّه لأن قبل و بعد يفيدان التقدّم و التأخر، و بعيدات جمع بعد مصغرا، و لذلك ضعفن، و ذو صباح، و ذو مساء و حرى دهر و ابنا سمير و الملوان و الجديدان و الأجدان، و ملء من الدّهر، و المرّه، كقولك: ضربه و ما كان اسما فى الدهر للظما و الرعى و غير ذلك مما يعتاد كالوجه و الغب و الرفه و التّلت و الرّبع و الخمس و السّيدس ما كان ممرا فى اليوم، و الليله نحو سحر و بكر و غدوه و هو علم، و بكره و هو مجهول على عدد، و غداه و ضحوه و ضحى و الضحاء ممدود، و نصف النهار و سواء النهار و الهجير و الهاجره و الظهير و الظهيرة و دلوك الشمس، و غسق الليل، و العصر و قصر العشى و الأصيل، و استعمالهم إياه مصغرا تقريبا للوقت، نحو أصيل و أصيلا و أصيلان، و كذلك المغرب فى قولك مغيربان و مغيربانات و العتمه و الغداه و مقصر و ظلام و وهن و هدا و هداه و هدو و صباح و مساء و صباح مساء مبنيين، و سير عليه ذا صباح و شطر الليل و يومئذ و هذا مما حذف منه و صار التّونين بدلا من المحذوف فيه و حينئذ و ساعتئذ و يوم و حين مضافه إلى متمكن و إلى غيره، و السدف و السدفة و أى حين، و مذ و منذ و متى و أيان، و دخول كم على متى للعدد، و دخول حتّى و إلى للمنتهى على أسماء الزمن و قولك ربّما للتقليل، و ربما بما فى ذلك من اللغات، و قد التى بمعنى ربما، و الساعات و ألقاب أيام الأسبوع و تسميه العرب لها و ذلك قولهم للأحد أول و للاثنين أهون، و للثلاثاء جبار للأربعاء دبار، و للخميس المونس و للجمعه العروبه، و للست شيار و قولهم الوهن و الموهن، و تسميتهم سير الليل لا تعريس فيه إلا ساد، و سير النهار لا تعريج فيه التّأويب.

و قولهم: لا أكلمك السّيمر و القمر، و اختلاف الأزمنه كالصّيف و الخريف و الشّتاء و الرّبيع و ما ينسب إليها من نتاج أو عشب، و تسميتهم بالحر شهرى ناجر، و الشّهرين الموصوفين بالبرد شهرى قماح و قماح، و ما نفع من المصادحينا نحو: مقدم الحاج، و خفوق النّجم، و خلافه فلان، و وقعه فلان، و التواريخ، و تقديمهم الليله على اليوم، و قولهم بعد فنك من الليل، و هزيع و الأناء و ما واحدها، و أيام الأسبوع و الفصل بينها و الأوان و الآن.

و صفات الزّمان: كقولهم حول كريت و قميط و مجرم و فعله قليلا- و كثيرا و طويلا- و قصيرا، و قولهم النسى ء فى الأزمنه و النسيئه (١) فى الدّين و اليمين و الشّمال و أعلى و أسفل و خلف و قدّام و أيام العجوز، و هذه تجرى مجرى المقدمات و سيأتى التّفسير عليها منوعه.

فصل فى ماهية الزمان

ذكر بعض القدماء أن الزمان هو دوران الفلك، وقال أفلاطون: هو صورة العالم متحركه بعد صورته الفلك. وقال آخر: هو مسير الشمس فى البروج حكى جميع ذلك التوبختى، و وجوه هذه الأقوال تتناسب. و حكى أبو القاسم عن أبى الهذيل أن للزمان مدى ما بين الأفعال، و أن الليل و النهار هما الأوقات لا-غيره. و زعم قوم أنه شىء غير الليل و النهار، و غير دوران الفلك، و ليس بجسم و لا-عرض، ثم قالوا: لا-يجوز أن يخلق الله شيئاً إلا فى وقت، و لا يفنى الوقت فيقع أفعال لا فى أوقات، لأنه لو فنى الوقت لم يصح تقدم بعضها على بعض، و لا تأخر بعضها عن بعض، و لم يبين ذلك فيها و هذا محال.

و قال بعض المتكلمين: الزمان تقدير الحوادث بعضها ببعض، و يجب أن يكون الوقت و الموقت جميعاً حادثين، لأن معتبرهما بالحدوث لا غير، و لذلك لم يصح التوقيت بالقديم تعالى ثم مثل، فقال: أ لا ترى أنك تقول: غرد الديك وقت طلوع الفجر، و تقول: طلع الفجر وقت تغريد الديك، فيصير كل واحد من طلوع الفجر و تغريد الديك وقتاً للآخر و مبيناً به للمخاطب حدوثه و هذا على حسب معرفته بأحدهما و جهله بالآخر، لأن ذلك فى التوقيت لا-بد منه. و قال المحصل من النحويين الزمان ظرف الأفعال و إنما قيل ذلك لأن شيئاً من أفعالنا لا يقع إلا فى مكان و إلا فى زمان و هما الميقات.

قال الخليل: الوقت مقدار من الزمان و كل شىء قدرته له حيناً فهو موقت، و كذلك ما قدرت له غايه فهو موقت، قال تعالى: إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* [سوره الحجر، الآية: ٣٨] و الميقات مصير الوقت قال تعالى: فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً [سوره الأعراف، الآية: ١٤٢] و الآخره ميقات الخلق و مواضع الإحرام مواقيت الحج و فى التنزيل: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِ [سوره البقره، الآية: ١٨٩] و الإهلال ميقات الشهر و فى القرآن: وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتُتْ لَأَيَّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ [سوره المرسلات، الآية: ١١-١٢] و إنما هى وقت و يقال: وقت موقوت و موقت. و الزمان قد يعلم باسمه. و قد يبين بصفاته، فالأول كالتسبب و الأحد و رمضان و شوال، و الثانى كقولك الخميس الأذننى، و الجمع الآتية، و قد يبين بقريته تضاف إليه كقولك: عام الفيل، و وقت ولايه فلان. و قد يقصد المتكلم بيان قدر الوقت أو صورته أو اتصاله أو انقطاعه بما يكون نكره كقولك فعلته ليلاً و تابرت عليه حولاً، و أقمت عنده شهراً.

و فى الاتصال و الانقطاع يقولون: فعلته ليلاً و نهاراً أو غدواً و عشياً و زرته ذات مره و بعيدات بين. فأما قول من قال: هو الفلك بعينه فقد أخطأ، لأن الأفلاك كبيره فى الحال و ليست الأزمنه كبيره فى الحال، لأن الزمان ماض و مستقبل و حاضر، و الفلك ليس كذلك،

و هذا ظاهر، و ذلك قول من قال: حركات الفلك هي الزمان لأن أجزاء الزمان إذا توهمت كانت زمانا، و أجزاء الحركة المستديرة إذا توهمت لم تكن حركة مستديرة، و لأن الحركة في المتحرك و في المكان الذي يتحرك إليه المتحرك، و الزمان ليس هو في المتحرك و لا في المكان الذي يتحرك إليه المتحرك، بل هو في كل مكان ثم قد يكون حركة أسرع من حركة، ألا ترى أن حركة الفلك الأعلى أسرع من حركة زحل و البطاء و السريعة لا يكونان في الزمان لأن الحركة السريعة هي التي تكون في زمان يسير و البطيئة هي التي تكون في زمان كثير.

و حكى حنين بن اسحاق عن الاسكندر أنه قال في حد الزمان: إنه مده بعدها حركة الفلك بالمتقدم و المتأخر. قال و العدد على ضربين: عدد يعد غيره و هو ما في النفس، و عدد يعدّ بغيره، و الزمان مما يعد بغيره و هو الحركة لأنه على حسبها و هيئتها و كثرتها و ثباتها، و إنما صار عددا من أجل الأول و الآخر الموجودين في الحركة، و العدد فيه أول و آخر فإذا توهمنا الحركة توهمنا الزمان، و إذا توهمنا الزمان توهمنا الحركة، و إنما صار عدد حركة الفلك دون غيرها لأنه لا حركة أسرع منها، و إنما يعد الشيء و يذرع و يكال بما هو أصغر منه. قال: و الزمان عدد و إن كان واحدا لأنه بالتوهم كثير فيكون أزمه بالقوه و الوهم لا بالوجود و العمل.

و هذا يقارب ما حكاه أبو القاسم عن أبي الهذيل في حد الزمان، لأن قوله: مدى ما بين الأفعال، و إن الليل و النهار هما الأوقات إذا حصل يرجع إلى معنى قوله مده بعدها حركة الفلك بالمتقدم و المتأخر، و إن كان لفظ أبي الهذيل أجزل و أغرب، ألا ترى أن الاسكندر قال: و البرهان على أن الزمان ليس بذى كون و لا ابتداء و لا انتهاء و الفرقه التي زعمت أن الزمان شيء غير الليل و النهار، و غير دوران الفلك، و ليس بجسم و لا عرض إلى آخر الفصل، فإننا سنتكلم به على الملاحده و الخارجين من التوحيد إلى وراء التشبيه إن شاء الله تعالى.

اعلم أن العبارة عن الوقت قد حصلت من القديم تعالى و لا فلك يدور و لا شمس في البروج تسير، و عبر أيضا عن أوقات القيامه فمره قال تعالى: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [سوره المعارج، الآية: ٤] و مره قال تعالى: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سوره السجده، الآية: ٥] و قال تعالى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ * [سوره الحديد، الآية: ٤] و قال تعالى في صفه أهل الجنة: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا [سوره مريم، الآية: ٦٢] و لا بكره ثم و لا عشيه، فجميع ذلك أجرى لأوقات مؤقته لمعاني قدرها الله تعالى على أحوال رتبها و مراتب صورها فمنها ما هو أطول، و منها ما هو أقصر، على حسب آماذ الأمور المقدوره فيها، فمثل كلاً بما تقرّر به النفوس غايته و أمده و مقداره و موقعه ممّا

كُنّا نعرفه و نألفه و نشاهده و نتصرّف فيه، و إذا كان الأمر على ما ذكرنا و حصل من الحكيم التّوقيت على ما بيّنا ظهر كثير من عاداتهم فيه و أنهم تخيّرنا ما كان في الاستعمال أبين و في العرف أمتن، و على المراد أدل، و في التّمثيل أتبّه و أجل.

و اعلم أنّ الحادث متى حصل فقد حصل في وقت، و المراد أنه يصحّ أن يقال فيه: إنه سابق لما تأخر عنه، و إنّ وقته قبل وقته، أو متأخر عما تقدّمه و إنّ وقته بعد وقته أو مصاحب لما حدث معه، و إنّ وقته هذا هو المراد فقط، و لسنا نريد أنه حدث معه شيء سميّ زمانا له، أو سبقه أو احتاج في الوجود إليه، فلو تصوّرنا أوّل الحوادث و قد اخترعه الله مقدّما على المحدثات كلّها لصلح أن يقال فيه: إنه سابق لها و إنه أول لها، و هذا توقيت، و لو تصوّرنا أنه بقي مفردا بعد حدوثه لم يتبع بغيره لكان يصحّ تقدير هذا القول فيه و توهمه، إذ كان الله تعالى قادرا على الإتيان بأمثاله و أغياره معه و قبله و بعده.

و هذا معنى قول النّحوى: الفعل ينقسم بانقسام الزّمان ماض و مستقبل و حاضر، و إذا كان الأمر على هذا فقد سقط مئونه القول في أنّ الوقت حادث لا- في وقت، و أنه لو احتاج الوقت إلى وقت لأدى إلى إثبات حوادث لا نهايه لها. و أما من قال: إنّ الزّمان تقدير الحوادث بعضها ببعض و تمثيله بأن القائل يقول: غرد الديك وقت طلوع الفجر، و طلع الفجر وقت تغريد الديك فإنّ كل واحد من التّغريد صار وقتا للآخر، فإنّه جاء إلى فعلين وقعا في وقت واحد، فعرف الوقت مره بالإضافه إلى هذا، و جعل ذلك الآخر موقتا به، و مره بالإضافه إلى ذلك، و جعل هذا موقتا به، و لم يتعرّض للزّمان و كشف حده و ضبطه و هذا كما يقال: حججت عام حجاج زيد و حج زيد عام حججت.

و من الظاهر أن العام غير الحجين و أنهما إنما وقعا فيه، و هذا بين على أن ما أتى به و اشتغل بتمثيله هو من قبيل ما يكون زمانا و هو ما يصلح أن يكون واقعا في جواب متى و لم يستوفه أيضا، و ترك ما يخرج في جواب كم رأسا، و ذلك كقولهم: يصوم زيد النّهار و يقوم اللّيل، و ما فعلته قط، و لا أفعله أبدا، و أقمت بالبلد شهرا و هجرت زيدا يوما إلى كثير مما ستره في أبواب هذا الكتاب و فصوله.

و اعلم أنّ الزّمان و إن كان حقيقه ما ذكرنا، فإنّ الأمم على اختلافها أولعوا في التّوقيت بذي اللّيلالي و الأيام، و الشّهور و الأعوام، لما يتعلّق به من وجوه المعاملات و الآجال المضروبه في التجارات، و من تقرير العدا، و إدراك الزّراعات، و آماد العمارات، و من فعل أهل الوبر في المحاضر و المزالف و المناجع و المجامع، و إقامة الأسواق، و توجيه المعاش، و من اشتغال أرباب النّحل بما افترض عليه عندهم من تقربّ و عباده، و دعوا إلى الأخذ به في دينهم من فرض و نافله، و أمروا بالتوجه إليه من سمت و قبله، و لما أجرى الله

تعالى العاده به فيه من حدوث حر و برد، و جزر و مد، و تبدل خصب و جذب، و رخاء عيش و بؤس، و من ظهور نبات و أوان لقاح، أو ولاد و صبوب أمطار و هبوب أرواح لذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم: «تعلموا من النجوم ما تعرفون به ساعات الليل و النهار، و هدايه الطرق و السبل» فقدّر أكثر الناس أنّ الزّمان لا يكون غيرها و لا يعدوها إلى ما سواها، و لهذا الذی تبيته، أو أشرت إليه ذكر أبو الهذيل بعد تحديد الزّمان اللّيل و النهار هما الأوقات لا غير.

و اعلم أنّ الذين زعموا أنّ الزّمان شىء غير اللّيل و النهار، و غير دوران الفلك و ليس بجسم و لا عرض، ثم قالوا: لا يجوز أن يخلق الله شيئاً إلّا في وقت و لا يفنى الوقت، فيقع أفعال لا في أوقات لأنه لو فنى الوقت لم يصح تقدّم بعضها على بعض و لا تأخر بعضها عن بعض، و لم يتبين ذلك فيها، و هذا محال قولهم داخل في أقوال الذين يقولون: إنّ الزّمان و المكان المطلقين، و يعرب عنهما عند التحقيق بالدّهر و الخلاء جوهران قائمان بأنفسهما، و الكلام عليهم يجىء بعد تنويع فرقهم و بيان طرقهم فنقول: بالله الحول و القوه من زعم أنّ الأزلى أكثر من واحد أربع فرق:

الأولى: الذين يقولون هما اثنان الفاعل و الماده فقط و يعنى بالماده الهيولى.

الثانية: الذين يدعون أنّ الأزلى ثلاثة الفاعل و الماده و الخلاء.

الثالثة: الذين يدعون أنه الفاعل و الماده و الخلاء و المدّه.

الرابعة: الفرقه التى زعيمهم محمد بن زكريا، المتطبب لأنه زاد عليهم النّفس الناطقه، فبلغ عدد الأزلى خمس بهديانه.

و شرح مذهبهم أنه لم يزل خمس أشياء، اثنان منها حيّان فاعلان و هما: البارى و النفس، و واحد منفعل غير حى و هو الهيولى الذى منه كوّن جميع الأجسام الموجوده، و اثنان لا حيّان و لا فاعلان و لا منفعلان و هما الخلاء و الماده، إلى خرافات لا تطيق اليد بيانها بالخط، و لا اللسان تحصيلها باللفظ، و لا القلب تمثيلها بالوهم، فمما يزعمه أن البارى تام الحكمة لا يلحقه سهو و لا غفله، و تفيض منه الحياه كفيض النور عن قرصه الشّمس، و هو العقل التام المحض، و النفس تفيض منه الحياه كفيض النور، و هى مترجحه بين الجهل و العقل كالرّجل يسهو تاره، و يصحو أخرى، و ذلك لأنها إذا نظرت نحو البارى الذى هو عقل محض غفلت و أفقت، و إذا نظرت نحو الهيولى التى هى جهل محض غفلت و سهت، و أقول متعجبا لو لا الكرى لم يحلم و هذا كما قال غيرى، أليس من العجائب هديانه فى القدماء الخمسه، و ما يعتقد من وجود العالم لحدوث العلّه و ما يدّعيه من وجود الجوهرين الأزليين أعنى الخلاء و المدّه لا فعل لهما و لا انفعال، فلولا خذلان الله إياه، و إلا

فما ذا يعمل بجوهر لا فاعل ولا منفعل؟! ولم يضع الأرواح المقدّسه قبالة الأرواح الفاسده، و لم يحدث العله من غير نقص و لا آفه و لم يذكر شيئا ليس فيه جدوى و لا ثمره و هذا الفصل إذا أعطى مستحقّه من التأمل ظهر منه ما يسقط به سخيّف كلامهم، و إن لم يكن مورده مورد الحجاج عليهم.

ألا ترى أنّ من لم يثبت القديم تعالى فيما لم يزل واحدا لا ثانى له، و عالما بالأشياء قبل كونها و بعده، و قادرا على كل ما يصح أن يكون مقدورا، و حيا لا آفه به، و غنيا لا حاجه به إلى غيره فى شىء من إرادته، و حكيما لا يبدو له فى كل ما يأتيه و يفعله، فننقل إلى ما هو أعلى منه، بل لا يفعل إلا ما هو حسن و واجب فى الحكمه و الصواب، فقد جعله قاصرا ناقصا، تعالى الله و جلّ عن صفات المخلوقين، و هذا كما أنّ من الواجب أن يعلم أنّ القديم لو لم يبدع العالم أصلا لاستحال أن يتوقّف على وجوده، أو يتوصل إلى إثباته، لأن ذاته لم تكن ظاهره للعيان، و لا مستدركا بالحواس، و أنّ الشىء قد يصح إثباته من طريق أفعاله كما يصح إثباته من جهه ذاته، و الأسباب و إن كانت متقدمه لمسبباتها بالوجود فلا يمتنع أن يكون فى العقول أسبق إلى الوضوح.

و إذا كان كذلك فالعالم بثبات هذا العالم المحسوس موصول إليه من طريق الإدراك و المشاهده، و العلم بصانعه من طريق النظر و المباحثه، و قد تكلم الناس فى المعرفه بالله تعالى و اختلفوا فزعم قوم أن المعرفه لا تجب على القادر العاقل و أنها تحدث بإلهام الله، فكل من لم يلهمه الله المعرفه فلا حجه عليه، و لا يجب عليه عقاب، لأن عذر من ترك الشىء لأنه لم يعلم كعذر من ترك الشىء لأنه لا يقدر عليه، و الذى يدل على أن المعرفه لا تكون ضروره لأننا يمكننا التشكك فيه. ألا ترى أنه كلما اعتقدنا الشىء بدليل فاعترضت شبهه فى أصل الدليل يخرج من العلم بذلك الشىء حتى تثبت حجه بمحل تلك الشبهه، و لو كانت بالضروره لم يكن التشكك، و كان العقلاء كلّهم شرعا واحدا فى العلم، كما صاروا شرعا واحدا فى أخبار البلدان المتواتره عليهم، فبان بذلك أنها ليست بضروره، و أكثر الناس على أنها واجبه و هى من فعل الإنسان، و إنما يقع أولها متولّدا عن النظر.

قال البغداديون مستدلين: لا يخلو من أن يكون قد كلفنا الله معرفته أو لا يكون كلفنا و تركنا مهملين، و تركنا سدى، و إهمالنا لا يجوز عليه و يقال لهم فى ذلك: إنّ الإهمال هو تضييع ما يلزم حفظه، و ترك مراعاة ما يجب مراعاته، ألا ترون أنّ من لم يحفظ مال غيره لا يقال أهمله، لما كان لا يلزمه حفظه فثبتوا أولا أن المعرفه بالله واجبه، ثم ادّعوا الإهمال إذا لم يكلفناها. و قالوا أيضا: نحن نرى على أنفسنا آثار نعم و نعلم وجوب شكر المنعم، فإذا يجب أن يعرف المنعم لشكره.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن نعلم القديم تعالى من طريق الخبر؟ قلت: لا، لأنّ الخبر على قسمين: فمنه ما يضطر السامع إلى العلم بالمخبر به كالخبر عن البلدان والأمصار، وقد علمنا أنه لا يجوز أن نعلم الله من هذه الجهة، لأننا وجدنا العقلاء يشكون من أنّ لهم صنعا مع إخبار المخبرين به، ولو كان يعلم من طريق الخبر لكان لا فرق بين خبر من زعم أنّ الصانع واحد وبين من قال اثنان أو ثلاثة، على أنّ الخبر إنّما يضطر إذا كان المخبر يخبر عن مشاهدته، لأنه لا يجوز أن يكون حال المخبر يعلم ضروره و من الخبر ما يعلم من طريق الاستدلال، كخبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز أن يعلم الله من هذه الجهة، لأنّ القائل بهذا القول أحد رجلين، إمّا أن يقول لا- يعلم الله إلا من جهة الخبر، فيلزمه أن يكون النبي لا يعرف الله إلا بنبي آخر وذلك يوجب التسلسل إلى ما لا نهايه، وإمّا أن يقول: إنه يعلم من جهة النبي و من جهة أخرى أيضا، وهذا فاسد لأنه ليس في النبي أكثر من إظهار المعجزات و المعجزات لا- تدل على حكمه فاعلمها، فكيف يكون خبر النبي طريقا إلى العلم بالله و إذ قد ذكرنا وجوب معرفه الله تعالى و الطريق إليه هاهنا، و ممّا تقدّم فإننا ننكر الكلام على الملحد و المتحيرين.

فصل [في بيان أنواع الضلال]

اعلم أنّ أنواع الضلال ثلاثة: المعانده و الحيره و الجهاله.

فالمعانده على الإطلاق ينبغي أن لا- يحصل لأحد ممّا علم حقيقى و لا- معرفه تفضى إلى يقين، و إنما هي ظنون و خواطر لا تسكن النفس إليها، و تسميتها لها و أمثالها بالعلوم توسع و مجاز. و الوجه في مدافعتهم أن يقال لهم: أ تقولون ما ذكرتم عن خلوص علم، أو تسلط ظن؟ فإن ادّعوا العلم فقد ناقضوا، وإلّا حصلوا على عناد، و قد ذكر أبو عثمان الجاحظ في الكفار الذين قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم أنّهم كانوا عارفين بالله معاندين.

و اعترض عليه فقيل: إنّ العناد يجوز على العدد اليسير، فأما الجماعه الكثيره فلا يصح عليها ذلك، و نحن نعلم من أنفسنا و قد كنا على مذاهب فتر كناها لفسادها أنّا لم نكن في حال اعتقادنا معاندين و لا كاذبين لأنفسنا، و إنّما تركنا الاستدلال، فكذلك أولئك الكفار قد علموا فيما أظهره النبي صلى الله عليه وسلم أنّها معجزات، لكنهم تركوا الاستدلال بها على ثبوته و صدقه.

و المتحيرون هم الذين يزعمون أنّ العلم بالمحسوسات قد يصح، و لكن ما عداها مما يحال فيه على العقل نحن شاكون فيه و متوقفون، و الكلام عليهم طريقه أن تقلب عليهم نفس ما أوردوه فيقال: تدفعون مقتضيات العقول بالمشاهدات أو بحجج العقول و لا فلاح لهم أى الطّريقين سلكوا.

و الجاهلون الملاحده و الخارجون من نور التوحيد و الاستقامه إلى ظلمه الشرك فرق، و الضلاله فى عددهم فى ازدياد و وفور، و إفسادهم وجوه و فنون و قد فسدت فليل: ربما كانت من الحضانه و التربيه و قله الخواطر و غباوه الخليلط و جهد المجاوره، و ربّما كان من تعظيم الأسلاف، أو من وجه الآلاف، أو من غباوه الدّاعيه و نسل صاحب المقاله، و كونه صاحب سن و سمت و إخبارات و طول صمت، و لله تعالى الحجّه البالغه عليهم، و على طوائف المبتدعه من أهل الصّلاه على اختلاف أهوائهم، و سيعلم الجافى على نفسه كيف ينقلب و قد فاته الأمر. ذكر بعضهم حاكيا عن قوم من الأوائل، أنّ الدّهر و الخلاء قائمان فى فطر العقول بلا استدلال، و ذاك أنه ليس من عاقل إلا و هو يجد و يتصور فى عقله وجود شىء للأجسام بمنزله الوعاء و القراب، و وجود شىء يعلم التّقدم و التأخّر، و أنّ وقتنا ليس هو وقتنا الذى مضى، و لا الذى يكون من بعد بل هو شىء بينهما، و أن هذا الشىء هو ذو بعد و امتداد.

و قال: قد توهم قوم أنّ الخلاء هو المكان، و أنّ الدّهر هو الزّمان، و ليس الأمر كذلك بإطلاق، بل الخلاء هو البعد الذى خلا منه الجسم، و يمكن أن يكون فيه الجسم، و أمّا المكان فالسّطح المشترك بين الحاوى و المحوى، و أما الزّمان فهو ما قدرته الحركه من الزّمان الذى هو المده غير المقدره، فصرفوا معنى الزّمان و المكان المضافين إلى المطلقين، و ظنوا أنّهما هما و البون بينهما بعيد جدا، لأنّ المكان المضاف هو مكان هذا المتمكّن و إن لم يكن متمكنا لم يكن مكانا، و الزّمان المقدر بالحركه يبطل أيضا ببطلان المتحرك و يوجد بوجوده، إذ هو مقدر حركته، فأما المكان بإطلاق فهو المكان الذى يكون فيه الجسم و إن لم يكن، و الزّمان المطلق هو المده قدرت أو لم تقدّر، و ليس الحركه فاعله المده بل مقدرته، و لا المتمكّن فاعل المكان بل الحال فيه، قال: فقد بان أنّهما ليسا عرضيين بل جوهرين لأنّ الخلاء ليس قائما بالجسم لأنه لو كان قائما به لبطل ببطلانه، كما يبطل التّربيع ببطلان المربع.

فإن قال قائل: إنّ المكان يبطل ببطلان المتمكّن قيل له: أما المضاف فإنّه كذلك لأنه إنّما كان مكان هذا المتمكّن، فأما المطلق فلا، ألا ترى أنا لو توهمنا الفلك معدوما لم يمكننا أن نتوهم المكان الذى هو فيه معدوما بعده، و كذلك لو أنّ مقدر قدر مده سبت كان، و لم يقدر مده يوم آخر، لم يكن فى ترك التقدير بطلان مده ذلك اليوم الذى لم يقدر، بل التقدير نفسه، فكذلك ليس فى بطلان الفلك أو فى سكونه ما يبطل الزّمان الحقيقى الذى هو المده و الدّهر، فقد ينبغى أنّهما جوهران لا عرضان، إذ كانا ليسا بمحتاجين إلى مكان و لا إلى حامل فليسا إذا بجسم و لا عرض، فبقى أن يكونا جوهرين.

و زاد على هذا الوجه الذى حكيناه بعضهم فقال: طبيعه الزّمان من تأكيد الوجود فى

ذاتها وقوه الثبات في جوهرها، بحيث لا يجوز عدمها رأسا و لم تكن قط معدومه أصلا، فلا بدء لها، و لا انتهاء، بل هي قاره أزلية.

ألا ترى أنّ المتوهم لعدم الزّمان لم يخلص له وهمه إلا إذا ثبت مدته لا زمان منها، و المدته هي الزّمان نفسه، فكيف يوهم عدم ما تأكّد لزوم جوهره؟ و يفنى العقل الصّحيح تصور عدمه و تلاشيه؟ أو كيف يسوغ إلحاق عدمه بالممكنات؟! و وجوده من الواجبات الأزليات؟ فهذا ما حكى عن الأوائل. و ابن زكريا المتطبّب يحوم في هذيانه عند حجاجه حول ما ذكرناه عنهم و لم يبين بيانهم و لا بلغ غايتهم، فلذلك جعل تابعا لهم و إذ قد أتينا على مآلهم بأنهم استقصاء، فإننا نشتغل بالكلام عليهم، و إن كان فيما قدّمناه قد صورنا خطأهم تصويرا يغنى عن مقايستهم و محتاجتهم.

ذكر بعض المنطقيين أنّ الزمان في الحقيقة معدوم الذات، و احتج بأنّ الوجود للشيء إمّا أن يكون بعامه أجزاءه كالخط و السطح أو بجزء من أجزاءه كالعدد و القول، و ليس يخفى علينا أنّ الزمان ليس يوجد بعامه أجزاءه إذ الماضي منه قد تلاشى و اضمحلّ، و الغابر منه لم يتمّ حصوله بعد و ليس يصح أيضا أن يكون وجوده بجزء من أجزاءه إذ الآن في الحقيقة هو حدّ الزمانين و ليس بجزء من الزمان، و كيف يجوز أن يعد جزءا و لسنا نشك أنّ حقيقة الجزء هو أن يكون مقدارا له نسبة إلى كلاً، كأن يكون جزءا من مائه جزء، أو أقل أو أكثر، فأما أن يتوهم جزء على الإطلاق غير مناسب لكلاً فممتنع محال و ليس الآن في ذاته بذى قدر مناسب لما يفوض من الزمان الآتي و الماضي، و لو وجد له قدر ما لصلح أن يجعل قدره عيارا يمسح به الكلّ حسب جواز ذلك على كاهه ما يعد جزءا من الشيء و إذا لم يكن الآن في جوهره ذا مقدار أصلا، و الجزء من الشيء لا يجوز أن يعرى من المقدار، فليس الآن بجزء من الزمان، و إذا كان الأمر على ذلك فالزّمان إذا ليس يصح وجوده لا بعامه أجزاءه و لا ببعض أجزاءه، و إن شيئا يكون طباعه بحيث لا يوجد بأجزائه كلاًها و لا ببعض منها فمن المحال أن يلحق بجمله الموجودات، و إذا كان ذات الزّمان غير موجود أصلا فليس بجائز أن نعهده في الكميات، فإنّ ما لا وجود له لا آتية له، و الذي لا آتية له لا يوصف بوقوعه تحت شيء من المقولات.

و قولهم في الزّمان هو المدّة التي تفهم قبل و بعد أجلها، فإن كان المراد أنّ قول القائل: قبل و بعد يفيد أنّ تقدّم المذكور و تأخره من غير أن ثبت بهما جوهران ليسا بجسم، و لا- يفنيان و لا- يجوز أن يخلق الله شيئا من دونهما فهو صحيح، و يكون سبيلهما سبيل لفظ مع إفادتهما معنى الصّحبه إذا قلت زيد مع عمرو، و كما تقول للأعيان أحوال ثم لا تصفها بأكثر من تميز بعضها عن بعض بها، و إن أريد بقبل و بعد غير ذلك فقد تقدّم القول في بطلانه

و بطلان ما قالوه فى الخلاء و المكان، على أنا نقول معيدين عليهم إن أردتم أنّ المكان يكون المتمكن و إن لم يوجد الجسم لم يوجد المكان لأنه قائم بالجسم، و ليس بشىء ذى وجود فى نفسه فهو صحيح، و إن أردتم للمكان جوهرًا يبقى إذا ارتفع المتمكن، و أنّ الذى بطل بارتفاعه هو النسبه إليه و الإضافة، و يبقى المكان المطلق مكانًا كما كان و هو الخلاء الفارغ و ليس فيه جسم فهذا إحاله على شىء لا الإدراك يثبتته و لا الوهم يتصوره. فإن قالوا: المكان حينئذ يكون مكان ما يمكن أن يكون فيه كالزرق الخالى من الشراب، فإنه مكان الشراب الذى يمكن أن يكون فيه.

قلنا: صور فى وهمنا من الخلاء مثل ما نتصوره إذا توهمنا الزرق و الشراب و ذلك مما لا يقدرّون عليه، لأنّ كلامهم فارغ لا يفضى إلى معنى محصل، و أيضا فإنّ الأجسام لا يخلو من أن تكون ثقيله فترسب، أو خفيفه فتطفو، و الخلاء عندهم ليس بثقيل و لا خفيف، فيلزمهم أن يكون النقطه هى الخلاء لأنها ليست بثقيله و لا خفيفه، و يلزمهم على قولهم بأن المتحرك لا يتحرك إلا فى الخلاء أن يتحرك أبدا و لا يستقر إذا لم يوجد شىء يضاده أو يسكن دائما فلا يتحرك إذ لا سبب هناك يوجب تحركه، أو إذا تحرك فى الخلاء أن يتحرك إلى جميع الجهات و لا يختص بجهه دون جهه لأنّ الخلاء كذلك. فإن قالوا: إن الذى تسميه خلاء هو الهواء، أسقط قولهم بأن الهواء يقبل اللون و يؤدى الصوت و الخلاء ليس كذلك و هذا بين.

و أعجب من هذا أن البارى مخترع لجميع ما خلقه و أنه لا يعجزه مطلوب و لا ينكاده معلوم، ثم أقاموا معه فى الأزل الهيولى و هو الماده، و رتبوا معه الصوره ليكون جميع ذلك كالنجار و الخشب و النجاره و الله تعالى يقول: قُلْ أَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ [سوره فصلت، الآيه: ٩] إلى قوله: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [سوره فصلت، الآيه: ١٢] و لم يقل ذلك إلا و أهل العلم إذا فكروا فيه أدركوا منه الآيه البيئه و الحجّه الواضحه، و بينوا أنه ليس فى العالم شىء إلا و هو منتقص غير كامل، و ذلك هو الدليل على أنه مقهور لا يستغنى به، و لا بدّ له من قاهر لا يشبهه و لا يوصف بصفاته على حدّها، لأن ذلك آيه الخلق و آيه الخلق لا تكون فى الخالق.

فصل آخر يزداد الناظر فيه و العارف به استبصارا فيما وضع الباب له

اعلم أنّ الاستدلال بالشاهد على الغائب هو الأصل فى المعرفه بالتوحيد و حدوث الأجسام لا يعرف ببداهه العقل و لا بالمشاهده لأنّه لو عرف ذلك لاستوى العقلاء فى معرفته كما استوتوا فيما شاهدوه، و إنما يتهيا أن يعرف بما علم من تعاقب الأعراض المتضاده عليها، و إنّما لا تنفك منها على حدوثها إلا بمشاهده الأجسام و إذا ثبت حدوث الأجسام فلا

بدّ لها من محدث لا يشبهها، و إذا ثبت ذلك صح أنّ الفاعل للأجسام لا تحلّه الحوادث و أنه سابق لها غير مشبه لها و الحوادث غير مشبهه له.

ثم دلّ خلقه للأجسام أنه قادر حيّ كما دلّت أفعال الأجسام في الشاهد أنّها حيّه قادره عالمه و أنّها لو لم تكن كذلك لم تكن فاعله فلما لم يدلّنا على أن الأجسام حيه قادره إلا أفعالها، إذ كانت حياتها و قدرتها لا تشاهد، دلّتنا أفعال الله تعالى أيضا على أنه حي قادر، و وجب أن يكون عالما لوجود أفعال محكمه، إذ كانت أفعال الأجسام في الشاهد إذ كانت محكمه دلّت على أنّها عالمه و لا يدل على علمها غير أفعالها، إذ كان العلم لا يدرك و لا يشاهد.

و لما دلنا جواز الموت على الأجسام نفى الشاهد و العجز و الجهل دلّنا ذلك على أنهم إنما كانوا أحياء قادرين بحياه و قدره، و عالمين بعلم، و هذه الأشياء هي غيرهم فلهذا جاز زوالها عنهم و حدوث أضدادها بدلا منها فيهم. و لما كان القديم تعالى لا يجوز شىء من ذلك عليه و جب بدلاله الشاهد أنه حيّ بنفسه عالم و لما كان الجسم في الشاهد بالتأليف يصير جسما، و نعلمه جسما لم يجز أن يكون جسما فصّح بهذا أن التوحيد لا يعرف إلا بدلاله الشاهد، و كذلك طريق صدق الرّسل لأنه لا يعرف بالمشاهده و لا ببداهه العقل، و لو عرف بذلك لاستوى الناس جميعا فيه، و إذا كان كذلك فإنما يعرف بالآيات المعجزات، و لا يعرف ذلك إلا باعتبار أمر الشاهد و حمل الغائب عليه فاعلمه.

و استدللّ أبو القاسم البلخي على أنّ القديم واحد بأن قال: قد ثبت أنّ المحدثات لا بدّ لها من محدث، فمن هذا الطّريق قد بان أنّ هاهنا صناعا لا بدّ منه و لا أقل من واحد فلذلك نعلمه يقينا و أنّه واحد، و أمّا ما عداه مشكوك فيه فلا يتخطاه إلّا بدليل و هذا قريب صحيح.

انتهى الباب و الله محمود على ما سهّله و وفقنا له من تحقيق ما أردنا تحقيقه من شرح فضائهم و إثارة مقابحهم، و الرّد عليهم في أصول دعاويهم و فروعها و مستول إيزاعنا شكر نعمته وصله سعينا بمرضاته.

الباب الثالث و يشتمل على بيان الليل و النهار

اشاره

على فصول من الأعراب يتعلّق بهما و هي ظروف

الفصل الأوّل [فى بيان معنى الليل و النهار]

قال الأصمعى أتيتّه ليلا- و قعلته نهارا. قال تعالى: وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ [سوره الصافات، الآية: ١٣٧] فقوله: بالليل خلاف الإصباح. و اعلم أنّ قوله:

وَ بِاللَّيْلِ موضعه نصب على الحال كأنه قال: تمرّون عليهم مصبحين و مظلّمين أى داخلين فى الظلام، فأوقع الليل على الجزء الذى فيه الظلام من الليل، و إن كان فى الحقيقه للجنس. و اليوم بإزاء الليله يقال: جئتك اليوم و أجيئك الليله و يقال: أتيتّه ظلاما أى ليلا و مع الظلام. و قال يعقوب: الظلام أول الليل و إن كان مقمرا. و حكى بعضهم أتيتّه ظلاما أى عند غيوبه الشمس إلى صلاه المغرب و هو دخول الليل، و هذا يؤيد ما حكاه يعقوب و كأنه جعله الوقت الذى من شأنه أن يظلم، و يقولون: عم ظلاما، كما يقولون: عم صباحا و يقال: نهار أنهر و ليل أليل و ليله ليلاء و قال الفرزدق: و الليل مختلط الغياطل أليل. و أنشد المفضل:

مروان مروان أخو اليوم اليمى

قال سيبويه: أراد اليوم فقلب و قدّم الميم و قيل: بل حذف العين تخفيفا و أطلق الميم إطلاقا.

و قال شيخنا أبو على الفارسى: وقت قراءتى عليه هذا الموضع من الكتاب و فى حاشيه نسختى: أخى اليوم اليوم، فاستغربه و قال: يريد أنه بطل يبارز أقرانه و يقول لهم: اليوم اليوم أو هو صاحب هذا اللفظ فى ذلك الوقت و فى هذا الوجه قلب أيضا و قولهم: يوم فى أبنيه الأسماء غريب نادر، لأن فاءه ياء و عينه واو و مثله فى المبانى يوح اسم للشمس و باب اليون بالشام.

و قد ذكره ابن الرقيات فى قصيده يمدح بها عبد العزيز بن مروان أعنى ابن ليلى عبد

العزیز. باب الیون تغدو جفانه ردما. و قال همیان بن قحافه: فصدقت تحسب لیلا لایلا.

فقال لأیل و إنما یصفون بما یشتق من لفظ الموصوف بیانا للمبالغه و تنبها علیها علی ذلك قولهم ظلّ ظلیل، و داهیه دهیاء و ما أشبهها. و یقال استأجرته میاومه و ملایله إذا قدر أجرته یوما یوما و لیله لیله.

و حکى أبو عبیده أنّ العرب لا- تقول إلا- مشاهره، فأما معاویه و میاومه و ما أشبههما فلیست من کلام العرب، و إنما هی قیاس علی المسموع منهم، و یقال: یوم و آیام، و الأصل آیوام لكن الواو و الیاء إذا اجتمعا فأیهما سبق الآخر بالسکون یقلب الواو یاء و یدغم الأوّل فی الثانی، إلا أن یمنع مانع علی ذلك قولهم سیّد و میّت لأنّهما فیعل من ساد و مات، و الأصل سیود و میوت هذا فیما السّابق فی یاء و مما السّابق فی و او قالوا کویته کیا، و لویته لیا لأنّ الأصل کوی و لوی و كذلك قولهم أمنيّه و ازبیّه و قولی إلا- أن یمنع مانع احتراز من مثل قولهم: دیوان لأنّ أصله دووان، ففرّوا من التّضعیف و أبدلوا من إحدى الواوین یاء. فلو طلبوا الإدغام للواو لعادوا من التّضعیف مثل ما فروا منه، و مثله سویر و بویع و مثله لوی و رویه إذا خفف همزتاها، لأنّ الواو فی جمیعها لا یلزم، فلم یعتدوا بها و او.

ألا- ترى أنّها سویر، و بویع منقلبه عن الألف فی سائر و بائع. و فی رویه و نوى مبذلتان من همزه و تلك الهمزه ثابتة فی الثیّه، و إذا كان كذلك فحکم الواو فیها حکم الألف و الهمزه، فأما ضیون و حیوه فشاذتان عن الاستعمال و متبّهتان علی أصل بالباب المرفوض علی عاداتهم فی أمثالها و التّهار و اللیل لا یجمعان إلا أن یذهب إلى بیاض کلّ یوم، و سواد کلّ لیل، فتصورت بینها خلافا لأنّک حینئذ تجمع للاختلاف الدّاخل فی الجنس فیقال: ألیال و ألیل و أنهر و نهر و علی هذا قول الشاعر شعرا:

لو لا الثریدان هلکنا بالضمّ ثرید(١) لیل و ثرید بالّتهر

و الذى یکشف لك أنّ اللیل و التّهار لا یجمعان أنّ سیویه قال: لا یجوز أن یقول القائل: إذا كان اللیل فاتنی و لا أن یقول: إذا كان التّهار فاتنی لأنّهما لا یكونان ظرفین إلا أن ینى بهما کلّ اللیل و التّهار. و إذا كانا كذلك فسیلها سبیل الدهر فکما لا تقول: إذا كان الدهر فاتنی كذلك یمتنع فی اللیل و التّهار و یقال: رجل لیلی و رجل نهاری إذا نسبت، و نهری أيضا و هذا كما بنوا للتّسبه فاعل و فعال مثل تاجر و لابن و بزّاز و ثمار و أنشده:

لست بلیلی و لکنی نهرمی أتى الصّبح فإنی منتشر

لا أدلج (١) الليل و لكن أبتكر و يقال: ليله و ليال فكأنها جمعت على ليالات و إن لم يستعمل و مثله أهال في جمع أهل و إنما هو في تقدير أهلى، و على هذا قالوا في التصغير ليله و القياس في جمع ليله ليلاء ليال ليل و الأصل لول لأنه فعل مثل حمراء و حمر، لكنهم حاموا على الياء لثلا- يلتبس بنات الياء بنات الواو، و مثله قولهم بيض و عين في جمع بيضاء و عيناء و ما أنشده الكسائي من قول الكميت:

و لدنك و البدر ابن عائشه التي أضاء ابنها مستحلكات الليال

فإنه أراد الليالى، فقلب، و قدم الياء فلما و ليت الألف همزت كما قيل: صحايف و مثله فيما قلبوه ترقوه و ترائق و الأصل تراقى.

و اعلم أنهم يتوسعون في ذكرهم اليوم، و الليله أ لا تراهم يقولون: فلان اليوم يعد من الرؤساء و كان في الدهر الأول على كذا، و اليوم هو خلافه، و إنما يعنون الزمان و كما قال تعالى: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سوره السجده، الآية: ٥] يعنى القيامة، و ليس ما أشار إليه من صورته ما نعده في شىء و قال الشاعر:

يوما ن يوم مقامات و أنديهو يوم سير إلى الأعداء تأويب

فقسم دهره يومين، و يقال: الناس أغراض الليالى و يراد الأحداث و مثله من الذى يسلم على الليالى و الأيام فأما قوله تعالى: وَ مَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا [سوره الأنفال، الآية: ١٦] فاليوم يعم أجزاء الليل و النهار، و الزجر به حاصل في كل جزء من أجزاء الزمان و على هذا قوله:

يا حبذا العرصات يوما في ليال مقمرات

يريد وقتا و زمانا في ليال و كذلك قوله تعالى: وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ [سوره آل عمران، الآية: ١٤٠] أى نجعل الدول في الأزمان فتحول و تنقل بين الناس على حسب استحقاقهم أو سببا لامتحانهم. و قد سمّت العرب وقعاتها أياما فيقولون لنا: يوم كذا و يوم كذا، و ساغ ذلك لوقوعها فيها.

فصل آخر [في بيان قوله الليله لليلتك التي أنت فيها، و البارحة ليله يومك الذى أنت فيه]

يقال: الليله لليلتك التي أنت فيها، و البارحة ليله يومك الذى أنت فيه، و قد مضت

و هي من برحت أى انقضت، و منه ما برحت أفعل كذا، و أصله البراح، من المكان و قال الفراء: برحت بالفتح مضت و يقال: برح الخفاء أى زال و منه البارحة و قال قطرب: لا- يقال بارحة الأولى لأنّ الشىء لا يضاف إلى نفسه، و لا إلى نعته و الجمع البوارح.

و ذكر بعض شيوخنا أنّ قوله: لا أبرح بمعنى لا أنال و لا يجوز أن يكون أصله من البراح من المكان بدلاله قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرُحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ [سورة الكهف، الآية: ٦٠] أ لا ترى أنّه محال أن يبلغ مجمع البحرين و هو لم يبرح من مكانه قال: و إذا لم يستعمل أبرح إلا على أحد هذين الوجهين و بطل أحدهما ثبت الآخر، و يمكن أن يقال فى جوابه معنى لا أبرح حتى أبلغ أى لا أتجاوز هذا الطريق و لا أعدل عن سلوكه و سمته حتى أبلغ هذا المكان، فحذف الطريق و هذا كما يقال: لم أبرح بلد كذا حتى فعلت كذا و إن كان ينقل فى البلد لأنّ المعنى لم أتغيب و يشهد لهذا أنه لا يستعمل ما برح فى الله تعالى لأنّه لا يقال: لم يبرح الله قادرا فلو كان لم يبرح بمعنى لم يزل حتى لا فرق بينهما لما امتنع مما دخله، و إذ قد امتنع فلائنه لا يجىء إلا و أصله البراح من المكان ذكر أو لم يذكر و ذلك لا يجوز على القديم تعالى.

و اعلم أنّ هذه الكلمه فى اللغه مدارها الأكثر على التّجاوز، من ذلك قال الأعشى:

أبرحت ربا و أبرحت جارا أى جاوزت ما عليه أمثالك فى الخلال المرضيه، و البارحة الأولى التى قبل البارحة، و جمع البارحة البوارح، و لم يتجاوزوا ذلك. و أمّا الفائده فما يستقبل بعد ليلتك التى أنت فيها و كأنها مأخوذه من الاستقبال و يقال: قبلت الوادى أقبله إذا استقبلته و يقال: آتيك القابله و المقبله كما يقال: عام قابل و مقبل و أنشد:

أقبلتها الخلّ من حوران مجتهدا إني لأزرى عليها و هى تنطلق

و يقال فعلته ليلا و نهارا أى ضياء و ظلاما، غير مخصوص بوقت معلوم، و فعلته يوما و ليله يريد أنّ من جمله الزّمان ما تنحصر بهذا القدر و ربما جعل بعض أجزاء الليله ليلا و جعل الليل ليله واحده قال:

و ودّ الليل زيد إليه ليل و لم يخلق له أبد النهار

و لم يرد الجنس لأنّ الجنس يستوعب الأوقات، فلا يزداد للأمثله و كذلك قوله: إني إذا ما الليل كان ليلتين، أراد كل واحد من الشّاعرين ليله واحده و أنها فى طولها كانت أوقاتها و ساعاتها لتطاولها و امتدادها و مقاساه ما يعانى منها كليتين. و غرض الشاعر أن يصف طول ليلته أى كأنها فى طولها مضاعفه متزايد، و إذا جعل الليل جنسا فسد المعنى أيضا؛ لأنّ الليل المستوعب لأجزاء جنس الليل إذا قيل فيه كان ليلتين و حصر بما يقع فيه التّنبيه من

أجزائه عاد نقصانا لا تضعيفا و قوله تعالى: وَ سَبَّحَهُ لَيْلًا طَوِيلًا [سوره الإنسان، الآية: ٢٦] المراد به أجزاء ليله طويله من الليل لأنه لو أريد الجنس لما صح فيه ذكر الطول و للزم التسبيح ليله طويله دون ليله قصيره، و إذا أريد الجزء من الليل فى كل ليله فهو أمر بالتسبيح جزءا طويلا و أجزاء طويلا.

و قال بعضهم فى قوله تعالى: وَ ذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ [سوره إبراهيم، الآية: ٥] أى بنعمه، و الكوفيون رووا الليل ليلك، و اليوم يومك، و يراد به الوقت وقتك، و يقال: الليل ليلك و اليوم يومك، فيجعلون الأولى ظرفا للثانيه، و جعلوا الثاني جزءا منه لأنّ الظرف وعاء مستوعب، فيجب أن يكون أوسع من ذى الظرف ليوعبه و يشتمل عليه كما يحوى الوعاء ما ضمنه، و أما قوله تعالى: فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا [سوره الدخان، الآية: ٢٣] و قد علمنا أن السرى لا يكون إلا ليلا، فالمراد فى جوف الليل، و لو قال: فأسر بعبادى، و لم يقل ليلا- لكان مطلقا فى أول الليل و آخره و ما بينهما، أ لا ترى أنك تقول: جاءنى فلان البارحه بليل، فيكون المعنى فى استحكام الليل، و قد يجىء ما لا يحتاج فيه إلى تأكيد، تقول: أدلجت فيكون المعنى سرت فى أول الليل، و لو قال: أدلجت فى أول الليل لساغ فيكون تأكيدا كتكرير الاسم أو الفعل قال زهير شعرا:

بكرن بكورا و استحرن بسحرفهن لوادى الرّس كاليد للفم

فقوله بسحرفه بكور على وجهين: أحدهما أن يكون الإدلاج لآخر الليل و بكرن للسحر و غيره، فإذا قال بسحرفه فقد بين أى الوقت من آخر الليل، و يكون توكيذا محضا قال تعالى:

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ* [سوره هود، الآية: ٨١] على هذا و العرب يقول: أتيتك بقطع من الليل، و بعد وهن من الليل إذا دخلت فى استحكامه، فأما قول ضميره شعرا:

بكرت تلومك بعد وهن فى التدى سهل عليك ملامتى و عتابى

فقال: بكرت ثم قال بعد وهن، و الوهن لا- يكون إلا- ليلا فالمعنى أول ذلك الوقت و قولهم: بكر عليه إذا لم يسمّ الوقت فإنما يعنى جاء فى أوله ليلا كان أو نهارا، و بها سميت الباكوره من الثمر و إن لم تذكر وقتا، و قلت أتاننا بكره فإنما تأويل ذلك أول النهار لا غير، هذا المستعمل بلا شرط، و ما تقدم فإن تذكر ما يدل عليه و كذلك اليوم إذا كان مطلقا إنما تعنى به النهار دون الليل و الألف و اللام يدل على يومك، إلا أن وصله بغيره فتقول: رأيت اليوم الذى مضى.

فصل آخر [فى بيان معنى البكره و العشى]

قوله تعالى: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا [سوره مريم، الآية: ٦٢] يريد على ما

اعتادوا في الدنيا و البكره ما اتصل بما قبله من الليل، و العشى ما يتصل به الليل و لا ليل في الجنه و لكن على ما ألفوا في الدنيا و تعودوه من الأوقات و مثله قوله تعالى: كَلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [سوره الإسراء، الآية: ٩٧] و لا خبو لنار المعاد و لكن عند ما علم من خبو نار الدنيا و انقضاء تصرّمها يجدد لأولئك العذاب، فأما قولهم المبكر فهو ما جاء في أول الوقت و ليس هو من بكور الغداه. و منه قوله عليه السلام: «بكروا بصلاته المغرب» و التبكير أول أوقات الصلاه. و منه قوله عليه السلام: «من بكر و ابتكر» فبكر يكون لأول ساعات النهار و يكون لأول وقت من الزوال و ابتكر لا يكون لأول ساعات النهار.

قال أبو العباس ثعلب: يجوز في قوله: ابتكر أسرع إلى الخطبه حتى يكون أول دان و سامع، كما تقول ابتكرت الخطبه و القصيده أى اقتضبتها و ارتجلتها ابتداء لم أرد فيه و قول الفرزدق: إبتكار كرم تقطف فالمراد حملت أول حملها و أنشدنى شيخنا أبو على، قال أنشدنى أبو بكر السراج لعنتره العبسى:

إن كنت أزمعت الفراق فإنما زمت جمالكم بليل مظلم

قال يقول: إنك ابنه ملك فلا- ير حل بك إلا ليلا فلذلك خفى. قال: و يجوز أن يكون المعنى إن كنت أظهرت رحلتك الآن فإنما وقع العزم عليه ليلا، كما قال الحارث بن جلزه شعرا:

أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضواء

كان المراد أمرهم فى الارتحال دبر بليل و لم يكن فلتته. و قول الشاعر عمرو ابن كلثوم شعرا:

و أيام لنا غرّ طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

أراد الأوقات لأنّ معصيتهم للملك كانت فى الليل و النهار، فإن قلت: كيف تكون الليالى غرا إلا ما يذكر من ليالى الشهر يقال ثلاث غرر و ذلك لبياضها بدوام القمر فيها؟

قيل: لم يرد بالغر بياض الوقت و وضوحه بضياء شمس أو قمر إنما أراد إسفاره و إشراقه و اشتهاره فى مواطن الشرف و المجد و السنا و الافتخار، و حميد البلاء، و حسن الآثار و لقاح الغرّه و امتناع الجانب على من يأتهم و كذلك قول القائل شعرا:

و أيامنا مشهوره فى عدوّنا لها غرر معلومه و حجول

و يجوز أن يريد فى الأول بالغر أيضا بياض المقادير كغره الفرس، فأما قولهم: أيامنا طابت ببلد كذا و المراد لياليها، فهو من هذا و لذلك قيل: لو أن إنسانا قال: عبدى حر لوجه الله يوم يقدم علينا فلان أنه يعتق و إن قدم ليلا، و على هذا قوله تعالى: اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دَيْنُكُمْ [سوره المائدہ، الآیہ: ٣] قيل: أراد يوما بعينه و قيل: أراد زمنا و وقتا قال الدريدي:

و العرب تقول: كيف أصبحت من نصف الليل الآخر إلى نصف النهار؟ و كيف أمسيت من الزوال إلى نصف الليل؟ و يقولون: في يومك كان الليله كذا إلى الزوال، فإذا أزال الشمس قالوا كان البارحه. و حدث الجمحي قال: تقول العرب: صبحتك الأنعمه بطيبات الأطمعه.

و حدث أبو العباس المبرّد قال: أنشدني المازني عن أبي زيد:

كيف أصبحت كيف أمسيت ممّا ثبت الودّ في و داد الكريم

قال: المعنى و كيف أمسيت قال: و يقول العرب في مثله: ضربت زيدا عمرا لا يريدون بدل الغلط و لكن يريدون الواو. قال: و لو طال الكلام لكان أحسن مثل ضربت زيدا و أحسنت في ذاك عمر، أو معنى البيت أن كلّ واحده من هاتين اللفظتين و التّحيتين تغرس الود للمحبي بهما في قلب المحي، و مما استعمل من هذا الباب ظرفا و لم يستعمل اسما قولهم: إنه ليسار عليه صباح مساء معناه: صباحا و مساء و هذا عكس قولهم الليل إذا أرادوا به ليل ليله، لأنّ الليل أوقع فيه اسم الجنس على الواحد منه، و هذا أوقع فيه الواحد موقع الجنس و الكثره.

الباب الزابع فى ذكر ابتداء الزمان و أقسامه

و التنبيه على مبادئ السنه فى المذاهب كلها و ما يشاكل ذلك من تقسيمها على البروج يقال: إن الله تعالى خلق الخلق كله و الشمس برأس الحمل و الزمان معتدل و الليل و النهار مستويان، فأول الأزمنه فصل الصيف، و هو الذى يدعوه الناس الربيع و منه ابتداء سنه الفرس فكلما حلت الشمس برأس الحمل فقد مضت للعالم سنه عندهم، قال ابن قتيبه:

و لذلك قال أبو نواس شعرا:

أما ترى الشمس حلت الحمل و قام وزن الزمان فاعتدلا

و غنت الطير بعد عجمتها و استوفت الخمر حولها كمالا

لأن مراده استوفت الخمر حول الشمس كمالا فالهاء فى قوله: حولها كناية عن الشمس قد مضى ذكرها، قال ثعلب: حولها تغلبها من حال إلى حال.

و قال المبرد: من ابتداء إبراق الكرم إلى استحكام العنب ستة أشهر، و من استحكام العنب إلى استحكام الخمر ستة أشهر، و ذلك عند حلول الشمس برأس الحمل فلذلك حول. و قال بعضهم: حول الخمر ستة أشهر و الضمير لها فهذا ما فى هذا و قد قال أبو نواس فى قصيده أخرى أولها شعرا:

أعطتك ريحانها العفارو حان من ليلك السفار

ثم قال:

تحيرت و النجوم وقف لم يتمكن لها المدار

و فى هذا البيت معنى لطيف مليح و ذلك أن أصحاب النجوم و الحساب يقولون: إن الله تعالى حين خلق النجوم و جعلها واقعه فى برج، ثم سيرها من هناك، فيريد أن هذه الخمره

تخيرت في وقت خلق الله تعالى الأفلاك، و الزوم تجعل ابتداء سنتها من الخريف، و هو زمان الاعتدال و الاستواء أيضا، فكلما حلت الشمس برأس الميزان فقد مضت سنة للعالم عندهم، و العرب تجعل السنه نصفين شتاء و صيفا و تبدأ بالشتاء فتقدمه على الصيف كأنها تعمد على أن مبادئ الأوقات فيه و أوائل النماء في العالم منه، ثم أول الصيف داخل عليه واصل و ما بعده مزلق منه و فيه يستقبل الأمور و يفتح لأنواع الخلق التدبير و يزدوج الأسباب و تلقح السحاب و يحيى الأرض بعد موتها و ينشر النباتات غب اندفانها و إلى هذا أشار أبو تمام في قوله:

لو لم تكن غرس الشتاء بكفه لاقى المصيف هشايما لا ثمر

و يشهد لذلك تقديم الله تعالى الشتاء على الصيف حين ذكر رحلتى قريش للتجاره و امتنّ عليهم بما مكن لهم في النفوس من الإجلال و المهابه لكونهم قطان الحرم و أرباب الأشهر الحرم، حتى أمنوا الزمان، و كانت العرب من غلب سلب فقال: لِيَلِافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ [سوره قريش، الآية: ١- ٢].

فابتداء الشتاء و هو النصف الأول من السنه من حين ابتداء النهار في الزيادة، و ذلك لحلول الشمس برأس الجدى و في برجه إلى انتهائه في الطول و ذلك لحلول الشمس في برج السرطان، و ابتداء الصيف و هو النصف الثاني من السنه من حين ابتداء النهار في التقصان، و ذلك لحلول الشمس في برج السرطان إلى حين انتهائه في القصر، و ذلك لحلول الشمس في برج الجدى و يقسمون الشتاء نصفين.

و الصيف أيضا نصفين، و منتصف كل واحد منهما استواء الليل و النهار و الاستواء الذي يكون في نصف الشتاء يسمّى الاستواء الربيعي و هو لحلول الشمس في برج الحمل، لأن الشتاء كله ربيع عندهم من أجل الندى، و لذلك تسميه الربيعين الأول ربيع الماء و الثاني ربيع النبات، و الاستواء الذي يكون في نصف الصيف يسمّى الاستواء الخريفي، و ذلك لحلول الشمس في الميزان فهذه أرباع السنه و فصولها الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف، و لكل فصل من فصول السنه ثلاثه أبراج من البروج الاثنى عشر لأنها ثلاثه أشهر.

فبروج الشتاء الجدى و الدلو و الحوت، و بروج الربيع الحمل و الثور و الجوزاء، و بروج الصيف: السرطان و الأسد و السنبله. و بروج الخريف: الميزان، و العقرب و القوس. و أوائل بروج هذه الفصول تسمى منقلبه و هي الجدى و الحمل و السرطان و الميزان، لأين في أوائل هذه الفصول ينقلب الزمان من طبيعه إلى طبيعه. و أوساطها و هي الدلو و الثور- و الأسد- و العقرب- تسمى ثابتته لأن في أوساط الفصول تثبت طبائع الزمان على حدّها و أواخرها و هي

الحوت- و الجوزاء- و السِّنبله- و القوس- تسمى ذوات جسدین لامتزاز طبيعه كل فصل بطبيعه الفصل الذى يليه. و ذكر بعضهم أنّ أهل الحجاز يجعل للسنة ستة فصول و سميا و شتاء و ربيعا فهذه أزمته الشتاء و صيفا و حميما و خريفا فهذه أزمته الصيف.

و اعلم أنهم يبدءون من الأوقات بالليل كما يتدئون من الزمان بالشتاء و لذلك صار التاريخ به من دون النهار، و إنّما كان عندهم كذلك لأن الظلمة الأول و الضياء داخل فيه و كل معتبرهم بمسير القمر فمستهله جنح العشاء و طلوعه تحت البيات. فلولا أنّ نوره و نور الشمس يجلوان الهواء لكان الظلام راكدا فهو أقدم ميلادا و أسبق أوانا، و ألد استمتعا، و أوتر مهادا و أغزر مطرا، و أروى سحابا، و أندى ظلا، و أهول جنانا، و أطيب نسима، و أفضل أعمالا. و لذلك قدمه الله تعالى فى رتبه الذكر و رتبه الوصف فقال تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا [سوره النبأ، الآيه: ١٠- ١١] فرتبه الذكر ظاهره من التلاوه كما ترى، و رتبه الوصف أن السكن و اللباس مقدمان على السبح و المعاش فى متصرفات الأنام.

ثم بعد ذلك هما أخو الهدو و القرار اللذين منهما يتدئ النشاء و النماء. و قال تعالى عند الأقسام بالزمان: وَ اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى وَ النَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى [سوره الليل، الآيتان: ١- ٢] وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] فلا- موضع أجرى ذكرهما إلا و الليل مقدم، ثم فضل تبديل المجتهد و ترتيل القارئ، و ابتهاج المستغفر فيه على ما يكون منها فى غيره فقال تعالى: وَ الْمُسِيءُ تَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ [سوره آل عمران، الآيه: ١٧] و فى موضع آخر: وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ [سوره الذاريات، الآيه: ١٨] إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قَيْلًا [سوره المزمل، الآيه: ٦] كل ذلك لأنه الأول المقدم، و الأصل الموصل، و الأوان الممهّد للراحه و الوقت الموجه للرفاهيه، و كذلك قالوا عند المدح: ما أمره عليه بغمه و لا ليله عليه بسرمد. و قال النابغه:

فإنك كالليل الذى هو مدركى و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

فقال: كالليل و لم يقل كالصباح و إن كان المغر من كل لا يطاق و قال بعضهم: إنما قال كالليل لأنه كان عليه غضبان. و قد قيل الليل أخفى للويل و أخذ الفرزدق قول النابغه هذا شعرا:

و لو حملتنى الريح ثم طلبتنى لكنت كشيء أدركته مقادره

جعل الريح بإزاء الليل و الليل أعم، و المستحسن قول النبى صلى الله عليه و سلم: «نصرت بالزعب و جعل رزقى تحت ظل رمحى، و ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل» يعنى الإسلام،

و كما ندب المتعبد إلى التقرب فيه إليه. و قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم: **وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** [سوره الإسراء، الآية: ٧٩] أنبأ عن نفسه تعالى بمثله فيما يبرمه، و يقضيه، فقال تعالى: **فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** [سوره الدخان، الآية: ٤] يعنى فى ليله القدر التى هى خير من ألف شهر.

ثم قال الناس: هذا أمر دبر ليل، و ثبت الرأى، و هذا رأى مبيت و ليس القصد تفضيل الليل على النهار، و إنما المراد التنبيه على سبقه و على إصابه العرب فى تقديمه، و قد تكلمنا فى تصحيح طريقه العرب فيما قدّمناه من الآى التى شرحناها عند قوله تعالى: **وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ** [سوره يس، الآية: ٣٧] و ما يقتضيه لفظه السّليخ بكلام بين، و ذكر أبو حنيفة الدّينورى عن غير واحد من علماء الرّوايه أن العرب تبدأ فتقسم السّينه نصفين شتاء و صيفا، و تقدم الشّتاء على الصّيف و تجعله أول القسمين و هذا ضد صنيع الجمهور من أهل القرار و علماء الحساب، لأنهم يقدّمون الصّيف على الشّتاء.

و قد كان بين أهل العلم اختلاف قديما فى أنه أى أرباع السّينه أولى بالتقديم حتى رأوا أنّ ربيع الربيع الذى أوله حلول الشّمس برأس برج الحمل أولى بالتقديم فأطبقوا على تقديمه باتفاق، و لذلك أجمعوا فى عد البروج على الابتداء ببرج الحمل. و فى عد المنازل على الابتداء بالشّرطين، حتى لا- تجد فى ذلك مخالفا. هذا صنيعهم فى الأزمنه، فأما إذا صرت إلى سنّى الأمم وجدتهم فيها مختلفين. فمنهم من يفتتح السّينه فى ربيع الشّتاء، و منهم من يفتتحها فى ربيع الخريف، و منهم من يفتتحها فى ربيع الرّبيع كلّ ذلك قد فعلوا.

و ممن افتتحها فى الخريف أهل الشّام من السّيرانيين، ألا ترى أوّل سنتهم تشرين الأوّل و أنه صدر الخريف و ابتداء الوسمى، و لعل العرب أيضا كانت قد ابتدأت السّينه فى بدء الأمر على مثل ذلك، فجعلوا مفتحها فى أول الوسمى كما أنه يقدمه فى قسمه الأزمان و الأنواء. فثبتوا على أمرهم الأوّل فى تقديم الوسمى، و انتقل مدخل السّينه عن موضعه الأوّل ثمانين عدد أيام سنه القمر و سنه الشّمس من التّفاوت و الفصول إنما تتفضّل بمسير الشّمس لا بمسير القمر.

و إنّما توهمت هذا من صنيع العرب من أجل أنّ كثيرا من علماء الرّواه يزعمون أنّ شهرى ربيع إنما سمّيا للربيع، و أن جماديين إنما سمّيتا للشّتاء و وجود الماء. و أن شعبان إنّما سمى شعبان لاشتعباب الطّعن إياهم عن المربع للمحاضر و أنّ شهر رمضان إنّما سمى رمضان لشده الحر و الرّمض و أنّ صفر أنسب إلى الزّمان الذى يسمّى الصّيفى، و هذا الذى ذكروا أمر قريب لا يبعد فى الوهم، لأننا على هذا الترتيب نجد أزمان السّينه عندهم، و مما يقوى هذا القول ما حكى عن الغنوى الأعرابى و عن غيره فإنه قال: جمادى عند العرب

الشَّتَاءُ كُلُّهُ قَالَ: وَيُقَالُ لِلْحَرِّ كُلِّهِ شَهْرُ نَاجِرٍ، كَمَا يُقَالُ لِلشَّتَاءِ كُلِّهِ جَمَادَى، وَكَانَ يَنْشُدُ بَيْتَ لَبِيدٍ فِي الْجُزْءِ شِعْرًا:

حَتَّى إِذَا سَلَخَا جَمَادَى سَتَهَجَزَاءُ فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا

بِخَفْضِ سِتِّهِ عَلَى إِضَافَةِ جَمَادَى إِلَيْهَا وَقَالَ أَرَادَ سِتَّهُ أَشْهُرَ الشَّتَاءِ، وَهِيَ أَشْهُرُ النَّدَى وَالْجُزْءِ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَنْشُدُهُ أَبُو عَمْرٍو وَالشَّيْبَانِي خَفْضًا وَيَقُولُ: أَرَادَ جَمَادَى سِتَّهُ أَشْهُرَ فَعَرَفَ بِجَمَادَى. قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَيَشْهَدُ لِلْغَنَوِيِّ كَثْرَةَ ذِكْرِ الْعَرَبِ جَمَادَى إِمَّا بِبُرْدِ الزَّمَانِ وَإِمَّا بِكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ وَالْأَمْطَارِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ أَوْصَافِ الشَّتَاءِ وَلَوْ كَانَ قَصْدُهُمْ إِلَى ذِكْرِ الشَّهْرِ لَمَا تَطَاوَلَ لِسْرَعُهُ انْتِقَالِ الشَّهْرِ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَكُونُ مَرَّةً فِي صَبَارِهِ الشَّتَاءِ وَمَرَّةً فِي حِمَارِهِ الْقَيْظِ وَإِنَّمَا حَالُهُ فِي ذَلِكَ كَحَالِ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَأَنْتَ لَا تَجِدُ جَمَادَى مَوْصُوفَةً بِالْحَرِّ كَمَا تَجِدُهَا مَوْصُوفَةً بِالْبُرْدِ. قَالَ الشَّاعِرُ شِعْرًا:

فِي لَيْلِهِ مِنْ جَمَادَى ذَاتِ أَنْدِيهِلَا يَبْصُرُ الْكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا الطَّنْبَا

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَدَّمُوا الشَّتَاءَ عَلَى الصَّيْفِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ. وَأَنَّ الصَّيْفَ أَنْثَى، وَ لَمْ يَذْكُرُوا عَلَيْهِ تَذْكَيرَ الشَّتَاءِ، وَ تَأْنِيثَ الصَّيْفِ، وَ لَا - أَظُنُّهُ إِلَّا لِقِسْوَةِ الشَّتَاءِ وَ شِدَّتِهِ وَ لِينِ الصَّيْفِ وَ هُونِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَذْكُرُوا كُلَّ صَعْبٍ مِنَ الْأَعْمُورِ قَاسٍ شَدِيدٍ، حَتَّى قَالُوا: دَاهِيَهُ مَذْكَارٌ، وَ إِنْ كَانَتْ أَنْثَى فَصَعَّبُوهَا بِأَنَّ تَكُونَ تَنْتِجُ ذَكَورًا وَ حَتَّى قَالُوا أَرْضٌ مَذْكَارٌ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ مَخَافٍ وَ أَفْزَاعٍ، وَ قَالُوا: يَوْمَ بَاسِلِ ذَكَرٍ فِي شَرِّهِ وَ شِدَّتِهِ حَتَّى قَالَ الشَّاعِرُ شِعْرًا:

فَإِنَّكَ قَدْ بَعَثْتَ عَلَيَّكَ نَحْسَاشَقِيَّتٍ بِهِ كَوَاكِبُهُ ذَكَورٌ

فَجَعَلَهَا مَعَ نَحْوِ سِتِّهَا ذَكَورًا لِيَكُونَ شَرُّهَا أَفْظَعَ وَ أَصْعَبُ وَ (الصَّيْفِ) وَ إِنْ تَلَطَّى قَيْظُهُ وَ حَمَى صَلَاةً فَهُوَ هَيِّنٌ عِنْدَهُمْ إِلَى جَنْبِ الشَّتَاءِ، وَ الشَّتَاءُ يَبْرَحُ بِالْقَوْمِ وَ لِذَلِكَ قَالَتْ بِنْتُ الْحَسَنِ وَ قَدْ سَأَلَتْ عَنْهُمَا: أَيُّهُمَا أَشَدُّ فَقَالَتْ: وَ مَا جَعَلَ الْبَيْسَ مِنَ الْأَدْيَةِ تَقُولُ مِنْ يَقِيسُ الْبُؤْسَ وَ الضَّرَّ إِلَى أَذَى فَقَطْ أَيُّ الشَّتَاءِ أَشَدُّ: (وَ الْبَيْسُ وَ الْبُؤْسُ) وَاحِدٌ قَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي نَعْتِ امْرَأَةٍ بِيضَاءٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ (لَمْ تَذُقْ بَيْسًا وَ لَمْ تَتَّبِعْ حَمُولَهُ مَجْحَدٌ) وَ لِذَلِكَ لَا تَجِدُهُمْ يَشْتَكُونَ الضَّرَّ وَ سُوءَ الْحَالِ وَ الْهَزَالَ فِي الصَّيْفِ وَ لَا يَعْدُونَ أَنَّ يَصْفُوا أَوَارَهُ وَ صَخَدَهُ وَ عَطَشَهُ وَ إِذَا صَارُوا إِلَى الشَّتَاءِ عَجَّوْا مِنْ وَطْئِهِ وَ نَوَّهُوا بِأَسْمٍ مِنْ آسَى فِيهِ، وَ احْتَمَلَ الْكَلَّ وَ أَطْعَمَ الْمَصْرُورَ.

قَالَ الشَّيْخُ الَّذِي قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ فِي تَعْلِيلِ تَذْكَيرِ الشَّتَاءِ حَسَنًا وَ أَقْرَبَ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ لَمَّا

كان إدراك الثمار في الربيعين و وضع الأحمال من الملائح و نتائج الخير في أصناف المعاش من الزرع و الصرع في الصيف، و إن كانت مبادئها في أوائل الشتاء ثم تمت حالا بعد حال فكانت تنتظر في آجالها وقتا بعد وقت انتظار ما في بطون الحاملات، فجعلوا الشتاء ذكرا و الصيف أنثى. و هذا شرح ما رماه الشاعر في قوله:

لو لا الذى غرس الشتاء بكفه لاقى المصيف هشايما لا تثمر

و ذكر أن منهم من يجعل الشتاء نصفين الشتاء أوله و الربيع آخره، و كذلك يجعل الصيف نصفين الصيف أوله و القيظ آخره.

و ذكر ابن كناسه أبو يحيى أن العرب تسمى الشتاء الربيع الأول و الصيف الربيع الآخر و أن أحدا منهم لم يذكر الخريف في الأزمنة لأن الخريف عند العرب اسم لمطار آخر القيظ، و هذا إذا توصل أسفر عن أنهم يجعلون الربيع اسما للندى و الجزء، لكنهم فصلوه بالشتاء لشده برده ثم اشتهر الربيع اسما لما لان من طرفى الوقت.

حكى ابن الأعرابي عن الغنوى أنه قال: يلقي الراعى صاحبه فيقول: أين تربعت العام إذا سقطت الصرفة (١)؟ و سقوطه عند انصرام نصف السنة الشتويه. و قال الفراء ربيع القوم ميرتهم في أول الشتاء، و أبين من جميع ما ذكرنا أنهم يسمون الفرع المؤخر فرع الربيع و هو من الشتاء. و قال النابغه و قد جعل الحرب كالميره:

و كانت لهم ربيعه يحذرونها إذا خضخضت ماء السماء القنابل

١- الصرفة في القاموس منزله للقمر نجم واحد نير يتلو الدبره سمي لانصراف البرد و بطوعها، محمد شريف الدين عفا عنه.

الباب الخامس فى قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها

اعلم أنّ الشَّمس تدور فى الفلك دورا طبيعيا، و هى لازمه له و عليها طريقها و القمر- و الكواكب الخمسه، و هى: عطارد- و الزّهره، و المريخ، و المشترى، و زحل. ربما كانت على هذا الفلك، و ربما مالت إلى الشّمال، و الجنوب، و يسمّى هذا الميل عرض الكواكب، و يسمّى هذا الفلك فلك البروج، و هى اثنا عشر: (الحمل)، و (الثور)، و (الجوزاء)، و (السرطان) و (الأسد)، و (السنبله)، و (الميزان)، و (العقرب)، و (القوس)، و (الجدى)، و (الدلو)، و (الحوت)، و إنما انقسم هذا الانقسام لأنّ الشَّمس متى انتقلت فى دورانها من نقطه بعينها عادت إلى تلك النقطه بعد ثلاث مائه و خمسه و ستين يوما و ربع يوم.

و فى دورها تستوفى فصول السنه التى هى الرّبيع، و الصيف، و الخريف، و الشّتاء.

و لهذه العلّه سميت هذه الأيام سنه الشَّمس، و القمر يجتمع مع الشَّمس فى مده هذه الأيام اثنتى عشره مره فجعلت الشَّمس اثنتى عشر شهرا و سميت الشهور القمرية، كما جعل الفلك اثنى عشر برجا ليكون لكل شهر برج.

و أسماء شهور العرب: المحرم، و صفر، و الرّبيع الأول، و الرّبيع الآخر، و جمادى الأولى، و جمادى الأخرى، و رجب، و شعبان، و رمضان، و شوال، و ذو القعدة، و ذو الحجّه.

قال الشّيخ: اختلف الناس فى أعداد أيام سنينهم، و هم متفقون فى عدّه الشهور و اعتماد العرب فيها خاصه على الأهله، فكل اثنتى عشر هلالا عندهم سنه، فتكون عدد أيامها ثلاث مائه و أربعه و خمسين يوما.

قال أبو الحسن المعروف بالصّوفى: بين أصحاب الحساب من الرّوم، و الهند خلاف يسير فى مقدار هذا الكسر، فكان الأوائل من أهل الروم متفقين فى القديم على ربع يوم فقط، ثم استدركوا فيه شيئا حقيرا.

و قال أبو حنيفة: ليس فى الأهمم أحفظ للفصول، و أوقات الأنواء و الطلوع من الروم، و لذلك من حل من العرب فى شق الشام أعلم بهذا من غيرهم، ثم أشد لعدى بن الرقاع:

فلا هنّ بالبهمة و إياه مذ نشاجنوب لراش فاللهأ له، فالعجب

شباطا و كانونين حتى تعدّرت عليهن فى نيسان باقيه الشرب

و إنما نصف عيرا و أتنارعين البقل فى إبانة

و إنما نصف عيرا و أتنارعين البقل فى إبانة إلى أن هاج، و نضبت المياه. و هم يبدءون فيجعلون أوّل السّنة تشرين الأوّل، و يجعلونه أحدا و ثلاثين يوما. ثم تشرين الثّانى ثلاثين يوما، ثم كانون الأوّل واحدا و ثلاثين يوما، ثم كانون الثّانى واحدا و ثلاثين يوما و ربع، ثم شباط ثمانية و عشرين يوما، غير أنهم يجعلونه ثلاث سنين كلّ سنة منها ثمانية و عشرين يوما و فى السنة الرابعة تسعة و عشرين يوما، و تلك السنة تكون فى عددهم ثلاث مائة و ستة و ستين يوما، و يسمونها الكبيسه.

و قال الخليل: يكون فى شباط فيما تزعمه الروم تمام اليوم الذى كسوره فى السّنين، فإذا تمّ ذلك اليوم فى ذلك الشهر، سمى أهل الشام تلك السنة عام الكبيس، قال: و هو يتيمّن به إذا ولد فى تلك السنة، أو قدم فيه إنسان. ثم آذار واحدا و ثلاثين يوما، ثم نيسان ثلاثين يوما، ثم أيار واحدا و ثلاثين يوما، ثم حزيران ثلاثين يوما، ثم تموز واحدا و ثلاثين يوما، ثم آب واحدا و ثلاثين يوما، ثم أيلول ثلاثين يوما، فتكون الزّيادات من الأيام خمسة أيام على ثلاث مائة و ستين يوما.

ثم أحبوا أن لا تغير أحوال فصول سنتهم على السّنين الكثيره و الدّهور المتابعه، فزادوا فى آخر شباط ربع يوم لتصير أيام سنتهم موافقه لأيام سنة الشّمس، و هى ثلاث مائة و خمسة و ستون يوما و ربع يوم، و يكون ثلاث سنين متواليه كذلك فإذا تمت الأرباع فى أربع سنين تصير سنتهم فى السنة الرابعة التى تليه ثلاث مائة و ستة و ستين يوما، و يصير شباط فى تلك السنة تسعة و عشرين يوما، و تسمى تلك السّنة الزّابعة سنة الكبيسه، فكرهت الفرس أن يزيد فى سنتهم ربع اليوم لأنهم لو فعلوا ذلك لاضطروا إلى الكبيسه فى كل أربع سنين و لم يمكنهم ذلك لأنهم سمّوا أيام الشّهر بأسام.

زعموا أنها أسامى الملائكة الذين يدرون أيام الشّهر و أسامى الأيام، هرمز، بهمن، اردبيهشت، شهرير، اسفندار، مذخرداد، مرداد، بيا، ذر، آذر، أبان، حوزماه، تير، جوش، ديمهر، مهر، سروش، رشن، فروردين، لوهرام، رام باذ، دنيدين، دين ارد، اشتاذ، اسمان، زامياذ، ماراسفند، انيران.

و أسماء الشهور اعتقدوا فيها مثل ذلك و هي: فروردین ماه، ارد بهشت ماه^(١)، خرداد ماه، تیر ماه، مرداد ماه، شهریور ماه، مهر ماه، ابان ماه، آذر ماه، دی ماه، بهمن ماه، اسفندیارمذماه.

و زعموا أنّ هرمز هو اسم الملك الذى يدبر أول يوم من الشهر، و بهمن اسم الملك الذى يدبر اليوم الثانى.

و كذلك الأسمى كلها و سموا أيضا الأيام اللواحق بأسماء الملائكة الذين زعموا أنهم يدبرونها و هي: خونوذكاه، و استوذكاه، و اسفيدكاه، و مشتحزكاه، و شتگاه. و قالوا إنّ كبسنا فى كل أربع سنين يوما فجعلنا اللواحق ستة أيام فى هذا اليوم بلا مدبر، و سقط أول يوم من آذر ماه و استوحش هرمزد و قدر أنهم يقصدونه ثم كانوا يكبسون فى كل مائه و عشرين سنة شهرا واحدا ليسووا بين الملائكة، و لا يستوحش أحد منهم و تصير سنتهم فى تلك السنة ثلاث مائه و خمسة و تسعين يوما و كانوا على ذلك إلى أن انقضت دوله الفرس و لم يكن فيهم من يمكنه فعل ذلك إلى أن كبس المعتضد مقدار ما كان قد مضى من سنة الكبيسه لكل أربع سنين يوما واحدا و جعل النيروز اليوم الحادى عشر من حزيران و فيه يقول الشاعر مادحاه شعرا:

يوم نيروزك يوم واحد لا يتأخر

من حزيران يوافى أبدا فى أحد عشر

و وضع الكبيسه على رسم الزوم و لا- يعمل ذلك إلا- ببغداد، فإنهم يجعلون أول سنتهم فى التقويم يوم النيروز المعتضدى، و يستعمل فى سائر البلدان النيروز القديم.

و ذكر هذا الإنسان و هو أبو الحسين الصوفى أنّ العرب كانت تكبس أيضا. ثم ذكر النسبى من قول الله تعالى: **إِنَّمَا النَّسَبُ** زيادةً فى الكُفْرِ [سوره التوبه، الآية: ٣٧] و قد تقدّم القول على ما قاله فيما مضى و بيّنا من تفسير الآية و الأخبار المرويّه ما أغنى.

و اعلم أنّ العرب لا تذهب فى تحديد أوقات الأزمنه إلى ما يذهب إليه سائر الأمم، و تجعل أول عدد الأزمنه فى تحديد أوقاتها، إلى ما يعرف فى أوطانها من إقبال الحرّ و البرد، و إدبارهما، و طلوع الثّبات و اكتهاله و هيج الكلاء و ييسه، و يذهب فى عدد الأزمنه إلى الابتداء بفصل الخريف و تسميه الربيع لأنّ أول الربيع و هو المطر يكون فيه- ثم يكون بعده فصل الشتاء- ثم يكون بعده فصل الصيف- و هو الذى يسميه الناس الربيع و يأتى فيه الأنوار. و إنما

١- فى صبح الأعشى: أردى بهشتماه.

سمّوه صيفا لأنّ المياه عندهم تغل فيه و الكلاً يهيج، و قد يسمّيه بعضهم الرّبيع الثّاني، ثم يكون بعد فصل الصّيف فصل القيظ، و هو الذى يسمّيه الثّاس الصّيف فأوّل وقت الرّبيع الأوّل عندهم و هو الخريف ثلاثه أيام تخلو من أيلول. و أوّل الشّتاء عندهم ثلاثه أيام تخلو من كانون الأوّل، و أوّل الصّيف عندهم و هو الرّبيع الثّانى خمسّه أيام من آذار، و أوّل القيظ عندهم أربعه أيام تخلو من حزيران. و الخريف المطر الذى يأتى فى آخر القيظ و لا يكادون يجعلونه اسماً للرّمان.

و قال عدى بن زيد فجعله اسماً للرّمان فى خريف:

سقاء نوء من الدّلو تدلّى و لم يولّينى العراقى

و سماه خريفاً، لاختراف الثّمار فيه و الحطيئه ممن يجعله المطر و ذكر امرأه فقال:

و تبدو مصاب الخريف الجيالا. يريد أنّها تنقل إلى البدو لمصاب هذه المطره، فهذه حدود الأزمنه عندهم، ثم يجعلون لكل زمان صميماً يخلص فيه طبعه فيذكرون منه شهرين و يدعون شهراً لأنّ نصف شهر من أوله مقارب لطبع الرّمان الذى قبله، و نصف شهر من آخره مقارب لطبع الرّمان الذى بعده، فالخالص منه شهران فيسمّون شهريّ الشّتاء بالخالص شهريّ قماح قال الهذلى:

فتى ما ابن الأغر إذا شتوناو حبّ الرّاد فى شهريّ قماح

و سميا بذلك لأنّ الإبل فيهما ترفع رءوسها عن الماء لشده برده و الإبل القماح هى التى ترفع رءوسها. و قال بشر يصف سفينه:

و نحن على جوانبها قعودنغصّ الطّرف كالإبل القماح

و الإبل إذا رفعت رءوسها عن الماء غصّت أبصارها، و يدعون هذين الشّهرين ملحان و شيبان لبياض الأرض بالصّقيع و الجليد. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جلودهاالملحان أو شيبان و اليوم أشهب

فهذان شهر الشّتاء فشيبان من الشّيب و ملحان من الملح و هى البياض و قيل كبش أملح منه.

و قال قطرب: يقال لجمادى الأولى و الآخره شيبان و ملحان من أجل بياض الثّلج، قال: و قولهم مات الجندب و قرب الأشيب أى الثّلج، و يسمّون شهريّ القيظ اللّذين يخلص فيهما حره شهريّ ناجر و سمّيا بذلك لأنّ الإبل تشرب فلا تكاد تروى لشده الحر، و النّجر و البغر متقاربان و هو أن يشرب فلا يروى من الماء يقال نجر من الماء إذا امتلأ منه فكظمه،

و هو على ذلك يشتهيه قال ذو الرمة يصف ماء شعرا:

صرى أجنّ يروى له المرّ وجهه و لو ذاقه ظمآن فى شهر ناجر

و قال الشّماخ شعرا:

طوى ظمأها فى بيضه القيظ بعد ماجرت فى عنان الشّعربين الأماعر

فهذان شهرا القيظ و لا أعلم أنّهم سمّوا شهري ربيع الثّانى باسم، إلا أنّهم يقولون:

حللنا ببلد كذا فى حدّ الربيع يريدون شهريه و قال أبو ذؤيب شعرا:

بها أبلت شهري ربيع كليهما فقد مار فيها نسؤها و اقترارها

النّسو بدو السّمّن و الاقترار أن تحثر بولها و هو من علامات السّمّن، قال رؤبه:

شهران مرعاها بقيعان الصّلق مرعى أنيق الثّبت مجاج الغدق

و قال ابن مقبل شعرا:

أقامت به حدّ الرّبيع و حازها أخو سلوه مسى به اللّيل أمّ ملح

يريد بأخى السّيلوه النّدى لأنهم فى رخاء و سكون ما دام النّدى عندهم و قولهم: مسى به اللّيل: أى جاء عند مجىء اللّيل، و

الأمّ ملح الأبيض، ربما ذكروا استيفاءها شهور الرّبيع الثّانى كلّها. قال حميد شعرا:

رعين المراز الجون من كلّ مذنب شهورا جمادى كلّها و المحرّما

قال: شهورا جمادى كلّها و هما شهران كما قال تعالى: فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ [سورة النساء، الآية: ١١] يريد أخوين

فصاعدا و لم يفعلوا ذلك فى زمن الخريف فيذكروا منه شهرين فيما علمت. و لا أحسب ذلك إلا لأنه لم يدعهم إلى ذكره شىء

كما دعا إليه شدّه البرد فى الشّتاء، و شدّه الحر فى الصّيف و القيظ، و وقت الجزء فى الرّبيع.

قال أبو حنيفة: النّياس مجمعون من تقديم البروج على برج الحمل. و من تقديم المنازل على الشّرطين، و فى ذلك دلالة على

تقديم فصل الرّبيع، و ذكره قبل سائر الفصول و هو لحلول الشّمس برأس الحمل، قال: و الفصل اسم جرى فى كلام العرب و

جاءت به أشعارهم، قال الشّاعر يصف حمير وحش شعرا:

نظائر جون يعتلجن بروضهلفصل الرّبيع إذ تولّت صبائه

و سَمِيَ فصلا لانفصال الحر من البرد، و انقلاب الزّمن الذي قبله، و يقال للفصول

أيضا: الفصيان و الواحده فسيه، و هي الخروج من حر إلى برد، و من برد إلى حر. و الفصيه تصلح في كل أوقات السّينه متى خرجت من أذى إلى رخاء فتلك فسيه، و لا يستعمل الفصل إلّا في حينه، فأما الأصمعي فإنه قال: الفصيه: أن يخرج من برد إلى حر، و يقال: أفصى القوم و هم مفصون، و يقال: لو أفصينا لخرجت معك. و الشّمس تحل برأس الحمل لعشرين ليله تخلو من آذار و عند ذلك يعتدل اللّيل و النهار، و يسمّى الاستواء الرّبيعي.

ثم لا- يزال النّهار زائدا، و اللّيل ناقصا إلى أن يمضى من حزيران اثنتان و عشرون ليله، و ذلك أربع و تسعون ليله، فعند ذلك ينتهى طول النّهار و قصر اللّيل، و ينصرم ربع الرّبيع، و يدخل الرّبع الذى يليه، و هو الصّيف، و ذلك لحلول الشّمس برأس السرطان، و يتدئ اللّيل بالزّيادة، و النّهار بالنقصان، إلى ثلاث و عشرين ليله تخلو من أيلول، و ذلك ثلاث و تسعون ليله، و عند ذلك يعتدل اللّيل و النهار ثانيه، و يسمّى الاستواء الخريفي، و ينصرم ربع الصّيف و يدخل ربع الخريف، و ذلك لحلول الشّمس برأس الميزان، و يأخذ اللّيل فى الزّيادة و النّهار فى النقصان، إلى أن يمضى من كانون الأوّل إحدى و عشرون ليله، و ذلك تسع و ثمانون ليله، و عند ذلك ينتهى طول اللّيل و قصر النّهار، و ينصرم فصل الخريف، و يدخل فصل الشّتاء، و يتدئ النّهار فى الزّيادة، و ذلك لحلول الشّمس برأس الجدى إلى مصيرها إلى رأس الحمل، و ذلك تسع و ثمانون ليله و ربع فعندها ينصرم ربع الشّتاء، و يدخل فصل الرّبيع، فعلى هذا دور الرّمان فاعلمه.

الباب السادس فى ذكر الأنواء، و اختلاف العرب فيها

إشاره

و منازل القمر، مقسمه الفصول على السنه، و أعداد كواكبها و تصوير مأخذها ضاره و نافعه اعلم أنا نذكر من أمر الأنواء و مذهب جهال العرب فيها، و من صفه المنازل و البروج ما يحتاج إليه هذا الكتاب، و الداعى إليه أنهم كانوا ينسبون الأوقات إليها كثيرا، و كذلك ما نذكره من أحوال الشمس و القمر، و كان فى العرب من يسرف فى الإيمان بها و نسبه الحوادث إليها، حتى أوهم كلامهم و إفراطهم أن السّيقيا و جميع ما يحمد منها، أو يذم إلى جميع ما ينقل فيه الأيام من خير و شر، و نفع و ضرر، و كل ذلك من الأنواء و بها. و هذا كإضافتهم إلى الكواكب أفعال صانعها، و تطابقهم فى التّمين و التّشاؤم بها، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من آمن بشىء من ذلك فقد كفر بما أنزل على».

و قد مرّ فيما تقدّم من الكتاب فصل كثير بين فيه فساد طريقتهم، و أنّ من عدل عنها و جعلها آيات يقيمها الله تعالى، تنبيهها على حكمته فيها، ليعتبر المعتبرون بها و يشكروا نعمه فيها، فقد برئت من الدّم ساحتها، و تباعد عن الإثم منهجه، على مثل ذلك يحمد قول عمر بن الخطاب حين خرج إلى الاستسقاء، فصعد المنبر و لم يزد على الاستغفار، ثم نزل فقيل: إنك لم تستسق، فقال: لقد استسقيت بمجاديح السّماء. قال أبو عمر و المجاديح و أحدها مجدح، و هو نجم من النّجوم كانت العرب تقول: إنّه يمطر به لقولهم فى الأنواء.

قال أبو عبيد فسألت عنه الأصمعى، فلم يقل فيه شيئا و كره أن يتأوّل على عمر مذهب الأنواء، و قال الأموى: يقال فيه أيضا: المجدح بالضمّ و أنشد فيه قوله شعرا:

و أظعن بالقوم شطر الملوك حتّى إذا خفق المجدح

قال أبو عبيد: و الذى يراد من هذا الحديث أنه جعل الاستغفار استسقاء يتأوّل قوله تعالى: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً [سوره نوح، الآية

: ١٠-١١] و إنما نرى أنّ عمر تكلم بهذا على أنها كلمه جاريه على ألسنه العرب ليس على تحقيق الأنواء، و لا التصديق بها، و هذا شبيه بقول ابن عباس في رجل جعل أمر امرأته بيدها، فطلّقت ثلاثا، فقال خطأ الله نوءها أ لا طلّقت نفسها ثلاثا. ليس هذا منه دعاء عليها أن لا- تمطر، إنّما هو على الكلام المنقول. و مما بين لك أنّ عمر أراد إبطال الأنواء و التكذيب بها بقوله: لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها الغيث. فجعل الاستغفار هو المجاديح لا الأنواء، و هذا القدر إذا ضمّ إليه ما تقدم في فصل يشتمل على تأويل الأخبار المرويّه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و بيان معتقدات العرب في الأنواء و البوارح، أغنى و كفى في عذر من يعذر، و ذمّ من يذم منهم و السلام.

قال أبو حنيفة يقال: ناء الكوكب ينوء نواً و نوء، أول سقوط يدركه في الأفق بالغداه قبل انمحاق الكواكب بضوء الصّبح.

و الكوكب إذا وافاه الصّبح و هو مرتفع عن أفق المغرب لا- يزال الصّبح يوافيه كلّ غداه، و هو إلى الأفق أقرب، حتى يوافق موافاته الأفق انمحاق الكوكب لضوء الصّبح، ثم يكون سقوطه بعد ذلك، و الكواكب ظاهره فلا يزال سقوطه يتأخر كلّ ليله إلى أن يكون في أول الليل، فتراه على الأفق غاربا مع ظهوره للأبصار، ثم يستسر فلا- يرى مقداراً من الليالي ثم يكون أول رؤيته غامضاً في ضياء الصّبح حين يبدو للأبصار. فالواجب أن يغرق ما بين الغروب الذي هو أول و بين الغروب الذي له النوء لأنّ الذي له النوء سقوط النجم بالغداه في المغرب بعد الفجر و قبل طلوع الشمس و طلوع رقيه في المشرق في ذلك الوقت، و لا يكون هذا إلا في غداه واحده من السنه للكوكب الواحد.

و أما السّقوط الذي هو أفول و استسرار، فإنّه يكون من أول الليل و ذلك أنّ هذا النجم الساقط بالغداه في أفق السّماء يرى بعد اليوم الذي يسقط فيه متأخراً السّقوط عن ذلك الوقت، فيسقط قبله و لا يزال يتأخر في كل يوم حتى يكون سقوطه في الليل، ثم يتأخر في الليل إلى أن يسقط في أول الليل في المغرب، ثم يستسر بعد ذلك فلا- يرى ليالي كثيره ثم يرى بالغداه طالعا في المشرق خفياً، فهذا سقوط الأفول، و قد أحسن الشّاعر في تحديد ذلك حين قال شعراً:

و أبصر الناظر الشعري مبيّنهلاً دنا من صلاه الصّبح ينصرف

في حمرة لا بياض الصّبح أغرقهاو قد علا الليل عنها فهو منكشف

تهلّهل الليل لم يلحق بظلمته قوت النهار قليلا فهي تزدلف

لا يباس الليل منها حين تتبعه و لا النهار بها لليل يعترف

فهذا وقت الطلوع و السقوط و معنى قوله: تهلhel الليل أى تصير فى مشرقه حيث امتزج سواده بياض الصبح فهى فوت النهار، لأنه لم يطمسها بضوئه، و لم يلحق بظلمه الليل الخالصه، فهى بينهما، و الليل لا يباس منها، لأنها فى بقيه منه، و لا النهار يسلمها لليل لأنها فى ابتداء منه، و مراد الشاعر بهذا الوصف أن الأمر الذى وقته كان فى حمازة القيط، لأن الشعري تطلع بالغداه فى معمعان الحر.

قال الشيخ: أظن هذا الشاعر سلك فى تحديده للاستسرار طريقه زهير حين قال يصف شاهينا و حمامه شعرا:

دون السماء و فوق الأرض قدرهما فيما تراه فلا فوت و لا درك

فقوله: لا- فوت و لا- درك، كقول ذاك لا- يباس الليل منها، و لا النهار يعترف الليل بها، قال: و قال الكميت فى تحديد وقت الطلوع شعرا:

حتى إذا لهبان الصيف هب له و أفر الكالئين النجم أو كربوا

و ساق الشريان الفجر بعضهما فيه و بعضهما بالليل محتجب

فجعل طلوعها بين الليل و النهار كما جعله الأول. و معنى أفر النجم: يريد إذا صارت الثريا فى وسط السماء، فمن نظر إليها ففر فاه، أى فتحه، و معنى كربوا: قربوا و طعن قوم على الكميت فى هذا البيت، و حسبوا أنه أراد أن إحداهما طلعت قبل الفجر، فهى فى الليل، و أن الأخرى طلعت مع الفجر، فهى فيه، فقالوا: لا يجوز ذلك إلا فى ثلاثه فصاعدا، قال أبو حنيفة: و الذى قالوا كما قالوا، غير أنهم ذهبوا إلى غير مذهب الكميت، و لو أراد الكميت ما توهموا لكان قد أخطأ فى المعنى أيضا مثل ما أخطأ فى اللفظ، و ذلك أنه قال: و ساق الشريان الفجر.

فاعلم أن الفجر طلع قبلهما، فكيف يعود فيجعل إحداهما طالعه قبله، هذا بتعجيل، و بعد فإن الشعريين تطلعان معا. و إنما أراد أن بعضهما كليهما فى الليل و بعضهما كليهما فى النهار، إذا كانتا بين الليل و النهار، قال الشيخ الأكشاف فى بصره الكميت أن يقال أراد أن بعضيهما فى الليل و بعضيهما فى النهار، فيخرج البعض بالثنيه من أن يكون بمعنى أحد، و يستفاد منها أن الشعريين تطلعان معا، و أن القصد فى ذكرهما للتحديد، إلى أن تكونا بين الليل و النهار، و مع ذلك فقد ضيق على نفسه تضييقا شديدا، فأفرط فى التحديد إفراطا بعيدا، فإذا سمعتهم ينسبون إلى الطلوع و السقوط مرسلا غير مضاف إلى وقت، فاعلم أنهم إنما يريدون الطلوع و السقوط للذين يكونان بالغداه، و ذلك مثل قولهم إذا طلعت العقرب:

حمس المذنب، و مثل قولهم إذا طلعت الشعري: جعل صاحب النخل يرى، و مثل قول الشاعر شعرا:

فلما مضى نوء الثريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغضر

و مثل قوله:

هنا ناهم حتى أعان عليهم عزالي السحاب في اغتماسه كوكب

فهذه السقوط و ما أشبهه هو بالغداة، و إذا ذكر ذلك من نجوم الأخذ خاصه فهو النوء، أ لا ترى أنهم لما أرادوا الطلوع بالغداة قالوا: إذا طلع النجم فالحرّ في خدم، فجاء مرسلا غير مضاف. و لما أرادوا طلوعه لغير الغداة قالوا: إذا طلع النجم عشاء ابتغى الرّاعي كساء، فجاء مضافا إلى الوقت. و أما قول القائل: حين البارحة حين غاب النجم و ذهب ليله كذا، حين طلع السّماك فإنما المراد بذلك، وقت المعجى ء و الذّهاب من تلك اللّيلة بعينها، و ليس من الأوّل في شى ء، و منه قول الشاعر شعرا:

حتى إذا خفق السّماك و أسحراو نبا لها في الشّد أي نبال

و مثل قول الآخر:

فعرسن و الشعري تغور كأنها شهاب غضا يرمى به الرّجوان

و إذا جاء ذكر المغيب مرسلا، فالمراد حينئذ الغيبوبه التي هي ابتداء الاستسرار و ذلك قولهم: غرب الثريا أعوه من شرفها، و كقولهم: مطر الثريا صيف كلّ و هذا الغرب غير السقوط الذي هو النوء، و مطر نوء الثريا و سمي و من هذا الجنس قول الشاعر:

فيّمت سيرا سريع الرّجاء مائل من راجل يركب

مغيب سهيل صدور الرّكاب سيرا يشقّ على المعتب

فهذا كلّ غيبوبه الاستسرار، و لا يكون إلا بالعشيّات على أثر مغيب الشّمس ثم لا تراه بعد ذلك حتى يتمّ استساراه، ثم يكون أوّل ظهوره بالغدوات و قد اختلف الناس في معنى النّوء: فبعضهم يجعله النّهوض، قال: لأنه سمي نوى الطلوع الرّقيب لا لسقوط الساقط، و هذا ليس بمنكر في اللّغه، لأنّ هذه اللفظه تعدّ في الأضداد، قال أبو حنيفه: هو النّهوض، و لكنّه نهوض الذي كأنه يميله شى ء فيجد به إلى أسفل، و زعم الفراء أنّ النوء السقوط و الميلان، و أنّ أبا ثروان أنشده في صفه راع نزع في قوس:

حتى إذا ما التّأمت مفاصله و ناء في شقّ الشّمال كاهله

قال: يريد أنه لما نزع مال إليها، و قوله: التّأمت مفاصله فإنّه يعنى أنّه لزم بعضه بعضا

لشدّه النَّزْع. قال: و نرى أنّ قول العرب ما ساءك و ناءك من هذا، و معناه أناءك فألقى الألف للاتباع كقولهم: هتأنى الطّعام و مرّأنى، و كان ينبغي أن يكون أمرأنى.

قال أبو حنيفة: فأما من ذهب إلى أنّ الكوكب ينوء ثم يسقط، و إذا سقط فقد تقضى نوؤه، و دخل نوء الكوكب الذى بعده، فتأويله أنّ الكوكب إذا سقط النّجم الذى بين يديه أطلّ هو على السّيقوط، و كان أشبه شىء حالا بحال النّاهض و لا نهوض به، حتّى يسقط، لأنّ الفلك يجزّه الغور، فكأنّه متحامل عليه، يعنى قد غلبه. و يجمع النوء أنواء و نوانا. قال حسان بن ثابت رضى الله عنه شعرا:

و يثرب تعلم أنا بها إذا قحط القطر نواتها

و قال بعضهم: الحق فى ذلك مذهب الخليل الذى حكاه عنه مؤرج، و هو أنّ النّوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النّجم، لأنّ المطر نهض مع سقوط الكوكب، و اسم الكوكب الشاقط النّوء أيضا، فالشىء إذا مال فى السّيقوط يقال: ناء، و إذا نهض فى تناقل يقال ناء به، قال ذو الرمة فى وصف الرياك:

ينون و لم يكسين إلا قنازعامن الرّيش تنواء الفصال الهزائل

و ينوء الحمل الثّقيل إذا مال بالبعير، و يقال: المرأه تنوء بها عجيزتها، قال الشاعر:

لها حضور و أعجاز تنوء بها إذا تقوم يكاد الخصر ينخزل

و فى القرآن: ما إنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ [سوره القصص، الآية: ٧٦].

فصل فى ذكر أسماء المنازل و صفاتها

و هى نجوم الأخذ، قال الله تعالى: وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [سوره يس، الآية: ٣٩].

و هى ثمانيه و عشرون منزلا لا اختلاف فى ذلك، و تسمّى نجوما، و إن كان منها ما هو كوكب واحد، و كان منها ما هو أكثر، و قد قيل للثريا: النجم، و هو كالعلم لها و هى ستّه كواكب. و النّجم إن كان كالعلم، و قد شهرت به، فقد يقولون فى النّسبه هذا النّجم الثّريا إذا جعلوه اسما لجماعه كواكبها، و يقولون: هذه نجوم الثّريا إذا جعلوا كلّ كوكب منها نجما، ثم جمعوها. قال ذو الرمة:

لعالیه فى الأدحى بیضا بقفرهکنجم الثّريا لاح بین السّحاب

و قال الأعشى فجعله جمعا:

يراقبن من جوع خلاء مخافهنجوم الثريا الطالعات الشواخصا(١)

و قال أبو عبيده: يقال النجم، فيفرد اللفظ و المعنى للجمع، و أنشد قول الراعي:

فباتت تعدّ النجم في مستجير هسريع بأيدي الآكلين جمودها

يعنى ضيفه قراها جفنه، قد استجار فيها الدّهم، فهي ترى نجوم الليل فيها. و أمّا الكوكب فلا نعلمه يقع إلا على واحد فقط، و قال الآخر في منازل القمر فسماها نجوما:

و أخوات نجوم الأخذ إلّا أنضها نضه محل ليس قاطرها يثرى

قال أبو عبيده: نجوم الأخذ: منازل القمر، سميت نجوم الأخذ، لأخذه كلّ ليله في منزل. و قال أبو عمرو الشيباني: الأخذ: نزول القمر منزله، يقال: أخذ القمر نجم كذا إذا نزل به. و أنشد أبو عمرو شعرا:

و أمست نجوم الأخذ غيرا كأنها مقطره من شدّه البرد كسف

و قال: مقطره من القطار، أراد تناسقها، و مراد الشاعرا كسوفها، لأنها متناسقه في الخصب و الجذب. و كان على كل حال، و كسوفها ذهاب نورها لشده الزمان و ذلك لما يعرض في الهواء من الكدر و لا يجلوه، قال أبو الطمجان القتيبي: تذكر حميرا وردت عيوننا.

و تراها نجوم الأخذ في حجراتها و تنهق في أعناقها بالجداول

و قال أبو حنيفة: أول ما تبدءون به من المنازل الشيطان، و لما كانت العرب تقدّم الشتاء كان أول أنوائها مؤخر الدلو، و هو الفرع المؤخر، و نوؤه محمود الوقت، عزيز الفقد، و هو أول الوسمى، ثم بطن الحوت و هو الذى يسميه الرشاء و لا يذكر نوؤه لغلبه ما قبله عليه.

و اعلم أنّ المنازل تبدو للعين منها فى السّماء أبدا نصفها، و هو أربعة عشر، و كذا البروج يبدو نصفها، و هو ستة لأنه كلّما غاب واحد منها طلع من المشرق رقيب و سقوط كلّ منزل فيه ثلاثه عشر يوما سوى الجبهه، فإنّ لها أربعة عشر يوما لأنّها خصّت بالليله الباقيه من أيام السّينه الثلاث مائه و الخمسه و الستين، و فصلت بذلك على سائرهما، لغزاره نوئها، و كثره الانتفاع بها، و يكون انقضاء الثمانيه و العشرين، و انقضاء الاثنى عشر مع انقضاء السنه.

و لَمَّا كَانَتِ السَّيِّئَةُ أَرْبَعَهُ أَجْرَاءَ صَارَ لِكُلِّ رِبْعٍ مِنْهَا سَبْعَةُ مَنَازِلَ، وَ هِيَ الْأَنْوَاءُ وَ أَسْمَاؤُهَا: الشَّرْطَانُ - البَطِينُ - الثَّرِيَا - الدَّبْرَانُ - الهَقْعَةُ - الهَنْعَةُ - الذَّرَاعُ - الثَّنْزَةُ - الطَّرْفُ (١) - الجَبْهَةُ - الزَّبْرَةُ - الصَّيْرَفَةُ - العَوَّاءُ - السَّيْمَاكُ الْأَعْزَلُ - الغَفْرُ (٢) - الزَّبَانِيُّ - الإِكْلِيلُ - القَلْبُ - الشُّوْلَةُ - النَّعَائِمُ - البَلْدَةُ - سَعْدُ الذَّابِحِ - سَعْدُ بَلْعٍ - سَعْدُ السَّعُودِ - سَعْدُ الْأَخْبِيَةِ - الفَرِغُ الْأَوَّلُ - الفَرِغُ الثَّانِي - الرِّشَا (٣) - فَهَذِهِ ثَمَانِيَةٌ وَ عِشْرُونَ نَجْمًا مِنْ أَمْهَاتِ الْمَنَازِلِ.

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: وَ قَدْ يَدْعُونَ مَعَهَا نَجْمًا أُخْرَ إِذَا قَصَرَ الْقَمَرُ أحيانًا عَنْ هَذِهِ الْمَنَازِلِ نَزَلَ بِبَعْضِ تَلْكَ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْقَمَرَ لَا يَسْتَوِي سِيرَهُ فِيهَا، لِأَنَّكَ تَرَاهُ بِالْمَنْزَلِ ثُمَّ تَرَاهُ وَ قَدْ حَلَّ بِهِ فِي الشَّهْرِ الْآخَرِ، فَتَجِدُ مَكَانِيَهُ مُخْتَلِفِينَ فِيهِ، إِذَا أَنْعَمْتَ حَفْظَهُ وَ ضَبَطْتَهُ، وَ لِهَذِهِ الْعِلَّةُ يَخْلُطُونَهَا بِالْمَنَازِلِ، حَتَّى رُبَّمَا جَعَلَ لِبَعْضِهَا فِي الْأَنْوَاءِ حَظًّا.

(١) أَمَّا الشَّرْطَانُ فَهِيَ كَوْكَبَانِ عَلَى أَثَرِ الْحَوْتِ مَفْتَرِقَانِ شِمَالِي وَ جَنُوبِي بَيْنَهُمَا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ قَدْرُ ذِرَاعٍ، وَ إِلَى جَانِبِ الشَّمَالِيِّ مِنْهُمَا كَوْكَبٌ صَغِيرٌ ذَكَرَ أَنَّهُمَا بِهِ سَمِيَّتِ الْأَشْرَاطُ، وَ الْوَاحِدُ مِنْهُمَا شَرْطٌ مُتَحَرِّكٌ، وَ قَدْ ذَكَرَ عَنِ الْعَرَبِ شَرْطٌ بِالْإِسْكَانِ قَالَ كَثِيرٌ فِي جَمْعِهِمَا شَعْرًا:

عَوَادٌ مِنَ الْأَشْرَاطِ وَ طَفٌ نَقْلُهُارَوَائِحُ أَنْوَاءِ الثَّرِيَا الْهَوَاطِلُ

وَ قَالَ الْكَمِيْتُ فِي الْإِفْرَادِ:

مِنْ شَرْطِي مَرْتَعَنُ تَجَلَّلَتْ عِزَالٌ بِهَا مِنْهُ بِتَجَاجِهِ سَحْلٌ

وَ لَيْسَ يَمْنَعُ تَحْرِيكُهُ فِي التَّنْسِبِ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْوَاحِدُ شَرْطًا يَأْسُكَانُ وَ إِذَا نَسَبَتْ إِلَيْهَا لَمْ يَنْسَبْ إِلَّا بِالْجَمْعِ أَوْ الْإِفْرَادِ، فَأَمَّا مَثْنَى فَلَمْ نَجِدْهُمْ قَالُوا شَرْطَايَ. قَالَ الْعَجَّاجُ فِي الْجَمْعِ:

مِنْ بَاكِرِ الْأَشْرَاطِ أَشْرَاطِي

. وَ هَذَا قَلِيلٌ.

قَالَ الشَّيْخُ: الْجَمْعُ قَدْ نَسِبَ إِلَيْهِ إِذَا جَعَلَ عِلْمًا أَوْ أَجْرَى مَجْرَى الْعِلْمِ، فَالْعِلْمُ كَقَوْلِهِمْ: كَلَابِي وَ أَنْمَارِي وَ مَدَائِنِي وَ مَا أَجْرَى مَجْرَى الْعِلْمِ أَشْرَاطِي، قَالَ وَ يَقُولُونَ: الشَّرْطَانُ قَرْنَا الْحَمْلَ، وَ يَسْمُونَهَا النَّطْحَ أَوْ النَّاطِحَ، وَ بَيْنَ يَدَيِ الشَّرْطَيْنِ كَوْكَبَانِ شَبِيهَانِ بِالشَّرْطَيْنِ، يُقَالُ لِهَذَا الْأَنْثِيَانِ. قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: ذَكَرَ الرَّوَاهُ أَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُهُمَا مِمَّا يَقْصُرُ الْقَمَرُ، فَيَنْزِلُ بِهِ وَ يَجْعَلُونَ لَهُمَا فِي الْأَنْوَاءِ حَظًّا.

١- بعضهم يسميها الطرفه.

٢- الغفره.

٣- منهم من يسميه: بطن الحوت.

(٢) و أما البطنين فتلقبه كواكب خفيه كأنها نقط الشاء، و هو على أثر الشرطين بين يدى الثريا، و قد يتكلمون به مكبرا، فيقولون: البطن، و يزعمون أنه بطن الحمل.

(٣) و أميا الثريا فهي النجم لا يتكلمون بها مكبره، و هي تصغير ثروى، مشتقا من الثروه، و كأنه تأنيث ثروان، و النجم كالعلم له يقال له: طلع النجم، و غاب النجم و أنشد للمرار شعرا:

و يوم من النجم مستوقديسوق إلى الموت نور الطبا

و قال شعرا:

إن النجم أمسى مغرب الشمس طالعاو لم يك فى الآفاق برق ينيها

قال الشيخ: هذا كما اشتهر عبد الله بابن عباس و صار كالعلم له، و كان له إخوه، قثم و غيره، فلم يشتهروا به، و يقولون: الثريا إليه الحمل.

(٤) و أما الدبران فالكوكب الأحمر الذى على أثر الثريا بين يديه كواكب كثيره مجتمعه من أدناها إليه كوكبان صغيران يكادان يلتصقان، يقول الأعراب: هما كلباه، و البواقى غنمه، و يقولون: قلاصه، قال ذو الرمه شعرا:

وردت اغتشافا و الثريا كأنها على قمه الرأس ابن ماء محملى

يدف على آثارها دبرانها فلا هو مسبوق و لا هو يلحق

لعشرين من صغرى النجوم كأنها وإياه فى الخضراء لو كان ينطق

قلاص(١) حداها راكب متعمم

إلى الماء من قرن التنوفه مطلق

قرن التنوفه أعلاها- و المطلق الذى يطلب ليله الماء و بعده القرب للورد، و يسمى دبرانا لدبوره الثريا، كما قيل: إيبان و صميان، و سمى تالى النجم، و تابع النجم. و قد يطلق فيقال: التابع، و يقال أيضا حادى النجم، و من أسمائه المجدح بالضم و الكسر فالضم حكاة الشيبانى، و الكسر حكاة الأموى، و المنجمون يسمونه قلب الثور و قولهم: الدبران مما اختص و جرى مجرى العلم.

(٥) و أما الهقعه فهي رأس الجوزاء ثلاثه كواكب صغار مثفاه، و تسمى الأثافي تشبها بها.

حكى عن ابن عباس أنه قال لرجل: طلق عدد نجوم السماء يجزئك منها هقعه

الجوزاء، و قد يقال للدَّابره يكون الشَّق الفرس الهقعه، و هي تكره، يقال فرس مهقوع.

(٦) و أمّا الهنعه: فكو كبان بينهما قيد سوط، و هما على أثر الهقعه و لتقاصرها عنها سمّيت الهنعه. و الذراع المبسوطه بينهما منحطه عنهما و يقال: أكمه هنعا إذا كانت قصيره، و تهانع الطائر إذا كان طويل العنق فقصّرها.

و قال ابن كناسه: يقال للهنعه الزرق الميسان، فإنما ينزل القمر بالتّحايى و هي كواكب ثلاثه بإزاء الهنعه و الواحده منها تحياه.

(٧) و أمّا الذراع فهى ذراع الأسد المقبوضه، و للأسد ذراعان مقبوضه و مبسوطه، (فالمقبوضه) منهما هى اليسرى، و هى الجنوبيه، و بها ينزل القمر و سمّيت (مقبوضه) لتقدّم الأخرى عليها، و المبسوطه منهما هى اليمنى و هى الشماليه، و كلّ صوره من نظم الكواكب فيما منها مما يلى الشّمال و مياسرها مما يلى الجنوب، لأنّها تطلع بصدورها ناظره إلى المغارب فالشّمال على أيّمانها، و الجنوب على أيسارها. و قد فهم ذلك القائل و النّجوم التى تتابع بالليل و فيها ذات اليمين، ازورارها على أيّمانها إطفاه منها بالقطب.

و قال أبو حنيفه: أنت ترى الكوكب يدرأ من مطلعته من الأفق الشّرقي فلا يستقيم مضيئه إلى مقابل مطلعته من الأفق الغربى فى المنظر، و لكن تراه يتجانف إلى القطب، و لذلك قال الشاعر شعرا:

و عاندت الثريا بعد هدهد معانده لها العيوق جار

لأنّها تركت القصد فى المنظر، فذلك معاندها، و علّه ذلك ما بينه الكميّت فى قوله:

مالت إليه طلائنا(١) و استطيف به

كما تطيف نجوم الليل بالقطب

و أحد كوكبى الذراع المقبوضه هى الشّعري الغميصاء، و هى تقابل الشّعري العبور، و المجرّه بينهما و قد تكبر يقال الغميصاء، قال أبو عمر و هى الغميصاء و الغموص و يقال لكوكبها الأحمر الشّمالي المرزم، مرزم الدّراع و هما مرزمان هذا أحدهما، و الآخر فى الجوزاء قال:

و نائحه صوتها رابع بعثن إذ أخفق المرزم

و يروى إذا ارتفع المرزم فهذا المرزم هو الذى فى الدّراع، لأنّ مرزم الجوزاء لا نوع له، و ليست من المنازل، و قد ذكرا جميعا بالنّوع على ذكر الشّعريين و السّماكين. قال جدار:

أحتبك جد المرزمين متى ينجدا بنوال تغورا

و قال ابن كناسه: الذراع المقبوضه بأسرها هي المرزم.

و حكى مثل ذلك عن الغنوى، و من أحاديثهم: كان سهيل و الشعريان مجتمعاه فانحدر سهيل فصار يمانيا، و نعتة العبور عبرت إليه المجره و أقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل، حتى غمصت، و الغمص فى العين ضعف و نقص، و قالوا: ربما عدل القمر فزلّ بالذراع المبسوطة.

(٨) و أما النثره فتلاثة كواكب متقاربه، أحدها كأنه لطحه، يقولون: هي نثره الأسد، أى أنفه، قال ذو الرّمه شعرا:

مجلجل الرّعد عراصا إذا ارتجست نوء الثريا به أو نثره الأسد

أنث: فعل النوء و هو ذكر، لأنه أضافه إلى الثريا، و ليس بمنفصل منها، و يسمّى اللطحه اللّهاه. و قال الآخر:

فهدّم ما قد بنته اليدان حولين و الأنف و الكاهل

و ذكر الهدم و البناء هاهنا كقول الآخر:

على كلّ مؤاز الملاط تهدمت عريكته العلياء و انضمّ حاله (١)

رعته الفيافى بعد ما كان حقبرعاها و ماء الرّوض ينهلّ ساكبه

فأضحى الغلاقد جدّ فى برء قصبه و كان زمانا قبل ذاك يلاعبه

(٩) و أما الطّرف: فكوكبان يتدثان الجبهه بين يديها يقولون: هما عين الأسد.

(١٠) و أمّا الجبهه: فجبهه الأسد، قال: إذا رأيت انجما من الأسد جبهه أو الخراه و الكتد، و هي أربعة كواكب خلف الطّرف معترضه من الجنوب إلى الشّمال، سطرًا معوجًا، و بين كلّ كوكبين منها قيس الذّراع، و الجنوبي منها هو الذى يسمّيه المنجمون: قلب الأسد.

(١١) و أما زبره الأسد: فهى كوكبان على أثر الجبهه، بينهما قيد سوط و الزّبره كاهله، و فروع كتفيه، و يسمّيان الخراتين الواحده خراه.

(١٢) و أمّا الصّيرفه فكوكب واحد تير على أثر الزّبره، يقولون: هو قنب الأسد، و القنب وعاء القضيب، و سمّيت صرفه لانصراف الحر عند طلوعه غدوه، و انصراف البرد عند سقوطه غدوه.

١- لأبى تمام حبیب بن أوس الطائى.

(١٣) و أمّا العوّاء فإنّ ابن كناسه جعلها أربعه أنجم، و هي خمسه لمن شاء و من شاء ترك واحدا إلا أنّ خلقتها خلقه كتاب الكاف غير مشقوقه، و ليست تيره و هي على أثر الصرفه، و زعم أبو يحيى أنها سميت العوّاء بالكوكب الرابع الشمالي منها، و إذا عزلت عنها هذا الكوكب الرابع كانت الباقية مضافه الخلقه و هم يجعلون العوّاء و ركي الأسد، و أحسب هؤلاء تأولوا اسمها، و المحاش حشوه البطن و العوّاء تمد و تقصر، قال الراعي:

و لم يسكنوها الجزء حتّى أظللها سحاب من العوّا و ثابت غيومها

و يقال لها عوّاء البرد، يزعمون أنّها إذا طلعت أو سقطت أتت ببرد.

(١٤) و أما السّماك فهما سماكا الأعزل، و القمر ينزل به و لا ينزل بالآخر و هو الرّامح و سمى رامحا لكوكب صغير بين يديه يقال له: رايه السّماك و به سمى رامحا، و يسمى الآخر الأعزل، لأنه لا شىء بين يديه كأنه لا سلاح معه و قال كعب بن زهير شعرا:

فلما استدار الفرقدان زجرتها و هبّ سماك ذو سلاح و أعزل

و قال الطّرمّاح:

محاهن صيب نوء الرّبيع من الأنجم العزل و الرّامحه

و هم يجعلون السّماكين ساقى الأسد، و أحد السّماكين جنوبي، و هو الأعزل و الآخر و هو الرّامح شمالي، و قال ابن كناسه: ربما عدل القمر فنزل بعجز الأسد، و هي أربعه كواكب، بين يدي السّماك الأعزل، منحدره عنه فى الجنوب، و هي مربعه على صورته النّعش، و يقال لها: عرش السّماك، و تسمى أيضا الأحمال، و تسمى الجناء، و هم يجعلون لها حظا فى الأنواء، قال ابن أحمّر يصف ثورا:

باتت عليه ليله عرشه شربت و بات إلى نعى متهدّدا

شربت لجت، و المتهدّد المتهدّم، لا تماسك لمحضره و كان المنجمون يسمّون السّماك الأعزل السّنبله لسموكة، سمى سماكا و إن كان كلّ كوكب قد سمك فهو كقولهم الدّبران.

(١٥) و أمّا الغفر: فثلاثه كواكب بين زباني العقرب، و بين السّماك الأعزل خفيه على خلفه العوّاء. قال ذو الرّمه:

فلما مضى نوء الثّريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغفر

و العرب تقول خير منزله فى الأيد بين الزّباني و الأسد، يعنون الغفر، لأنّ السّماك

عندهم من أعضاء الأسد، فقالوا: يليه من الأسد ما لا يضر الذنب يدفع عنه الأظفار و الأنياب، و يليه من العقرب ما لا يضر الذنابي يدفع عنه الحمه.

(١٦) و أمّا الزباني و هما زبانيا العقرب: أى قرنائه، و هما كوكبان مفترقان بينهما فى المنظر أكثر من قامه الرجل، و يقال لهما: زباني الصّيف لأنّ سقوطهما فى زمان الحر، قال ذو الرمه:

يا قد زفت للزباني من بوارحها هيف أنست بها الأصناع و الخبر

الأصناع محابس الماء و الواحد صنع، و الخبر جمع خبره و هى أرض يكون بها السدر، و يدوم فيها الماء يريد أن ريّاح الزباني أنضبت المياه، و قيل: يسمّى أهل الشام زباني العقرب يديها.

(١٧) و أمّا إكليل العقرب رأسها، و هى ثلاثة كواكب معترضه بين كل كوكبين قيد ذراع، قال جرّان:

العود بمطرقين على مثنى أيامنهم راموا التّزول و قد غار الأكاليل

جعل كلّ كوكب منها إكليلا.

(١٨) و أمّا القلب، قلب العقرب و الكوكب النّير الأحمر الذى وراء الإكليل سيره كوكبان، و هم يستحسنونه. قال شعرا:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنّه سواء عليكم بالتّحوس و بالسّعد

(١٩) و أمّا الشّوله فإبره العقرب، كذلك يسمّيها أهل الشّام، و هى كوكبان مضيئان صغيران متقاربان فى طرف ذنب العقرب، و قالوا: ربما قصر القمر فنزل بالغفار فيما بين القلب و الشّوله. و الغفار أحد كواكب ذنب العقرب، يجعلون كلّ كوكب منها فقره، و هى ست فقر، و السّابعه الإبره. قال ابن كناسه: الشّوله التى ينزل بها القمر: حذاء القلب فى حاشيه المجره، و ليس هناك شوله، و لكنّ القمر إنّما ينزل بالشّوله على المحاذاه و لا ينحط إليها لأنّها منحدره عن طريقته و هاهنا يقطع القمر المجره إذا هو فارق العقرب، و مضى نحو السّعود لأنّ المجره تسلك بين قلب العقرب و بين النّعائم، منقطع نظام المنازل فى هذا الموضع.

و فى موضع آخر و هما بين الهقعه و الهنعه، لأنها تسلك أيضا بينهما فيعرض نظام المنازل اعتراضا، و هاهنا أيضا يقطع القمر و سائر الكواكب المحاذيه للمجرّه، و ذلك حين ينحدر عن غايه تعاليها إلى ذروه القبه فى الهبوط، فأما قطعها إياها عن السّعود فذلك حين

يبتدئ الصُّعود بعد غايه الهبوط، و يسمّى الشُّوله شوله الصُّوره، و هى منغمسه فى المجره.

(٢٠) و أمّا النّعائم فثمانيه كواكب، أربعة فى المجره و هى النّعائم الوارده، و أربعة خارجه عن المجره و هى النّعائم الصّادره، و هى منحدره، و كلّ أربعة منها على شبه بالتربيع، و فوقها كوكب إذا تأملتته مع كوكبين من النّعائم الوارد شبهتها به قبه، و إنّما قيل: واردا لشرعه فى المجره، و قيل: الصّادر لمجيئه عنها.

(٢١) و أمّا البلده فرقعها من السّماء لا كوكب بها بين النّعائم و بين سعد الذّابح، ينزلها القمر، و يقولون: ربّما عدل القمر أحيانا فنزل بالقلاده و هى سته كواكب صغار، خفيه فوق البلده، مستديره تشبه بالقوس، و يسمّوها العامه القوس و يسمّى موضع النّعائم الوصل.

(٢٢) و أمّا سعد الذّابح: فكوكبان غير تيرين، و كذلك السّعود كلّها و بينهما فى رأى العين قيس الذّراع و (ذبحه) كوكب صغير قد كاد يلزق بالأعلى منها، تقول الأعراب: هو شاته التى تذبح. قال الطّرماح شعرا:

ظعائن شمن قريح الخريف من الفرغ و الأنجم الذّابحه

قريحه: أوّله.

(٢٣) و أمّا سعد بلع: فنجمان نحو من سعد الذّابح أحدهما خفى جدا، و هو الذى بلعه أى جعله بلعا كأنه مسترط(١)، و ذكر أنه سمّى بلعا لأنه طلع حين قيل: يا أرضُ ابلعى ماء كِ [سوره هود، الآية: ٤٤] و هذا لست أدرى ما هو.

(٢٤) و أمّا سعد السّعود: فكوكبان أيضا نحو من سعد الذّابح، و سمّى سعد السّعود بالتّفضيل عليهما، و لأنّ الزّمان فى السّعدين اللّذين قبله قسا، و طلوع سعد السّعود يوافق منه لينا فى برده، قالوا: و ربما قصر القمر، فينزل بسعد باثره، و هو أيضا كوكبان أسفل من سعد السّعود. قال الكميت شعرا:

و لكن بنجمك سعد السّعود طبقت أرضى غيثا درودا

(٢٥) و أمّا سعد الأخيبه: فثلاثه كواكب متحاذيه، فوق الأوسط منها كوكب رابع، كأنها به فى التمثيل رجل بظّه.

و قيل: إنّ السّعد منها واحد، و هو أنورها و إنّ الثلاثه أخيبه، و قيل: سمّى بالأخيبه لأنه

١- فى القاموس سرت كنصر و فرح سرتا و سرتانا محركتين ابتلعه كاسترطه و تسرطه. ١٢- القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

إذا طلع انتشرت فخرج منها ما كان مختبئا في البرد، لأنّ طلوعه في وقت الدّفاء، و السّعود متناسقه بعضها على إثر بعض.

(٢٦) و أمّا الفرغ الأول: فهو فرغ الدّلو، و الدّلو أربعة كواكب مربعه واسعه، بين كل كوكبين قدر قامه الرّجل، أو أكثر في رأى العين، فهم يجعلون هذه الكواكب الأربعة عراقى الدّلو. قال عدى بن زيد في خريف شعرا:

سقاء نوء من الدّلو تدلّى و لم يوار العراقى

و فرغ الدّلو: مصبّ الماء من بين العراقى و قد يقولون لهما العرقوه العليا و العرقوه السّفلى. قال: (قد طال ما حرمت نوء الفرغين).

(٢٧) و أمّا الفرغ الثانى: و هو العرقوه السّفلى فكمثل الفرغ الأول، و قد يقال للفرغ الأول: ناهزا الدّلو المقدمان و للفرغ الأسفل: ناهزا الدّلو المؤخّران. و النّاهز الذى يحرك الدّلو ليمتلى، و قالوا: يقصر القمر أحيانا فينزل بالكرب، و الكرب الذى وسط العراقى الأربع، و الكرب من الدّلو ما شدّ به الحبل من العراقى. و قالوا: ربما نزل ببلده الثّعلب، و هو بين الدّلو و السّمكه من عن يمين المرفق.

(٢٨) و أمّا الرّشاء و هو السمكه: فكواكب فى مثل حلقة السّمكه، و فى موضع البطن منها من الشّق الشّرقى نجم منير ينزل به القمر يسمونه بطن السّمكه. و المنجّمون يسمونه:

قلب الحوت. و يقال لما بين المنازل: الفرج. فإذا قصر القمر عن منزله و اقتحم التى قبلها فنزل بالفرجه، بينما استحبوا ذلك إلّا الفرجه التى بين الثّريا و الدّبران، فإنّهم يكرهونها و يستخشونها، و يقال لها الضّيقة (١). قال:

فهلّا زجرت الطير ليله جثته تضيّقه بين النّجم و الدّبران

و سميت ضيقه لضيقها عندهم، فإنّهم يتواضعون قصر ما بين طلوع النّجم و طلوع الدّبران. ذكر عن يزيد بن قحيف الكلابى، أنّه قال: ما بينهما إلا سبعة أيام و إنّما هذا نحو نصف ما قدر لما بين المنزلين.

قال أبو حنيفة: فهذا ما حكى لنا، و أمّا نحن فلم نجدها أقصر المنازل كلّها مده فى الطّلوغ، و لا فرجه فى المنظر، و أنّ الذى نير الطّرف و الجبهه لأقلّ من ذلك و لكن قد وجدناهما فى الغروب عندهم متقاربين جدا، حتّى لا نكاد نثبت بينهما شيئا ما هو الآن إلا أن يسقط النّجم، فما يستقيم السّقوط حتّى يسقط الدّبران و أحسب الذى اشتهر أمرهما فى

هذا الباب حتى يوصفا من بين المنازل كلها شهرتهما و كثره استعمالهم إياهما، و لا سيما النجم، فإن تفقدهم له شديد، و ذكرهم إياه كثير، و إذا لم يعدل القمر عن المنزل قيل: كالح مكالحه و المكالحه: مثل المكافحه كأنه إذا لاقاه دافعه من غير حاجز بينهما.

فصل فى بيان الاختلاف الواقع بين العرب فى أوقات الأنواء و الكلام فى الضيقه

قال أبو الحسين الصوفى هذا الذى يذكرونه فى الضيقه و أنّ القمر ربما قصر فنزل بها غلط، لأنّ كواكب الثريا فى خمس عشره درجه من الثور، و هذان الكوكبان فى أربع و عشرين درجه و نصف منه، و بين الثريا و بينهما نحو تسع درجات، و أبطأ ما يكون سير القمر فى يوم و ليله، و أبعدته نحو إحدى عشره درجه، و إنّما سميت الفرجه التى بين الثريا و الدبران الضيقه، لأنهم يستعملون طلوعها و سقوطها فى المغرب بالغدوات عند طلوع رقبائها، و ظهورها من تحت الشعاع، و رقيب كلّ واحد منهما هو الخامس منه، و لا يستعملون طلوعهما. و وسط الثريا فى خمس عشره درجه من الثور و الدبران فى خمس و عشرين درجه منه و بينهما بدرجات البروج عشر درجات، لكنّ عرض الثريا فى الشمال عن درجتها أربع درجات و دقائق. و عرض الدبران فى الجنوب خمس درجات.

و من شأن الكواكب الشماليه أن تطلع قبل طلوع درجتها و تغيب بعد مغيب درجتها، و الجنوبيه تطلع بعد طلوع درجتها، و تغيب قبل مغيب درجتها، فتطلع الثريا كذلك مع ثلاث عشره درجه من الثور بالتقريب و يطلع الدبران مع سبع و عشرين درجه منه، فيكون بين طلوع الثريا و طلوع الدبران أربع عشره درجه بالتقريب، و تغيب الثريا مع سبع عشره درجه من الثور لا تغيب بعد درجتها. و يغيب الدبران مع ثلاث و عشرين درجه منه، لأنّه يغيب قبل درجه، فيكون بين مغيب الثريا و مغيب الدبران ست درجات بدرجات البروج.

فلما وجدوا بين غروب الثريا و غروب الدبران هذا القدر، سموا الفرجه بينهما بضيقه، و استخشوها و استخشوا الدبران أيضا مفردا و تشاءموا به حتى قالوا: إنّ فلانا أشأم من حادى النجوم، و يتشاءمون أيضا بالمطر الذى يكون بنوءه و يزعمون أنّهم لا يمطرون بنوء الدبران إلّا و تكون سنتهم جده.

قال أبو زيد و قطرب جميعا: و هذه حكاية عن القشريين، قالوا: أول المطر الوسمى، و أنواؤه العرقوتان، المؤخرتان من الدلو ثم الشّروط بتسكين الراء ثم الثريا و بين كلّ نجمين نحو من خمس عشره ليله ثم الشّتوى بعد الوسمى و أنواؤه الجوزاء ثم الذراعان و نثرتهما ثم الجبهه و هو آخر الشّتوى و أول الدفى ء، ثم الدفى ء و أنواؤه آخر الجبهه، ثم الصّرفه و هى

فصل بين الدفئ ء و الصّيف و أنواؤه السّماكان الأوّل الأعزل و الآخر الرّقيب، و ما بين السّماكين صيف أربعين ليله. ثمّ الحميم و هو نحو من خمس عشره ليله إلى عشرين عند طلوع الدّبران و هو بين الصّيف و الخريف و ليس له نوء. ثمّ الخريف و أنواؤه التّسران، ثمّ الأخضر ثمّ عرقوتا الدّلو الأوليان و لكل مطر من الوسمى إلى الدفئ ء ربيع.

و إنّما هذه الأنواء فى غيبوبه هذه النّجوم. قالوا: فأوّل القيظ طلوع الثّريا و آخره طلوع سهيل. و أوّل الصّفرية طلوع؟ و آخره طلوع السّماك. و فى أوّل الصّفرية أربعون ليله يختلف حرّها و بردها، و تسمى المعتدلات. ثمّ أوّل الشّتاء طلوع السّماك و آخره وقوع الجبهه، و أوّل الدفئ ء وقوع الجبهه و آخر الصّيف، و أوّل الصّيف السّماك الأعزل و هو الأوّل و آخر الصّيف السّماك الآخر، الذى يقال له الرّقيب، و بينهما أربعون ليله أو نحوها انتهت الحكايه.

قال ابن كناسه: أعلم العرب بالنّجوم بنو ماريه من كلب، و بنو مره بن همام من بنى شيبان، و ذكر عنهم أنّ أوّل الأنواء الدّلو، و نوؤه محمود، و هو أوّل الوسمى ثمّ بطن الحوت و لا يذكر نوؤه لغلبه ما قبله عليه، ثمّ الشّرك الرّاء و يثنى و يجمع عرفها يونس و غيره و قال:

و لا روضه غنّاء غصّ نباتها يجرود بشتياها لها الشّرطان

و قال العجاج فى الجمع:

من باكر الأشرط أشرطى من الرّبيع انقضّ أو دلوى

و قال ذو الرّمه:

قرحاء حواء أشرطيه و كفت فيها الرّباب و حفّتها البراعيم

قوله: حواء يريد هى من الخضره سوداء، و جعلها قرحاء لأنوارها، جعلها كقرحه الفرس، و نوؤه محمود. ثمّ البطن و بعضهم يقول: البطنين و نوؤه غير محمود، و لا مذكور، ثمّ الثّريا و نوؤه مقدّم فى الحمد، و روى عن النّبىّ صلى الله عليه و سلم أنه قال: «إذا طلعت الثّريا ارتفعت العاهه». و لذلك لا يقبل بالحجاز قول من ادّعى عاهه فى ثمره اشتراها بعد طلوع الثّريا. ثمّ الدّبران و هو مكروه النّوء؛ ثمّ الهقعه و لا يذكر نوؤه منفردا، فهذه منازل كلّ الوسمى و هى خمس فليس قبل الفرغ المؤخر وسمى، و لا بعد الثّريا وسمى، و هى أوّل أنواء الخريف.

و سمّوا النّوءين الباقيين وليا، و هما الدّبران و الهقعه.

ثمّ أوّل الرّبيع و أنواؤه سبعة: الأربعة الأولى شتية و هى الهنعه و نوؤه لا يذكر، و الدّراع و نوؤه مقدّم مذكور، و النّثره و نوؤه محمود، و الطّرف و نوؤه لا يفرد بالذكر، و الثّلاثه الباقيه

دفيئه، و يقال الدثيه و هما بمعنى كما يقال اللغام و اللثام، و سميت بذلك لأنها في دبر الشتاء.

و ابتداء الدف ء و هي الجبهه و نوؤها من أذكر الأنواء و أشهرها و أحبها إليهم و أعزها فقدا.

و الزبوه و قلما يفرد نوؤه، و الصرفه و غلبت أنواء الأسد عليها و إنما سميت صرفه لانصراف الشتاء فهذه منازل كل الزبيح.

ثم الصييف و أنواؤه سبعة: فالخمسه الأولى منه صيف، و النوان الآخران الباقيان حميم و سمي حميما لأن أمطارها تجي ء و قد تحرك الحر، فأولها العواء و بعض العرب يمدّه فيقول العواء، و نوؤها ليله. ثم السماك و نوؤه من الأنواء المذكوره المحموده، و لذلك قال الشاعر: أجش سماكى كان ربابه، ثم الغفر و لا يذكر نوؤه و قيل لا يعدم نوؤه. ثم الزباني، ثم الإكليل، ثم القلب، ثم الشوله و أربعتها لا تذكر أنواؤها، و ربما ذكرت العرب مجمله، فهذا كله الصييف.

ثم الخريف: و هو فصل القيظ و أنواؤه سبعة و الأربعة المتقدمه رمضيّه و شمسيّه لشده الحر، و الثلاثه الباقيه خريفيّه، و أول أمطاره في كلام أهل الحجاز و تميم الحميم، فأوله النعائم - ثم البلده - ثم سعد الذابح - ثم سعد بلع - ثم سعد السعود - ثم سعد الأخبيه. و هذه الستة لا ذكر لأنوائها و لا مبالاه لأخواتها. و سميت خريفيّه لأنها تجي ء و الثمار تخترف في أيامها. ثم مقدم الدلو و نوؤه من الأنواء المشهوره و يقال: الفرغ المقدم أيضا لأنها مقدمه ما بين الوسمى و موطى له و فرط، فهذه منازل كل الحميم.

و بعد هذه الأربعة ستة سعود متناسقه في جهه الدلو، و ليست هي من المنازل. أولها سعد ناشره و هو أسفل من سعد الأخبيه و يطلع مع الشرطين. ثم سعد الملك، ثم سعد الهمام، ثم سعد البارع، ثم سعد مطر، و كل سعد منها كوكبان في رأى العين قدر ذراع كنعو ما بين سعود المنازل.

فصل و اعلم أنّ ما ذكرته من الطلوع و الغروب يختلف فيهما أحوال البلدان

فربما طلع النجم ببلد في وقت و طلع في غير ذلك البلد، في وقت آخر، إما قبله و إما بعده بأيام، فهذان النسران و هما النسر الواقع، و قلب العقرب يطلعان معا بنجد، و يطلع النسر الواقع على أهل الكوفه، قبل قلب العقرب بسبع. و يطلع قلب العقرب على أهل الدبره قبل النسر بثلاث، و ربما طلع النجم ببلد و لم يطلع ببلد آخر كسهيل، فإنه يظهر بأرض العرب و باليمن و لا يرى بأرمينيه، و بين رؤيته بالحجاز و رؤيته بالعراق بضع عشره ليله، و بنات نعش تغرب بعدن و لا تغرب بأرمينيه.

قال أبو محمد القتيبي: بلغني أنّ كلّ بلد جنوبي فالكواكب اليمانية فيه تطلع قبل طلوعها في البلد الشمالي. و كلّ بلد شمالي فالكواكب الشامية فيه تطلع قبل طلوعها في البلد الجنوبي، و في الكواكب الشامية ما يكون في الليله الواحده غروب من أولها في المغرب، و طلوع من آخرها في المشرق كالعيوق و السّماك الرّامح و الكفّه و العوائذ و النّسر الواقع و الغوارس و الرّدف و الكف الخضيب، و مددها في ذلك تختلف، فمنها ما يرى كذلك أيّاما و منها ما يرى شهرا و منها ما يرى أكثر من شهر.

و إذا نزل القمر في استوائه ليله أربع عشره، و ثلاث عشره بمنزل من المنازل فهو سقوط ذلك المنزل، لأنّ القمر يطلع من أول المشرق ليله أربع عشره مع غروب الشمس، و يغيب صباحا مع طلوع الشمس، فيسقط ذلك النّجم الذي كان نازلا به. و قال ابن الأعرابي بين طلوع الثّريا مع الفجر و بين عوده إلى مثله ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع يوم، فالقمر ينزل بها ثم بسائر المنازل يأخذ كلّ ليله في منزل، فذلك ثمانية و عشرون منزلا ينزل بها القمر إذا كان كريتا، و يعود للنّجم الذي استهلّ به لتسع و عشرين، و إذا كان حثيثا تخطر ف منزله و الكريت: التّام، و الحثيث: الناقص، و ينزل لثمان و عشرين ليله بمستهله، فمن ثم صار ما بين حول الأهلّه و بين حول الثّريا مع الفجر إلى مثله فصل أحد عشر يوما و ربع يوم. قال و الخطر فيه أن يجعل الخطوتين خطوه، و المنزلتين منزله، فربما استسر ليله، و ربما استسر ليلتين أو نحوهما.

الباب السابع فى تحديد سنَى العرب و الفرس و الروم و أوقات فصول السنه

قد عرفتكَ فيما تقدم أنّ العرب تبدأ بالشّتاء بعد أن تجعل السنه نصفين شتاء و صيفا ثم يقسم الشّتاء نصفين فتجعل الصّيف أوّله و القيظ آخره و أنّها تفارق سائر الأمم فى تحديد الأوقات، فأوّل وقت الرّبيع الأوّل عندهم و هو الخريف ثلاثه أيام تخلو من أيلول، و أوّل الشّتاء عندهم ثلاثه أيام تخلو من كانون الأوّل، و أوّل الصّيف عندهم و هو الرّبيع الثّانى خمسّه أيام، تخلو من حزيران، و الخريف عندهم اسم للمطر الذى يأتى فى آخر القيظ من دون الرّمان. و ذكر المراد الفقعى أنّه يكون حلول الشّمس بأعلى منازلها فى شده الحر، و ذلك إذا حلّت بأول الشّرطان فقال شعرا:

إذا طلعت شمس النّهار فإنّها تحلّ بأعلى منزل و تقوم

يريد أنّ الشّمس فى منتهى صعودها فى القيظ، فإذا طلعت حلّت بأوّل منها، و إذا انتصفت قامت على قمه الرّأس. و هذا يدل على معرفتهم بحلول الشّمس رءوس الأرباع، و إن كان حساب فصولهم على غير ذلك.

و أمّا أصحاب الحساب فيحدّون فصول السنّه بحلول الشّمس بنجم من هذه النّجوم الثمانيه و العشرين، و يجعلون لكلّ زمان من الأزمنه الأربعة سبعة أنجم منها. و يبدءون من الأزمنه بالفصل الذى تسمّيه العامه: الرّبيع و هو عند العرب الصّيف، و نجوم هذا الفصل الشّرطان و البطين و الثّريا و الدّبران و الهقعه و الهنعه و الدّراع، و الشّمس تحل بالشّرطين بالغداه لعشرين ليله تخلو من آذار فتسترهما و تستر المنزل قبلهما، فلا يزال الشّرطان مستورين بها إلى أن يطلعا بالغداه، لستّ عشره ليله تخلو من نيسان فيكون بين حلول الشّمس بها و طلوعها سبع و عشرون ليله.

و إذا حلّت الشّمس برأس الحمل اعتدل اللّيل و النّهار، فصار كلّ واحد منهما اثنتى

عشره ساعه يوما واحدا و ليله واحده، ثم يزيد النهار و ينقص الليل إلى أن يمضى من حزيران اثنتان و عشرون ليله، و ذلك بعد أربع و تسعين ليله من وقت اعتدالهما فينتهى طول النهار، و ينتهى قصر الليل، و ينقضى فصل الربيع، و يدخل الفصل الذى يليه و هو الصيف، و دخول الصيف بحلول الشمس برأس السرطان و نجومه النثره و الطرف و الجبهه و الزبره و الصيرفه و العواء و السماك.

ثم يأخذ الليل فى الزيادة و النهار فى النقصان إلى ثلاث و عشرين تخلو من أيلول، و ذلك ثلاث و تسعون ليله، و عند ذلك يعتدل الليل و النهار ثانيه و يكون كل واحد منهما اثنتى عشره ساعه، يوما واحدا و ليله واحده، و ينقضى فصل القيظ و يدخل فصل الخريف، و دخول فصل الخريف بحلول الشمس رأس الميزان و نجومه الغفر- و الزباني- و الإكليل- و القلب- و الشوله- و النعائم- و البلده.

ثم يأخذ الليل فى الزيادة و النهار فى النقصان، إلى أن يمضى من كانون الأول واحد و عشرون يوما، و ذلك تسع و ثمانون ليله، و عند ذلك ينتهى طول الليل و ينتهى قصر النهار، و ينقضى فصل الخريف، و دخول فصل الشتاء بحلول الشمس رأس الجدى و نجومه: سعد الذابح- و سعد بلع- و سعد السعود- و سعد الأخيه- و الفرع المقدم و الفرع المؤخر- و بطن الحوت-. و يأخذ النهار فى الزيادة و الليل فى النقصان إلى أن تعود الشمس إلى رأس الحمل و يعتدل الليل و النهار، و ينقضى فصل الشتاء و ذلك تسع و ثمانون ليله و ربع، فجميع أيام السنه على هذا العدد ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع، لا يتغير و لا يزول على مر الدهر.

و قد بينا فيما مضى أنّ السيارات سبعة و أخبرنا أنها هى التى تقطع البروج و المنازل فهى تنتقل فيها مقبله و مدبره، لازمه لطريق الشمس أحيانا و ناكبه عنها أحيانا، إما فى الجنوب و إما فى الشمال، و لكل نجم منها فى عدوله عن طريقه الشمس مقدار إذا هو بلغه عاود فى مسيره الرجوع إلى طريقه الشمس، و ذلك المقدار من كل نجم منها مخالف لمقدار النجم الآخر.

فإذا عزلت هذه النجوم السبعة عن نجوم السماء سميت الباقية كلها ثابتة، تسميه على الأغلب من الأمر لأنها و إن كانت لها حركه مسير فإن ذلك خفى يفوت الحس، إلا فى المده الطويله، و ذلك لأنه فى كل مائه عام درجه واحده فلذلك سميت ثابتة.

و اعلم أنّ الطلوع و الغروب، و تفصيل الليل و النهار، و المشارق و المغارب قد قال الله تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [سوره الرحمن، الآيه: ١٧] و

بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ [سوره المعارج، الآيه: ٤٠] والمشرقان مشرقا الشتاء والصيف، وكذلك المغربان مغرباهما، و المشارق مشارق الأيام، و هي جميعا بين المشرقين، و كذلك المغرب هي مغارب الأيام و هي بين المغربين، فمشرق الصيف مطلع الشمس في أطول يوم من السنه.

قال أبو حنيفه: و ذلك قريب من مطلع السماك الزامح، بل مطلع السماك الزامح أشد ارتفاعا في الشمال منه قليلا. و كذلك مغرب الصيف هو على نحو ذلك من مغرب السماك الزامح، و مشرق الشتاء مطلع الشمس في أقصر يوم من السنه، و هو قريب من مطلع قلب العقرب، بل هو أشد انحدارا في الجنوب من مطلع قلب العقرب قليلا، و كذلك مغرب الشتاء على نحو ذلك من مغرب قلب العقرب. فمشارق الأيام و مغاربها في جميع السنه بين هذين المشرقين و المغربين.

فإذا طلعت الشمس من أخفض مطالعها في أقصر يوم من السنه لم تزل بعد ذلك ترتفع في المطالع، فتطلع كل يوم من مطلع فوق مطالعها بالأمس، طالبه مشرق الصيف فلا تزال على ذلك حتى تتوسط المشرقين، و ذلك عند استواء الليل و النهار في الربيع، فذلك مشرق الاستواء، و هو قريب من مطلع السماك الأعزل، بل هو أميل منه قليلا إلى مشرق الصيف من مطلع السماك الأعزل.

ثم تستمر على حالها من الارتفاع في المطالع إلى أن تبلغ مشرق الصيف الذي هو منتهاه، فإذا بلغت كرت راجعه في المطالع منحازه نحو مشرق الاستواء، حتى إذا بلغت استوى الليل و النهار في الخريف، ثم استمرت منحدره حتى تبلغ منتهى مشارق الشتاء الذي هو منتهاه. فهذا دأبها، و كذلك شأنها في المغارب على قياس ما بيناه في المطالع.

فأما القمر فإنه يتجاوز في مشرقه و مغربيه مشرقى الشمس و مغربيهما، فيخرج عنهما في الجنوب و الشمال قليلا، فمشرقاه و مغرباه أوسع من مشرقى الشمس و مغربيهما، و إذا أهل الهلال في منزله من المنازل أهل في الشهر الثاني في المنزله الثالثه، ثم لا يزال بعد مهله ينقل كل ليله إلى منزله، حتى يستوفى منازلها في ثمان و عشرين ليله ثم يستمر، فلا يرى حتى يهل.

فربما كان حلوله المنازل بالمقارنه لها إما بالمجمعه، و إما بالمحاذاه من فوقها أو أسفل منها، و ذلك المكالحه، يقال: كالح القمر و ربما قصر و اقتحم فنزل بالفرج و الفرجه ما بين المنزلين، و يقال له الوصل أيضا، و هو يغيب في ليله مهله في أدنى مفارقه الشمس لسنه أسباع تمضى من الليل.

ثم يتأخر غروبه كل ليله مقدار سنه أسباع حتى يكون غروبه في الليله السابعه نصف

اللَّيْل، و في ليله أربع عشره مع طلوع الشَّمس، و يكون طلوعه فيها مع غروب الشَّمس، و قد يتقدم ذلك أحياناً و يتأخر على قدر تمام الشَّهر و نقصانه ثم يتأخر طلوعه كلَّ ليله مقدار ستَّة أسابيع ساعه، حتَّى يكون طلوعه ليله إحدى و عشرين نصف اللَّيْل، و يكون طلوعه ليله ثمان و عشرين مع الغداه.

قال أبو حنيفه: و كلَّ هذا تقدير على مقارنه، و لا يكون أن يرى الهلال بالغداه في المشرق بين يدي الشَّمس و بالعشى في المغرب خلف الشَّمس في يوم واحد و لا- يمكن ذلك، و لكن يمكن ذلك في يومين، فأما في ثلاثه فلا شك فيه، فإذا كان ذلك في يومين فهو حين يستسر ليله واحده و إذا كان في ثلاثه فهو حين يستسر ليلتين.

الباب الثامن في تقدير أوقات التَّهَجُّدِ التي ذكرها الله تعالى في كتابه عن نبيه و الصحابه

و يبين ما يتصل بها من ذكر حلول الشمس البروج الاثنى عشر قال تعالى: **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكَ الشَّمْسُ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ** [سورة الإسراء، الآية: ٧٨] و قال ثعلب: يذهب العرب بالدُّلُوكِ إلى غياب الشمس و قول الشاعر شعرا:

هذا مقام قدمي رباح غدوه حتى ذهبت براح

يدل على هذا و أصله أنّ السَّاقِي يَكْتَرِي على أن يستقي إلى غيوبه الشمس و هو في آخر النهار يتبصّر هل غابت الشمس، و قوله براح أى تجعل راحته فوق عينيه و يتبصّر، قال: و ما روى عن ابن عباس من أنه زوالها للشمس يسلم للحديث، و غسق الليل ظلّمته، فإذا زادت فهي السّيفه، و قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم: **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَهُ لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** [سورة الإسراء، الآية: ٧٩] قال أبو العباس ثعلب: قوله نافلة لك: يريد ليس لأحد نافلة إلا للنبي صلى الله عليه و سلم لأنه ليس من أحد إلا يخاف على نفسه، و النبي صلى الله عليه و سلم قد غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخر، فعمله نافلة. فأما التهجّد فإنه يجعل من الأضداد، يقال: هجد و هجد و تهجد إذا صلّى بالنهار، و هجد و هجد و تهجد إذا صلّى بالليل قائما و قاعدا و أنشد في النوم قال:

هجدنا فقد طال السرى و قدرنا أنّ خنا الدهر غفل

أى نومنا، و أنشد ابن الأعرابي في النوم:

و منهل من القطا مورودوردت بين الهبّ و الهجود

قال: الهجود: النوم كأنه أتاه في السّحر و هو بين النوم و الانتباه. و قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نَضِيفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ** [سورة المزمل، الآية: ١-٣] و قال تعالى: **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ** [سورة المزمل، الآية: ٢٠] إلى قوله: **فَافْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ** [سورة المزمل، الآية: ٢٠].

اعلم أنه قد مرّ القول في شرح جوانب هذه الآي بما تقدّم في الباب الأوّل من هذا الكتاب و بقي تحديد الأوقات.

١- الحمل: تحديد الأوقات و ذكر البروج: فيقول: إذا حلّت الشمس برأس الحمل فغربت، طلع السماك الزامح و زاغت الشعري العبور عن وسط السماء، و قارب أن يتوسّط الشعري الغميصاء فصار خطّ نصف النهار بينهما، و خط نصف النهار هو الآخذ من نقطه الجنوب إلى نقطه الشمال، فعليه يكون زوال الشمس و زوال جميع الكواكب مما صار بينه و بين الأفق الجنوبي، و بين سمت الرأس، و عادتهم أن يسمّوه خط نصف النهار.

و ما كان منه في الحاشيه بين سمت الرأس و بين نقطه الشمال التي من عادتهم أن يسمّوه خط نصف الليل، و عليه يكون زوال الكواكب الشماليه. فإذا كان ثلث الليل طلع النسر الواقع و قلب العقرب، و غرب التاجذ و هو رجل الجوزاء و إذا كان نصف الليل طلع الرّدف و هو الكوكب الذي يسمّيه المنجمون ذنب الدجاجة، و طلع النسر الطائر على أثره بقليل، و جنحت الشعري، و جنوحها أن تميل للغروب، و سقط العيوق، و سقوطه غيبته، فإذا كان ثلث الليل قاربت الفكّه أن تتوسّط السماء و زاغ السّماك الزامح عن وسط السماء فأدبر، و الإدبار أكثر من الزّيفان، و ضجع الكوكب الفرد، فيصير على خط نصف الليل.

و إذا حلّت الشمس بوسط الحمل فغابت طلعه الفكّه، و زاغت الشعري الغميصاء فأدبرت، فإذا كان ثلث الليل استقلّ قلب العقرب و النسر الواقع. و استقلال الكوكب أن تراه قد ارتفع قدر القامه في رأى العين، و أكثر شيئا و غابت الشعري العبور قبل ذلك، و غاب المرزم، و هو يد الجوزاء، و جنح العيوق، فإذا كان نصف الليل استقلّ النسر الطائر و سقطت الغميصاء، و سقط العيوق قبل ذلك، و توسّط السّماك الزامح أو همّ بالتوسّط، فإذا كان ثلثا الليل قلب العقرب بالتوسّط و منكب الفرس بالطلوع، و زاغت الفكّه و جنح قلب الأسد.

٢- الثور: فإذا حلّت الشمس برأس الثور فغابت، توسّط قلب الأسد و جنح رأس الغول و التاجذ و الدبران، و زاغ الفرد، فإذا كان ثلث الليل غاب العيوق و قارب السّماك الزامح أن يتوسط و قرب طلوع النسر الطائر، و طلع الرّدف، و إذا كان نصف الليل قاربت الفكّه أن تتوسّط، و زاغ السماك الزامح و جنح الفرد. فإذا كان ثلثا الليل طلعت الكفّ الخضيب، و هي الكوكب الشمالي من كوكب الفرع الثّاني، و غاب قلب الأسد، و زاغ قلب العقرب فأدبر.

و إذا حلّت الشمس بوسط الثور فغربت طلع النسر الواقع و قد غاب الدبران قبيل ذلك، و طلع العيوق و قلب العقرب، و زاغ قلب الأسد فأدبر. فإذا كان ثلث الليل توسّط السماك

و استقلّ النَّسر الطَّائر، فإذا كان نصف الليل طلع منكب الفرس و توسط قلب العقرب، و جنح قلب الأسد، و إذا كان ثلثا الليل استقلّت الكفّ الخضيب، و زاغ قلب العقرب فأدبر منصّبًا و انصبابه: إمعانه في الزّيغان.

٣- الجوزاء: فإذا حلّت الشمس بأول الجوزاء فغربت استقلّ قلب العقرب و النَّسر الواقع، و جنح العيوق و غاب المرزم، فإذا كان ثلث الليل توسّطت الفكّه و همت و هي إذا توسّطت السماء، فصارت على خطّ نصف الليل ببلد الدّينور، كانت على قمه الرّأس، سواء أعنى أنّها تكون فوق رأس القلم، و قارب قلب العقرب التّوسّط و غاب الفرد، و إذا كان نصف الليل طلع الكفّ الخضيب و سقط قلب الأسد، و زاغ قلب العقرب فأدبر، و إذا كان ثلث الليل طلع رأس الغول و توسط النَّسر الواقع.

فإذا حلّت الشمس بوسط الجوزاء فغرب، طلع الرّدف و جنحت الغميصاء و قارب طلوع النَّسر الطَّائر، فإذا كان ثلث الليل زاغ قلب العقرب سقط قلب الأسد، و طلع منكب الفرس، فإذا كان نصف الليل قارب النَّسر الطَّائر التّوسّط و قارب قلب العقرب خطّ القبلة، فإذا كان ثلثا الليل زاغ النَّسر الطَّائر و أدبر النَّسر الواقع، و إدباره أن يبعد عن خطّ نصف الليل، و طلع العيوق و تبعته الثّريا و طلعت.

٤- السّيرطان: و إذا حلّت الشمس بأول السّيرطان فغربت توسط السّماك الرّامح و استقلّ النَّسر الطَّائر، فإذا كان ثلث الليل استقلّت الكفّ الخضيب و زاغ قلب العقرب فأدبر، فإذا كان نصف الليل زاغ النَّسر الواقع و همّ النَّسر الطَّائر بالتّوسّط و طلع رأس الغول، و إذا كان ثلثا الليل طلع العيوق و تبعته الثّريا و همّ الرّدف بالتّوسّيط، و غور قلب العقرب و تغويره: أن يقع في الغور فلا يلبث أن يغيب. و ضجع السّماك الرّامح، و ضجوعه أن يميل للمغرب و هو قبل التّغوير، و الجنوح قبل الضّجوع و الانصباب قبل الجنوح.

فإذا حلّت الشمس بوسط السّيرطان فغربت همّت الفكّه و قلب العقرب بالتّوسّط، و غور الفرد، و إذا كان ثلث الليل توسط النَّسر الطَّائر و طلع رأس الغول، و إذا كان نصف الليل طلع العيوق و طلعت الثّريا على أثره، و زاغ النَّسر الطَّائر، و جنح قلب العقرب، فإذا كان ثلثا الليل طلع الدّبران، و غاب السّماك الرّامح.

٥- الأسد: و إذا حلّت الشمس بأول الأسد فغربت، طلع منكب الأسد و توسط قلب العقرب، و ضجع قلب الأسد فإذا كان ثلث الليل استقلّ رأس الغول، و توسط النَّسر الطَّائر، و زاغ النَّسر الواقع فأدبر، و إذا كان نصف الليل توسط الرّدف و ضجع السّماك الرّامح، و غاب قلب العقرب، و إذا كان ثلثا الليل توسط منكب الفرس و غورت الفكّه.

و إذا حلّت الشمس بوسط الأسد فغربت، طلعت الكفّ الخضيب و زاغ قلب العقرب فأدبر، و غاب قلب الأسد، فإذا كان ثلث الليل طلعت العيوق و الثريا، و ضجع قلب العقرب، و قارب الرّدف التّوسط، فإذا كان نصف الليل استقلّ الدّبران، و قارب منكب الفرس أن يتوسط. و إذا كان ثلثا الليل طلعت النّاجذ، و توسط الكفّ الخضيب و استقلّ المرزم.

٦- السّينبله: و إذا حلّت الشمس بأول السّينبله فغربت، استقلّ الكفّ الخضيب فإذا كان ثلث الليل طلعت الدّبران و زاغ الرّدف، و غاب السّماك الرّامح، فإذا كان نصف الليل زاغ منكب الفرس، و غربت الفكّه و طلعت المرزم، و إذا كان ثلثا الليل طلعت الشعري الغميصاء، و همّت الشعري العبور بالطلوع.

و إذا حلّت الشمس بوسط السّينبله فغربت، قارب أن يطلع رأس الغول و قرب توسط نسر الواقع، فإذا كان ثلث الليل استقلّ الدّبران و قارب منكب الفرس التّوسط، و جنحت الفكّه، فإذا كان نصف الليل استقلّ النّاجذ و زاغت الكفّ الخضيب، و استقلّ المرزم، و إذا كان ثلثا الليل غاب النّسر الطائر و استقلّت الشعريان، و جنح النّسر الواقع.

٧- الميزان: و إذا حلّت الشمس برأس الميزان فغربت، طلعت رأس الغول و زاغ النّسر الواقع، فإذا كان ثلث الليل قارب المرزم الطّلع، و زاغ منكب الفرس، و غابت الفكّه، فإذا كان نصف الليل طلعت الشعريان و انصبّ النّسران، و انصبا بهما: تدليهما للغروب، فإذا كان ثلثا الليل طلعت قلب الأسد و الكوكب الفرد بأثره و رأس الغول و غاب النّسر الواقع.

و إذا حلّت الشمس بوسط الميزان، و غربت همّ العيوق بالطلوع و توسط النّسر الطائر، فإذا كان ثلث الليل طلعت النّاجذ و استقلّ المرزم، و زاغت الكفّ الخضيب، فإذا كان نصف الليل استقلّت الشعريان، و غاب النّسر الطائر، فإذا كان ثلثا الليل استقلّ قلب الأسد و الكوكب الفرد، و توسط الدّبران.

٨- العقرب: و إذا حلّت الشمس بأول العقرب فغربت، طلعت العيوق و تبعته الثريا و زاغ النّسر الطائر، و انصبّ السّماك الرّامح، و إذا كان ثلث الليل استقلّ النّاجذ، و قرب طلوع الشعريين، و انصبّ النّسر الطائر، و إذا انتصف الليل طلعت قلب الأسد، و زاغ رأس الغول، و غاب النّسر الواقع، و إذا كان ثلثا الليل توسط النّاجذ و زاغ العيوق، و ضجع منكب الفرس و غاب الرّدف.

و إذا حلّت الشمس بوسط العقرب، توسط الرّدف و ضجع السّماك الرّامح فإذا كان ثلث الليل اقتربت الشعريان، و اقترباهما دون الاستقلال، و ضجع النّسر الطائر، فإذا كان نصف الليل استقلّ قلب الأسد و الكوكب الفرد، و همّ الدّبران بالتّوسط، فإذا كان ثلثا الليل همّت

الشَّعْرَى العبور بالتوسُّط، و غاب الرِّدْف قبل ذلك، و زاغ المرزم، و انصبَّت الكفَّ الخضيب.

٩- القوس: و إذا حلَّت الشَّمْس بأوَّل القوس فغربت، طلع الدِّبران و غاب السَّمَاك الرَّماح اتفاقاً، فإذا كان ثلث اللَّيْل توسط رأس الغول، و همَّ قلب العقرب بالطلوع، فإذا كان نصف اللَّيْل همَّ النَّاجِذ بالتوسُّط، و زاغ العَيُوق قليلاً، و غَوَّر الرِّدْف، فإذا كان ثلثا اللَّيْل أشخص السَّمَاك، و إشخاصه: إقرانه، و هو نهوضه فى المطلع قليلاً، و توسط الشَّعْرَى الغميصاء، و زاغت العَيُوق.

فإذا حلَّت الشَّمْس بوسط القوس فغربت، توسط منكب الفرس و غَوَّرت الفكَّه، فإذا كان ثلث اللَّيْل استقلَّ قلب الأسد، و قارب الدِّبران التوسُّط، و طلع الفرد، فإذا كان نصف اللَّيْل زاغ المرزم، و غرب قبل ذلك منكب الفرس، و قاربت الشَّعْرَى العبور التوسُّط، فإذا كان ثلثا اللَّيْل طلعت الفكَّه.

١٠- الجدى: و إذا حلَّت الشَّمْس بأوَّل الجدى فغربت، طلع النَّاجِذ و استقلَّ المرزم، و توسطت الكفَّ الخضيب، فإذا كان ثلث اللَّيْل زاغ الدِّبران، و همَّ النَّاجِذ بالتوسُّط، و ضجع الرِّدْف، فإذا كان نصف اللَّيْل طلع السَّمَاك الرَّماح، و غابت الكفَّ الخضيب، و همَّت الشَّعْرَى الغميصاء بالتوسُّط، فإذا كان ثلثا اللَّيْل همَّ قلب الأسد بالتوسُّط، و جنح رأس الغول و توسط الفرد.

فإذا حلَّت الشَّمْس بوسط الجدى، فغربت، طلعت الشَّعْرَى، و جنح النَّسْر الطَّائر، فإذا كان ثلث اللَّيْل زاغ المرزم، و غاب منكب الفرس، و غاب قبل ذلك الرِّدْف، فإذا كان نصف اللَّيْل طلعت الفكَّه، و زاغت الشَّعْرَى الغميصاء، فأدبرت فإذا كان ثلثا اللَّيْل همَّ الهَرَارَان بالطلوع و غاب النَّاجِذ و الدِّبران و رأس الغول.

١١- الدلو: فإذا حلَّت الشَّمْس بأوَّل الدلو فغربت، قارب رأس الغول التوسُّط، و استقلَّت الشَّعْرَى فارتفعتا فإذا كان ثلث اللَّيْل طلع السَّمَاك الرَّماح و غابت الكفَّ الخضيب و زاغت الشَّعْرَى العبور، فإذا كان نصف اللَّيْل قارب قلب الأسد التوسُّط، فإذا كان ثلثا اللَّيْل طلع الهَرَارَان، و هما قلب العقرب و النَّسْر الواقع، و ضجعت الشَّعْرَى العبور و المرزم.

و إذا حلَّت الشَّمْس بوسط الدلو فغربت أشخص قلب الأسد، و طلع الفرد، و قارب الدِّبران التوسُّط، فإذا كان ثلث اللَّيْل طلعت الفكَّه و زاغت الشَّعْرَى الغميصاء، فأدبرت بعيداً، فإذا كان نصف اللَّيْل غاب رأس الغول، و رجل الجوزاء، و زاغ قلب الأسد، فإذا كان ثلثا اللَّيْل طلع الرِّدْف و غَوَّر العَيُوق.

١٢- الحوت: و إذا حلّت الشمس بأول الحوت فغربت، زاغ الدبران و توسط العيوق، و غور الردف، و همّ الناجذ بالتوسط، فإذا كان ثلث الليل قارب الأسد التوسط، و استقلّت الفكّه فارتفعت، فإذا كان نصف الليل طلع الهاران و جنحت الشعري اليمانيه، فإذا كان ثلث الليل طلع النسر الطائر و غورت الشعري الغميصاء، و غاب العيوق.

فإذا حلّت الشمس بوسط الحوت فغربت، زاغ المرزم، و غاب منكب الفرس قبل ذلك، و همّت الشعري العبور بالتوسط، فإذا كان ثلث الليل زاغ قلب الأسد، و غور رأس الغول، و رجل الجوزاء، فإذا كان نصف الليل غاب المرزم و الشعري العبور قبيل ذلك، و استقلّ النسر الواقع، و قارب طلوع الردف، فإذا كان ثلثا الليل توسط السماك الرامح و استقلّ النسر الطائر.

الباب التاسع في ذكر البوارح و الأمطار مقسّمه على الفصول و البروج و في ذكر المراقبه

اشاره

اعلم أنّ جميع أمطار السّينّه ثمانيه أصناف، و هي الوسمى- و الولي- و الشّتي- و الدّفي ء- و الصّيف- و الحميم- و الرّمضى- و الخريفى- و لكلّ صنف منها وقت عرفته العرب بمساقط منازل النّهار الثّمانيه و العشرين التى ذكرها الله تعالى فى كتابه فقال: وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنْازِلَ [سوره يس، الآيه: ٣٩] و بالبروج الاثنى عشر لأنّ كلّ برج منزلان و ثلث من هذه الثّمانيه و العشرين، و ذلك حكم منهم على مناجعهم و مزالفهم بالتّجارات، و هو إلى الآن على ذلك، و إن كان كثير من أطراف الأرض و أوساطها يختلف، فقد قيل: إنّ أهل اليمن يمطرون فى الشّتاء و يخصّبون فى الصّيف.

قال أبو حنيفه: إذا أحببت أن تستيقن ذلك فانظر إلى زمان مدّ النّيل، فإنّه فى صميم القيظ، و إنّما يمدّ من أمطار البلاد التى منها يقبل، و قال بعض أصحاب الخليل، و قد صنّف أبواب الانتفاع بالمطر: إنّ من المغرب من مطره الذى يغيثه و ينفعه الخريف، و يكون أكثر مطرهم و أغزره و أنفعه لهم.

و قال أكثرهم: إنّ مطر الرّبيع ضارّ، و هم أهل اليمن و من يليهم من تهامه. و منهم من يحسبه الوسمى، و هو مطر الشّتاء، و مجيئه الرّبيع، و يكون الخريف ضارا يفسد كالأهم و يلبده، و هم أهل العراق و من قاربهم من نجد، و منهم من يصيبه مطر السنّه كلّها و هم أهل نجد الذين تاخموا نجدا، أى حاذوهم، و أهل العراق، و من قاربهم من الشّام و نجد، و ما بينهما و بين خراسان مطرهم الشّتوى و الرّبعى، و مطر اليمن و ما قاربها من تهامه الصّيفى، و الخريفى. قال: و من تهامه و نجد ما تعّمه هذه الأمطار كلّها، و كذلك طبرستان- و الدّيلم- و أرمينيه- و جبالان- و جبل القيق. و العرب تقول: إنّ ما اجتمع مطر الثّريا فى الوسمى و مطر الجبهه فى الرّبيع إلّا كان تامّ الخصب ذلك العام، كثير الكلاء.

و هذا كما حكوا عن الحرم أنه إذا أصاب المطر الباب الذى من شقّ العراق كان الخصب فى تلك السّنه بالعراق، و إذا أصاب شقّ الشّام كان الخصب و المطر فى تلك السّنه بالشّام، و إذا عمّ جوانب البيت كان المطر و الخصب عاما فى البلدان.

و اعلم أنّه كما أنّ لكلّ نجم نوء فله بارح أيضا و هى البوارح و هى الرّياح. و العرب تقول: فعلنا كذا أيام البوارح، و هى رياح النّجم- و الدّبران- و الجوزاء- و الشّعري- و العقرب- و أنشد الأصمعيّ:

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى عيالك قد أمسوا مراميك جوّعا

و قال آخر شعرا:

أ يذهب بارح الجوزاء عنى و لم أذعر هوامك بالسّنار

و قال آخر شعرا:

أيا بارح الجوزاء مالك لا تجى و قد فنى مال الشّيح غير قعود

و أحبّوا أن تهبّ رياح الجوزاء حتى إذا طردوا إبلا- و سرقوها عفت الرّياح آثارها و آثارهم، فأمنوا أن يقتفى أثرهم، و اسم ما يحدث من ريح أو حر بارح على التّشبيه بالبارح من الوحش، لأنّه قد يطلع مما يلي شمال النّاطر، و يأخذ على يمينه كالوحش.

و قال أبو حنيفه: زعم قوم لا- معرفه لهم باللغه، أنّ البارح ضدّ النوء، و أنّه طلوع الرّقيب فيقولون: برح الكوكب: إذا طلع، قالوا و ذلك لأنّه ييامن البيت الحرام إذا طلع و يياسره إذا غرب، و إن قال: خذ من يمينك إلى يسارك فهو بارح. و الذى قالوه ليس بمدفوع، لكننا لم نجد العلماء يعرفون ما قالوه فى الكوكب، و لا رووا ذلك عن العرب، قال أبو زيد: البارح: الشّمال الحاره يكون فى الصّيف. و قال الفراء: البوارح: الرّياح الصّيفيه، و سمّيت بذلك لأنّها هى السّيموم التى تأتي من الشّمال، و أنشد لذي الرّمه شعرا:

تلوث على معارفنا و نرمى محاجرنا شاميه سموم

و قال أبو عمرو: و هى ريح السّموم، و قال يزيد بن القحيف: البارح: شدّه الرّيح فى الحرّ، و قال مرار فى صحه ما قالوا شعرا:

تراها تدور لغيرانها و يهجمها بارح ذو عما

يهجمها: يرمى بها فى كنسها، و هى غيرانها، و جعلها ذا عماء لعرثه و العماء أصله فى السّحاب، و قال الأخطل شعرا:

شرقن إذ عصر العيدان بارحهاو أيبست عن مجرى السنه الخضر

يقول: جفّ كلّ شىء أخضر فلم يبق إلّا من درع يسقى. و السنه سنه الحراث، و مجرى السنه الحرث، و قال بعضهم: قيل له بارح: لأنه يبرح بالتراب أى يذهب به، و قيل أيضا: البارح البين، كما يقال برح الخفاء إذا بان بما كان يخفى. و يجوز أن يكون من البرح، و هو الشده لما كان ينسب البرد و الأمطار و السيموم و الحرور إلى نوته معه. و منه البرح و برحين و بنات برح و بنت برح. و قال أبو زيد: إذا هبت الجنوب بعد دوام الشمال فى ذلك فرسخ أى راحه و فرجه. و الرياح أربع ياجماع من الأمم. و إنما اختلفت باختلاف مهايتها فى أقطار الأرض الأربعة، و هى: مطلع الاستواء- و مغربه- وجهه القطب الجنوبى- وجهه القطب الشمالى، فالتى تهب من مغرب الاستواء هى الغربيه و تسمى الدبور، و هى التى سماها الله عقيما.

و قال النبى صلى الله عليه و سلم: «نصرت بالصبا و أهلك العاد بالدبور» و التى تهب من جهه القطب الجنوبى هى الجنوب و تسمى الأريب. و النعامى و هى تهب من جهه القطب الشمالى و تسمى الشمال، و هى الجريباء، و محوه لأنها تبدد السحاب و تمحوه، و نسعا و مسعا و هى الشاميه.

و قال ابن الأعرابى: مهب الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا، و مهب الصبا من مطلع الثريا إلى بنات نعش، و مهب الشمال من بنات نعش إلى مسقط النسر الطائر، و مهب الدبور من مسقط النسر الطائر إلى مطلع سهيل، و الجنوب و الدبور لهما هيف و هو الرياح الحاره الصيفيه، و الصبا و الشمال لا هيف لهما. و العرب تجعل أبواب بيوتها حذاء الصبا و مطلع الشمس.

و قال الأصمعى: ما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر و ما يازائها ممّا يستقبلها شمال و ما جاء من وراء بيت الله الحرام، دبور، و ما كان قباله ذلك فهو صبا و قال غير الأصمعى و ابن الأعرابى: الجنوب التى تهب عن يمين القبلة شتاء و الصبا يازائها، و قالوا كلهم كلّ ريح تهب بين مهبي ريحين فهى نكباء، لتنكبها عن المهاب المعروفه، و الجمع نكب، و تميل فى طبعها إلى الريح التى فى مهبتها أقرب إليها.

و قال أبو زيد: النكباء التى لا يختلف فيها: هى التى بين الصبا و الشمال و النكباء ذات ثمان، لأن بين كلّ ريح و أختها ريحين، و كلّ واحده إلى جنب صاحبته و هبوبها فى أيام الشتاء أكثر، و من رياح الشتاء الحرجف و البليل، و من رياح الصيف الهيف و السيموم و الحرور، فإن هبت ليلا فى ابتداء الربيع فهى الخاسه. و سيجىء القول فى أجناس الرياح مستقصى فى موضعه، و اللواقح تهب فى الربيع لا غير، و هى الجنوب، و الصبا و الشمال و تسمى المستنابات، و معناه المستنقعات من الثواب، و يجوز أن يكون المسئولات الثوب

أى الرجوع. و روى ابن الأعرابي أنه قلّ ما تهبّ الشّمال إلا و إذا جاء اللّيل ضعفت أو سقطت و لذلك قالوا فى أحاديثهم: إنّ الجنوب قالت للشّمال إنّ لى عليك فضلا أنا أسرى و أنت لا تسرين، فقالت الشّمال: إنّ الحره لا تسرى باللّيل و هذا كما ترى.

و قال أبو زيد: إنّ أكثر هبوب الشّمال باللّيل، و أنه قلّما ينتفج من الرّيح باللّيل إلا- الشّمال، و ربما انتفجت على النّاس بعد نومهم، فتكاد تهلكهم بالقرّ من آخر ليلهم و قد كان أوّل ليلهم دفيئا، و هذا الخلاف فيما أتين لاختلاف البقاع، و تفاوت الأزمان و الله أعلم.

و أنشد الأصمعى يصف النّساء:

تصيفن حتّى أوجف البارح السّفاؤ نشّت جراميد اللّوا و المصانع

فالمصانع و إيجاف البارح السّيفا: مرّ به على وجه الأرض، و هو من الوجيف و هو السّرعه، و السّيفا ما تساقط من يبيس البقل، و قال أيضا:

ألفن اللّوى حتّى إذا البروق ارتمى به بارح راح من الصّيف شامس

و البروق من دفى ء التّب، و فى المثل: أشكر من البروق، لأنّه ينبت بالغيّم و الرّاح الشّديد من الرّيح، و يشبه هذا قوله:

أقمن على بوارح كلّ نجم و طيّرت العواصف بالتّمام

و البارح مذكّر، و إن كانت الرّيح مؤنّته.

قال أبو حنيفه: قد حكى بعضهم أنّ العرب كانت تقول لا بدّ لنوء كل كوكب من أن يكون فيه مطر أو ريح أو غيم أو حر- أو برد- ثم كانوا ينسبون ما كان فيه إليه، و الأعمّ الأشهر أنّ الأمطار مقصور ذكرها على الأنواء خاصه. فما يكاد يسمع بشى ء منها منسوباً إلى طلوع و لا- يحفظ، و أما البوارح فأكثر الأمر فيها أن ينسب إلى طلوع نجوم الحرّ خاصه لأنها رياح الصّيف، و ربّما نسب شى ء منها إلى النّوء و ذلك قليل.

و قال ذو الرّمه:

حدا بارح الجوزاء أعراف مورّه بها و عجاج العقرب المتناوح

الأعراف: الأوائل، المور: الغبار و أراد بعجاج العقرب: عجاج بارح العقرب كقوله:

شقّها هبوب الثّريا و التزام التّنائف، أراد هبوب بارح الثّريا فهذا ذكر البوارح.

فصل فى المراقبه و المطالع

و اعلم أنّ لكلّ برج و منزل رقبيا من المنازل و البروج، فرقيب كلّ برج السابع، و رقيب كلّ منزل المنزل الخامس عشر، و معنى الرقيب الذى فى غروبه طلوع الآخر، و هو مأخوذ من المراقبه، لأنه يراقب بالطلوع غروب صاحبه. قال شعرا:

أحقّ عباد الله أن لست لاقياثينه أو تلقى الثريا رقبيا!

و المعنى لست لاقياها أبدا، لأنّ هذا لا يكون أبدا، و كيف يلقيان و أحدهما إذا كان فى المغرب كان الآخر فى المشرق؟ و قال:

قدورهم تغلى أمام قبابهم إذا ما الثريا غاب قصرا رقبيا

فمراقبه الأبراج للأبراج و المنازل للمنازل، على ما ذكرناه، و من هذه البروج ما يشاكل اسمه صورته كالعقرب و الحوت، و منها ما لا يشاكل اسمه صورته، و البروج الاثنا عشر سمى بعضها بأسماء. فالحمل يسمّى: الكبش، و الجوزاء: التوأمين، و السنبله: العذراء، و العقرب: الصوره، و القوس: الرامى، و الحوت: السمكه. و يسمّى أيضا الرشاء، و لكلّ برج منزلان و ثلاثه من منازل القمر، حتّى يستوفياها. فالحمل رقبه الميزان، و الثور رقبه العقرب، و الجوزاء رقبه القوس، و السرطان رقبه الجدى، و الأسد رقبه الدلو، و السنبله رقبه الحوت.

و المطالع هو أن يطلع نجمان معا، أو متقاربين، و لا يكون ذلك فى نجوم الآخذ و لا يطلع نجمان منها معا، و لكن يكون فى غيرها، و فيها مع غيرها و ذلك كمطالع الثريا بالعيوق و لذلك يقول شاعرهم:

فإن صديا و المدامه ما مشى لكالنجم و العيوق ما طلعا معا

و مطالعه الشعري الغميصاء الشعري العبور، و مطالعه الأعزل للرامح، و مطالعه النسر الطائر للعنا، و مطالعه الجبهه سهيلا، فإن كلّ نجم إذا طلع معه الآخر أو قريبا.

و أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى:

و صاحب المقدار و الزديف أفنى الوفا بعد ألوف

الزديف النجم الذى إذا نأى من المشرق انغمس رقبه فى المغرب، و إنما يعنى أن تعاقب النجوم على مّ الدهور و لا يبقى أحد.

الباب العاشر فى ذكر الأعياد و الأشهر الحرم و الأيام المعلومات، و الأيام المعدودات و الصلاة الوسطى

إشارة

حكى ثعلب عن ابن الأعرابى قال: سألت أعرابيا فصيحا فقلت: ما الأشهر الحرم؟

فقال: ثلاثه سرد، واحد فرد. قال ثعلب: فالسرد المتتابعه و هو ذو القعدة- و ذو الحجه- و المحرم- و الفرد: رجب. و هذا قول ابن عباس و يكون من سنتين، و قال غير ابن عباس:

هى من سنه واحده فعددها المحرم و هو أولها- و الثانى: رجب- و الثالث: ذو القعدة- و الرابع: ذو الحجه. و احتج هذا بأنه قال تعالى: مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ [سوره التوبه، الآيه: ٣٦] يعنى من الاثنى عشر، فجعلها من سنه واحده.

قال ثعلب: و الاختيار عندى قول ابن عباس و هو كلام العرب، و إن كان لفظها من سنتين فهى تعود إلى الاثنى عشر إلى سنه واحده، و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم: «دخلت العمره فى الحج» أى فى أشهر الحج و لم تكن العرب تعرف العمره فى أشهر الحج، بل كانت العمره فيها عندهم من أفجر الفجور، و كانوا يقولون: إذا انسلخ صفر، و نبت الوبر، و عفا الأثر، و برأ الدبر، حلت العمره لمن اعتمر. فلمّا اعتمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أشهر الحج دخلت العمره فى الحج، أى فى أشهرها، و روى سفيان بن عيينه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم كتب لآل حزم: «إنّ العمره الحج الأصغر»، فدلّ كلامه على أن ثم أكبر.

و روى عن عطاء أنه قال: من اعتمر ثم مات و لم يحج أجزاء عنه حجه الإسلام، يذهب إلى قوله تعالى: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ [سوره آل عمران، الآيه: ٩٧] و روى عن على كرم الله وجهه: الحج الأكبر يوم النحر، محتججا بقوله تعالى: فَسَيَحْجُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [سوره التوبه، الآيه: ٢] و هى عشرون من ذى الحجه- و المحرم- و صفر- و شهر ربيع الأول- و عشر من ربيع الآخر- قال: فلو كان يوم عرفه لكان أربعة أشهر و يوما، و كان ابن عباس يقول: الحج الأكبر يوم عرفه، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم، خرج مهلّا بالحج و يقول

بعضهم: خرج لعمره، و قال بعضهم؛ خرج قارنا و إنما خرج ينتظر أمر الله، و علم الله أنها حجه لا يحج بعدها فجمع ذلك كله له في شهر واحد، ليكون جميع ذلك سنه لأُمَّته، فلما طاف بالبيت ثم رأى أن يجعلها عمره، و حبس من كان معه على هدى، لقوله تعالى: حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ [سوره البقره، الآيه: ١٩٦] فجمعت له العمره و الحج.

و قد قال قوم: إن الأربعة الحرم هي التي أجّلها رسول الله صلى الله عليه و سلم للمشركين فقال:

فَسَبَّيْحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [سوره التوبه، الآيه: ٢] و هي شؤال- و ذو القعدة- و ذو الحجه- و المحرم. ثم قال: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [سوره التوبه، الآيه: ٥] و قال: إن الأربعة التي جعلت حلاً من عشر ذى الحجه إلى عشر من ربيع الآخر، و جعلها حرماً، كما قال: مكّه حرم إبراهيم، و المدينة حرمى. و روى أيضا أنه حرم ما بين لابتي المدينة يعنى حرّتيها، و فى آخر حرم ما بين عير إلى ور و هما جبلان. فأما قوله تعالى:

الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ [سوره البقره، الآيه: ١٩٧] فإنه يريد أوقات الحج أشهر، أو أشهر الحج أشهر. و هذا خطاب يدل على معرفه العرب بشهور معلومه كانوا فيها يحجّون، فأقرّ الله أمرها فى الإسلام على ما كانت عليه و دعا إلى إقامه الحج فيها.

و اعلم أنها أوقات الحج دون غيرها، و أنّ من فرض على نفسه فيها الحج فمن السنه أن يترك الرّفث و الفسوق و الجدال، و معنى فرض الرّجل على نفسه الحج إهلاله به، و الإهلال التّليه، و أصله رفع الصوت. و روى عن الشّعبى و ابن عمر أنّها شؤال- و ذو القعدة- و ذو الحجه- و قال بعضهم: له من ذى الحجه عشر ليال، فكأنّه جعل الشّهرين و بعض الثالث أشهراً، و هذا فى القياس قريب لأنّه كما جاز أن يسمى الشّهر ذا الحجه، و إن كانت الحجه فى بعض أيامه، كذلك يجوز أن يسمى شهر الحجّ، و إن لم يكن جميع أيامه مصروفا إليه.

و حكى عن ابن عباس أنه قال: الأيام المعدودات أيام التّشريق، و الأيام المعلومات الأيام العشره من أول ذى الحجه. و قال عطاء: الأيام المعدودات أيام منى و يوم التّرويه، سمى بذلك لأنهم كانوا يتروون من الماء، و يتروونه معهم، و يوم عرفه لا يدخله الألف و اللام، و إنّما سمى عرفه و عرفات، لأنّ من حضرها كانوا يتعارفون بها. و قال بعضهم: بل لأنّ جبرائيل عليه السّلام طاف بإبراهيم صلوات الله عليه يديره على المشاهد، و يوقفه عليها، و يقول له: حالا بعد حال عرفت عرفت، و العروف الحدود، و الواحد عرفه. و قيل: سميت عرفه بذلك كأنّه عرف حدّه لتمييزه عن غيره من الأرضين، و لكونه معرفه امتنع من دخول الألف و اللام عليه. و حكى؛ طار القطا عرفا عرفا، بعضها خلف بعض.

و أما الأعراف: فكل موضع مرتفع عند العرب و منه قوله تعالى: وَ عَلَى الْأَعْرَافِ

رِجَالٌ [سوره الأعراف، الآية: ٤٦]، و لا- يمتنع أن يكون عرفه و عرفات مشتقا من جميع ذلك و التعريف: الوقوف بعرفات، و تعظيم يوم عرفه إن نصب الضاله فتنادى عليه و إن سُميت رجلا بعرفات صرفته، و لم يكن التاء فيه كالتاء من عرفه لو سُميت بها، و ذلك أن التاء من عرفات بإزاء التون في المسلمين، إذ كان هذا الجمع من المؤنث بإزاء جمع المذكر الصّحيح، و لذلك لما كان ذاك في موضع النصب و الجر بالياء، جعل هذا في موضع النصب و الجر بالكسره، لأنّ الكسره أخت الياء، فلما كان الأمر على ذلك لم يكن كالتاء التي يبدل منها في الوقف هاء كالتى في طلحه و عزّه، و كان يمتنع الصّرف في المعرفه. و في القرآن:

فَإِذَا أَفْضُتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ [سوره البقره، الآية: ١٩٨] فصرفه و إن كان معرفه.

و مشاعر الحجّ واحدا مشعر و هو في موضع المنسك، و كذلك الشّعيره من شعائر الحجّ، و هى علاماته و أفعاله المختصه به، كالسّعى و الطّواف و الحلق و الذّبح، و كلّ ذلك يجوز أن يكون من شعرت، و لبت شعري، فيرجع إلى العلم كما أن عرفه و عرفات في تصاريفه يرجع إلى المعرفه، و في القرآن: وَ الْبَيْدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ [سوره الحج، الآية: ٣٦] و قال الخليل: يقال: أشعرت هذه البدنه لله نسكا أى: جعلتها شعيره تهدي، قال: و قال بعضهم: إشعارها أن يوجأ سنامها بسكين فيسيل الدّم على جنبها فيعلم أنّها هدى. أو يعلم بعلامه تشدّ في سنامها. و كره قوم من الفقهاء تدميتها، و قالوا: إذا قلّدت فقد أشعرت.

و قوله تعالى: يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ [سوره التوبه، الآية: ٣] قيل: هو يوم النحر، و قيل:

هو يوم عرفه و كانوا يسمّون العمره: الحج الأصغر.

و يوم النحر: سمى به لأنهم كانوا ينحرون البدن.

و يوم القر: بعده، و هو الذى يسميه العامه يوم الرّءوس، و سمى بذلك لأنّ الناس يستقرون فيه بمنى لا يبرحونها.

و يوم النفر: سمى به لأنّ الناس ينفرون فيه متعجلين.

و يقال: عيد الفطر، و عيد الإفطار، و عيد الصّحى و العيد أصله من عاد يعود لعوده كلّ سنه، لكن واوه انقلبت ياء لانكسار ما قبلها، ثم جعل البدل لازما حتى كأنه اسم وضع لليوم، لا- مناسبه بينه و بين المشتق منه، و هم يفعلون مثل هذا إذا أرادوا التّخصيص، لذلك قيل في تصغيره: عيد، و فى جمعه: أعياد و لم يجر مجرى قوله: ريح و رويحه و أرواح،

و مما يشبه هذا قوله: يا دارمته بالعلاء فالسند هو من العلو، فقلب الواو ياء، و قوله: فما أمّ خشف بالعلايه مشدن. مثله و ليس قبل واحد منهما ما يوجب القلب، لكنهم يفعلون ذلك كثيرا فى الأعلام و ما يجرى مجراها، و قد قالوا: الشكاية و حبيت الخراج حباوه و نحو منها، ما حكاه سيويه من القوايه قال عمرو بن براقه:

و مال بأصحاب الكرى عالياتها فإني على أمر القوايه حازم

و هو فعالة من القوه، و أصلها قواوه و كأنه كره اكتناف الواوين للألف.

و الأضحى، إذا ذكّر: يراد به اليوم، و إذا أنث أريد به الساعه، و التأنيث أجود.

و يقال: دنت الأضحى، و قيل: سميت الأضحى لأنها تذبح ضحوه.

و الفطر: من فطرت التّاقه إذا حلبتها فانفتحت رءوس أخلافها لأنّ الأفواه تنفتح بالأكل و الشّرب، و يقال: أضحاه و أضحى و ضحيه و ضحايا و الأضحى يذكّر و يؤنث، فمن ذكّر ذهب إلى اليوم، و أنشد الأصمعي:

رأيتكم بنى الحدواء لمادنا الأضحى و صلّت اللّحام

و أنشد الثورى فى تأنيته:

قد جاءت الأضحى و ما لى فلس و قد خشيت أن تسيل النّفس

و قال هشام بن معاويه: حكى الأصمعيّ: أضحاه و سمى الأضحى بجمع أضحاه فأنت لهذا المعنى و جاء فى الحديث: «على كلّ مسلم عتيره و أضحاه». و قال هشام: التأنيث فى الأضحى أكثر من التذكير، و جمع الأضحيه أضاحى، و جمع الضّحيه ضحايا.

و أيام التّشريق سميت بذلك لأن لحوم الأضحى تشرق للشمس، و قيل: بل سميت بذلك لقولهم: أشرق ثبير كيما نغير، و قال ابن الأعرابى: سميت بذلك لأنّ الهدى لا ينحر حتى تشرق الشمس.

و قال أحمد بن يحيى: أنا أذهب إلى أنّ الأيام المعلومات فى الأيام المعدودات لأنه جاء فى كتاب الله تعالى: وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ [سوره الحج، الآية: ٢٨] فدلّ على أنّها أيام نحر.

و يوم عاشوراء فى المحرّم، و يقول الفقهاء: يوم عاشوراء التّاسع من المحرم، و حكى بعضهم أنّه سئل النّضر بن شميل عن التّشريق، فقال: هو من قولهم أشرق ثبير: أى لتطلع الشمس، و قيل: أيام التّشريق: لأنهم يشرقون اللّحم، قال: فقلت له: إنّ وكيعا حدّثنا عن

شعبه عن سيار عن الشعبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ذبح إلا بعد التشريق» فقال وكيع:

التشريق الصلاة، قال: هذا حسن. قال النضر: وقد جاء في الحديث: «لا جمعه ولا تشريق إلا في مصر جامع»، والتفسير موافق للحديث، فأما قول أبي ذؤيب بصفا المشرق كل يوم يقرع. فقد حكى عن أبي عمرو الشيباني أنه أنشد بصفا المشقر فأنكره، و قال: المشقر حصن بالبحرين، والصيفا موضع، فما لأبي ذؤيب والبحرين، إنما هو المشرق، وكان ابن الأعرابي يرويه المشقر، و حكى عن الأصمعي أنه أنشد كل يوم، فقال الله أكرم من ذاك هو:

كل حين. ذهب الأصمعي إلى أن الحج يقال: كل سنة لا كل يوم، والحين يقع في كلامهم على المده الطويله والسنين الكثيره. و قال الأصمعي: المشرق المصلّى، و مسجد الخيف هو المشرق. و قال شعبه بن الحجاج: خرجت أقود سماك بن حرب في يوم عيد، فقال: امض بنا إلى المشرق يعنى المصلّى. وقيل: يعنى مسجد العيدين، و قال أبو عبيده: المشرق سوق الطائف، و قال الباهلي: جبل البرام.

[فصل في بيان الصلاة الوسطى:]

فأما الصلاة الوسطى: فقد اختلفوا فيها: فروى عن عليّ كرم الله وجهه أنه الفجر، و قال غيره: هي العصر، و قد جاء القرآن في توكيد أمر الفجر بما يصحح قول عليّ فيه، قال تعالى: أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل و قرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً [سورة الإسراء، الآية: ٧٨] و كلتا الصلواتين متوسطه لسائر الصلوات، فإذا جعلت صلاة الفجر الوسطى فهي بين صلوات الليل و النهار و النهار: الظهر و العصر، و الليل العشاء أن الأولى و الآخرة. و إذا جعلت العصر هي الوسطى: فهي متوسطه بين الفجر و الظهر من صلاة النهار. و العشاءين الأولى و الآخرة من صلوات الليل، و قوله تعالى: الصلاة الوسطى [سورة البقرة، الآية: ٢٣٨] مؤكد للدلالة على أن الصلوات المفروضات خمس، لا زيادة فيها، و يزيل التأويل فيما ذهب إليه بعض المتفقه من فرض الوتر، بالخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زادكم صلاة و هي الوتر» و قد يزيد الله الناس مما يدعوهم إليه من أعمال البر مما هو فضيله لفاعله، و نافله للمتقرب به و لا يكون في قوله: «زادكم صلاة» ما يوجب الفرض، و لو كان الوتر فريضه لكانت عده الصلاة المفروضات ستا، و السّت لا أوسط لها، و لا وسطى، و إنما الوسط للإفراد، لأنها تكون منها واسطه و حاشيتان متساويتان، كالخمس فإنها اثنان في أحد الطرفين، و اثنان في الآخر، و واحد في الوسط، و يجوز أن يكون معنى الوسطى: العظمى و الكبرى، يراد بذلك فضل محلّها، و زياده ثوابها و الله أعلم أي الوجهين هو المراد. و قوله تعالى: الشّهْر الحرام بالشّهْرِ الحرامِ وَ الحُرْمَاتُ قِصَاصٌ [سورة البقرة، الآية: ١٩٤] يقول: حرمة الشّهْرِ تجب على الفريقين في الكفّ عن

القتال لكنّ الكافر إذا اعتدى، فليس على المؤمن أن يقبض يده، و يلقى بها إلى التهلكه، بل إذا قوتلوا في الأشهر الحرم كان مطلقا لهم، و مفروضا عليهم قتالهم فيها.

و قوله تعالى: الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ [سوره البقره، الآيه: ١٩٤] معنى القصاص: أن تفعل بصاحبك مثل الذى هو فعل بك، فإذا قاتلت الكافر فى الشهر الحرام كما قاتلك فقد قاصعته و فعلت مثل فعله، و قوله تعالى: فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ [سوره البقره، الآيه: ١٩٤] معناه: جازوه جزاء الاعتداء، فسمى الجزاء باسم الاعتداء، طلبا للمطابقه فى اللفظ، و إيذانا بأنّ الثانى كالفرض المؤدى، فالمواصله فيه مرعيه.

فصل [فى ذكر العرب اسما تعلق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصفات و الأفعال]

حكى الأصمعيّ أنّ العرب ربما تذكر اسما تعلق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصفات و الأفعال منسوبه، و لشهرتها و ظهور الفرض منها استجيز معها ما لم يستجز فى غيرها، و لا يتقايس، فمن ذلك: لا آتيك مغرى الغرر، أى حتى يجتمع و ذلك لا يكون أبدا و لا آتيك أبى هبیره، قال: و أبو هبیره هو سعد بن زيد مناه بن تميم، و لا آتيك هبیره بن سعد، و لا آتيك القارظه الغزى، و قولهم: زمن الفطحل: أى حين كانت الحجاره رطبه قال:

لو أننى عمّرت عمر الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل

كنت رهين هرم أو قتل جعل الموت حتف الأنف و القتل سواء، أو عام الفتق قال رؤبه: لم ترج رسلا بعد أعوام الفتق، يشيرون بذلك إلى زمن الخصب و الخير كأنّ جلود الأكله و الرّاعيه لسمنها فتقت فتقا، و كأنّ ظواهر الأرض و بطنانها فتقت بالنّبات، و يقال: آتیه قيظ عام أول، و ما تركت من أبيه مغدا و لا مراحا و لا مغداه و لا مراحه، يعنى من الشّبه به، و بعضهم يقول: و لا رواحا و لا رواحه و لا أكلمك آخر المنون، و أخرى المنون، و لا أكلمه آخر ما خلقى، يريد آخر عمرى أى ما بقيت.

و قال يعقوب: يقال: أخرى ما خلقى، و منهنّ أزمان الجنان، و هذا يشيرون به إلى الشر و الآفات و أنشد:

فمن يك سائلا عنى فإننى من الفتیان أعوام الخنان

يقال: حنّ الرجل و هو مخنون: إذا ضاقت خياشيمه حتى يجىء كلامه غليظا لا يكاد يفهم، و قال جرير: و أكوى الناظرين من الخنان، و الخنان داء يعترى العين، و قال الخليل:

الخنان فى الإبل كالزّكام فى النّاس، و قال الدّريدى: زمن الخنان معروف، و لم أسمع من

علمائنا تفسير أو ذكر بعضهم أنه يضرب بالخنان المثل في البلاء و الشده، لأنّ البعير إذا خنّ كوى ناظراه، و هما عرقان. قال:

قليله لحم الناظرين يزينا شباب و مخفوض من العيش بارد

يصف امرأه و على هذا تفسير بيت جرير: و أكوى الناظرين من الخنان: أى من داء الكبر، و يكون كقوله: يداوى به الصّاد الذى فى التّواظر.

و ذكر بعضهم: خنّ فى الأكل: أسرف، و نحن فى خنان من العيش، و سنه مخنه أى مخصبه، و قد أخنت، و عشب أخنّ أى ملتف. قال الشيخ: و هذا الذى فسّرناه أخيرا يصلح أن يصرف زمن الخنان إلى الخير و السّعه أيضا، إلا أنّ ما أنشده الأصمعيّ و رواه يدل على خلافه، و ذكر بعضهم أنّ الخنان أصله أنّ رجلا- من العرب غزا قوما فى الجاهليه، فلما فرّق الغاراه فيهم قال: خنّهم بالسّيوف، فشهر يومه بزمن الخنان، و فسّر خنّهم، على ندودهم.

و اعلم أنّ القبائل مختلفه و لم أذكرها لقله فوائدها، و إن كان قطرب و غيره دوّنوها فى كتبهم فى الأزمنه و أسماء آلهم كيغوث و مناه و يعوق و نسر و هبل و ما أشبهها، و ذكر مطافهم و دورهم و ما يتعلّق بأيامهم و أعيادهم و أسواقهم تجاوزتها لأنّ ما نعيد منها لا تحلّ به فى موضعه من الكتاب و تطويل الكلام بما ليس من الموضوع فى الأصل مرفوض فى مصنّفاتنا.

الباب الحادى عشر فى ذكر - سحر - و غدوه - و بكره - و ما أشبهها

إشاره

و الحين و القرن و الآذن و أريان و أوان و الحقبه و الكلام فى إذ و إذا و هما للزمان و ما أشبهها قال أبو العباس محمد بن يزيد: اعلم أنّ المعرفة إذا أخبر عنها بنكره فإنها توجب فيها مثل ما يكون لها لو كانت معرفه بنفسها، و كذلك النكره إذا أسند إليها معرفه، و الذى جعلها على هذا كونها خبرا عن معرفه، و لو انفردت عنها لم يكن كذلك، يقول: زيد منطلق فالعلم أنّ المنطلق هو زيد جعله مختصا كزيد، و لو انفرد لكان شائعا، و على هذا ما يقرب من النكرات بالصفات و ما يجرى مجراها كقولك كان عند رجل من آل فلان، و ويل لزيد، لذلك يستفاد منه ما يستفاد من المعارف، أو تقاربه، فعلى هذا ما سمعنا بقول: سير عليه عشيه أو غدوه أو ضحوه و كلّ ذلك نكره لا يكون واحد من أمته أولى به من الآخر، و لا يوم من الأيام أحقّ بتعلقه به.

فإذا قلت: سير عليه يوم الجمعة عشيه، أو ليله الجمعة عتمه، و أنت تريد ذلك من يومك و ليلتك، لم يكن عشيه و لا عتمه و ما كان مثلها إلا نكرات فى الأصل و لوصفك إياهنّ موضع المعرفة ضعفن و امتنعن الصّيرف، فلم تكن إلّا ظروفًا منصوبه بوقوع الفعل عليها، و لم يقمن مقام الفاعل، كما كان يجوز فيهنّ إذا قلت: سير عليه عشيه من العشيات، و ضحوه من الضّحوات، لأنّ الظروف إذا قوين فى أبوابهنّ فعلن مفعولات على السّبعه، و أقمن مقام الفاعل، و وضعن موضع الخبر مرفوعات، كقوله تعالى: مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ [سوره طه، الآية: ٥٩] و كقولهم: أقمنا ثلاثا لا أدوقهنّ طعاما و لا شرابا، و سير به يوم الجمعة، و كقول لبيد شعرا:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنّه مولى المخافه خلفها و أمامها

فعلى هذا يدور أمرهنّ، و إذا هنّ نكرات، أو كنّ معارف بأنفسهنّ فأما إذا وضعن و هنّ نكرات فى موضع المعارف، فقد أزلن عن بابهنّ و عرفهنّ غيرهنّ فلم يجر أن يخرجن من

الظروف إلى غيرها إذ كُنَّ قد أزلن عن أصولها فإذا قلت: آتيتك ضحوه يومك وعشاءه، لم يكن سبيله سبيل ما هو عام فيما وضع له، فلا- يحصل به اختصاص، بل هو موضوع موضع الضحوه بالعرف، فصار يجرى مجرى المعهود للمخاطب، أو المضاف نحو قولك: ضحوه يومى و إذ كان كذلك بان الفرق بين الموضوعين، لأنَّ حكم اسم الجنس أن يكون شائعا فى الأصل.

ثم يحصل التعريف فيه بوجه من الوجوه المعروفه و قولهم: عتمه مصدر مثل الغلبه و معناه الإبطاء و التأخر قال:

يدكرنى ابنى السما كان موهنا إذا طلعا خلف النجوم العواتم

إلا أنه يستعمل ظرفا كما استعمل غيره من المصادر ظرفا، كخفوق النجم، و خلافه فلان، و غير ظرف أيضا يقول: سير عليه عتمه فينتصب انتصاب اليوم و الليله و يجوز أن يسند إليه الفعل، فيقال: سير عليه عتمه من العتمات، فيدخل الألف و اللام و قد يلزم الظرفيه فلا ينتقل و ذلك إذا أردت به عتمه ليله، هذا مذهب سيويوه و كان الأخفش يقول: ضحوه و عتمه إذا كان فى يومك لرفعهما أيضا، حتى أخذ العرب تمنع منه.

فأما غدوه فإنه اسم مشتق من قولك: غداه، فلُقِّب به الوقت، فصار علما له كما وضع زيد علما للرجل، فلذلك منع الصيرف، إذا قلت سيرته غدوه، لأنه معرفه، و جاز فيه ما جاز فى يوم الجمعة و أشباهه، لأنه معرف من جهة التعريف، يقول: سير بزید غدوه و إن شئت نصبت على أصل الظرف، و يكره فيها مثل ذلك إذا حملتها على غدوه، لأنَّ المعنى واحد، و إن أردت أن تجعلها كعشيه و ضحوه، فجيد، و إنما جعلوها معرفه تشبيها بما كان فى معناها و هى غدوه، لأنها غيرت بالتعريف كما غيرت غدوه و امتنعت من الألف و اللام، و نظير جعلهم نكره بمنزله غدوه، إذ كانت فى معناها رفع الاسم و نصبهم بها الخبر و إجراءها مجرى ليس، إذ كانت فى معنى ليس و إن ثبت تركها غير مشبهه فرفعت ما بعدها، و كذلك قولك: ودع يدع إنما كان الكسر نحو يعد و يزن، و لكن تعين فتحها و أجريت يذر مجراها لأنها فى معناها و لأنَّ الفتحة أخف و لهذه نظائر.

فإن قلت: قد قرأ أبو رجاء المطاردى بالغدوه و العشى، فجعلها شائعه كما تقول:

جاءنى زيد و زيد، تريد جماعه اسم كل واحد منهم، فيقول المجيب: و من الزيد الأول و الزيد الآخر. و هذا الزيد أشرف من ذاك الزيد، و على ذلك كانت تثنيه المعرفه و جمعها إذا كانت غير مضافه يخرجها إلى النكره، لأنَّ كل واحد يصير مرامه لكل واحد منها مثل اسمه، و تضيف زيدا و ما أشبهه كما تضيف النكره لأنه يصير معرفه بما أضيف إليه، كما قال الشاعر:

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم بأبيض من ظامى الحد يديمان

فإن تقتلوا زيدا بزید فإنما أقادكم السلطان بعد زمان

و أما قوله تعالى: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا [سوره مريم، الآية: ٦٢] فإن ذلك نكره ليس يريد كل بكره و كل عشيّه، و إنما تأويله و الله أعلم: أن الجنة لا ليل فيها يفضى إلى نهار، و لا نهار يتصل بليل، و لا شمس، و لا قمر إنما هو فى مثل مقادير العاده فى الدنيا.

و على هذا جاء الحديث: «نهار الجنة سجسج»: إنما المعنى أنه أبدا كالنهار و قوله:

سجسج أى معتدل لا برد فيه و لا حرّ. فإن قلت: كيف جاز أن يصير ما حكمه أن يكون شائعا فيما يصلح له مختصا ببعضه، حتى زعمت فى هذه الأسماء ما زعمت. قلت: ذلك لا- يمتنع فى عادتهم و طرقهم، ألا ترى أن قولهم: ابن عباس يختص بعبد الله حتى لا يعلم منه غيره، و إن للعباس أولادا دون عبد الله، و كذلك قولهم: ابن الزبير اختص به عبد الله فيما استمر من العاده.

فأما سحر: فإنك تقول: سير عليه سحر، فلا ينصرف و لا يتصرف إذا أردت سحر يومك، و معنى لا يتصرف لا يتمكن تمكن أسماء الأزمان فى أبوابها. و معنى لا ينصرف: لا يدخله الجر و التنوين. فإن أردت سحرا من الأسحار و هو فى موضعه نكره، فلا مانع له من التصريف و التمكّن، و نقول: إن سحرا جزء من آخر الليل، و فى سحر وقع الأمر. و قال الله تعالى: إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ [سوره القمر، الآية: ٣٤] و على هذا إن أدخلت الألف و اللام تقول: سير به السحر المعروف، و إنما منع الصرف حين قلت: آتيك سحر، و أنتظر سحر لأنه معدول عما فيه الألف و اللام.

و كان شيخنا أبو على الفارسي يختار أن يقال: إنه معدول عن أحوال نظائره ألا ترى أن أخواته إذا عرفت جاءت بالألف و اللام فهو جار مجرى آخر، و جمع فى العدل و إن كان آخر نكره و سحر و جمع معرفتان، و قد بينا الكلام فيه فيما يجرى و لا يجرى، و إنما لم ينصرف لأنه بلفظ النكره موضوع موضع المعارف من غير أن جعل علما، فهو مناسب لضحوه و عتمه إذا جعلنا من يومك الذى أنت فيه.

قال أبو على الفارسي: دخول الألف و اللام فى عتمه إذا أردت عتمه ليله لا أعلمه استعملت الكلمه بهما. و سيويه لم يذكره و لا يجوز حمله على ضحوه و غدوه و بكره قياسا كما يقوله الأخفش، فيرفع و ينصب. قال: و يقوى ما ذهب إليه سيويه من أن عتمه لا يستعمل إلا ظرفا إذا أردت به عتمه ليلتك، أن ما أشبهها من الظروف لم يستعمل إلا ظرفا.

فمن ذلك: سير عليه ضحى و صباحا و مساء و عشيّه و عشاء، إذا أردت بجميعها ما ليومك و ليلتك، و كذلك سير عليه ليلا و نهارا، أشبه بالمصادر و قد جعلت ظروفها.

فإن قيل: إن ضحى إذا أريد به ضحى يومه مثل عتمه، وقد دخله لام التعريف فى قوله: أبصرته فى الضحى يرمى الصّعيد به.

وفى قوله: نؤوم الضحى قلت: إن هذا قد خرج من أن يكون ظرفا لمكان الإضافة إليه، و دخول حرف الجر عليه فاعلمه، فإن قيل: لم خصّ بعض أسماء أوائل النهار بأن جعل علما وبعضها بأن جعل معدولا من دون أسماء أجزائه الباقية؟ قلت: لما كانت المواعد والحاجات استمرت العاده فى أنها أكثر ما تعلق بأوائل النهار دون أوساطه و أواخره.

و كثر الاستعمال فيها لذلك استجيز فيها ما لم يستجز فى غيرها من التغيرات، يشهد لهذا أنهم أقاموا مقام الأزمنه ما ليس منها، و ذلك كالمصادر نحو خفوق النجم، و خلافه فلان، و كصفات الزمان نحو: قليل و كثير و قديم و حديث. و هذا ما حضر فى قولهم سحر و غدوه و بكره و نظائرها و فيه كفايه.

فصل فى المحدود من الزمان و غير المحدود

قال أبو عمرو و غيره: الزمان سته أشهر، و الحين سته أشهر، قال الله تعالى: تُؤْتَى أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا [سوره إبراهيم، الآية: ٢٥] و حكى ثعلب عن ابن الأعرابى: الزمان عندهم أربعة أشهر و يقال: شىء مزم من أى أتى عليه زمان، و كان الزمانيه فيه لامتدادها.

و قال ابن الأعرابى: يقال من الزمان زمنه، و زمن و من الزمانه أيضا يقال: به زمنه و زمن، و يقال: لقيته فى الزمن بين الزمنين، ألا تراه قد حدّ للقاء وقتا، و للفراق وقتين، و كلّ قريب، و يقال: لقيته ذات الزمن أى ساعه فى مده من الدهر يسيره. و قال غيرهم: الحين الوقت فى كلّ عدد، و الملا غير مهموز مثله، و يقال: الحين سبع سنين، و احتج بقوله تعالى: لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّى حِينٍ [سوره يوسف، الآية: ٣٥] و قيل هو أربعون سنه لقوله تعالى:

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ [سوره الإنسان، الآية: ١] و ذاك أنه روى فى الخبر أن آدم عليه السلام أتى عليه بعد خلق الله إياه و هو طين أربعون سنه ثم نفخ فيه و لم يدر ما هو.

و قيل: الحين ثلاثه أيام لقوله تعالى: إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ [سوره الدّاريات، الآية: ٤٣] فكان فيما روى ذلك القدر. و قال آخرون: ثلاث مرّات فى اليوم لأنه تعالى قال:

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآية: ١٧] إلى و حِينَ تَطْهَرُونَ [سوره الروم، الآية: ١٨] قالوا: و هذا يقتضى أن يكون فى قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ [سوره النحل، الآية: ٦] غدوه و عشيه قال الشيخ: المحصل الصّحيح أن قولهم: الحين لما يتناول من الزمان و يتقاصر و يكون محدودا أو غير محدود.

و قد حكى عن أبى زيد و أبى عبيده و يونس أن (الدَّهْر) و (الزَّمان) و (الزَّمن) و (الحين) يقع على محدود، و على عمر الدَّنيا من أولها إلى آخرها. قال الأعشى شعرا:

لعمرك ما طول هذا الزَّمن على المرء إلّا عناء معن

يريد به الوقت الممتد و قيل فى قوله تعالى: وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ [سوره ص، الآيه: ٨٨] أراد يوم بدر و قيل: أريد به القيامة. و جميع ما حكيناه عند الفحص يدلّ على أنّ المراد به تبع لمقصود المتكلمين. فإذا قال: لم ألقك منذ حين و هو يريد تباعد الوقت، علم ذلك بالحال أو القرينه، و كذلك لو قال: أعطيك حقك بعد حين، و أراد: تقريب الوقت.

و إذا حلف الحالف على حين، فإن كان من أهل المعرفة بالحين أخذ بقوله، و إن لم يكن من أهلها حمله الإمام على أعرف الأوقات فيه عند العامه، و استظهرنا بعد الحاليين فى الوجود.

و قال شرقى الزَّمن عندهم شهران- و الزَّمين شهر واحد. و قيل: الزَّمان سته أشهر- و الزَّمن أربعة أشهر- و الزَّمين شهران- و الحرس كمال السَّينه ما بين أولها إلى آخرها. و قال غيره: الحرس ما بين الحين إلى السنه. و قال الخليل: الحرس وقت من الدَّهر دون الحقب.

قال شعرا:

و عمرت حرسا دون مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

و يقال: شىء محروس، أى عليه حرس، و يقال: أحرس بالمكان، أقام حرسا. قال:

و علم أحرس فوق عنز- و العنز أكمه صغيره.

و البرهه عشر سنين. و قال الخليل للبرهه: حين من الدَّهر طويل- و العصر عشرون سنه. و قيل: العصر لا يكون إلّا لما سلف. و قوله تعالى: وَ الْعَصِيرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [سوره العصر، الآيه: ١، ٢] قال ابن الكلبي: هو الدَّهر كلّ الماضى و المؤتلف، و قد قيل:

عصر و أعصر و عصور. قال: كر اللّيالى و اختلاف الأحصر. و قال آخر: أبعصور من بعد تلك عصور، و العصران الغداه و العشى.

و الأشدّ ثلاثون سنه، و قيل: هو لما بين ثلاث و ثلاثين إلى تسع و ثلاثين. قال الشيخ:

تحقيقه بلوغ نهايه القوه و الشَّباب. و اختلف فى بنائه، فمنهم من يقول: هو جمع و واحده شد و مثله ضب و اضب. و منهم من يقول هو واحد و مثله من الأبنيه قولهم آنك و هو الأسرب و قولهم آجر. و قال سيبويه: افعل ليس من أبنيه الواحد. و هذان

أعجبان عند أصحاب العرييه.

و السبت من الدهر ثلاث مائه سنه، و قال بعضهم: السبت أربعون سنه و أنشده:

و قد نرتعى سبتا و لسنا بحيرهمحلّ الملوک تفده فالمغاسلا

و الحقبه من الستين إلى الثمانين. و قال بعضهم: من السبع إلى العشر. و قال الخليل:

الحقبه زمان من الدهر لا وقت له و الجمع الأحقاب. و قيل الحقب: السنين واحدا حقب، و الحقب: الدهر و الجمع الأحقاب. و قيل: فى قوله تعالى: لا يبين فيها أحقاباً [سوره النبأ، الآية: ٢٣] واحدا الحقب ثمانون سنه، كل سنه اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم منها مقداره ألف سنه من سنى الدنيا. و ذكر قطرب أن الحقب بلغه قيس مائه سنه.

و القرن من الثمانين إلى المائه، و قالت طائفة منهم القرن ثلاثون سنه و قيل القرن أربعون سنه. و قال أبو عمرو غلام ثعلب: الصيحيح عندى أن القرن مائه سنه، و ذاك أن النبى صلى الله عليه و سلم مسح يده على رأس صبي و قال له: «عش قرنا» فعاش مائه سنه. و قد احتجوا أيضا بقوله عليه السلام: «خير الناس قبرى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». و هذا يدل على أن القرن ثلاثون إلى الأربعين.

و قال ابن الأعرابى: الهنيد مائه سنه، و الهند مائتا سنه و الدهر ألف سنه. و قول الله تعالى: بضع سنين [سوره يوسف، الآية: ٤٣] قيل: إنها سبعة. و قال أكثر أهل اللغة: إن البضع لما بين الثلاثه إلى العشر. و حكى البضع بفتح الياء و قال المبرد: هو ما بين العقدين إلى الواحد، و إنما جاز فى الاثنين أيضا عنده لأنه جمع، و بضع اسم الجماعة المحظوره بالعقود. و قال أحمد بن يحيى: البضع من ثلاثه إلى سبعة و أكثره تسعه، و يقال: بضع عشر و بضعه عشر شهرا، و بضع و عشرون إلا أنه مع العشره أكثر و أصله من القطع، يقال: بضعه بضعاً و المقطوع بضع، فهو مثل الطحن و الطحن.

و ذكر أبو عبيد الوقص ما زاد من السنين على العشر، و إحدى عشره وقص و كذلك المياه التى لا تورّد بين الماءين المورودين وقص قال و الشنق فى الديه خاصه، و قيل: الوقص و البضع اسمان للعدد فهما يستعملان فى كل معدود و هذا هو الصحيح.

و النيف يجىء بعد العقود يقال: نيف و عشرون، و نيف و تسعون، و لا يقال: نيف و عشره، و يجوز عشره و نيف لأنه اسم لما يزيد على العقد و وزنه فيعل و أصله من ناف ينوف إذا ارتفع و أشرف و انبسط، و يقال: ناف النفس ينوف نوما إذا تحرّك و نسّم بعد خفوضه و هموده. و يقال فى الدنف الحرض قد نافت له نفس ترجوه معه، و إذا حمحم الفرس للقصيم، قيل: ناف نوما، و يقال: أناف على الشىء أى أشرف، نافة يناف. و التوف السنّام لإشرافه و البطر لزيادته فى ذلك الموضع و العلم قال شعرا:

يخبّ به العطاف رافع نوفه له زفرات بالخميس العرمم

الآن: فقد قال أبو العباس: يشار به إلى حاضر الوقت، و تلخيص هذا أنه الزمان الذى يقع فيه كلام المتكلم فهو آخر ما مضى و أول ما يأتى من الأزمنه، و هذا مراد قولهم:

الآن حد الزمانين، و الذى أوجب بناءه أنها وقعت فى أول أحوالها بالألف و اللام. و حكم الأسماء أن تكون منكوره شائعه فى الجنس. ثم يدخل عليها ما يعرفها من إضافه، و ألف و لام فخالفت الآن سائر أخواتها من الأسماء، بأن وقعت معرفه فى أول

أحوالها، و لزمّت موضعا واحدا كما تلزم الحروف مواضعها التي وقعت فيها في أوليتها غير زائله عنها، و لا نازحه منها و اختيرت الفتحه لآخرها لخفتها و لمشاركتها للألف التي قبله. و قال الفراء فيه قولان:

الأوّل: أنّ أصله أنّ الشىء يئين إذا أتى وقته، كقولك: آن لك أن تفعل كذا و إني لك، ثم أدخلوا الألف و اللام عليه، و إن كان فعلا كما يروى أنه نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن قيل و قال فعلا ماضيان و أدخل عن الجاره عليهما و تركا على ما كانا.

الثانى: إنّ الأصل فيهما أوان، ثم حذف الواو فبقى آن، كما قالوا: رواح و راح، و الكلام عليه قد مضى فى غير هذا الموضع من كتبنا.

و قولهم أيان فإنه يقوم مقام متى، فهو يتضمّن معنى الألف و كان حكمه أن يكون ساكن الآخر، لكنّه حرّك لالتقاء الساكنين، و اختيرت الفتحه لخفتها و لأنّ قبلها ياء مشدّده، و هما بين الياء و النون، ليس بحاجز حصين و هو الألف.

و حكى الكسائى أنّ أبا عبد الرحمن السلمى قرأ: أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [سوره النحل، الآية: ٢١] بكسر الألف.

و إيّان و أفان فهما معربان متمكّنان و تضيفها فتقول: جئت على إيّان فلان و إفاته أى فى وقته، و تفردهما بنزع الجار منهما، فتقول: جئت إيان ذلك و إفاته، و انتصابهما على الظرف.

و أما قولهم أوان فمعناه الوقت و يجمع على آونه قال ابن أحرر شعرا:

يؤرّقنا أبو حنش و طلق و عمّار و آونه أنالا

و قد جاء مبينا منونا فى قول الشاعر:

طلبوا صلحنا و لات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

و إن كان متمكنا فى جميع الكلام تقول: هذا أوان طيب، و أدركت أوان فلان، قال أبو العباس: إنّما بنى من قبل أنّ الأوان من أسماء الزّمان، و أسماء الزّمان قد تكون مضافات إلى الجمل، كقولك: هذا يوم يقوم زيد، و أتيتك زمن عمرو أمير. فإذا حذف الجمله من

قولك أوان، وقد يضم معناها و هو فى حكم المعرفة بها استحق البناء، ثم عوّضت منها التّنين كما فعلت ذلك بقولك: حينئذ و ساعتئذ و فارق قولك: أوان الغايات، لأن الغايات مضافه إلى المفردات فى التقدير، و أوان مضافه إلى جملة فهو كاسم حذف بعضه و بقى بعضه و قد عوّض مما حذف فيه و الغايات لم يؤت فيها بما يكون عوضا، و تيه الإضافه فيه أقوى إذا كانت إلى المفرد لا إلى الجملة، و اختيرت الكسره فى أوان لما بنى لالتقاء الساكنين.

و ذكر بعض الكوفيين أنّ لآت جارت لأوان بمنزله حرف من حروف الخفض، و لو كان كذلك لفعل به مثل ذلك فى قوله تعالى: **وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ** [سوره ص، الآية: ٣].

و أما إذ و إذا فهما اسمان مبهمان. فإذا لما مضى و إذا للمستقبل، فهما كالأسماء الناقصه المحتاجه إلى الصيالات، لأنّ الأسماء موضوعها أن تدلّ على مسمياتها فى الأصل، فإذا صار بعضها لا يدلّ بنفسه على ما هو المطلوب منه و احتاج إلى ما يكشفه، و يوضح معناه حلّ بما بعده من تمامه محلّ الاسم الواحد، و صار هو بنفسه كبعض الاسم، و بعض الاسم مبنى. فإذا يوضح بالابتداء و الخبر، و الفعل و الفاعل تقول: جئتك إذ قام زيد، و إذ زيد قام، و إذ يقوم زيد و إذ زيد يقوم، فإذا كان الفعل مستقبلا حسن تقديمه و تأخيره. و إذا كان ماضيا قبح التأخير، لا- يقولون: جئتك إذ زيد قام، إلا مستكرها من قبل، أنّ إذ للماضى، فإذا كان فى الكلام فعل ماضٍ اختير إيّاه لمطابقتها و مشاكله معناهما. و إذ عند أصحابنا اسم مضاف إلى موضع الجملة التى بعدها، و لا يجازى بها، لأنها مقصوره على وقت بعينه ماضٍ.

و إذا من أسماء الزّمان أيضا و يقع بعدها الأفعال المستقبلة، و هى موضحة بما بعدها كما كانت إذ غير أنها لا يليها إلا الأفعال مظهره كانت، أو مضمرة كقولك: أجيئك إذا قام زيد، يعنى الوقت الذى يقوم فيه، و فيها معنى المجازاه فلذلك لا يقع بعدها إلا الأفعال.

فإذا رأيت الاسم بعدها مرفوعا فعلى تقدير فعل قبله، لأنّه لا يكون بعده الابتداء و الخبر و إنّما لم يجازيها لأنّها تقع محدوده، و المجازاه معتوده على أنّها يجوز أن يكون و ألّا يكون تقول أجيئك إذا احمرّ البسر، و لا يجوز أن تقول: إن احمرّ البسر، فلما كان إذا لوقت معلوم لم يجاز بها، و إن كان فيها معنى المجازاه، إلا أن يضطر شاعر قال الفرزدق:

ترفع لى خندق و الله يرفعنار إذا ما خبت نار لهم تقد

و معنى المجازاه: أنّ جوابها يقع عند الوقت الواقع كما يقع المجازاه عند وقوع الشّرط. و لإذا موضع آخر يكون فيه اسما لمكان و ذاك من ظروفه و سيجىء الكلام فيه فى الباب الذى يليه.

الباب الثاني عشر في لفظ أمس - و غد - و الحول - و السنه - و العام - و ما يتلو تلوه

اشاره

و لفظ حيث- و ما يتصل به- و الغايات- كقبل- و بعد- و ذكر أول- و حينئذ- و قطّ- و منذ- و مذ و إذ المكانية.

و من عل يقال: اليوم ليومك الذي أنت فيه، و أمس لليوم الذي يليه يومك الذي أنت فيه و قد مضى. و قال قطرب و غيره: يقول: رأيتك أمس فتكسر، كما قالوا: قال الغراب:

غاق يا هذا في حكاية صوته، و تميم يرفعون أمس في موضع الرفع فيقولون: ذهب أمس بما فيه فلا يصرفونه لما دخله من التغيير و قال الزجاج:

لقد رأيت عجا مذكراً أمساءجائزاً مثل السعالى خمسا

فكأنه ترك صرفه في لغة من جرّ بمد. و قال عدى بن زيد:

أ تعرف أمس من لميس طلل مثل الكتاب الدارس المحول

قال الشيخ: اعلم أنّ أمس اسم معرفه لما مضى و شوهده. و غد بخلافه لأنه و إن كان اسماً لليوم الذي يلي يومك الذي أنت فيه، و لم يجىء فهو نكرة. و مثلهما قطّ و أبدا لأن قط معرفه و أبدا نكرة، و فى بناء أمس طريقتان:

الأول: ما ذكره أبو العباس المبرد و هو أنّ شرط الاسم أن يلزم مسماه، و لا سيما ما كان معرفه ليكون علماً باقياً له. و أمس ليس يلزم مسماه لأنه اسم لليوم الذي يليه يومك الذي أنت فيه و قد مضى، فكلمة مضى يومك انتقل لفظ أمس عما كانت له إلى ما كانت بعده، فلما كان كذلك أشبهه الحروف فى أنه لا لزوم لها و إنما ينقل إلى ما ينقل إليه كمن و فى و إلى، فيفيد معناها فيه فبنى لذلك.

الثانى: إنه كان حق تعريفه أن يكون بالألف و اللام ليؤدى العهد فيه فلم يدخل عليه، بل ضمن معناهما، و الاسم إذا تضمن معنى حرف، يجب أن يبنى، فهذا وجه بنائه فأما من

منعه الصيرف فإنه يجعله معدولا عمّا فيه الألف و اللّام كأنّه لا يأتى بهما، و هو يريد معناهما فى الاسم كما أنّ قولك: سحر كذلك و قد مضى القول فيه، فإن نكرته و جعلته شائعا صرفته به و صرفته، فقلت: مضى أمس و كذلك إن أضفته أو أدخلت عليه ألفا و لاما، لأنّه يصير موقتا محدودا تقول: مضى أمسك، و كان أمسا أطيب من يومنا، و مضى الأمس.

فإن قال: ما بال غدا لا يكون مبنيا قلت: أمس معرفه مشاهد معلوم، و غدا ليس بمعلوم و لا مشاهد، لأنّه لم يأت قبيلهما سبيل قط المشدّده و أبدا، لأنّ قطّ للقائل من لدن قوله أى ابتداء كونه فهو معلوم، يقول: ما رأيت قطّ، تحركت الطاء الأخيره لأنّه لا يلتقى ساكنان و يضمها كما يضم آخر الغايات، و سنين القول فيها كلّها، و إذا قلت: لا أكلمه أبدا، فالأبد مذ لدن تكلمت إلى آخر عمرك، فهو غير معلوم، و جار على أصله الذى له و صار مصروفا منصرفا لم يعرض فيه ما يوجب تنيرا.

قال قطرب: و أظنه حكى عن الخليل أنّهم أرادوا بأمس حين حفظوا رأيت بالأمس، فحذفوا الباء و الألف و اللّام كما قالوا خير عافاك الله فى جواب: كيف أصبحت؟ يريدون بخير، و كما قالوا: لاه أبوك الله أبوك. و قال ذو الأصبغ شعرا:

لاه ابن عمّك لا أفضلت فى حسب دونى و لا أنت ديانى فتجزونى

فحذف لام الإضافه و لام التعريف و هذا تقويه لقول الخليل، و مثله قول الآخر:

طال التواء و ليس حين تقاطع لاه ابن عمّك و التوى لعدوّ

انتهى كلامه. قال الشيخ: هذا الذى حكاه لا يكون بناء بل يكون الحركه فى أمس إعرابا كما أنّها فى حين و فى لاه أبوك شاذ، فلا يجعل أصلا لغيره. قال قطرب: فإذا دخلت الألف و اللّام فى أمس، فبعض العرب ينصبه، و يقول: رأيت الأمس و بعضهم يخفضه كحاله قبل الألف و اللّام، و يقول: رأيت بالأمس و قال نصيب شعرا:

و إنى حبست اليوم و الأمس قبله ببابك حتى كادت الشمس تغرب

انتهى كلامه.

قال الشيخ: الوجه فى إدخال الألف و اللّام أن ينكر أولا ثم يعرّف بهما، فأما من نصب بعد إدخال الألف و اللّام فهو القياس، لأنّ الألف و اللّام و التّنكير يرددان اللفظ إلى ما كان يجب عليه فى الأصل.

و أما ما حكاه عن يونس أنّه سمع الكسر مع دخول الألف و اللّام، فالمتكلم بذلك يجب أن لا يكون قد اعتدّ بالألف و اللّام، و لم ينكر قبل دخولهما، و بقى الكسر إيذانا بفعله ذلك، و يكون هذا كقوله شعرا:

و لقد جنيتك أكمؤا و عاقلاو لقد نهيتك عن بنات الأوبر

فأدخل الألف و اللّام على الأوبر و هو معرفه، لأنه لم يعتد بهما، أو يكون أجراه مجرى الخازباز و خمسة عشر و أخواته فى العدد، لأنّ الألف و اللّام لا يزيلان بناءهما و لا يردانهما إلى أصلهما، و الأول أجود و أكثر نظيرا فى الوجود. قال قطرب: و إذا جمعت أمس فى القياس قلت: ثلاثه آماس، لأنه مثل فرخ و أفراخ، و فلس و أفلاس، و قال الرّاجز شعرا:

مرّت بنا أول من أموس تميم فيه مشيه العروس

فجمعه على فعول مثل فروخ و فلوس، و قال بعض الأعراب:

مرّت بنا أول من أمسيه تجرّ فى محفلها الرّجليه

فبنى أمس انتهت الحكايه. قال الشيخ: الياء فى أمسيه لبيان الحركة، و كذلك فى الرّجليه، و كأنه أراد أول من أول من أمس فثنى أمس بدلا من تكرير أول، و هذا كما قال أبو العباس فيما حكى عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسى اضربا عنقه. و المراد: اضرب اضرب فأتى بدل التكرير بلفظ التثنيه، فأما أول من قولك أول من أمس فهو صفه كان المراد به يوما أول من أمس، و قالوا: بعد غد، و لم يقولوا: قبل أمس، فكان أول بدل قبل، و بعد غد فى موضع الصّفه أيضا.

قال قطرب: فإن أضفته فإنّ بعضهم يجزّه كحاله قبل أن تضيف، كما كأن ذلك فى الألف و اللّام. قال الشيخ: الوجه فى أمس إذا أضيف أن يعرب و يصرف كما قلناه فى الألف و اللّام، فأما من بناه مع الإضافه فإنّه شبهه بخازباز و خمسة عشر و أخواته، لأنها بنيت، و إن أضيفت، و رجوع أمس فى التثنيه إلى أصله هو الذى يدل على مخالفته لباب خازباز و خمسة عشر و أخواته. و قد قال قطرب فى أمس: إذا جعلته نكره فإنه يجرى فيه الإعراب و كل ما يرد التثنيه إلى أصله تردّه الإضافه و اللّام إلى أصله، و خمسة عشر و أخواته بنيت نكرات، و إن كان كذلك كان الصّعف و البعد فى بناء أمس عند الإضافه و مع الألف و اللّام ظاهرين فاعلمه، و تقول: آتيك غدا أو شيّعه، و آتيك الجمعه أو شيّعه و المراد اليوم الذى يليه. قال عمر بن أبى ربيعه شعرا:

قال الحبيب غدا يفرّقنا أو شيّعه أ فلا تودّعنا؟!

فكان هذا من الاتباع، و فى الحديث: شاعه أبو بكر أى أتبعه، فيقال على هذا النبى صلى الله عليه و سلم و شيّعه، أى مصدّقه و صاحبه و من هذا الشيّعه.

و قال ابن الأعرابى: يقع الشيّعه على كل من أحبّ و صدّق و حضّ على الاتباع أو حرّض تأخر عن المتبوع أو تقدم عليه. أ لا ترى قوله تعالى: وَ إِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ [سوره الصّافات، الآية: ٨٣] يعنى من شيّعه محمد صلى الله عليه و سلم فأما قوله:

كأن أمسيا به من أمس يصفّر ليس اصفرار الورس

فإنه يعنى عرق الإبل، و هو يصفّر إذا يبس و معنى أمسيا به: يريد عرقا ظهر منذ ثلاثة أيام، و معنى من أمس: منذ، كما قال:
أقوين من حجج و من دهر و عرق الخيل إذا يبس ابيضّ. قال بشر:

تراها من يبس الماء شهابمخالط درّه فيها اقورار

و الحول: السّنه بأسرها، و جمعه أحوال، و قد حال الحول يحول حولًا- و حؤلاً- و احتال الشىء و أحوال: أتى عليه حوال أو أحوال، و أحال بالمكان: أقام فيه حولًا، و قال الخليل:

أرض مستحاله تركت أعواما من الزّراعة.

و السّنه اسم لاثني عشر شهرا، و هو اسم منقوص و الدّاهب منه فى لغه كثير منهم الهاء، كان الأصل سنه، فحذف الهاء لمناسبتها لحروف المدّ و اللين و على هذه اللغه تصغر سنيه، و يقال منه: هو يعمل مسانهه، كما يقال: معاومه و نخله سنهاء: تحمل عاما و تحول عاما قال:

ليست بسنهاء و لا رجييهو لكن عرايا فى السنين الجوائح

و فى لغه غير هؤلاء الدّاهب منه الواو، كان الأصل سنوه، فحذف الواو تخفيفا ثم جمعت على سنين جبرانا بالنقيصه لأنّ جمع السّلامه إذا حصل فى غير النّاطقين و من جرى مجراهم يكون للتّفخيم و التّعظيم، أو جبرا لنقص داخل على الاسم، و الأسماء المنقوصه تجد الدّاهب منها فى الأعم الأكثر الواو و الياء لاستثقالهم إيّاهما، و كما يحذفونهما حذفًا يعلّونهما بالقلب و الإبدال، لأنّ كلّ ذلك يؤدّى إلى التّخفيف، و على ذلك هذه اللّغه يصغّر سنيه و تجمع سنوات و يقال: هو يعمل مساناه، و يقال: أسنى القوم و هم مسنون: إذا أتت عليهم سنه، و قد جعل السّنه اسما للجذب، فيقال: أصابتهم السّنه، و جعل الفعل منه أسنت، فرقا بين هذا المعنى و غيره، يقال: أسنت القوم و هم مستنون، و على هذا لغه من جعل لامه واوا دون اللّغه الأخرى، و هم يفعلون ذلك بما فيه لغتان و يقال أيضا: رجل سنت: أى قليل الخير، و قوم سنتون، و التّاء من أسنت هو بدل من الواو، و هذا كما فعلوا فى بنت و أخت، ثم جعل البدل فى أسنت لازما كأنّهم أرادوا أن يختصّ بالجذب، حتّى كأنّه وضع له، فلا مناسبه بينه و بين ما للوقت و هذا كما جعل البدل فى قولهم: عيد، لازما، فليل: عييد و أعياد فى تصغيره و جمعه و لم يردّوه إلى أصله، و إن كان من عاد يعود لقصدهم إلى أن يختصّ بما يفيد بعد الإبدال العارض فيه كأنّه بناء آخر له و ليس بمشتق.

فأمّا قولهم: العام، فيقال منه: عاومت النّخله إذا حملت سنه و حالت أخرى، و عنب معوم: كثر حملة سنه و قلّ أخرى. و فى الحديث نهى عن المعاومه، و هو: أن تبيع الزّرع

عامك بما يخرج من قابل، و هو أن يزيد على الدّين، و يؤخّر في الأجل، و يقال: أتيتّه ذات عويم: أى العام، و يقال: أعوام عوم و عام عائم على التّوكيد، كما يقال: شعر شاعر، و هو عامى إذا أتى عليه عام. قال العجاج: من أن شجّاك طلل عامى.

فصل [فى تعريف العام و السنه]

قال قطرب: العام لما أنت فيه، و قابل للثانى لأنه يستقبلك، و جمعه قوابل و قباقب للعام الثالث، و مقبب للعام الرابع. قال: و كان أبو عمرو بن العلاء يعرف مقببا فى العام الرابع، و جمعه القباقب بفتح أوله، و هذا كما قيل: عذافر و عذافر و جوالق و جوالق، و أنشدنا أبو على فى قابل و هو من أبيات الكتاب:

فقال: امكثى حتّى يسار لعلّنا نحجّ معا قالت أعاما و قابله؟

و مما يسأل عنه أن يقال: من أين جاز أن يقال عاما أوّل، و لا- يوما أوّل، و لا سنه أولى. و الجواب: أنّ قولهم عاما أوّل مما عمدوا فيه إلى تخصيصه بشىء لا- يكون فى غيره، اعتمادا على التّعارف، لأنّ المعنى: عاما أوّل من عامى، فلمّا كانت الكلمه متداوله و كانت الحاجه إلى كثره استعمالها ماسّه حذفوا و أوجزوا معتمدين على علم المخاطب، و التّيه الإتمام، و مثل هذا الاختصاص قولهم: اليوم فعلت كذا، جعلوه ليومك الذى أنت فيه، و لا يقولون: لقيته الشّهر، و لا السّنه، و قد قالوا أيضا: لقيته العام و إن كان العام بمعنى السنه قال:

يا أيّها العام الذى قد رابنى أنت الغداء لذكر عام أوّلا

فإن قيل: و لم احتجّ إلى من حتى قدرت فى قولك: عاما أوّل أنّ أصله عاما أوّل من عامى. قلت: إنّما افتقر الكلام إلى من لأنّهم أرادوا أن يبيّنوا فى أفعل ابتداء الزّيادة من أى شىء كان ليعرف حدّه و مبتدؤه. ألا ترى أنّ معنى قولك: زيد أفضل من عمرو أنّ ابتداء زياده فضله من فضل عمرو، فهو حدّه. و أوّله، فكذلك قولهم: عاما أوّل فاعلمه.

و اعلم أنّ حيث فى الأمكنه بمنزله حين فى الأزمنه، بدلاله أنّه يقع على كل مكان، لا جهه من الجهات الست إلّا و لإبهامه يقع عليها، و احتاج فى الاستعمال إلى جملتين: جمله يضاف إليها، و جمله تنفيذ حدثا يقع فيه، كما أنّ حين يقع على كلّ زمان. و لذلك أضيف إلى الجمل الخبريه من الابتداء، و الخبر و الفعل و الفاعل و الشّروط و الجزاء، كما فعل ذلك بإذ و أخواته- و إن كان ذلك خارجا من شروط الأمكنه، لأنّ المكان إذا جاء بهما حكمه أن يضاف إلى مفرد يخصّيه، فلمّا تنهى حيث فى الإبهام لانتظامه جميع الجهات، و لم يضيف إلى مستحقّه من مفرد يخصّيه بل أضيف إلى جمله، صار هو مضافا إليها فى حكم المفرد

فأشبهه الغايات من نحو: قبل و بعد و ما أشبههما، لأنها هي مفردة تضمّنت معنى المضاف إليه و هو معرفه فبنيت جميعا لذلك، إلّا أنّ الغايات و جب أن تبني على حركه لأنها ممّا قد يتمكّن في غير هذا الموضع، فصارت لها مزيّه على ما لا يتمكّن البتّه، فبناؤها لما لها في أوّل أمرها و حيث و جب أن تبني على سكون لعدمها تلك المزيّه، لكنّه حرّك آخره لالتقاء الساكنين.

و في حيث لغات أربع: حيث و حيث و حوث و حوث، فالضمّ لدخوله في شبه الغايات مما ذكرناه و الفتح لخفته. و حكي الكسائي عن بعضهم أنّهم يكسرون حيث فيقولون: من حيث لا يعلمون كسره إعراب، و يمكن في هذا أن يقال فيه: إنّه شبهه باسم الزمان إذا أضيف إلى غير متمكّن، نحو من خزي يومئذ و يومئذ و على حين عاتبت و حين عاتبت.

و الغايات أصلها الظروف و إعرابها في الأصل: للنصب و الجر، و كان تمامها بما كانت تضاف إليه، فأفردت عنه اعتمادا على علم المخاطب به و جعلت في نفسها غايه الكلام و نهايته، حتّى كأنّه لا افتقار فيه إلى غير هذا، و قد ضمّن معنى ما كان مضافا إليه و يصير به معرفه، و الاسم إذا تضمّن معنى حرف فحقّه أن يبني، و إنّما قلنا: و يصير به معرفه أنك لو نكرته لأعرب و أجرى على أصله، تقول: جئت قبلا و بعدا كما تقول: أولا و آخرا كما أنك لو أضفته، فقلت: من قبل كذا، و من بعد كذا لأعرب و لم بين.

و قال أبو العباس: يقول في الجملة: إنّ كلّ ما كان حقّه الإضافة فحذفت منه استغناء بعلم المخاطب فإنّه معرفه من غير جهة التعريف و حقّه البناء، فمن ذلك: قبل - و بعد - و أوّل - و منذ - و ليس - و غير - يدلّك على حذف المضمّر ما يحذفه بعد حرف الاستثناء إذا قلت: عنده درهم ليس إلّا، حذفت ما بعد إلّا استغناء و منها: من عل و يا زيد، و منها: قطّ و هو لما مضى من الدهر و حسب و هي للاكتفاء و معنى قطّ فيما مضى فانقطع، و القطّ القطع عرضا، و القدّ القطع طولاً، فهو معرفه لا يدخله الألف و اللّام و لا الإضافة.

و قال شيخنا أبو علي: قطّ اسم ينتظم أوّل وقت، ذى الوقت إلى آخر ما بلغه منه، فهو عباره عن أمده و مدّته، فوجب لذلك أن يكون مضافا إلى ذى الوقت كما أضيف إليه قبل و بعد، فلما اقتطع عن الإضافة بنى على الضمّ كما بنيا، و مثل قط في انتظامه أوّل الوقت إلى آخره، منذ: إذا أريد به تعريف أمد الشئ و ذلك نحو أن تقول: لم أر زيدا، فيقال: ما أمد ذلك، و ما مدّته، يعنى انقطاع الرّؤية فتقول: منذ عشرون يوما فابتداء الوقت و انتهائه هذا في انتظام الاسم الذى هو مدّه لهما، و من ثم بنى منذ أيضا على الضمّ حيث كان غايه مثل قطّ، و يجوز في جوابه المعرفه و النكره و أبدا يدخله الألف و اللّام لأنّه نكره و معنى أبدا فيما اتّصل و امتدّ من الوقت، و منه الآبده و الأوابد. و معنى قطّ مخفّفه مسكّنه إذا قلت: قطك ليكفك

و اکتف و مثله قدك و حسبك و لتضمّنهما معنى الأمر فى أول أحوالهما، استحقًا البناء، و مثل قَطَّ و قطك فى أنه يستعمل مثقلا و مخففا قولهم: بخ و بخ.

قال محمد بن زيد: يقال: بخ بخ، و ينقل أيضا كما قال فى حسب بخ و عزاقس و أنشد غيره شعرا:

بين الأشخّ و بين قيس باذخ بخ بخ الوالده و المولود

و قال أبو إسحاق الزيادى: الدليل على أنّ مه ليس من قولك مهلا أنه ليس فى الدنيا اسم انصرف و هو تام، و امتنع من الصّرف و هو ناقص. فقال أبو عثمان المازنى: بلى قَطَّ المخففه، زعم سيبويه أنها مخففه من قولك قططته قَطًا، قال: و الدليل على ذلك أنّ معنى قَطَّ معنى حسب، فهو لقطع الشىء يقوى ما ذهب إليه أبو عثمان فى هذا المعنى قولهم فى حسب: بخ فأعربوه مثقلا و بنوه مخففا و تقول: جئت من فوق، و من تحت، و من أمام و من دون، فالضمّ فى جميع ذلك مستعمل على الوجه الذى بينته.

فأما قولك: من عل فمعناه من فوق، و فيه عده لغات ذكرها أهل اللّغه و سبيلها سبيل ما قدّمناه من أنّ جميعها فى تقدير الإضافة، فإذا حذفت المضاف إليه لم يخل من أن يكون معرفه أو نكره، فإن كان المحذوف نكره تنكرت و أعربت و إن كان معرفه بنيت لأنها بمنزلة اسم قد اکتفى ببعضه عن جميعه، و بعض الاسم يبنى و هو ظاهر.

و اعلم أنّ ل: إذ موضعا آخر غير ما ذكرنا، و هو قولك: بينا زيد قائم إذ رأى عمروا.

و بينما زيد قائم جاء عمرو، فبينما عباره عن حين، و المعنى وقت أنا قائم جاء عمرو، إلّا أنّ بينما متمكّنه فلها صدر الكلام بمنزله مذ الذى يرفع الخبر. و كان الأصمعى يجزّبها المصدر خاصه و ينشده: بينا تعتقه الكماه و روغه، يريد حين يعتقه و التحويون يخالفونه لأنها مبهمه لا تضاف إلّا إلى الجمل التى بينتها. و قال سيبويه: إذ يكون للمفاجأه إذا قلت: بينا أنا جالس إذ حضر عمرو، و بينا أنا أكلم عمرو إذ طلع زيد.

و كان الأصمعى و كثير من التّحويين يأبون وقوع إذ فى هذا الموضع، لأنّ معنى بينا الحين، فإذا قلت: حين زيد قائم إذ طلع عمرو، فلا معنى له إنّما الكلام حين زيد قائم طلع عمرو، و إذ فضله. قال أبو العباس: أشعار العرب على ذلك قال:

بيننا نحن نرقبه أتانامعلق و فضه و زنا دراع

و قال امرؤ القيس:

فبيننا نعاج يرتعين خميلهاكمشى العذارى فى الملاء المهذب

فكان ينادينا و عقد عذاره و قال صحابى قد شأونك فاطلب

فأما ما قاله سيبويه فغير بعيد، وقد أجازته قوم. و أنشد سيبويه شعرا:

بينما هنّ بالكثيب ضحى إذ أتى راكب على جملة

و قولك: خرجت فإذا زيد قائم، يجوز أن يقال: فإذا زيد قائم خرجت كما تقول:

خرجت فإذا زيد، لأنّ إذا ظرف مكان و سُمّي الاسم به و المعنى: فحضرني زيد و إذ إذا جعل للمفاجأه كان في مثل معناه و أمّا مذ و منذ فقد قال أبو العباس: أول ما يذكر من أمرهما أنّه يجوز أن يكون كلّ واحد منهما اسما و حرفا جازا و لذلك قال سيبويه: إنّ مذ فيمن جرّ بها بمنزله من في الأيام و مذ و منذ شىء واحد إلّا أنّ الأغلب على مذ أن يكون اسما و على منذ أن يكون حرفا لأنّ النقصان إنما يكون في الأسماء و الأفعال دون الحروف، و ذلك في نحو:

دم و يد و خذ و كل.

و الدليل على أنّ مذ منقوصه من منذ أنّك لو سميت إنسانا أو غيره بمذ ثم صغرته لقلت منيدا، فرددت ما ذهب فإنما هو بمنزله لد و لذن و من عل و من علا و آتيك غدا و غدوًا، فإن أردت في منذ أن يكون حرفا قلت: لم أرك منذ يومين، و مذ يوم الجمعة و معناه: من هذه الغايه، و كذلك سرت من مكان كذا، و إذا أردت أن يكون اسما قلت: لم أر ذاك مذ يومان أى أمد ذاك يومان و هذا ابتداء و خبر و الرفع في مذ أكثر. و إذا قلت: أنت عندنا مذ الليله أو مذ اليوم صارت بمنزله منذ التى غلب عليها الحرفيه، و ذاك لأنّ العله التى يوجب منها الاسميه قد زالت لأنك إذا قلت: لم أرك منذ يومان، فالمعنى بينى و بينك يومان و إذا قلت: أنت عندنا مذ الليله، فليس معناه بينى و بينك الليله، إنما هو فى الليله فإنما المعنى فإذا قال: رأيت زيدا مذ يومان، فيجوز أن تكون الرؤيه متّصله، و يجوز أن يكون رآه فى ذلك الوقت، ثم لم يره بعده، و إنّما هذا على قدر ما تقدم، يقول القائل: إنّ زيدا يأتيك مذ مده، فأقول: أنا رأيت مذ يومان أو شهران، و تأويل هذا إنّما حدثت هذه الرؤيه فى هذا الوقت، أو يقول القائل: زيد أ يأتيك فى كلّ يوم؟ فأقول: ما رأيت مذ يومان، أى قد انقطع عنى بعدهما، و لو قال القائل مبتدئا: رأيت زيدا مذ يومان، ثم لم يصله بكلام، و لم يعطفه على كلام، لم يحكم فيما بعد الوقت بشىء و يتصل بهذا أن تقول: رأيت زيدا مذ يومان، يختلف إلى عمرو، و رأيت زيدا مذ يومان يضرب عمرا، فإنما خبرت بوقت الضرب و لم تعرض لما بعده و تقول: رأيت زيدا يوم الجمعة أى أول ما فقدته أول يوم الجمعة، فيقع النفى على جميع اليوم كما كانت الرؤيه فى جميعه. و يجوز أن يكون النفى واقعا على بعض اليوم فيكون حدّ الرؤيه منه مجاوز الأول الفقدان، و قول القائل: لا كالمشيه زائر و مزورا معناه: لم أر زائرا كزائر رأيت اليوم، قال: و لا يقولون فى سائر الصّيفات، يعنى الظّروف لا يقولون لا كنصف النهار و لا لا كهذه السّينه قال الشاعر شعرا:

روحوا العشيّه روحه مذكورها إن متن متن و إن حين حيننا

إن متن متن و إن حين فلا أرى لا كالعشيّه إن بقين بقينا

و اعلم أنّ قول القائل: ما برحت أفعل كذا براحا. أى أقيمت على فعله مثل ما زلت أفعله، و هذا فى الزّمان و لا بدّ له من خبر. فإن قلت: ما برحت من مكان كذا، فالمعنى ما زلت براحا و بروحا، و هذا فى المكان كالأول فى الزّمان و قد مضى القول فيه، و يمضى فى غير موضع من هذا الكتاب.

و قد قيل: إنّ براح اسم للشمس معدول عن البارحة الزّائله مثل قطام و قولهم جبل براح يوصف به الأسد و الشّجاع، لأنّ زواله متعذّر كأنه شدّ بالجبال، و هذا غريب فيما يشفق، و مثله قول القائل: البارح من الطّبا و الطّير هو المنحرف عن الزّامى إلى جهه لا تمكّنه من الرّمى، و السّانح المقبل المتعرّض فى جهه تمكن. قال: و لذلك يتشاءم بالبارح، و يتيمّن بالسّانح، قال: فأما من تيمّن بالبارح، فلائنه نجا، و من تشاءم بالسّانح لأنه هلك. و قول ابن الأحمر:

غدوا و أعدوا الحيّ الزّيالو شوقا لم يبالوا العين بالا

الغدو يحتمل أمرين: يجوز أن يكون مصدرا، و يجوز أن يكون اسم اليوم الذى يلى يومك، فإن جعلته مصدرا يكون مثل غدا غدوا، و يكون مفعولا و أعدوا الزّيال المفعول الثانى، و ينعطف عليه شوقا كأنهم لما و عدوا بالزّيال المهيج للشّوق فقد و عدوا بالشّوق.

و مثله الغدوّ فى القرآن: غُدُوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَّاحُهَا شَهْرٌ [سوره سبأ، الآية: ١٢] فالغدوّ:

مصدر بدلاله أنّه قابله بالزّواح، و التّقدير مسيره غدوّها مسيره شهر، و إن جعلته اسم اليوم فمثله قوله: بها يوم حلّوها و غدوا بلاقع. و المعنى فى غدو: أعدوا الحيّ الزّيال و شوقا، و يكون المفعول الثانى محذوفا، و أما قوله تعالى: وَ ظَلَّالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ [سوره الرعد، الآية: ١٥] فيجوز أن يكون الغدوّ: جمع غد مثل نحو و نحو، و يقوى ذلك أنّه قوبل به الجمع الذى هو الأصال، و يجوز أن يكون المصدر، و يقويه قوله: بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ [سوره آل عمران، الآية: ٤١] و قال:

أفد الرّحيل و ليته لم يَأفدْ فاليوم عاجله و نعذل فى غد

أى اليوم عاجل البين، و نعذل فى غد أى فى أخبار غد يضيف المصدر إلى المفعول به لأنّه خرج بانجراره من أن يكون ظرفا، فهو مثل: من دعاء الخير، و بسؤال نعجتك، و قال:

و ليس عطاء اليوم مانعه غدا. أى مانعه عطاء غد فحذف المضاف.

الباب الثالث عشر فيما جاء مثني من أسماء الزمان والليل والنهار، و من أسماء الكواكب وترتيب الأوقات وتنزيلها

إشاره

يقال: اختلف عليه العصران أى الليل والنهار وقد يراد بهما الغداه والعشي، لأن العصر من أسماء العشى، ولذلك قيل: صلاه العصر، ثم يسمي الغداه أيضا عصرا، ويثنى كما يقال: القمران فى الشمس والقمر، وقد تصرفوا هذه اللفظه فقالوا: ألم يجىء فلان لعصر بضم العين أى لم يجىء حين مجىء.

وفى العصر لغتان: الضم والفتح واستعمل فى هذا أحدهما، وكذلك قالوا: أما نام لعصر أى لم ينم حين نومه، وما نام عصرا، وكل ذلك بالضم ويقال: أعصرت الجاربه أى بلغت حين إدراكها. قال: قد أعصرت أو قد دنا إعصارها. وهذا كما يقال: أحصد الزرع وأجد النخل، كأنها بلغت عصر شبابها وعصور شبابها وعصر شبابها، فأما فعل كذا عصره أى مره، فيجوز أن يكون من ذلك أيضا.

وحكى بعضهم أن العصر لما قد سلف، ولم يجىء فى شعر الفحوله إلا- كذلك وقد جاء فى شعر من دونهم، وقال ابن الكلبي: هو الدهر كله الماضى والمؤتلف، ويقال: لا أكلمك العصرين، وما اختلف العصران، وهما القرنان والطفلان. قال لبيد:

و على الأرض غيابات الطفل. وقال: يسعى عليها القرنين غلام، وهما العصران والبردان والأبردان والبردتان، ويجمع فيقال: الأبارد. ويراد بها أطراف النهار.

وقال أبو سعيد الضمرير: العيوق ما دام متقدما على الثريا، ففى الزمان بقيه من الأبارد، وإذا استوى العيوق مع الثريا فقد بقى منها شىء قليل، وقال ذو الرمة:

وماج السفا موج الحباب وقلصت مع النجم عن أنف المصيف الأبارد

ويقال: اختلف عليه الملوان: أى الليل والنهار. قال ابن مقبل:

ألا يا ديار الحىّ بالسبعان أمل عليها بالبلى الملوّان

و هذا تشبيه ملا، و فسّر أمل عليها: طال عليها. قال الشيخ: و يجوز عندى أن يكون أمل من إملال الكتاب، يقال: أمل الدّروس و الخلوقة عليها الملوّان، و يكون الباء فى قوله:

بالبلى: إن شئت زائده للتأكيد، و إن شئت قلت: أراد بسبب البلى و يكون مفعول أملى محذوفاً.

و ذكر بعض النّظار أنّ قولهم: ملوان لا- يكون اللّيل و النّهار بدلاله قول ابن مقبل نهار، و ليل دائم ملواهما. و الشىء لا يضاف إلى نفسه و لكنّه المتّسع من الدّهر، و لو قيل: غدوّها و عشّيها كان أشبه. و قال ابن أحمر شعراً:

ليهنكم أنا نزلنا ببلدهكلا ملوه بها ميبس غير منعّم

و قد تصرّفوا فى هذه اللفظه على أبيته مختلفه فقالوا: لقيت عنده ملوه من الدّهر و ملوه و مليا. قال الله تعالى: وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا [سوره مريم، الآية: ٤٦] و مضت ملاوه من الدّهر و ملاؤه و ملاوه. قال أبو ذؤيب شعراً:

حَتَّى إِذَا جَزَرَتْ مِيَاهُ رَزْوِبَهُو بِأَيِّ حَزِّ مَلَاؤُهُ يَتَقَطَّعُ

و من هذا قوله تعالى: فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ [سوره الحج، الآية: ٤٤] أى أخرت النّقمه منهم يقال: أملى الله لفلان العمر: أى أخر عنه أجله، و قوله: بأى حز ملاوه، لفظه استفهام و المعنى معنى الخبر أى: تنقطع تلك المياهُ فى حين، و أى حين، و المراد فى أشدّ ما كان حاجه إليها عند انتهاء الحر و ذهاب الرّطب، و انتشار الغدران، و هذا كما تقول: فى أى حين و وقت زيدا حين تمكّن العدو منه، و ضاقت المسالك به، و يقال: على أى حزه أانا فلان؟ أى أى ساعه و حين، و جئنا على حزه منكره، و كأنه يعنى ما حزّ من الدّهر أى قطع، و إنّما أضاف الحزه إلى الملاوه، و هما اسمان للوقت، لأنّ المراد بأى ساعه من الدّهر، فالحز اسم للجزء اليسير. و الملاوه: للممتد المتّصل، و هذا كإضافه البعض إلى الكل، و يقال: تملّيت حبيبا: أى عايشته طويلا ملاوه و حيناً، و ملاك الله نعمه أى أدامها و أطال وقتها، و قال الأسود بن يعفر:

آليت لا أشريه حتّى يملّنى و آليت لا أملاه حتّى تعارقا

قال قطرب: قوله: أملاه أتى به على مليه: بلاه و قالوا: أملاك الجديدان و الأجدان و الفتان: أى اللّيل و النّهار، و ابنا سمير، و كل ذلك اشتقاقه و طريقتة ظاهر، قال:

لم يلبث الفتان أن عصفا بهم ليل يكرّ عليهم و نهار

و قال آخر:

غدا فينا دهر و راحا عليهما نهار و ليل يكثران التواليا

و من هذا الباب قولهم: لا أفعله ما اختلف الصرعان أى الغداه و العشى، و يقال:

الصّرعان: أى الغداه، و بالفتح أيضا و يقال: أتيته صرعى النّهار أى طرفيه من طلوع الشّمس إلى الصّحى، و بالعشى بعد العصر إلى اللّيل، ثم قالوا: هما صرعان: أى مثلان، فعلى هذا يراد باختلافهما تصرّفهما، و يقال أيضا: هو ذو صرعين: أى لونين و يجمع على الصروع، و ما أدرى على أى صرعى أمره وقع، أى حاله و تركهم صريعين: أى ينتقلون من حال إلى حال، و هو يفعل على كل صرعه، أى على كلّ حاله.

و حكى ابن الأعرابى: لا- أكلّمك ما اختلف الصّرعان: الحينان غدوه و عشيّه، و من كلامهم: عندك ديك يلتقط الحصى صرعيه، يقال: هذا مثلا للنّمام، قال: و على هذا: يراد الاختلاف الذى هو ضد الوفاق. فأما قولهم: المصراعان فى الأبواب و أبيات الشّعر فيجوز أن يكون من التماثل، و يجوز أن يكون من قولهم: هو صرع كذا أى حذاه. الزّيادة اختلف عليه الفتان، أى الغدوه و العشيّه من الفتون و هو الضّروب.

و قال أبو سعيد فى قول الله تعالى: وَ فَتَنَّاكَ فَتُونًا [سوره طه، الآية: ٤٠] أى فتونا فى اليمّ و فى مدين و حيث قيل: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ [سوره طه، الآية: ١٢] و ذكر يعقوب زرته:

البردين و القرنين أى طرفى النّهار. و زرته الغربين أيضا: أى غدوه و عشيّه. الأصمعى اختلف إليه الرّدفين أى الغداه و العشى- و الغداه ردف اللّيل و العشى ردف النّهار.

و يقال: لقيته بأعلى سحرين و بأعلى السّحرين أى وقت السّحر الأعلى و هو قبيل الصّبح. قال: غدت بأعلى سحرين تذأل. و بأعلى سحر. قال العجاج: غدا بأعلى سحر و أجرسا. رد بعضهم بيت العجاج و قال: كان ينبغى أن يقول: بأعلى سحرين لأنّه أوّل تنفس الصّبح، ثم الصّبح و تقول: أسحرنا كما تقول: أصبحنا- و تسحرنا أكلنا سحورا- و جئتك بسحر- و بسحره- و بالسحر- و سحيرا. و قال أحمد بن يحيى: الأسحار: الأطراف و به سمى سحر، و أنا أراك منذ سحر.

و قال قطرب: أتيتك سحره و سحريا و سحر، و يقول: سحرى هذه اللّيله أيضا. قال فى ليله لا نحسّ فى سحرّيه و عشائها.

و يقال: صبح و لا جمع له، و صباح و صبيحه و أصبحه و أصبحه و أصبح، لأنّ العرب تجعل الإصباح لنفس اللّيل، فيقول: أصبح قال فبات يقول: أصبح ليل حتى تجلّى عن صريمه الظّلام.

و الصّبح صبحان، كما أنّ السّحر سحران. و يقال: ابنا جمير اليومان اللذان يستسر القمر

فيهما في المحاق قبل البحيره، و ابن حمير أيضا.

و حكى أبو العباس المبرد أنه يقال للشَّاء و الصَّيف: العصران و كذلك لكل مختلفين معناهما واحد. قال الزبيح بن صبيح:

أصبح منّا الشَّباب قد بكر إن بان منّا فقد ثوى عصرا

يعنى سنين كثيره، و القارنان الليل و النهار و أنشد للكُميت شعرا:

يا من عذ يرى من ذواله كم ذا يزيد على إباله

يغدو علىّ مقارنا كالقلونين مع الغزاله

فلا جبانك مشقصا أوسا أويس من الهباله

قوله: على إباله، مثل يقال للرجل إذا جاء بمكروه ثم أعقب بعده بمثله ضغث يزيد على إباله، و الإباله الحزمه الكبيره. قوله فلا جبانك يريد لأرمينك بسهم جبالك. و الأوس العطيه، و أويس تصغير أوس و هو الذئب. و الهباله من الاهتبال و هو الاغتنام، و قال بعضهم:

الهباله اسم ناقه. يقول من يعذرني منه مقارنا غدوه و عشيه و قيل في القارين هما الليل و النهار. و يقال للشَّمس و القمر القمران. قال: لنا قمرها و النجوم الطوالع. و يقال لهما السِّراجان من قوله تعالى: وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً [سوره نوح، الآيه: ١٦] و النيران و مما جاء مثني من أسماء الكواكب السِّما كان الزامح- و الأعزل- و النسران: الطائر- و الواقع- و الفرقدان و الشَّعريان- العبور- و الغميصاء- و المرزمان و هما مرزما الشَّعريين و الهراران- قلب العقرب و النسر الواقع و الخراتان(١) في الأسد و الغميصاوان و الوزان حضار- و الوزن و المحلفان و هما حضار و الوزن أيضا.

و قال ثعلب الهراران النسران لأنهما إذا طلعا في المشرق فهو نهايه البرد و هذا كما قيل: سهيل لأنَّ الحرَّ يسهل عند طلوعه، و قيل للدَّبران الحادى و الدَّابر و التَّابع و يقال: ما رأيت من منذ أجردان و جريدان و أجدان و جديدان أى يومان أو شهران. و ابنا سمير الليل و النهار و السمر الدَّهر و ابنا سبات الليل و النهار، و قيل ابنا سبات رجلان و أنشده شعرا:

و كنا و هم كابني سبات تعزفاسوى ثم كانا منجدا و تهمايا

و عرفوتا الدلو و الفرغان للمقدّم و المؤخّر، و حكى أبو العباس ثعلب: الأثرمان: الدَّهر و الموت و أنشد شعرا:

١- و الخراتان نجمان و هما زبره الأسد و الزبره بالضم الكاهل و كوكب من المنازل و هما كوكبان تيران بكاهلى الأسد ينزلهما القمر- قاموس.

و لما رأيتك تنسى الذمام ولا قدر عندك للمعدم

و تجفو الشريف إذا ما أخلّ و تنسى الدنى ء على الدرهم

وهبت أخاك للأعجمين و للأثمين و لم أظلم

أخلّ: احتاج من الخله و الأعجمان: السيل و الحريق، و حكى أبو عمر و غلام ثعلب مرزم السماك و مرزم الجوزاء.

فصل فى ترتيب الأوقات و تنزيلها

قال أبو نصر: تكوير الليل على النهار و النهار على الليل أن يلحق أحدهما بالآخر.

و إيلاج النهار فى الليل، و الليل فى النهار، دخول أحدهما فى الآخر. و قال الخليل: التكوير تغشيه الليل النهار و النهار الليل. و منه كاره القصار. و قال الدردي: الكور كور العمامه و القطعه العظيمه من الإبل، و فى المثل: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أى التقصان بعد الزيادة، و كرت العمامه كورا، و كذلك الكاره و كار الرجل، و استكار: أسرع فى مشيته يكور كورا، و زلف الليل من النهار و النهار من الليل ساعات كل واحد منهما يأخذه من صاحبه، و الواحده زلفه. قال تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ [سوره هود، الآيه: ١١٤] و منه المزالف و الزلفى و مزدلفه.

و قال الخليل: مزدلفه: سميت بهذا الاسم لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات، قال الأصمعى: إذا طلع الفجر فأنت مفجر حتى تطلع الشمس فإذا طلعت فأنت مشرق إلى ارتفاع النهار، ثم أنت مضح. و فى القرآن: فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ [سوره الشعراء، الآيه: ٦٠] فى وقت طلوع الشمس، و الإشراق و التشریق انبساطها، و الشروق طلوعها. ثم أنت مضح حتى تزول الشمس، فإذا زالت فأنت مهجر و مظهر إلى أن تصلّى العصر، ثم أنت معصر و مقصر و موصل إلى أن تحمر الشمس، ثم أنت مطفل إلى أن تغيب، فإذا غابت فأنت مغيب و مغرب و موجب و مشفق و مسدف، فإذا غاب الشفق فأنت مظلم و مفحم.

قال أبو العباس ثعلب: يقال: رجل نهر و سابع إذا كان يتصرّف فى النهار دون الليل، فإذا كان بالليل دون النهار قيل: هو ليلي لابس، و هذا أخذه من قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا [سوره النبأ، الآيه: ١٠-١١] و قوله تعالى: إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ٧] و قد قيل: سبحا أى: عملا و تقلبا و منه سمى السابح لتقلبه بيديه و رجله و لباسا: أى استمتاعا من قوله:

لبست أبى حتى تمليت عيشه و ملّيت أعمامى و ملّيت خاليا

و ذكر بعض أصحاب المعانى أنّ العيشه و العيش ليسا بالحياه، و لكن ما يستعان به على الحياه و استدلل بقوله تعالى: وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا [سوره النبأ، الآيه: ١١] قال: و هذا كما قال فى الآيه الأخرى: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ٧٣] و قال فى موضع آخر: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ النَّوْمَ سُبَاتًا [سوره الفرقان، الآيه: ٤٧] أى ما ألبسهم من ظلمته فلبسوه لباسا، و النوم سباتا أى سكونا و أنشد لأميّه:

ما أرى من يعشنى فى حياتى غير نفسى إلّا بنى إسرال

و قال: المراد بقوله: يعشنى يعيننى على أمر الحياه، و السّ يكون إنّما هو فى اللّيل و الابتغاء من فضله بالنّهار، و لكن لما عطف أحدهما على الآخر أخرجا مخرج الواحد الجامع للشّيين، و نظير هذا من الكلام: لئن لقيت زيدا و عمرا لتلقينّ منهما شجاعه و فصاحه، على أنّ الفصاحه لأحدهما و الشّجاعه للآخر، و هذا بمنزله ما يقع فى الجمع إذا قلت: فى بنى فلان خير و شر، لأنّ الدّعوه قد ضمّتهم جميعا فانطوت على الخير و الشرّ، و إن كان الخير فى جماعه و الشرّ فى آخرين، و كذا كلّ تشبيه و جمع تعلق الخبر به على الإجمال، لأنّه يصير كالواحد.

و قال تعالى فى موضع آخر: وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا [سوره الفرقان، الآيه: ٤٧] أى:

ينشرون فيه عن نومهم باللّيل، و الانتشار التّصرف. و قال فى موضع آخر: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا [سوره القصص، الآيه: ٧٢] أى دائما، يقال: هو يسهر سهرا سرمدا إذا لم يكتحل فيه بغمض و لا يكون السّرمد ما يقع فيه فصل، و قوله تعالى: تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَكَيْتَنَّهُ وَ أَهْلُهُ [سوره النمل، الآيه: ٤٩] أى تحالفوا، و كلّ عمل باللّيل تبييت. و يقال: هو أمر دبر بليل. و يقال للصّقيع: البيوت، لوقوعه باللّيل، و فى القرآن: إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ [سوره النساء، الآيه: ١٠٨] و أنشد أبو عبيده شعرا:

أتونى فلم أرض ما يبتواو كانوا أتونى بأمر نكر

و قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً [سوره الفرقان، الآيه: ٦٢] الخلفه ما خلف بعضه بعضا أى كلّ واحد يخلف صاحبه، قال زهير:

بها العين و الأرام يمشين خلفهوا أطلاؤها ينهضن من كلّ مجثم

و معنى لمن أراد أن يذكر، يريد لمن أراد أن يتذكّر و يستدلّ على نعم الله على خلقه و على أنواع لطفه فيما تعبدهم به و تظاهر حججه و تبيانه فيما ندبهم إليه، و هذا كما قال تعالى: وَ لَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ* [سوره القمر، الآيه: ٣٢] و كقوله تعالى:

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * [سورة الرعد، الآية: ١٩] و قوله تعالى: أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [سورة الفرقان، الآية: ٦٢] يريد أو يتأمل ما ينقل فيه حالا بعد حال من صنوف آلائه، و وجوه إحسانه، فيضم الشكر فيه. قوله: خلفه فيما يؤديه من المعنى كما حكاه أبو زيد من قولهم: ولد فلان شطره، و المراد ذكورهم بعدد إناثهم، فهذا من الشطر، كما أنّ ذاك من الخلافه. و النشأه و الناشئه أول ساعات الليل.

و قال ابن الأعرابي: إذا نمت من أول الليل نومه ثم قمت، فتلك الناشئه و النشأه حجر يكون على الحوض. قال و منه قوله: هرقناه فى بادى النشيئه دائر و النشيئه الجارية.

و منه قول الشاعر شعرا:

و لو لا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار

قال أبو العباس المبرد: إذا قال القائل: ما رأيت مذمه من يومى علم أنّ ذلك ساعه أو ساعات. و إذا قال: مذمه من عمري علم أنّ ذلك سنه أو سنون أو ما يدانيه.

و من ظروف المكان منى فرسخين: و كان شيخنا أبو على يقول: هذا كان يقوله الدليل لمن يستهديه، أى: إنى أرشدك فى فرسخين، و معنى من شأنى و أمرى كما قال: فإنى لست منك و لست منى و يجوز أن يقول: أنت منى فرسخان، كأنه جعله نفس الفرسخين.

و المعنى: بيننا هذه المسافه، فأما قولهم: هو منى معقد الإزار و مقعد له لقابله، و مناط الثريا فإنما ساعه أن تكون ظروفًا و إن كان المحدود من الأماكن لا يجعل ظروفًا لأنها أزيلت عن مواضعها، فوضعت موضع القرب و البعد، فدخلها بذلك الإبهام، و تقول: اليوم الجمعه و اليوم السبت، و جعلت الثانى هو الأول، فرفعت لكونه مبتدأ أو خبرًا، و إن نصبت فقلت:

اليوم السبت و اليوم الجمعه جاز. و تجعل الثانى كالحديث لتضمّنه معنى الفعل، فيصير كقولك: اليوم الخروج، و غدا الارتحال، و لو قلت: زيد اليوم لم يجز، لأنّ ظروف الأزمنه لا تتضمّن الأشخاص و الجث، لأنها لا تخلو منها على كلّ حال، فلا يحصل فى الكلام فائده، و كذلك إذا قلت: حضرت يوم الجمعه، كان يوم الجمعه ظرفًا لا غير، لأنك إن جعلته مفعولًا لم يكن فيه فائده، لأنه لا يغيب عنه أحد و على هذا قوله تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ [سورة البقره، الآية: ١٨٥] و يقول: الصيام عشره أيام إلما يوما، فلا يجوز إلا الرّفح لأنه يريد الوقت كلّهُ فهو كقوله تعالى: غَدُوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ [سورة سبأ، الآية: ١٢] و تقول: اليوم عشر من الشهر و الاختيار النّصب، و كذلك إذا قلت لك: اليوم شهران أو سنتان نصبت اليوم، و إن سقط من الشهر شىء لأنّ الاسم يستحق منه على نقصانه، و تقول: لا أكلمك أخرى الليالى ذكر أخرى ليصلها بما قد مضى، و كذلك غابر الدهر: أى باقيه و قوله: رآها مكان السوق أو هو أقربا، مثل قوله تعالى:

وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ [سوره الأنفال، الآية: ٤٢] أى فى مكان أقرب أو أسفل و يقول: هو منى قدر أن تناوله يدى، و فوق أن يناوله يدى، و بعضهم يرفعه و الوجه النَّصْب و على هذا قوله شعرا:

و قد جعلتنى من خريمه إصبعاو يقول: لقيته من قبل قبل

على التكرير، غايه و لقيته من قبل قبل تضيف الأول و لا تضيف الثانى، و التيه فى الإضافة أن تكون إلى نكره، و إن كانت التكره فى مثل هذا المكان تفيد فائده المعارف، بدلاله قوله آتيك غدا، لأنه نكره كالمعرفه، و قبل الذى لم تضيفه معرفه لكونه غايه بما ضمّن، و هو فى حكم البدل من قبل الأول، لأنّ إبدال المعرفه من التكره هو الأصل، و إن شئت قلت لقيته من قبل قبل، تنوى الإضافة فيهما على ما بينته. و مثله قولهم: من وراء وراء فى الوجوه كلّها. و قد ذكر سيويه فى قولهم: من عل أنه مضارع لقولهم: من عل لأنهما لمّا وقعا لمعنى واحد على تقديرين مختلفين سمّاه مضارعه، فأما قوله: و قد علاك مشيب حين لا حين، فالمراد حين غير حين أى جاء المشيب فى غير أوانه، فأدخل النفى على حدّ ما كان موجبا.

فصل فى قوله تعالى: ما ذا قال آتفا [سوره محمد، الآية: ١٦]

و فى أحرف سواه يكثر البلوى به.

قال أبو زيد: يقال: ائنتفت الكلام ايتنافا و ابتدأته ابتداء أو هما واحد، و أنشد:

وجدنا آل مرّه حين خفنا جريرتنا هم الأنف الكراما

و يسرح جارهم من حيث أمسى كأنّ عليه مؤتفا حراما

قال السّكرى: الأنف: الذين يأنفون من احتمال الضيم. قال شيخنا أبو على: فإذا كان كذا فقد جمع فعلا على فعل، لأن واحد أنف أنف بدلاله قوله:

و حمّال المئين إذا ألمت بنا الحداثان و الأنف النّصور

و وجه هذا أنه شبه الصّيفه بالاسم، فكسّرها تكسيره، فقالوا فى جمع نمر: نمر و أنشد سيويه: فيها عياسل أسود و نمر. و ليس الأنف و الأنف فى البيتين ممّا فى الآية فى شىء، لأنّ ما فى الشعر من الأنف، و ما فى الآية فى معنى الابتداء و لم يسمع أنف فى معنى ابتداء و إن كان القياس يوجبه.

و قد يجىء اسم الفاعل على ما لم يستعمل من الفعل نحو: فقير جاء عن فقر و المستعمل افتقر. و كذلك شديد، و المستعمل اشتدّ، فكذلك قولك أنفا و المستعمل ائنتف،

فأما قوله: كان عليه مؤتئفا حراما، فالمعنى كان عليه حرمة شهر مؤتئف حرام، فحذف المضاف و أقام الصيغه مقام الموصوف، و التقدير: أنّ جارهم لعزّهم و منعتهم لا يهاج و لا يضام، فكأنّه فى حرمة شهر حرام و قوله: و يأكل جارهم أنف القصاع، فإنه يريد أنّهم يؤثرون ضيفهم بأفضل الطّعام و خيره فيطعمونه أوّله لا البقايا، و ما أتى على نقاوته، فهذا جمع على أنف مثل: بازل و بزل قابل و قبل. و إذا كان كذلك قرئ قراءه من قرأ: ما ذا قال أنفأ [سوره محمد، الآية: ١٦] و أمّا ما روى عن ابن كثير من قوله: أنفا فمجوز أن يكون توهمه مثل حاذر و حذر، و فاكه و فكه و الوجه الرّوايه الأخرى أنفا بالمدّ كما قرأ عامتهم.

و قال بعض أصحاب المعانى: لا يمتنع أن يكون الباب الذى قسمه كلّه من أصله واحدا و هو التقدّم، و تكون الأنفه من الأنف الذى هو الجارحه، و سمّيت به لتقدّمه فى الوجه. ثم جعل ما يؤنف منه من الدّل، كإضافه الأنف و جدعه يبيّن هذا و يشهد له قولهم:

بعير أنف و مأنوف: إذا عقره فى الخشاش فانقاد لما يراد منه، و فى الحديث: «المسلم هين لئين إن قيد انقاد» و قد نسب الدّل إلى الأنف فى كلامهم حتّى قيل: هو يحمى أنفه من كذا و هو حمى الأنف، و الشاعر قال:

و لا نال أنفا منه بالذل نائل

و قال أبو إسحاق فى قوله تعالى: ما ذا قال أنفأ [سوره محمد، الآية: ١٦] أراد فى أوّل وقت يقرب منّا، و قال الخليل: أنفت فلانا أنفا، كما تقول: الذى قبل أى قبل كأنه أراد أنفته فأنف أنفا، و المعنى حرّكته من أقرب وقته فابتداء هذا بيان ما رمى به الخليل. و يجوز فيه وجه آخر: و هو أن يريد ما ذا قال فيما أنفه و أنفا و يكون أنفته و أنفا من باب قم قائما و أشباهه. و يكون اسم الفاعل نائبا عن المصدر، قال: و ائنتفت ايتنافا أوّل ما يبتدأ فيه، و المستأنف من الكلام و الأمر كذلك.

قال أحمد: و على ما حرّراه من كلام المعترض و حكايه الخليل، صحّ قراءه ابن كثير و توجه اختياره أنفا غير ممدود قياسا و سماعا، و لم يكن متوهمًا فاعلمه.

و من الأحرف التى نداولها قوله تعالى: وَ أَدْبَارَ السُّجُودِ [سوره ق، الآية: ٤٠] هو مصدر و المصادر تجعل ظروفًا على إرادته إضافه أسماء الزّمان إليها و حذفها كقولك: جئتكم مقدم الحاج، و خفوق النّجم، و خلافه فلان، يريد فى ذلك كلّ وقت كذا فحذفه فكأنّه قال:

وقت أدبار السّجود، إلا- أنّ المضاف المحذوف فى هذا الباب لا يكاد يظهر و هذا أدخل فى باب الظروف من قولك أدبار السّجود إذا فتحت و كأنه أمر بالتّسبيح بعد الفراغ من الصّلاه.

و قد قيل: أريد به الرّكعتان بعد المغرب، و أدبار جمع دبر و دبر و قد يستعمل ظرفا نحو: جئتكم فى دبر الصّلاه، أى فى أدبار الصّلاه، و قال شعرا:

على دبر الشهر الحرام لأرضناو ما حولها جدت سنون تلتفع

وقوله تعالى: **وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ*** [سوره يوسف، الآيه: ٢٢] أى منتهى شبابه وقوته واحدها شدّ مثل فلس أو شد مثل فلان ودى، و القوم أودى، أو شد مثل نعمه و أنعم، و معناه قال مجاهد: ثلاثا و ثلاثين سنه و استوى معناه أربعين سنه، قالوا: و أشد اليتيم ثمانى عشره سنه. قال أبو زيد: يقال: هو الأشد و هى الأشد، و فى القرآن: **حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَهُ** [سوره الأحقاف، الآيه: ١٥].

قال الفراء: الأشد هنا هو الأربعون أقرب إليه فى النسق، و أنت تقول: أخذت عامه المال، إذ كله لا يكون أحسن من أن يقول: أخذت أقلّ المال، أو كله و أنشد المفضل فى شدّ:

عهدى به شدّ النهار كأنما خضب اللبان و رأسه بالعندم

و عند أكثر أصحابنا البصريين أنّ الأشدّ واحد، و أنّه شاذ لأنه لم يجىء فعل فى الواحد.

وقوله تعالى: **أَحْسَنُ مَقِيلًا** [سوره الفرقان، الآيه: ٢٤] من القائله و هو الاستكنان فى وقت انتصاف النهار، و جاء فى التفسير لا ينتصف النهار يوم الجمعه حتى يستقرّ أهل الجنّه فى الجنّه و أهل النار فى النار، فتحين القائله، و قد فرغ من الأمر فيقيل كل من الفريقين فى مقره.

التينون التى دعا النبى صلى الله عليه و سلم فيها على مضر و قال: **«اللهم اشدد وطأتك على مضر، و اجعلها سنين كسنى يوسف»** يقال: كان الناظر منهم يرى بينه و بين السيماء دخانا من شدّه الجوع، و يقال: بل قيل للجذب دخان، حتى قيل فى قوله تعالى: **بُدْخَانٍ مُّبِينٍ** [سوره الدخان، الآيه: ١٠] أى جذب، ليبس الأرض، و ارتفاع الغبار، فشبهه ذلك بالدخان، و من مجازهم و اتساعهم: ارتفع له دخان إلى السماء هذا لبشر و ذلك إذا علا.

الباب الزابع عشر فى أسماء الأيام على اختلاف اللغات و مناسبات اشتقاقها و تثنيتها و جمعها

قال قطرب: أسماء الأيام: السَّبْت - و الأحد - و الاثنان - و الثلاثاء - و الأربعاء - و الخميس - و الجمعة. فالأحد هاهنا اسم و أصله: و حد و قد يكون صفة مثل قوله: بذى الجليل على مستأنس و حد. و معنى الواحد الذى لا ثانى له و إنما لم يثن و هو اسم لأنه متى ثنى خرج من أن يكون واحداً، فلذلك لم يقل: و حدان و إبدال الهمزة من الواو المفتوحة جاء فى أحرف معدوده. و الاثنان من تثيت الشىء إذا ضَعَفْتَهُ ثنياً ثم يسمّى المثنى ثنياً، و لا يقال فى أحد اثن، لأنه إذا أفرد عما يثنى به لم يستحق هذا الاسم. فأما الثلاثاء و الأربعاء و الخميس فإنها و إن أريد بها ما يراد من أسماء العدد إذا قلت ثلاثة و أربعة و خمسة، فإنّ فى تغيّر الأبنية لها قصد. و سبويه قال: أحبوا فى الأوقات أن يحصوها بأبنية تلزمها من بين سائر المعدودات، و شَبَّهَها بقولهم: عدل و عديل و وزين و وزان فى الفصل بين الأجناس.

و حكى سبويه: هذا يوم اثنين مباركا فيه. و استدلل على تعريفه بانتصاب الحال بعده، و فيه على هذا تعريفان.

الأول: باللام تعريف الحارث و العباس.

الثانى: تعريف العلميه و الوضع، كما أنّ عروبه، و العروبه للجمعه كذلك، و السَّبْت سَمِيَ به قيل: للراحه، و منه السَّبات النَّوم، و يقال: انسبت الرُّجل إذا اعترته سكتته. و قيل:

أصل السَّبْت القطع. و منه السَّبات لأنه يحول بين التمييز و صاحبه، و يقطعه عن عادته و تصرّفه، و يقال: سبتوا عنقه إذا قتلوه. و المنسبت من النَّخل: ما يجرى الإرتاب فى جميعه، فكأنّه انقطع من حدّ البسر، و يقال لضرب من النَّعال: السَّبْت، و إنّما هى التى قد نثر شعرها. و يقال: إنّ السَّبْت إنّما سَمِيَ لما أخذ على اليهود فى السَّبْت و نهوا عنه فى هذا اليوم مما هو مباح فى غيره، و انقطاع حكمه من حكم غيره، و من جعل السَّبْت إنّما يسمّى به

للزّاحه، يقول قوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ [سوره ق، الآيه: ٣٨] هو ردّ على اليهود في قوله تعالى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ* آخرها يوم الجمعة واستراح في يوم السبت فردّ الله ذلك عليهم وأبطل قولهم. و سَمِيَ السَّيِّبُ: شيارا و اشتقاقه من شيرت الشىء إذا أظهرته و بينته، و يقال: شيراي حسن الشياره و هى ظاهر منظره، و من هذا قيل: القوم يتشاورون أى يظهرن آراءهم كأنّ كلّ جماعه منهم يظهرن ما عندهم و يعرضونه. و يجوز أن يكون قولهم لخيار الإبل الشيار من هذا الذى ذكرناه. و قيل للأحد: أول لأنهم جعلوه أول عدد الأيام. و قالوا للإثنين: أهون و أوهد فأهون من الهون و هو السّيكون من قوله تعالى: يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا [سوره الفرقان، الآيه: ٦٣] و أوهد يدلّ على هذا المعنى لأنّ الوهده الانخفاض كأنّهم جعلوا الأوّل أعلى ثم انخفضوا فى العدد. و قالوا للثلاثاء الجبار أى جبر به العدد، و أعظم به العدد و قوى، لأنّه حصل به فرد و زوج.

و قال الخليل: سَمِيَ به فى الجاهليه الجهلاء، و فى الخبر العجماء جبار و المعدن جبار. أى يهدر الأرض فيه، فهو يخالف المعنى الأول. و قولهم للأربعاء: دبار لأنّه عندهم آخر العدد و قد تمّ بإجرائه العقد الأوّل. و دبر كل شىء مؤخّره، و إنما كان كذلك لأنّ الخميس - و الجمعة - و السبت - سمّوها بأشياء تصنع فيها فاستغنوا بها عن عددها. و قيل للخميس: مؤنس لأنّه يؤنس به لقربه من الجمعة و فى الجمعة التأهب للاجتماع. و قيل للجمعه: العروبه لبيانها عن سائر الأيام، و الإعراب فى اللغه الإبانه و الإفصاح، و العرب شوكة البهمى و الواحده عربيه، سمّى بذلك لأنّ الورق يسقط منه فيظهر الشوك. فالتأويل أنّه قد بان من الورق و العرابه عسل الخزم، سمّى به لأنّه يقال لثمره العراب، و الواحده عرابه، و قد أعربت الخزم، و يقال للمرأه الغزله هى عربيه و عروبه أيضا. و منه قوله تعالى: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَثْرَابًا [سوره الواقعه، الآيه: ٣٥ - ٣٦] و قيل: العروبه المتحبيه إلى زوجها، و يقال للمتهلّل الوجه: عرابه. و بير عربيه: كثيره الماء. و قد قيل:

العروبه بالألف و اللّام و بغير الألف و اللّام كأنّه جعل علما، و أنشد فيه شعرا:

و إذا ترى الزّواد ظلّ بأسقف يوما كيوم عروبه المتناول

يروى يوما كيوم، و يوما كيوم، قال: و لم يزل أهل كل دين يعظّمونه و جعله متطاولا للعباده فيه، و المعنى و إذا ترى هذا الحمار الوارد ظلّ له يوم طويل و طوله طول مكثه يميل بين الورود و تركه. و إذا نصبت اليوم: فالمعنى ظلّ الحمار يوما طويلا فى هذا الموضع، و إذا رفع فالمعنى ظلّ بأسقف يوم له، و روى الأرواد فكأنّه جمع ورد و المعنى: أهل الأوراد أو يجعل الورد للواردين. و قال القطامى: فأتى بالألف و اللّام شعرا:

نفسى الفداء لأقوام هم خلطوا يوم العروبه أورادا بأوراد

(و تسمى الجمعه) حربه أيضا، سميت بذلك لبياضها و نورها فهي فى الأيام كالحربه.

(و ذكر أصحاب) السير أن أولاد نوح عليه السلام عزموا على المسير فى الأرض ليروها، و يختاروا منها لمطافهم و أوطانهم فبدءوا بمسيرهم فى يوم الأحد فسمى الأول. (ثم لما كان اليوم الثانى) كان السير الذى شق عليهم فى الأول أخف فسمى الاثنين أهون. و (فى الثالث) جبروا ما تشعت من أحوالهم بعد ما نزلوا سمي لذلك الثلاثاء جبارا، و لأنهم جبروا ما كانوا خففوه من سيرهم فيما قبله فسموه جبارا. و (فى الرابع) انتهوا إلى عقاب و جبال فحجزتهم و منعتهم فأدبروا و غيروا الطريق فسمى الأربعاء دبارا. و (فى الخامس) تسهل الطريق و رأوا ما أنسهم فسمى الخميس مؤنسا. و (سميت الجمعه) العروبه لأن كلمتهم اجتمعت و بان لهم من الرأى ما كان خافيا فتعربوا و اتفقوا. فإذا جمعت اليبت فيما دون العشره أسبت و الكثير سبت. و إذا جمعت الأحد قلت فى القليل: آحاد و فى الكثير أحواد مثل جمل و أجمال و جمال و أسد و أسود و آساد. و الاثنين لا يثنى فإنه مثنى، فإن أردت تثنيته جئت بالمعنى فقلت: هذان يوما الاثنين و لا يحسن مضى الاثنينان، فيحصل الإعراب مرتين. قال قطرب: و مع ذلك قد حكى. و فى الجمع أيضا تقول: مضت أيام الاثنين، إلا أنهم قد قالوا: اليوم الثنى فلا بأس على هذا أن يجمع فيقول: مضت أثناء كثيره.

و حكى عن بعض بنى أسد: مضت آتان كثيره، كأنه جمع أثناء مثل: قول و أقوال و أقاويل، و أسماء و أسامى، فلا بأس بذلك. قال: و حكيت لنا مضت أثنين، و لا وجه لهذا لأنه من ثنيت الشىء، فالنون الأخيره لا مدخل لها، فأما جمع الثلاثاء و الأربعاء فثلاثاوات، و أربعاوات بالألف و الثاء، لأن فيها علم التانيث و هو الهمزه بعد الألف كألف حمراء و صفراء.

و زعم يونس أنه يقال: مضت ثلاث ثلاثاوات، و أربع أربعاوات، على تانيث اللفظ و يقال: ربعت الجيش إذا أخذت ربع القسمه منهم و لم يأت على وزن المربع فى تجزئه الشىء غير المعشار و المربع المكان الباكر بالنبات. و منه قوله: رزقت مرايع النجوم، و فى الأربعاء لغات أربعاء بفتح الباء و أربعاء بكسر الباء و الهمزه، و يجمع على أربعاوات و أربعاء، و تقول أيضا: ثلاث ثلاثاوات و أربعه أربعاوات على معنى التذكير، لأن اليوم مذكر و قال الشاعر شعرا:

قالوا: ثلاثاؤه خصب و مآدبهو كل أيامه يوم الثلاثاء

و حكى المفصل فى الثلاثاء الأثالث فى الكثير. و حكى فى جمع الأربعاء أيضا، و أميا الخميس فإذا جمعته على أقل العدد كان على أفعله تقول: ثلاثه أخمسه، كما

قالوا: جريب و أجربه و كتيب و أكثبه، و يجوز في القياس جمعه على فعلاّن نحو خمسان، كما قيل: كتيب و كئبان و رغيف و رغفان.

و قال يونس: أحمسه في الأيام، و أحمساء في الخمس، تقول: إذا أخذ الخمس قد أخذ أحمساء في ماله. فأما الجمعه فإنّها إذا جمعتها لأدنى العدد كانت بالتاء: ثلاث جمعات، أتبع الضمه مثل ظلمات، و إن أسكنت فقلت جمعات و ظلمات كما أسكن عضد و عضد و عنق و عنق جاز و إن شئت فتحت فقلت ثلاث جمعات و ظلمات. و قال النابغه:

و مقعد أيسار على ركبانهم و مربوط أفراس و ناد و ملعب

و إن شئت قلت ثلاث جمع كما تقول: ثلاث ظلم و ثلاث برم. و إن شئت كان ذلك لكثير. و أيام العجوز سبعة كما قال:

كسع الشتاء بسبعة غير أيام شهلتها من الشهر

فبأمر و أخيه مؤتمرو معلل و مطفى الجمر

فإذا مضت أيام شهلتها بالصن و الصنبر و الوبر

ذهب الشتاء موليّا هربا و أتتك و واقده من النجر

قال أبو سعيد: سميت هذه الأيام غربا للغبره و الظلمه. و الشهله العجوز. و أمر سميت بذلك لأنه يأمر الناس بالحدز منه، و سمى مؤتمر لأنه يأتمر بالناس أى يرى لهم الشر و يؤذيههم. و منه قول امرئ القيس:

أجاز ابن عمر و كأنى خمرو يعدو على المرء ما يأتمر

و سمى (صنا) لشده البرد. و الصن البرد. و سمى (صنبرا) لأنه يترك الأشياء من البرد كالصيره في الجمود، و كل ما غلظ فقد استصبر. و سمى (وبرا) لأنه وبر آثار الأشياء أى عفا.

(و التوبير) المحو و الإخفاء، كتوبير الأرنب، و هو أن يمشى في حزونه لا يوقف على أثره، و سمى (مطفى الجمر) بذلك لأن شده البرد تطفى الجمر. (و معلل) سمى بذلك لأنه يعلل الناس بتخفيف البرد. (و النجر) و قده الحر، و منه قيل شهر ناجر. فهذا ما قاله أبو سعيد الضرير، و من الناس من يقول في أيام العجوز هي: المسترقه في أول الشتاء. و منهم من يجعلها في آخر الشتاء، و يسميها أيام الشهله. و منهم من يعدها خمسه، و منهم من يعدها سبعة على ما تقدم. و حكى أنّ الكسائي سأله الرشيد عن سببها، فقال: كانت امرأه من العرب قد اهرمت، و كان لها سبعة أولاد فقالت لهم: زوجوني زوجوني و هم يضربون عنها و لا يكثر ثون لها فأنشأت تقول شعرا:

أيا بنى إننى لنا كحفيان أيتم إننى لجامحه

هان عليكم ما لقيت البارحهم الهياج و حكال الوامحه

و يروى الفاضحه. و قيل: أرادت بالوامحه الواحمه أى المشتيه من قولهم: و حمت المرأه توحم و حما و هى امرأه و حمى، فقالوا لها: بيتى لنا سبع ليال على ثنيه هذا الجبل لكل ابن ليله لنزّوجك بعد ذلك، فجاءوها بعد السابعه و قد انقضت.

(فمن عدّها) سبعة فقال: هى: صن (١) و صنبر- و وير- و آمر- و مؤتمر- و معلل- و مطفى الجمر- (و من عدّها) خمسها قال هى: صن- و صنبر و اختهما و بر- و مطفى الجمر- و مكفى الظعن.

و قال أبو سعيد الضّرير: سمّيت أيام العجوز لأنّ العرب جرّت الأصواف و الأوبار مؤذنه بالصّيف، و قالت عجوز منهم لا أجزّ حتى تنقضى هذه الأيام فإنّى لا آمنها، فاشتدّ البرد لها، و أضرب بمن قد جزّ و سلمت العجوز بما لها.

و قال أحمد بن يحيى: الصّيحج أنّ العجوز عجلت بجزّ صوفها لحاجتها إليه و ثققتها بالحر، فجاء البرد و موّت غنمها، و كانت سبعة فماتت كلّ يوم واحده فمن جعلها سبعة فلهذه العلّه، و إلّا فبرد العجوز ربّما بقى عشره أيام أو أكثر.

و قال أحمد بن يحيى: (معتدلات سهيل) بإزاء (برد العجوز) (و الكسع) ضرب الضّرع بالماء البارد حتى لا يدر، و كسع الشّتاء ضرب آخره بهذه الأيام. و (الشّهله) العجوز، و تشهّل الغلام إذا تغيّر بخروج لحيته أو لغير ذلك. قوله (بأمر) أى بيوم استعدّ فيه للبرد كأنّه أمر بذلك. و (مؤتمر) أى ايتمر للحدى أمره بذلك فقبله و قوى برده. و (معلل) من العلل و هو شرب بعد شرب كأنّه جاء ببرد بعد برد (و مطفى الجمر) أى لشده البرد لا يكون للجمر ثبات. (و الصّن) المتكّم برد شديد، (و الصّينبر) مثل ذلك. (و الوبر) يكون من الوبر الذى احتيج إليه من البرد. (و الوقده) شده الحرّ من الوقود و هو النّار. (و النّجر) شده العطش.

و شهرنا ناجر) تموز و حزيران.

و قال الضّرير فى قول أبى عبيده فى الكسعه إنّها الحمير إنّّه خطأ، لأنّ الكسعه تقع على الإبل و البقر العوامل و الحمير و الرقيق لأنّها تكسع بالعصا، أى تساق أو بالخب، فكيف جعلها حميرا و حدها؟ و مما يصدّق ما قلنا قول الشاعر فى أيام العجوز كسع الشّتاء، يريد كسعت أيام العجوز الشّتاء كما تكسع السّيقة إلى حيث يراد بها، و يقال: إنّ يومنا لصنبر،

١- قال فى القاموس: (الصّن) بالكسر أول أيام العجوز. و (الصّينبر) الثّانى من أيام العجوز، و (الوبر) من أيام العجوز، و (آمر) (و مؤتمر) آخر أيام العجوز. (و معلل) كمحدث يوم من أيام العجوز، و (مطفى الجمر) خامس أيام العجوز أو رابعها. ١٢ القاضى محمد شريف الدين المصحح عفى عنه.

و هو القر. و قال غيره فى شدّه البرد: الخرص و الصّينبر و الزّمهير. و قال بعضهم: أيّام العجوز: الصّن - و الصّينبر و ابن عمهما الوبر - و الموضوعى فى القبر - و المسند اللّامه الجمر و المدخل الفتاه فى الخدر و المسلخ العجوز فى الوكر.

و قد سمّت العرب الأيّام الخمسه بأسماء كما خصّت أيّام العجوز بأسماء و هى الهنبر - و الهنزير و قالب القمر - و حالق الظفر - و مدحرج البعر. قال أبو حنيفه: أمّا أيّام العجوز فهى عند علماء الحضرة فى نوء الصّرفه بعد انقضاء الجمرات و هى خمسه.

و قال الكلابى: هى بالباده عند ثلاثه بعد سقوط الجمره الآخره من الجبهه بنحو من سبع ليال، قال: و هذه الأيّام تسمّى صفوان. و الثّانى الصّافى و هو أشدّها قرا، و الثّالث صفى و هو آخرها، و أوّل نهاره يشبه الأوّلين، و آخر نهاره يتباشر الناس بلبنه. و روى غيره عن العرب أوّل يوم صفى. و الثّانى صفوان. قال و ذلك إذا اشتدّ البرد. و الثّالث همام لأنّه يهيم بالبرد و لا برد له. و قال أبو زياد: فيها يقولون: أيّام العجوز ثلاثه، و قد كان أيّام العجوز لنا شهرا. قال: و أيّام العجوز عند الجمهور سبعة، و سقوط الجمره الأوّلى عند العوام لسبع من شباط. و سقوط الجمره الوسطى لأربع عشره من شباط، و سقوط الأخيره لإحدى و عشرين من شباط. و أوّل أيّام العجوز عندهم لخمسه و عشرين من شباط، و آخرها لثلاث من آذار.

الباب الخامس عشر فى أسماء الشهور على اختلاف اللغات، و ذكر اشتقاقها

إشارة

و ما يتصل بذلك من تثنيها و جمعها و هو فصلان:

فصل [فى بيان] معنى الشهر

أنّ الناس ينظرون إلى الهلال فيشهرونه يقال: محرّم و محرّمان و محاريم و محرّمات و إنما سمى محرّماً لأنهم كانوا يحزّمون القتال فيه و صفر و صفران و أصفار و سمى صفرًا لأنهم كانوا يغزون الصّفريه و هى مواضع كانوا يمتارون الطّعام منها، و قيل: لأنهم كانت أوطانهم تخلو من الألبان و من كلامهم: نعوذ بالله من صفر الإناء و قرع الفناء. و يقال:

صفرت عيبه الود من فلان أى خلت قال شعرا:

و إذ صفرت عياب الودّ منكم و لم يك بيننا فيها ذمام

و يقال شهر (ربيع الأول) و الأوّل فمن خفض ردّه على ربيع و من رفع رده على الشهر.

و كذلك شهرا ربيع الأوّلان و الأوّل و شهور ربيع الأوائل و الأوّل- و حكى ربيعا الأول و أربعه الأول- و قالوا: أربعه الأوليات و الأوّل و ربيعا (الآخر) و أربعه الأواخر و الآخر. و سمّيا ربيعين لارتباع القوم- أى إقامتهم. و (جمادى الأولى) و جماديان و جماديات و جماديا الأولى- و قالوا: الأوليين- و جماديات الأولى و الأوّل و الأوائل- و (جمادى الأخرى) و الأخرين و جماديات الأخرى و الآخر و الأواخر. قال الشاعر:

إذا جمادى منعت درّه ازان جنابى عطن مغصف

و يروى قطرها، و إنّما يصف نخلا- فيقول إذا قلت الأمطار و لم يكن عشب فزين الإبل أعطنه الناس، فإنّ جنابى يزينه النخل، فجعل أعطانها منابتها (و المغصف) يقال نخله مغصفه إذا كثر سعفها. و رواه بعضهم: معصف بالعين و الصّيد، يقال: مكان معصف أى كثيره العصف و هو التّبن، و الأجود الأوّل و الأصح.

(وقال البصريون و الكوفيون) جميعا الشهور كلها ذكران إلّا جمادى: لجمود الماء فيها. و يقال: (رجب) و رجبان و أرجاب و أراجيب و أرجبه و سمى رجا لترجيبيهم آلهتهم فيه، و الترجيب: أن يعظموها و يذبحوا عنها، و كانوا يعظمون الشهر أيضا و قال الشعاعر: لأبل من أجل و أرجب. و يقال له: شهر الله الأصم، و منصل الال بعد ما مضى غير أداء، و قد كاد يذهب، و ذلك لعودهم فيه عن الغزو و الكف عن الغارة فلا- يسمع فيه قعقه سلاح، و لا تداعى أبطال، و لا استصراخ لغاره، و يقال: رجبت الأمر إذا هبته و عظمته، و منه قيل فى المثل: أنا جدي لها المحكك و عذيقها المرجب.

و قال أبو داود: صادف منصل آله فى فله فجرين سرجا. و يقال لليله التى لا يدري أ هى من الشهر الحرام أو الحلال فله. و (شعبان) و شعبانات و شعابين و سمى شعبان لتشعب القبائل فيها و اعتزال بعضهم بعضا.

و رمضان و رمضانات و رماضين و سمى رمضان لشده وقع الشمس و تناهى الحرّ فيه و يقال: هذا شهر رمضان و هذا رمضان و قال شعرا:

جاريه فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالإيماض

أى إذا ابتسمت: قطع الناس حديثهم ناظرين إليها و إلى ثغرها و مستملحين كلامها و مثل هذا قول الآخر:

ديار التى كادت و نحن على منى تحل بنا لو لا نجاؤ الرّكائب

و المعنى: كادت تصرفنا عن مقصدنا اشتغالا، لو لا استعجال الناس، قال الفراء:

و كان أبو جعفر الفارسى يروى عن المشيخه أنهم كرهوا جمع رمضان يذهبون إلى أنه اسم من أسماء الله تعالى، و الله أعلم بهذا.

و شؤال و شؤالان و شؤالات و شواويل و سمى بذلك لشولان الإبل بأذناها عند اللقاح، و يقال سمى بذلك لأنّ الألبان تشول فيه و تقل. و يقال: شال اللبن و شال الميزان إذا خفا.

و ذو القعدة و ذواتا القعدة و ذوات القعدة، سمى بذلك لعودهم فى رحالهم لا يطلبون كلاً و لا ميره.

و ذو الحجة و ذوات الحجة لحجهم و قالوا: ذواتا القعدتين، و ذوات القعدات و كذلك قيل فى ذى الحجة، و يقال: شهر ناجر لشده الحر، و منه نجر من الماء إذا جعل يشرب فلا يروى و أنشد شعرا:

و يوم كأنّ الشمس فيه مقيم على البيد لم تعرف سوى البيد مذهبها

و يوم على قوسين فى شهر ناجر سعت لأصحابى وراءه منشبا

شبه وشى ردائه بأفواق النشاب و هى السيهام. و قال الأصمعى: شيبان و ملحان اسمان لشهرى قماح و هما الشهران اللذان يشتد فيهما البرد، سَمى شيبان لبيضاض الأرض بالثلج كذلك ملحان مأخوذ من الملح و هو البياض.

و قال قطرب: يقال لجمادى الأولى و جمادى الآخرة شيبان و ملحان من أجل بياض الثلج و قال قولهم: مات الجندب و قرب الأسيب أى قرب الثلج. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جنوبها الملحان أو شيبان و اليوم أشهب

و ذكر المفضل: أن من العرب من يسمى المحرم (المؤتمر) و الجمع مأمير و مأم. قال الشاعر:

لولا ايتمارى بكم فى المؤتمر عزمت أمرى للفراق فانتظر

و قال آخر:

نحن أجزنا كل ذبال فترفى الحج من قبل وادى المؤتمر

و اشتقاقه يجوز أن يكون من شيئين. (أحدهما) أنه يؤتمر فيه الحرب قال: و يعدو على المرء ما يأتتمر. و الآخر: أن يكون من أمر القوم إذا كثروا فكأنهم لما حرموا القتال فيه زادوا و أكثروا. و يسمى صفر ناجر و الجمع نواجر. قال:

صبحناهم كأسا من الموت مرهناجر حين اشتد حرّ الودائق

و قال الكميت:

قطع التنائف عائدا بك فى وديقه شهر ناجر

و تكون تسميتهم إياه بذلك من شيئين: (أحدهما) أن يكون من النجر و النجار و هو الأصل، فكأنه الشهر الذى يتبدأ به الحرب، و منه قيل لجاده الطريق: المنجر. قال: ركب من قصد الطريق منجره. (و الآخر) أن يكون من النجر و هو شدّه الحرّ فيكون وقوع حراره الحرب و الحديد فيه. و منه قوله: كل نجار إبل نجارها و كل نار المسلمين نارها، و يسمى ربيع الأول (خوان) مخفف. و قال الفرّاء: بعضهم يقول خوان و الجمع أخونه و خوانات.

قال لقيط الإيادى:

و خاننا خوان فى ارتباعنا فنقد للسّارح من سوامنا

وقال الآخر:

و فى النَّصف من خوان ودَّ عدونا بآته فى أمعاء حوت لدى البحر

و اشتقاقه من الخون و هو النَّقص، لأن الحرب يكثر و يشتد فيه فيتخونهم أى ينتقصهم و يسمّى ربيع الآخر (و يسان) مضموم خفيف و قال الفراء: بعضهم يقول: بسان، و بعضهم يجعل الواو أصلا فيقول: وبسان فيجزم الباء و الجميع بصانات و أبصنه. قال:

و سيان بسان إذا ما عددته و يرك لعمرى فى الحساب سواء

و اشتقاقه من الوبيص و هو البريق، أو من البصيص. و أنشد شعرا:

و يوم كأنّ النار يوقدها له هواجر وبسان عسفت به الحرقا

على ما يرى الضبعين يشبه دالجأحال بدلويه على حوضه دفقا

و يسمّى جمادى الأولى: الحنين و بعضهم يقول الحنين، و الجمع أحنه. قال المهلهل:

أتيتك فى الحنين فقلت رنى و ما ذا بين رنى و الحنين!؟

و قال:

و ذو النَّحب يؤويه فيوفى بنذره إلى البيض من ذاك الحنين المعجل

و اشتقاقه من الحنين لأنّ الناس يحنون فيه إلى أوطانهم.

و يسمّى جمادى الآخرة: رنى و ورنه بجزم الرّاء. قال الفراء: هكذا السّماع لبعضهم و غيره يقول: رنه مثل ورنه، و الجمع ورنات. قال:

و أعددت مصقولا لأيام ورنها إذا لم يكن للرّمي و الطّعن مسلك

و من قال: رنه قال فى جمعه رنات مثل زنه و زنات، فأما رنى فسمّى به لأنّه يعلم فيه ما نتجت حروبهم. (و الرّنى) الشّاه الحديثه التّاج، و أما رنه و ورنه فمشتق من أرن يأرن، إذا نشط و تحرّك فأبدل الواو من الهمزه، و كأنّه أريد الوقت الذى يتحركون فيه للغزو، فورنه مثل وجهه، ورنه (ل) مثل وجهه. و قال:

مدّج الرّيح تربعن ورنها إذا عاقل و صغن برومان

فالمائر فلما دنا لهبان الشّاء يّممن أحرجه الحاجر.

و يسمّى رجب الأصم و الجمع صم. قال:

١- ورنه فى القاموس اسم ذى القعدة- محمد شريف الدين عفا عنه.

يا ربّ ذى خال و ذى عن عمم قد ذاق كأس الحتف فى الشّهر الأصم

و إنّما سمّى به لتركهم الحرب حتى لا يسمع فيه صلصله حديد.

و يسمّى شعبان (و علا) بكسر العين و الجمع أوعال. قال الفراء: و بعضهم يقول و علان. و يقال وعل أيضا، و هو الملقب، يقال: ما لى عنه وعل: أى ملجأ، و لم أجد إليه و علا، أى سيلا، و كأنه سمّى الشهر به لأنّ الغاره كانت تكثر فيه فيلتجئ كلّ قوم إلى ما يتحصّن به. و التّوَعْل التّوَقْل و منه اشتقّ الوعل و المستوعل من الحمير المحترز.

قال و (يسمى رمضان) (ناتق) و الجمع نواتق. قال:

و فى ناتق أجلت لدى حومه الوغاو و لت على الأدبار فرسان خثعما

و إنّما سمّى بذلك لأنّه كان مكثرا لهم الأموال، يقال: نتقت المرأة: إذا كثرت الولد، و التتق الجذب أيضا، كأنه كان يجذب النّاس إلى غير ما هم عليه. قال الرّاعى:

و فى ناتق كان اصطلام سراتهم ليالى أفنى القرع جلّ إباد

نفوا إخوه ما مثلهم كان إخوهلحى و لم يستوحشوا لفساد

و يسمّى شؤال عاذلا، و الجمع عواذل. قال تأبط شرا:

شعب الوصل عاذلى بعد حجرى حبّذا عاذل أتى خير شهر

يا ابنه العامرىّ جودى فقد عيل على القرب و التوى منك صبرى

و قال:

أبوتا الذى أنسى الشّهور لعزّه فعاذل فينا عدل و علان فاعلم

هذا البيت شاهد لشعبان و شؤال جميعا. و قال زيد الخيل فى وعل:

هيهات هيهات برّيات الكلل قد كان أدنى متوعد منك و عل

قد مرّ شهران و لم يأت الرّسل و كأنه سمّى بذلك لأنّه كان يعذلهم على الإقامة، و قد حلّت الحرب و الغارات.

و يسمّى ذو القعدة: هوعا، و الجمع أهوعه، و إن شئت هواعات. قال شعرا:

و قومی لدى الهیجاء أكرم موقعا إذا كان یوما من هواع عصب

و قیل له ذلك: لأنه كان یهوع الناس أی یخرجهم من أماکنهم إلى الحج. و یقال: هاع فلان یهوع هوعا إذا قاء، و تهوع و ما یخرج من حلقه هواعه.

و يسمّى ذو الحجّه (برك) و جمعه بركات، و لك أن تفتح الرّاء. قال:

أعن لى على الهندي مهلا و كرهلدى برك حتّى تدور الدّوائر

يعنى بالهندي سيفه (و المهلل) دردى الرّيت، (و الكرت) البعر، أى احفظ سيفى من الصداً و اصقله بذلك، و كان الشّهر سمّى بذلك، لأنّه معدول عن بارك و كأنّه الوقت الذى يبرك فيه الإبل للموسم، و جائز أن يكون مشتقا من البركه لأنّه وقت الحج، فالبركات تكثر فيه، و أصل البركه من الثّبات و منه برك البعير.

أسماء الشهور العربيّه غير الأسماء المشهوره:

و قال الدّريدى: و المشهور أسماء غيرها بلغه العرب العاربه، و هم كانوا يسمّون (المحرم) موجبا، و (صفرا) موجزا، و (ربيع الأوّل) موردا، و (ربيع الآخر) ملزجا و (جمادى الأولى) مصدرا، و (جمادى الآخره) هوبرا، و (رجبا) مويللا، و (شعبان) موهبا، و (رمضان) ذيمرا، و (شوالا) جيفلا، و (ذا القعده) محلسا، و (ذا الحجّه) مسبلا، و كانوا يبدءون من السّينه برمضان و قد نظم بعضهم المحدثين أسماء الشهور فقال شعرا:

أردت شهور العرب فى جاهليّتها على سرد المحرّم يشترك

فهو تمر يأتى و من بعد ناجرو خوآن مع وبصان يجمع فى شرك

حنين ورنى و الأصم و عاذل و ناتق مع وعل و ورنه مع برك

و قال أحمد بن يحيى: إنّما خصّت العرب شهر ربيع و شهر رمضان بذكر شهر معهما من دون غيرهما من الشّهور ليدلّ على موضع الاسم، كما قالت العرب: ذو يزه، و ذو كلاع، فزادت ذو ليدل على الاسم، و المعنى صاحب هذا الاسم. قال و يصغّر جمادى على جميدى و جميدى و جميديه و جماديه و جماديه، كما قالوا: حبارى و حبيره، و كان الحكم أن يقال فى هذا: شهر الرّبيع الأوّل، و شهر الرّبيع الآخر، إلاّ أنّه مما أضيف فيه المنعوت إلى النّعت مثل دار الآخره، و حق اليقين و صلاه الأولى، و مسجد الجامع، حكى ذلك الكسائى و اللّحيانى.

و حكى أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى أنّ جمع ربيع المطر: أربعه، و ربيع النّهر أربعاء. و جمادى الأولى و الآخره على ما يجب لأنّه أتبع فيه النّعت المنعوت و لم يضيف إليه، و منهم من يجيز جاء رمضان، و لا يذكر الشّهر و لفظ القرآن (شهر رمضان) و حكى الخارزنجى أنّه يقال فى جمع ربيع الأوّل و ربيع الآخر: هذه الأربعه الأوائل، و الأربعه الأواخر، و الربعه أقصى غايه العدد، و أنشد فيه:

فصل اعلم أن سرار الشهر

آخره، وفيه لغات: يقال سرار الشهر، و سراره و سرّه و سرره.

و يزيد التّوء عندهم غراره و حمدا إذا كان في سرار الشهر. لذلك قال الرّاعى:

تلقي نوؤهنّ سرار شهر و خير التّوء ما بقى السّرار

و قال الكميّ:

هاجت له من جنوح اللّيل رائحها الضّب ممتنع منها و لا الورل

في ليله مطلع الجوزاء أولها دهماء لا قرح فيها و لا رجل

(قوله): لا الضّب البيت يعنى السّيل يدخل عليهما فيستخرجهما لبلوغه النّجوات، و ذلك أنّ الضّب و الورل يرفعان مكانهما عن مجرى السّبول. (و قوله): لا قرح يريد أنّها من السّرار فلا ضوء في أولها و لا في آخرها. و قال الحطيئة شعرا:

بانّت له بكثيب حريه ليلهو طغا بين جماديين درورا

و هى اللّيلة التى لا يدري من أى الشّهرين يكون مشكوكا فيها، و قد يحمد أن يكون في أوّل الشهر أيضا. قال الكميّ:

و الغيث بالمتألّقات من الأهلّة فى التّواحر

التّواحر: جمع ناحره و هى اللّيلة التى تنحر الشّهر، و يقال لها أيضا: النّحيره. قال أبو حنيفة: و اختلف فيها فزعم بعض أهل العلم أنّها أول ليله من الشّهر يذهب إلى أنّها فى ناحره، و زعم غيره: أنّها آخر ليله من الشّهر لأنّها تنحر الشّهر الدّاخِل، قال: و لا أظنّه قال هذا إلّا لأنّ يجعل الاختيار فى السّيرار، لأنّه أشهر لكنه قد جاء بالمتألّقات من الأهلّة، و جاء أيضا وافق غر شهر نحيرا، و لا يقال غزه إلّا و هى ليله الهلال، و قد قال الفرزدق: فى ناحرات سرار بعد إهلال. فجعلها من السّيرار و جعلها ناحره و جعلها بعد الإهلال. قال: فإنّ كانت هذه الرّواية صحيحه فلا أعلم لها وجهها، إلّا أنّ اللّيلة دخلت و هى من السّيرار، لأنّ ما بين استسرار القمر إلى أن يرى الهلال سرار، كأمه، فدخلت و هى من السّيرار، ثم روى فيه الهلال فصارت نحيره، و صار ما فيها من غيث بعد الإهلال، هذا أقرب ما أعرف منها. و إن كانت الرّواية كما يزعم آخرون أنّها قبل الإهلال، فهذا ما لا كلام فيه. و يكون حينئذ مثل قول الرّاعى شعرا:

و مرده و طغا و افق نوؤهاقبل الهلال بديمه ديچور

و يكون حينئذ في السرار المحض. فأما قول ابن أحمري:

ثم استهلّ عليها و اكف همع في ليله نحرث شعبان أو رجبا

فإنه يحتمل المعنيين جميعا، هذا إن كانت التحيره معروفه عند العرب أنّها أول ليله من الشهر. و قيل في قول الشاعر:

كان ابن مزنتها جانحاقسيط لدى الأفق من خنصر

مثل قول الكميت، لأنّ ابن المزنه هو الهلال و قول أبي و جزه:

جيران دان من الجوزاء منحور. فليس هو من التحيره بل هو مثل قول الزاعي:

فمرّ على منازلها فألقى بها الأثقال و انتحر انتهارا

أى يشقق بالماء و تعشق فعلى هذا مذهب العرب في اختيار السيرار و الغزه، قال أبو حنيفه: و قد قال أبو و جره في ليله لتمام النصف من رجب: خواره المزن في اقتادها طول.

فلا أعرف أحدا وافقه على هذا الاختيار و لا أعلمهم حمدوا المحاق بليته، فكان محاقا كلّ ذلك الشهر. و قال الأخطل شعرا:

فإن يك كوكب الصّمعاء نحسابه وافت و بالقمر المحاق

و تزعم الهند فيما يحكى عنها أنّ النّحوسه أبلغ في الأمطار، و إنّما النّحوسه عندهم ما دام القمر مستسرا محترقا، فإذا فارق الشّمس ذهب عنه النّحوسه لأنّه قد خرج عندهم من الاحتراق، و العرب تقول: إذا نأت النّجوم بغير مطر: خوت تخوى خيا و خويا و أخوت تخوى إخواء. فإذا أمحلت فلم يكن فيها مطر فذلك الخي و الأخلاف، فإذا لم يخلف قبل صدقت و قد صدق التّوء إذا كان فيه مطر و ما كان فيها من أمطار أو بوارح: فهى الهيوج و الواحد هيج. قال الأصمعي: يقال: هذا فى الهيج المتقدّم. و قال ذو الرمه:

فلما رأين القنع أسغى و أخلفت من القصر بيّات الهيوج الأواخر

(القنع) المكان الذى انخفض وسطه و ارتفع جوانبه، و إنما وصف نساء دفعن إلى بوارح. و قال آخر:

و نار وديقه فى يوم هيج من الشّعري نصبت لها الجيينا

قال ابن الأعرابي: العرب تسمّى نجوم الأسد كواكب النّحوس لشده بردها. و قال عمر بن اللّجاء شعرا:

لَمَّا خَشِيتْ كِبَةَ التَّنْكِيسِ وَ قَحْمَ السَّيْرِ بِمَرِّ مَرِيْسِ

خَنَسْتَ فِي الْبَاقِلِ وَ الْخَلِيْسِ وَ اقْتَحَمْتَ كَوَاكِبَ النَّحُوْسِ

وَ الْكَيْسِ أْحْيَانًا مَعَ الْخَنُوْسِ حَتَّى وَضَعْتَ غَدُوهُ دَرِيْسِ

أخبر أنه اقتحمت كواكب النحوس فسقطت فوضع ثوبه غدوه، و لم يخف البرد، و قوله: (خنست) في الباقل أى لم أنتجع، و (الباقل) البقل و الخليس من نبات البقل فيه رطب و يابس و منه قولهم: أجلس الإنسان: إذا خالطه شيب، و أنشد:

قَوْمَ أَبَا الْجَهْمِ صَدُورِ الْعَيْسِ أَمَا تَرَى الْبَرْقَ عَلَى خَلِيْسِ

رأى أن يقع الندى و العرب تقول إذا سبق الندى للقر، فلذلك عام خصب يستحبه العرب، و يقولون: أجدحت (١) السماء و يزعمون أنه من علامات الحياء. قال سهيل المدلجى: و أسد الشتاء عنها مجدح. و إذا سبق القر الربيع خشوا أن يكون ذلك العام جدب.

١- فى القاموس مجادىح السماء أنواؤها- المصحح.

الباب السادس عشر في أسماء الدهر و أقطاعه

إشاره

و ما يتصل بذلك و هو فصلان:

فصل قالوا: الأزلم الجذع و الأزلم الجذع

حكى باللام و النون، و أنشد قطرب:

إنى أرى لك أكلا لا يقوم له من الأكوله إلا الأزلم الجذع

قال: و بعضهم يرويه الأزلم بالنون، فمن قال الأزلم أراد أن الأوقات التى يعرض فيها كالزّنمات له، تشبيها بزّنمات الشّاه، و هى الزّوائد المعلقه من حلقتها و من تحت حنكها.

و من قال: الأزلم أراد أنه سريع المر و الثقلب، يقال: ازلام به إذا أخذه و عدا به مسرعا.

و منه قوله: أم قيد فأزلم به شاء و العنن. أراد أنه لا يسمع أن قد فات به الموت و سبق و طار.

و منه قيل للقدح: الزّلم لخفته فى جولانه، و هذا كما قيل فى صفاته قدح زلول و دروج، و معنى الجذع أنه لا يهرم.

و زعم الفراء أن الأصل هو الأزلم من الزنمه، و أن اللام مبدله من النون، و حكى الخليل: أن الزّلم: تكون زائده فى حلق المعز فإن كانت فى الأذن فهى زنمه، و النعت إزلم و إزلم، فعلى هذا يكون المعنى فيهما على طريقه واحده و هو ما ذكرناه من تشبيهه الحوادث بالزّنمات. و يجوز أن يكون سمى الدهر إزلم تشبيها بالزّلم يكون من القداح لأنها على غرار واحد. و كذلك الليالى و الأيام تجىء على مثال واحد، و لذلك جاء فى المثل: ما أشبه الليله بالبارحه، فكأنّ الزّلم هى القطع و القصد. و لذلك قيل: هو العبد زلمه أى: قدّه قد العبيد، و يقال: رجل مزلم أى يشبه القدح فى الخفه و النفاقه.

و من أسمائه المسند و يقال: لا أفعله آخر المسند و إلى المسند و يد المسند و المعنى إلى أن يسند الدنيا إلى الآخره، كان المراد آخر الوقت المسند، و إلى الوقت المسند، و يجوز

أن يكون لما أسندت الحوادث إليه لاعتقادهم به الجالب لها و السابق سَمَى مسندا، و كان يجب أن يقال: المسند إليه فحذف إليه تخفيفا. و من أسمائه: عوض، يقال: لا أفعله عوض العائضين و دهر الداهرين، قال الأعشى:

رضيعي لبان ثدى أم تقاسما بأسحم داج عوض لا يتفرق

و (عوض لا- يتفرق) يفتح و يضم، و قد جاء عوض كلمه يقسم بها يقال: عوض لا- يكون ذلك أبدا. و روى بيت الأعشى: (بأسحم داجي العوض) و فسّر على أنّ عوض كلّ شيء جوفه. و يستعمل في الزّمان، فيقال: عوض اللّيل أى مثاه.

و حكى بعضهم أنّ عوض اسم للضمّ و أنشد: (حلفت بمائرات حول عوض) و قال بعضهم: يجوز أنّ استعمالهم إياه في القسم من حيث كان في الأصل اسما للضم، فأما استحقاؤه للبناء فمن حيث كان متضمنا معنى لام التعريف، فمن فتحه فلاّن الفتح أخفّ الحركات، و من ضمّه فلاّنّه شبهه بقبل و بعد.

قال الشّيخ: و يجوز أن يكون عوض في الأصل مصدر عاضه يعوضه عوضا و عياضا.

و جعل اسما للزّمان، و المعنى ما عوض الدّهر النّاس من أيّامه لأنّ الدّهر ليل و نهار يتعاقبان و يتعوضان، و العوض و العياض و العوض البدل، و يقال: هو عوض لكّ و عياض لكّ أى عوض.

و المصادر تقام مقام أسماء الفاعلين و المفعولين. و معنى العائضين النّاس المقيمون في العوض فأما قوله: و هل عائض منى و إن جلّ عائض. فالمراد به هل معط للعوض منى بمعط و إن جلّ أمره و عظم شأنه. و المعنى لا يفى عوض من الأعواض بى و إن جلّ، لأنى أكون أفضل من كلّ عوض. و يقال: عضته كذا فاعتاضه، كما يقال: وهبت له كذا فاتهبه، و قضيته الدّين فاقترضاه، و على هذا قيل في الشىء: هذا لا يعتاض منه، و أنشد صاحب العين شعرا:

يا ليل أسقاك البريض الوامض و الدّيم الغاديه الفضافض

هل لكّ و العارض منكّ عائض في هجمه يعذر منها القابض

سدس و ريع تحتها فرائض

أى هل لكّ في العارض منكّ على الفضل، قال: كان من قصته أنّ رجلا خطب ليلي، فقال: أعطيك مائه من الإبل يدع السائق منها إذا ساقها بعضا لكثرتها فلا يطيق شلّها و أنا معارضك، أى معطيك الإبل مهرا، و أنا آخذ نفسك، فأنا عائض قد عضت أى صار العوض كلّ لى، فالفضل في يدى. و منه قولهم: لا أفعله يد الدّهر، و جدى الدّهر، فمعنى يد الدّهر

أى ما كان للدهر يد أى حكم، كما تقول: لفلان فى هذا يد أى ملك و أمر، و معنى جدى:

أى ما كان للدهر جدى أى عطيه.

و من أسمائه الأبط و قال: فى سلوه عشنا بذاك أبطا. أى دهرا. و قال بعضهم:

الأبط فى الأصل جمع أبط، و يخفف و يتقل: و هو الحبل يعقل به البعير فإذا قلت لا أفعله أبطا. فالمعنى ما كان للدهر سبب. قال الشيخ: أقرب من هذا أن يكون من الأبط و هو العقل و الشد كان المراد فى زمان عقد علينا لا انفكاك منه. و يكون الأبط فى أنه مصدر، و الأبط فى أنه المأبوض كالسيد و السده و العقد و العقده. و يجوز أن يكون سمى بذلك لأنه يضعف و يقيد بالهرم، و يقال للذابه و الطير إذا أصابه عقال فلم يسلس: إنه لموتبض النسا و أبوض النسا. قال:

و ظلّ غراب البين مؤتبط النساله فى ديار الجارتين نعيق

و قال أبوض النسا بالمسمين خسوف، و لا أقبله ما اختلف الجرّه و الدرّه أى أبدا، لأن الدرّه إلى أسفل، و الجرّه إلى فوق.

و منه: الأبد و الأبيد. و يقال: لا أقبله أبدا لأبيد، و أباد الآباد، و أباد الآبين و أباد الأبد، و أباد الأبدية، و المعنى إقامه الدهر و مكته، و الإضافة فيه على طريق التأكيد. و الأبد المقيم الذى لا يبرح، و أوابد الشعر، سميت أوابد لبقائها على مرّ الأيام و أنشد شعرا:

صار لطول الدهر من آباده كمهرق لم يبق من مداده

غير بقايا نونه و صاده قولك: أباد الآباد كقولك: دهر الدهور، و أباد الآبين، كدهر الدهرين أى دهر الناس المقيمين فى الدهر، و أباد الآبد كدهر الدهر، و من أمثالهم أتى أباد على لبد للشىء، و قد مضى و انقطع، و لبد اسم لنسر لقمان.

و من أسمائه: الطيل و الطول قال: و إن بليت و إن طالت بك الطيل.

و يروى الطول، و إنما أخذ من الطول، و يقال: لا- أكلمك طول الدهر، و إنما أنت الشاعر الطيل ردا على المعنى، كما يؤنث الألف إذا أريد به المعدوده.

و من أسمائه: المنون، و هو من منت أى قطعت و يقال: جبل منين: أى مقطوع، قال أبو ذؤيب:

أ من المنون و ريبه تتوجع و الدهر ليس بمعتب من يجزع

فإن قيل: ما باله ذكر المنون و هو و المنيه سواء، و أنت إذا رويتها و ريبها قلت: أنته

لأنه أريد المنيه. قلت: المنون و يراد به الدّهر يشبه أسماء الأجناس و لذلك لا يجمع، و كما لم يجمع لم يؤنث أيضا، و إذا أريد به المتيه أشبه اسم الفاعل فأجرى مجراه فى التأنيث به لمعناه، و يقال: ما فعلته قط.

قال ابن السّيكيت: فيه ثلاث (لغات: قطّ بالفتح و التّشديد و ضم القاف و التّشديد و فتح القاف و تخفيف الطاء إذا كان بمعنى الدّهر. و إذا كان بمعنى حسب فهى مفتوحة ساكنه و أصله من قططت أى: قطعت و المعنى ما فعلته قطع دهرى كلّه، و أبدا فى المستقبل: بمعنى قط فى الماضى. و يقال: لا أفعل كذا ما سمى ابنا سمير، يعنى اللّيل و النّهار، و لا أفعله ما سمر السّمير، و هم النّاس يسمرون باللّيل و ما اختلف ابنا سمير، و لا أفعله السّمر و القمر أى أبدا. و حكى: جاء بالسّمر و القمر أبو سعيد و قال: معناه بالنّور و الظلمه، كما يقال: جاء بالضّيح و الزّيح، و يقال: السّيمير الدّهر، و ابناه اللّيل و النّهار. و قيل: الغدوه و العشى. و قيل فى السّمر: إنّه ظلّ القمر فضمّ النّهار إلى اللّيل. و قيل: السّمر الظلمه و المقيم فيه سامر.

و منه السّامره و السمر: حديث القوم باللّيل.

و قالوا: لا- أفعله حرى و حارى دهر و حيرى دهر، بتسكين الياء. و المعنى ما حار الدّهر: أى رجع، و يجوز أن يكون من حار الدّهر يحير: أى أقام، و يقال: حيروا بهذا الموضع، أى أقيموا. قال بعضهم: و منه سميت الحياه. و حكى حير الدّهر جمع حيرى، كما قيل: زنجى و زنج، و عربى و عرب.

و يقال: لا آتيك سجيس عجيس، أى الدّهر، قد يصرف فيقال: عجيس أى الدّهر، فقوله: عجيس يجوز أن يكون من عجسه أى قبضه و حبسه، و منه معجس القوس أى مقبضه، و عجاساء اللّيل: ظلّمته، لأنّها تحبس النّياس و يكون المعنى ما بقى الدّهر و حبس على أهله. و يجوز أن يكون من عجس اللّيل و عجيسه أى آخره، و منه تعجس عن القتال و عجس: أى تأخّر فيكون المعنى: آخر الدّهر. و سجيس فعيل و يفيد الامتداد على حاله، و سج و سجسج و سجس فى طريق. و فى الحديث: «نهار أهل الجنه سجسج» أى معتدل متّصل لا آفه فيه. و قال الأعشى:

قيس سجسج ساب إذا هبطت به السّهل و فى الحزن مرجلا عجلا

قال أبو عبيده: السّجسج: اللّين المروّض، و السّاب من الأرض مسائل صغار، و كذلك السّيب، و روى أبو عمرو الشّيبانى سجسا مسججا: إذا هبطت، و قال: السّجسج السلس المنقاد لا يتغيّر، و المعنى: أنّ هذا البعير إذا سار فى السّهل امتدّ فى السّير على حاله و هو فى الحزن مرجل، أى رجيل قوى المشى. و يروى مرجما و مرجلا، فعلى هذا جعل

سجيس الدهر لامتداده و سلاسته فى الاتصال و الاستمرار. و من قال: سجيس عجيس: جعل الأول مع الثانى كالشىء الواحد و بناءهما لتضمين معنى حرف الجر، كان الأصل سجيسا لعجيس، فحذف حرف الجر و ضمن الأول و الثانى معناه، و من أضاف الأول إلى الثانى كان أمره ظاهرا و قالوا: لا أكلمك آخر الأوجس، و سجيس الأوجس، أى آخر الدهر، و سجيس الليالى. قال تأبط شرا:

هنالك لا أرجو حياه تسرنى سجيس الليالى مسبلا بالجرير

أى ما اتصل الليالى و انقادت على حاله. و الأوجس: جمع و جس و هو ما يحصل فى النفس من دعر و فزع لصوت أو حركه، و منه ترجس الوحشى، و فى القرآن: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى [سوره طه، الآيه: ٦٧] فكأنه سَمِيَ الزّمان بالحوادث المفزعه فيه أو جعل إقطاع الزّمن يجس و يحدث بمنكرات الأمور حالا بعد حال.

و ذكر بعضهم الحوب فى أسماء الدهر، قال: يجمع على أحوب و أحواب و حوبه كما قالوا: عصر و عصره، و دهر و دهره، و غصن و غصنه، و قرد و قرده و كأنه من الشده و العظم لأنّ الحوب الاثم الكبير، و يقال: يحوب الصّائح إذا اشتدّ صياحه. قال الخليل: الحوبا روح القلب، لأنّه ملاك الحى.

و من أسماء الدهر: المخبل، و التّخيل الزّمانه، و الخبل الفساد و يقال: خبل خابل.

قال: فأبلغ سليط اللّوم خبلا خابلا. فالخبيل المفسد، و إنّما سَمِيَ الدهر مخبلا، لأنّه إمّا يهرم، و إمّا يقتل. قال الحارث بن حلّزه:

فضعى قناعك إنّ ريب مخبل أفنى معدا

و يقال: لا أفعله سنّ الخبل: أى دوامه و بقاؤه، لأنّ سنّه من لحيه و ليس بمركب فيه، فلا يسقط، و لا أفعله مالات العفراء بأذناها، و يقال: الفور و هى الطّباء و ما مصع الطّيبى بذنبه، و قال الأصمعى: الفور لا واحد له من لفظه، و لا أفعله ما جنح ابن أنان، و يقال:

لقيته أول ذات يدين أى أول شىء، و أما أول ذات يدين: فإنّى أحمد الله، و آثر ذى يدين، و ذوات يدين أى أول ما يأذن.

و الفطحل: يقال للزّمن القديم قال أبو عمر نوح زمن الفطحل، و يقولون: حين كانت الحجاره رطبه و قد مضى ذكره.

و لا- آتيك هبيره بن سعد و أبوه ابن هبيره: أى أبدا، و قال الأصمعى: يقال فى مقابله أغبيت الزّياره، اغتمت الزّياره بالغين المعجمه، أى: أكثرت، قال: و قالوا كان العجاج يغم

أى يطيل الشَّعر، و يكثر و يقال: أشوى الدَّهر كذا أى تركه و هو من قولهم: فلان أكثر النَّاس شوايه أى بقيه من قومه، و ما أشوى لنا الدَّهر له.

و حكى الدَّريدى: لا آتيك حد الدَّهر و عجيس الدَّهر، و سجيس الأوجس و سجيس الحرس، و سجيس الأَبض.

و حكى غير واحد جبر مبتيَّه على الكسر، يراد به الدَّهر و ربما أجروها مجرى القسم، يقال جبر لأفعلن كذا أى حقًا لأفعلن و أنشد شعرا:

ابنى جبر و إن عزَّ رهطى بالسَّويداء الغداه غريب

و من أسماء الدَّهر الخز و الملاوه و قد تقدّم القول فيه، و ذكر ابن الأعرابى قال أنشدنى المفضل شعرا:

و فى بنى أم زبير كيس على الطَّعام ما غبا غيبس

قال: الغيبس الدَّهر و غبا: بقى.

الأصمعى: لا أفعل ذلك بأسوس الدَّهر، أى: أبدا، و هذا كأنه من قولهم فى ترك اللقاء: لا آتيك ما أيس عبد بناقه، و هو أن يقول: بس بس يسكن منها للحلب، و يقال: ما زال على است الدَّهر محنونا، و على أسن الدَّهر. و يقال: تركته بأست الدَّهر، أى و لا شىء معه، و تركته بأسمر المتن: و هو متن الأرض: أى الصَّحراء الواسعه. و لقيت منه است الكلبه أى: ما كرهته، و هو أَمنع من است النَّمر: للذى لا يطلق الدنو منه لمناعته.

قال أبو حاتم: الدَّهر سبات: أى أحوال مختلفه: سبه حرّ، و سبه برد، و سبه روح، و سبه دفىء. و يقال: أصابتنا سبه من برد أى لأشد ما يكون من القرفان أصابك برد فى آخر الرِّبيع قلت: أصابتنا سبه من الرِّبيع و أصابتنا سبه من حرّ و هى مثل الوقوده فى نحو من عشره أيام أو أكثر.

و حكى بعضهم: الأعرم: الدَّهر، لأنَّ فيه نوائب و صروفا متلوّنه، و يقال: عرم الصَّيبى: يعرم إذا أتى بألوان من الغيث، و يقال للأفاعى: العرم، لأنَّ فيها نقطا تخالف لونها و أنشد: رءوس الأفاعى فى مساربها العرم.

فأمّا قوله: حياكه وسط القطيع الأعرم، فإنّما يعنى أنّ بعضه ما عز و بعضه ضآن، و يقال: لا أفعل ذاك حتى تحنَّ الضَّب فى إثر الإبل الصَّادره، و لا أفعله حتى يبيض القار، و لا أفعله ما أبس عبد بناقه، و إيساسه: تحريك شفتيه. و لا أفعله ما هدهد الحمام. و لا أفعله ما صلّى على النَّبى مصلّ، و ما دعا الله داع. و لا أفعله ما حلب حالب أضرع الدَّهر.

فصل فيما يجرى من التأكيدات فى أوقات الدّهر

يقال: دهر داهر، و أبد آبد و أبيد و حين حائن، و محين، و مده ماده و مديده، و ليل لایل.

قال هميان بن قحافه: فصدرت تحسب ليلا لائلا. و قيظ قائظ و صيف صائف، و شتاء شات، و ربيع رابع: أى مخصب، و يوم قائظ، و يقال عام أعموم و معيم و أعوام عوم، قال:

من مرّ أعوام السنين العوم، و حول محيل، و سنه سنهاء و شهر أشهر، و يوم كريت و قميط قال شعرا:

أقامت غزاله سوق الضراب لأهل العراقين حولاً قميطاً

و شهر أجرد و أقرع و أصلع، و سنه جرداء و قرعاء و صلعاء. و قال قطرب: نهار أنهر و ليل أليل، و ليلاه ليلاه: لتأكيد شدتها. و قال غيره: نهار و نهر، و يوم يوم و يم لآخر يوم من الشهر، و قيل: الأيوم فى الشّديد. قال مروان: مروان أخو اليوم اليمى، و قيل: اليمى أريد الشّديد فى حرب أو قتال. و إذا ذكر أمر عظيم حدث فى يوم قيل: أيوم يوم، و إن كان ليلا قيل: ليل أليل، و إن كانت ليلاه مشهوره قيل: ليلى و ليلاه، قال فى ليلاه ليلى، و يوم أيوم.

و قال:

كم ليلاه ليلاه مدلهمّ هكابدتها لحاجه مهمّه

و آخر ليلاه فى الشّهر لظلمتها ليلى مقصوره، و ليلاه ممدوده، و ليل ليلى. قال: لما أرجحن ليلاه الليلى. و يقال: أتانا فلان حين هراق الليل أوله إذا مضى بعضه و قال ابن أحمرا:

تغمرت منها بعد ما نفذ الصّبى و لم يرو من ذى حاجه من تغمرا

فبتّ أعاطيها الحديث بمسّن من اللّيل أبقتّه الأحاديث أخضرا

(تغمرت) أى أصبت شيئا يسيرا، (و من ذى حاجه) أى من حاجه، و ذى زائده.

(و المسنّف) المتقدّم، (و أبقتّه الأحاديث) أى انقطع الأحاديث قبل أن يتغد اللّيل، و قوله:

(أخضر) يحتمل ضربين: يكون صفة مسنّف لأنّه نكره مثله و يجوز أن يكون حالا من الهاء فى أبقتّه، و مثله من الحال قوله: و مال لقنوان من البسر أحمرًا.

و الحرس: الزّمان و الدّهر، قال الكاتب: و اختاره من سائر الأمثال فى حرسه أى فى زمانه، و فى كتاب الخليل: الحرس وقت من

الدّهر دون الحقّ. قال بعض أصحاب المعانى من هذا قولهم: بناء أحرص. للأصم من البنيان.

الباب السابع عشر فى أقطاع الدّهر و أطراف النّهار و اللّيل – و طوائفهما

إشارة

و ما يضارعهما من أسماء الأمكنة أو يداخلها من ذكر الحوادث فيها. و هو ثلاثة فصول

فصل [فى بيان غبره و برهه و زمنه و طرقه و حقبه و هبه و سبه و غيرها]

قال الأصمعيّ و غيره: يقال: غبر برهه من دهره و برهه و زمنه و طرقه و حقبه و هبه و سبه أى زمان. قال أبو ذؤيب:

بقرار قيعان سقاها صيف واه فأثجم برهه لا يقلع

و أقام درجا من دهره، و حرسا من دهره لا يفعل كذا أى زمانا، و مضت سنبه من الدّهر و سنبيه أى قطعه، و ذكر سيبيويه فى زياده التاء هذه اللفظه، و استدلّ على أنّه فعلية لسنبه، و أنشد الأصمعيّ:

ربّ غلام قد صرى فى فقرته ماء الشّباب عنفوان سنبه

و يروى شرتّه.

و غير مهوان من الدّهر و هو مفعال من الهون، و يقال أيضا: بينى و بينه مهوان من الأرض: أى بعد و مهون أيضا. و يقال: بقى سبتا يفعل كذا قال شعرا:

لقد نرتعى سبتا و لسنا بجيرهمحلّ الملوّك نقده فالمغاسلا

و السّبت القطع، كان المراد به قطعه، كما يقال: الخلق فى المخلوق.

و يقال: إنّى لآتية الغينه بعد الغينه، و فينه بعد فينه. قال:

لك البيت إلّا فينه تحسنيها إذا حان من ضيف علىّ نزول

و حكى أبو عمرو غلام ثعلب: (فإن يفين فينه): إذا زار وقتا بعد وقت، و يقال لقيته

فيه يا هذا، فجعلوه كالعلم، و لم يفعلوا ذلك برهه، و هذا كما قالوا للغراب: ابن دايه و لم يفعلوا ذلك في الظهر. و يقال: أتيته
آئنه بعد آئنه، بوزن عائنه أى تاره بعد تاره و كأنه اسم مبنى على فاعله من الأوان كاللأئمه من اللوم و الناظره من الأنظار. و قرئ
(فناظره إلى ميسره) و الثائل من الثوال، و لا يجعل آئنه جمعا لأوان مثل الآونه و أنشد:

ترى قورها يغرقن فى آل مرهو آئنه يخرجن من غامر نخل

أى و تاره يخرجن، و أوان كزمان و أزمه. قال ابن أحمز:

أبو عمرو يؤنسنا و طلق و عمّار و آونه أثالا

قال أبو عبيده: لقيته أدنى ظلم و معناه القرب. و قال الأحمز: فإن كنت تلقاه فى اليومين و الثلاثة فصاعدا قلت: لقيته أفرط فى
الفرط، و لا يكون الفرط فى أكثر من خمس عشره ليله. و يقال: فلان تفارطته الهموم: أى لا تصيبه الهموم إلّا فى الفرط.

قال أبو زيد: فإن لقيته بعد شهر أو نحوه قلت: لقيته عن عفر. قال: فإن لقيته بعد الحول أو نحوه قلت: لقيته عن هجر. قال: و إذا
كان الرجل يمسك عن إتيان صاحبه الزمان ثم يمسك عنه نحو ذلك أيضا ثم يأتيه قال: لقيته بعيادات بين.

قال الأصمعى: فإن لقيته بين الأعوام قلت: لقيته ذات العويم، قال أبو عبيده: فأما الغب فى الزياره فمعناه الإبطاء و التقليل على غير
وقت معلوم، و أحسب الأصل كان فيه من غب و هو أن ترد الإبل الماء يوما و تدع يوما. و مثله غب الحمى ثم انتقل المعنى من
هذا فى الزياره خاصه إلى ما فوق وقت الورد و وقت الحمى. قال: و من هذا المعنى قوله صلى الله عليه و سلم فى الحديث: «زر
غبا تردد حبا» فقد علم فى هذا أنه أراد الإبطاء فى الزياره. قال: و كذلك الإلمام نحو الغب، إنما معناه الأحيان على غير مواظبه و
لا- وقت محدود، فهذا ما قاله، و الإلمام للزياره لا للوقت، كما أنّ الاعتمار اسم لها متى كانت لا للوقت. و يقال: رأيت عين عنه
أى: الساعه من غير أن طلبته و قيل: أول عائنه أيضا. و يقال: أتيته على حباله ذاك أى على حين ذاك.

و حكى الخليل: أقمت عنده فى ضغيغ دهره، أى قدر تمامه. (ابن الأعرابى) فعلنا كذا و كذا و الدهر إذ ذاك مسجل. و المعنى
لا يخاف أحد أحدا. و يقال: لهذا دهر حول قلب إذا كان كثير التبديل، كما يقال: رجل حول قلب. (ابن الأعرابى) يقال: حول
كميل و دكيك و قميط و كريت أى تام و أنشد فى الكميل شعرا:

على أننى بعد ما قد مضى ثلاثون للعجر حولا كميلا

أى فصل بين الثلاثين و بين الحول ضروره، و يقال: فى ضد الكميل حول ختت(١) أى ناقص. و يقال: فعلته أياما حسوما أى متتابعه، و قيل: تامه و هو من قولك: حسمت الشىء أى فصلته من غيره، و فى القرآن: سَبَّعَ لَيْالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا [سوره الحاقه، الآيه: ٧] أى نحوسا و الأول أصح. و يقال: أرمى فلان على الخميس و ذرف و أربى و أوفى.

و حكى الفراء فيه ودى و هذا و إن كان أصله فى الزيادة فى السنين فقد استعمل فى الزيادة فى غيرها و أنشد:

و أسمر خطيا كأنَّ كعوبه نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر

و قد ظلف على الخمسين و قد أكل عليها و شرب، و قد طلع على الخمسين و قد ولَّها ذنبا. قال: و سمعت الطوسي يقول: قيل لبعض الأعراب: كم سنه أتت لك؟ فقال: ولتني الأربعون ذنبا. و قيل لآخر مثل ذلك فقال: أنا فى قرح الثلاثين، أى فى أولها و فى أول شهر منها، و الأقراح أوائل الأشياء، و اقترح فلان على كذا. و قال ابن الأعرابي فى قول أوس:

على حين أن حد الذكاء و أدركت قريحه كحسى من شريح مغمم

جعل شباب شريح حين بدا كحسى الماء لا ينقطع مأوه، و مغمم أى ملاً كل شىء، و غمّه غرقه. و يقال: سند فى الخمسين، و ارتقى فيها هذا عن بعضهم. و قال أبو صاعد:

ارتقى فيها فحسب.

و قال ابن الأعرابي: قلت لأبى الجماهر: ابن كم أنت؟ فقال: قد ولتني الخمسون ذنبا. و قلت لآخر مثله فقال: حبوت إلى الستين. و قال بعضهم: أخذت بعنق الستين.

و قال آخر: راهمت الثمانين. و هذا مأخوذ من الرهام و هو العدد الكثير. و يقال: ساعه طبقه أى طويله. و قال الأصمعى: سمعت أعرابيا يقول: منحت الأعقد الخمسه بالخاء المعجمه و بالخاء أيضا يعنى خمسين سنه و معنى منح قطع. (أبو يوسف) يقال للجاريه التى قد استقمت عصر شبابها: معصر و هى كاعب أولا إذا كعب ثديها ثم يخرج فيكون ناهدا، ثم استوى نهودها فتكون معصرا. قال الزجاج:

أوانسا كالزبرب الزبايب من ناهد و معصر و كاعب

و يقال: لقيت فلانا بادئ بدء و بادئ بدأ قال:

١- فى القاموس فى فصل الخاء المعجمه مع التاء المشناه فى (الخت) و الختيت الخسيس و الناقص و الله أعلم- الحسن النعمانى المصحح كان الله له.

و قد علتني ذراه بادى بدى و ريته ينهض فى تشددى

و يقال: كسفت النَّاقه و أكسفت إذا نتجت فى كلِّ عام و إذا أَلقت النَّاقه أو الشَّاه ولدها لغير تمام قيل خدجت. و إن كان تام الخلق و أخذجت إذا أَلقت ناقص الخلق و إن كانت أَيْامه تامه. و يقال شجره مبكار و بكور إذا أدركت حملها فى أوَّل السَّينِه، و شجره منجار إذا أدركت حملها فى آخر السَّينِه. و شجره معوام إذا حملت سنه و حالت سنه. و يقال: عاده الوجع عدادا إذا عاوده فى الشَّهر أو فى السَّنه لوقت معلوم و أنشد:

أصبح باقى الودِّ من سعاداعلاقه و سقما عدادا

إذا أقول قد برأت عادا و قال آخر:

تلاقى من تذكّر آل سلمى كما يلقي السليم من العداد

و يحلّ الهدى يوم النَّحر بمنى و يبلغ محلّه. و المحلّ الموضع الذى يحل فيه نحره، و هو يوم النَّحر إذا رميت جمره العقبه. معنى يحل يجب و قرئ قوله تعالى: يَحْلِلُ عَلَيْهِ غَضَبِي [سوره طه، الآيه: ٨١] و المعنى يجب و إذا قرئ يحلل فمعناه ينزل، و يقال: بيننا و بينهم ليال آيات: أى هينات السَّير. و الأوان الدَّعه. و يقال: تعاملنا من آمنه و معاومه- و مساناه- و مسانهه- و مشاهره- و مسابعه- و معاشره- و مياومه- و مواضحه من وضح النَّهار و مناصفه- و مبكره- و مغاداه- و مظاهره- و مراوحه- و معاصره- و ملايله- و يقال: أسقينا مغارطه أى للسَّابق- و مناوبه- و معاقبه- و مداوله- و مراقبه- يرقب حتى يفرغ الغارطه- و مقالده- و مواضحه- و مساجله- و مكابله أى دلوا فدلوا- و مساوقه- أى مرّه أسوق عليه السَّانيه- مرّه يسوق علىّ- و مؤالبه أى يألّب الدُّلو إلىّ. قال:

يبشّرني بماتح ألوب مطرح شبه غضوب

و معارضه- و مرافضه- و مياينه يبين له الدُّلو عن الحجاف- و معالاه- أى يعلى و هو أن يجذب الحبل عن حجر ماء فى جانب البير. قال:

لو أنّ سلمى شهدت مظلى أمتح أو أدلج أو أعلى

إذن أراحت غير ذات دلّ و مطارده- و مطاوحه- و مناوشه- أى يأخذ علىّ الدُّلو و آخذ عليه و مدالجه أى أدلج بالدُّلو إلى الحوض و يدلج و هو المناقله- و معاطفه يريد عطف السَّانيه- و ملاطفه و هو أن يحتمل أحدهما لصاحبه فوق الشرط عليه إيجابا له و لطفاه. و مراواه- أى يرتوى إبلى ثم يستقى- و مراوحه و ملاطمه ينزل فيخرج الطين و مداومه- و مثابره- و مجاحفه- إذا نقص

الماء نزل و غرف فى الدلو. و يقال سقينا إبلنا رفها و مرافهه- و ظاهره- و زعزه أنصاف النهار- و عريحا مرّه بالغداه و مره بالعشى- و غبا و مغابه- و ربعا و مرابعه و عشرا و معاشره- و مطارده. ابن الأعرابى يقال:

سال واديك من غير مطرك و أطرده عيشك فى جداول دهرك

لمن عاش فى غيره و أنعش بحدّ سواه. و يقال للسّيل إذا سال واديه من مطر- و إذا خرّ سال دراو و إذا سال من مطرك- قيل سال ظهرا. يقال: مضى لذلك دهر داهر- و دهر دهارير- و المراد التّطاول. قال الشّاعر:

و الدّهر بالإنسان أينما حال دهارير

و قال آخر:

أنا الدّهر يفنى الموت و الدّهر خالدفجئنى بمثل الدّهر شيئا يطاوله

و قيل: الدّهر تكرار اللّيل و النّهار، و الزّمان: اللّيل و النّهار، و صرف الدّهر ما يتصرف بالشىء من أحوال تختلف، و لهذا قال الشاعر:

و الدّهر بالإنسان دوارى. و الحين يصلح كلّ وقت طال أو قصر، لأنّه اسم كلّ زمان، و منهم من يجعل الجزء و الجزأين من الزّمان حينا و يستدل بقوله. تطلّقه حينا و حينا تراجع.

و يقال: مضى هذا الأمر لحين أوان: أى لوقته. قال شعرا:

لأركب صعب الأمر إنّ ذلوله بنجران لا يقضى لحين أوان

و قد حان يحين- حيونا- و حينونه- و حينت الشىء- جعلت له حينا- و التّحّين فى الحلب من هذا، و هو أن يجعل له وقتا معلوما يحلب المحلوبه فيه لا- يستنقص و لا- يستقصى، و هو خلاف الأفن و هو الاستقصاء- و الامتحاق و الانفصاح و هو ذهاب اللّبن أجمع. و منه قيل للقمر: امتحق و انفصح. و ذلك فى ليالى المحاق إذا لم يبق ضوء. و شىء متأبّد أتى عليه أبدا. و لا أفعله حتى يفنى الأبد. قال حسان شعرا:

و اللّوم فيك و فى سمراء ما بقيت و فى سمّيه حتى ينفد الأبد

و لا- أفعله آخر كلّ ليله و أبدا الله- و طوال الدّهر- و طوال الله- و طوال اللّيالى- و سجيس الأوجس- و سجيس الأعجس- و أوجس أعجس- و أحنى أقوس، و أحنى أشوس- و سجيس المسند- و لا أفعله ما أن فى السّماء نجما- و ما أن فى السّماء نجم يريد: ما عنّ أى عرض. و يقال: مضى له أمه، و هى مدّه من الزّمان طويله و لا تجمع. و قال أبو العباس

ثعلب: الأمه مائه سنه فما زاد. و يقال: إنَّ الملوين اللّيل و النَّهار. و منهم من يقول هما اختلافهما و أنشد شعرا:

نهار و ليل دائم ملواهما على كلّ حال المرء يختلفان

قال أحمد: لو كان الملوان اللّيل و النَّهار لم يضافا إلى ضميرهما من حيث لا يضاف الشئ إلى نفسه، و لكن يريد تكثّر الدّهر و اتّصاله بهما. و مضت ملوه من الدّهر- و ملوه و زمنه- و مده طبقه- و ساعه طبق- و مده طبق- و المراد من كلّ الطول و جمع ملّى ء إملاء و جمع طبق أطباق. و يقال: انتظرتة مليّا من الدّهر أى متّسعا منه فهذا صفة استعمال الأسماء. و يقال تملّيت حينما أى عشت معه ملاه و قال التّوزى: يقال: ملاوه و ملاوه و ملاه و الملاء المتّسع من الأرض. قال: الأغنياني: و ارفعا الصوت بالملاء. و فى القرآن: وَ أَمْلى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ* [سوره الأعراف، الآيه: ١٨٣].

و قال ثعلب: الحقب واحد و هو بلغه قيس سنه. و قال غيره: الحقب ثمانون سنه و الحقبه السنه. و قال يونس فى قوله:

إنى أرى لك أكلا لا يقوم له من الحليفه إلا الأزلم الجذع

و بعض يقول الأزنم- و يقال: الأزلم المتجاذع. و يقال: خروف متجاذع إذا كرب يجذع. و قال:

ما زال ذاك الداب حتّى رأيتهم يعزون سنّ الأزلم المتجاذع

و إنّما سمّى جذعا لأنّه أبدا جديد. و لذلك قال بعضهم: سن الدّهر سن الحسل أى: لا يزال جذعا لا يطرى عليه سنّ أخرى فينتقل إليها و يقولون: لا أفعله سنّ الدّهر- و سنّ الضّب- و سن الحمل- و المعنى واحد. و قوله: الأزلم و الأزنم يراد به ما يتعلق به من الحوادث بممرّه و متصرّفاته، و يقال: أفعل ذلك غدا أو سلعه إذا كان بعد الغد أو قريبا منه.

فصل [فى أن عادا سمّت الشهور بأسماء]

ذكر ابن الكلبي أنّ عادا سمّت الشهور بأسماء، و جاء عن أبى عمرو الشيباني و الفراء و قطرب و الأصمعي و ابن الأعرابي و غيرهم من العلماء وفاق فى بعضها و اختلاف فى بعضها، و ربما كان الاختلاف فى الترتيب، و ربما اختلفوا فى بناء الكلمه و وضعها و صرفها و ترك صرفها، كتركهم الصّرف للشمس و الشّمال فقالوا: هذه شمس بازغ، و هذه شمال بارده.

و قال الشّاعر حالفا:

أما و شمس لتحصنهم دما و قال:

إذا هبت شمال غدرت فيها بلفظ بين مقرحه و آن

فمن ذلك قالوا للمحرّم: مؤتمر إجماع منهم. و لصفرة: ناجر و منهم من لا يصرف فيقول ناجر. و لربيع الأول قال قطرب: خوان و خوان مخفّف- و قال غيره: خوان بالضّم و التّشديد، و لربيع الآخر: قال قطرب: وبصان و بصان- و قال غيره بصان بالتّخفيف و الضّم و وبصان و وابصه- و جمادى الأولى: قال قطرب: حنين- و قال ابن الكلبي: ربي بالباء- و قال ابن الأعرابي: رنى بالنّون- و قال ابن دريد حنين- و جمادى الآخرة قال قطرب: ربي و ربه- قال ابن الكلبي: حنين- و قال الشّيباني و الفراء: حنين و أنشدا شعرا:

و ذو النّحب ينويه فيوفى بنذره إلى البيض من ذاك الحنين المعجل

رجب قال قطرب: الأصم و هو إجماع منهم- شعبان عاذل- ابن الكلبي و ابن الأعرابي و عل- الفراء، و عل مثل فخذ شهر رمضان- قطرب: ناطق و غيره نتق- شؤال: و عل- ابن دريد و عل- ابن الكلبي و ابن الأعرابي عاذل- غيرهم معتدل. ذو القعدة: قطرب: ورنه- غيره ورنه- أخررنه- غيره رنه- الشّيباني يقال له: هواع قال:

و قومي لدى الهجاء أكرم موقعا إذا كان يوم من هواع عصب

ذو الحجة: برك يا إجماع منهم- و روى الصّولي عن أحمد بن يحيى في أماليه زعم ابن الكلبي أنّ العرب كانت تسمّى المحرم مؤتمرا- و صفرا ناجرا- و شهر ربيع الأول خوان- و شهر ربيع الآخر وبصان- و جمادى الأولى ربي- و جمادى الآخرة حنين- و رجب الأصم- و شعبان عاذلا- و رمضان عاذلا- و شؤال وعلا- و ذو القعدة ورنه- و ذو الحجة برك.

فصل [مستخرج من كتاب سيبويه في الأماكن والأوقات]

استخرجناه من كتاب سيبويه يستغرب أكثر ما فيه و نختم به الكلام في الأماكن والأوقات و يتّصل به ذكر شىء من الخلاف بيننا و بين الكوفيين إذا تأمل انشرح به كثير من هذا الباب.

قال سيبويه: يقول هو ناحيه من الدّار و داره ذات اليمين و أنشد لجرير:

هبت حنونا فذكرى ما ذكرتكم عند الصّفاة التي شرقى حورانا

قال: و سمعت بعض العرب ينشد:

سرى بعد ما غار الثّريا و بعد ما كأنّ الثّريا حلّه الغور منخل

فانتصاب هذه الأحرف كانتصاب قولك هو قصدك قال: و سمعنا ممن يوثق به من العرب هما خطان جنابتي أنفها يعنى الخطين اللّذين اكتنفا جنبى أنف الطّيبه. قال الأعشى:

نحن الفوارس يوم الحنو صاحيهجنبي فطيمه لا ميل ولا عزل

و يقال: زيد جنب الدار، و جانب الدار، و قالوا: هم حوله و أحواله و حياله و حوالية و هم جنبه و جنبيه و قطريه و أقطاره. و أنشد لأبي حيه النّميري:

إذا ما تغشاه على الرّحل جنبتي مساليه عنه من وراء و مقدم

يعنى بمساليه عطفيه فهو بمنزله جنبى فطيمه. و كقولهم: هو وزن الجبل أى ناحيه منه، و هو زنه الجبل، و قولك أقطار البلاد فإن جعلت الآخر هو الأوّل رفعتة و أردت به الثقل أعنى الوزن و الزّنه. و من ذلك قول العرب: هو موضعه أى فى موضعه كما قالوا: هو صدّدك و سبقك أى قربك. و تقول كيف أنت إذا أقبل قبلك و يجىء نحوك قال: كيف أنت؟ إذا أريدت ناحيتك، و كيف أنت إذا أقبل التّعب الرّكاب جعلهما اسمين. و النقب الطّريق فى الجبل و المراد بقوله جعلهما اسمين، أى لم يجريا على المصدر فهو بمنزله قولهم هو قريب منك، فإن شئت قلت: هو قريبا و هل قريبا منك أحد. قال: و مما لا يحسن أن يكون ظرفا قولك: جوف المسجد، و داخل الدّار، و خارج الدار و ذلك لمفارتها خلف و قدّام و ما أشبههما مبهمه .. و المختصّ من أسماء الأماكن لا يكون ظرفا. قال و ممّا شبّه من الأماكن المختصه بالمكان قولهم: هو منى منزله الشّغاف و هو منى مزجر الكلب و أنت مقعد القابله.

قال فوردن و العيوق مقعد رأى الضّربا.

و قال آخر:

و إنّ بنى حرب كما قد علمتم مناط الثّريا قد تعلّت نجومها

و قال: هو منى معقد الإزار، و هم درج السّيل قال ابن هرمة:

انصب للمتيه لقربهم رجالى أم هم درج السيول

و كل هذا و أشباهه وضعت مواضع القرب و البعد فلذلك استجيز فيها على اختصاصها وقوعها ظرفا قال: فاستعمل هذا ما استعمله العرب و أجزى منه ما أجازوه قال: و زعم يونس أنّ بعضهم قال: هو منى مزجر الكلب، فرفع جعله بمنزله مرأى و مسمع. و يجعل الآخر هو كالأوّل. فأما قولهم: دارى خلف فرسخا فكأنّه لما قال دارى خلف دارك، و هو مبهم فلم يدر ما قدر ذلك فقال: فرسخا و ذراعا.

و زعم يونس أنّ أبا عمرو كان يقول: دارى من خلف دارك فرسخان، كما تقول: أنت منى فرسخان و فرسخين. قال فأما قولهم: اليوم الأحد و اليوم الاثنان و كذلك إلى الخميس فلائها ليست يعمل فيها أراد أن يفرّق بينها و بين السّبت و الجمعه فتقول اليوم خمسه عشر من

الشهر، إذا أردت أنّ اليوم تمام خمسه عشر- و من العرب من يقول: اليوم يومك، فيجعل اليوم الأوّل بمنزله الآن، لأنّ الرّجل قد يقول: أنا اليوم أفعل كذا ولا يريد يوماً بعينه.

و اتّفق الكوفيّون و البصريّون على أنّ قول القائل: خلفك و قدّامك و ما أشبههما من الأماكن العامه ظروف في الإضافة، و اختلفوا فيها إذا أفردت، فقال البصريّون: هي ظروف على ما كانت في حال الإضافة.

و قال الكوفيّون: إذا أفردت صارت اسما فقولك زيد خلفا و قدّاما عند البصريّين ظرف. و عند الكوفيّين زيد خلف على معنى متأخر، و قدّام بمعنى متقدّم، و كذلك إذا قلت:

قام زيد خلفا نصبته على الظرف عند البصريّين. و الكوفيّون يقولون: تقديره تقدير الاسم الذي هو حال كأنّه قال: قام متأخرا و كذلك إذا قلت: قام مكانا طيبا يكون ظرفا.

و الكوفيّون يقولون: ناب عن قولك مترفا و معتبطا، و إنّما يحتاج إلى الإضافة عندهم لأنّه يكون خبرا عن الاسم، كما يكون الفعل خبرا في الوقت، زيد يذهب فلما كان الفعل يحتاج إلى فاعل و يتّصل به أشياء يقتضيها من المصدر و المكان و الزّمان و المفعول ألزموا المحلّ للإضافة ليسدّ المضاف إليه مسدّ ما يطلبه الفعل و يدلّ عليه.

و قال البصريّون: إنّما الإضافة لتعيين الجهه و التعريف. و الأصل هو التّكثير و إنّما التّعريف داخل عليه. و أجمع الفرقان على أنّ الوقت يرفع و ينصب إذا كان خبر المرفوع مبتدأ في حال تعريف الوقت و تنكيره. فالتّعريف قولك: القتال يوم الجمعة و اليوم. و إنّ شئت قلت: اليوم و يوم الجمعة. و التّكثير كقوله: (زعم البوارح أنّ رحلتنا غدا) و غد.

فالتّقدير في الرّفح وقت القتال اليوم فحذف المضاف و النّصب بإضمار فعل كأنّك قلت:

القتال وقع اليوم، و إذا كان الفعل مستغرقا للوقت كلّّه- فالبصريّون يجيزون فيه النّصب على الظرف، كما يجيزونه في غير المستغرق و يدخلون عليه (في).

و الكوفيّون لا يجيزون فيه النّصب و هذا غلط، و يجعلونه خبرا هو الأوّل، و لا يدخلون في تقول صيامك يوم الخميس، و الصّوم يستوعب اليوم و يجوز في قولهم: صمت في يوم الخميس. و الكوفيّون لا- يجوزون النّصب و يمنعون من إدخال (في) لأنّها عندهم: توجب التّبعيض، و الصّوم يستوعب اليوم. و قولهم فاسد لأنّ (في) لا يمتنع دخولها على زمان الفعل و إنّ قلّ، و يقول: كلّمت في القوم أجمعين، فيدخل (في) و قد استوعبتهم الكلام، و امتنع الكوفيّون من زيد خلفك أشدّ منع حتّى قال بعضهم في قوله: ألا جبرائيل أمامها إنّ ذلك إنّما جاز لأنّ جبرائيل لعظم خلقه يملأ الأمام كلّّه، و هذا في التّحصيل خطأ لأنّ الأمام لا نهايه له، و كذلك سائر الجهات. و أجازوا ذلك في أخبار الأماكن فقالوا: داري خلفك و منزلي أمامك، و على هذا حمل ثعلب قول لبّيد: خلفها و أمامها و إذا تأملت فلا فصل.

الباب الثامن عشر فى اشتقاق أسماء المنازل و البروج و صورها

و ما يأخذ مأخذها و الكواكب السبعة و هو فصلان:

فصل [فى بيان معنى] العواء

العواء (١) يمد و يقصر، و القصر أجود و أكثر، و هى خمسة كواكب كأنها ألف معطوفه الذنب و أنشد:

فلم يسكنوها الجزء حتى أظلمها سحاب من العوا و تابت غيومها

و سميت العواء: للانعطاف و الالتواء الذى فيها، و العرب تقول: عويت الشىء إذا عطفته، و عويت رأس الناقة إذا لويته، و فى المثل: ما ينهى و لا يعوى و كذلك عويت القوس و السّعر و العمامه إذا عطفته. و يجوز أن يكون من عوى إذا صاح كأنه يعوى فى أثر البرد، و لهذا سميت طارده البرد، و يقولون: لا أفعله ما عوى العواء و لوى اللواء. و قال بعضهم:

إنما سميت العواء لأنها خمسة كواكب كأنها خمسة كلاب تعوى خلف الأسد و نوؤها ليله.

السّماك و سَمَى السّماك الأعزل لأنّ السّماك الآخر يسمّى رامحا لكوكب تقدّمه، يقولون: هو رمحه و قيل: سَمَى أعزل لأنّ القمر لا ينزل به، و قال صاحب كتاب الأنواء، ينزل القمر بهذا دون الرّامح و أنشد:

فلما استدار الفرقدان زجرتها و هبّ سلاح ذو سماك و أعزل

و العرب يجعل السّماكين ساقى الأسد و نوؤه غزير، لكنه مذموم و هو أربع ليال و سَمَى سماكا لأنه سمك أى ارتفع، و قال سيويه: السّماك أحد أعمده البيت. قال ذو الرّمه:

١- قال صاحب جواهر الحقائق: العوا هو منزل ثالث عشر للقمر، و السّماك الأعزل هو منزل رابع عشر من القمر، و الغفر منزل خامس عشر له ١٢ ش.

كَأَنَّ رَجُلِيهِ سَمَاكَانَ مِنْ عَشْرَتَيْبَانَ لَمْ يَتَفَشَّ عَنْهُمَا التَّجِبُ

و بين يدى السِّمَّاك الأَعزَل أربعه كواكب على صورهِ النَّعَش يقال لها: عرش السِّمَّاك و يسمّى الخبَاء. و قال بعضهم: هو عرش الثُّريا يقال: بات عليه ليله عرشيه قال ابن أحمر شعرا:

بات عليه ليله عرشيهشريت و بات إلى نفا متهدّد

شربت أى لَجَت فى المطر و متهدّد أى متهدّم لا يتماسك.

الغفره و هى ثلاثه كواكب بين زباني العقرب و بين السِّمَّاك الأَعزَل خفيه على خلقه العوّاء. و العرب تقول: خير منزله فى الأبد بين الزَّباني و الأسد تعنى الغفره، لأنّ السِّمَّاك عندهم من أعضاء الأسد، فقالوا: ثلاثه من الأسد ما لا يضرّه الذئب يدفع عنه الأظفار و الأنياب، و ثلاثه من العقرب ما لا يضرّ الزَّباني لدفع عنه الحمه، و هو من الغفره و هو الشَّعر الذى فى طرف ذنب الأسد. و قيل سميت الغفره لأنّها كأنّها ينقص ضوءها، و يقال غفرت الشىء إذا غطّيته فيكون على هذا فى معنى مفعول، و يقول: شرّ النَّتاج ما كان بعد سقوط الغفره، و يعدّون ليله نزول القمر به سعاداً، و نوؤه ثلاث ليال، و قيل بل نوؤه ليله و أنشد:

فلما مضى نوء الثُّريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغفر

الزَّباني(١) و سمّى زباني العرب و هما قرناها، كوكبان و هو مأخوذ من الزَّبَن و هو الدَّفْع، و كلّ واحد منهما عن صاحبه غير مقارن لها و نوؤها ثلاث ليال و تهبّ معه البوارح و أنشد:

و رفرت الزَّباني من بوارحهاهيف أنشت به الأصناع و الخبر

الأصناع محابس الماء و الخبر جمع خبره و هى أرض بها السِّدر و يدفع فيه الماء.

الإكليل و هى ثلاثه كواكب مصطفه على رأس العقرب و لذلك سميت الإكليل و كأنّه من التكلل و هو الإحاطه، و منه الكلاله فى النَّسب و نوؤه أربع ليال، و هو من العقرب و أنشد نجران العود يصف رفقاءه:

مطرفين على مثنى أيامنهم راموا التّزول و قد غاب الأكاليل

جمع الإكليل كأنّه جعل كلّ كوكب إكليلاً ثم جمعه.

القلب: و هو كوكب أحمر يُرى سَمَى القلب لأنّه فى قلب العقرب، و أوّل النَّتاج بالباده

عند طلوع العقرب، و طلوع النسر الواقع و يسميان الهرايين لهريير الشتاء عند طلوعهما و نوؤها ليله، ثم يستحسنونها قال:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنه سواء عليكم بالتحوس و بالسعد

(و القلوب) أربعة (قلب العقرب) و (قلب الأسد) و (قلب الثور) و هو الدبران و (قلب الحوت).

الشولة (١) و سميت بذلك لأنها ذنب العقرب. و ذنب العقرب شائل أبدا، و أهل الحجاز يسمون الشولة الإبره، و بعدها إبره العقرب و هي سميت فقر يجعلون كل كوكب فقره، و السابعة الإبره. و المجزّه تسلك بين قلب العقرب و بين النعائم فتقطع نظام المنازل فى هذا الموضع. و فى موضع آخر و هو ما بين الهقعه و الهنعه فإنها تسلك بينهما، فتعرض نظام المنازل اعتراضا، و هاهنا تقطع القمر و سائر الكواكب الجاربه فى المجزّه، و ذلك حين تنحدر عن غايه تواليا إلى ذروه القبه فتأخذ فى الهبوط، فأما قطعها إياها عند السيقوط فذلك حين يبتدئ الصيعود بعد غايه الهبوط، و يسمي الشولة شوله الصوره و هي منغمسه فى المجزّه فإذا لم يعدل القمر عن منزله قيل: كالح القمر مكالحه. و معنى شال ارتفع، و يقال:

ناقه شائله إذا ارتفع لبنها. و جمعها شؤل و ناقه شائل: إذا شالت بذنبها و جمعها شؤل و أنشد:

كأن فى أذناهنّ الشؤل من عبس الصيف قرون الأيل

و نوؤها ثلاث ليال و هي كوكبان مضيئان.

النعائم (٢) و هي ثمانية كواكب (أربعة) منها فى المجزّه تسمى الوارده لأنها شرعت فى المجزّه كأنها تشرب (و أربعة) خارجه منها تسمى الصادره و إنما سميت نعائم تشبها بالخشبات التى تكون على البئر، أو تحت مظله الرثيه فكأنها أربع كذا و أربع كذا كما قال:

لأظّل فى يدها إلا نعامتها منها حريم و منها قائم باق

و نوؤها ليله.

البلده و هي فرجه بين النعائم - و بين سعد الدابح - و هو موضع خال ليس فيه كوكب، و إنما سميت بلده تشبها بالفرجه التى تكون بين الحاجبين اللذين هما غير مقرونين و يقال:

١- فى الجواهر منزل تاسع عشر للقمر، ١٢ القاضى محمد شريف الدين الحنفى.

٢- فى الجواهر منزل العشرين للقمر، ١٢ محمد شريف الدين عفا عنه.

رجل أبلد إذا افترق حاجباه، و نوؤها ثلاث ليال و قيل ليله.

سعد الذابح و سَمَى بذلك لكوكب بين يديه يقال هو شاته التي تذبح و نوؤه ليله.

و أنشد:

ظعائن شمس قريح الخريف من الفرغ و الأنجم الذابحه

سعد بلع سَمَى بذلك لأن الذابح معه كوكب بمنزله شاته و هذا لا كوكب معه فكأنه قد بلع شاته. و قال بعضهم: سَمَى بلع لأن صورته صورته فم فتح ليلع. و قال غيره: بل لأنه طلع حين قال الله تعالى: يا أرض ابلعي ماءك [سوره هود، الآية: ٤٤] كأن انكشاف ذلك الطوفان في يومه و نوؤه ليله.

سعد السعود (١) و سَمَى بذلك لأن في وقت طلوعه ابتداء ما به يعيشون و تعيش مواشيهم و نوؤها ليله و قيل: إن السعد منها في واحد و هو نهارها و أنشد:

و لكن بنجمك سعد السعود طبقت أرضي غيثا درورا

سعد الأخيه (٢) و سَمَى بذلك لكوكب في كواكبها على صورته الخباء و قيل: بل لأنه يطلع في قبل الدفء فيخرج من الهوام ما كان مختبئا، و نوؤه ليله و ليس بمحمود.

فرغ الدلو المقدم (٣) و يقال: الأعلى، و بعضهم يقول: عرقوه الدلو العليا و عرقوه الدلو السفلى. و ذكر بعضهم: إنما سَمَى فرغ الدلو لأن في وقت الأمطار تأتي كثيرا فكأنه فرغ دلو و هو مصب مائها. و قال بعضهم: إنما سَمَى بالعرقوه و الفرغ تشبها بعراقى الدلو، لأنها على هيئة الصليب و نوؤه ثلاث ليال، و أنشد في خريف:

سقاء نوء من الدلو تدلى و لم يوار العراقى

و أنشد:

يا أرضنا هذا أوان تحيين قد طال ما حرمت بين الفرغين

و يقال للفرغ الناهز و هو الذى يحرك الدلو لتملئ.

١- فى جواهر الحائق هو منزل الرابع و العشرين للقمر، و سَمَى متن الفرس.

٢- و فيه هو منزل الخامس و العشرين للقمر و سَمَى جناح الفرس ١٢.

٣- منزل السادس و العشرين للقمر و سَمَى جناح الفرس - شريف الدين.

فرغ الدلو المؤخر(١): و نوؤه أربع ليال و هو محمود.

الزشا: و هو السيمكه و يقال: بطن السيمكه و قلب الحوت و يقال لما بين المنازل الفرج. فإذا قصر القمر عن منزله و اقتحم التي قبلها نزل بالفرجه و يستحسنون ذلك إلا الفرجه التي بين الثريا و الدبران، فإنهم يكرهونها و يستنحسونها و يقال لها الضيقه. قال:

فهلّا زجرت الطير ليله جتته لضيقه بين النجم و الدبران

الشرطان(٢): و سمى بذلك لأنهما كالعلامتين أى سقوطهما علامه ابتداء المطر، و الشرط العلامه و لهذا قيل لأصحاب السلطان: الشرط لأنهم يلبسون السواد كأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها و يقال: شرطى فى كذا و يقال: إنهما قرنا الحمل، و هما أول نجوم فصل الربيع، و نوؤه ثلاثه أيام و هو محمود غزير.

البطين(٣) و سمى بذلك لأنه بطن الحمل و نوؤه ثلاث ليال و هو شر الأنواء و أنزرها و قلما أصابهم إلا أخطأهم نوء الثريا.

الثريا(٤) و يسمى النجم و النظم و هو تصغير ثروى من الكثره و قيل: سميت بذلك لأن مطرها يثرى و يقال: ثرى و نوؤها خمس ليال غير محمود.

الدبران(٥) و يسمى التابع و الثانى و التبع و حارك النجم و سمى الدبران لأنه دبر الثريا أى صار خلفها، و يسمى المجدح و المجدح حكاهما الشيبانى و قال الأموى هو المجدح و نوؤه ثلاث ليال و قيل: بل هو ليله و هو غير محمود.

و قد فسّر بعضهم ورد القطاه إذا استمال التبع على أنه الدبران و مما يحكى عنهم من كلامهم: كان كذا حين خفق المجدح يعنونه. و قال بعضهم: إنميا قال: مجدح إذا اتصل نوؤه بنوء الثريا فغزر و يقولون: سقيت بمجاديح السماء و أرسلت السماء مجاديح الغيث.

فإن قيل: أ تقول لكل ما دبر كوكب الدبران؟ قلت: لا أقول ذلك لأنه قد يختص الشىء من بين جنسه بالاسم حتى يصير علما له، و إن كان المعنى يعم الجمع على ذلك قولهم التابعه فى الجعدى و الذيبانى و ابن عباس فى عبد الله و أنشد:

١- قال فى جواهر الحقائق منزل السابع و العشرين للقمر، و يسمى بطن الحوت.

٢- الشرطين منزل أول للقمر ١٢.

٣- و فيه أيضا البطين منزل الثانى للقمر.

٤- المنزل الثالث.

٥- المنزل الرابع للقمر ١٢ القاضى محمد شريف الدين.

وردن اعتسافا و الثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق

يدف على آثارها دبرانها فلا هو مسبوق ولا هو يلحق

الهقعه (١) و سميت بذلك تشبيها بهقعه الدابة: و هي دائرة تكون على رجل الفارس في جنب، و يقال فرس مهقوع و كانوا يتشاءمون بها و هي ثلاثة كواكب تسمى رأس الجوزاء، و نوؤه ست ليال، و لا يذكر نوءها إلا بنوء الجوزاء و هي غزيره المذكوره و تسمى الأثافي لأنها ثلاثة صغار متعينة. و قال ابن عباس لرجل طلق امرأته عدد نجوم السماء يكفيك منها هقعه الجوزاء. و هي ثلاث.

الهنع (٢) و هي منكب الجوزاء الأيسر و سميت بذلك الأيسر من قولهم: هنعت الشيء إذا عطفته و ثبت بعضه على بعض فكأن كل واحد منهم منعطف على صاحبه. و منه الهنع في العنق، و هو النواء و قصر و نوؤها لا يذكر و هو ثلاث ليال إنما يكون في أنواع الجوزاء، و يقال: سميت الهنع لتقاصرهما من الهقعه و الذراع المبسوطة و هي بينهما منحطه عنهما، و يقال: أكمه هنعاء إذا كانت قصيره و تهنع الطائر الطويل العنق مقاصره عن عنقه.

الذراع: ذراع الأسد و له ذراعان مقبوضه و مبسوطة و نوؤها خمس ليال و قيل ثلاث ليال، و هو أقل أنواع الأسد محمود غزير. و المقبوضه هي اليسرى سميت مقبوضه لتقدم الأخرى عليها، و هي الجنوبيه و بها ينزل القمر و كل صوره من نظم الكواكب، فميامنها مما يلي الشمال، و مياسرها مما يلي الجنوب لأنها تطلع بصدورها ناظره إلى المغارب فالشمال على أيمنها، و الجنوب على أيسرها و قد فهم ذلك القائل، و النجوم التي تتابع بالليل وقتها ذات اليمين ازورار و إنما ازورارها على أيمنها إطفاه منها بالقطب لذلك قال:

و عاندت الثريا بعد هدم معانده لها العيوق جار

و أحد: كوكبي الذراع الغميصاء و هي التي تقابل العبور و المجزّه بينهما. قال أبو عمر:

و هي الغميصاء و الغموص و قد يكبر فيقال: الغمصاء و يقال لكوكبها الآخر الشمالي المرزم، مرزم الذراع و الآخر في الجوزاء قال:

و نائحه صوتها رابع بعثت إذا خنق المرزم

و يروى إذا ارتفع المرزم. و مرزم الجوزاء لا نوء له، و قد ذكر بالنوء على سبيل الشعريين قال:

١- الهقعه: المنزل الخامس للقمر.

٢- الهنع: المنزل السادس للقمر - شريف.

جری راحتاک جری المرزمین متی تنجدا بنو لی ثغور

و من أحاديثهم: كان سهيل و الشعريان مجتمعاه، فأنحدر سهيل فصار يمانيا و تبعته العبور عبرت إليه المجره، و أقامت الغميصاء، فبكت لفقده سهيل حتى غمصت و الغمص في العين نقص و ضعف.

الثَّره: و هي ثلاثه كواكب و سميت الثَّره لأنها مخطه يخطها الأسد كأنها قطعه سحاب، و يقولون: بسط الأسد ذراعيه ثم نثر و يجوز أن تكون سميت بذلك لأنها كأنها من سحاب قد نثر و الثَّره الأنف و نوؤها سبع ليال.

الطرف: سميت بذلك لأنهما عينا الأسد و يقال: طرف فلان أى رفع طرفه فنظر.

قال: إذا ما بدا من آخر الليل يطرف و نوؤه ثلاث ليال.

الجبهه: جبهه الأسد و نوؤه محمود سبع ليال، و يقولون: لو لا نوء الجبهه ما كانت للعرب إبل.

الزَّبره: زبره الأسد أى كاهله، و قيل: زبرته شعره الذى يزبر عند الغضب فى قفاه أى ينتعش، و هذا ليس بصحيح، لأنَّ ازبأر من الزباعى و الزَّبره من الثلاثى و سميت الخراتان من الخرت، و هو الثقب كأنهما تنخرتان إلى جوف الأسد و هذا غلط لأنَّ رأى العين يدر كهما فى موضع زبره الأسد. و نوؤها أربع ليال.

الصَّرفه: و سميت بذلك لأنَّ البرد ينصرف بسقوطها، و قيل: أرادوا صرف الأسد رأسه من قبل ظهره، و يقال: الصَّرفه ناب الدَّهر؛ لأنها تفتَّر عن فصل الزَّمان، و أيام العجوز فى نوئها، و هو ثلاث ليال، و حكى عن بعض الأعراب أنه قال: الخراتان مع الأسد تجريان معه و ليستا منه. قال: و معنى قول الشَّاعر:

إذا رأيت أنجما من الأسد جبهه أو الخراء و الكتد

و إن رأيت الخراء من غير أن يكون جعلها شيئا من خلقه، ثم قال و الكتد فرجع إلى ذكر ما هو من خلقه فهذه المنازل.

فصل فى بيان الكواكب السبعه

و أمَّا التَّجوم الخنَّس الجوارى الكنَّس: فمعنى الخنَّس أنها تخنَّس أى ترجع و معنى الكنَّس أنها فى بروجها كالوحش تأوى إلى كنسها، و هي سبعة مع الشَّمس و القمر سياره غير أنَّ بعضها أبطأ سيرا من البعض، فكلَّ ما كان فوق الشَّمس فهو أبطأ من الشَّمس، و ما كان

دون الشمس فهو أسرع من الشمس بينا ترى أحدها آخر البروج كز راجعا إلى أوله، و لذلك لا ترى الزهره فى وسط السماء أبدا و إنما تراها بين يدى الشمس أو خلفها، و ذلك أنها أسرع من الشمس، فتستقيم فى سيرها حتى تجاوز الشمس، و تصير من ورائها، فإذا تباعدت عنها ظهرت بالعشاء فى المغرب فترى كذلك حيناً ثم تكرر راجعه نحو الشمس حتى تجاوزها فتصير بين يديها، فتظهر حينئذ فى الشرق بالغدوات. و هكذا هى أبدا، فمتى ما ظهرت فى المغرب فهى مستقيمه، و متى ما ظهرت فى المشرق فهى راجعه و كل شىء استمر ثم انقبض: فقد خنس، كما أن كل شىء استتر فقد كنس.

زحل(١): و اشتقاقه من زحل مزحلا- إذا بعد، و يقال: زحلت الناقه إذا تباطأت فى سيرها و تأخرت و هو معدول عن زاحل و زاحل معرفه.

المشترى(٢) و هو من شرى البرق إذا استطار لمعانا، و يقال: شرى و شرى و منه استشرى غيظا و يقال: شرى يشرى إذا لج و تشدد و منه سميت الشراه لتشددهم فى الدين.

و قال بعضهم: إنما تسموا بالشراه ذهابا إلى قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ [سوره التوبه، الآية: ١١١].

المريخ(٣): فقيل من المرخ كأنه يورى نارا لأن المرخ شجر سريع الورى و من أمثالهم: فى كل شجر نار. و استمجد المرخ و العفار، و يجوز أن يكون سمى به لبعده مذهبه، و منه المريخ السهم الخفيف الربع قذذ يجعل للغلاء و هو بعد الرمى و يقال: هو من غلوه السهم.

الشمس(٤): قال الخليل: الشمس عين الضح. و به سميت معاليق القلاده و قيل هو من المشامسه لأنها نحس فى المقارنه و إن كانت سعدا فى النظر و منه شمس لى فلان إذا ظهرت عداوته.

- ١- قال صاحب الجواهر: مده دوره حول الشمس مره فى عشره آلاف و سبع مائه و تسع و خمسين يوما و ساعتين.
- ٢- و فيه أيضا مده دور المشترى حول الشمس مره فى أربعه آلاف و ثلاث مائه و اثنتين و ثلاثين يوما و أربع عشره ساعه.
- ٣- فى الجواهر دور المريخ حول الشمس مره فى ست و ثمانين يوما و ثلاث و عشرين ساعه. ١٢ القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

٤- فى جواهر الحقائق قطر الشمس (٨٨٣٢٤٦) ميلا. ١٢.

الزَّهْرَة (١): بفتح الهاء من الشىء الزَّاهِر، و يكون من الحسن و البياض جميعا. و الزَّهْر تَلَأُو الشَّمْس. و منه قولهم: زهرت بك زنادى.

عطارد (٢): من الاضطراب: لأنه فى مرأى العين كأنه يرقص و هو من قولهم: شاء عطرد أى بعيد و كذلك سفر عطرد، و يجوز أن يكون سمى به لأنه لا يفارق الشَّمْس فكأنه عدّه لها، و العطرده العده يقال: عطرد هذا عندك، أى عدّه.

القمر: من القمره و هى البياض، و يقال: تقمرت الشىء إذا طلبته فى القمراء. و قال أحمد بن يحيى: إنّما سمى القمر (سهورا) لأنه يخسف بالسَّاهِره، و السَّاهِره الأرض، قال الله تعالى: فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ [سوره النازعات، الآية: ١٤] أى أرض القيامه، و ذلك أنّ القمر خسوفه بظل الأرض و حجزها بينه و بين الشَّمْس. و قال قطرب: بهور القمر علّوه فى الظهور و أنشد:

إذ فارس الميمون يتبعهم كالطلق يتبع ليله البهر

(و الكوكب الدّرّى) منسوب إلى الدّر لضيائه، و إن كانت الكواكب أكثر ضوءا من الدّر كأنه يراد: يفضل الكواكب لضيائه كما تفضل الدّر سائر الحب و درى بلا همزه و بكسر أوّله حملا على وسطه و آخره لأنه تثقل عليهم ضمه بعدها كسره. و ما آن كما قيل كرسى فى الكرسى و درى فليل من النجوم الدّرارى التى تدرأ: أى ينحط و يسير متدافعا. يقال: درأ الكوكب إذا تدافع منقضا فيضعف ضوءه و لا يجوز أن يضم الدال و يهمز، لأنه ليس فى الكلام فعيل.

و مثال: درى فعلى منسوبا إلى الدّر و يقال: درأ بضوئه يدرأ درأ و دروا و درأت له بساطا: أى بسطته، و يجوز درى إذا جعلته منسوبا إلى إندر، فيلحقه تغير النسبه، لأنّ النسبه تغير لها الكلمه كثيرا، و يقال: كسفت الشَّمْس و كسفها الله و خسف القمر و خسفه الله، و طلعت الشَّمْس، و نجم النجم و غربت الشَّمْس و صغا القمر و خفق النجم و صغا أيضا، و يقال: تعرّضت الثريا فى السماء: إذا زالت عن كبد السماء إلى ناحيه المغرب، و جنحت الثريا قال:

و أيدى الثريا جنح فى المغارب. و قال آخر:

و كأنّ غاليه تباشرها بين الثياب إذا صغا النجم

١- فى الجواهر دور الزَّهْره حول الشَّمْس فى مائتين و أربع و عشرين يوما و سبع عشره ساعه.

٢- دور عطارد حول الشَّمْس سبع و ثمانين يوما و ثلاث و عشرين ساعه.

الباب التاسع عشر فى أقطاع الليل - و طوائفه - و ما يتصل به و يجرى مجراه

قال يعقوب: يقال: فعلته أوّل الليل و هو من عند غيوبه الشمس إلى العتمه و العشاء من صلاه المغرب إلى العتمه، و يقال: أتيته ظلاما و عشاء و بعد عشوه من الليل، و العتمه:

وقت صلاه العشاء الآخره.

قال الخليل: العتمه و يقال العتمه بسكون التاء: الثلث الأوّل من الليل بعد غيوبه الشفق، و له قبل صلاه العتمه، و العتوام التى تحلب فى تلك الساعه، و إنّما سمّوها العتمه من استعتام نعمها، و يقال: حلبناها عتمه و عتمه و العتمه بقيه اللبن يغبق به تلك الساعه يقال: أفاقت النّاقه إذا جاء وقت حلبها، و قد حلبت قبل ذلك.

و قال الأصمعيّ: عتم يعتم إذا احتبس عن فعل الشىء يريد و قد عتم قراه و أعتمه و إنّ قراه لعاتم أى بطن محتبس، و صف عاتم، و عتم أورد إبله فى تلك الساعه و أعتم صار فيها.

قال أوس: أخو شركى الورد غير معتمّ.

و حكى ابن الأعرابى: قالت الينمه: أنا الينمه أعقب الصبى قبل العتمه، و أكبّ التّمال فوق الأكمه. و الينمه: بقله تشبه الباذروح، قال: و كلّما كثرت رغوّه اللبن كان أطيب لبنا من المضارع، يقول دزى يتعجل للصبى و ذلك أنّ الصبى لا يصبر و المراعى أطيب، و أمّيا فوره العشاء فعند العتمه، يقال: أتيته فوره العشاء و عند فوره العشاء، و إنّما هو من فار الظلام إذا علا و ارتفع. أبو عبيده: أتيته ملس الظلام أى حين يختلط الظلام بالأرض، و ذلك عند صلاه العشاء و بعدها شيئا، و فعلته عند ملس الظلام، و هو مثل الملت، و عند غلس الظلام أيضا، و دمسه و جنحه و غسقه. و أتيته فى غسق الليل، و حين غسق الليل أى فى اختلاط و حين اختلط. ثم الشّميظ و هو مشبه بالشّيب لبياض الفجر فى سواد الليل كالشّيب فى الشعر الأسود، و يقال: غسق يغسقا و غسقا. قال تعالى: وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ [سوره الفلق، الآية: ٣].

و قال كعب: حتّى إذا ذهب الظلام و الغسق. و يقال: تحندس الليل من الحندس و هو شدّه سواد الليل و ظلمته، و الجمع حنادس و حناديس. قال: و أدركت منه بهيما حندسا، و ليله مدلهّمه و ملطخّمه و خداريه. و قالوا: القتره: الظلمه مع الغبار، و فى القرآن: تَزَهَّقُهَا قَتْرَةٌ [سوره عبس، الآية: ٤١] و يقال: مضى جرس من الليل بالسين غير معجمه، و الجميع أجراس و جروس قال:

حتّى إذا ما بركت بجرس أخذت عشيّ و نفعت نفسى

و مضى عنك من الليل، و عنك و الجميع أعناك قال:

فقاموا كسالى يلمسون و خلفهم من الليل عنك كالتعامه أفعس

أى طال، و انحنى: أفعس.

قال يعقوب: و سمعت أبا عمرو يقول: العنك ثلث الليل الباقي، و أعطيه عنكا من مال أى قطعه، و يقال: سجا الليل و أسجى، قال تعالى: وَ الضُّحَى وَ اللَّيْلُ إِذَا سَجَى [سوره الضُّحَى، الآية: ١-٢]. و يقال: يوم أسجى، و ليله سجواء، و هى اللينه الساكنه، و بعير أسجى، و ناقه سجواء أدمه، و يقال: مضى ملّى من الليل و الجميع أملاء، و مضى هدى و الجمع هدوء، و مضى بضع من الليل، و هنىء من الليل: قطعه، و مضى هزيع من الليل أى ساعه و الجميع هزع. و قال بعضهم: الهزيع من الليل التّصف، و يقال: اهتزعوا أى خرجوا بهزيع من الليل. و جرش من الليل بالشّين المعجمه.

قال يعقوب: و حكى الفراء: جئته بعد جوش من الليل، و جوشن من الليل. قال إذ الدّيك فى جوشن من الليل أطر. و قال بعضهم: الجوشن: وسط الليل. قال ذو الرمه:

تلوم نهباه بياه و قد مضى من الليل جوش و اسبطرت كواكبه

و قال ابن أحمّر شعرا:

يضىء صبيرها فى ذى حىّ جواش ليلها بينا فينا

أى قطعه من الأرض بعد قطعه، و قال: جواش هذا الليل كى يتمّولا. و بقيت جهمه من الليل، و جهمه أيضا، و الجهمه: بقيه من سواد الليل فى آخره. قال الأسود شعرا:

و قهوه صهباء باكرتها بجهمه و الدّيك لم يتعب

و حكى: جهنه من الليل بالنون، و قال بعض أهل اللّغه: جهينه اسم الخمره منها يشق. و قال بعضهم: الجهمه السّحر. و حكى أبو حاتم، و الهجمه لغه فيها الهاء قبل الجيم و الفعل عنها اجتمه و اهتجم و اجتهن، و مضى وسع من الليل يكون من أوّله إلى ثلثه

ربعه. و جوز من اللّيل أى نصف من اللّيل، و الجميع: أجواز، و قال: التّضرّ جوز اللّيل:

وسطه. و يقال: انطلقنا فحمه العشاء، و الجميع فحمت أى فى أوّل الظّلمه. و قال بعضهم:

فحمه العشاء شدّه الظّلمه، و يقال: فحموا من اللّيل أى لا تسيروا فى أوّل اللّيل حتى تذهب فحمته، و أفحموا أيضا و كأنّه مأخوذ من الفحم.

و قال ابن الأعرابى: الفحمه ما بين غروب الشّمس إلى نوم النّاس، سمّيت فحمه لحرّها و أوّل اللّيل أحرّ من الآخر. قال: و لا تكون الفحمه فى الشّتاء و ذلك لأنّه لا حرّ فيفحمهم، و إنّما يفحمون ليكن الحر عنهم فيسيرون ليلتهم و قيل: فحمه العشاء من لدن المغرب إلى العشاء الآخره.

و قال أبو صالح الفزارى: فحمه العشاء: من لدن العشاء إلى نصف اللّيل، يقال:

أفحم القوم إذا أناخوا فحمه اللّيل. و جاءنا بعد هجعه من اللّيل أى نومه، و مضت جزعه من اللّيل أى ساعه من أوّله، و صبه من اللّيل نحو جزعه و كما استعمالا فى أوّل اللّيل استعمالا فى آخره أيضا فقل: بقيت جزعه من اللّيل و بقيت صبه من اللّيل.

و حكى التّضرّ: أتيتّه بسدّفه من اللّيل. و مضى طبق من اللّيل: أى هوى منه و جاء بسحره بدهمه. و جاء سحيرا: أى فى آخر اللّيل و جاء بأعلى سحرين أى: بالسّحر الأعلى.

قال الدّردي: العرب تقول: جئتك بالسّحر بالألف و اللّام، و جئتك بسحر و بسحره، و بأعلى السحرين، و جئتك سحر، و لم يتّونوا فيقولون: سحرا أصلا، و الكلام فى هذا و أشباهه قد مضى مستقصى.

و حكى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال: ليس فى كلام العرب: أتانا سحرا إنّما يقولون: أتانا بسحر. و يقول: جئتك تنفس الصّبح أى عند أوّله. و فى القرآن: وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [سوره التكوير، الآية: ١٨] و قد جسر الصّبح يجسر جشورا أى: بدا لك. و منه سمّيت الجاشريه للشّريه عند الصّبح، و يقال: جئتك فى غبش اللّيل و الغبش حين تصبح.

قال: منظور الأسدى:

موقع كفى راهب يصلّى فى غبش اللّيل أو التّثلى

و قيل الغبش: بقيه لم يفضحها نهار، قبيل الفجر، و يقال: أتيتّه بغبش من اللّيل، و يقال: غبش اللّيل و أغبش. و غطش و أغطش، فأما العسّس و العسّسه فهما تنفس الصّبح، و قالوا: عسّس اللّيل عسّسه إذا أظلم.

و قال بعضهم: عسّس ولى فهذا من الأضداد، و هو قول ابن عباس قال: عسّس:

أدبر. و قال علقمه بن قرط:

حَتَّى إِذَا لِلصَّبْحِ لَنَا تَنَفَّسًا وَانجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَ عَسَعَسَا

و قال آخر:

وردت بأفراس عتاق و قتبتهقوارط فى أعجاز ليل معسوس

كأنه أراد هاهنا الظلمه، و مثله فى المعنى:

قواربا من غير دجن نسامدّرعات اللّيل لَمَّا عَسَعَسَا

و البلجه: فى آخر اللّيل عند الصّبح، و التّنوير: عند الصّلاه قال:

طال ليلي أراقب التّنوير أرقب الصّبح بالصّباح بصيرا

قال التّنصر: جئته بعد ما مضى و هن من اللّيل أى ساعه، و بعد هده من اللّيل. و قال بعضهم: الموهن حين يدبر اللّيل. و أوهن الرّجل: صار فى تلك الساعه. و بعد هدأه من اللّيل و بعد ما هدأت الرّجل. و بعد ما هدأت العيون، و قالوا: تعجس من اللّيل و هو الفريغ و السِّعواء بعد الوهن، قال: و قد مال سعواء من اللّيل أعوج. و يقال: مضى هيتاء من اللّيل، و قطع. قال: سرت تحت إقطاع من اللّيل ظلتى. و السّاعه الطّويله ملاء، و يقال: أتيت غطشا و يغطش. و مضى سبج من اللّيل أى: قريب من وسطه و نصفه. أبو زيد: مضى اللّيل عشوه و هو ما بين أوّل اللّيل إلى ربهه. الكسائى: مضى سعو من اللّيل و سعواء من اللّيل أى:

ساعه. و مضى هتأ من اللّيل، و حكى الأحمر: هتى و هتأ من اللّيل.

و حكى قطرب و غيره: ذهب هيتاء من اللّيل، و يقال: ما بقى إلا- هتأ عن غنمهم أو إبلهم، و هو الأوّل من الأقل من الباقي أو الذّاهب. و يقال: مضى دهل من اللّيل أى صدر، و أنشد لأبى هجيمه شعرا:

مضى من اللّيل دهل و هى واحده كأنّها طائر بالدّود مذعور

و يقال: مضى مهواء من اللّيل أى طائفه منه. و مضى مهوان من اللّيل: أى هوى منه.

و يقال فى واحد الإناء من قول الله تعالى: آناء اللّيل* [سوره آل عمران، الآية: ١١٣] مضى آنى و آنى و إنى و إنى. قال الهذلى شعرا:

حلو و مر كعطف القدح مرته فى كلّ آنى قضاه اللّيل ينقل

و يقال: تصبب اللّيل و هو أن يذهب إلّا قليلا. و فعلته عند تصبب اللّيل. و كذلك أبهار اللّيل إذا ذهب عامته. و بقي نحو من ثلثه. قال الأصمعيّ: أبهار اللّيل انتصف.

و البهره: الوسط من كل شىء. و بهره الصدر ما ضمّ الصدر من الزور و جمعها بهر. و قيل:

ابهيراره طلوع نجمه، و ذهاب فحمته، حتى بهرت نجومه سواده. و الشفق بقيه ضوء الشمس و حمرتها من أول إلى قريب من العتمه، و يقال: فعلته عند غيوبه الشفق، و هما شفقان من أول الليل كما أنّ الفجر فجران من آخر الليل. و الهبه الساعه يبقى من الشجر و يقال: ثرنا بهبه من الليل. قال أبو نصر حكاية عن الأصمعيّ: الفجر أول ضوء تراه من الشمس في آخر الليل كما أنّ الشفق آخر ضوء منها في أول الليل. و يقال: فجر الصّبح يفجر أو فعلت هذا حين انفجر الصّبح و انفلق. و سطع سطوعا و الشاطع أسنى من الطالع. يقال: أدلجنا عند الفلق و الفرق، و عند الانفلاق، و فى القرآن: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [سوره الفلق، الآية: ١].

و قال قطرب: تميم تقول: فرق الصّبح، و غيرهم فلق الصّبح، و الفلق أيضا الطريق بين الجبلين، و ناشئه الليل: ما ينشأ منه، و من ذلك قولهم: غلام ناشئ و نشأت سحابه، و فى القرآن: إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً [سوره المزمل، الآية: ٦] أى أشد مكابره، و من قرأها و طاء أى مواطأه من قولك تواطأ القوم: إذا اجتمعوا على أمر كان أحدهم يطاء حيث يطاء صاحبه. و النّشيه مثل النّاشئه، و يقال فى الجاربه: نشيه أيضا أحوالها فى النّشاء و النّشيه أيضا حجر يكون على الحوض من قوله: هرقناه فى بادى النّشيه داثر. و عمود الصّبح نفسه.

و الصّديع الصّبح. قال: كأنّ بياض لثبته صديع. و إيضاح الفجر و إيضاحه إضاءته و استنارته.

و أصله: الانشقاق و منه: انضاحت العصا أى انشقت، و أدلجنا ببلجه أى سرنا بسدف قبل طلوع الفجر، و تبلج الصّبح و انبلج، و فى المثل تبلج الصّبح لذى عينين، و جئتك عند البهر، أى حين بهر الصّبح ضوء القمر، و يقال: قمر باهر و أنشد:

و قد بهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمر

و الأسفار أن يرى موقع النّبل، و يقال: أتيته فى سفر الصّبح و الفجر، و أتيته سحريه.

و يقال: وردت الماء بالغطاط أى: قبل طلوع الفجر. و فعلت كذا عجيس الليل و عجساء الليل، و عجبس الليل أى آخر الليل. و منه قيل: تعجس عن كذا أى تحبس و تأخر. و يقال:

جئتك غلسا و جئتك جنح الليل، و قد جنح جنوحا. و جئتك عند تهوّر الليل و توهره. و ذلك إذا مضى إلّا قليلا. و التهور فى الليل: كالمثل و التّشبيه. قال يعقوب: مضت قويهه من الليل، أى قطعه و هذا من قولهم: قوه الصّيد إذا جاشه إلى مكان. و مضى سهوا من الليل:

أى بعد ما مضى صدره، و أصله الانبساط و الاتساع، و منه السهوه الصّفه. و السّاهيه ما اتّسع و استطال من غير حمر برد العين. و الزويه الطائفه من الليل. و قالوا: الصّيريم أول الليل و آخره جميعا لأنّه من الأضداد. و قال بعضهم: إنّما وقع عليهما لأنّه اسم لما يتصرّم من كلّ واحد منهما عن صاحبه قال:

فلما انجلى عنها الصّريم و أبصرت هجانا تسامى اللّيل أبيض معلما

و قال آخر:

علام تقول عاذلتى بلوم يؤرّقنى إذا انجاب الصّريم

و الدّيسق: النّور و البياض و يقال: انشقّ الصّبح عن ريحانه الفجر أى نسيمه. و يقال:

صبح مكذب و هو عجز اللّيل أى آخره، و ذلك إذا نهض بياض فى عجز اللّيل ثم ينمحي و يندجى عجز اللّيل، ثم يمهل ساعه، ثم يظهر شमित الصّبح و هو بياض فى سواد آخر اللّيل، و ذلك الصّبح المسدف و قال أبو ذؤيب:

شغف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا ترى الصّبح المصدق يفرع

و الخيط الأسود هو عجز اللّيل ثم يشق خيط اللّيل عن خيط النّهار، فيقال: هذا خيط الصّبح و فى القرآن: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ [سوره البقره، الآيه: ١٨٧] و من ذلك قول الرّاجز: (مّرت بأعلى سحرين تذال) و أعلى سحرين هو قبل الصّبح. أبو حاتم يقال: قد شقّ الصّبح - و صدع - و سطع - و انفلق - و تنفس - و جشا - و جش - و ذلك إذا طلع و وضح، و يقال: شقّ حاجب الصّبح، و إذا طلع حاجبه و هو أوله فذلك تبشير الصّبح، و يقال: أذن الصّبح و منادى الصّبح و هما الصّبح بعينه. و بعضهم يقول: بل هو الطائر إذا نطق لا بان الصّبح و الصّبح - و الفجر - و الصّريم واحد و يقال كشط اللّيل عنا غطاءه - و رفع اللّيل عنا اكتنافه. و الاهتجام من آخر اللّيل. و قال بعضهم: هى الهجمه. و قال بعضهم: الجهمه الجيم قبل الهاء، و ذلك الاجتهام و الجهمه و العسجه سواء و هما من السّحر. و يقال: أتيته بأغباش السّواد - و الواحد غباش قبيل الصّبح - قال ذو الرّمه:

أغباش ليل تمام كأنّ طارقه تطخطحخ الغيم حتى ماله جوب

و قال ابن الأعرابى: علباء مضر تقول ولدته لتمام، فتفتح التاء و تميم تكسر، و يقال:

فى كل لغه ليل التمام بالكسر، و ذكر الأصمعى أنّه لا يكسر التاء إلا فى الحمل و اللّيل، و عقب اللّيل بقايا آخره و يقال: أتيته و قد بقيت علينا عقب من اللّيل - و أفرط اللّيل أول تباشيره، و الواحد فرط، و منه الفارط الذى سبق القوم إلى الماء فأما قول الهمدانى:

إذا اللّيل دجى و استقلّت نجومه و صاح من الإفراط هام جواثم

فقد اختلفوا فيه فقال بعضهم: إفراط الصّبح: لأنّ الهام إذا أحس بالصّباح صرخ.

و قال غيره: الفرط العلم المستقدم من أعلى الأرض، الذى يكون شرعا بين أحياء فمن سبق إليه كان له. و ذكر قطرب: يقال لما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سجسج. و من الزوال إلى العصر يقال له: الهاجره. و من العصر إلى الأصيل: غروب الشمس، و يقال العشى. ثم هو القصر و العصر إلى تطفيل الشمس و هو الطفل. و الجنوح: إذا جنحت الشمس للمغيب. ثم الليل من وقت غروبها إلى انتصاف الليل. الجنح ثم السدف و الملس و الملت و أتيته بمسى الليله أى عند المساء، و أتيته ممسيا و مساء. و حكى الفراء: أتيته ممسى خامسه و مسى خامسه و مساء خامسه، و حين ألقى الليل علينا رواقه و كنفه، و حين ألقى علينا سدوله و سدوره و سقطيه و جلبابه، و دخلنا فى جنان الليل و هو ما وراء ك. و قال:

جنان المسلمين أو دميساو إن جاورت أسلم أو غفارا

و أسطمه الليل وسطه، و كذلك أسطمه القوم و البحر للوسط، و الأكثر، و يقال: اصطم بغيرها، و سوق الليل ما دخل فيه و صم من شىء. و فى القرآن: وَ اللَّيْلُ وَ مَا وَسَقَ [سوره الانشقاق، الآية: ١٧] و يقال: أتانا حين هدأت القدم، و حين هدا السامر، و جتتك بغطاش من الليل. قال أبو حاتم: هو من قوله تعالى: وَ أَعْطَشَ لَيْلَهَا [سوره النازعات، الآية: ٢٩] و ثبح الليل و حومته و لجه معظمه.

و حكى الدرریدی: خرجنا بدلجه- و دلجه- و بلجه- و بلجه- و سدفة- و سدفة- و يقال:

دبر- و أدبر- و قبل النهار- و أقبل- و حكى أبو عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يقال هو الليل- و الأيهم- و السيد- و الأيهم- و الجمير- و الأعمى- و الأدهم- قال: و من نعوته و نعوت ظلمته: الغاضى- و المغضى- و الأسود- و الأدلم- و الأخضر- و الأصبغ- و الأقتم- و الأكلف- و البهيم- و الديجور- و الدجوجى- و الغيب- و المخم- و أطلس- و أطحل- و الأسجع- و الساجى- و الغيهبان- و الحذارى- و الحنيس- و الأغضف- و الأغلف- و الأغطش- و الغاسق- و الكافر- و العافى- و الزويزى- و السمر- و الأغم- و الأسهم- و الساهم- و الأحلس- و الأغدف- و المغدف.

و من أسمائه: الغشى- و الأروق- و الأخطب- و الألمى- و الأحوى- و المدلهم- و الأحم- و الغاطى- و الجان- و المنخب- و الأقوس- و الجول- و العمس- و العكاس و العكس- و العكابس- و الحلوب- و الحلوكوك- و الدامس- و الداماء- و هو من أسماء البحر يشبه الليل به- و ذو السدود- و الأغبس- و الأسحم- و الأعشى- و الأغشى- و الغطاط- و الأغطى- و يقال: الغطاط عند السحر الأعلى- و يقال أيضا: أتيته بغطاط أى بشىء من سواد

اللَّيْلِ وَالْمَعْلَنَكْسِ - وَالْمَعْرَنَكْسِ - وَالْعَسْكَرَةَ الظَّلْمَةَ - وَالْمَطْخَطِخَ - وَقَسُورَةَ اللَّيْلِ شِدَّتَهُ وَغَسُوهَ - وَالطَّرْمَسَاءَ - وَالطَّلْمَسَاءَ - لِلظَّلْمَةِ فِي السَّحَابِ وَهِيَ مِنَ الضَّبَابِ أَيْضًا. وَقَالُوا:

غَبَاشِيرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ الضُّوءِ. وَالتَّبَاشِيرَ الْعَمُودَ نَفْسَهُ وَيُقَالُ: أَدْمَسَ اللَّيْلُ أَيْ أَظْلَمَ، وَيُقَالُ لِلظَّلْمَةِ: الْغَيْطَلَةُ. قَالَ الْفَرَزْدَقُ: وَاللَّيْلُ مَخْتَلَطُ الْغَيْاطِلِ أَلَيْلٍ.

ابن الأعرابي: قيل في مثل يا هادي الليل جرت فالبحر أو الفجر يرفعان و ينصبان، والمعنى إنَّما هو الهلاك أو يرى الفجر كُنِّيَ عن الهلاك بالبحر. ويقال: اغتمد ليلتك أي سر و اجعلها غمدا لك. و هذا كما يقال: اتَّخذَ اللَّيْلُ جَمَلاً و امتطاه. و يقال: اغتمد أَيْضًا.

و الطَّرَاقُ أَيْضًا اللَّيْلُ - وَ تَطَارِقُهُ تَرَاقِمُهُ. وَيُقَالُ: آتَيْتَكَ طَوِيَّ مِنَ اللَّيْلِ أَيْ بَعْدَ مَا مَضَتْ سَاعُهُ وَ كَذَلِكَ أُتَيْتَكَ قَوِيمَهُ مِنَ اللَّيْلِ.

الباب العشرون فى أقطاع النَّهار و طوائفه - و ما يتصل به و يجرى مجراه

قال النَّصر: النَّهار من طلوع الشَّمس و لا يعدُّ ما قبل طلوعها من النَّهار و جمعه أنهره و نهر. و قال الخليل: هو ضياء ما بين طلوع الشَّمس يحديه حتى تحلَّ صلاه الضَّحى.

و غزاله الضَّحى أولها يقال: أانا فى غزاله الضَّحى و هو أوَّل الضَّحى أى مدَّ النَّهار الأكبر.

فأما راد الضَّحى فحين يعلوك النَّهار حتى يمضى منه نحو الخمس، و يقال: أتيته ضحيا و رادا و قد ترادت الضَّحى و ترادها و تزيلها و ارتفاعها و جئتك فى فوعه النَّهار و هى أوله.

و حكى بعضهم فوعه كلَّ شىء أوله و فوعه، و كذلك فيعته و فيعه. و منه كان ذلك عند أوَّل فوعه أوَّل شىء، و أتيته مدَّ النَّهار، و هو بعد الرُّاد و أتيته مدَّ النَّهار الأكبر. و جئته حين ذرَّ قرن الشَّمس، و حين بزغت و شرقت و أشرقت، فالشُّروق الطُّلوع، و الإشراق الانبساط و الإضاءه و فعلته حين ترجَّلت الضَّحى، و النَّهار و هو علَّوه و اختلاطه.

و أتيته غدوه و بكره، و هما لا يصرفان لأنَّ غدوه علم، و بكره نحوها: و إنى لآتيته فى البكره- و آتیه بكرا و آتیه غدوه بكرا، و أتانى غدوه باكره- و المبكر ما جاء فى أوَّل وقت و كذلك الباكر. قال:

ألا بكرت عرسى بليل تلومنى

و فى الحديث: «بكرُوا بصلاه المغرب» و يكون الغداه أصله ذاك أيضا. و منه باكوره الزَّبيع و التَّبكير أوَّل الصَّلاه. و فى الحديث: «من بكر و ابتكر» فبكر يكون لأوَّل ساعات النَّهار. و قال ثعلب: و يجوز فى قوله ابتكر أى أسرع إلى الخطبه حتى يكون أوَّل دان و سامع، كما يقال: ابتكرت الخطبه و القصيده أى اقتضيتها و ارتجلتها ابتداء لم أرو فيها.

و قول الفرزدق شعرا:

إذا هنَّ باكرن الحديث كأنه جنى النَّخل أو أبكار كرم تعطف

أراد أنها حملت أول حملها. و يقال: أتانا بعد ما متع النهار الأكبر، يريد بعد ما علا النهار و استجمع النهار. و ذكر بعضهم: متع النهار متوعا إذا ارتفع، و ذلك قبل الزوال.

و انتفح النهار و ذلك قبل نصف النهار، و فى قبل النهار أى فى أوله و فى الضحاء الأكبر.

و أتيت شدة النهار، و ذلك حين ارتفع النهار. قال عنتره:

عهدى به شدّ النهار كأنما خضب اللّيان و رأسه بالعظم

بالعندم. و يروى مدّ النهار. و أتيت كهر النهار. و قال الشاعر:

و إذا العانه فى كهر الضّحى دونها أحقب ذو لحم زيم

و قال ابن أحرمر فى نحر النهار:

ثم استهلّ علينا و اكف همع فى ليله نحرنا شعبان أو رجا

و حكى قطرب: (الجون) النهار. قال و الجون فى لغة قضاعة الأسود و فيما يليها الأبيض. و فعلته فى شباب النهار- و فى نحر النهار- و فى وجه النهار- و فى هادى النهار، و هادى كلّ شىء مقدمه- و فى القيظ الهاجره- و هو قبل الظهر بقليل، و سميت هاجرته، لأنّ السّير يهجر فيها، و جعل الهجران للوقت على المجاز، و يقال: هجر القوم و تهجّروا أى ارتحلوا بالهاجره. و أهجروا دخلوا فى الهاجره. و الظّهيره نصف النهار فى القيظ حتى تكون الشمس بحيال رأسك فتركد. و ركودها أن تدوم حيال رأسك كأنها لا تريد أن تبرح.

و أتيت فى فرع النهار: أى فى أوله، و حكى: بشس ما أفرعت أى ابتدأت. و الفرعه أول نتاج النّاقه. و يقال: أفعل هذا فى تلغ الضّحى أى فى ارتفاعها. و يقال: تلغ النهار: أى ارتفع. و تلغ الطّيبى أخرج رأسه من الكناس و أتلع رأسه فنظر. كما يقال: طلع و أطلع.

و أتيت حدّ الظّهيره و فى نحر الظّهيره قال:

حدّ الظّهيره حتى ترحلوا أصلاً إنّ السقاء له رمّ و تبليل

و جئت فى الظّهيره و عند الظّهيره و بعضهم يجعله على تصرّفه من الظهور و بعضهم من الإظهار و هو شدّه الحر، و حكى أبو سعيد السّكرى يقال: صلينا عقب الظّهيره، و أعقاب الظّهيره أى تطوعا بعد الفريضة. و جئت فى عقب النهار إذا جئت و قد مضى و كذلك عقبانه، و جئت فى عقبه و معقبا إذا جئت و قد بقيت منه بقيه.

و أتتته عند اصمقارار الظهيرة: أى حين اصمقرت الشمس و صخذت. و زرتة بالهجير، و عند آخر الهجير قال العجاج شعرا:

كأنه من آخر الهجير قرم هجان همّ بالغدور

و الهجير فعيل بمعنى المفعول و كما قالوا: هاجره على المجاز قيل هجير على التحقيق أيضا. فأما تأنيث الهاجرة فكان. المراد بها، و بأمثالها السّاعة. و أما التذكير حيث جاء فلان:

المراد به الوقت- و قولهم: الهجير لو أريد به السّاعة لألحقوا به الهاء بعد أن قطع عن الموصوف، و سلك به طريق الأسماء كما لحق بقوله البيّنه و هى الكعبه و اللقيطه و ما أشبههما.

و أتيته بالهجير الأعلى، و فى الهاجرة العليا: يريد فى آخر الهاجرة. و أتيته بالهويجره و ذلك قبل العصر بقليل، و أتيته هجرا. قال الفرزدق:

كأنّ العيس حين أنخن هجرامفقاه نواظرها سوام

و يقال: أتيته حين قام قائم ظهر، أى فى الظهيرة، و أتيته حمى الظهيرة و حين صخدت الشّمس و أزمنت بالركود، و أظهر فلان و خرج مظهرا أى داخلا فى الظّهيره و ظهر فلان: نزل فى الظّهيره و به سمى الرّجل مظهرا.

و أتيته صكه عمى و أعمى: أى نصف النهار إذا كادت الشّمس تعمى البصر و قد يصرف فيقال: عمى. و رواه أبو عمرو عمى على فعيل، و هذا على أنّه تصغير أعمى مرخّم مثل زهير و سويد، من أزهر و أسود. و معنى صكه أى كأن الشّمس تصكّ وجه ملاقيها، و لو قيل:

صكه أعيم لكان على الأصل. الأصمعى القائله التّزول و الحطّ عن الدّواب و الاستظلال، و يقال: أتانا عند القائله و عند مقيلنا، و عند قبولتنا، و رجل قائل و قوم قيل. قال العجاج:

إن قال قيل لم أكن فى القيل

و الغائره: الهاجرة عند نصف النهار و غور القوم: نزلوا فى الغائره، و يقال: أتيته عند الغائره: يريد عند آخر القائله. و حكى الأصمعى: غوروا بنا فقد رمضتمونا، و يقال: ارتحلوا فقد غورتم أى أقمتم و نمتم، و الأصل الحط عن الدّواب و التّزول. و نزلنا دلوك الشّمس، و ذلك حين تزول عن كبد السّماء و دلكت أيضا غابت، و قال الله تعالى: أقيم الصّلاة لدلوك الشّمس [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] فهذا حجه فى الزّوال، و أنشد الدرّيدى حجه فى الغيوبه:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتّى دلكت براح

أى غابت الشّمس فصارت فى المغرب فستر عنه براحتة، قال أبو بكر: هذا قول الأصمعى، و احتجّ بقوله: ادفعها بالزّاح كى تزحلفا. يقال: نزلنا سراه النهار أى: ارتفاعه، و نزلنا عند مدحض الشّمس و قد دحضت الشّمس تدحض دحوضا و دحضا و ذلك إذا كان بين الظّهر الأولى و العشى ما سفل من صلاه الأولى و بعد العصر الأصيل.

وَأَتَيْتَكَ عَشِيَهُ أَمْسٍ آتِيَهُ الْعَشَى لِيَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ وَسَاءَ آتِيَهُ عَشَى غَدٍ بَغِيرِ هَاءٍ، وَ كُنْتُ

آتیه بالعشى و الغداه و غدوا و عشيا أى كلّ غداه و عشيه و آتیه عشاء طفلا و ذلك عند مغيب الشمس، حين تصفر و ينقص ضوءها(١).

قال لبيد: و على الأرض غيابات الطّفل، و قد طفلت الشمس إذا دنت للمغيب.

و يقال: آتيته مرهق العشاء أى حين أتاننا، و قد أرهق الليل و أرهقنا القوم لحقونا، و أرهقتنا الصلاه: أى استأخرنا عنها. و قال أبو زيد: أرهقنا الصلاه أى: أخرجنا حتى يدنو وقت الأخرى.

و زرتة قصرنا و مقصرا: أى عشيا، و قد أقصرنا: أى أمسينا. قال:

فأدر كهم شرق المروراه مقصرا بقيه نسل من بنات القراقر

و قد أصلنا و أتينا أهلها موصلين.

و قال الأصمعى: آتيته أصلا و أصيلا و أصيله و الجمع أصائل و آصال.

قال أبو ذؤيب:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله و أقعد فى أفيائه بالأصائل

و قال الأسدي: من غدوه حتى دنا فى الأصل. قال تعالى: بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ* [سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥] [سورة الزعد، الآية: ١٥] [سورة التور، الآية: ٣٦]. و قال يعقوب: آتيته أصيلا و أصيلا و هو تصغير أصيل على غير القياس كما صغروا عشيه عشيشيه و عشيه و عشيشيانا و عشيانا كلّ هذا بمعنى العشيه قال:

عشيشيه و الليل قد كاد يستوى على وضح الصحراء و الشمس مطرف

و قد قالوا: آتيته مغيران الشمس و مغيرانات. و قال بعضهم: كأنهم جمعوا أصيلا على أصلان كما تقول: بعير و بعيران ثم صغروا أصلان فقالوا: أصيلا ثم أبدلوا من التّون لاما فقالوا: أصيلا، و التّصغير فى الأزمان على طريق التّقريب على ذلك قولهم: قبيل الزّوال و العصر و بعيدهما. و كذلك يجىء فيما يكون من الأماكن ظرفا نحو: دوين و فويق و تحيت. فأما الجمع فمردود على أجزائه كأنه يجعل كلّ جزء من أجزاء العشيه عشيه، و لا

١- قال العلامة جلال الدين السيوطى رحمه الله فى كنز المدفون و الفلك المشحون: إنّ من ساعات النهار الذرور- ثم البروغ- ثم الضّحى- ثم الغزاه- ثم الهاجره- ثم الزّوال- ثم الدّلوک- ثم العصر- ثم الأصيل- ثم الصّبوب- ثم الحدور- ثم الغروب- و يقال فيها أيضا البكور- ثم الشّروق- ثم الإشراق ثم الراد- ثم الضّحى- ثم المتوع- ثم الهاجره- ثم العصر ثم الأصيل- ثم

الطّفل - ثم الغروب. ١٢ القاضي محمد شريف الدين عفا عنه.

يُمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُهُ عَلَى مَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَوْقَاتِ كَمَا قَالُوا: ضَخَمَ الْعِشَاءِينَ، وَ كَمَا أَنَّهُمْ يَقْصِدُونَهُ بِمَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَوْقَاتِ فَيَجْمَعُونَهُ كَذَلِكَ يَقْصِدُونَهُ مَجْرَدًا مِنْ غَيْرِهِ فَيَقُولُونَ: جِئْتَهُ ذَاتَ الْعِشَاءِ، يَرِيدُونَ السَّاعَةَ الَّتِي فِيهَا الْعِشَاءُ لَا غَيْرَ، وَ هَذَا حَسَنٌ، وَ يُقَالُ مَسَى خَامِسَهُ وَ مَمَسَى خَامِسَهُ، وَ مَسَاءَ خَامِسَهُ، وَ مَسِيَانَ أَمْسَ، وَ مَسَى أَمْسَ وَ جِئْتَهُ صَبْحَ خَامِسَهُ وَ مَصْبَحَ خَامِسَهُ، وَ آتَيْكَ مَمَسَى اللَّيْلَةَ أَى عِنْدَ الْمَسَاءِ قَالَ:

يَا رَاكِبَا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظْنَهُمْ صَبْحَ خَامِسَهُ وَ أَنْتَ مَوْفِقٌ

وَ حَكَى يَعْقُوبُ: لَقِيْتَهُ بِالضَّمِيرِ وَ هُوَ غُرُوبُ الشَّمْسِ مِنْ قَوْلِهِ:

تَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبَلَادِيخْفَى وَ يَقْطَعُ مَنَا الرَّحْمَ

وَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ: أَعَيْنَ لَابِنَ مِيَهُ أَوْ ضَمَارَ.

وَ يُقَالُ: جِئْتَهُ مَرْمِضَ الْبَحِيرِ، وَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: رَمَضْتَ الْغَنَمَ رَمَضًا: إِذَا رَعْتَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ فَتَحِينَ رِئَاتِهَا وَ أَكْبَادَهَا فَتَقْرَحُ، وَ رَمِضَ الرَّجُلُ أَحْرَقْتَهُ الرَّمِضَاءَ، وَ هُمُ يَرْمِضُونَ الطَّبَاءَ أَى يَأْتُونَهَا فِي كِنْسِهَا فِي الظَّهِيرِ فَيَسُوقُونَهَا حَتَّى تَفْسَحَ قَوَائِمَهَا فَتَصَادَ. وَ فِي الْحَدِيثِ:

«صَلَّهَا إِذَا رَمَضْتَ الْفَصَالَ» وَ هُوَ وَقْتُ تَقُومِ مِنْ مَوَاضِعِهَا لِتُؤْذِيهَا بِالْحَرِّ. وَ يُقَالُ: فَعَلْتَهُ عِنْدَ مَتَضَيِّفِ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ.

وَ فِي الْحَدِيثِ: «يُؤَخَّرُونَ الصَّيْلَةَ إِلَى شَرْقِ الْمَوْتَى» وَ فَيَسِيرُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ عَنِ الْحَيْطَانِ وَ صَارَتْ بَيْنَ الْقُبُورِ كَأَنَّهَا لَجَّةٌ وَ قِيلَ: هُوَ أَنْ يَمِصَّ الْإِنْسَانُ بَرِيقَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَأَنَّهُ يَرِيدُ لَا يَبْقَى مِنَ النَّهَارِ إِلَّا مَقْدَارٌ مَا بَقِيَ مِنْ نَفْسٍ ذَلِكَ. وَ يُقَالُ: أَتَيْتَهُ بِشِفَا أَى بِشَىءٍ قَلِيلٍ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ. قَالَ الرَّاجِزُ:

أَشْرَقَتْهُ بِلَا شِفَاءٍ أَوْ بِشِفَاوِ الشَّمْسِ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دِنْفَا

وَ حَكَى ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: الْقَصْرُ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَ الْقَصْرُ أَيْضًا إِذَا كَانَ بَعْدَ سَاعَةِ فَهُوَ الظَّهِيرُ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ الْأَصِيلُ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ سَاعَةِ وَ هُوَ الطَّفْلُ فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ الْعَرَجُ (١) (حَتَّى إِذَا مَا الشَّمْسُ هَمَّتْ بِعَرَجٍ) وَ (التَّضْمِيرُ) الدَّخُولُ فِي الضَّمِيرِ، يُقَالُ: ضَمَرْنَا وَ أَضْمَرْنَا وَ ضَمَّرْنَا وَ قَصَرْنَا وَ أَقْصَرْنَا، وَ قَصَّرْنَا، وَ عَرَجْنَا وَ أَعْرَجْنَا وَ عَرَجْنَا فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ التَّضْيِيفُ. فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ الشَّفَقُ وَ هُوَ الْأَحْمَرُ، فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ وَ ظَهَرَ الْبَيَاضُ فِي تِلْكَ الْحَمْرَةِ فَهُوَ الْمَلْتُ، فَإِذَا اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا قَلِيلًا فَهُوَ الْمَقْسُورَةُ. فَإِذَا اسْوَدَّ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ الْفَحْمَةُ، فَإِذَا جَاءَتِ الْعَتَمَةُ فَهِيَ الْعَتَمُ.

و ذكر الدريدي الزيم من آخر النهار و اختلاط الظلمه، و هذا يجوز أن يكون من ريم الجزور، لأنه آخر ما يبقى منه و يأخذه الجارز. قال:

و كنت كعظم الزيم لم يدر جازرا

و حكى ابن الأعرابي: انصرفوا برياح من العشى، و أرواح من العشى إذا انصرفوا و عليهم بقيه من النهار و أنشد لرفيع الوالبي الأسدی:

و لقد رأيتك بالقوادم نظرهو على من سدف العشى رباح

و بيان هذا الذى قاله أنه يقال: هبت لفلان ريح الدوله، و السلطان فكان المراد:

و انصرفوا و للعشى سلطان. فأما الشاعر فإنه جعل السدف كناية عن الشباب و السواد بدلاله أنه قال بعد هذا البيت:

خلق الحوادث لمتى فتركن لى رأسا يصل كآته جماح

و قال بعض أصحاب المعانى: يقال: إنى على بقيه من رباح: أى أريحته و نشاط و هذا يقرب ما قلنا.

و (فواق) من الزمان مقدار ما بين الحلبتين و فى القرآن: ما لها من فواق [سوره ص، الآية: ١٥].

و الصريم: يقع على الليل و النهار لأن كل واحد يتصرم عن صاحبه و قوله تعالى:

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ [سوره القلم، الآية: ٢٠] قيل: كالليل المظلم و قيل: كالنهار أى لا شىء فيها كما يقال سواد الأرض و بياضها، فالسواد الغامر، و البياض الغامر، و قيل: كالصريم:

أى المصروم المقطوع ما فيه و يقال: ما رأيته فى أديم نهار و لا سواد ليل.

و يقال: ابتلجا ببلجه و بلجه و ذلك قبل الفجر، و قد تبلج الصبح. و فى المثل: تبلج الصبح لذى عينين. و انبلج أيضا. أبو زيد يقال: انتصف النهار و لم يعرفوا الأنصاف، و قد أباه الأصمعى، و قال: لا يقال الأنصف، و أنشد للمسيب بن علبس شعرا:

يمد إليها جیده رمیه الضحى كهزك بالكف البرى المدوما

يعنى بالبرى القدح إذا سوى و لم يرش و تدويمه ثباته فى الأرض.

و حكى الفراء عن المفضل قال: آخر يوم من الشهر يسمى ابن جمير بضم الجيم، و قال ابن الأعرابي: هو ابن جمير بالفتح، قال الفراء و أنشدنا المفضل:

وإن أغاروا فلم يحلوا بطائلهنفي ظلمه من جمير ساوروا العظما

يعنى الذئب و العظماء جمع عظيم و أنشد الأصمعي:

نهارهم ليل بهيم و ليلهم و إن كان بدرا فحمه بن جمير

و يقال: هو الليله التي لا يطلع فيها القمر، و روى بعضهم بيت الأعشى:

و ما بالذى أبصرته العيون من قطع بأس و لا من فنن

و قال: معناه و لا من قرب يقال: سعى فننا و فنا أى ساعه.

و مما حكى لا يبيتن أحدكم جيفه ليل قطرب نهار. القطرب: دويبه تقطع نهارها بالمجى ء و الذهاب.

و من أمثالهم: دلهمس الليل برودا المنتجع، يقال لمن يغيب عن فراشه فى غاره أو ريبه و ما يجرى مجراها، برودا المضجع: أى لو كان أويا الفراش لكان سخنا، و كذلك قوله: دلهمس أى ليله أبدا مظلم لأنه لص.

و يقال: أقصر الرجل كما يقال: أمسى و أقصر إذا أخر أمره إلى العشى، أو جاء فى ذلك الوقت. قال: حتى إذا أبصرته للمقتصر، و قصر الشئ ء غايته هو الأصل. قال: كل من بان قصره أن يسيرا.

و يقال: بات فلان بلبله القد بالذال و الذال جميعا، و هو القنفذ، و يقال: إنه لا ينام لذلك قال شعرا:

قوم إذا دمس الظلام عليهم حدجوا قنafd بالنميمة تمزع

و يقال: ما بقى من النهار إلا نوه حتى كان كذا أى ساعه. و منه ذهب توا أى: منفردا.

و ممّا يجرى مجرى المثل قوله: أسائر اليوم و قد زال الظهر. أى: أبقى اليوم من سير يسير و سار يسير أى بقى فكأنه قال: أ تنتظر حاجتك غابر يومك و قد مضى أكثره و لم يقض لك.

و يقال: لقيته غارضا باكرا من الغريض الطرى.

و يقال: لقيته غدوه غدوه و بكره بكره، و إنه ليخرج غديه و بكيره غير مصروف و أتيته فى سفر الصبح، و فلقه و فرقه، و لقيته عند التنوير و الإناره، و أتيته حين الصبح و حين صدع.

و يقال: أتيته أمسيه كل يوم، و أصبحه كل يوم، و صبحه كل يوم و صباحه كل يوم، و أتيته فى فناء النهار و ذكائه، و روق النهار، و فى ريقه و أنشد ابن الأعرابى:

و الله لا و بيض دمج أهون من ليل قلاص تمعج

مخارم اللّيل لهنّ بهرج حتى ينام الورع المزنج

وقد يقال: محارم الليل بالحاء غير معجمه، وهى مخاوف الليل يحرم على الجبان أن يسلكها. (و الّدمج): و المدجه الخلق. و تمعج: تغدو، يهرج أى يقطمه و يبطله و المزنج النّسل: الذى ليس بتام الحزم.

و قال و يقال: أتيته بالغدايا و العشايا، و جاز الغدايا لاقترانه بالعشايا، و جمع غداه:

أغديه و أغديات، و عشاء و أعشيه و أعشيات. و يقال: غديه و غديات، و عشيه و عشيات، و ضحيه و ضحيات. قال:

ألا ليت شعرى من زيّاره أمسيه غديّات صيف أو عشيات أشتيه

كذا رواه ابن الأعرابى، و غيره يرويه غديات، و يقال: أتانا عشوه و عشاوه و ذلك عند غروب الشّمس.

تم الجزء الأول و يتلوه الجزء الثانى، و أوله: «الباب الحادى و العشرون» فى أسماء السماء و الكواكب و الفلك و البروج

المجلد ٢

اشاره

ص: ١

الباب الحادى والعشرون فى أسماء السماء والكواكب، والفلك، والبروج

إشاره

و هى ثلاثه فصول

فصل [فى بيان معنى السماء]

قال قطرب: السماء مؤنثه و تصغيره سميه. و زعم يونس أنّ سماء البيت يذكّر و يؤنث، و كان أبو عمرو بن العلاء يقول: السماء سقف البيت يذكّر و ينشد لذى الرّمه:

و بيت بمهواه خرقت سماءه إلى كوكب يروى له الماء شاربه

فإن قيل: لم ألحق بمصغره الهاء و هو على أربعة أحرف، فقيل: سميه و من شرط ما كان على أربعة أحرف من المؤنث أن لا يلحق بمصغره الهاء قلت: كان مصغره يجتمع فى آخره ياءات استثقل و خفف بما حذف منه فعاد يصغر من حيث اللفظ به تصغير الثلاثى.

و قال بعضهم: يجوز أن يكون الواحد سماءه و هى السماء أعلى كل شىء، و قال رجل من بنى سعد:

زهر تتابع فى السماء كأنما جلد السماء لؤلؤ منشور

و على هذا يذكّر و يؤنث لأن ما ليس بينه و بين واحده إلا طرح الهاء كالتخل و التخله يذكّر و يؤنث. قال تعالى: السماء منقطرٌ به [سوره المزمل، الآية: ١٨] فذكر، و يقال فى جمعه: اسميه و هذا إنما يجىء على جمعه مذكراً لأنّ أفعله من جمع المذكر كالغطاء و الأغطية و الرداء و الأردية، و المؤنث يكون على أفعل مثل ذراع و أذرع. قال العجاج: بلغه الرّياح و السّمي، و هذا جاء التأنيث كعناق، و عنوق. قال سماء و سمي ليس كعناق و عنوق، لأنّ عناقاً مؤنث، و سمي الذى هو المطر مذكّر على أنّ المطر سمي سماء لنزوله من السماء، فأما قوله لنهدر كان من أعقاب السمي فإنما خففه و إن كان فعولاً للقافيه مثل من سرّ ضرّ، و قوله:

كأنما قد رفعت سماؤها فصار لون تربها هواؤها

معنى رفعت سماؤها: لم يصبها مطر، و مثل لون تربها قول الآخر: كأنّ لون أرضه سماء، أى لون سماءه للقتام الذى يغشى الجو، قالوا: هذا بطن السّماء، و هذا ظهر السّماء لظهرها الذى تراه. قال تعالى: رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ [سوره الشورى، الآية: ٣٣] و قالوا: الظّهر الوجه، و كذلك ظهر النّجوم و السّماء، و قال تعالى: بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ [سوره الرحمن، الآية: ٥٤] البطان: هاهنا الظّواهر، و جاء على هذا الضّدّ فهو كقولهم: أمر جليل للشديد و الهين. و قال جنّيد الطّهورى: يا ربّ ربّ النّاس فى سماءه، فقصرها و أدخل الهاء.

و قال أبو حنيفة: يقال سماء البيت، و سماوته و أنشد لامرئ القيس:

ففتنا إلى بيت بعلياء مردح سماوته من الحمى معصب

و قال أبو حنيفة: يجمع السّماوه سماوات، و سماوى: قال: و روى بيت ذى الرّمه مسموعا من العرب:

و أفصم سيار مع الحىّ لم يدع يروع حافات السّماء له صدرا

يعنى بالأفصم الحلال الذى تحل به الأعراب مواضع الفتوق فى آنتهم، و جعله أفصم لانكسار فمه من طول اعتماله، ثم يجعل الواو فى سماء همزه لّمّا وقعت بعد ألف زائده فقبل سماء، فأما قول أمية: سماء الإله فوق سبع سمائنا فإنه أتى بثلاثة أوجه من الضرورة.

منها أنّ سماء و نحوها يجمع على سمايا كما يجمع مطيه على مطايا، فحمله على الصّيح لا على المعتل، و جمعه على سماى كما يقال: سحابه و سحاب.

و الثّانى: أنه حرك التاء فى حال الخبر و كان يجب أن يقول: سبع سماء كما يقال جرار.

و الثّالث: أنه جمع سماءه على سماى، و كان يجب أن يقول: سماءه، و سماء كما يقال: سمامه و سمام قوله:

فصبحت جابيته صهارجا كأنه جلد السّماء خارجا

فإنه أراد بجلد السّماء الخضره التى تظهر، فشبهه صفاء الماء بصفائه فهو مثل قوله:

رزقا جمامه و التقدير: كأنّ لون مائه لون جلد السّماء.

و من أسماء سماء الدّنيا برقع بكسر القاف، و قد جاء فى شعر أمية:

و كأنّ برقع و الملائك حولها سدر تواكله القوائم أجرد

و من أسمائها: الجرباء، و الخلقاء و كأنها سميت خلقاء لملاستها كالخلقاء من الحجارة قال:

و خوت جربه السماء فمالشرب أرويه بمرى الجنوب

و خوت: أخلقت، و قال الهذلي:

أرته من الجرباء فى كلّ منظرطبابا فمتواه النهار المراكد

و يقال فى الجربه ما زرع من الأرض، و كأنها إنما سميت جرباء لما فيها من آثار المجره كأنها الجرب.

و من أسمائها: الكحل و المشهور فى الكحل أنها السنه المجدبه. قال:

قوم إذا صرّحت كحل بيوتهم عزّ الدليل و مأوى كلّ قرضوب

و قال يونس: يشهد للكحل أنها السنه قوله:

بات عرار يكحل فيما بينناو الحقّ يعرفه ذووا الألباب

و هذا مثل و قيل: أصله أنّ عرار يراد به ما يعزّ من الشر، و كحل: سنه شديده، و المعنى استوتينا فيما أصاب به بعضنا بعضا من الشده و المكروه، و يقال: اركب عرعر ك أى صعب أمر ك.

و حكى عن الأعراب أنّ عرارا و كحلا- بقرتان كانتا فى مرج، فقتلت كحل عرارا فجاء صاحبها فقتل كحلا- و وقع الشر بين صاحبيهما و ناديا إلى القتال، فقال الناس: بات عرار بكحل فما القتال؟ أى فى كلّ واحد ما يبوء بدم الآخر.

و عنان السّماء: نواحيها و الواحد عنو. و قال الدّريدى: لا أعرف أعنانا، و عنان السّماء ما عنّ لك أى عرض، و يقال: بلغ فلان عنان السّماء للعالى المحل، و منه قولهم: جمعتهم فى عنن أى فى سنن. و قول الشّماخ بعد ما جرت فى عنان الشّعريين الأماعز، هو معانتها لهما يصف شده الحر. و أما قول الآخر: عنان الشّمال لا يكونن أضرعا، فالمراد معانه الشّوم و هو التّعرض.

و من أسماء السّماء: (الرقيع) يقال: ما تحت الرقيع أرقع من فلان و هو علم كزيد و عمرو. و ذكر بعضهم أنه إنّما سمى السّماء الرّقيع لأنها الشىء الذى رقت به الأرض: أى جعلت مشتمله على الأرض. و جاء فى الحديث: «من فوق سبعة أرقعه».

قال: و سميت خلقاء: لأنها ملساء. فإن قيل: كيف تكون جرباء و تكون ملساء. قيل:

إنما سُميت بالصفيات على حسب أحوالها، فإذا اشتبكت نجومها فهي الجرباء، وإذا غابت النجوم فهي الملساء، وهذا كما سُمي البحر المهرقان فعلا من المهرق، وهو فارسيه مهره، وإنما أريد به ملاسته و استواؤه إذا انقطع عنه الموج على أن قولهم الخلقاء لا ينافي الجرباء إن كان المراد بالجرباء: النجوم التي فيها.

و ذكر بعضهم أن قولهم للبحر: مهرقان و هو من هرقت الماء و زنته مفعلان كأنه يهرق الماء إلى الساحل ثم يعود. و الصحيح ما قدمته و أنشدت لابن مقبل:

يمشى به شول الظباء كأنها جنى مهرقان سال بالليل ساحله

و يريد بجنى مهرقان الودع، و شبه الظباء به.

و المجزّه قيل: هي باب السماء و افتخر أعرايان فقال أحدهما: بيتي بين المجزّه و المعزّه و قيل: المعزّه و ما وراء المجزّه من ناحيه القطب الشمالي سُميت معزّه لكثرة النجوم فيه، و أصل المعزّه موضع العر، و هذا كما يسمون السماء الجرباء.

و يقال: أتيتك حين ازهرت الكواكب في السماء أي أضاءت.

و يقال: أجهر لك الفجر إذا استبان و وضع.

و حكى الخليل الصاقوره: و قال: هو اسم السماء الثانيه في شعر أميه بن أبي الصلت:

و بنى الإله عليهم صاقوره صماء ثلثه تماع و تجمد

و ذكر الحافوره في شعر أميه و قيل هو اسم السماء الرابعه و قد ذكره الخارزنجي أيضا.

و ذكر الدردي أن البرجس و البرجيس نجم من نجوم السماء قال هو بهرام: و الجبار:

اسم للجوزاء و الشعري العبور تلو الجوزاء و يسمي: كلب الجبار أيضا و في المثل: أتلى من الشعري (و من أسماء السماء اللّاهه) و سُميت اللّاهه تعظيما لها، و هو مشتق من لفظ الإله لأنه المعبود المعظم.

و يقال: شنع النجم إذا ارتفع و هو من تشنعت الفرس إذا ركبتة و تشنعت الغاره إذا تثبتها.

فصل [في بيان معنى الفلك]

الفلك أصله الدوران و الفلك اللّاهيه يذكّر و يؤنث قال تعالى: وَ اصْبِرْ فُلُوكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحِينَا [سوره هود، الآية: ٣٧] ثم قال تعالى: فَاسْتَلِكْ فِيهَا [سوره المؤمنون، الآية: ٢٧] فأثت. و قال في موضع آخر: فِي الْفُلُوكِ الْمَشْحُونِ* [سوره الشعراء، الآية: ١١٩] فذكر،

و الفلك جماعه السيفن، و قد فلكت الجاربه إذا تفلكت ثدياها و ذلك عند استداره أصلها قبل النهود. قال: لم يعد ثدياها أن تفلكا. و يقال: فلكت الجدى، و هو قضيب يدار على لسانه لتلا يرضع، و الفلكه أكمه من حجر مستديره كأنها فلكه مغزل، و الجميع الفلك و الفلكات.

قال الخليل: و هو على تقدير النبكه فى الحلقه إلا أن النبكه فى ذلك أشدّ تحديدا من رأس الفلكه، و قال النحويون: الفلك اسم للسيفينه و يجمع على أفلاك، و على فلك فيصير الفلك اسما للجميع، و ذلك لأنّ فعلا و فعلا يكثر اعتوارهما الشىء الواحد نحو: العجم و العجم و العرب و العرب، فمن قال: جمل و أجمال، قال فلك و أفلاك. و من قال فى مثل: خشب و خشب قال: فى فلك إذا جمع فلك. و قال الكميّ:

و الدهر ذو فلك و الناس دوّار

قال أبو حنيفه: و ليس قول من قال هو القطب بشىء لأنّ القطب لا يزول من قطب الرّحى و الفلك دوّار يدور بدوره كل ما فيه فدور الكواكب كلّها حول القطبين و هما نقطتان من الفلك متقابلان أحدهما فى الشّمال و الآخر فى الجنوب، و ليس يظهر القطب الجنوبى فى شىء، من جزيره العرب، و قال أبو عمرو الشيبانى: هو القطب و القطب بالكسر و الضّم و للسّماء آفاق و للأرض آفاق.

فأما آفاق السّماء فما انتهى إليه البصر منها مع وجه الأرض من جميع نواحيها و هو الحدّ بين ما بطن من الفلك و بين ما ظهر قال الرّاجز: قبل دنوّ الأفق من جوزائه. يريد قبل طلوع الجوزاء لأنّ الطلوع و الغروب هما على الأفق قال:

فهو على الأفق كعين الأحوال صفواء قد كادت و لمّا تفعل

شبهها بعين الأحوال فى أحد الشّقين، و الصّفواء المائله للمغيب و قال آخر:

حتّى إذا المنظر الغربىّ حار دما من حمرة الشّمس لمّا اغتاله الأفق

و اغتياه إيّاها تعييه لها:

و أمّا آفاق الأرض: فأطرافها من حيث أحاطت بك. قال الرّاجز:

يكفيك من بعض ازديار الآفاق سمراء ممّا درس ابن محراق

يعنى بالسّماء الحنطه، و درس و داس بمعنى و يقال للرّجل إذا كان من أفق من الآفاق أفقى و أفقى، و كذلك السّماء وسطها آفاق عينها فإنّ الفراء قال: تقول العرب: مطرنا بالعين، و من العين: إذا كان السّحاب ينشأ من ناحيه القبلة.

قال ابن كناسه: عين السماء ما بين الدبور و الجنوب عن يمينك إذا استقبلت القبلة قليلا، قال أبو نصر: العين من عن قبله العراق و هذه الأفاويل قريب بعضها من بعض، و فى تثبيت عين السماء قول العجاج:

سار سرى من قبل العين فجرعبط السحاب و الرابع الكبر

و قال أيضا: فثارت العين بماء بجس. و قال أبو عبيده فى العين مثل ذلك، و قال الأصمعى: العين المطر يقيم خمسا أو ستا لا يقلع، قال: و يقال: أصابتنا عس غزيره و احتج بقول المتلمس:

فاجتاب أرطات فلاذ بدفئهاو العين بالجون المثالى ترجس

و يؤكّد قول الأصمعى:

و أنا حىّ يحب عين مطيرهعظام البيوت ينزلون الرّوايا

و قول ذى الرّمه:

و أردفت الذّراع أرى بعين سجوم الماء ينسجل انسجالا

و قوله أيضا:

سقى دارها مستمطر ذو غفارهاجشّ تحزى منشأ العين رائح

يريد أنّ هذا السّحاب تحزى أن يكون منشؤه من حيث نشأ للعين غير أنّه ثبت أنّ هناك منشأ هو أحمد المناشى و بيّنه الكميت بقوله:

راحت له بين صيفى و أوليهمن الرّبيع سحاب المغرب الهضب

و إذا كان السّحاب مغربيا فمنشؤه من حيث وصف و ليس يمتنع أن يقال: عين و إن كان الأصل فى العين عين السماء، كما يقال للمطر: سماء ألا ترى أنّهم يقولون: أصابتنا سماء غزيره، و كلا المذهبين صحيح.

فصل فى بيان أمر المجرّه و شرح بعض أحوالها

و فى السماء مجرّتها.

و جاء فى الأثر أنّها شرح السماء، كأنها مجمع السّماء كشرح القبه و سمّيت مجرّه على التّشبيه لأنّها كأثر المستجب و المجر و تسمّيها العرب: أم النّجوم لأنّه ليس من السماء بقعه أكثر عدد كواكب منها كما قيل: أم الطريق لمعظمها. قال:

ترى الواحد الأنس الأنيس و يهتدى بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

وقال أبو حنيفة: المجرة دائره متصله اتصال الطوق و هى و إن كانت مواضع منها أرق، و مواضع أكثف، و مواضع أدق، و مواضع أعرض فهى راجعه فى خاصتها إلى الاستداره و أكشف قناعها و أوسعها هو ما بين شوله العقرب فإلى النسرين، فإلى الردف، و الشوله، و الردف كلاهما فى نطاقها الأوسط أو قريب.

فإذا كانت الشوله مشرفه على الثور رأيت حينئذ من فوق الثريا مستقدا فى المشرق، و رأيت المجرة قد أخذت من عند شوله العقرب فمضت حتى سلكت بين النسرين. ثم مضت حتى غشيت كواكب الكف الخضيب رقت و استدقت إلى أن تبلغ العيوق فتكشف هناك. فإذا بلغت العيوق سلكت بين الكوكبين الجنوبيين من كواكب الأعلام الثلاثة المعروفه بتوابع العيوق. ثم مضى قدما حتى تسلك بين الهقعه و الهنعه و حاك بحاشيتها الشرقيه كوكبى الهنعه. ثم مضت حتى تسلك بين الشعريين، ثم تمضى و تغشى الغدره بحاشيتها الغربيه فتكشف هناك، ثم تمضى عند العذره حتى تسلك أسفل من كواكب الحمل، ثم تمضى من هناك حتى تشمل على الشوله، و منها كنا بدأنا بالوصف، فتجدها دائره متصله.

ألا ترى أنا بدأنا بوصفها من عند الشوله ثم لم تزل تستقر بها حتى عدنا إلى الشوله فهذا الإيضاح عن استدارتها و اتصال بعضها ببعض اتصال الطوق، و فى تحولها من جهه إلى جهه. يقول ذو الرمه و هو يذكر رفقاه:

بشعب يشجون الغلاء فى روسه إذا حوّلت أم النجوم الشوابك

إمّا أن يريد زمانا من الأزمنه لأنّ المجرة تتغير مواضعها فى الأزمنه فتراها فى الشتاء أول الليل فى خلاف موضعها من السماء، و فى الصيف أول الليل و كذلك من آخر الليل فى الشتاء و الصيف و لذلك قيل: سطرى هجر نرطب هجره و ذلك أنّ أول ظهور المجره عشاء من المشرق، هو فى ابتداء القيظ و أيام طلوع الثريا فيبدو منها عشاء قوس فى المشرق أخذه من شرقى الشمال إلى شرقى الجنوب مضجعه فى الأفق، ثم يزداد كلّ عشاء ارتفاعا و توسطا إلى أن يسترقّ القيظ و يطلع السّهيل عشاء قد كبدت السماء، فتوسّطتها فصار أحد طرفيها فى قبله العراق، و طرفها الآخر فى فقاء المصلّى، و وسطها على قمه الرّأس، و ذلك زمان يكثر فيه الرّطب. و المجرة بهذه الصّيفه سواء آخر الليل أيام طلوع الثريا فإمّا أن يكون ذو الرّمه أراد هذا المعنى، أو يكون أراد وقتا من الليل، لأنّ المجره تراها فى آخر الليل فى غير موضعها من أوله و ذلك فى جميع ليالى الدّهر على ذا و ليس ما ترى من هذا المفاز منها الذى وضعت له من الفلك، و لكنّها وضعت فيه على انحراف، فأنت ترى ذلك منها لدور الفلك بها.

و قولهم فى المجره أم النجوم كقولهم فى السماء جربه النجوم. قال الشاعر:

و خوت جربه النجوم فماتشرب أرويه لمرى الجنوب

قوله خوت يريد لم يكن معها مطر و أصل الجربه القراح من الأرض. قال الأشعر بن حمران:

أما ذا يعدو فتعلب جربهاؤ ذيب عاديه يعجرم عجرمه

(العجرمه) سرعه فى خفه.

و يقال: للسماء الخضراء لونها كما قيل للأرض الغبراء، و الهواء ممدود و هو الفتق الذى بين السماء و الأرض فى كل وجه و هو السِّيكاك و السِّيكاكه و اللوح و السِّيحاح، و أعنان السِّماء نواحيها. و يقال: لا أفعل كذا و لو نزلت فى اللوح و السِّيكاك. و قال بعض أصحاب المعانى أصله من الضيق على هذا قولهم بيرسك و قوله: استكت المسامع من كذا أى ضاقت فلم يفتح للاصغاء إليها و الصبر عليها كأن الهواء و هو ما بين السماء و الأرض يمتلئ منها كل شىء فلا مجوف إلا و يتخاله حتى يضيق عنه و هذا حسن.

الباب الثانی والعشرون فی برد الأزمنه و وصف الأيام و الليالی به

اشاره

قال أبو نصر: كبه الشَّتاء شدته و دفعته كالكبه فی القتال، و يقال: شتاء الشتاء، إذا اشتدَّ برده، و هذا شتاء شات، و كلاب الشتاء نجوم أوله و هى الذراع و النثره- و الطرف- و الجبهه.

قال أبو حاتم: البرد- و القر- و لا يقال: القر إلا فى شدّه البرد- و يقال: يوم قر، و ليله قره و قد قرّ يومنا، و كان رويه تقر، و لقد قررت يا يومنا قره و قرورا. و من أمثالهم:

حرّه تحت قرّه إذا عطش الإنسان فى اليوم البارد فأكثر شرب الماء و يوم قر. قال: تحرّقت الأرض و اليوم قر. و قرّ الرجل و هو مقرر و هرى فهو مهروء و أصابته قرّه و أصابت المحموم قرّه فانتفض و يقال لذلك العروراء و قد عرى فهو معروء:

و صرد الرجل و أصردنا إذا صرد ماؤنا. و الصراد الواحده و صراده غيوم تهيج ببرد شديد و لا يكاد يكون معها مطر.

و قال أبو زيد: النافجه: شدّه البرد و الريح، قال: و الحرجف و الشهباء و البليل نحوها- و البليل يكون معه بلل و ندى. و القرقف البرد فى قبل الليل. و قال الأصمعى: قيل للحمى قرقف لأنّ صاحبها يقرقف عنها أى يرعد.

و الهريئه: مهموزه شدّه البرد، و قيل للأعرابى: إنّ الجنوب إذا هبت دفنت الأرض، فقال: ربّ هريئه إذا هبت تدرى الشجر، يقول: إنها و إن كانت كذلك فربما كان تحتها البرد. قال أبو حاتم: إذا رأوها تدهدئه و تطيره. و يقال للأحمق: و ما هو إلّا هراءه على فعاله و الهراء و الخطل و أنشد:

و منطق رخيم الحواشى لا هراء و لا بزر

قال الأصمعى: يقال: قر حمطير بالحاء مثل الزمهير و قال النّميرى: بالقاف قمطير

و قال التَّمِيمِيون: من أسمائه (الصَّر) و الصَّنْبِر و (الزَّمْهَرِير) و (التَّوْفَج) و (الكلب) و (اليبس و القعقع).

فأما (الصنبر) فالقر الشديد فى ريح أو غير ريح. و يقال: إنَّ يومنا لصنبر القر. قال طرفه شعرا:

يجفان تعترى مجلسناو سديف حين هاج الصنبر

كسر الباء للحاجه.

و يقال: يوم ذو صر و يومنا يوم صر و من أمثالهم: صر و صنبر، و المرقى فى القر، و الزَّقاء الصِّيَّاح.

و يقال: يوم زمهرير على التَّعت و أيام زمهريره.

و النَّفَجه: الرِّيح تهبُّ فى برد و قد نفجت نفجا و يقال: ازمهَّر يومنا و هذا قر زمهرير، و قمطيرير. و أنشد:

و يوم قتام مزمهَّر شفيفه جلوت تربع تزين المثاليا

و الكلب: الزَّمان الشَّدِيد القر القليل المراعى و يقال: زمان كلب و عام كلب إذا قلَّ خيرُه و كثر ضيره. قال: و عَضَّ السَّيْلطان و شرّه و غلاء السعر، و قله المرعى هذا كله كلب.

و اليبس: شدّه الحال فى القر و غيره يقال: زماننا يابس.

و القعقع مثل اليبس و تقعقع زماننا: و هو أن يكون شديدا مع قر و من دون السَّعر فتعذر التَّجارات و يجور السَّلطان.

و الخشيف: شدّه البرد يقال: أصابنا خشيف و قد خشفت ليلتنا، و الماء الجامس خشيف.

و الصَّيقع: أن يرى وجه الأرض بالغداه كالماء اليابس، و ترى الشَّجر و البقل كأنما نثر عليه دقيق. و قد صقعت السَّماء بصقيع كثير و ضربتنا السَّماء اللَّيله بصقيع و ليلتنا ذات صقيع.

و الجليد شدّه البرد جمس الماء أو لم يجمس، و يقال: جلدتنا السَّماء اللَّيله بجليد شديد، و ضربتنا بجليد منكر و هو أشد القر و أيبسه.

و يقال: جمس الماء و جمد و الجموس: أكثر على ألسنه العرب من الجمود.

و الأرين: القرَّ الشَّدِيد يحصر منه الإنسان و المال و هو شبيه بالصَّقيع و ليله ذات أرين و لا يقال يوم ذو أرين.

قال أبو زيد يقال: أرزت ليلتنا تأرزا أريزا، و هي أرزه إذا اشتدَّ بردها و أكثر ما يكون ليلا.

و يقال: ليله جاسيه: إذا كان بردها شديدا، و يوم جاسئ و قد جسا جسوءا و يقال: برد البرد على ثيابي أى تركها بارده. و قيل: نحن مبردون فى شده البرد. و أنشد ابن الأعرابي:

ها إنَّ ذا ظالم الدَّيان متكئعلى أسرته يشفى الكوانينا

الدَّيان بن قطن كان شريفا فشبّه ظالما به و ترك التَّنين كما قال: (و حاتم الطَّائي و هاب المسمى) قوله: يشفى الكوانينا أى: يشفى فى البرد الشَّديد، أراد أنَّه صاحب نعمه فانتصب الكوانين على الظرف، أى فى هذا الوقت الشَّديد البرد و العرب تشبّه الثَّقيل من الرجال بالكانون. قال الحطيئه يهجو أمه:

أ غربالا إذا استودعت سرّوا كانونا على المتحدثينا

قال أبو حاتم: لا أعرف هذا و لكن يقال فى القيظ: أبرد القوم فهم مبردون و الإبراد أن يصيبهم الرّوح آخر النهار فى القيظ و فى غير هذا البرد النّوم و فى القرآن: لا يذوقون فيها برّداً و لا شراباً [سوره النبأ، الآية: ٢٤] أى نوما، و من كلامهم منعنا البرد من البرد أى القر من النوم. و أنشد:

بردت مراشفها على فصدنى عنها و عن قبلاّتها البرد

أى النّوم و يقال: أصابتنا سبه من برد، و هو أن يصيبك من القر أشد مما كنت فيه أياما و إن أصابك برد فى آخر الرّبيع قلت: أصابتنا سبه و الدّهر سبات أى أحوال حال هكذا و حال هكذا، أصابتنا سبه حر، و سبه برد، و سبه روح، و سبه دف، و قالوا: الصّيحو فى الشّتاء ذهاب القر و يقال: ليله مصحيه إذا ذهب قرّها و إن كانت متغيمه و إن طلعت الشّمس نهارا و اشتدّ القر فليس بصحو.

قال أبو حاتم: العامّه تظن أن الصّيحو لا- يكون إلّا ذهاب الغيم و ليس كذلك لأنّ الصّيحو ذهاب البرد و تفرّق الغيم، و يقال: تقشّعت السّماء إذا ذهب غيمها، و يقال: يوم صحو على النّعت و ليله صحوه و أيام صحوات الهاء ساكنه، و يوم مصح، و ليله مصحيه، و قد أصبحنا من القر. و قال أبو أسلم: يوم فصيه و ليله فصيه.

أما الطّلقه فمثل الصّيحوه و يقال: كانت اليوم فصيه و طلقه و يوم طلقه و فصيه و يوم طلق و ليله طلقه و يقال: أفصينا من ذلك القر أى خرجنا منه و أصابتنا فصيات، أى أيام دفيات طيبه، و يقال: انفسخ القر و انفسخ الشّتاء إذا انكسر و ضعف، و الحضّر شدّه البرد فى

الأطراف و السّبره يكون غدوه و عشيه فى البرد قبل طلوع الشّمس و بعدها قليلا و حين تجنح الشّمس للغروب و الجميع السبرات، و فى الحديث: «و إسباغ الوضوء فى السّبرات».

و قال بشر بن برد: الماء فى السّبرات أى بارد الماء، و قال قطرب: السّبره برد الغداه خاصه، و العرواء: البرد عند اصفرار الشّمس، و قال: يوم شبم و ماء شبم.

و حدّث الأصمعى أنّ أعرابيا قال: موسى خدمه. فى جزور سنمه. فى غداه شبمه، و قد شبم الماء. قال أبو حاتم: و لو وجدت فى شدّه القيظ ماء باردا لقلت: هو شبم. و أنشد جرير:

تعلّل و هى ساغبه بنيتهاً بنفاس من الشّبم القراح

و يقال: هراً القرّ أموالنا أى: قتلها و أهلكتها هراً. قال ابن مقبل يرثى عثمان رضى الله عنه:

و ملجأ مهروءين يلقى به الحيا إذا حلقت كحل هو الأمّ و الأب

و قالوا: تصيب النّافجه النّاس، و القر الشديد، و هم مرقون مبصرون فيقتل أموالهم، يقال: هو مرق فى الرّقيق المال و الحال، و قد أهرأ بنو فلان إذا أصابهم القر فى الجزر، و هى الأرض التى ليس بها شجر و لا دفء فماتت مواشيهم.

و قال أبو أسلم؛ أهرءوا فى هذه القرّه، و هرءوا فيها، سواء إذا ماتت أموالهم. و قال أبو حاتم أهرءوا إذا أصاب أموالهم لهرء هرءوا لا أدرى فى هذا المعنى هو أم لا.

و يقال: مرّت بنا صناديد من البرد أى بابات منه ضخام، و صناديد الغيث كذلك، و يقال: غيث صنيديد. و أنشد لابن مقيل:

عفته صناديد السّماكين و انتحت عليه رياح الصّيف غربا محاوله

يعنى أمطارا تقشر وجه الأرض و قد جاءت بنو السّماكين.

و حكى ابن الأعرابى يوم صفوان: لا غيم فيه، و لا كدر، شديد البرد صاف، و يوم شيبان: بارد فيه غيم صراد.

و يقال: شهرى الشّتاء شيبان و ملحان، لبياض الأرض فيهما و الأبيض الأملح، و قيل:

هما الكانونان و أنشد الأصمعى شعرا:

تحوّل لونا بعد لون كأنّه بشفان يوم مقلع الوبل يصرد

يقال: أصردنا و صردنا و شفان الرّيح بردها، و كذلك شفيها: يريد أنّ السّحاب قد

أقلع و انقشع فهو أشد لبرده.

حكى الأصمعيّ قال: قلت لأعرابي: ما أعددت للشّتاء؟ فقال: قرموصا دفئا و شمله مكوده، و صيصيه سلوكا (المكوده) التي يبلغ الكاذنين- (و الصّيصيه) التي يقلع بها التّم من الجلال (و القرموص) شبه بير يحفره فيأوى من البرد إليه. و أنشد:

جاء الشّتاء و لما أتخذ ربضايا ويح كفى من حفر القراميص

(و الرّبض) قيل: هو المرأه لأنّها تربض البعل أى تخدمه. و قيل: الرّبض القيم. و منه قيل: منك ربضك و إن كان سمارا: أى منك: قيمك و إن كان قيم سوء، و هذا كما قيل:

منك عيطك و إن كان أشيا. و قال ابن الأعرابي: الرّبض فى هذا المثل: ما يقيم الإنسان من القوت و يربضه أى يكفيه. و قد قيل: منك محضك، و منك ربضك و إن كان سمارا.

(و السّمار) الذى قد أكثر ماؤه، و هو نحو الضّياح و هذا يدلّك على معنى الرّبض فى المثل و ما سواه من التّفسير، فهو محمول على المعنى لا- على اللفظ، كما قيل: منك أنفك و إن كان أجذع، فيحمل تفسير الأنف على العشير و الأنف فى الحقيقه هو المشم الذى قد عرف.

و ربض البطن أمعاؤه و الرّبيض جماعه الغنم. قال الدّريدى: الرّبض القطعه العظيمه من الثّريد، فإذا قالوا: جاءنا بثريد كربضه أرنب كسروا الرّاء.

قال الزّهرى: حجرت المطار العام، حجرت: امتنعت و المطار: جمع مطر مثل جمل و جمال. و حكى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يقال: هو الحس- و البرد- و القر- و القرس- و الصر- و العرقف- و الهلبه- و الكلبه- و العنبره- و الصّره. هذا كله حدّه الشّتاء و كلبه- و الرّمهرير- و الأريز.

و قال الكلابى: العنيه: الهلباء البارده- (القرّه) ترميهم بالقطقط و هو القطر الصّيغار من المطر- و التّلج- و اليوم الأهل: الشّديد البرد- و غداه هلباء و قالوا: الشّهر الآخر من الشّتاء يسمّى الأهل، و لا يسمّى غيره من شهوره أهل، و ذلك لشّدّه صفق رياحه، مع قرّ و عواصف.

و حكى اللّحيانى: هلبه الشّتاء و كلبه مثقلان و حكى أيضا يوم هلبه و يوم كلبه. و حكى قطرب مثل ذلك، و يقال: أرزت ليلتنا أريزا، و ليله آرزه، و أتت اللّيله تآرزهم أشد الأرز.

و أنشد عن المفضل فى شده البرد بعد أن حكى المثل السائر (أبرد من غب المطر) أى من غب يوم المطر شعرا:

طوبينا يجمع و النّجوم كأنّهما من القرّ فى جوّ السّماء كواسف

و قال آخر: العابط الكرم للأضياف إن نزلوا في يوم صرّ من الصّيراد. هرار الصّيراد الجهام: و هو السّحاب الذى لا ماء فيه مع السّمال- و الجليد- و الصّريب- و السّقيط- و الجليب- و الصّقيع- و السّقيع- و السّميخ- ما ينزل من السّماء و من الثّلج و أنشد شعرا:

نعاء ابن ليلي للسّماخ و للندى و أيدي شمال باردات الأنامل

نعاء مثل دراك أى أنع و أنشد ثعلب شعرا:

و يوم بليل الحمار الصّديد محمره شمسه بارد

سقيت رغيبا و أطعمته فليس بحارّ و لا جامد

قال ابن الأعرابي: الفصيّه: ما بين الحر و البرد، و هو من فصيت الشىء إذا أنبتّه من غيره. و زعم أنّ قولهم أفصى برد عمى اشتقاقه من هذا.

و (ضباره) الشّاء صميمه، الرّاء مشدّده، و قد يخفّف فيقال: ضباره ذكر ذلك عن غير واحد من العلماء.

و يقال: من الكلبه: كلب البرد إذا اشتدّ كلبا و أنشد الفراء:

أنجمت قره الشّاء و كانت قد أقامت بكلبه و قطار

و قال العكلى: جئتك في صنبر الشّاء و فى بركته، و قد استعمله بعضهم فى الحر و حكى غداه صنبره. و قال جرّان العود:

و ألفين فوقى شرّ ثوب علمته من البرد فى شهر الشّاء الصّنابر

و قال طرفه: (و سديف حين هاج الصّينبر) (١) و قال أبو حنيفه: بلغنى عن بعضهم أنّه حكى عن العرب فى الصّينباره مثل ذلك يجعلونه فى شدّه الحر أيضا.

و الصّصر: الرّيح الشّديده الباردة و فى القرآن: **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصِيراً** [سوره القمر، الآيه: ١٩] و قيل: تداكؤ الصّير ازدحامها. و أنشدنى حمزه بن الحسن قال:

أنشدنى على بن سليمان عن المبرّد:

فذاك نكس لأبيض حجره مخيرق العرض لئيم مطره

١- أورد صاحب القاموس صنابر الشّاء شده برده، و أمّا قول الشاعر نطعم الشّحم و السّديف و نسقى المخض فى الصّينبر و

الصّراد بتشديد التّون و الرّاء و كسر الباء فللصرواه ١٢ القاضي محمد شريف الدين الحنفي عفا عنه.

فى ليل كانون شديد حضره عَضُّ بأطراف الزباني قمره

يقول: هو أقلق ليس بمختون إلا ما قلص منه القمر و شبه قلفته بالزباني. و قال آخر:

(إنك أقلق إلا ما جنى القمر) و يقال: من ولد و القمر فى العقر فهو نحس. و قال الأصمعي: إذا عَضَّ أطراف الزباني القمر: فهو أشد ما يكون من البرد.

فصل فيما وضع على ألسنه البهائم

(الأصمعي) قال: قيل للضانيه: كيف أنت فى الليله القره البارده؟ قال: أوله رخالا- و آخره جفالا- و أحلب كئنا ثقالا- و لم تر مثلى مالا- الرخال الإناث من أولاد الضأن الواحد رخل، و الكئنه البقيه من اللبن، قال ابن الأعرابي: لا أعلم جمعا على فعال إلا خمسة أحرف: رخال و فرار و توام و ظآر و رباب.

قال الأصمعي: إنما قيل ذلك لأن الإناث أعجب إلى أصحاب النتاج من الذكور لأن الإناث تحبس للغنيه، و الذكور تذبح و تباع، و حكى أنهم يقولون: إذا نتجت أحلبت أى:

أذكرت أم أنأثت، و يقال: للمبعوث فى الههم أحلبت.

و قال الأصمعي: العرب تقول المحق الخفى إذكار الإبل، و قال ابن الأعرابي:

و يقولون: الضأن تمشى عجالا- و تحتلب علالا- و تجز جفالا- و تنتج رخالا. و حكى أيضا الضأن تكسوك و هى رابضه أى لها سمن- و لبن- و صوف- و هى مقيمه، قال: و يقال:

الماعز لبنها رغوه- و شعرها عروه- و قيل: التّعجه مساء أى لا تقدر على احتباس بولها.

قال الأصمعي: تقول العرب: الغنم إذا أقبلت أقبلت- و إذا أدبرت أقبلت- و تقول فى الإبل: إذا أقبلت أدبرت- و إذا أدبرت ذنبت رأسا.

و قيل للمعز: لك الويل: جاء البرد، فقال: است حجواء- و ذنب ألوى- و الذئب جفاء- است حجواء و حجواء: أى بارزه لا يسترها شىء. و روى قيل: للمعز: جاء البرد، قالت: استى جحوى، و الذئب يعوى، فأين المأوى، و البيت الأجهى الذى لا ستر عليه.

و قيل للمعز: كيف أنت فى الليله البارده؟ قالت: الإهاب رقاق- و الشّعر دقاق- و الذئب جفاء. و لا بد لي من الكن. و قيل للنّاقه: كيف أنت فى الليله البارده؟ قالت: أبرك بالعري- و أولها الذرى- و يروى: أبرك بالنّحي- و أولها الذرى- و يحمى و زيمه عن أخرى- و قيل:

أطابق شحمه فوق أخرى- و الوزيمه البضعه. و قيل للكلب: أنت فيها قال: أحوى نفسى:

أجعل أنفى عند استى، و يقال: إنّه قال: أحويه أى أجمعه- و أكويه و أجعل طرفه عند فيه-

و يقال: إنه حكى هذا عن الضَّب، لأنه يلوى جحره حتّى يرد آخره إلى ابتدائه، و يجعل أقصاه عند أدناه. اللهم اجعلنى أحويه و ألويه حتى أجعل قعره عند فيه.

و يقال: إنَّ الضَّانِيه و المعز خيرتا فقيلا للضَّانِيه أيما أحبَّ إليك السِّتاره- أم الغزارة- فاختارت السِّتاره، فسترت و قلّ لبنها و صارت الغزارة للمعز و هتك سترها و كشف فرجها، و مما حكى عن البهائم و إن لم يكن من هذا الباب، قالت الأرناب: اللهم اجعلنى حذمه لذمه أسبق الأكف بالأكمه الحذمه و اللذمه التى تلزم الأشياء، و قولها أسبق الأكف بالأكمه: فإنها قصيره اليدين، فإذا صعدت فانت و إذا هبطت أدركت. و مما يحكى أن الأرناب قال للشاه: لا عفتت و لا نغطت، فقال العنز: لا مررت إلّا على حاذق قاذق.

الباب الثالث والعشرون فى حرّ الأزمنه و وصف الليالى و الأيام به

قال أبو حاتم: الحر و الحراره- و حر يومنا يحر بكسر الحاء حرا و حراره. قال أبو نصر: قد قيل: يحر و لم أسمع من الأصمعيّ. و فى القيظ: قاط يومنا يقيظ قيظا و قد قظنا أى صرنا فى القيظ.

و قالوا: أصفنا نصيف صيفا، و يوم صائف و يوم قائف، و الحرّه العطش و فى الأمثال:

حرّه تحت قرّه.

و يقال: صمخه الشّمس الخاء معجمه، و صمخه الحر أشد الصّمخ و دمغته الشّمس بحرّها أى أصابت دماغه فهى دامغه، و الدّامغه أيضا: الجلده التى فيها الدّماغ، و تدعى أم الدّماغ، و الجميع الدّوامغ، و أنشد للعجاج شعرا:

لهامهم أرضه و أفتخ أم الصّدى عن الصّدى و أصمخ

و فتحته الشّمس فتخا مثل دمغته.

و غيره الغيظ أشدّ الغيظ حرّا.

و الوقده: سكون الرّيح و اشتداد الحر، و يقال: يوم و مد و ليله و مده و أنشد أبو زيد:

قد طال ما حلّأتمونا لا نردفخلياها و السّجال تبرد

من حرّ أيام و من ليل و مد

قالوا: و الوغره عند طلوع الشّعرى، و قد وغرنا و غره شديده، و غرنا أيضا و غرا، و أوغرنا أصابنا الحر الشّديد و أصابتنا و غرات.

و أصابتنا أكه من حرّ و الأكه الحر المحتمم الذى لا ريح فيه، و يقال هذا يوم آكه بالإضافه، و يوم ذو آكه، و ذو آك، و قد أكت يومنا و أنشد:

إذا الشَّريب أخذته آكهفخله حتَّى يبكَّ بكَّه

و قالوا فى الأكه: شىء قليل من سدى.

و العكَّه: الرِّيح الشَّدیده مع السدى و اللثق الكثير، و هذا يوم عكَّه بالإضافه و يوم ذو عكك، و أنشد أبو زيد:

يوم عكك يعصر الجلمود يترك حمران الرِّجال سودا

و قد عكَّ يومنا يعكَّ عكا و يوم عكَّ على الإضافه. و ليله عك، و يوم عك على النَّعت، و ليله عكَّ كل هذا يقال.

و الأجه: مثل الوغره و منها الأجيح و النَّاجح من النَّار و أوار الحر صلاؤه، و شدته، و كذلك أوار النَّار، و يوم ذو أوار و إنَّ الحر الشَّدید الأوار.

و إذا دنوت من النَّار فوجدت حرَّها فى وجهك فذاك أوارها و أوار الهاجره و السِّموم، و هو ما يصيب وجهك من الحر الشَّدید، و أنشد القحيف العامرى:

و لا استقبلت بين جبال بَمَّ و إسبيذ لها جرَّه أوار

فأما قول لبيد:

أسب الكانس لم يؤر بهاشعبه الساق إذا الظل عقل

قوله: يؤر من الإبره و هو مستوقد النَّار تحت القدر و غيرها، و يجمع على الإبرات و الأرين، و روى لم ياور، بها، مثل يعوت و يكون من الأوار إلَّا غيره.

و حمَّاره القيظ أشدَّ ما يكون منه يقال: أتيت فى حمَّاره القيظ، و فى حمر القيظ و فى حمرة القيظ، و حمر كل شىء أشده. قال أبو حاتم: و سألت الأصمعى، هل يقال: حمرة الشَّتاء فقال: حمرة القيظ يعرف، و هاب أن يقال: حمرة الشَّتاء و الوديقه: شرَّ الحر.

يقال: أصابتنا وديقه حرّ، و يوم ذو وديقه بالإضافه، و كذلك إذا دنت الشَّمس من الأرض فيقال: و دقت الشَّمس، و فلان يأتينا فى الودائق أى فى أنصاف النَّهار فى القيظ و أنشد:

ألم يكن حقا أن يتولَّ عاشق تكلف إدلاج السرى و الودائق

و صخذان الشَّمس: محرك الخاء و مسكنه: شدَّه الحر، و يوم صخذان و ليله صخذانه، و قد صخذ يومنا بفتح الخاء، و يوم صاخذ، و ليله صاخده، و الصَّخذ مثل الوسد، و يقال:

و اللّهبه: لهبه القيظ، و يوم ذو لهبان، و يقال: يوم وهجان، و ليله وهجانه و أتيتك فى وهجان الحر، و إنّ يومنا لوهج، و قد وهج يومنا وهجا و توهج و وهج الحر و توهج الحر و أنشد:

لقد رأيت الظّن الشّواخصاعلى جبال تهص المراهصا

فى وهجان بلح له الوصاوصايوما ترى حرباه محاوصا

يطلب فى الجنفل ظلّما قالصا الجنفل: ما يحفل من السيّحاب و الظّل أى أسرع و يروى الجيفل و هو ما تناهى من كل شىء، و الوصاوص: خرق البرقع الصغير و إنما يفعل ذلك نساء بنى قيس، فأما نساء بنى تميم فتحلّ المرأه برقعها، و منه قول الشّاعر شعرا:

لهو لا بمنحول البراقع حقبهفما بال دهر لّزنا بالوصاوص

و يقال: قابت المرأه برقعها قوبا إذا جعلت لها عينا.

و الوقده أن يصيبك حرّ شديد فى آخر الحر بعد ما يقال: قد أبردنا، و يستنكر الحر فيصيبك الحر بغير ریح و لا سدى فتلك الوقده و الوقدان و قيل الوقده نصف شهر و عشره أيام، و أقلّها سبعة أيام، فأما اليوم و اليومان فلا يعدونه و قد.

و يقال: أصابتنا سبه من حرّ و السّبه نحو من شهر، و نصف شهر، و عشره أيام.

و يقال: احتدم علينا الحرّ و الاحتدام شدّه الحرّ مع همود الرّيح، و لا يقال مع الرّيح احتدم، و يقال: اسم يومنا و أحر إذا كان ذا سموم و حرور.

و اللّفحه: إذ تحرقّ جلده، و قد سفعت لونه السّموم.

و ألفحته: و كافحته أى قابلت وجهه ليس بينهما ستره. و منه قيل: كافحت الرّجل و كلمته كفاحا و أنشد: و لا كافحوا مثل الذين يكافح.

و يقال: أتيته فى معمعان الصّيف و معمان الصّيف، و فى معمعان الحر، و يوم معمعان، و ليله معمعانه و معمعانى و معمعانيه. قال ذو الرمه:

حتّى إذا معمعان الصّيف هبّ له بأجه نش عنها الماء و الرّطب

و الرّمض: شدّه الحر على الأرض، و قد رمض التّراب و رمض الإنسان إذا أصاب جلده الرّمض، و قد رمضت الفصال إذا احترقت أخفافها بحر الأرض، و زعموا أنّ رمضان سمّى بذلك: لأنهم حين سمّوا الشّهور اشتقوا أسماءها مما يكون فيها، فسمّوا

لجمود الماء فيها، و رمضان لأنّ الفصال كانت ترمض فيه. و أنشد:

المستغيث بعمر و عند كربته كالمستغيث من الرّمضاء بالنّار

و قيل: الرّمضاء: التراب الحامى، و يقال: يوم ذو سموم و يوم سموم بالإضافة، و يوم سموم على النّعت. و قد اختلفوا فى السّموم و الحرور، فمنهم من يجعل السّموم بالنهار و الحرور بالليل، و منهم من يجعلهما على العكس من ذلك.

و الدّفاء: مهموزه مثل الومده و قد دفى ء يومنا دفاء، و المعتدلات بالدّال غير معجمه أيام شديده الحر. و كان الأصمعى يقول بالدّال المعجمه، و كان ينشد بيت ابن أحمّر:

حلّوا الرّبيع فلما أن تجلّلهم يوم من القيظ حامى الودق معتدل

بالدّال (و المعتدلات) نحو من خمسه عشر يوما، و هى أيام الفصل فى دبر الصّيف عند طلوع سهيل.

و قال أبو زيد: (السكّنه) مثل الوقده، و كذلك السّخته، و قال أبو حاتم: هى فارسيه.

قال رؤبه: (و أرض جسر تحت حر سخت) قال أبو زيد: يقال: باض علينا الصّيف، فإن قيل: القيظ و الصّيف واحد، قيل: النّجم و الكوكب واحد و لا يجوز أن يقال: فى عين فلان نجم إنّما يقال: فى عين فلان كوكب. و كلام العرب لا يختلف، و الحره شدّه العطش فى الشّتاء و الصّيف، و مثل العرب: حرّه تحت قرّه فهذا فى الشّتاء و أنشد شعرا:

ما كان من سوقه أسقى على ظمأخمرأ بماء إذا ما جودها بردا

من ابن مامه كعب ثم عى به زؤ المنيّه إلّا حره و قدى

زؤ المنيه: قدرها. (و قدى): نعت للحرّه على فعلى و هو من التّوقد، و من أمثالهم:

برد غداه حر غد من ظماء و أصله رجل أراد سفرا فأصبح فرآها بارده فقال: لا أحتاج إلى الماء، فصبّ ما كان معه فلما توقّدت الحران عطش، فقال: هذا لقيت منه ما يصر الجندب، أى حرّا شديدا، و فى المثل: علقّت معالقها و صرّ الجندب للشّده، و من أمثالهم:

قيل للجندب: ما يصرّك؟ فقال: أصرّ من حرّ غد يضرب لمن يخاف ما لم يقع فيه.

و يقال: يوم ذى شربه أى يشرب فيه الماء الكثير من شدّه الحر، و يقال: يوم و مد و مصمقر و أنشد للمرار العدوى:

خبط الأرواث حتّى هاجه من يد الجوزاء يوم مصمقر

و يقال: يوم أبت و أمت و حمت و هو مثل الومد و قد أبت يومنا و أمت و حمت و أتيته في حمراء الظهيرة و الظهيرة الخوصاء
أشد الظهائر حرًا و أصله في النجوم، يقال: تخاوصت

النجوم إذا صغت للغروب، و يقال: ظهره شهباء لبياض غمسها و شرابها. قال عدى بن الرقاع شعرا:

و دنا النجم يستقلّ و حارت كلّ يوم ظهره شهباء

و رددن بالسماوه حتّى كذبتهنّ غدرها و النّهاء

و قال أيضا: ظهره غراء، و يقال: هذا يوم يرمح فيه الجندب: أى يضرب الحصى برجله، لارتماضه. قال: و يشبهون الشىء القليل اللبث بسحابه الصّيف. قال ابن شبرمه الضّبي:

أراها و إن كانت تحبّ كأنّها سحابه صيف عن قليل تقشّع

قال الدريدى: أفره الصّيف: شدّه حر، و أنشد فى شدة الحر:

لذن غدوه حتّى ألاذ بخفّها بقيه منقوص من اللّيل صائف

يصف ناقه ركبت فى الهاجره، و الظلّ تحت أخفافها إلى أن صار الظلّ كما وصف و يقال: لاذ و ألاذ بمعنى.

و ذكر صاحب العين يوم خدر شديد الحر، و أنشد لطرفه:

و مكان رعل ظلّمانه كالمخاض الجرب فى اليوم الخدر

و يقال: خدر النّهار إذا لم يتحرّك فيه ربح، و لا- يوجد فيه روح. و قوله: و إن كان يوما ذا كواكب أشهباء. قال: كان اليوم ذا كواكب من السّلاح و أشهب أى يوم شمس لا ظلّ فيه.

قال آخر: و يوم كظلّ الرّمح و الشّمس شامس، أى طويل لا ظلّ فيه لشدّته، و ظلّ الرّمح يطول جدا فى أوّل النّهار. و أنشد:

و يوم ضربنا الكبش حتّى تساقطت كواكبه من كلّ غضب مهنّد

قوله: تساقطت كواكبه: يعنى به معظم الحر. و أنشد ابن الأعرابى:

قد شربنا بالثّريا حقبهو رقينا فى مراقى السّحق

قال: يطلع الثّريا فى أوّل حدّ القيظ و فى آخر مطر الصّيف، فربما رؤيت فى الفدين من الماء، فشربنا بالثّريا و استقصينا الجزء إلى آخره، و طلوع الثّريا أوّل الجزء، و طلوع الجوزاء آخر انقطاع البقل، و قال: فى مراقى السّحق يريد به: الصّياح. قال الأصمعى: و تقول العرب: استقبال الشّمس داء و استدبارها دواء و أنشد:

إذا استدبرتنا الشمس دَرَّتْ متوننا كأنَّ عروق الجوف ينضحن عندما

الباب الرابع والعشرون فى شدّه الأيام و رخائها و خصبها و جذبها و ما يتصل بها

الأصمعى: جداع: اسم للسنة المجدبه على مثال خدام. و قال أبو حنبل الطائى:

لقد آليت أغدر فى جداع و إن منيت أمات الرباع

لأن الغدر فى الأقوام عارو إن الحرّ يجزع بالكراع

و أنشد غيره فى صفة الجذب:

إلى الله أشكو هجمه عربّيهاضّر بها مرّ السنين النوائر

فأضحت رذايا تحمل الطين بعد ماتكون غياث المقترين المفاقر

يصف نخلا أيبسها الجذب، فسقف بها البيوت بعد أن كان غياثا للفقراء و المحاويج.

و مفاقر جمع فقير على غير قياس، مثل مطايب الجزور. و أنشد:

يا ويحها من ليلها ما ضمّاضمّ إليها هقما هقما

أجهد من كلب إذا ما طمّا

يصف امرأه نزل بها ضيف فى ليله مجدبه. و الهقم: الجائع و انهقم جاع و خمص و الهقم: الكثير الأكل الواسع الجوف. و يقال: بحر هقم أى بعيد القعر، و هو يتهقم الطعام أى يتلقمه لقما عظاما و أجهد من كلب: أى أجوع، و رجل جاهد: أى جائع شهوان و طم الكلب الشىء أى اختلسه و مرّ به. و أنشد ابن الأعرابى:

فى روضه بذل الرّبيع لهاو سمى غيث صادق النّجم

و قال فى صادق النّجم: أراد أن نوءه لم يخلف بل و فى بوعدّه، و قيل: أراد به ما نجم من النّبات يعنى موضعا معشبا حسن النّبت. و قال أبو عمرو: الهتأه على وزن الهتعه سته أهلكت كلّ شىء و يقال: هتأت الثّوب إذا خرّفته.

و يقال: أرمتهم السنه و الأرم القطع، و يقال: اقتحمتهم السنه أى حطهم الجذب إلى الأمصار، و قال آخر:

يا دهر ويحك فأولى مما ترى قد صرت كالقب الملح المعقر

و يقال: دفت دافه و هفت هافه، و هفت هافيه، و قذت قاذيه إذا أتاهم قوم قد أقحمتهم السنه من البدو، قوله فى البيت: فأولى مما ترى: أى ارحمنى، يقال: أويت له ماويه و آيه أى: رفقت، قوله: مما ترى أى مما يوجهه و يذهب إليه. و أنشد:

ظلم البطاح له انهلال حريصه صفا النطاف له بعيد المناخ

هذا روايه المفضل و غيره، و فى روايه ابن الأعرابي: ظلم البطاح له هلال حريصه.

قال: و هو مقلوب، أراد حريصه هلال أى سحابه نشأت فى أول ليله من الشهر.

و الحريصه: سحابه تحرص وجه الأرض: أى تقشر، و معنى انهلال حريصه انصبابها، و ظلمه البطاح أن تحرف إليها الطين من غيرها و أنشد:

و له مكارم أرضها معلومهاذات الطوى و له نجوم سمائها

ذات الطوى: سنه جذبه و الطوى الجوع، و رجل طيان و انتصب ذات الطوى على الظرف. و قوله: و له نجوم سمائها. إذا أخلفت النجوم فلم تمطر جار هذا الرجل فكأنه الأنواء، و كأن الأنواء له، و أنشد الطوسى:

سقى المتدليات من الثريانوء الجوزاء أخت بنى عدى

المتدليات سحبات دنت من الأرض، و مطرها أكثر، و صوبها أغزر.

قال الآخر: يكاد يدفعه من قام بالراح، و الجوزاء قيل: امرأه، و نوؤها موضعها الذى سارت إليه يريد سقى هذا المطر الآتى بنوء الثريا نوء الجوزاء أخت بنى عدى و نوؤها:

و جهتها التى تنوء بها، و انجر أخت على البدل من الجوزاء و الصفه.

و يقال: اغتفت السنه بنى فلان، و الغفه البلغه من العيش و أنشد الأصمعى إذ بعضهم يغتف جاره.

و الجلبه: السنه المجدبه و هى الجوع أيضا قال الهذلى:

من جلبه الجوع جيار و أرزيز، أبو عبيد خطر به الضيق فى المعاش و الرفاغه و الرفاغيه و الرفاهيه و الرفهنيه مثل البلهنيه.

و يقال: هو في عيش أضعف- و أغزل- و أرغل- و أوطف- و أهدب- و أذب-

و هلوف- يعنى واسعا و زمانه زمان سلوه و خفض.

و يقال: هو فى رخاخ من العيش، و عيش دغفل- و دغفق- و مدغفق- و رفيع أى واسع. قال الدريدى: المدغفق اشتقاقه من دغفق الماء إذا صبّه صبّا واسعا.

قال العجاج: و إذا زمان الناس دغفل، فأضافه. قال أبو عبيده: هو فى عيش أوطف- و أغضف- و غاضف- و رافع و عفاهم إذا كان واسعا.

يقال: نحس فى ريله من العيش أى فى عيش متربل ند. و فى المثل، ليس المتعلق كالمتأنق، يقول ليس من عيشه ضيق يتعلق به، كمن عيشه لئن واسع يختار منه ما شاء.

و العلقه ما يبلغ به.

و فى الحديث: أنّ عبد الله بن مسعود كان يقول: إذا قرأت (آل حاميم) صرت فى روضات أتأقّ فيهنّ أى يعجبني.

و يقال: عيش طان ذو رزغه أى كثير الندى، و قولهم: طان كقولك: رجل مال.

و يقال: إنهم لفى غضراء من العيش، و غضاره و قد غضرهم الله، و إنّه لذو طره و كلّ ذلك من السعه.

أبو عمرو: نشأ فلان فى عيش رقيق الحواشى و فى زمان مخضم لا مقضم.

و يقال: نبت فى زماننا نابتة، أى نشأت فيه نشوء صغار. و ما أحسن نابتة بنى فلان لأولادهم، و أولاد أولادهم، إذ تناسقوا فى الحسن و الرضا. و مما يشبه هذا قولهم: بتّ بليله التابعه يراذ قوله:

فبتّ كأنى ساورتنى ضئيلهمن الرّقىش فى أنيابها السّم نافع (١)

و قوله فى موضع آخر:

فبتّ كأنّ العائدات فرشن لى هراسا به يعلى فراشى و يقشب (٢)

و هذا كما ضرب المثل بصحيفه المتلمس لقوله: و كذلك افتوا كلّ قط مضلل.

و يقال ليله التى لا نوم فيها: مات بليله انقذ (٣) يراذ به القنفذ، لأنه لا ينام ليله بدلاله قول الأخر:

١- نافع: قاتل.

٢- يقشب: يجدد.

٣- فى القاموس و انقذ كأحمد و قد تدخل عليه ال القنفذ- الحسن النعمانى.

قوم إذا دمس الظلام عليهم جدحوا قنفاذ بالتّميمه تمرع

و يقال: زمان غزير، و عيش غزير أى لا يفرع أهله.

و يقال: عيش رغد مغد. و يقال: عام غيداق، أى كثير الخير، و سيل غيداق و ماء غدق.

الفراء: عام أرب: أى مخصب. أبو عبيده: عيش خرم: أى ناعم و هى عربيه و معيشيه رفله.

و يقال: أنت فى عام رخی اللّبن، عريض البطن، أى واسع الخصب و هذا كما يقال:

أصاب فلان قرن الكلا، أى أنفه الذى لم يؤكل منه شىء، و وقع فى الأهيين أى الطّعام و الشّراب، و زمانه زمان الأهيين.

و المعصب الذى عصبت السنون ماله.

و يقال: فى عيشه شظف: أى يبس و شده، و قد شظفت يده إذا خشنت.

الأصمعىّ يقال: موت لا يجر إلى عار خير من عيش فى رماق، أى قدر ما يمسك الرّمق.

و يقال: أصابتهم من العيش و الزّمان ضعف- و حفف- و قشف- و ويد- كلّ هذا من شدّه العيش.

و قال يعقوب: بنو فلان فى ويد أى فى ضيق، و كثره عيال، و قلّه مال، و هو فى رتب من العيش: أى غلظ.

الأصمعى: عيش مزلج أى مدتق.

و يقال: أصابتهم الضّبع أى السنه، و قد كحلتهم السنون: أى اشتدّت عليهم و أنشد:

لسنا كأقوام إذا كحلت إحدى السنين فجارهم تمر

أى يأكلون جارهم. و قال سلامه بن جندل:

قوم إذا صرحت كحل بيوتهم عزّ الدليل و مأوى كلّ قرضوب

و أصابتهم أزمه و أزمه و لزمه. و حكى الأصمعى: أزمتم أزام و أنشد:

أهان لها الطّعام فلم تصفه غداه الرّوع إذا زمت أزام

و دعاء النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أشدد وطأتك على مضر و اجعل سنين كسنى يوسف» فاستجاب الله دعوته حتى أكلوا العلهز.

و السَّيْنَةُ: الشَّهْبَاءُ الْبَيْضَاءُ مِنَ الْجَدْبِ. و قال ابن الأعرابي: الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَطَرٌ، و قال هِيَ الشَّهْبَاءُ ثُمَّ الْبَيْضَاءُ ثُمَّ الْحُمْرَاءُ، فَالشَّهْبَاءُ أَمْثَلُ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَ الْحُمْرَاءُ شَرُّ مِنَ الْجَمِيعِ.

و سنه غبراء: و قماء و كهباء و الكهبه كدره فى اللّون.

و عام مجوعه و مجاعه، و سنه جداء، و حجره و رملاء.

و عام الرّماده: و سنه و سنه و عام سنيت و مسنت و سنه جالفه بالمال.

و الرّماده: سنه المحل، و قد أرمدوا.

و سنه محارده: من حراد النَّاقِه إِذَا قَلَّ لَبْنُهَا.

و يقال: عام أرمد فى قله الخير، و أبقع أى بقع فيه المطر فى مواضع و لا يعم. و أخرج و أسهب، و كلّ هذا فى قله الخير.

قال أبو يوسف: سمعتهم يقولون: حراميس واحدها حرمس. و يقال: هذه السنه ذات فحم عظام، و يقال: أزمتمهم السنه أى دقتهم، و الأزم العض.

و سنه حصاء: لا نبت فيها، و امرأه حصاء لا شعر عليها.

الفراء: عام أرشم: قليل الثبات. و البوازم الشدائد الواحده بازمه، و أنشد:

و نحن الأكرمون إذا غشينا عيادا فى البوازم و اعترازا

و قال:

و ما أخذ الدّيوان حتّى تصعلكازمانا و حتّ الأشهبان غناهما

فى سنتين لا خير فيهما. و قال آخر:

رأت مرّ السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال

و يقال: ثلمه ثلم المحاق جانب الهلال، و يقال: مطر مريع، و أنشد متمم بن نويرة:

تقى الله أرضاً حلّها قبر مالك ذهاب الغواذى المدجنات فأمرعا

وقال آخر:

و يقىم فى دار الحفظ بيوتنازما و نطقن غيرنا للأمرع

و حكى ابن الأعرابى: أ لا صبّحتة صباحا حازرا؟ و الأصل فى الحازر: اللبن الحامض.

يقال: أمد الخصب قريب على التّعال. قال: و سأل الحجاج بن يوسف الحسن عن أشياء، فأجابه ثم قال له: كم أمدك؟ قال: سنتان من خلافه عمر، يعنى عمر بن الخطّاب، فقال: والله عينك أكبر من أمدك. الأمد العمر أى ما بدا منك أكثر مما غاب. و أنشد:

لنا فى الشّتاء جنه يثربيه مسطّعه الأعناق بلق القوادم

قوله: مسطّعه من السّطاع سمه على عنق البعير، يقول: إذا كثرت الرّياح ظهر السّواد و إذا كثرت الأمطار ظهر البياض، يعنى اللّبن و التمر. و أنشد:

أغث مضرا إنّ السّنين تتابعت علينا بدهر يكسر العظم جابره

يقول: نحرنا إبنا بعد أن كُنّا نثمرها و نرعها، و أنشد يعقوب:

إنّ لها فى العام ذى الفتوق و زلل التّيه و التّصفيق

رعيه رب ناصح شفيق

الزّلل التّباعد و النّخعه (١) و يقال: أفقنا إذا لم يمطر بلادنا و مطر غيرها.

ابن الأعرابى: يقال للزّمان السّليم من الآفات ركوض فى غير عروض و أصله ناقه لا عرضه فى مرّها، قال: و يقال هذا فى الطّاعه الحسنه التى لا يثبتها ما يفسدها.

و يقال: و قره الدّهر و قره: استكان منها و أنشد:

حياء لِنفسى أن أرى متخشّعالو قره دهر يستكين و قيرها

و قال آخر:

و خفت بقايا النقى إلا قصيه قصيد السّلامى أو لموسا سنامها

يصف زمن جدب و القصيه من الإبل: التى تقصى عمّا يفعل بالإبل و القعيه أيضا:

الخيار الكريمه و القصد السّمينه، و يقال: كذا و كذا حين لعق اللّبن بالصّوف، و هذا كناية عن الجدب، لأنّه إنّما يلحق اللّبن بالصّوف فلا يمكن شربه. قال:

فلا تحسبنّ الغزو لعقا بصوفه شريك ألبان الجداد الغوابر

و الجداد: جمع جدود و هى من الغنم و الحمير التى بها بقيه من اللبن غير كثير، و مثل الجداد الجدائد، قال أبو ذؤيب:

و الدهر لا يبقى على حدثانه جون السراه له جدائد أربع

١- فى القاموس فى (نخع) و الرجل عن أرضه بعد ١٢ المصحح.

و يقال: كان في الأرض تقاطير غيث إذا كانت بها أمطار قليلة في كل ناحية قال أبو علي: قال الضبي والغنوي: يقال: أقاتير و تقاطير من الربيع، و قال طفيل:

أرى إبلى تأتي الحياض و آلفت تقاطير وسمى و إحناء مكرع

و يقال للرجل إذا ظهر بوجهه بثور، ظهر به تقاطير الشباب، و حكى أنه سئل أبو العباس ثعلب عن قول بشار:

إذا ما غضبنا غضبه مضربيهتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

فيقال: معناه حاربنا حتى لم يكن حرب، فلم يكن للشمس حجاب، و حجابها الغبار قال السائل: فرددته على أبي العباس المبرد فقال: ما يدري الخرنوبي ما هذا إنما يقال:

اشتدت الحرب أولاً، ثم سعينا بينهم فأصلحنا ما فسد فسقط الغبار فكأنهم هتكوا حجاب الشمس، قال فعدت إلى ثعلب فأوردت عليه، فقال: ما للخلدي و لهذا، خذ ما أقول، قال أبو عبد الله الطوال و الأموي هتكنا حجاب الشمس معناه خلينا عن أنفسنا و تركناها لها ذكرا واضحا كوضوح الشمس بفعلنا، و قوله: أو قطرت دما، كما يقال: كان ذلك فيما مطرت السماء دما أي لم يكن يلتفت إليه، قال: و ما سمعته في الأبيات إلما من ابن الأعرابي ما سمعت كان ذلك، فمطرت السماء دما إنما يقال في التعي، فرجعت إلى المبرد، فقال:

هؤلاء أعلم منه و حقط و حقل حين عدت إليه و تركني، و دخل داره، و يقال: بات بلبه سوء من الليالي الشوامت.

قال النابغة:

فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشوامت من خوف و من صرد

أي ما أطاع الأعداء و سرها و فسر بعضهم على أن الشوامت في البيت هي القوائم و المعنى بات له ما أطاع الشوامت لأنها عبت طول الليل.

و قال أبو زيد: يوم أرونان و قسقاس و قسى و عصبص و عصب و قماطر و مقمطر و عماس. و قال الأصمعي: من العماس قولهم: أتانا بمعمسات أي أمور علويات خفّيات، و قال الخليل: العماس كل ما لا يقام له، و يوم عماس و عموس و قد عمس عماسه و عموسا.

و يقال: يوم باسل: و مفلق و فلق و ذكر و مذكر و أشتع و أشهب و مظلم و ذو كواكب، و يوم معمعاني و أروناني بعيد ما بين الطرفين، و قال بعضهم: يوم أرونان شديد صعب و لا فعل له و ليله أرونانه. قال الجعدي:

و ظلّ لنسوه النعمان مناعلى سفوان يوم أرونان

و يقال: يوم أرونانى و ليله أرونانيه، و قال أبو عبيده و أبو زيد: كلّ هذا بوصف الشّدِيد من القتال و البرد و البلاء و الخوف.

و يقال لهم؛ يوم عربسيس، و أخذ القوم طريقا عربسيسا لما فيه من الخوف و العطش و المشقّه، و إذا عظموا الأمر على إيهام فى الوصف، قالوا: كان ما لا يحد يوم أيوم، و ذا كان ذلك ليلا قالوا: ليل أليل، و يقال: أطول الليالى يدعى ليل التّمَام.

و يقال: جاء من الطّيخه أى الفتنة و الحرب المطيخ الفاسد.

و يقال: هذا دهر حول قلب أى كثير التّحول و التّقلّب.

و يقال: ليل ذو كئود قال: يدر عن اللّيل ذا الكئود.

قال أبو زيد: سمعت أعرابيا فصيحا يقول: إذا أجذب النّاس أتى الهاوى و العاوى.

الهاوى: الجراد، و العاوى: الدّئب. قال الدّريدى: الخجل سوء احتمال الغنى، و الدّقع سوء احتمال الفقر. و فى الخبر عن النّبي صلى الله عليه و سلم أنه قال للنّساء: «إنكنّ إذا جعتنّ دعتنّ و إذا شبعتنّ خجلتنّ» و أنشد:

و لم يدفعوا عند ما نابهم لصرّف الزّمان و لم يخلجوا

و يقال: جاحه الدّهر و اجتاحه و عسره الزّمان أى اشتدّ عليه و مثله: استحصف و يقال:

أشاربهم لمع الأضم، و حكى بات فلان ليله ابن أفلس أى ليله شديده، قال و مثله و ليله دعشقه.

و يقال: ما رأينا العام قابه من المطر، و الارعاء أى مطرا، و هذا مأخوذ من الرّعاف، قال أبو العباس ثعلب: لم يأت برعف، غير ابن الأعرابى و يقال فى شهره اليوم: يوم أغر محجّل.

قال أوس:

و أنت الذى أوفيت فالיום بعده أغرّ ممسّ باليدين محجّل

و يقال: سنه قاشوره أى تقشر كلّ شىء و يقال: أصاب النّاس شراسيف أى أصابهم أول الشّده، فأما قولهم: بات فلان بليله انقد فالمراد الشّده قال الطّرماح:

و بات يقاسى ليل انقد دائباو يحذر بالحقف اختلاف العجاهن

و انقد الشّيهم و فى المثل: أسرى من انقد و يقال: ابن انقد أيضا، و العجاهن قال: ابن السّكيت: هو الطّباخ، و قال الأعشى:

لعمرى لئن جدت عداوه بيننا لترتلحن منى على ظهر شيهم

و قال عمرو بن قميئه:

إنى من القوم الذين إذالزم (١) الشتاء و دوخت حجره

و دنا و دونيت البيوت له و ثنى فثنى ربيعه قدره

وضع المنيح و كان حظهم فى المنقيات يقيمها يسره

و أنشد أبو العباس ثعلب عن الأصمعى و غيره:

سقى سكرًا كأس الدّعاف عشيها عاد مخضر العشب جوانبه

قال و السكر اسم جملة، و إنما يدعو على واد، رعاه جملة فأصاب من النثر فمات و قال الهذلى:

و حبسن فى هزم الضريع فكلها حذاء داميه اليدى حروذ

يصف إبلا بسوء حال، و الهزم ما يهزم من النبات و يحطم، و الضريع نبات غير طائل.

قال أبو عبيده: الضريع عند العرب: يابس العشرق، و هو يؤكل و لكنه كما قال الله تعالى:

لا- يُشِيْمُنْ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ [سوره الغاشيه، الآيه: ٧] و هو من نبات الحجاز، و الشبرق ما دام غصًا، نوره حمراء. قال الهذلى يصف قوما قتلوا:

ترى القوم صرعى حثوه أضجعوا معاكأن بأيديهم حواشى شبرق

و قيل: الخيف الحناتم ماء النثر. قال ندى السيماك فى قصب الوسمى. و ذلك أن السيماك يسقط و قد انفسخ القر، و هاجت

الأرض فى بلاد العرب، و فى عروق الشجر بقيه من ثرى الوسمى، فيسقط السماك لتسع خلون من نيسان، فيصبيه مطر السماك

فيخير نبتة، و نبت فيه الرطب، فذلك النثر تراه خضره على بياض، و هو السم الرغاف. قال أبو محلم:

سمعت أبا زيد العكلى يقول: هو السم الساكت.

الباب الخامس والعشرون فى أسماء الشمس و صفاتها و ما يتعلق بها

الباب الخامس و العشرون فى أسماء الشمس (١) و صفاتها و ما يتعلق بها

قال أبو حاتم: يقال للشمس الجونه- و الجاربه- و العين- و الماوبه- و هى من التأويب و هو سير النهار كله يقال: آب و تأوب بمعنى. قال النابغه:

تطاول حتى قلت ليس بمنقض و ليس الذى يتلو النجوم بأثب

فسره ابن الأعرابي على ذلك، لأنها تسير آثبه أبدا ما بينها ما بين المشرق إلى المغرب تدأب يومها فتثوب المغرب مساء.

و يقال لها السراج- و الضح- و ذكاء- و قد أشمس يومنا: إذا اشتد حر شمس، و يوم مشمس- و شامس- و شمس لى فلان إذا بدت عداوته. و قال الخليل: الشمس- عين الضح- و به سميت معاليق القلاده، و قيل هو من المشامسه لأنها نحس فى المقارنه و إن كانت سعدا فى النظر.

و قال التميميون: الجونه- الشمس حين تسود و تدنو من الغيوب لا يقال لها الجونه إلا على هذه الحال و أنشد أبو حاتم:

تبادر الآثار أن تدأبو حاجب الجونه أن تغيبا

و أما الجاربه- فمن قول الله تعالى: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا [سوره يس، الآية: ٣٨] و هى تجرى من المشرق إلى المغرب- و السراج من قوله تعالى: وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا [سوره الفرقان، الآية: ٦١] و قال: وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا [سوره نوح، الآية: ١٦].

و يقال: دلكت الشمس دلوكا- و دلو كها: اصفرارها عند غيوبها.

١- قال فى كثر المدفون أسماء الشمس الغزاه- البيضاء- يوح- الجاربه- العين- الجونه- السراج- يوح الاله- الضحى- الضح- الشرق- حناذ. الزبرقان ١٢ القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

و قال ابن عباس: لدلوك الشمس - أى لزوالها الظهر و العصر. قال:

شادخه الغزه غزاء الضحك تبلج الزهراء فى جنح الدلك

فجعل الدلك غيبوبه الشمس. و روى عن أبى عمرو أن دلوكها زوالها و الله أعلم.

و يقال: رهقتنا الشمس إذا دنت. و منه غلام مراهق: إذا دنا الاحتلام.

و يقال للبيد و هو مرهق النيران: أى يغشاه الأضياف. و غلام فيه رهق أى غرامه و فى القرآن: فَرَادُوهُمْ رَهَقًا [سوره الجن، الآيه: ٦] أى مكروها.

و قال أبو زيد: براح بفتح الأول و كسر الآخر اسم للشمس مثل: قطام و أنشد:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتى دلكت براح

و قال الأصمعى: ليس الروايه كذلك إنما الروايه دلكت براح بكسر الباء، و هو جمع راحه و هو أن ينظر إليها عند غيوبها يستشفها، يضع يده على جبينه يستكف بها حتى ينظر تحتها. و قال العجاج:

أدفعها بالراح كى ترحلفارحاه عان تحتها تصدفا

و زعم أنه يطلب أسيراله و قال: و سميت بذلك لأنها تسود حين تغيب- و الجون الأسود، هذا قول الأصمعى، و قال غيره: الجون يكون الأبيض أيضا قال: و عرض أنيس الحرمى على الحجاج بن يوسف درع حديد و كانت صافيه، فجعل الحجاج لا يرى صفاها، فقال له أنيس: إن الشمس جونه أى شديده الضوء قد غلب ضوءها بياض الدرع- و الجونه اسم للدرع ذكره الأحمر و غيره. قالوا: و يقال لا أفعله حتى تغيب الجونه.

و قال بعضهم: معنى براح أى أستريح منها فذهبت، و قيل أيضا: راح هاهنا موضع.

و حكى قطرب: دلكت براح بالضم و (لعاب الشمس) أن يرى فى شده الحر مثل نسج العنكبوت أو السراب ينحدر من السماء و إنما يرى ذلك عند نقاء الجو، و سكون الأرواح و اشتداد الحر. و أنشد شعرا:

هممن بتغووير و قد و قد الحصى و ذاب لعاب الشمس فوق الجماجم

و أنشد ابن الأعرابى:

و ذاب للشمس لعاب فنزل و استوقدت فى غرفات كالشعل

قال الدّريدي: لعاب الشّمس بلغه اليمن الوهر. و يقال: وهر يومنا يوهر وهرأ فأقرن

الشمس فحد ذروها حين تذر قرونها و قرونها: نواحيها، و يقال: طلع قرن من قرونها أى: ناحية من نواحيها.

و عين الشمس شعاعها الذى بهرك إليه. و قال ابن السكيت: عين الشمس رأسها و وجهها و قرونها نواحيها. قال: فما أن ذر قرن الشمس حتى طرحن سخالهن و صرن آلا

و الضح: الشمس يقال: لا تجلسوا فى الضح أى فى الشمس، و قد ضحى فلان فى الضح أى برز للشمس يضحى ضحوا، و يقال: شد ما ضحوت للشمس أى طال بروزك لها و يقال: ضحى الريح و ضحى لى إذا خرج من بيته فبرز لك. قال أبو حاتم: لا ثبت عندى ضحيت للشمس و ليس فى قوله تعالى: وَ أَنْكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَضْحَى [سوره طه، الآية: ١١٩] بيان ضحيت من ضحوت لأن قوله: تضحى يجوز أن يكون مستقبل ضحا. و قد قال قائل:

ضحيت له كى أستظل بظله إذا الظل أضحى فى القيامه قالصا

فقال أبو حاتم: الذى يقول هذا لا يجوز قوله قمه رأسه، و من كلامهم جاء بالضح و الريح، أى جاء بالشىء الكثير أى ما طلعت عليه الشمس و بزغت. و الدرور: أول طلوعها و بزوغها و طلعت طلوعا و مطلع الشمس بالكسر المكان الذى تطلع منه. و قال الأصمعى: شرقت الشمس تشرق شروقا إذا طلعت، فإذا أضاءت جدا قلت:

أشرقت، قال الله تعالى: وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا [سوره الزمر، الآية: ٦٩] و يقال:

أشرق وجهه: إذا أضاء و استنار.

و يقال: آتتك كل يوم طلعت فيه الشمس، و شرقت، و آتتك كل شارق و الشروق زعموا أنه الشمس، يقال: آتتك كل يوم طلع شرقه، و قد طلع الشرق و لا يقال غاب الشرق.

و المشرق: المطلع. قال أبو يوسف: شرقه الشمس موقعها فى الشتاء، فأما القيط فلا شرقه له. و الشعاع: ضوء الشمس و المطلع بفتح اللام الطلوع، لذلك قرأ القراء: حَتَّى مَطَّلَعِ الْفَجْرِ [سوره القدر، الآية: ٥] و مغربها حتى تغرب فيه غروبا، و يقال: غابت الشمس غيبوبه و غيوباً، و قد وجبت الشمس وجوبا إذا غابت، و كسفت الشمس كسوبا و ذلك ذهاب ضوئها و شرقه الشمس: موقعها فى الشتاء و دفوؤها و لا يقال لموقعها فى القيط: شرقه، و يقال: أقعد فى الشرق و فى الشروق و فى المشرقه سواء.

و حكى أبو عمرو: الشرق الشمس، و الشرق بالكسر: الضوء الذى يدخل من شق الباب. و منه خبر ابن عباس أنه قال: فى السماء باب للتوبه يقال له الشريق و قد رد حتى ما

بقي منه إلا شرقه. و حكى بعضهم: الشَّرْقُ الشَّمْسُ التي تكون في المقابر بعد العصر، و جاء في المسند: أنه ذكر الدُّنْيَا فقال صلى الله عليه و سلم: «إنَّه بقي منها كشرق الموتى».

قال ابن الأعرابي: يحتمل وجهين: أحدهما: أنَّ الشَّمْسُ في ذلك الوقت إنما تلبث ساعه ثم تغيب، فشبهه ما بقي من الدُّنْيَا بذلك. و الوجه الآخر: يشرق الميت بريقه عند خروج نفسه، فشبهه قله ما بقي من الدُّنْيَا بما بقي من حياه الشَّرْقُ بريقه.

و يقال: ما بقي من النَّهار إلا شفا، و الشَّفَاءُ بقيه الشىء، و أتيت به بشفا أى بشىء من ضوء الشَّمْسِ، و يقال: شَفَّتْ الشَّمْسُ بالتشديد أى غابت إلَّا يسيرا منها.

و قد طفلت الشَّمْسُ: إذا دنت للغروب، و أتيتك طفل الشَّمْسِ، و فى طفل الشَّمْسِ، و قال أبو حاتم و أنشدنا أبو زيد شعرا:

قد ثكلت إحدى بنى عدى أحبها فى طفل العشى

إن لم يثبت وصل قبل الزوى و طفلت الشَّمْسُ أى جنحت و مالت للغروب و قد صغت الشَّمْسُ إذا اصفرت كان لها صلابه.

و أدنفت: و ازدنفت و دنفت و هذه وحدها عن أبى عبيده إذا هممت بالمغيب، و غارت و آبت و ألفت يدا فى كافر و رجفت. و يقال: مغرب الشَّمْسِ و مغربان الشَّمْسِ و مغربان الشَّمْسِ. و يقال: على الأرض غيابات الطُّفل و قد أرهقت أى دنت للمغيب. و أنشد فى قوله:

دنفت و الشَّمْسُ قد كادت تكون دنفا

و حكى الغزاليه فى أسماء الشَّمْسِ لدوران قرصها فى مرأى العين. و منه المغزل و مغازله النساء لأنهن عند المراوده كأنهن يدرن فى أفانين الحديد. و قال أبو حاتم: ليست الغزاليه من أسماء الشَّمْسِ، إنما الغزاليه الضَّحوة و أنشد لذى الرَّمه شعرا:

فأشرقت الغزاليه رأس حوضى أراقبهم و ما أغنى قبلا

أراد أشرقت فى الغزاليه أى فى ذلك الوقت و أنشد أيضا:

أسوق بالقوم غزالات الضَّحى

و يقال: أتيتك بوجه النَّهار و بشباب النَّهار و هى الغزاليه الكبرى. قال ذو الرَّمه:

توضحن فى قرن الغزاليه بعد ما ترشفن ذرات الرِّهَامِ الرِّكائِك

و هذا حجه فى تثبيت الغزاليه اسما للشَّمْسِ. و كذلك رَأد الضَّحى - و رونق الضَّحى -

و فى تلغ الضحى. و أتيك حين تلعت الضحى - و أتيك مدّ النهار.

و كذلك ضحوه و ضحى و الضحاء الأ-كبر ممدود مفتوح مدّ النهار الأكبر، و ذكاء: اسم للشمس معرفه غير منونه، و طلعت ذكاء، و من أمثالهم؛ أضاءت الذكاء و انتشر الرعاء.

قال الشيخ: و حكى عن المبرد أنه قال: ابن ذكاء هو القمر، لأن له بصيصا كبصيص الشمس، و روى عن ثعلب أنه قال: بعض العرب يجعل ابن ذكاء النهار و نبت ذكاء الشرقه، و هو ضوء الشمس، و يقال للصبح ابن ذكاء و أنشد فيه:

و ابن ذكاء كامن فى كفر. أى فى ليل يستره و أنشد:

فى ليله كفر النجوم غمامها. أى غطاؤها و يقال لحسناها: عب الشمس، عب مخفف مثل دم، و قال الذئرى:

و ليس بموتيک الذى أنت مغرم بتسأله ما أبرق ابن ذكاء

و إياء الشمس: بياضها و الإياء أيضا أيا التبت حسنه و زهرته، و قال الشاعر، فمدّ الإياء و كسر الألف شعرا:

تنازعها لوان و رد و حوهترى لإياء الشمس فيه تحدرا

و قالوا: إياء الشمس: شعاعها. قال طرفه: سقه إياه الشمس إلا لثائه. قال الشيخ:

بعضهم يثقل عب الشمس فيقول: هذه عب الشمس، و العب أيضا البرد، و فى المثل أبرد من العب، فمن شدّد الباء يجعله من العباب، و هو معظم الشىء أى أعظمه. و من خفف الباء جعله منقوصا كدد من ددن.

و يقال للصبح: ابن جلا، كما قال: أنا ابن جلا و طلاع الثنايا. أى أنا منكشف الأمر، و جلا فعل فى الأصل و حكى لقبا كما قيل: تأبط شرا و قد جعل لقبا فحكى.

و قال قطرب: العب مثل الدم بتخفيف الباء و هو ضوء الشمس و حسنها يقولون عب شمس و من ثقل قال هذه عب الشمس و رأيت عب الشمس يريد عبد الشمس فأدغم الدال فى الشين كما قيل ثلث الدرهم، فيدغم التاء فى الدال، و قال بعضهم: يقول هو عب الشمس فيفتح فى كل وجه و قال:

إذا ما رأيت شمسا عب الشمس شمّرت إلى رملها و الجلهمى عميها

و شعاع الشمس و شعاعتها و شعها ضوءها و أشعت الشمس انشتر شعاعها، فإذا طال النهار و قيل: تمطى النهار و امتدّ و معط و متع متوعا.

و يقال: بقى علينا ريم من النهار للساعة الطويلة و نهار ريم أيضا فإذا انتصف النهار فهي ظهيره، و ظهر و هجير و هجر، و وديقه حين هجم المقييل و انحنى للتغوير. و الشمس في كبيدات السماء إذا توسّطت و عومت و دوّمت و حلقت.

و يقال: زالت الشمس زوالا و زالوا في التفرقه زبالا قال:

نعى حجشانها نجم دفوء خليط لا ينام على الزبال

و الظلّ: يكون ليلا و نهارا، و لا يكون الفى ء إلا بالنهار، و هو ما نسخته الشمس ففاء أو كان من النهار فلم تنسخه الشمس، و الفى ء هو التبع أيضا. قالت الجهينه:

ترد المياه خصيره و بقيضهورد القطاه إذا استمال التبع

و إذا لم يكن فى ء و لا- ظل قيل: (الظل طباق الخف) و إذا ارتفع إلى موضع العقال من ساق الشجره فنسخ الفى ء إلى ذلك الموضع قيل: (قد عقل الظل) فإذا صفا، أى زاد على طول الشخص قيل: قد فاء الفى ء و الظل الضافى الطويل، و يقال للظل الكثيف ظلّ المى.

و يقال للمكان الذى لا تقع فيه الشمس: (مقناه) و مقان جمع، و الذى تصيبه الشمس مضحاه و الجمع مضاح. و يقال للشمس المهاه. قال أميه بن أبى الصلت شعرا:

تم يجلو الظلام ربّ رحيم بمهاه شعاعها مستنير

و أصل المهاه البلوه.

و يقال للشمس الإلهه. قال التميمى:

تروّحنا من اللّعباء قصرأو أعجلنا الإلهه أن تتوبا

و يقال: الآهه فيصير كالعلم، و ذكر قطرب أنّ الإلهه من أسماء السّماء و الفتح فى همزتها لغه و اشتقاقه من لفظ إله لأنّ كل ما رغب فيه إلى الله تعالى يطلب من جهه السّماء.

و يقال للشمس البيضاء و طلعت البيضاء و لقيته فى الصّفراء أى حين اصفرت الشمس.

و قال الأصمعى: روى عن ابن الزّبير أنّه قال فى كلام له: البوح يعنى الشمس قال:

و لم أسمع البوح إلا فى كلامه. قال ابن الأعرابى: العرب تقول استدبار الشمس مصحه.

و أنشد:

إذا استدبرتنا الشمس درّت متوننا كأنّ عروق الجوف ينضحن عندما

درّت یعنی لانت، و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «استدبروا الشمس و لا تستقبلوها فإنّ استدبارها دواء، و استقبالها داء».

و يقال: ضرعت الشمس إذا غابت، (وزبت و أزبت) إذا دنت للمغيب. قال الدريدي:

ضرعت غير معجمه. و يقال: سقط القرص. و يقال: ما بين المشرقين مثل فلان أى بين المشرق و المغرب.

و حكى بعضهم: التغير بالنهار من آخره بإزاء التعريس و هو النزول بالليل من آخره.

(و القسطلانية) نداءه الشفق أو نداءه قوس قزح. و يقال للذى يسمى قوس قزح القسطلانى بالضم.

و قال الدريدي: أهل المدينة يسمون الهباء الذى يدخل من ضوء الشمس إلى البيت:

خيطة باطل. قال الشيخ: أخبرنى أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى قال: أخبرنى أبو عمرو غلام ثعلب عن ابن الأعرابى و عن عمر بن أبى عمرو عن أبيه و ابن نجده عن أبى زيد قال: يوح اسم للشمس و من رواه بالباء فقد صحف - و ذكاء - و العروج - و المهاه - و العبوريه - و البتراء - و الجونه - و الفين - و المأوبه - لأنها آتبه أبدا و تأويها: سيرها من المشرق إلى المغرب - و السّيراج - و الضّح - و الأهه بالضم - و الأهه بالفتح و روى قطرب الإهه بالكسر و الأهه بالضم. قال ثعلب: الضم أفصح و العمل عليه.

من أسماء الشمس: الغوره لأنها تغور - و أم شعله - و أم النجوم - و الغراه - و الهاله - و أنشد:

منتجب كأن هاله أمه ضعيف الفؤاد ما يعس بمعقول

منتجب هاهنا مفتخر أى يتخير و ينتجب ما يفتخر به علينا و هو جبان فى نفسه.

و حكى المفضل: (الحومانه) الشمس.

و يقال: سمرت الشمس طلعت، و أسمرت أضاءت مثل و أشرقت و قيل هما لغتان.

و أنشد ابن الأعرابى:

بيضاء شطت مزارها بلسنا إن سمرت أسفارها

فأتى باللغتين جميعا و أنشد أيضا:

كأنها الشمس إذا ما تسفرو الشمس منها يوم دجن أسفر

أى تضىء منها الشمس يوم الدجن. و أنشدنا أبو أحمد العسكرى قال: أنشدنى أبو عمر الزاهد عن ثعلب عن ابن الأعرابى:

و جاريه رفعتها لأنها يكفى عن خرجاء يهفو رواقها

قال: الجاريه هاهنا الشمس، و الخرجاء: عين الشاعر لأنها ذات لونين. و أنشد عن

ثعلب عن ابن الأعرابي:

و معموله إن زدت فيها نقصتها وإن نقصت زادت على ذاك حالها

قال: يريد الكوه التي تكون في السقف مدخلها ضوء الشمس كأنه جبل ممدود و لذلك سمى ذلك الضوء خيط باطل، لأن ما تراه فيه إذا قبضت عليه لم يحصل في يدك منه شيء، و قوله: إن زدت فيها نقصتها أي إن زدت في جسمها نقصت من ضوئها فهكذا حالها. و أنشد ثعلب عن ابن الأعرابي:

و الشمس معرضه تمور كأنها ترس تغلبه كمى راح

قال الشيخ: أظن أن ابن المعتز أخذ قوله من هذا:

و مصباحنا قمر مشرق كترس اللجين يشق الدجي

مخاط الشمس، و مخاط الشيطان جميعا.

و يقال: ركبت الشمس و هو غايه زيادتها، و قسبت الشمس تقسب و صفت تصفو صفوا، و كل هذا في معنى الرسوب. و قال أبو النجم: صفواء قد هممت و لما تفعل.

و يقال: قنب يقنب قنوبا و ذلك إذا لم يبق منها شيء و أنشده شعرا:

مصايح ليست باللواتي تقودهانجوم و لا بالآفلات الدوالك

يقال: أفلت الشمس: إذا غابت، و الأفل يستعمل فيها و في غيرها، و كذلك البروغ و هو الطلوع قال الله تعالى: فَلَمَّا أَفَلَتْ [سوره الأنعام، الآية: ٧٨] في الشمس و فلما أفل في القمر.

و حكى قطرب: جئتكم غبه الشمس أي عند مغيبها كأنه قلب، فقدم الباء قال: و قالوا:

شمسنا و شمسنا أي أودينا بحرّها و أشمسنا صرنا في حرّ الشمس و شمس يومنا و شمس و أشمس.

يقال: أزبت الشمس و زبت و زبت إذا دنت للمغيب.

و يقال: انصلعت انصلاعا و هو تكبدها وسط السماء، و صلاع الشمس حرّها، و قال:

حرّ الظهيره تحت يوم أصلع، و حكى أبو عمرو: العباء أنوار الشمس.

و يقال: قصبَت الشَّمس و ذلك إذا بدا قصبها في عين الناظر إليها. و ذكر في أسماء الشَّمس قطيفه المساكين و ما أظنه إلا من وضع العامه.

و حكى أبو حنيفه: الشُّرق الشَّمس، و يقال: أتيتك كلَّ يوم شرقه أى شمسه و طلع

الشرق، ولا يقال: غاب الشرق. و ذكر قوله: و همت الجونه أن تصوما، و معنى صوم النهار أن الشمس إذا توّسّطت السماء نصف النهار كأنها تقف أ لا تسمع قوله:

و الشمس حيرى لها فى الجوّ تدويم

. و حكى أبو حنيفة أن الإلهة تأنيث إله، و أحسب أن الشمس سمّيت بها لأنه كانت تعبد.

قال: و النداءه قوس المزن و أكثر ما يكون فى الوسمى و الصّيف و قيل: بل هى الحمرة العارضه فى مطلع الشمس و مغربها إذا عرضت.

و يقال: سبّأته الشمس و النار و الحمى إذا غيّرتة، و كذلك السفر يسبأ الإنسان. و حكى ابن الأعرابى أنك لتريد سبأه أى سفرا، و قال سربد مثلها: و السبأه البعد فكان السربد السفر القريب.

و يقال: جاءنى فلان قمه أى حين غابت، و قال أبو عمرو و ما قمسته و قامسته بمعنى و المقامسه المقاطه قال الهذلى:

قلو رجلا خادعتة لخدعتة و لكنما حونا برحنا أقامس

سبّته الشمس و سبّأته إذا أحرقتة.

الباب السادس والعشرون فى أسماء القمر و صفاته، و ما يتصل بها من أحواله

فصل [فى بيان معنى الهلال]

قال أبو حاتم: قال أبو زيد: يقال الهلال: ما دام ابن ليله أو ابن ليلتين، فإذا استدار و عظم قبل أن يستدير فهو: القمر المستقبل، فإن غطاه سحاب أو قوه فلم ير إلّا بعد ثلثه من أول الشهر فهو قمر، و إلّا يدعى هلالا.

و أما القمر: فهو ضوء القمر، و يقال: طلّع القمر، و لا يقال طلعت القمراء و لكن يقال: أضاءت القمراء، كما يقال أضاء القمر.

و يقال: قمر الليل، و لا يقال: قمر القمر، و يقال: قمرنا و نحن مقمرون، و يقال:

تقمّرت فلانا إذا قصدته فى القمراء.

و روى الشّعبي أنّ شيخا تقمّر جاريه و لم يبلغ منها ما أراد فرفعا إلى عمر فعزّره و أراد تعزيرها أيضا فشهدوا لها أنها أنكرت قربه و صاحت فخلّى سبيلها.

و يقال: وضح القمر وضوحا.

و يقال: استهلّ الهلال و أتيتك عند مستهلّ الشهر.

و يقال: أهللنا الهلال، و أهل الهلال، قال أبو حاتم: بالبصره يقولون هلّ الهلال، و لا يجوز ذلك، قال أبو حنيفة: حكى عن الثّقه أنّه يقال: هلّ الهلال نفسه أى طلع و أهللناه نحن رأينا، و إذا كان الهلال منبسطا قيل: هلال أوفق.

و يقال: أتيته عند إهلاله و استهلاله و هله و هلّه و هلولة، و أتيته تيفاق الهلال و توافقه و ميفاقه.

قال الفرّاء: يقال إذا عاينت الهلال رأيتة قبلا، و إن استقبلك قبل: رأيتة قبلا، قال:

و كل ما قابلك فهو قبل منك، و قال غيره: رأيت الهلال و هو أوّل ما يرى و لم ير قبل ذلك،

و تكلم فلان قبلا، إذا تكلم بكلام لم يكن قد استعد له.

و يقال: سلخت الشَّهر سلخا و سلوخا و سلخ هو و انسلخ.

و يقال: نصف الشَّهر و أنصف و نصف و كذلك كلُّ شىء يؤول إلى النِّصف. قال الفراء: طرح الألف أجوده، و حكى الجرمى عن الأصمعي: أنصف النَّهار و لا يقال: نصف، و لكن يقال: نصف الماء القدح، هذا و ما أشبهه ممَّا يبلغ نصف غيره. قال:

ترى سيفه لا ينصف السَّاق نعله أجل لا و إن كانت طوالا محامله

و قال الفرزدق:

و إن يقنهن الولائد بعد ماتعالى نهار الصِّيف أو كاد ينصف

و قال ابن علس:

نصف النَّهار الماء غامر هو شريكه بالغيب ما يدرى

فكلتا اللغتين صحيحه، و قال العجاج فى نصف:

حتى إذا الليل التمام نصفا

و قال أبو زيد: يقال: انتصف النَّهار انتصافا، و أنشد:

فانتصف النَّهار و النَّعام و المهر مزدم له قتام

يعنى أنه عقر نصف النَّعام على الفرس إلى نصف النَّهار.

و يقال: وسط النَّهار حكاه أبو زيد يقال: قمراء أضحيان، و هو ضوء القمر من أول الليل إلى الصُّباح.

و يقال: أضحيان لكل ليلة من العشر الوسط، و يسمون القمر فى أول الليل و آخره قميرا يصغرونه لصغره. قال ابن أبي ربيعة:

و قمير يد الخمس و عشرين له قالت الفتاتان قوما

يريد قومن و أنشد فى القمراء:

يا حبذا القمراء و الليل السَّاج و طرق مثل ملاء النَّساج

و القمر الباهر فى اللآالى البىض و معنى الباهر الذى يملأ كل شىء بضوء بهر بهورا، قال أبو حاتم: و البهر: الذى يصيب الإنسان من ذلك لأن المتنفس يمتلىء و يتردد فيه النفس فيستبهر. و قال:

عمّ النجوم ضوءه حين بهر فغمض النجم الذي كان ازدهر

و قال:

و القمر الباهر السماء لقد زرنا كلانا بجحفل لجب

ليله عفراء: ليله ثلاث عشرة. و يقال لها أيضا: ليله السواء، و قال بعضهم: تسمى بذلك لأن القمر يستوى فيها، و هو قول الأصمعي، و قال آخرون: لأنه يستوى ليلها و نهارها. و قال: هي السواء و الغراء.

و يقال: أسفر القمر في أول ما يرى ضوءه، و لم يظهر بعد، و أضاء القمر، و قالوا:

ليل أسفر، و قالوا: امتحق القمر، و لم يعرفوا فيه فعل يعنى محق، و الاسم المحاق و المحاقه غداه يخفى عليك، لأن الشمس تغيبه عنك من أول نهارك قبل طلوعها ثم الاستمرار إلى أن يهل الهلال.

قال الأصمعي: المحاق أن يطلع القمر قبيل الشمس في ضوءها، فلا يزال ينمحق حتى يذهب. و السرار: أن يطلع خلفها. و قال أبو عبيده: العرب تقول: ليله ميلاد القمر: ابن ليلته و أنشد:

كأن ابن ليله طلع جانحاقسيط لدى الأفق من خنصر

و قال أبو عبيده: إنما قيل: ليله البدر لأن القمر يبادر الشمس أن يطلع، قال الله تعالى: لَأَلْشَّمْسُ يَبْغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَأَلَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [سوره يس، الآية: ٤٠] أي يجرين في قطب المدار. و قال زهير:

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليله البدر

قال أبو حاتم: قد روى عن ابن عباس هذا القول: إن القمر إنما سمي البدر لأنه يبادر أن يطلع، و لا أظنه إلا غلطا عليه، إنما البدر الممتلئ. و يقال: ليله البدر، و قمر بدر و أبدر القمر صار بدرا. قال الشاعر:

ثم كشعه القمر البدر حقوق الأحشاء و الكبد

و يقال: غلام بدر إذا امتلأ شبابا قبل الاحتلام، و جاء ببدره أي سقاء ممتلئ لبنا.

قال أبو عبيده: ثم سموا ليله البدر، و ليله النصف، و ليله السواء و هي ليله ثلاث عشرة البيض قال: و لم أسمع عربيا سمي شيئا منهم و لكن عدوهن فلما بلغوا آخر الشهر سموا ثلاثا منهم الدادي صفاه لشده ظلمتهن.

و قال أبو نصر: الدأء: هي الغلبه إذا كنت تشكّ في الليله هي ممّا أنت فيه أو من المقبل، يدل على هذا قوله:

هاجت عليه من الأشرط نافحهبغلته بين أظلام و أحفار

و قال:

تداركه في منضل الآل بعد مامضى غير ما دأء و قد كاد يذهب

ثم قالوا: سرار الشهر. قال جرير:

رأت مرّ السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال

و يكون سرار الثلاثين من آخر الشهر إذا تمّ الشهر، فإذا نقص فهو سرار ليله.

و يقال: أتيته عند سرار الشهر و عند سرار القمر. قال:

تلقى نوؤهنّ سرار شهر و خير التوء ما لقي السرار

و قال الكسائي: آخر ليله من الشهر. قال كثير:

هلال عشيه لشفأ غروب تسرّ و ليله بعد المحاق

و قال الراجز:

نحن صبحنا عامرا في دارها عشيه الهلال أو سرارها

و السرار: يفتح و يكسر و الفتح أعرف، و قال بعضهم: المحاق ثم السرار لأنّ ضوأه يمتحق ثم يستتر. و قال غيره: امتحاق القمر:

احتراقه و احتج بيت ساعده:

في ما حق من نهار الصيف محتدم

و يقال: محاق القمر، و محاق الشهر. قال:

بنيت بها قبل المحاق بليلهفكان محاقا كلّ ذلك الشهر

و قال آخر:

فإن تك كوكب الصّمعاء نحسابه ولدت و بالقمر المحاق

و يقال: حجر القمر، و قمر القمر: إذا استدار بخط دقيق.

و يقال: لحف القمر فهو ملحوف: إذا جاوز النّصف و أخذ في النّقصان. و البراء: آخر ليلة في الشّهر لتبرأ القمر من الشّمس.

و يقال: طفاوه القمر: إذا حجه و أنشد: كأنه البدر في طفاوته. و بعضهم يفتح الطاء فيقول طفاوه.

و يقال: أفتق القمر: إذا خرج من السحاب لفرجه يجدها، و الفرجه الخصاصه. قال ذو الرمه شعرا:

تريك بياض لبثها و وجهها كقرز الشمس أفتق ثم زالا

أصاب خصاصه فبدا كليلا كلا و انفل سائره انفلالا

و قال بعضهم: يسمى القمر: الزبرقان و هو من قولهم: زبرق عمامته: إذا صفرها.

قال أبو حاتم: و زعم من لا أسكن إلى قوله أن القمر يسمى في الدادى الساهور. قال أميه بن أبي الصلت:

و الشهر بين محاقه و هلاله أجل لعلم الناس كيف يعدد

و لا نقص فيه غير أن خبيثه قمر و ساهور يسأل و يغمد

و زعم أن الساهور بالنبطيه أو السيرانيه، و قال بعضهم: هو غلاف القمر يخرج منه أول حتى يبرز كله، فإذا انتصف الشهر ارتد فيه.

و حكى بعضهم: ليالى الساهور التسع البواقى كلها. و حكى الحارزنجى: الساهور الشهر، قال: و يقولون: لقوا الشر فى ساهوره، أى فى كثرته. قال: و الساهور من أسماء القمر و هو السحاب أيضا، و الشاهره الأرض العريضه البسيطه.

و قال شيخنا أبو على: الساهره وجه الأرض من السير، و معناه أنه إذا سهر قلق جنبه، فقل حظه من الأرض، إما بالقيام، و إما بالعود، و إما بالقلق و الحرکه فتأويله أنه سلب ملابسه الأرض، و كذلك قولهم: سهروا و المعنى واحد و الأخذ منزله كل ليله و الرّكس منزله الذى ينكسف فيه.

و يقال للشواد الذى فى القمر: المحو و الشامه. و الهاله داره القمر.

و يقال: طمس القمر و النجم إذا ذهب ضوءهما.

و يقال: القمر الليله فى الهاله قال: فى هاله هلالها كالأكيل يعنى دارته أنشد فى الهاله:

فمن يسع من حى الأراقم جاهد اليدرک مسعاه ابن هاله يسبق

و يقال: سميت هاله لحسنها و جمالها كأنهم شبّهوها. و قال قطرب: الفخت ضوء القمر و الشمس، و هى أيضا: ثقب مستديره فى السقف، و قد انفخت و قال ثعلب: الذى

يدل على أنّ الفخت الضوء لا الظل أن الفاخته سميت لفتح القمر و منه الصبغ الفاختى.

و كذلك ذكره أبو عبيده و الكسائي، و يقال: جاء تيفاق الهلال، و توفاق الهلال، و توفق الهلال، و ميفاقه أى لوقته، و حين و جاء على نفته و نافته، و على أفاته أى لوقته.

و أخبر أبو عمر بن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: هو القمر- و الطوس- و الجلم- و الجيلم و الأرسلم- و الباهر- و الزبرقان- و الزباض- و البدر- و السمار و المتسق و البادر- و الغاسق.

قال ابن الأعرابي: و يقال للهلال: الأزميم- و ابن ملاط- و ابن مزنه- قال شعرا:

كأنّ ابن مزنه طلع جانحافسيط لدى الأفق من خنصر

قال: و يقال له الأزميم إذا دفع. قال: كأنما شخصها فى الآمل أزميم. و زعموا أنّ أعرابيه قالت لزوجها: لقد رأيت الأزميم بوجهك فما رأيت خيرا.

و يقال: قمر سنمار إذا كان مضيئا، و قمر سنمان بالتون أيضا.

قال أبو عمرو: أخبرني السياري عن قوله فى الغاشق أنّه القمر. و قلب الغسق عند العرب السواد، قال: إنما قال: تعوذى بالله من شرّ هذا الغاسق أى من شرّه إذا انكسف فهو آيه و يسود، فمعناه يا عائشه افزعى إلى الصلاه و استعيذى بالله من شرّ هذه الآيه إذا رأيتها، قال ابن الأعرابي و أنشد نصر و الأسد يون شعرا:

و مستنبت لا بالهلال نباته و ما أن تلاقت باسمه الشفتان

له شامه سوداء فى حرّ وجهه مجلله لا ينقضى لأوان

و يدرك فى تسع و ستّ شبابه و يهرم فى سبع معا و ثمان

قال: هو الهلال لأنّه ثبت بلا سقى ذكر الشفتان لأنّه ليس فى اسم الهلال من الحروف التى ينضم عليها الشفتان شىء و حرّ الوجه ما بدا منه و منه قوله:

كريمه حر الوجه غير المحسر

و حكى ثعلب عن أبى مسجل عن الكسائي أهلّ الهلال و استهلّ، و لا- يقال: هلّ و لا أهللنا الهلال. و الحمره التى يغيب فيها القمر يقال لها: النداء. قال الفزاري و الجمع ندى ثلاثه، أخط أحمر بين أخضرين، فإذا رأيتها فتق بالمطر من غرب أو شرق بإذن الله عز و جل. قال ثعلب: الأخط جمع خط كما يقال: صل و أصل و شد و أشد. و غره الشهر أول ليله، لأنّ الهلال فى أوله

كالغره فى وجه الفرس. و تقول العرب للحجر البراق: هو بصاقه القمر، وقيل بصاق و بصق. و البلماء ليله البدر.

و يقال: وجه مسلم إذا امتلأ نورا و استكمل حسنا، و قال بعضهم: يقال كذلك طفاوه القمر.

فصل فى أسماء ليل من أول الشهر

الغرر و يقال الغر أيضا لأنها كالغره فى الوجه البهيم من الخيل.

و يقال أيضا: القرح لأنها كالقرحه فيها. و ثلاث يليها السبع، و قيل لها: الزهر بفتح الهاء و قد سكنت أيضا، و قد أزهق القمر و الزهره البياض و النجم المعروف الزهره، أبو عبيده يبطل التسع و العشر و رواه غيرهما. و من قال الغر جعلها جمع غره. و من قال غر جعلها جمع غزاء. و قيل بعد الغر ثلاث شهب، لأن ضوء القمر فيها غير باهر، و قيل: ثلاث بهر لأن ضوء القمر بهر كل ظلمه أى غلب، و قيل فى التسع: إنها سميت بها لأن فيها الليله التاسعه، كما سميت الغرر لأن فيها الغره، و هى ليله واحده ليله الهلال.

و كذلك العشر: لأن فيها الليله العاشره، و ثلاث يليها التسع، و قيل لها: الدرع بفتح الراء، و يجعل درعه مثل ظلمه و ظلم و قيل الدرع بسكون الراء جعل جمع درعاء. و قيل:

صبح أدرع: لاختلاط الضوء بالظلمه. و شاه درعاء إذا اسودّ مقدمها و ابيضّ سائرها. و يقال:

أدرع الشهر إذا جاوزت النصف منه و الدرع و الظلم و الزهر و قد حركت الثانى منها كلها و جاءت على غير قياس. قال ابن أبى ربيعه:

قالت له شققا لا تأت فى قمران كنت تأتى بليل و احذر الدرعا

ففتح الراء و القياس إسكانها. قال أبو حاتم: لم أسمع فى الظلم أنها جاءت على القياس. و قال بعضهم: أتيت و ثوب السيماء مجزء، لأن أولها أبيض و آخرها أسود.

و قال الأصمعى: عن العرب: الليالى البيض: ثلاث ليل: ليله السواء، و ليله البدر، و ليله خمس عشره. قال: و لا يقال أيام البيض إنما يقال: ليلالى البيض، و تسمى هذه الليالى المحمقات، و ذلك أنه إذا كان فى السيماء غيم رقيق و طلع القمر من أوله إلى آخره خفى على الإنسان ضوء الصبح، فيظن أنه قد أصبح و عليه ليل فيسمين محمقات لذلك. و يقال: غرّ فلان غرور المحمقات.

و قد قيل لما يلى التسع إلى اثنتى عشره: الجزء، ثم ثلاث عشره السواء و العفراء، و أربع عشره البدر، و خمس عشره ميسان، و إلى العشرين الدرع، و قد تقدّم القول فى جميعه، و التسع البواقى الدادى، و آخر ليله فى الشهر ليلي مقصورا لظلمتها. و حكى المد فيها. و قيل للثلاث الأواخر محاق، لأنه يمتحق القمر فيها كأنه يحترق عند طلوع الشمس فلا يرى.

و يقال: ليله المحق و يقال: أتيته في المحاق أى في امتحاق القمر.

و يقال: من البدر قد أبدرنا، و من السواء قد أسوينا، و من نصف الشهر قد أنصفنا.

و يقال: ليله ضحيان و ضحيانه، و ليله قمراء، و ليله بيضاء، و ليله ضحياء، و ليال ضحيانات، و ليله طلقه، و ليال طلاقات، و طوالق إذا كنّ مقمرات.

و يقال: ثلاث دادى، و ثلاث ظلم، و ثلاث حنادس. قال شعرا:

تداركه فى متصل الآل بعد ماضى غير أداء و قد كاد يسحب

و قيل: اللبالي النّحس و الدّهم. و قيل أيضا: ثلاث قحم: لأنّ القمر قحم فى دنوّه إلى الشّمس.

و يقال ليله ثمان و عشرين: الدّعجاء، و ليله تسع و عشرين الدّهماء، و ليله ثلاثين اللبلاء، و يجوز أن يكون القحم أخذ من افتتاح فى السّير، و قال الأصمعيّ فى الحنادس:

كلّ ظلماء من اللبالي حنادس، و قال أبو عمرو: قول النّاس العشر و النفل لا تعرفه العرب.

قال الجعدى فى الظّلم: كالليله المباركه القمرء تهدى أوائل الظّلم. و قال المسيّب بن علس: كالطّلق يتبع ليله البهر.

الباب السابع والعشرون فى ذكر أسماء الهلال من أول الشهر إلى آخره و ما ورد عنهم فيها من الأسجاع و غيرها

قال أبو زيد: الأعراب يقولون للقمر لأول ليله، رضاع سخيله حل أهلها برميله.

و لابن ليلتين: حديث أمتين يكذب و مين، و لابن ثلاث: حديث فتيات غير جد مؤتلفات، و يروى ما أنت ابن ثلاث، فقال: قليل اللبات، و لابن أربعة: عتمه ربع غير حبلى و لا- مرضع. و يروى غير جائع و لا مرضع. و قال بعضهم: عتمه أم ربع غير حبلى و لا مرضع.

و لابن خمس: عشاء خلفات قعس و زعم غير أبى زيد أنه يقال لابن خمس: حديث و أنس.

قال أبو زيد: و يقال لابن ست: سر و بت. و قال غيره: أسر و بت. قال أبو حاتم: لأنه يقال: سرى و أسرى بمعنى. و قال أبو زيد: لابن سبع دلجه الضبع، و قال غيره: حد و الأنس ذو الجمع. و قال أبو زيد لابن ثمان: قمرء أضحيان. قال أبو حاتم: أضحيان.

قال أبو زيد: و لابن تسع: انقطع الشبع. و قال غيره: ملتقط ماء الجزع و قيل مثقب الجزع.

و قال أبو زيد لابن عشر: ثلث الشهر. و قال غيره: محقق الفجر. و قال غير أبى زيد قيل للقمر: ما أنت لإحدى عشره قال: لدى عشاء و أرى بكره. قيل: فما أنت لاثنتى عشره؟

قال: موثق للشمس بالبدو و الحضر. الذى حكاه أبو حاتم موثق للشمس. و قيل: ينبغى أن يكون موثق للخلق. قيل: فما أنت لثلاث عشره؟ قال: قمر باهر يعشى له الناظر. قيل: فما أنت لأربع عشره؟ قال: مقتبل الشباب أضىء مدجنات السحاب. قيل: فما أنت لخمس عشره؟ قال: تم التمام و نفذت الأيام. قيل: فما أنت لست عشره؟ قال: نقص الخلق فى الغرب و الشرق. قيل: فما أنت لسبع عشره؟ قال: أمكنت المغتفر الغفوه. قيل: فما أنت لثمانى عشره؟ قال: قليل البقاء سريع الفناء. قيل: فما أنت لتسع عشره؟ قال: بطىء الطلوع بين الخشوع. قيل: فما أنت لعشرين؟ قال: أطلع بسحره و أرى بالبهرة، قيل: فما

أنت لإحدى و عشرين؟ قال: كالقبس أطلع فى غلس. قيل: فما أنت لاثنتين و عشرين؟ قال:

أطيل السرى إلا- رأيت ما أرى. قيل: فما أنت لثلاث و عشرين؟ قال: أطلع فى قتمه و لا أجلى الظلمه. قيل: فما أنت لأربع و عشرين؟ قال: أرى فى تلك الليالى لا قمر و لا هلال.

قيل: فما أنت لخمس و عشرين؟ قال: دنا الأجل و انقطع الأمل. قيل: فما أنت لست و عشرين؟ قال: دنا ما دنا فليس يرى لى سناء. قيل: فما أنت لسبع و عشرين؟ قال: أطلع بكرا و أرى ظهرا. قيل: فما أنت لثمان و عشرين؟ قال: أسبق شعاع الشمس، و قيل: فما أنت لتسع و عشرين؟ قال: ضئيل صغير لا يرانى إلا البصير. قيل: فما أنت لثلاثين؟ قال:

هلال مستقبل.

و يقال: جئت لعقب الشهر و عقبا له أى بعد ما يمضى، و فى عقبه و عقبه إذا بقيت منه بقيته.

و يقال: لا يفعل كذا إلا عقبه القمر. و ذلك إذا قارن الثريا و يقارنها فى السنه مره و هو من المعاقبه، و ذلك إذا استوى الليل و النهار، و قيل: هو عودته إذا غاب و قال بعضهم فى عقبه:

لا يطعم العسل و الخطمى لمته و لا الزريره إلا عقبه القمر

و أنشد ثعلب عن ابن الأعرابى عن المسروحي قال:

لما رأيت الشعراء أبدووا كل شىء جمعوه عددوا

حاجتهم ما ذو عصا مسندحى كميته عينه توقد

سيد جمع حوله لم يولد

(سيد جمع): يعنى القمر و النجوم حوله و (ذو عصا) قال جعل عصاه المجزه و (مسند): أى فى السماء، و قيل أيضا: يسند إليه الشهور و الأيام و (حى كميته) أى يسير و لا روح له و معنى (أبدووا) أتوا بالأوابد و الدواهي. و أنشد أبو زيد عن المفضل لرجل من بنى سعد شعرا:

مهما يكن ريب المنون فإننى أرى قمر الليل المعذب كالفتى

يهلّ صغيرا ثم يعظم قدره و صورته حتى إذا هو ما استوى

يقارب يخبو ضوءه و شعاعه و يمصح حتى يستسر فلا يرى

كذلك زيد المرء ثم انتقاصه و تكراره فى إثره بعد ما مضى

(زيد المرء) زيادته. و قال آخر:

يدان بنا و ابن الليالى كأنه حسام جلت عنه العيون صقيل

فما زال يغلو كل يوم شبابه إلى أن أتتك العيس و هو ضئيل

و المعنى سرنا من أول الشهر إلى آخره حتى انتهينا إليك. و أنشد ابن الأعرابي:

فلو كنت ليلا كنت ليله صيف من المشرقات فى موسطه الشهر

و لو كنت ظلًا كنت ظلّ غمامهو لو كنت عرشا كنت تعريشه الفجر

و لو كنت يوما كنت يوم سعادهيرى شمسه و المزن يهضب بالقطر

و أنشدت عن نقطويه، قال: أنشدنى ثعلب عن ابن الأعرابي شعرا:

لو كنت ليلا من ليالى الشهر كنت من البيض تمام البدر

بيضاء لا يشقى به من يسرى أو كنت ماء كنت غير كدر

ماء سماء فى صفاء من صخر أظله الله بعيض السدر

فهو شفاء من غليل الصدر

و أنشدنى حمزه بن الحسن قال: أنشدنى على بن سليمان عن المبرد:

و ليل فى جوانبه فضول على الآفاق أبهم غيبهان

كأنّ نجومه دمع حبيس ترقرق بين أجفان الغوانى

قال أبو عمر الزاهد: عرضت هذين البيتين على ثعلب، فقال: البيت الثانى مضاف إلى شعر الشاعر و ليس له. و قال جرير فى قصه الأيام:

و يوم كإبهام القطاه مزين إلى صباه غالب لى باطله

و أنشد فى مثله:

ظللنا عند دار أبى نعيم بيوم مثل سالفه الذباب

و أنشد أبو العباس ثعلب:

و سياره لم تسر فى الأرض تبتغى محلًا و لم يقطع بها اليد قاطع
سرت حيث لا تسرى الرّكاب و لم ينخ لورد و لم يقصر لها القيد مانع
تفتّح أبواب السّماء و دونها إذا ما ارتجت عنها المسامع سامع
يعنى دعوه مظلوم دعا الله تبارك و تعالى و أنشد فى مثله شعرا:
خدنان لم يريا معا فى منزل و كلاهما يجرى به المقدار
لونان شتى يغشيان ملاءهتسفى عليه الرّيح و الأمطار

(الخدنان): الليل والنهار و (الملاءه) يعنى بها الأرض. و قال آخر فى المحاجاه:

ما جملى قهقرنى و إبلى يعذرنى و قربتى رويه و كلبتى حميّه

جمله القمر، و القهقر الشديده و إبلى يعذرنى: يعنى النجوم، و قربته السّماء تمطر و كلبته حميّه يعنى الشمس. و أنشدنى
العسكرى أبو أحمد، قال: أنشدنى المفجع الكاتب:

و ما واضح بعد الغياث مصورله خلع شتى و ما هو لابس

يعنى: قوس قرح، و (الغياث) المطر. قال و أنشدنى الآخر:

أكلت النهار فأفئنته فهل فى ليالىك من طمع

النهار: الذّكر من الحبارى و اللّيل: فرخ الكروان، قال: و أنشدنى عن ثعلب:

ألا ليتنى أصبحت يوما بمنزل بعيد من اسم الله و البركات

هذا رجل طال سفره، فكان إذا ارتحل أصحابه قالوا: اسم الله. و إذا نزلوا قالوا: على بركة الله، قيل: طول السّفر، و قال ذلك. و
قال آخر فى ضده:

ليتنى فى المسافرين حياتى لا لحبّ الحلول و التّرحال

بل لخمس تحطّ منهنّ ستّ و ثلاثين لا تكون بيالى

يعنى خمس صلوات، يحطّ منها ست ركعات و هى: صلوات المسافر. و أنشدنى أبو أحمد العسكرى:

رمتنى بنجلاوين من ترميانه بسهمها شدّت عليه التّمائم

و شفّت سحابا فيه سبعون أنجما و شمس تولّتهنّ عشر نواعم

النّجلاوان: العينان يقول من أصابته بطرفها جن، و السّحاب: أراد به أنّها حلّت أضرارها جعل الغطاء كالسّحاب و الأنجم اللّائى، و
الشمس منه كالقلاده من فضّه أو ذهب و أراد بالعشر النّواعم الأصابع و أنشد:

سته إخوه و أخت شريفهه فى دارنا و دار الخليفه

يعنى أيام الأسبوع.

الباب الثامن والعشرون فى ذكر أسماء الأوقات لأفعال واقعه فى الليل والنهار

و أسماء لأفعال مختصّه بأوقات فى الفصول و الأزمان يوم العداد: يوم العطاء و الفرض. لذلك قيل: عداد فلان فى بنى فلان أى ديوانه.

قال ابن الأعرابى: العداد: الوقت الذى تتهيج فيه أوجاع البطن. و العداد الرّبع من الحمى و أنشد:

يلاقى من تذكّر آل ليلى كما يلقى السّليم من العداد

و فى الحديث: «و ما زالت آكله خير تعادنى فهذا أوان قطعت أبهرى» أى يأتينى الأذى منها لوقت معلوم. (و العداد): اللّيلة التى يباح فيها على الميت من كلّ أسبوع.

و عده المرأة: أيام قرئها.

و الصّيبوح: ما يشرب صباحا. و الغبوق: ما يشرب عشاء. و من أمثالهم: جاء فلان و قد أحيل صبوحة على غبوقه، إذا صرف عن رأيه و أمره. و مثله: جاء فلان و قد فتلت ذوائبه و فتّ فى عضده. و فى الحديث: «ما زال يفتل فى الدّروه و الغارب» و أنشد:

ما لى لا أسقى على علّاتى صبائحى غبائقى قيلاتى

و النّحويون يحتجّون بهذا فى حذف حروف العطف من الكلام.

و القبيل: شرب نصف النّهار، و فى قصه تأبط شرّاً: شروب للقبيل - يضرب بالذّيل كمغرب الخيل - و أنشد:

ياربّ مهر مزعوق مقليل أو مغبوق

من لبن الدّهم الرّزوق.

مزعوق: أى نشيط.

و الجاشريّه: شرب السّحر. يقال: أسحرنا فتجشّرنا فنحن مسحرون متجشّرون من جسر الصّبح. و أنشد:

إذا ما شربنا الجاشريه لم نبل أميرا و إن كان الأمير من الأزد

و ما يؤكل فيه اسمه السحور و الطائر المسخر: إذا غرد سحرا. و السحر و السحرة واحد. و يقال: صبحناهم و غبقناهم و غشيناهم و غديناهم قال عدى:

بينك فلم يلقهم حقاء

و الصحاء للإبل: كالغداء للناس، و أول وقت الغداء قبل الفجر الثاني، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم للعرباض حين دعاه إلى السحور: «هلم إلى الغداء المبارك». فالغداء و العشاء مأخوذان من الغدا و العشي. و يقال لمن خرج في هذا الوقت: قد غدا منه، فإن يقدم في هذا الوقت لم يقل غدا، و لكن يقال: دلج إذا خرج في نصف الليل، أو في أوله و أدلج إذا خرج في آخره، فإذا انبسطت الشمس فإن شئت سميت الغداء ضحاء. و يقال: ضح إبلك، أى غداها و سمى ضحاء لأنهم يضحون للشمس و فى القرآن: لا تظموا فيها و لا تضحى [سوره طه، الآيه: ١١٩] أى لا تعطش و لا تصيبنك الشمس. و بناء الفعل من هذه الأفعال قياسه مطرد و فى أظما الفعل و الظماء ما بين الوردين، يقال: وردت الإبل الربع و الخمس إلى العشر و من هذا قول الكميت:

و ذلك ضرب أخماس أريدت لأسداس عسى ألا تكونا

هذا مثل يضرب للرجل يتعامل بغير علمه يظهر لك شيئا و يريد غيره، و العدى يريد شيئا يتوصل إليه بغير وجهه، و يخيل عنه صاحبه. و وردت الماء ظاهره أى وردت كل يوم نصف النهار.

و الغب: أن يرد يوما و يدع يوما، و كذلك الغب فى الزياره. و فى الحديث: «زر غبا تزدد حبا» و منه قيل: أغب اللحم أغبابا، و غب غبوبا إذا أروح و لحم غاب و مغب. و حكى أبو زيد: لأضربنك غب الحمار و ظاهره الفرس. و غب أنه يرعى يوما و يشرب يوما.

و الظاهر أنه يشرب الفرس كل يوم.

و يقال: أفضينا اليوم: إذا شربت الإبل قليلا قليلا، و أشربنا إذا رويت إبلنا. و الغب فى الورد: معروف، و لا يقال: بدله الثلث، كما قيل الربع. و الورد يوم الحمى، و يقال: هو مورود. و القلد: يوم يأتى فيه المثلثه. و القد أيضا أن يمطر الناس من الأسبوع فى يوم معلوم ثلاثا أو أربعا أو أحد الأيام.

و يقال: هو مربع و مربوع فى حمى الربع. قال الهذلى:

من المربعين و من آزل إذا جته الليل كالتاحظ

و القلع: و حواذها أن يعاود و ينقطع مرّه بعد أخرى، و هذا كما قال التّابغه في صفه السّليم: تطلقه طورا و طورا تراجع. و السّرح: المال يسأم في المرعى.

يقال: سرح القوم إبلهم سرحا و سرحت الإبل، و المسرح مرعى السّرح و لا يسمّى سرحا من المال إلا ما يغدى به و يراح، و الجميع السّروح و يكون السّارح اسما للقوم الذين لهم السّرح، نحو الحاضر و السّامر و هما للجميع. و أنشد في ذلك:

سواء فلا جذب فيعرف جذبهاو لا سارح فيها على الرّعى يشبع

و قال: أم حصان لم تكن أمه في الحى ترعى سارح الغنم. قال أبو بكر الدّريدى، و فى دعاء الاستسقاء: قلّدتنا السّماء قلدا قلدا أى: وردا وردا، و يقال: صارت الحمى تحاودنا بالزّياده، أى يتعهدنا بين الأيام.

و الغداء و العشاء معروفان. و قيل لبعضهم: ما المروء؟ قال: إصلاح المال و الرّزانه فى المجلس. و الغداء و العشاء بالأفنيه. و ما يتعلّل به قبل الغداء السّلفه و العجله و اللّهنه.

قال: عجيز عارضها، منفل، طعامها اللّهنه أو أقل. و يقال: لهنوا ضيفكم أى قدّموا إليه ما يتعلّل به قبل إدراك الغداء. و القيلولة: نوم نصف النّهار، و يقال: فلان يعيشو إلى نار فلان:

إذا جاءها ليلا و ذلك لما يغطى بصره من الظّلمه. و قال:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

و منه: أوطانه العشوه إذا حربه بالباطل، و هذا كما قال تعالى: أُغَشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا [سوره يونس، الآية: ٢٧] و يقال للأكله فى اليوم و اللّيله: الوجبه و الوزمه، و قد وجب و الوزمه: و قد وجب نفسه و عياله و توجّب بنو فلان، و ما يجلب بنو فلان إبلهم و غنمهم الأوجه و الأوزمه و أنشد:

علقت عجوزهم إذا هي أظلمت بالجاشرية مثل وزمه درهم

و الجاشريه: شربه فى السّحر على غير طعام و منه قوله:

و ندمان يزيد الكأس طيباسقيت الجاشريه أو سقى لى

و من كلامهم: من أكل الوجبه أو الوزمه لم يمعد، و الممعدود: الذى يشتكى معدته و يقال: أتيته آئنه بعد آئنه، على وزن عائنه أى تاره، و أتيته بعد أين و يهمزون الأين و لا يهمزون و أنشد:

ترى قورها يغرقن فى الآل مرّه آئنه يخرجن من عام ضحل

و حكى الأصمعي قال: قيل للرجل أسرع في مشيه: كيف كنت في سيرك؟ قال: كنت

آكل الوجبه- و أنجو الوقعه- و أعرس إذا أفجرت- و أرتحل إذا أسفرت- و أسير الوضع- و أجنب الملح- فجتكم لمسى سبع- قوله: أنجو الوقعه: أى أفضى الحاجه فى اليوم مره يعنى إتيان الخلاء. و يقال: أنجا و نجا جميعا. و الملح ضرب من السّير و هو أشدّ من الوضع، و اختار الوضع على الملح لئلا ينقطع سيره.

و قد قيل: شرّ السّير الحقيقه- و يقال: جزم حزم إذا أكل أكله فى اليوم و اللّيله.

و يقال: ما زال يتمهّق إذا شرب يومه أجمع.

و يقال: تهقّوا أوردًا: أى ورودا كلّهم.

و التّحيين: حلب النّاقه مره فى اليوم و اللّيله. و أنشد:

إذا أفنت أرمى عيالِك أفنهاو إن حينت أربى على الوطب حينها

قال: الأصل الحينه، و هو أن يأكل فى اليوم مرّه.

و يقال للعروس إذا غشيها زوجها: هذه ليله فضتها أى ليله اقتراعها. الكسائى يقال:

أمرجت الدّابه فى لغه بنى تميم و غيرهم، يقول: مرجتها قال العجاج:

رعى بها رعى ربيع ممرجا، و عبهلتها و أسمتها، كلّ ذلك إذا أهملها فى المرعى نهارا، فإذا كان بالليل قيل أنفشها. قال:

أجرش لها با بن أبى كباش فما لها اللّيله من أنفاس

غير السّرى و سائق نجاش

و الفعل لها نفشت، و لا يستعمل إلا بالليل، و فى القرآن: إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ عَنَّمُ الْقَوْمِ [سوره الأنبياء، الآيه: ٧٨].

و كذلك النّشر أن ينشر الغنم بالليل فترعى، و إذا أرسلت فرعت قيل: صبت الإبل تصبو. قال شعرا:

إذا تروّحن من الإعياء بالليل لا يصبون فى عشاء

و يقال: فلاّن قنّذ ليل: أى يدور فى اللّيل و لا- ينام، و القنّذ لا ينام. و هذا كما أنّ القطرب دويبه تقطع نهارها بالمجى ء و

الدّهاب. و فى الحديث: «لا يبيتنّ أحدكم جيفه ليل و قطرب نهار» قال:

قوم إذا دمس الظلام عليهم حدجوا قنّاذ بالتّميمه تمزع

و الدَّلَجُه: السَّيرى من أوَّل اللَّيْلِ إلى آخِرِه. و قيل: دلج اللَّيْلِ: سار من أوَّل اللَّيْلِ، و أدلج: سار من آخِرِه. قال أبو حاتم: أو بعد نومه ينامها.

و التَّعْرِيسُ: التَّزول فى آخِر اللَّيْلِ، كما أنَّ التَّغْوِير فى آخِر النَّهَار. و هذا كما أنَّ الاقْتِحَام من أوَّل اللَّيْلِ، و الاهْتِجَام فى آخِرِه.

و يقال: بلغ الأمر نياها: أى وقته. ثم قيل: طال به الأناء مقصورا، فإن فتحت مددت الألف، و أنشد الحطيئة:

و أتيت العشاء إلى سهيل أو الشعري فطال بي الأناء

و حكى أبو نصر عن الأصمعي: أن أنه: أى حان حينه، و أنى له أن يفعل كذا يأنى أنيا.

و آن يئين أنيا. و أنشد الدَّريدى: قال أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعي: أونوا فقد آن عليها الطلح. و قال: و هذا من الأون الزفق- يقال: إن يؤن أوننا، و كان الواجب أن يقول: أونوا على الطلح فقد آن، أى ارفقوا بها فقد أعيين.

و التَّأويب: السَّير من غدوه إلى اللَّيْلِ. قال الرَّاجز:

كأنَّ غرَّ متنه إذ نجبه سير صنائح فى حزير نكلبه

من بعد يوم كامل نؤوبه

غرَّ المتن: طريقته. يقال: إنها تبرق كأنها سير فى حزر.

و يقال: فلان على جول فلان إذا كان على سنه، و هو سوغه أى طريده، ولد بعده ليس بينهما ولد، و هم أسواغه.

يقال: هو سنه و تنه: أى مثله و قرنه.

و الملى و المعك و المدالك و المطل: تأخير قضاء الدَّين عن وقته و مطله.

و يقال: لقيته أول وهله و واهله و وهله- و أول ذى أول- و أول صوك و بوك- أى قبل كل شىء و قبل كل أحد.

و قال يونس: أقامت امرأه فلان عنده: يعنى امرأه العينين ربضتها إذا أقامت عنده حولا ثم فرَّق بينهما. و يوم الطلق و يوم القرب. قال الأصمعي: سألت أعرابيا عن القرب، فقال:

سير اللَّيْلِ لورود الغد، و يقال: ناقه طالق: من الطلق، و قارب من القرب.

قال: أسد و كلب: يسمون صلاة المغرب صلاة الشَّاهد، و غيرهم من العرب يسمي الفجر: صلاة الشَّاهد و أنشد:

فصبحت قبل الأذان الأوّل تيماء و الصّبح كسيف الصّيقل

قبل صلاة الشّاهد المستعجل

و أنشد غيره: بين الظّلام و صلاة الشّاهد. و أنشد ابن الأعرابي:

يا حبّذا قولهم أبلواو عرّسوا فقد دنا المقيّل

يقول: إذا أبالوا الإبل اجتمعت فأمكن السّلام و المصافحه، و استراح العسيف.

قال الأصمعيّ: المستميّ: الطّالب للصّييد نصف الثّهار، و السّامى مثله. و قال الأصمعيّ: هو الطّالب للصّييد و غيره فى أىّ وقت كان، و أنشد:

إذا بكر العواذل أستमित و هل أنا خالد أما ضحوت

قال: أستमित أى طلبت بكرا. و أنشد أبو عبيده شعرا:

و ليس بها ريح و لكن وديقه يظلّ بها السّامى يهّلّ و ينقع

يهّلّ: يستحلب ريقه ينفعه تحت لسانه من العطش. و قال جرير:

بقر أوانس لم يصب غرّاتها نبل الرّماه و لا رماح المستمى

(أبو عمرو): ليله شيباء: هى اللّيلة التى يقترع الرجل امرأته فيها و أنشد:

كليله شيباء التى لست ناسياو ليتنا إذ مرّ فى اللّهُو قرمل

قال: الشّيباء الضّعيفه، و الأشيب: الضّعيف، و قال قطرب: ليله الشّيباء التى يفتضّ الرّجل فيها أهله ثم أنشد شعرا:

و كنت كليله الشّيباء همّت بمنع الشّكر آتمها القبيل

آتمها: صيرها أتوما، و هى المفضّاه التى صارت شيئا واحدا. و القبيل: الذى يقابلها فى الجماع. و قد قيل: الشّيباء يمد و يقصر، و

قال الأسدى: باتت بليبه شيباء على الإضافه و بليبه شيباء بالتّنوين، و ضدّها ليله حرّه.

و حكى ابن الأعرابي: قال سألت أبا المكارم عن الصّوص، فقال: هو الذى ينزل وحده، و يأكل وحده بالثّهار، فإذا كان اللّيل

أكل فى القمراء لثّلا يراه الضّعيف. و أنشدنى:

صوص الغنى سدّ غناه فقره. سدّ غناه فقره: يعنى فقر النفس يمنعه من الكرم. و أنشد أيضا شعرا:

يا ربّ شيخ من بنى قلاص يأكل تحت القمر الوباص

باهره باتت على أدراص الأدراص: ولد الفأر، و يقال: فصيل صيفى، و فصيل ربيعى، و ما تنتج بعد سقوط الغفر إلى أن يمضى، يقال له هبع و سمى هبعاً لأنّ الصّال الرّبعيّه أكبر منه و قد قويت، فهو لا يلحقها إذا مشت لأنّها أدرع منه فيهبع فى مشيه، و الهبع و الهبعان شبيه بالارقال.

و قال ابن قينه: الشّرب فى نصف النّهار: القيل، و لم يبلغنى عنهم اسم للطّعام فى هذا الوقت، فإذا زالت الشّمس و صار الظّل فينا فهو أرواح. و لهذا قيل فى يوم الجمعة: راحوا إلى المسجد، و يرى أهل النّظر أنّ الرّواح مأخوذ من الرّوح لأنّ الرّيح تهبّ مع زوال الشّمس. قال ليبد: راح القطين بهجر ما ابتكروا، فجعل الرّواح فى الهاجره.

ثم يكون الأكل بعد الهجير عشاء، لأنّه يكون بالعشى. و العشى إلى سقوط القرص.

ثم يكون المساء بعده إلى عتمه اللّيل. و ليس يزيل المساء العناء.

قال شعرا:

و أنيئت العشاء إلى سهيل أو الشّعري فطال بى الأناء

و قال أحمد بن يحيى: (التّعريس): بالليل و النّهار. و (التّهويم): بالفجر و (وفعوا وفعه): ناموا نومه.

و حكى ابن الأعرابى أنّ أحدنا يجزم الجزمه أى يأكل فى النّهار مرّه.

و حكى أيضاً: أنّ أحدنا ليدعج دعلجه الجرد، و الدّعجه الذّهاب و المجدى ء فى الأكل. قال: يأكل دعلجه و يشبع من عفاء.

و يقال: ناقه مسحقه: إذا أسحقت أيام سنتها منذ يوم ولدت، و ناقه مسحقه إذا استحقت سمنا، و استبان ذلك فيها، و مستحقه لإرسال الفحل عليها.

و يقال: أرح إبلك عليك: أى بيتها عندك و أغربها بيتها فى الكلاء. و يقال: فى معنى أرح روح أيضاً، قال كعب بن سعد شعرا:

وقور فاه حلمه فمروّح علينا و أمّا جهله فغريب

و هذا من كلامه مثل، يريد أنّ حلمه يعطف عليهم، و جهله يغرب عنهم، و المعنى لا جهل.

ثم قال الأصمعى: التّجمير: طول الإقامة فى الثّغور، قال و لا لغاز إن غزا لجمير.

قال أبو عمر: و التّغمير: أن يدبّ الأعرابى فى اللّيله المقمره إلى النّساء. و التّأطير: أن

تبقى المرأة في دار أبويها زمانا لا تتزوج. و أنشد المفضل:

تأطرن حتى قيل لسن بوارحاو ذبن كما ذاب الشديف المسرهد

و يقال: باتت المرأة: إذا تحوّلت من دار أبويها إلى دار زوجها. و أنشد لكثير عزه:

و إني لأستأني و لو لا طماعهلعزّه قد جمعت بين الصرائر

و همّت بناتي أن يبتن و حممت وجود رجال من بني الأصاغر

فإذا تحوّلت يقال لها عائق و قد عنقت. و أنشد ابن الأعرابي:

ضح قليلا يلحق الداريون. و يقول: ارع إبلك ضحي، و هذا مثل أي كفّ عن الطرد حتى يلحقك أصحاب الدور، و هذا تفسير ابن الأعرابي.

الباب التاسع والعشرون فى ذكر الرّياح الأربع، و تحديد مهاجّتها، و ما عدل عنها

اشاره

و هو فصلان

الفصل الأول [فى بيان أنواع الرّياح]

قال أبو سعيد: أخبرنا أبو الحسن الطوسى: حدّثنا ابن الأعرابى عن الأصمعى وغيره. (قالوا): الرّياح أربع: الجنوب- و الشّمال- و الصّبا- و الدّبور- قال ابن الأعرابى و كلّ ریح بين ريحين فهى نكباء و الجمع نكب.

فأما مهبّهنّ: فابن الأعرابى قال: (مهبّ الجنوب) من مطلع سهيل إلى مطلع الثّريا.

و الصّبا: من مطلع الثّريا إلى بنات نعش.

و الشّمال: من بنات نعش إلى مسقط النّسر الطائر.

و الدّبور: من مسقط النّسر الطائر إلى مطلع سهيل.

و النّكب: كلّها داخله فى هذا القول فى الأربع.

قال: و الجنوب و الدّبور لهما هيف. (الهيف): الرّيح الحاره. قال: و الصّبا و الشّمال لا هيف لهما، و العرب تجعل أبواب بيوتها حذاء الصّباء و مطلع الشّمس.

و قال الأصمعى: ما بين سهيل إلى حرف بياض الفجر جنوب، و ما يازائها مما يستقبلها من الغرب شمال.

و ما جاء من وراء البيت الحرام: فهو دبور، و ما جاء قبالة ذلك فهو صباء و الصّباء القبول. قال: و إنما سمّيت قبولا لأنّها استقبلت الدّبور. و قال المبرّد: سمّيت قبولا لأنّها لطيفها تقبلها النّفوس.

و ذكر أبو يحيى بن كناسه أنّ خالد بن صفوان قال: الرّياح أربع: (الصّبا) و مهبّها ما

بين مطلع الشرطين إلى القطب. (و مهبّ الشمال) ما بين القطب إلى مسقط الشرطين.

(و مهبّ الدبور) ما بين مسقط الشرطين إلى القطب الأسفل. (و مهبّ الجنوب) ما بين القطب الأسفل إلى مطلع الشرطين.

و حكى عن جعفر بن سعد بن سمره بن جندب أنه قال: الرّيح ستّ: القبول، و هي:

الصّبا- و الدّبور- و الشّمال- و الجنوب- و النّكباء- و ريح سادسه يقال لها محوه.

ثم فسّر ذلك فجعل ما بين المشرقين مخرج القبول و هي الصّبا. و جعل ما بين المغربين مخرج الدّبور. و جعل ما بين مشرق الصّيف إلى القطب مخرج النّكباء. و جعل ما بين القطب إلى مشرق الصّيف مخرج الشّمال، و جعل ما بين مغرب الشّتاء إلى القطب الأسفل مخرج الجنوب. و جعل ما بين القطب الأسفل إلى مخرج الشّتاء مخرج محوه.

قال أبو يحيى: النّاس على قول خالد: فالقبول هي المشرقيّه لأنها من قبل المشرق تجى ء. قال:

إذا قلت هذا حين أسلو يشوقني نسيم الصّبا من حيث يطلع الفجر

و الدّبور: تناوحها و هي المغربيّه. قال أبو حنيفه؛ و هاتان الرّيحان على ما ذكرنا في جميع الأرض.

فمهبّ الصّبا بكل بلد من قبل مشرقه. و مهبّ الدّبور من قبل مغربه.

و كذلك الرّيحان الآخران مهبّهما بكل بلد من جهه القطبين. فأما قولهم للجنوب اليمانيه و للشّمال الشّاميه فلأنّ مهبّهما كذلك هو بالحجاز و نجد فالشّمال تأتيهم من قبل الشّمال. و الجنوب من قبل اليمن.

و ليس ذلك بلازم لكل بلد لا يكون الشّمال ببلاد الرّوم شاميّه و لا الجنوب ببلاد الرّنج يماثيه، فاعلموا و يقال: هبّت الرّيح تهب هبوبا.

و حكى عن بعض العرب: أنّ الرّيح لشده الهبوب. و يقال: جنبت الرّيح تجنب جنوبا. و من الشّمال شملت الرّيح تشمل شمولا. و صبت تصبو صبوا و صبا. و قبلت تقبل قبولا و قبلا. و دبّرت تدبّر دبورا.

و يقال في الشّمال: شمأل و شامل و شمل و شمیل و شمول، و يقال: هبّت الشّمال و هبّت شمالا، و هبّت ريح الشّمال، و هبت ريح شمال. قال جرير شعرا:

هبّت شمالا فذكرى ما ذكرتكم إلى الصّفا إلى شرقى حورانا

و جعل قوله شمالا صفة، و نصبه على الحال.

و قال:

و هبت الشمال البليل و إذبات كميع الفتاه ملتفعا

و يسمّى الجنوب: الأزيب، و يسمّى النعامى، قال أبو ذؤيب:

مرته النعامى فلم يعترف خلاف النعامى من الشام ريحا

و تسمى الشمال محوه، و يقال: هاجت محوه غير مجراه، و تسمى الجرياء. قال ابن أحرمر:

بواد من قسا ذفر الخزامى تداعى الجرياء به الحينا

و إنّما سميت محوه لأنّها تمحو السحاب: تكشفه و تذهب به، و يقال: أصبحت السّماء صحوه محوه إذا انمحي ما عليها من السحاب.

قال أبو زيد: من أسماء الدّبور: محوه و القفواء. و عند الأصمعى: محوه اسم للشمال و يسمّى أيضا مسعا و نسعا. قال شعرا:

قد حال دون دريسيه مؤؤبهتسع لها بعضاه الأرض تهزير

و يقال: أجنبنا و اشمنا و أدبرنا و أصبنا أى دخلنا فيها، و كذلك أرحنا فإن أردت أنّها أصابتنا قلت: قبلنا و صبينا، فنحن مصبئون و مصبئون و جنبنا و دبرنا و رحنا فنحن مريحون.

قال:

غير درست غير رماد مكفور مكثب اللون مريح ممطور

و قال آخر: معنوبه الدل مشمول خلائقها.

و خالف الطرمّاح أكثر العرب فجعل الهيف فى البرد فقال:

و طفأ ساريه و هيف مبرد

و قال أبو زياد يقول: إذا كان يوم ريح هذا يوم هائف طيب، و من أمثالهم: ذهب هيف لأديانها. و قال ذو الرّمه:

أهاضيب أنواء و هيفان جرّتا على الدار أعراف الجبال الأعافر

و ثالثه تهوى من الشام حرجف لها سنن فوق الحصى بالأعاصر

و رابعه من مطلع الشمس أجلفت عليها بدعاء المعافقراق

فذكر الزياح الأربع كلها فجعل الجنوب و الدبور منها يحيى الخير، و هما الهيفان-

و قال الزاعى: و ذكر ریح الشتاء فغلب عليها الشمال لأنها أشد ریحى الشتاء بردا:

و هبت بأرواح الشتاء عليهم شمال يؤدى الراتحات نسيمها

و قال أوس فى مثله:

و عزت الشمال الرياح و إذبات كميع الفتاه ملتفعا

و قال أيضا:

و غداه ریح قد وزعت و قرهاذ أصبحت بيد الشمال زمامها

و من صفاتها عند هبوبها و قد اشتد خزيق قال جميد:

بمئوى حرام و المطى كأنهاقنا مسند هبت لهن خزيق

و النافجه: أول كل ریح إذا اشتدت. قال ذو الرمه:

يستن فى ظل عراض و يطردحفيف نافجه عشونها خضب

و ریح نوج: شديده، قال العجاج: و اتخذته النافجات مناجا.

و ریح سيهواء و سيهوج: سريعه المر، شديده القشر للأرض. و قال رجل من بنى سعد شعرا:

يا دار سلمى بين دارات العوج جرّت عليها كل ریح سيهوج

و قال ذو الرمه:

و صوح البقل ناح يجىء به هيف يمانيه فى مرها نكب

و ریح زفرف: لها صوت كزفزه الظليم. و ریح هدوج تسمع لها هدجه، و ریح هفافه و الهففه سرعه المر. و ریح ريده راده و

ريدانه من راد يرود. قال ابن ميادة:

أهاجك المنزل و المحضررادت به ريحانه صرصر

و قال آخر: جرّت عليها كل ریح ريده. و قال ابن أحرمر:

ولَهِتَ عَلَيْهَا كُلٌّ مَعْصِفُهُ هُوَ جَاءَ لَيْسَ لَهَا زَبْرٌ

قوله ليس لها زبر: مثل يقال للرجل إذا كان ذا رأى و حجي إنه لذو زبر و ذو جول و الزبر طى البير بالحجاره.

و السّموم: الرّيح الحاره بالليل و النّهار. و الحرور مثلها. و السّمام: الرّيح الحارّه و هى

السَّموم. و يقال: يوم ذو سَمائم، و لا يقال: يوم ذو حرائر و ليله سَموم و ليله ذات سَموم.

و حكى ابن الأعرابي: يوم سام و مسم. و يقال: حرّ يومنا، و حرّت ليلتنا و هو يحر و يحر حكاهما جميعا ابن الأعرابي و اللّحياني، و قد حرّت يا يوم و حرّت يا رجل. و أنت تحر حراره و حره. و رجل حرّان، و امرأه حرّى من العطش. و قوم حرارى و حرارى و حرار.

و نسوه حريات و حرارى. و قد قرّ يومنا، و هو يقر مرفوعه القاف و لغه قليله يقرّ.

و اللّجوج: الدائم الهبوب لا تكاد تسكن.

و الرّياح: اللّواقح تثير السّحاب بإذن الله و تلقح الشّجر. و الدّاريات التى تذر التّراب.

و العقيم: التى لا تلقح السّحاب. و الرّهاء و الرّهو: جميعا اللّينه، و قد رعت ريحها أى سكنت بعد شده. و الشّفان: الرّيح الباردة، و إنّ ريحها لذات شّفان، و أمست ريحها تشف شفيفا إذا اشتدّ بردها، و يقال: ليله شّفان. و قال:

و ليله شّفان بأرض كريبها أقمت بها صحبى و لمّا أعزّس

أى أقمتهم على السّير و الحرجف: الباردة. و يقال: ليله حرجف و ريح حرجف للشّديده الهبوب.

و الجيلان: التى تجيل الحصى. و يقال: ريح ذات جيلان و ريح جائله. و العجاج: الغبار و عجاج يومنا بعجاج، و ريح عجاجه و ذات عجاج. و الإعصار: التى ترفع التّراب لشده هبوبها بين هبوبها بين السّماء و الأرض، و إنّما هى فى مكان واحد. و قد عصرت الرّيح بأعاصير و ريح معصر.

و الهباء: التّراب الذى تطيره الرّيح، تراه على وجوه النّاس و ثيابهم و الهبوه: الغبره تراها فى السّماء. و يقال: إنّ يومنا لذو هبوه و لا يقال: أرى فى السّماء هباء، و لا يومنا ذو هباء، و لكن ذو هبوه إذا كانت الرّيح تجىء بتراب مثل الزّريه. و الغبره: الغبار و قد اغبرّ يومنا، و رجل مغبر فى حاجته إذا قصد لها و جدّ فيها. و قد أقمّ يومنا، و يوم ذو قتام، و فى السّماء قتمه و غبره و يقال: قتمه أيضا.

قال الأصمعى: و الحرجوج: الدائم الهبوب المتماديه، و الصّر: القر بلا ريح.

و يقال: يوم صر، و ليله صر و ليله صر. و الهوجاء: الشّديده كأنّ فيها هوجاء. و النّسيم:

الرّويد و قد نسمت و تنسّمها و ريح ذات نسيم. و الرّامسات: التى تعفى الآثار، و ترمس الحجره، أى تدفنها. و السّافيه: التى تسفى التّراب و يوم ذو سافياء، و ريح قاصف تكسر ما تمر به. و المجافيل: الشّداد يجفلن الشّجر و ريح جافله: و المور العجاج و الحاسه الباردة تحرق النّبات.

و البارح: الشديدة تجىء في القيظ. و يقال: إنَّ يومنا لبارح. و ريح حاصبه و ضربتنا بحاصب.

و النَّافجه: ينتفج برد.

و الخجوج: الشديدة الهبوب و لا تكون إلا في القيظ، و قد خجَّت الرِّيح خجيجا.

و الهاريه: الشديدة البرد. قال الكميت:

نبارى الرِّيح ما هرات و فننأموال الغرائب ضامنينا

نصب ضامنينا بفتنا، و معنى: فتنا: رجعنا و يروى و قتنا كأنه قال: و قتنا لأموال الغرائب و ينتصب ضامين على الحال كما يقول: و قينا السَّماحه و الهاريه.

و البليل: و الحاسه في الشَّتاء و يقال: أصابتنا ريح بليل، و يوم بليل، و ليله بليل أى بارده، و إن لم يكن فيها ريح.

و النَّعور: التي تفجأك ببرد و أنت في حرّ، أو بحرّ و أنت في برد. و الهدوج: التي تززع كلّ شىء.

و يقال: راح يومنا يراح: إذا اشتدَّت ريحه، و يوم راح و ريح. و يقال: سكنت الرِّيح و فترت و سجت. فأما قول ذى الرِّمه و هو يصف قفرا شعرا:

إذا هبَّت الرِّيح الصِّبا درجت به غرائب من بيض هجائن دردق

فإنَّما اكتفى بذكر هبوب الصِّبا لأنَّه علم أنَّ ذلك يكون في الشَّتاء فكأنَّه قال: إذا كان الشَّتاء درجت بهذا البلد خفان النَّعام، و النَّعام لا توطن إلا القفر البعيد من الأنس. و كلّ مواطنه النَّعام. فالخفان فيه في الشَّتاء موجود لأنَّها تبتدئ البيض في الوسمى. و قيل:

الشَّتاء أكثر ذلك، و لهذا قال ذو الرِّمه:

حتى إذا الهيق أمسى شام أفرخه و هنّ لا مؤيس نابا و لا كتب

يرقد في ظلِّ عراض و يطرده حفيف نافجه عشونها خضب

تبرى له صلعه خرجاء خاضعها لخرق دون بياض البيت منتهب

ويل أمها روحه و الريح معصفهو الويل مرتجز و الليل مغترب

لا يأمنان سباع اللّيل أو بردا إن أظلما دون أطفال لها لجب

و يقال: عصفت الرّيح و أعصفت، و فى القرآن: فى يَوْمٍ عاصِفٍ [سوره إبراهيم، الآية: ١٨] فهذا شأن الرّيح و البلاد و المواطن من بعد يختلف، فربّ بلد يكون تأذى أهله

ياحدى الرّيح أشدّ من تأذيها بسائرها، و يكون بعضها أوفق لهم و إن كانت أكرهاها إلى غيرهم، كاللّدى يذكر من أنّ الجنوب أحبّ الرّيح إلى أرض الحجاز في الشّتاء و الصّيف، ذكر ذلك أبو الحسن الأثرم.

و عكاك: الجنوب يتعوّذ غيرهم منها قال ذو الرّمه شعرا:

إلى بلد لم ينتجعه بعكّهجنوب و لم يغرس بها النّخل غارس

و كاللّدى ذكره ابن الأعرابي عن الرّوحي من تأذى أهل سابه و الشّاره و نواحيها بالصّيبا، و كراهتم لها، و أنها إذا اشتدّ هبوبها عندهم طوى الثّياس و طابهم، لأنّ الألبان تقلّ، و الوطاب تجف لأنّها ترضع في ضروع الغنم أى ينشفه، و منزلهم بين مكّه و المدينة، هذا و إن كان الآخر قال:

فإنّ الرّيح طيبه قول. و قال طرفه:

و أنت على الأقصى صبا غير قرّهتذاب منها مزرع و مسيل

و قال آخر:

فإنّ الصّبا ريح إذا ما تنسّمت على كبد حرّى تجلّت غموها

و زعم ابن الأعرابي أنّ الجنوب إنّما يشتدّ حرّها بالعراق، فأما بالحجاز فلا. و أنشد قول كثير:

جنوب تسامى أوجه الرّكب مسّهالذيد و مسراها من الأرض طيب

و هذا من حال الرّيح في دارنا و أوطاننا متعالم أيضا، و كما اختلف في هذا الباب اختلف في الأمطار أيضا، و لا زعم من ذلك ما ذكر عن أبي عبيده أنه قال: الشّمال: عند العرب للرّوح، و الجنوب: للأمطار، و الأنداء و اللّثق و الغمق و الدّبور للبلاد، و أهونه أن يكون غبارا عاصفا تقذى الأعين و هى أقلهن هبوبا، و الصّبا لإلقاح الأشجار.

و يقال: إذا كان النّشأ من العين ثم ألقحته الجنوب- و أبست به الصّيبا و استدرته الشّمال- فذلك أجود ما يكون من المطر، و أنشد في ذلك:

لتلقيحها هيج الجنوب و يقبل الشّمال نتاجا

و الصّبا جالب بمرى. و قال آخر:

مرته الصّبا و زهته الجنوب و انتجفته الشّمال انتجافا

والانتجاف: استخراج أقصى ما فيه.

فصل فى تبين ما ذكر من كلام الأوائل فى ذلك

قالوا: إنَّ الشَّمس إذا مرّت على الأرض رفعت منها بخارين: بخارا رطبا و بخارا يابسا، و كلّ واحد من البخارين قد يخالط البخار الآخر، إلاَّ أنّه يسمّى بالأغلب عليه منهما.

فأمّا البخار الرّطب: فهو مادة الأمطار و الأنداء كلّها.

و أمّا البخار اليابس فهو مادة الرّيح كلّها، و إنّما يختلف هذان البخاران لاختلاف مواضعهما التى ثارا منها. و أقلّ ما يكون هيج الرّيح بعد المطر و ذلك أنّ الأرض تبتل بالمطر، فلا يثور منها البخار اليابس الذى هو مادة الرّيح و كذلك يكون سكون الرّيح عند المطر و عند انقضائه.

فأمّا حراره ريح الجنوب: فمن قبل أنها تأتى من ناحيه ممر الشَّمس من بلاد حاره فتسخن قبل أن تبلغ إلينا.

و أمّا بروده ريح الشّمالي فلأنّها تأتى من بلاد الشَّمس عنها غائبه فهى تبرد من قبل أن تبلغ إلينا، و تمر أيضا بثلوج كثيره.

و أمّا كثره ريح الجنوب فلتحلّل البخارات من ناحيه الجنوب. و البخار مادّه الرّيح.

و أمّا كثره ريح الشّمالي فى الصّيف، و قلّه ريح الجنوب، فلأنّ الشَّمس يكون مرورها فى الصّيف بناحية الشّمالي، فتذيب الثلوج الكثيره، و تهيج البخارات من ناحيه الشّمالي.

و أمّا احتباس الرّيح و قلتها فلعلّتين. إحداهما: كثره البروده فإنّ البروده تجفف الأرض و تصلبها فلا يخرج منها بخار. و الثانيه: كثره الحر، فإنّ الحر يجفف الأرض و يبسسها و يحرقها فينقطع لذلك الرّيح، و ربما تتابع ذلك سنين فيكون القحط منه فإذا كثر ذلك و صلب وجه الأرض اجتمعت البخارات فى جوف الأرض، فلم تقدر على الخروج و أحدثت الزّلازل. فإذا كثر تلك البخارات و قويت و ظهرت ذهب القحط و عاد الخصب.

و أمّا كثره ريح الشّمالي فى الرّبيع: فلأنّ النّهار يمتد بعد القصر و تدنو الشَّمس من النّاحيه الشّماليه فتذيب الثلوج هناك، فتحدث هذه البخارات التى منها يكون الغيوم و الرّياح الشّماليه.

و أمّا كثره هبوبها آخر الصّيف فلأنّ النّهار يقصر و يبرد الهواء فيحتقن البخارات فى جوف الأرض.

فإذا كثر قويت فظهرت رياح الشّمالي، و إنّما تقوى البخارات على الظهور لأنّ البرد

ضعيف فى تلك الأيام، فلا يقوى على منع البخارات من الخروج.

و أمّا كثره ریح الشمال و الجنوب و قله ریح الصّیبا و الدّبور: فالنّ الشّمس لبثها فى هاتین الجهتین أكثر من لبثها فى خط الاستواء.

و إذا كثر لبثها فى مكان عملت عملا قويا فأثارت بخارات كثره. و إذا قلّ لبثها فى مكان عملت عملا ضعيفا، و مع ذلك أيضا فإنّ الشّمس تصادف فى هاتین الجهتین میاها و ثلوجا لبعدها ما بین الجهتین عن طریقہ خط الاستواء، و لست أعنى بالشّمال و الجنوب اللّذین بالإضافه فإنّ كلّ قوم یسمّون ما یلی أیمانهم إذا كانوا متوجّهین إلى المشرق جنوبا، و ما یلی شمائلهم شمالا، و لكنّی أعنى بالشّمال و الجنوب اللّذین عن جانبی خط الاستواء الذی هو مدار رأس الحمل و المیزان.

الباب الثلاثون فى أسماء المطر و صفاته و أجناسه

إشاره

الباب الثلاثون فى أسماء المطر (١) و صفاته و أجناسه

و هو فصلان

فصل [فى بيان أول المطر الوسمى و أنواعه]

قال أبو زيد سعيد بن أوس: قال القسبيون: أول المطر الوسمى - و أنواعه العرقوتان المؤخرتان - ثم الدلو - ثم الشرط - ثم الثريا - و بين كل نجمين نحو من خمس عشره ليله.

ثم الشتوى بعد الوسمى، و أنواعه - الجوزاء ثم الذراعان و نثرتهما - ثم الجبهه و هى آخر الشتوى و أول الدفتى - ثم الدفتى و أنواعه آخر الجبهه - و العواء.

ثم الصيرفه و هى فصل بين الدفتى و الصيف و أنواعه: السماكان الأول الأعزل - و الآخر الرقيب. و ما بين السماكين صيف، و هو نحو من أربعين ليله - ثم الحميم و هو نحو من عشرين ليله، و سمي حميما لكون مائه حارا و يختار أن يكون رعدا غير قاصف، و برقتها غير خاطف، لذلك قال الشاعر:

إذا حرّكته الرّيح أرام جانب بلا هزق منه و أومض جانب

كما أومضت بالعين ثم تبسّمت خريع بدا منها جبين و حاجب

و حكى عن أبى الوجيه أنه قال: أحب السحاب إلى الخرساء، و الحميم نحو من عشرين ليله إلى خمس عشره ليله عند طلوع الدبران، و هو بين الصيف و الخريف ليس له نوء. ثم الخريف و أنواعه النسران - ثم الأخضر - ثم عرقوتا الدلو الأوليان - و كل مطر من الوسمى إلى الدفتى ربيع، و إنّما هذه الأنواء فى غيوبه. و غيوب هذه النجوم أول القيظ عند طلوع الثريا و آخره طلوع سهيل.

١- قال فى كثر المدفون أسماء المطر أولها الويل - الغيث - اللدّيمه - الوكف - الهطل - الصيب - الرّباب - المزن - الصّوب - القطر - الرزق - الماء - الثله - الودق - الحياء - العهد - و الله أعلم - القاضى محمد شريف الدين المصحح عفا عنه.

و أول الصّفرية طلوع سهيل، و آخره طلوع السّماك. و في ء الصّفرية أربعون ليله يختلف حرّها و بردها و تسمّى المعتدلات.

ثم أول الشّتاء طلوع السّماك و آخره وقوع الجبهه فهو أول الدفئ ء و آخره الصّرفه.

و أول الصّيف السّماك الأعزل و هو الأوّل- و آخر الصّيف السّماك الآخر الذي يقال له:

الرّقيب- و بينهما نحو من أربعين ليله.

و أول أسماء المطر القطقط و هو أصغر المطر و الرّذاذ: فوق القطقط. و يقال: قططت السّماء و أرذت. و منه الطّش و هو فوق القطقط و الرّذاذ و الفعل طشت.

و منه البغش و هو فوق الطّش، و الفعل: بغشت و الغبيه فوق البغشه. و كذلك الحلبه و الشّجذه. و يقال: أغبت السّماء فهي مغبيه و حلبت حلبا و شجذت شجذا و هو فوق البغشه.

و منه: الحفشه و هو مثل الغبيه و يقال: خفشت خفشا. و الحشكه مثلها. و يقال:

حشكت.

و من المطر: الدّيمه و هي الدائم لا رعد فيه و لا برق، أقلّها ثلث النّهار و ثلث اللّيل، و أكثرها ما بلغت من العده.

و التّهتان: نحو الدّيمه قال:

يا حبّذا تضحك بالمشافر كأنّه تهتان يوم ماطر

و من الدّيمه الهضب و الهطل، هضبت هضبا، و هطلت هطلا و هطلانا قال الشّاعر:

ندی الرّضم من ذات المزاهر إذ جنت عليها هضاب الصّيف تهضبها هضبا

و يقال: سحابه داجنه و مدجنه و قد دجت دجنا و الدّجنه من السّحاب المطبق الرّيان الذي ليس به مطر. و يقال: يوم دجن و يوم دجنه. و كذلك اللّيله توصف بهذا أو تضاف كالיום، و الدّاجنه الماطره المطبقه نحو الدّيمه. و الدّجن: المطر الكثير.

و من الدّيمه: الرّهمه و هي أشدّ وقعا من الدّيمه و أسرع ذهابا، يقال: أرهمت السّماء إرهاما و جماعتها الرّهم و الرّهام.

و منها: الهفاء واحدها هفأه و هي نحو الرّهمه، و قال الغبري: أفا و إفاءه.

و منها: الدثه و هي المطره الخفيفه. و الهدمه مثلها، و جماعتها الهدم و الهدام و الدثّ و الدثّاث. و يقال: أرض مدثوثه و

و الوطفا: الدائم السح، الحثيثه طال مطرها أو قصر.

و منها القطر: و هو فى كل مطر ضعيفه و قويه.

و منها: الذهاب و هو اسم للمطر كله ضعيفه و شديده، و الرش المطر القليل الخفيف.

و الملبد تلييدا نحو الرش، و ارشت السيماء و جمع الرش الرشاش و أرض مجوبه و مقوبه إذا أصاب المطر بعضها و لم يصب بعضها، و كحلت السنه اشتدت تكحل كحلا، و سنه كحل، و أرض ميته و ميته و سنه خداعه و قشر.

و منها الوابل: و هو أغزر المطر و أعظمه قطرا، و يقال: وبلت الأرض وبلا و وبلت توبل وبلا.

و الجود من المطر الكثير العام و هو فى كل زمان. قال شعرا:

أنا الجواد بن الجواد بن سبل إن ديموا جادوا و إن جادوا وبل (١)

و المدرار و الدرّه التى يتبع بعضها بعضا و جمع الدرّه الدرر.

و الرّك من المطر الضعيف الذى لا ينعف إلا أن يكون له تبعه- و التبعه- المطر بعد المطر. و يقال: أرض مركه و جمع الرّك الرّكاك.

و يقال: وابل ساجيه و هو المطر الذى يسجى ما يقع عليه فيسيل به.

و يقال: أرض مشجوره، و هى التى يأخذها المطر الجود فلا يزال بها حتى تقلب نباتها و تقلعه من أصوله، و يقلب ظهر الأرض لبطنها، و قد شجرت الأرض شجرا. و يقال للمطر الذى لا يدع شيئا إلا أساله: جار الضبع، و ذاك أنه يكثر سيله حتى يخرج الضبع من جحره و المحتفل: الذى يتدارك حثيثا، و السح: مثله غير أن السح ربّما لم يتبين قطره.

و المنهمر: مثل السح و الوبل و القطر و الضرب: المطر الضعيف.

و الدهان مثل ذلك، و الواحد دهن، و يقال: دهنها أولى فهى المدهونه.

و المرويه التى تروى الأرض. و المبلد: الذى يندى وجه الأرض و يسكن التراب.

و الجلباب المطر الكثير و الساجيه الساكنه و الأهاضيب: جمع أهضوبه و هى مثل الهضاب، واحدا هضب، و هى جلباب القطر.

و الهلال: أول المطر. و المتفخر و المسحنفر: السيل الكثير. و الولى: المطر بعد المطر فى كل حين. و العهد: المطر الأول

و جمعه عهاد و أرض معهوده، و قيل العهدى الذى يجى ء و عهد ما قبله جديد لم يدرس، و يقال: أرض معهده للتى يصيبها التّفَضُه.

و التّفَضُه المطر يصيب القطعه من الأرض و يخطئ القطعه، و يقال: أرض منفضه.

و الخطيطة: الأرض لم يصبها مطر، و كذلك الفوائد و الخوبه.

و يقال للخطيطة: أرض خط، و أرض مجروزه، و أرض جرز و جرز و أجرزت الأرض.

و يقال أيضا: أجرزت التّاقه إذا هزلت.

و الشّؤبوب: المطر يصيب المكان و يخطئ الآخر و جمعه شآبيب.

و مثله النّجو و الجمع النّجاء و الأرض المنضوحه و هى الموجوده نضحت نضحا.

و الغيث: اسم للمطر كلّه و أرض مغيثه و مغيوثه.

و يقال: استهلّت السّماء و ذلك فى أوّل المطر و الاسم الهلال.

و أسبلت: و الاسم السّبل و هو المطر بين السّحاب و الأرض حين يدل يخرج من السّحاب و لم يصل إلى الأرض.

و يقال للمطر القليل: العرض و هو مثل الشّؤبوب و مثل السّبل. العثانين: و هو المطر بين السّحاب و الأرض و يقال: هو الضّريب و الصّيقع و الجليد و لا- يكون إلّما بالليل، و التّلاج بالليل و التّهار فى الغيم و هو لا يكون إلّا فى الصّيحو. و يقال: أرض ضربه إذا أصابها الجليد فأحرق نباتها، و قد ضربت الأرض ضربا و أضربها الضّريب إضرابا. و صقعت صقعا إذا أحرق الصّيقع نباتها. و ثلجت ثلجا و هى مثلوجه.

و الطّل أثر النّدى فى الأرض من كلّ ذلك. و يقال للنّدى الذى يخرج عروق الشّجر إلى غصونها: طل.

و قيل: الضّريب و الصّيقع و الجليد و السّيقيط يخرج من جرده السّماء جردا إذا لم يكن فيها غيم. و قد جردت السّماء و الاسم الجرده.

و يقال: تصلّعت السّماء إذا انقطع غيمها حتى تتجرد و حكى الأصمعى قال: قلت لأعرابى: ما أوقع الأمطار؟ قال: صوب غاديه- عن مري حاديه- لا بل باديه- مري حاديه، أى استخراج سحابه تحدو ما يتأخّر دونها. و الباديه: الساكنه للبدو.

و يقال: أصحت السّماء و الاسم الصّحو. و يقال: أقصر المطر و أقلع و أقشع إذا انقطع.

و يقال: طَلَّ القوم و هم مطلولون.

و يقال: من المطر الرّثاث و هى القطار المتتابعه يفصل بينهما أقل ما بينهما ساعه، و أكثر ما بينهما يوم و ليله. و يقال: أرض مرثه ترثينا.

و يقال: أرهجت الأرض إرهاجا و أضبت إضبابا و من الرّهج السّيق من الغمام الذى يسوقه الرّيح.

و الإغصان المطر الدائم الذى ليس فيه فرج، و الفرّج اليوم و اللّيله أو أكثر من ذلك قليلا. و مثله الإلثاث.

الفصل التانى فى علّه ما ذكرنا من كلام الأوائل

قالوا: إنّ العله فى المطر- و الثلج- و الجليد- و الرّيح- واحده و هى أنّ الشّمس إذا مرّت بموضع ندى أثارت بخارا بحراره مرورها فيكون كيفيته ذلك البخار على طبيعه الموضع الذى يثور منه البخار. فأما كميّه فعلى قدر كبر ذلك الجسم المهيأ للثوران إن كان كثيرا و كانت الشّمس قويّه عليه أثارت بخارا كثيرا من ذلك الجنس الذى هو طبيعه ذلك الموضع.

فإذا أشرقت الشّمس بدورانها على موضع ندى إذا سخن ثار منه بخار و ذلك أنّ الحراره إذا خالطت الرّطوبه لطفّت أجزاءها فصيرتها هواء. فإذا كثر ذلك البخار و تباعدت الشّمس عن ذلك الموضع الذى ثار منه البخار استقبل ذلك البخار البرد الذى هو فوق الأرض الذى يرد الهواء فردّه إلى الأرض، فتكاثف بالعصر فصار ماء فانحدر. فإن كان ذلك المنحدر شيئا يسيرا صغير الأجزاء سمى ندى. و لذلك تكون الأنداء فى الشّتاء أكثر لكثرة بروده الهواء و ضغطها البخار الرّطب إلى الأرض و لذلك تكون الأنداء بالليل أكثر منها بالنّهار.

إن كان المنحدر كثيرا كثير الأجزاء سمى مطرا، فهذه علّه النّدى و المطر و إن كان الذى يصعد من البخار يسيرا، و كان الذى هجم عليه من فوق شديدا جدا، صير ذلك البخار جليدا، و إن كان ذلك البخار الصّاعد كثيرا و كان الذى هجم عليه شديدا جدا، صار ذلك البخار ثلجا، ففرّق بين الثلج و الجليد خلّتان، إحداهما: كثره البخار و قلته، كما فرّق بين النّدى و المطر كثره البخار و قلته. و الخصله الأخرى: أن الجليد إنما هو بخار جمد فى الهواء لا فى السّحاب، و الثلج إنّما هو بخار جمد فى السّحاب.

و كذلك الفرق أيضا بين النّدى و المطر، هذا لاختلاف أنّ النّدى إنّما هو بخار انحدر إلى الأرض من دون السّحاب، و أنّ المطر انحدر من السّحاب و لكنّ البخار الذى يصعد من

الأرض تميّز منه اللطيف فصار هواء، و الغليظ هو الذى يكون منه الندى و المطر.

و قال أبو زياد الكلابى: إذا احتبس المطر اشتدّ البرد. فإذا مطر الناس مطره كان البرد بعد ذلك فرسخ، أى سيكون من قولهم تفرسخ عني المرض و إنما سمى الفرسخ فرسخاً لأنه إذا مشى صاحبه استراح عنه و جلس.

و روى الأصمعيّ عن المنتجع بن نبهان أنّ شيخاً من العرب كان فى غنيمه له، فسمع صوت رعد فتحوّف المطر، و هو ضعيف البصر، فقال لأمه ترعى معه: كيف ترين السماء؟

فقالت: كأنها ظعن مقبله، فقال: ارعى. ثم قال: كيف ترين السماء؟ قالت: كأنها بغال دهم تجرّ جلالها، قال: ارعى. ثم قال: كيف ترين السماء؟ قالت: كأنها ثروب مغزى هزلى، فكأنّها بطون حمير صحر. قال: انجى و لأنجأ بك، فلجأ إلى كهف و أدخل غنمه، و جاءت السماء بما لا يقام ليله، فقال الشيخ: هذا و الله كما قال عبيد:

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكّر كمن يمشى بقرواح

الباب الحادى و الثلاثون فى السحاب و أسمائه و تحليه بالمطر

إشاره

و هو فصلان

فصل [فى ذكر ما عدّد من نعمه على خلقه فيما نصبه من الأدله على وحدانيته فى خلق السماوات و الأرض]

قال الله تعالى فى ذكر ما عدّد من نعمه على خلقه فيما نصبه من الأدله على وحدانيته فى خلق السّماوات و الأرض، و اختلاف الليل و النهار فقال تعالى: وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ [سوره البقره، الآيه: ١٦٤] و المراد أنّ فى تعاقب الظلم و الأنوار و ما ينشئه تعالى جدّه من أنواع السّحاب بين السّماء و الأرض و ينزله من الأمطار و يخرج من التّبات أعظم الأدله على حدوثها لما فيها من إحكام الصّينه و ثباتها على ما ثبت عليه من العبره، إذ لا تفاوت فيها و لا اضطراب، و لا تناقض، و لا فساد فمن تدبّرها و تأمل الأحوال التى تعورها من الحركه و الشّكون، و الزّيادة و النّقصان، و الانكشاف و الترويه و الإقلاع، أداه الاعتبار إلى أنّه واحد ليس كمثله شىء، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

و روى فى الحديث: «السّحاب غربال المطر، لو لا ذلك لتهدّم البنيان» و يقال:

سحاب، واحده سحابه و مثله الغيم و الغيوم. و يقال ذلك فى القليل و الكثير و الغمام و الواحده غمامه و هى الغراء البيضاء و الجمع غر و بيض.

و يقال: المزن و الواحده مزنه. و منها الغماء و هى السّحابه السوداء.

و من دلائل الغيث أن يتقدّمه هبوب المبرّشات ثم يكون النّشأ من قبل العين فيحسن خروجه و الثّامه. ثم استكشافه حتى لا ترى فتقا، و ذلك التّطخّطخ و يسد الآفاق. ثم يكفهّز و يرجح فيتدانى و يستأرض أركانها و يتمكّن رجاءه و تنوس هياديه، و تهّمى أكفته، و يتعلق ريانها، و يتدحى عفا يده و يحمومى. ثم يصحار و يرج الرّعد رجا. و يتمّ البرق أتما، و هو الوكيف من البرق. ثم ينفل و لا يزدهيه الرّيح حتى يتحيرّ و يلين رعد، و برقه يتعاون عليه

الجنوب و الصَّيْبَا بِاللِّقَاحِ وَ الْإِبْسَاسِ. ثُمَّ يَنْتَجِفُهُ الشَّمَالُ حَتَّى يَسْتَقْصِي مَا فِيهِ، وَ هَذَا نَهَايَهُ مَا جَاءَتْ أَوْصَافُهُمْ وَ أَخْبَارُهُمْ وَ أَشْعَارُهُمْ.

وَ مِنْهَا السَّيْقُ وَ هِيَ كُلُّ مَا طَرَدَتْهُ الرِّيحُ وَ افْتَرَزَتْهُ مِنَ السَّحَابِ كَانَ فِيهِ مَاءٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ.

وَ الْخَلْقُ مَا يَرْجَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَطَرٌ وَ الْوَاحِدَةُ خَلْقُهُ. وَ الصَّبِيرُ مِنَ السَّحَابِ الَّذِي تَرَاهُ مَتْرَاكِبًا فِي بِيَاضٍ وَ الْجَمْعُ الصَّبِيرُ. وَ السَّيْدُ النَّشْأُ الْأَسْوَدُ يَنْشَأُ مِنْ أَى أَقْطَارِ السَّمَاءِ شَاءَ. قَالَ:

تَبَصَّرَ هَلْ تَرَى أَلْوَاحَ بَرَقَ أَوَائِلُهُ عَلَى الْأَفْعَاءِ قَوْدًا (١)

قَعَدَتْ لَهُ وَ شِيعِنَى رِجَالٍ وَ قَدْ كَثَرَ الْمَخَايِلُ وَ السَّدُودُ

الْمَخَايِلُ: وَاحِدَتُهَا مَخِيلَةٌ، وَ يُقَالُ سَحَابَهُ مَخِيلَةٌ وَ سَحَابَهُ ذَاتُ مَخِيلَةٍ: إِذَا كَانَتْ خَلِيقُهُ بِالْمَطَرِ. وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً أَقْبَلَ وَ أَدْبَرَ وَ تَغَيَّرَ، قَالَتْ عَائِشَةُ:

فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «مَا يَدْرِينَا لَعَلَّهُ كَقَوْمٍ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى» فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [سُورَةُ الْأَحْقَافِ، آيَةٌ: ٢٤].

وَ يُقَالُ لِلْسَّحَابِ أَيْضًا: الْخَالُ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ السَّمَاءَ قَدْ تَغَيَّمَتْ، قَالُوا وَ قَدْ أَخَالَتْ فِيهِ مَخِيلَةٌ بِضَمِّ الْمِيمِ.

وَ مِنْهَا الْحَمَاءُ وَ هِيَ السَّوَادُ. وَ الْعَارِضُ: السَّحَابَةُ تَرَاهَا فِي نَاحِيَةِ السَّمَاءِ وَ هُوَ مِثْلُ الْجَلْبِ، إِلَّا أَنَّ الْجَلْبَ أَبْعَدُ وَ أَضْيَقُ مِنَ الْعَارِضِ. وَ الْعَارِضُ الْأَبْيَضُ وَ الْجَلْبُ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ إِلَى السَّوَادِ. وَ فِي السَّحَابِ النَّضْدُ وَ هِيَ مِثْلُ الصَّبِيرِ وَ جَمْعُهُ الْأَنْضَادُ. وَ الرُّكَامُ: مَا تَرَاكُمُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَ هُوَ مِثْلُ النَّضْدِ. وَ مِنْهُ الرُّبَابُ: وَ لَا يُقَالُ لَهَا رَبَابَةٌ وَاحِدَتُهَا رَبَابَةٌ: وَ هِيَ السَّحَابَةُ الدَّقِيقَةُ السَّوْدَاءُ يَكُونُ دُونَ الْغَيْمِ فِي الْمَطَرِ، وَ لَا يُقَالُ لَهَا رَبَابَةٌ إِلَّا فِي مَطَرٍ.

وَ مِنْهَا الرِّيفُ: وَ هُوَ أَوَّلُ السَّحَابِ الْمَمَطَرِ. وَ الْكَنْهَوْرُ: السَّحَابُ الضَّخَامُ الْبَيْضُ، وَ يُقَالُ: غَمَامَةٌ كَنْهَوْرَةٌ وَ غَيْمٌ كَنْهَوْرٌ. وَ مِنْهُ الطَّخَاءُ: وَ هُوَ السَّحَابُ الرَّقَاقُ وَ الْوَاحِدَةُ طَخَاءٌ.

وَ مِنْهُ الْقَزْعُ: وَ هُوَ السَّحَابُ الصَّغَارُ وَ الْمَتَفَرِّقُ مِنْهُ وَاحِدُهُ قَزْعَةٌ. وَ مِنْهُ: نَمْرَةٌ: وَ هِيَ الْغَيْمُ الَّذِي يَرَى فِي خَلَلِهِ نِقَاطًا، الْوَاحِدَةُ نَقْطَةٌ وَ الْجَمْعُ نَمْرٌ، وَ مِنْ أَمْثَالِهِمْ: أَرَيْتُمْ نَمْرَةً أَرَيْكُمَا مَطَرَهُ.

وَ مِنْهُ الْجَفَلُ: وَ هُوَ كُلُّ سَحَابٍ سَاقَتْهُ الرِّيحُ قَدْ صَبَّ مَاءَهُ. وَ الْجَهَامُ: مِثْلُ الْجَفَلِ وَاحِدَتُهُ جَهَامَةٌ. وَ يُقَالُ لِلْسَّحَابِ الَّذِي هَرَّاقَ مَاءَهُ السَّيْقَةَ لِأَنَّ الرِّيحَ تَسُوقُهُ لِخَفَّتِهِ، وَ هَذَا كَمَا يُقَالُ لَمَّا تَسْتَلِينَهُ وَ تَسْتَهِينَهُ: لَيْنٌ وَ هَيْنٌ.

١- أوسع الغيث (المحيط).

و الصّراد واحدتها صراده، و هو مثل الجفل. و مثله الرّهج: من الغيم.

و منه السّيق و الجىء: و هو الغيم فى عرض السماء الغريب الحسن. و منه الحير و هو الغيم ينشأ مع المطر فتحير فى السّماء.

و منه بنات نحر و نجر و هى سحائب يخرجن فى السّحر، بين الخريف و الرّبيع و هنّ سحائب غرّ طوال مشمخزات.

و منه الرّبرج: و هو مثل الرّهج و السّيق.

و منه الغماء: و هو شبه الدّكان يركب رءوس الجبال. قال:

ليه غماء طامس هلالها

و منه الضّباب، و هو شبه الدّخان و التّدى يظلل السّماء، واحدته ضبابه، و يقال: أضيفت السّماء فهى مضببه.

و منه الظّله و هى أوّل سحابه تظلل.

و منه الطّخارير، واحدتها طخور و هو السّحاب الصّغار. و الغيايه: ظلّ السّحابه و قال بعضهم غياهه. قال الشّاعر:

كساع إلى ظلّ الغيايه بيتغى مقيلا فلما أن أتاها اضمحلت

و قال: و لغه الكلابيين امضحلت و المكفهر: السّحاب الضّخام الرّكام و يقال: عجاجه مكفهره، و طره الغيم: أبعد ما يرى من

الغيم، و يقال: طره الكلا و طره القف و هى ناحيتها.

و منها: النّشاص: و هى الطّوال و الواحده نشاصه و هى الطّويله البيضاء، و أكثر ما ينشأ من قبل العين. قال:

بل البرق يبدو فى ذرى من دفائه يضىء نشاصا مكفهر الغوارب

و فى الحديث: أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «إذا نشأت السّحابه بحريه ثم تشامت فتلك عين غديقه» يريد إذا ابتدأت

من ناحيه البحر، ثم أخذت نحو الشّام فتلك عين غديقه أى: مطر جود. و الغديق: الكثير الماء من قول الله تعالى: لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً

عَدَقًا [سوره الجن، الآيه: ١٦].

و كذلك إذا كانت السّحابه سوداء فتلك من علامات الغيث، و فى الحديث الذى سأل فيه النّبى صلى الله عليه و سلم: «أ جون

هو أم غبره؟ فقالوا: جون، فقال: جاء كم الحياء» و كذلك إذا رأى الرّباب دوين السّحاب قال:

كان الرّباب دوين السّحاب نعام تعلق بالأرجل

و أنشد:

و ما لى لا أغزو للدهر كرهو قد نبحت نحو السحاب كلابيا

يقول: كنت لا أغزو مخافه العطش على الخيل و الأنفس، فما عذرى اليوم، و قد كثر المطر، و اتصل العشب و امتلأت الغدران. و لبعضهم:

أغر سماكى كأنّ نشاصه قطار يخات أو جبال تقلع

تألؤ غوريا كأنّ وميضه حريق بجزل فى ضرام تشيع

رأته عيون ممحلات تتابعت له سنوات فهو للغيث جوع

ملتّ دنا دون السحاب سحابهمن الأرض حتّى كاد بالزّاح يدفع

و يقولون: إذا رأيت السماء كأنّها بطن أتان قمراء فذلك الجود. قال الهذلى:

يمدّ له جوالب مشعلات تحللهن أقرم ذو انغطاط

و يقال: إنّ معقر بن حماد البارقى قال لابنته، و قد سمع صوت رعد: أى شىء ترين؟

قالت: أرى سحابه عقاقه كأنّها حولاء، ناقه ذات هيدب دان و سيروان. قال:

و ابلى بى إلى جنب قفله فإنّها لا تنبت إلّا بمنجاه من السيل

و إذا كانت السحاب نمره فهى كذلك. و قال آخر فى المخيله:

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالزّاح

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكّن كمن يمشى بقرواح

أى طبق الأرض، فمن كان فى الارتفاع كمن هو فى الاستواء، و من كان فى ظهر الصّيحراء كمن فى بطنها، و إذا كان السّحاب أصهب إلى البياض فذاك إماره الجذب، و يقولون: هو هف أو جلب إذا حمر الأفق. قال:

و سوّدت شمسهم إذا طلعت بالجلب هفا كأنه الكثم

و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جنوبها الشيبان (١) أو ملحان (٢) و اليوم أشهب

و قال الفرزدق يذكر قوما مسافرين:

١- شيبان: جمادى الثانيه.

٢- ملحان: جمادى الأولى.

يغضون أطراف العصي تلفهم من الشام حمراء الضحي والأصائل

و من أمثالهم: ما يضّر السحاب نباح الكلاب، و زعموا أنّ الكلاب تنبح السحاب من كثره المطر و الحاجه. و في صفة غيم
المحل:

و هاج غمام مقشعر كأنه بنيله نعل بان منها شريحها

الفضل بن عباس:

كأن سيوف فارس في ذراه و غرفا من قيان مسمعات

أقام على معاهدن شهرافأقلع و هو مهترّ الثبات

و قال حسين بن مطير يصف المطر و السحاب، و رواه الأصمعي شعرا:

كثرت لكثره قطره أطباؤه فإذا تحلب فاضت الأطباء

و كجوف ضرته التي في جوفه جوف السماء سجله جوفاء

و له رباب هيدب لرفيقه قبل التعنق ديمه و طفاء

و كأن ريعه و لّمّا يحقل و دق السحاب عجاجه كدراء

و كأن بارقه حريق يلتقى وهج عليه عرفج و ألاء

مستضحك بلوامع مستعبر بمدامع لم يمرها الأنداء

فله بلا حزن و دون مسرّهضحك يؤلف بينه و بكاء

حيران منبعق صباه يقوده و جنوبه كنف له و كفاء

و دنت له نكباؤه حتى إذا من طول ما لعبت به النكباء

غاب السحاب فصار بحرا كلّه و على البحور من السحاب سجاء

ثقلت كلاه فبهرت أصلابه و تعجبت من مائه الأحشاء

غدق يسبح بالأباطح قد غدت بلد السيول و ما له أفلاء

غز محجله دوالح ضمنت حمل اللقاح و كلها غدراء

سجم فهن إذا كظمن أواجم و إذا ضحكفن فإنهن و ضاء

لو كان من لجج السواحل مأؤه لم يبق فى لجج السواحل ماء

و حكى أحمد بن يحيى قال: أخبرنى ابن الأعرابى، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابه فقيل: يا رسول الله هذه سحابه فقال عليه السلام: «كيف ترون قواعدها» قالوا: ما أحسنها و أشدّ تمكّنها. قال: «و كيف ترون رعاها»؟ قالوا: ما أحسنها و أشدّ استدارتها. قال: «فكيف ترون بواسقها»؟ قالوا: ما أحسنها و أشدّ استقامتها.

قال: «فكيف ترون برقها أوميضاً أم خفياً أم يشق شقاً»؟! فقال عليه السلام: «الحياء الحياء»

قال: فقالوا: يا رسول الله ما رأينا أفصح منك، فقال: «و ما يمنعى و إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين» قواعدها أسافلها، و رحاها وسطها، و معظمها، و بواسقها: أعاليها. و إذا استدار فيها البرق من طرفها إلى طرفها فهى أعاليها و هو الذى لا يشك فى مطره وجوده، و إذا كان البرق فى أسافلها لم يكذب يصدق. قال ابن الأعرابى: و قال رجل من العرب و قد كبر و كان فى داخل بيته، و كان بيته تحت السماء: كيف تراها يا بنى؟ قال: أراها و قد نكبت و تبهرت، و أرى برقها أسافلها، قال: أحلقت يا بنى. معنى نكبت: عدلت عن القصد، و تبهرت:

تقطعت. و البهر حفر يكون فى الأرض، و الومض: أن يومض إيماضه ضعيفه ثم يخفى، ثم يومض ثم يخفى ثم يومض، و ليس فى هذا يأس مطر قد يكون و لا يكون. و أما المسلسل فى أعاليها فلا يكاد يخلف.

و يقال: خفى كأقيد الطير و أقيد الطير: نظره- ثم إغماضه ينظر نظره- ثم يغمض- ثم ينظر نظره- ثم يغمض. قال حميد بن ثور يصف البرق:

خفى كأقيد الطير و الليل ملبس بجسمانه و الصبح قد كاد يسطع

قال الهذلى شعرا:

فسائل سبره الشجعي عئاغدها يخالنا نجوا خبيئا

فصل فى كلام الأوائل، يتبين منه حال الأندبه و الأمطار و العيون و الأنهار و غيرها

قالوا: إن المطر إذا وقع على الأرض اجتمعت منه المياه، فإذا صادفت مكانا إلى الانصباب ما هو جرت منه الأودية و الأنهار، لأن المياه من شأنها طلب الحدور، فإن صادفت حوالها أرضين مرتفعه بقيت فلم تجر، فإن كانت تحتها أرض رخوه غارت أبدا إلى أن ينتهى إلى أرض أو جبل فلا- يقدر على النفوذ فيقف فإذا كثرت المياه أكلت ما حولها من الأرضين اللينه حتى ينتقب موضعها، فيخرج منه فيسمى ذلك الموضع عينا.

و ربما انتقت من ذلك الموضع الواحد مواضع كثيره، فجرت أنهار كثيره و كلها كانت أغزرا لتلك العيون. و إن كانت المياه المستنقعه كثيره جدا لم تنقطع تلك العيون فى أول الصيف، و انقطعت فى آخره على قدر القله و الكثره. و ربما كانت تلك العيون غزيره سنين كثيره، ثم ينقص ماؤها غير نقصان المطر و ذلك أن ينتقب فى جهه هذه العيون، فيخرج بعض تلك المياه إلى تلك الجهه فإن كانت تلك الجهه منفسحه المذهب دام ذلك النقصان.

و إذا كانت تلك الجهه ليست بمنفتحه بل استقبل الماء مكانا عاليا أو جبلا تراجع الماء،

و رجعت تلك العيون الأولى إلى ما كانت عليه، و ربما جرت الأودية و الأنهار من ثلوج تقع على جبال، فإذا أصابها الحر ذابت قليلا قليلا، فجرت منها الأودية و الأنهار، فإن كان ذلك الثلج كثيرا لم تنقطع تلك الأودية و الأنهار، و إن كان قليلا انقطعت.

و أما الأبحار فإنما هي من مواضع عميقه في الأرض و الماء من شأنه يطلب العمق، فالمياه تنصب إلى تلك المواضع العميقه من الأنهار و الأودية و السيول، يستنقع فيه فما كان من ذلك الماء عذبا فإنه يصير فوق لخبه العذوبه و ما كان منه مراً و ملحا صار إلى أسفل لثقله، فإذا مرّت الشمس عليه رفعت ما كان منه عذبا لخبته و لطافته، و ما كان منه لطيفا جدا صار هواء، و ما كان منه في اللطافه دون ذلك صار ندى و مطرا.

فأما ما يقال: لم لا تستبين الزيادة في البحار مع كثره ما يجري فيها من الأنهار و الأودية، فذلك لكثرة سعتها و إنها لا تبقى بل ترفع الشمس لطبيعتها فيصير منها الدرى و الأمطار، و كذلك أيضا لأنّ الذي يعود إليها في الأودية و الأنهار و ربما نقص بعض البحار في طول الأزمان أو زاد بعضها، و لكن ذلك لا يستبين لطول الزمان الذي يحتاج فيه إلى أن يستبين، لأن ذلك لا يستبين في قدر عمر إنسان أو إنسانين.

قالوا: و إن قلنا: إنها تزداد و تنقص، لم يبعد من قبل أنه ليس من الواجب أن يكون البخار الصاعد منها سواء مثل الأودية و الأنهار السائله فيها، بل قد يكون أحدهما أكثر من الآخر، فلذلك قلنا: قد تزيد البحار و تنقص.

و أما ملوحه ماء البحر و مرارته، فلكثره مرور الشمس عليها فإن الرطوبة إذا خالطتها الحرارة صارت مالحة، فإن أفرطت الحرارة عليها صارت مره، و مثال ذلك العرق و البول، فإنهما مالحان جميعا لعمل الحرارة فيهما.

الباب الثاني والثلاثون في الرعد والبرق والصواعق، وأسمائها وأحوالها

إشاره

و هو فصلان

فصل [في بيان كيفية تسبيح الرعد بحمده]

قال الله عزّ وجل: **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ** [سوره الرعد، الآية: ١٣] الآية. وفي موضع آخر: **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ** [سوره البقره، الآية: ١٩] الآية. قوله: أو كصيب تشبيه بعد تشبيهه وذلك أنّ الله تعالى شبه أعمال المنافقين و اغترارهم بما اعتقدوه من مخادعه المؤمنين في إظهار موافقتهم و إبطان مخالفتهم، و أنّ ذلك يقضى لهم بالفلاح و النّجاح فقال: مثلهم في ذلك و إن كان لا ينفعهم و لا يدفع السوء عنهم، بل يرجع بالوبال عليهم، كمثّل رجل أوقد نارا و هو يظنّ استبانة الطّريق بها، فجاءت ضعيفه في إنارتها، و لمّا أضاءت ما حولها و قدر بقاها على ما بها، خمدت فعاد و هو أسوأ حالا و أشدّ عمى لأنّ الناظر في ظلمه بعد ضياء أضعف تبينا أو مثل قوم أصابهم صيب استصحب رعدا و برقا و نكدا و خوفا فخشوا ربه من صاعقه تحرقهم، و تنزل البلاء بهم و هذا القدر كاف هاهنا.

و روى أنه سئل ابن عباس عن البرق، فقال: مخاريق الملائكه. و أصل المخراق خشبه في رأسها سنان عريض تحته عذبه، و كان القوم إذا انصرفوا من حرب ظافرين قدّموا بشيرا معه مخراق، ليعلم الحال به و كان يوفى على نشز بقرب منهم، و يلوّح بالمخراق، فيجتمع ولدان الحى فرحين و يقولون: مخرق المخراق في رأس الیضع، فالجيش لا شكّ كما بدا رجع، فلا يزالون كذلك حتّى تطلع عناق الخيل، فيستقبلونها مصفقين، و إذا انصرف الخيل مغلوبين، أو طلبوا مددا بعثوا رجلا و أعطوه سيفا فأوفى على النّشز و الألاح بالسّيف و صوّت، ليعلم الحى بالحال فاجتمع الصّبيان باكين و يقولون: رأى حتفا و ألاح سيفا، و هذا رواه أبو نصر عن الأصمعي رأى حيفا، قال ثعلب هذا تصحيف ما يروى الرّاوون الأجنفا، و منه قول تأبط شرا:

يا نار شبت فارتفعت لضوئها كالسيف لاح مع التذير المقبل

و أنشد ابن الأعرابي شعرا:

إنى إذا ما علقت علاق و شمّرت أولادها عن ساق

شمطاء ذات مضحك براق كريبه المنظر و المذاق

و صافحت بكفّها حلاق صار به يطعن للأرواق

أعمل خلق الله بالمخراق و بالشهاب اللامع الخفاق

و بينات جشأ دقاق و أبسط الكفّين للعناق

و إنّما الدّوله بالأرزاق فسر المخراق منها على أنّه السّيف و عنى بينات جشاء: التّبل، و يقال: رعدت السّماء و برقت، و يقال: أرعدت و أبرقت أيضا، و بعضهم ينكره و ينشد:

أبرق و أرعد يا يزيد فما و عيدك لى بضائر

و يقال: أرعد القوم إذا أصابهم الرّعد، و فى الرّعد الإرزام و هو صوت للرّعد غير شديد، و يقال: أرزم الرّعد. و فيه انهزم و هو اسم صوت الرّعد شديده و ضعيفه، و هو الهزيم. و يقال: تهزّم الرّعد تهزّما و انهزم الرّعد انهزاما. و فيه القعقعه و هو تتابع صوت الرّعد فى شدّه، و جمعه القعاقع. و فيه الرّجس و الرّجسان و هو صوت الرّعد الثقيل. يقال: رجس الرّعد و السّماء يرجس. و فيه الصّاعقه و جماعه الصّواعق، و هى نار تسقط من السّماء فى رعد شديد، و يقال: أصعقت علينا إصعاقا، و يقال: صاعقه أيضا. و قال:

يحكون بالمصقوله القواطع يشقق البرق عن الصّواعق

و ذكر بعضهم البرق فقال: يلتمع الأبصار، و يهلك الغض من الثمار، و يكنع بعاع البقل، و قيل: لا يكون برق لا رعد معه إلا أن يكون رزالا يعنق السّحاب أو يكون خفوا لا يشنق، و وصف بعضهم الرّعد فقال: يرج الأرض، و يحرق الطّير، و يمرق بيضها، و يصم السّمع، و يسقط الأحبال، و يصدع القلوب. و فيه الأريز يقال: إنّ الرّعد تأرّز تأرّزا و ترزّزت السماء ترززا. قال:

جارتنا من وابل الأسلمى ترززا من وراء الأكم

رز الرّوايا بالمزاد المعصم

و يقال: جلجل الرّعد جلجله و هو الصّوت ينقلب فى جنوب السّحاب و تهزج الرّعد تهزجا و هو مثل الجلجله، و زمزم زمزمه و

هو أحسنه صوتا و أثبتة مطرا، و أرنت السماء إرناانا: و هو صوت الرعد الذى لا ينقطع، يقال: رنّ و أرنّ بمعنى واحد و جمع.

البروق و يقال: برقت السماء و برق البرق، و برق برقا و أبرق القوم إبراقا إذا أصابهم البرق، و تكشّف البرق تكشفا، و هو إضاءة ته في السماء، و استطار استطاره مثل التكشّف.

و لمع البرق يلمع لمعا و لمعانا و هي البرقه. ثم الأخرى المرّه بعد المرّه. و لمح يلمح لمحا و لمعانا مثل اللمع غير أنّ اللمح لا يكون إلا من بعيد. و تبسم البرق تبسما مثل التكشّف، و استوقد البرق الذي يملأ السماء و السلسله برق النهار أو برق السحاب، و هي البرقه الضّعيفه قال:

تربعت و الدّهر عنها غافل آثار أحوى برقه سلاسل

و يقال: هذا برق الخلب، و برق خلب، و هو الذي ليس فيه مطر.

و يقال: خفق البرق خفقا و خفقانا و هو تتابعه، و خفا البرق يخفو خفوا و هو أن تراه من بعيد خفيا، و يقال: هو أخفى ما يرى من البرق.

و يقال: أومض البرق إيماضا، و هو الوميض و هو الضّعيف من البرق.

و يقال: سنا البرق و هو ضوءه تراه من غير أن ترى البرق أو ترى مخرجه في موضعه، و إنّما يكون السنا بالليل دون النهار، و ربّما كان بغير سحاب، و السماء مصحيه وضوء البرق مثل سناه.

و تشقق البرق تشققا و هو أن تبرق البرقه فتتسع في النّشر. و تألق البرق تألقا مثل التشقق. و تكلّح البرق تكلّحا: و هو دوامه و تتابعه في الغمامه البيضاء و تالألأ تالألأ و هو السّريع الخفيف المتتابع.

و مصع البرق يمصع مصعا: و رمح يرمح رمحا و هما سواء و هو البرق السّريع الخفيف المتقارب.

و ألهب إلهابا: و هو سرعه رجعتة و تداركه، و ليس بين البرقين فرجه.

و العراص: الذي يلمح و لا يفتر نحو التّبسم.

و قد عرصت السماء: تعرض عرصا إذا دام برقها و رأيت السماء عراصه.

و فرى البرق يفرى: و هو تالألؤه و دومه في السّماء و كانوا يسمّون البرق، فإذا لمعت سبعون برقه انتقلوا مستغنيين عن الرّواد لاستحكام ثقتهم.

و يقال: برق و ليف إذا لمع لمعتين، و قد شبّه ذلك بلمع يدين. قال امرؤ القيس شعرا:

أ صاح ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين في جبي مكلل

و قال الهذلي:

تبسم بعد شتات النوى و قد بتّ أخيلت برقا و ليفا

و ارتعج البرق إذا تتابع لمعانه. قال أبو عبد الله: سئل بعضهم عن البرق فقال: مصعه ملك أى يضرب السحاب ضربه فترى النيران و أنشد:

و كان المصاع بما فى الجون

و يقال: أزعج البرق و برق مزعج قال:

سحّا أهاضيب و برقا مزعجاتجواب الرعد إذا تبوّجا

و التبوّج: مثل التكشّف، و يقال: تبوّج تبوّجا.

و يقال: أخفى البرق كأفيد الطير قال:

خفا كأفيد الطير و هنا كأنه سراج إذا ما يكشف الليل أظلما

و قال عمرو بن معدى كرب: يلوح كأنه مصباح باز. قال أصحاب المعانى: أراد مصباح رجل من بنى باهله فمصباح لا يطفأ.

فصل فى الرعد و البرق و السحاب من كلام الأوائل

قالوا: إذا علا- البخار الرطب و بلغ إلى الموضع البارد و الجبال دفعه البرد إلى أسفل، فاحتقن هناك، و صارت الجبال القريبه له كالمغارات، و تكاثفت أجزاءه فيكون منه السحاب و الضباب و النجدى، على قدر اختلاف البخار الذى يصعد.

فإذا اجتمع ذلك البخار الرطب هناك حصر ما فيه من البخار اليابس الصاعد من الأرض معه، و إذا كان ذلك اضطرب البخاران اليابس الحار و البارد الرطب فى جوف السحاب، فقرع السحاب و صدعه فيكون من ذلك القرع صوت يسمى الرعد، و يكون من ذلك التصدع تلهّب، يقال له: البرق، و هما يكونان فى وقت واحد، و لكنّ البصر ترى الألوان بلا زمان و السمع لا يدرك الصوت إلا بزمان، و ذلك الزمان على قدر بعد السحاب من الأرض.

فإذا كان ذلك السحاب من الأرض قريبا تبين رؤيه البرق، و سمع الرعد فى زمانين متقاربين. و إذا كان السحاب بعيدا من الأرض كان بين رؤيه البرق و سماع الرعد زمان طويل. و شبه ذلك الصوت الذى يكون من السحاب بالحطب الرطب الذى تشتعل فيه النار

فيسمع له صوت و قرقعه، فعلى قدر كيفية السحاب و كيفية البخار الحار اليابس المختق فيه، يكون ذلك الصوت الذى هو الرعد و الضوء الذى هو البرق.

فأما اختلاف ألوان السحاب فعلى قدر عمل الحرارة: فإن كانت الحرارة قد عملت فيه عملا شديدا رؤى لون السحاب أسود، و إن كانت قد عملت فيه عملا قليلا رؤى السحاب أبيض، و إن كان فيما بينهما رؤى أحمر أو أصفر على قدر عمل الحرارة فيها لأن الحرارة تحرق الأجسام فتكون ألوانها على حسب إحراقها.

و أما صغر قطر المطر و كبره: فعلى قدر شدته دفع الريح السحاب و ضعفه: فإن دفعته دفعا شديدا اجتمعت أجزاءه، فكان منه قطر كبار. و إن دفعته دفعا ضعيفا كان منه قطر صغار.

و أما اختلاف ألوان البرق فعلى قدر السحاب الذى يتصدع، فإن البرق أيضا مختلف اللون، فربما كان إلى السواد ما هو، و ربما كان إلى الصفرة ما هو، و إلى الشقرة، و ذلك كله على قدر كيفية السحاب، فهذا ما فى الرعد و البرق و السحاب.

فأما الصاعقه فى اللغة فهى الواقع الشديد من صوت الرعد يسقط معه قطعه من نار، و صوت العذاب أيضا. و قد صعقتهم السماء و أصعقتهم، و يقال: صعق إذا أغمى عليه من صوت يسمعه و مات أيضا، و يقال: صعق و هو صعق الصوت أى شديده، و المصدر الصيغ و الصيغاق. قال إذا ائتلاهق صلصال الصيغ. و فى القرآن: وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا [سوره الأعراف، الآية: ١٤٣] أى مغشيا عليه بدلاله قوله: فلما أفاق.

و قال الخليل: الصياعقه: صوت العذاب. و قال بعضهم: نار ريحيه و ريح ناريه و ذلك أنها إذا وقعت فى الخشب أحرقته و أشعلته. و إذا وقعت على ذهب أو فضه أحمته و أذابته.

و هذا الفعل من أفعال النار. قال: فيقول: إنها و إن كانت نارا فليست بالنار الحريه بل هى نار لهبائيه. و ذلك أنها إذا سقطت على الأرض لم يوجد جمرها بل يرى ذلك الموضع الذى تقع فيه الصاعقه كثير الدخان متصدعا. و هذه من خواص النار و الريح، و الصياعقه أيضا أطف من جميع النار اللهبائيه التى عندنا، و ذلك أن النار التى عندنا لا تنفذ فى الحيطان و لا فى الأرضين. و الصاعقه تنفذ فى كل جوهر محسوس، و هى لا تبصر لأنها بلطافتها نفوت أبصارنا، لكن أفعالها تبصر، و لسرعه حركتها تجاوز الوقت الذى يمكن أن يكون فيه البصر.

و الصياعقه تكون لعلتين: إميا لاكتمان النار فى الغمام و إفلاتها بغيته، و إميا لا- كتمان الريح فى الغمام و احتكاكها به و شدته خروجها بغيته، و فى مجيئها إلى الأرض تصير نارا، كما ترى ذلك فى الرصاص إذا رمى بالمقلع، فإنه يسخن بمحاكّه الهواء و يلتهب و يذوب.

الباب الثالث و الثلاثون فى قوس قزح، و فى الدائرته حول القمر، و فى البرد

اشاره

فى قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكامًا فَتَرى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ [سوره التور، الآيه: ٤٣] الآيه و هو ثلاثه فصول:

فصل [فى بيان معنى قوس قزح]

قال الخليل: قوس قزح طريقه مستوسقه تبدو فى السّماء أيام الربيع. و فى الحديث عن ابن عباس أنّه قال: «لا تقولوا قوس قزح، فإنّ قزح من أسماء الشّياطين و لكن قولوا:

قوس الله عزّ و جلّ» و قال أبو الرّقيش: القزح الطّرائق التى فيها و الواحده قزحه و التّقزح إذا اتّسع رأس الشّجره أو النّبت شعبا مثل برثن الكلب. و فى الحديث: «نهى عن الصّلاه خلف الشّجره المقزحه» فأما قول الأعشى شعرا:

جالسا فى نفر قد يئسوافى محلّ القدّ من صحب قزح

فقزح لقب رجل.

و أما الهاله: فهى الدّاره حول القمر، و قد مرّ القول فيه فى باب القمر و من كلام الأوائل فيها: أنّ رؤيتها داله على مجىء المطر، و كينونته، و اضمحلالها و تحللها يدلّ على حدوث الصّحو لكونه دالا على يبس الهواء، و كما يدلّ على المطر يدلّ على هبوب الرّيح، لأنّ المحلّل لتلك الرّطوبه إنّما هو البخار الحار اليابس الذى هو مادّه الرّيح، و النّداه تكون فى أيام الغيوث و هى عندهم و عند بعض العجم من أمارات المطر، و مما يصفون به صدق مخيله السّحاب أنّ يروا القوارى تكثير الطّيران فى الدّجن. قال الجعدى شعرا:

فلا زال يسقيها و يسقى بلادها من المزن رخّاف يسوق القواريا

و كذلك المرع: ضرب من الطّير يظهر فى المطر، و هى طويله العنق مشرّبه صفره،

قال أبو زياد: الناس يستبشرون برؤيه القواري.

و من أسماء القوس: الدّاح و من أمثالهم: لا يعرف الماح من الدّاح. فالماح: صفرة البيض. و الدّاح: الذي يسمى قوس قزح. و هذه الدّائر أكثر ما ترى بالليل، و قد ترى بالنّهار أحيانا، و أكثر ذلك نصف النّهار و بالعشى. فإمّا عند طلوع الشّمس و عند غروبها، فقلّما ترى. و علّه هذه الدّارات كلّها واحده و ذلك أنّ البخار الرّطب إذا كثر في الجو و أشرقت الشّمس أو القمر و الكواكب المنيره فيها سطع نورها في الهواء. ثم عطف ذلك النّور راجعا من الهواء على البخار الرّطب فترى تلك الدّاره كذلك.

و قالوا في قوس قزح: إنّها لا ترى دائمه، و أكثر ما ترى بالغداه و العشى فأما نصف النّهار فلا ترى، و أكثر ما ترى في الخريف. فأما في الصّيف فلا ترى و ربما رؤيت قوسين، فأما علّه كونها فهى من شعاع الشّمس الرّاجع إلى البخار الرّطب كمثل ما يشرق في الماء.

ثم يرجع إلى الحائط و ربّما يرى قوس قزح بالليل من ضوء القمر، و قلّما يرى ذلك، و إنما يرى إذا رأيت في مثله ليله البدر إذا كمل ضوء القمر.

فأما كدوره قوس قزح و صفاؤها فعلى ما تغلب عليها الرّطوبه كان اللّون إلى الصّيف، و البياض، لأنّ صفاء الهواء و كدورته من قبل هاتين العلتين الرّطوبه و البيس، و قياس ذلك النّار فإنّها إذا كانت في حطب رطب كان لون النّار أحمر كدرا، و إذا كانت في حطب يابس كان لون النّار أصفر صافيا، فكذلك لون قوس قزح أيضا.

أمّا الحمره التي ترى أحيانا في أيّام الصّيف في الهواء: فمن قولهم فيها: إنّ الهواء إذا تكاثفت أجزاءه و غلظ ثم سطع ضوء الشّمس أو الكواكب في موضع من الأرض، رجع ذلك الضّوء إلى الهواء كالضّوء الذي يرجع من الماء إلى الحائط، فكذلك الهواء إذا رجع إليه الضّوء من الأرض، أو من المياه قبله على قدر مشاكلته، لقبوله فيرى لون الهواء أحمر أحيانا، و على الهواء القابل لذلك.

و القول في الآيه بدأ الله تبارك و تعالى يذكر بنعمه على خلقه، حالا- بعد حال و وقتا بعد وقت، و بكمال تدبيره، مجملا و مفصّلا، و مقدّما و مؤخّرا و كيف سبب الأسباب و ربّ الأقدار فيما هتأ من درور رزق و درج من نزول غيث فقال: انظروا كيف جمع فرق السّحاب بعد إنشائها، و كيف ألّف سيقها على تباينها، و فى أيّ حال كشفها عقب رقتها و تخلخلها، حتى صار مع تراكمها يؤدى ما أودع و ينخرق بما ضمّن، فيخرج من خلاله الماء، مرافقا للنّار، جامدا و ذائبا، و متخلخلا و متماسكا.

ثم يقسمه سحابه بين منتزيه و طالبي الانتفاع به، كما يشاء فيعطى كما يحرم و يهب كما يمنع، مقلبا الليل و النهار، و مبدلا الظلم و الأنوار، و اعتبروا ففى ذلك عبره لأولى الأبصار.

قوله: يزجى يعيد سوفا على رفق، لذلك قال عدى: و يزجى بعد الهذين جهه شمال كما يزجى الكسير. لأن الكسير يرفق به. و الزكام: الغليظ المتلبد المتطارف، و الودق: الماء و الفعل منه و دق.

و قوله: مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ [سوره النور، الآيه: ٤٣] فكل مستحجر صلب غليظ يوصف بأنه جبل و جبال. و منه قوله تعالى: وَ الْجِبَلِ الْأَوَّلِينَ [سوره الشعراء، الآيه: ١٨٤] و قوله تعالى: مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ [سوره النور، الآيه: ٤٣] أراد من جبال برد فيها، و هذا على التكثر كما يقال: عند فلان جبال من المال. و المراد أن ما ينزله من الغيث يكون ذائبا و جامدا فيقسمه بين الخلق على ما يرى من مصالحهم و إنما قال تعالى: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ [سوره النور، الآيه: ٤٣] لأن الضوء الباهر إذا أديم النظر إليه أضرّ بالعين، و كذلك الشىء الأبيض كالثلج و ما أشبهه.

فصل من كلام الأوائل فى البرد و الطلّ و الدّمق

قالوا: إن البرد إنما يكون فى البخار الحار إذا أصابه برد الهواء و ذلك لتنافر الحرارة و البروده. فإذا أصاب البرد السحاب انقبض الماء فى داخل السحاب من كثره حراره ذلك البخار، فيجمد فى جوف السحاب، و ذلك لمضاده الحر للبرد و لذلك إنما يكون البرد فى الأيام الحاره لمضاده الحر البرد.

فأما فى الأزمنه الباردة و البلاد الشديده البرد و إن كان البرد منتشرًا فى جميع الأماكن، فليس يقع هناك مضاده الحر للبرد فلا يكون بردا. فأما اختلاف خلقها فمن قبل بعده و قربه من الأرض: فإن كان بعيدا من الأرض كان صغير الحب و ذلك لأنه يذوب فيما بين مخرجه و بلوغه إلى الأرض، فيصغر قدره و يستدير.

فأما ما كان قريبا من الأرض فإنه ينزل سريعا فلا يستدير لكن يبقى كثيرا مختلف الشكل، و إن كان الصيغر و الكبير فيه تبع قدر الماء، و كونه مضغوطا فى السحاب، و ربما كان عله كبر القطر من قبل قوه الرّيح فيضغط أشدّ ضغط فهذا ما فى البرد.

فصل فى أسباب الطل

فأما أسباب الطل: فيكون إذا كان فى الموضع السفلى و اجتمع أو تصاعدت بخارات فغلظت من البروده ينزل الشىء الذى يغلظ لما فيه من الثقل، لأنه ليس تحته من الهواء كثير فيمنعه من النزول كما يمنع الهواء فوق لكثره الغمام من النزول و القطع الصيغار. و الدمق:

يكون إذا جمد الطل بالبروده، قالوا: و السبب فى بياض الدمق ما تداخله من الهواء لأن الشىء الذى هو فوق تلج، هو أسفل دمق و الشىء الذى هو فوق مطر هو أسفل طل، و من أجل ذلك قيل: إن الدمق يكون من جمود البخار قبل أن يجتمع فيصير ماء.

الباب الرابع والثلاثون في ذكر المياه، والنبات مما يحسن وقوعه في هذا الباب

إشاره

و هو ثلاثه فصول

فصل [في بيان معنى قوله وقع الغيث بمكان]

الأصمعيّ يقال: وقع الغيث بمكان كذا إذا مطر، و لا يقال: سقط. قال الشاعر:

وقع الزبيح وقد يقارب خطوه و رأى بعقوته أزلّ نسولا

يعنى بالأزل الذئب. و قال آخر:

حتّى إذا وقع السّماك و عشرت عين فمنبعه و أخرى مقرب

يريد وقع غيث السّماك، و لو أراد السّماك نفسه لقال سقط و لم يقل وقع، إنّما الوقع للغيث، و السقوط للنجم، قال الساجع: إذا النجم هبط، و إذا النسر سقط، و إذا وقع الغيث قيل: نصرت الأرض فهى منصوره، و إذا وقع الغيث فابتلّ التراب فهو ثرى و الأرض ثريه ما دامت رطبه، فإذا جفّ قيل: بلح و مصح. قال يصف إبلا:

و بلح الرّب لها بلوحا و أصغر فى الأرض الثرى مصوحا

و إذا اشتدّ ندى الثرى حتى يلزم بعضه بعضا: فهو الثرى الجعد، فإذا زاد فهو كباب، فإذا ارتفع عنه فهو عمد.

قال الغنوى: فإذا أصاب المطر و كان ثراه فى الأرض إلى الرّبيع فهو المرسخ و هو ربيع، و خير ما يكون من المرسخ إذا كان فى شحاح الأرض، و هو ما صلب منها، و الرّسخ موصل الكف فى الدّراع. و عن غيره إذا كان الثرى فى الأرض مقدار الراحه فهو المرعى، قال أبو حنيفه: هكذا روى بتقديم الحاء يريد أنّه يجىء من الرّاحه مروح. قال الغنوى: و إذا كان الثرى إلى مستحلّ الدّراع، و مستحلّها ما غلظ منها مما يلى المرفق فهو الرّسخ المنبت

التأفح. و إذا كان إلى المرفق فهو المطر الجود و هو يجرى الأرض شهرا من المطر. فإذا بلغ الثرى نصف العضدين قيل: حيا. فإذا بلغ المنكب فهو حيا عند جميع الناس لما بعده. فإذا حفر الحافر الثرى فذهبت يده حتى يمس الأرض بأذنه و هو يحتفر. و الثرى جعد. فقد اعتقدت الأرض حيا سنتها. و يقال: غيث جدا، لا يحفره أحد و لا سكفه، أى لا يعلم أحد أين أفضاه.

و قال الأصمعي: إذا التقى الثريان فهو الجود يعنى أن يتصل الندى الظاهر بالندى الباطن المستكن في جوف الأرض. و حكي الأصمعي عن رؤبه: شهر ثرى و عشر ثرى - و شهر مرعى - و شهر استوى. و قال ابن الأعرابي: قيل لابنه الخنسي: كم يعقد المطر في الأرض و لا - يخرج؟ فقالت: عشر ثرى و عشر ثرى و عشر مرعى (١). أرادت أن الماشيه تشبع في ثلاثين. فهذان القولان متفقان، و معنى استوى: اكتهل في الشهر الرابع ثم يشبع المعزى.

و اعلم أن البلاد تختلف في ذلك: فإن منها الأنبت الممرح فلا يبطن نباته، و منه المصلاد النكد الجحد النباتات. و يختلف أيضا من قبل الزمان، فإن الأرض إذا جادت و الزمان لين كزمان الصيفى و الدفىء و الخريف لم تلبث الأرض أن تعشب. و إذا جادت و الزمان قسىء بارد منعها البرد من الإعشاب فأبطأت به.

و قال ابن الأعرابي: قال أبو المجيب أعرابي من بنى ربيعه: لقد رأيتنا في أرض عجفاء، و زمان أعجف، و شجر أعشم في قف غليظ، و جاده مدرعه غرباء فبيننا نحن كذلك، إذ أنشأ الله من السماء غيثا مستكفا نشوؤه، مسبله عزاليه - عظاما قطره - جوادا صوبه - زاكيا ودقه - أنزله الله رزقا لنا فتنعش به أموالنا - و وصل به طرقا فأصابنا. و أما السوطه بعيده بين الأرجاء فاهرمع مطرها حتى رأيتنا و ما نرى غير السماء و الماء، و صهوات الطلح فضرب السيل التجاف.

و أميا الأودية فرعها فما لبثنا إلا عشرا حتى رأيناها روضه تندی، فهذا اجزأنها روضت في عشر و هو دون ما قدمناه من قبل. و العله فيه الزمان، و إذا اتفق الزمان اللين و الأرض الممرح كان هذا و نحوه. و إذا وقع الغيث: فنجع و رؤى تابشير خيره قيل: رأينا أرض بنى فلان غب المطر واعدده حسنه. حكاه الأصمعي، فإذا أبصرت شيئا من النبات فذاك الإيشام و الطرور و البقول و الإيفال.

أوشمت الأرض توشم إيشاما، و طر التبت طرورا كما يطر الشارب، فإذا تطررت

الخضرة لعينك فقد خصبت الأرض تخصب خصبا وخصوبا و دست و تودست حسنا، و التربص مثل التودس.

و كذلك الإِبشار يقال: أبشرت الأرض، و ما أحسن بشرتها و دسها و كناً النَّبت إذا طلع.

و إذا اتّصل قيل: وصت الأرض فهي واصيه قال:

وصى لها غراد و جاد ملبس كلّ أجرعا. فإذا بلغ اتّصاله أن يغطي الأرض قيل:

استحلست الأرض. قال ذو الرّمه:

حتى كسا كلّ مرتاد له خضل مستحلس مثل عرض الليل يحموم

و حينئذ ترى الأرض مدهانّه.

و إذا رأيتها كذلك فذاك الوراق، فإذا نهض البقل قليلا و هو أغض ما يكون و أنعمه، فذلك اللّعا و النّعا و قد ألت الأرض إلعا حسنا. و يقال: تركت المال يتلقى أى يرعى اللّعا، و الشّعتد نحو من اللّعا، و إذا ارتفع عن ذلك حتى يشتد قيل: عرد يعرد عرودا.

و النّقاء: القطع المتفرقه من النّبات و الواحده نقأه. قال:

جادت سواريه و آزر نبته نقأ من الصّفراء و الزّباد

و كذلك الثّجر و الواحده ثجره فإذا نهض حتى يملأ أفواه المال فهو جميم، أخذ من الجمه على التّشبيه.

فإذا ارتفع عن ذلك فهو عميم. و يقال: اعتمّ النَّبت. قال ساعده:

يرتدن ساهره كأنّ جميمهاو عميمها أسداف ليل مظلم

و يقال: جادت الأرض بالنّبات و غيث جود، و ذلك إذا طال و ارتفع و قد غلا يغلو غلوا و اغلولب.

و يقال: استلّ و ذلك حين لا يرى فرجه لطوله و انتشاره.

و يقال: أغنت الأرض: و ذلك إذا سمعت لها غنّه لالتفاف النّبات و كثافته و حينئذ يقال: استأسد، و قد يكون ذلك من أصوات الدّبان. قال شعرا:

مستأسد ذبانه فى غيطل تعلن للدائدا عشبث أنزل

فإذا ظهرت أكامه و هي غلف النور فذلك البراعيم و الواحده برعومه. و الكعابر و الواحده كعبره حتى يتفتّح ثم ينشق عن النور فتخرج زهرته و ذلك التصيح، و النور حينئذ فقاح و البراعيم من قبل ذلك صمع واحدها صمعاء.

و يقال حينئذ: جنّ النَّبْتِ جنونا و أخذ زخرفه و زخاريه و ألفى بهجته. قال ابن مقبل:

زخارى النَّبَاتِ كأنّ فيه جِياذ العبقريّه و القطوع

و يقال: اقتان النَّبْتِ اقتيانا إذا تزيّن و ظهر حسنه و هو مأخوذ من التَّقِينِ. و منه قيل للماشطه: مقينه. قال:

و هنّ مناخات تحلّلن رمهكما قتلن بالنَّبْتِ العهد المجوّز

و يقال: أزهَرَ النَّبْتِ إذا ظهرت زهرته و زهر و هو ألوان نوره.

و يقال: نور النَّور و نواره و زهرته سواء.

و كذلك الفغو و الفاغيه. و يقال: أفغى النَّبْتِ إذا نور. فأما الأصمعيّ فإنّ الفغو و الفاغيه عنده ورد كلّ ما كان من الشَّجر طيب الرائحه.

و غير الأصمعيّ يجعل الجنون طوله يقول جنّ إذا طال فهو مجنون. قال الرّاجز يصف نخلا: ينقص ما فى السَّحْقِ المجانين. و قال ابن أحمَر:

تنفقاً فوقه القلع السّوارى و جنّ الخازباز به جنونا

فإذا انتهى و بلغ فهو مكتهل، و كل ما انتهى منتهاه فهو كهل. قال ابن مقبل:

وقوفا به تحت أطلاله كهول الخزامى و قوف الظعن

و هو فى جميع هذا الأحوال خلا و عشب، و يقال: أعشبت الأرض و أعشوشبت و أعشبت الإبل أصابت العشب.

و كذلك أخلت الأرض إذا نبت خلاها، فإذا جززته قلت: اختليت. قال:

سوف المعاصير خزامى المختلى. و هذا كلّ ما دام رطبا رطب و خضر. فأما الشَّجر:

فإنّ أوّل توريقه النَّضْحُ يقال: نضح الشَّجر نضحا إذا تقطر بالورق و هو الیغط و الفقح يقال:

فقح الورق إذا انفتح.

فإذا اكتسى خضره من الإبراق قيل: قد تمشّر و أمشّر إشارا و ظهرت مشرته و مشرته بالتحريك و الإسكان، و المشرّه من الشَّجر كاللّعاعه من البقل. قال: و قصارها إلى مشره لم تتعلق بالمحاجن.

و يقال: أورك الشجر إراقا و ورق توريقا، و لا يسمى ورقا إلا ما عرض و تبسط.

فإذا طال طولاً شديداً مع بعض التبسط فهو خوص و الواحده خوصه.

فإذا طالت مع اندماج، فلم يكن فيه تبسط فهو الهدب، و العبل نحو منه، عن أبي

عبيده و أبى عمرو يقال: قد أعبل الأرطى إذا ورق.

و للإعبال موضع آخر: و هو أن يقال: قد أعبل الشجر و ذلك إذا تساقط ورقه فى قبل الشتاء و كأنه من الأضداد.

فإذا نقصت غضاضه الثبات و اشتدّ عوده قيل عسا يعسو عسوا.

فإذا ولت بلولته و أخذ يتهبأ للجفوف قيل: ذوى يذوى و ذأى يذأى أى فهو ذا و فى كلتا اللغتين: و ألقى إلقاء و ذلك نحو الذوى فيكون النبات حينئذ لويًا.

فإذا تجاوز ذلك قيل: قد أقطر اقطارًا و إقطارًا أيضًا.

فإذا شعفه اليبس قيل: هاج يهيج هياجا و هيجا و هو حينئذ ييس الباء ساكنه و ييس و قفل.

قال أبو ذؤيب: فحزت كما تتابع الرّيح بالقفل و هو الحفيف و الغفيف و القف قال:

كشيش أفعى فى ييس قف.

و قد قفت الأرض قفوفًا و هو فى هذه الحال حشيش، و فى كلّ حال كلاً و لا يقال له قبل أن يجف حشيش، فإذا تمّ فيه اليبس لوى، فإذا تكسّر بعد اليبس فهو حطام و هشيم.

و قال الكلابى: إذا ييس الثّبت فما دام قائما فهو القف. فإذا تكسّر و سقط إلى الأرض فهو الحبه، قال أبو النّجم:

فى حبه جرف و حمض هيكل. فأما الأصمعى فالحبّ عنده: حبّه ما له حب من الثّبات، قال و يقال: الإبل فى حبه ما شاءت، فإذا ركب بعضه بعضا فهو ألثن، قال: و أقام بعد الحذب فى ثن، فإذا اسودّ من القدم فهو الدّندن. قال:

كالسّيل يغشى أصول الدّندن البالى. و الدّرين حطام جميع الثّبت، و السّيفا شوك البهمى خاصه، و السّيفير ما تساقط من الورق لأنّ الرّيح تسفره أى تكنسه و إذا أخذ الثّبت يجف و أصوله حيّه ثم جاء المطر عليه فعاد أخضر فذلك الثّشر. قال شعرا:

و فينا و إن قيل اصطلاحنا تضاعن كماطر أوبار البعير على الثّشر

و هو مطر يأخذ عنه الإبل إذا رعته السّمام، و الهرار ثم تشلح عنه فتهلك و أنشد:

كما نشأت فى الجزء مزنه صيف و ضمنت الأكوار عاقبه الثّشر

فأما ما نبت فى أصول فهى الغمير.

و الرّيل: ما ينبت من غير مطر ببرد اللّيل و يقال: أربلت الأرض و أربل الشّجر، و يقال له الخلفه كأنّه يخلف ما يقدم.

و يقال: راح الثّبت و تروح إذا اكتسى ورقا. و حكى عن الكلابى أنه قال: الرّبل و الخلفه و الرّيحه واحد، و كل هذا نبت مع طلوع سهيل و ضروب من الثّبات تدوم خضرتها الصّيف فلا يهيج مع هيج الثّبات.

يقال لها: الرّبب و الواحده ربه و الثّبات كلّه يجمعه الشّجر و العشب. فالشّجر ما قام على ساق، و العشب ما خالف ذلك ثم ينقسم العشب قسمين: بقلا- و جنيه، فالجنيه ما له أرومه فهو أقوى من البقل، و البقل أحرار و ذكور فأحراره ما رقّ و عنق، و ذكوره ما غلظ منه.

الباب الخامس والثلاثون فى ذكر المراتع المخصبه و المجدبه و المحاضر و المبادى

اشاره

و هو فصلان

فصل [فى أن الأوطان و المراتع تختلف فى هذا الباب اختلافا شديدا]

قال الأصمعى: إنَّ الأوطان و المراتع تختلف فى هذا الباب اختلافا شديدا لأنَّ منها ما يطول بقاء الرّطب و دوام الماء فيه. و منها ما يقصر ذلك فيه.

و من المراتع أيضا مسهفه معطشه. و منها مرواه، و لذلك تراهم يختلفون فى ذكر هيّج النّبات و فناء المياه، فيأتى توقيت زمانه مقدّما و مؤخرا، و يحضر قوم و يبقى قوم فى النّجعه، و ربّما وجدت السّائمه متعلفا من بقايا الرّطب فى مثنى الأرض، و محانى الأودية، و أعماق البطون، و أقام الحىّ يستحلف لهم من الاعداد على الرّوايا فيؤتون بالماء إلى مباديهم حتى يستنفدوا الرّطب فيكون حضورهم إذا لم يجدوا له مدفعا، و لا يجدون إلى الأجزاء سييلا.

و اعلم أنّ المراعى تنقسم قسمين: خلّه و حمضا، فالحمض ما كانت فيه ملوحه و الخلّه ما لا ملوحه فيه. و الحمض: يرخى بطون الإبل و يعنق لحومها، و يطيل أوبارها و ينفشه، و يغلظ و يكثر عليه شربها.

و الخلّه على خلاف ذلك، و الخلّه للإبل كالجز، و الحمض كالأدم، فإذا عافيت بينهما كان ذلك أفضل ما يكون.

و إذا أخضب النّاس قيل: أحيوا الحيوان أحياء، و الحياء الخصب، و جمع الخصب أخصاب، و جمع الحياء أحياء، و أنشد الأصمعى فى جمع الخصب:

كأنّما يزينه الإخصاب بالمعر الحمر

. و هذا عام: حياء- و عام أوطف- و أعزل- و أqlف- و غيداق- و عام فتق- و كلّ ذلك معناه الخصب قال. لم ترج رسلا بعد أعوام العنق. فإذا كان عاما مشهورا بالخصب قيل له:

عام المال. قال:

رآنى تجاذيب الغداه و من يكن فتى قبل عام الماء فهو كبير

و يقال: ربع الرّبيع، و نحن فى ربيع رابع، و النّاس فى الرّغد، و الرّغد و قد أرغدوا و هم فى رفاهه و رفاهيه و رفهفيه، و بلهنيه، و رخاخ من العيش، و رخاء و رفاغه و فى عيش دغفل، و غدفل و أغصف و غاضف، و هم فى مثل حدقه البعير و فى مثل الحولاء.

و ذلك إذا كانت الأرض مخصبه معشبه و فى عيش إبله و أهيق كلّ ذلك الخصب و هذا بلد خصيب و خصيب و خصب. و إذا كان ذلك عادته فهو مخصاب.

و يقال: أرتع القوم إذا رتعوا فى خصب و تحقيقه: نالوا مرتعا. و أفتق القوم إذا أعشبوا، و أسمنوا و إذا أجذب النّاس قيل: أستوا و هذا عام سنه. و مما حكى: الأرض وراءنا سنه، و أرضون سنون أى مجدبات.

و كذلك محول و أرض محل و ممحله و أمحلت و محلت، و بلد محمل و ما حل و أصابتهم أزه و أزمه- و لأواء و لولاء- و شصاصاء- و فحمه و حجره. و يقال: أحجر عامنا إذا قلّ مطره قال:

إذا الشّاء أحجرت نجومه و اشتدّ فى غير ثرى أزومه

و يقال: أصابتهم كلبه الرّمان، و هلبه الرّمان، و السنه القاويه القليله الأمطار و قد قوى المطر، و العام الأبقع الذى قلّ مطره.

و يقال: سنه سنواء، و أرض بنى فلان جرز، و مجروزه و جرزات و فل و مخرجه و بقعاء.

و يقال: لم يصبها قابه أى قطره، و إذا أخطأ الأرض الوسمى كلّه و صدر الولى فى ذلك الشّاء بكلبه و إصراده، فذلك المحل لا شكّ فيه المجلى، و هذا المعنى عبّر عنه الشّاعر فى قوله:

إذا غرد المكاء فى غير روضهفويل لأهل الشّاء و الحمرات

و ذلك أنّ المكاء لا يعدن بغير الرّياض، و لا يقيم إلا فى معاشيب الأرض و فيها تبيض و تفرخ و تزقو و تغرّد. و قد بين الرّاعى، فقال: يفضل الإبل على المعزى و الحمر.

إنّا وجدنا العيس خير بقيهمن الفقع أذنابا إذا ما اقشعرت

ينال جبالا لم ينلها جبالهاو دويّه ظمآى إذا الشّمس ذرت

مهارييس فى ليل التّمّام نهته إذا سمعت أصواتها الجنّ فرت

يعنى بالفقع أذنان المعزى، يقول الإبل: تستطيع أن تنال من البلاد ما لا تستطيعه الغنم، و يصبر على الضمأ و قال جندل الطهوى يصف عيرا:

رعى جماد نادق فالقرقره أزواج مزه زخرى الزهره

حتى إذا ما الهيف حثّ تمره و أسبلت بعد الجناه الهيشره

و ودّع العشّ فراخ الحمهرو نشر اليسروع بردى حبره

و ظهرت ذات العشاء الحشرهو نقض الفقع فأبدى بصره

و قام للجندب ظهرا صرصرهشداً على أهل الورد ميزره

أراد بالأزواج الألوان من النبات و المزهى: ذو الزهو و الهيشره نبت، و يعنى بردى حبره جناحيه لأنه يسلك فيصير فراشه فى آخر الربيع و إنما ظهرت الحشره ذات العشاء لبرد الليل. و إنّ حرّ النهار كان مانعها من الانتشار، و الفقع ضرب من الكماه أبيض، فإن استبشر فى أول الزمان، و إلّا شقّ الأرض عن نفسه، و ظهر ثم يصفر إذا تطاولت به الأيام و اشتدّ الحر. لذلك قال الساجع: إذا طلعت الهقعه أدرست الفقع، و تعرض الناس للقلعه، و رجعوا عن النجعه، و قال الراعى فى ظهور الفقع من تحت التراب:

بأرض بين الفقع فيها قناعه كما أبتنّ شيخ من رفاعه أجلح

شبه الفقع برأس الشيخ لتجردها. و قال الساجع أيضاً فى الظعن عن البدو و الرجوع إلى الحضر: إذا طلع الشرطان خضرت الأعطان، و طلوع سهيل وقت لأول التبدى و غيبوبته وقت لأول الحضور، و هو يطلع إذا ناء سعد السجود و يغيب قبل أن ينوء الغفر. فمدّه طلوعه نحو من ثمانية عشر نوءاً و ذلك قريب من ثلثى السنه، و مدّه غيبوبته نحو من عشره أنواء، و هو قريب من ثلث السنه. و قال ذو الرّمه يصف امرأه و يذكر وقت مبدئها و محضرها شعرا:

غراء أنسه تبدو بمقله إلى سويقه حتى يحضر الحضرا

تشو إلى عجمه الدهنا و مربهاروض يناصى على ميته العفرا

حتى إذا هرت البهيمى ذوائبها فى كلّ يوم يشهى البادى الحضرا

و زفرت للزبانى من بوارحها هيف أنشت به الأصناع و الخبرا

ردوا لأحداجهم بزلا مخيسهقد هرمل الصيف عن أكتافها الوبرا

و واحد الأصناع صنع، و هو محبس الماء و زفزه الرّيح سوقه لحطام النّبت فيسمع جرسها و معنى أنشت أيبست، و الخبره القاع

نبت السدر، وجميع الخبر فهذا ابتداء ذكر المبدأ و المحضر و سنحكم القول فيه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فصل فى ذكر ما كانت العرب تفعله وقت إمساك القطر فى الجاهليه الجاهلاء

قال أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي: كانوا إذا استمطروا عمدوا إلى السِّلَعِ والعشر فعدوهما فى أذنان البقر، وأضرموا فيهما الثَّارَ، وأصعدوها فى جبل وعر و تبعوها يدعون الله عزَّ و جلَّ يستسقونه. قال ابن الكلبي: و كانوا يضرمون تفاؤلاً للبرق قال لميه فى ذلك:

سنه أزمه تخيل للناس ترى للعضاه فيها صبريرا

لا على كوكب ينوء و لا ربح جنوب و لا ترى طخورا

و يسوقون باقر السَّهْل للطَّود منها زيل خشيه أن تبورا

عاقدين الثَّيران فى تكن الأذنان منها لكى يهيج البحورا

سلع ما و مثله عشر ماعائل ما و عالت البيقورا

بيقور: جماعه بقر، يقال: بقر و باقر و بيقور و غلط فى هذا عيسى بن عمرو و الأصمعى جميعا، فأما الأصمعى فإنه روى و غالت البيقورا، و احتج لتصحيحه بأنه ذهب إلى المراره من أجل السِّلَعِ، فقال: يقال: ما أبقره و أمقره. و قال عيسى: لا معنى لقوله: سلع ما. و قال ابن السِّكِّيت: معنى قوله: و عالت البيقورا أنّ السنه الجديه بقلت البقر، ممّا حملت من السلع و العشر، و أنشد أبو عثمان الجاحظ للورل الطَّالى شعرا:

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزما بالعشر

أ جاعل أنت بيقورا مسلعهذريعه لك بين الله و المطر؟!

قوله مسلعه يعنى ما عقد فى أذنانها من السِّلَعِ. و قال أبو حنيفه: و كانوا إذا فعلوا ذلك توجَّهوا بها نحو المغرب من بين الجهات قصدا إلى العين، يعنى عين السِّماء. و هذا الذى ذكرناه عن العرب من الزَّمن تشاركها الأمم فى أمثاله كثير نجات الفرس، و وهم الهند، و عقد الزَّوم.

و قالت الفلاسفه: رموز النَّفس تنقسم ثلاثه أقسام: قسم منها رمز فوق الطَّبيع كالتَّرقى و الوهم، و قد قال بعضهم: إنَّ للنَّفس كلمات روحانيه من نحو ذاتها. و قسم منها رمز نحو الطَّبيع كتعليق الحرز و ما أشبهها. و قسم منها دون الطَّبيع كالتَّماثيل و استعمالها، فهذا كما ترى و إن عرض فيما يعمل ما يقتضى القول فى شىء من الرموز أعدنا القول فيها إن شاء الله تعالى.

الباب السادس والثلاثون في ذكر أحوال البادين والحاضرين، و بيان تنقلهم و تصرف الزمان بهم

قال الأصمعي: للعرب ظعنان: أحدهما ظعن للتبدي و ذلك إذا أخرجوا و ميقاته ما بين طلوع سهيل إلى سقوط الفراغ المؤخر، فإذا أخرجوا تصدعوا عن المحاضر و لقسمتهم المناجع، و حجروا الأعداد، و استبدلوا بها الأوراد، فظعنوا عن دار المقيظ.

و الظعن الآخر: يكون عند انصرام الرطب و هيج الأرض و نضوب الماء، و هجوم الصيف كما قال: (حتى إذا العود اشتهى الصيف بوحا) يعنى شدّه الحر، و العود أصير على العطش من غيره، فإذا اشتهى الماء فى أول النهار فهو أشدّ الحر، و قد كثر متصرفاتهم فى وصف المحلين، و التردد فى الرحلتين، و مفارقه الحضاره، و مراجعه البداوه. و ذلك أنهم يقيمون على مياههم ما أقامت وقدرات الحر، و عزات القيط، فإذا سكنت نائرتها و أذنت بتوليها، فباخت سورتها و أمكن مدّ إظمائها، و أقبلت الأرض تربل، و العضاء تروّج ابتداءوا يبدون.

و قد أخبر بعضهم عن ذلك قال:

قد تشكى النساء و أظلم الأمعوذ و اخضرّ جيب أمر قسيم

أى اتخذن الشكاكين، و أظلم أراد أنّ الظباء سمتت و أشرت، فهى تتناطح، و أمر قسيم: إذا خرجت زهرتها من النبات فمن متبطى و متعجل، و ذلك على حسب مساعده الأحوال و مداوره الأزمان لأنها كما تستنهض تستوقف، و على ما تقدم قد تؤخر، فبكاؤهم للظاعنين و جزعهم فى أثر المفارقين، و حنينهم على الخلطاء، و المجاورين للعارض المغير، كما أنّ مداناه المزالف و مراجعه المؤلف و المخالف لحادث آخر مبدل، فتاره يبنون عرش الشجر و هو الخيام مظلل بالثمام و تاره يسكنون بيوت الصوف و الوبر منصبه بالعمد و الحبال.

فمن ذلك قول ذى الرّمه شعرا:

ألا حَيَّ المنازل بالسَّلام على نحل المنازل بالكلام

لميه بالغاً درجت عليها رياح الصَّيف من عام فعام

سحبن ذيولهنَّ بها فأضحت مصرعه بها دعم الخيام

أقمن على بوارح كلِّ نجم و طيرت العواصف بالتَّمام

قال ذلك لأنَّهم إذا ظعنوا عن المحاضر تركوا الخيام على حالها أو نزعوها و نضدوها استعداداً للعودة، فترعزها الرياح إذا تقادم العهد بها. و من ذلك قول امرئ القيس:

أمرخ خيامهم أم عشر؟ أم القلب في إثرهم منحدر؟

قصده أن يعلم بأي الماء نزلوا خيامهم من شجرها و المعنى أنجدوا أم غاروا أم اتهموا فأحدر القلب بانحدارهم، و هذا كما قال: ففرعنا و مال بها قضيب. لأنَّ قضيباً من تهامه، و كما قال الآخر: و سالت بأعناق المطى الأباطح.

و قال ابن الأعرابي: الحنتمه ثلاثه أعواد أو أربعة يلقي عليها الثمام يستظل بها في الحر، و المظله لا يكون إلا من النَّبات، و تكون كبيرة، و يكون لها رواق و ربما كانت شقّه أو شقَّتين أو ثلاثاً. و ربما كان لها كفا و هو مؤخَّرها. قال: و الخباء من شعر أو صوف، و القبّه: تكون من آدم. و كذلك الطَّراف، و قال: المظله بفتح الميم لا غير. قال زهير:

تبصّر خليلي هل ترى من طعائن تحمّلن بالعلياء من فوق جرثم

جعلن القنان عن يمين و حزنه و كم بالقنان من محلّ و محرم

فلما وردن الماء زرقا جمامه و ضمن عصيّ الحاضر المتخيم

فهذا الطَّعن للبداهة فأما قول طفيل شعراً:

على اثر حَيَّ لا يرى النَّجم طالعامن اللَّيل إلّا و هو قفر منازل

فإنَّ من تبدّى أوان التَّبدي من الخريف لم ير الثَّريا طالعه أوّل اللَّيل إلّا و هو نازل بالفقر لأنَّ أوّل طلوع الثَّريا عشاء هو لطلوع السَّماك الأعرل بالغداه و سقوط الرِّشاء، و ذلك في الوسمي و بعد طلوع سهيل. و أمّا قول ذى الرِّمه:

إذا عارض الشعري سهيل بجهمو جوزاؤها استغنين عن كلِّ منهل

فهو يصف إبلا و استوثق لها، لأنَّ سهيلاً إذا طلع بقيه من اللَّيل و هى الجهمه، فذاك قبل الوسمي، و دبر القيظ، و الزَّمان زمان

ندى، و روح و طل و غيث. و قد قال ساجعهم: إذا طلعت الصّرفه أميز عن الماء زلفه، لأنها إذا طلعت ناء الفرع المقدم و هو آخر أنواء الخريف، و فى اثره الفرع المؤخر و هو أول أنواء الوسمى فلا يزالون يتبعون مواقع الغيث

و يتحولون في معاشيب الأرض و يشربون ماء السماء و يجتزون بالزّطب، عن الورد و هم في سلوه من العيش، و رغد من الخفض يرمى النوى بهم المرامى، فمن شعب يلتئم إلى شعب، و من جمع يلتئم مع جمع و مزار تقرب بعد بعد، و مطاف يسهل عقيب وعر، و مواعيد بين الأحبه أنجزت و عقود من حبال جوار و وصال أوثقت حتى إذا تحرك الهيف و هو أول الحر و مبدء البوارح، بدلت الأرض و الدهر ذو تبدل، فمن بقل ذابل و ماء غائض و نهى ناضب، و صيف صائف، و هيج يشتد و ورد يمتد، و كبد من الماء تحر، و صبر على بلواه ينفد و يقل، حينئذ ترى ذا الزّاحه يتعب، و المتأخر يلحق، متصدعين عن مباديهم، سعيًا و مفترقين عن مقارهم شفقا فكم قلب لفراق الأحبه جزع، و دمع لوداعهم همع، و أنس لبيتهم يقطع، و وجد ببعدهم تجدد. و كلّ هذا أتت به الأشعار و ترادفت بأمثالها الأخبار، فمن ذلك قول جرير يذكر سائره ضمّتها إليهم النّجعه ثم تفرّقوا فأسف لفراقهم. قال شعرا:

ألا أيها الوادى الذى ضمّ سيله إلينا نوى ظمياء حيت واديا

فقد خفت ألا تجمع الدار بينناو لا الدهر إلا أن نجد الأمانيا

و قولاً لواديتها الذى نزلت به أوادى ذى القيصوم أمرت واديا

و قال ذو الرّمه:

حتى إذا ما استقلّ النّجم فى غلس و أحصد البقل أو ملو و محصود

ظللت تخفق أحشائي على كبدى كأننى من حذار البين مورود

من ورد الحمى، و قال الجعدى يذكر امرأه جاورتهم فى مرتع شعرا:

أقامت به حدّ الزّبيع و جارها أخو سلوه مسى به اللّيل أملح

فلما انتهى فى المربيع أزمعت حفوفا و أولاد المصانيف رشح

و حبّ السّفا و اعتزّها القيظ بعد ما طباهنّ روض من زباله أفيح

و حاربت الهيف السّمال و آذنت مذانب منها اللّدن و المتصوّح

و قمن يزورن الهوداج بعد مامضى بين أيديها نعام مسرح

يريد بأخى السلوه: الندى لأنهم فى سلوه و رخاء ما أقام لهم، و هو الأملح لبياضه.

و قوله: مسى به اللّيل: لأنّ الندى باللّيل يسقط. و قوله فى المربيع: يريد سمنها.

والمراييع: جمع المرباع وهي التي من عادتها أن تنتج في أول النتاج. والمصانيف: التي تنتج في آخر النتاج. والرّشح: جمع راشح وهي التي تمسكها أمها لئلا تسقط وهو الترشح.

و يقول الرّجل لصاحبه: لقيت فلانا يرشح ولد ناقته إذا فعل بها. وقوله: و حاربت الهيف الشّمال. لأن الشّمال و الصّبا ريحا البارد. و الجنوب و الدّبور ريحا الحرّ. و المتصوّح: اليابس المتشقق، قال ذو الرّمه:

و صَوَّحَ البَقْلَ نَاجَ تَجِيءُ بِهِ هَيْفَ يَمَانِيهِ فِي مَرَّهَا نَكَبَ

فَجَعَلَهَا التَّنْكَبَاءَ الَّتِي تَلِي الْجَنُوبَ. وَ قَالَ الكَعْبِيُّ المَنْقَرِيُّ:

تَمْرَعُ إِذْ تَسْعَى بِهَا ذُو إِيَالَهْمَنَ الحَرِّ مَا كَانَتْ مَذَانِبَهُ خَضْرَا

يَصِفُ رَاعِيَا تَمْرَعٍ طَلَبَ مَرِيحَ الكَلَاءِ- تَسْعَى بِهَا: تَتِمَادَى فِي الطَّلَبِ. ذُو إِيَالِهِ: حَاذِقًا بِمَعَالِجِهِ الإِبِلَ وَ القِيَامَ عَلَيْهَا. وَ المَذَانِبُ: المَشَارِبُ وَ ذَلِكَ أَنَّ الثَّرِيَا إِذَا طَلَعَتْ سَحْرًا تَحْوَلُ جَمِيعُ أَهْلِ المَرَاتِعِ إِلَى المَحَاضِرِ لِيَسَّ الكَلَاءَ، وَ نَضُوبَ المَاءِ، وَ ذَهَابَ الجِزْءِ، فَلَا يَبْقَى فِي المَرَاتِعِ إِلَّا مَنْ يَتَوَلَّى رَعِيَهُ الإِبِلَ بِنَفْسِهِ، وَ يَتَشَبَّعُ سِرَارَ الغِيطَانِ، وَ بَطُونِ الأُودِيَةِ. وَ العَلَانُ:

الَّتِي فِيهَا بَقَايَا الرُّطْبِ، وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ التَّخَلْفُ إِلَّا شَهْرًا وَ بَعْضُ آخِرِ، وَ هُوَ مِنْ وَقْتِ طُلُوعِ الشَّرْطِينِ، لَسْتُ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ نَحْوَ مِنْ نَيْسَانَ إِلَى وَقْتِ طُلُوعِ الثَّرِيَا يَخْلُو مِنْ أَيَارٍ إِلَى طُلُوعِ الدَّبْرَانِ وَ هُوَ لِلَيْلَةِ مِنْ حَزِيرَانَ وَ أَنشَدَ:

أَقْمَنَ شَهْرًا بَعْدَ مَا تَصَيَّفَا حَتَّى إِذَا مَا طَرَدَ الصَّيْفَ السَّفَا

قَرِينِ بَزَلًا وَ دَلِيلًا مَحْشِفَاو بَدَّلَتْ وَ الدَّهْرُ ذُو تَبَدَّلَ

هَيْفَا دُبُورًا بِالصَّبَا وَ الشَّمَالِ

فَلَمْ تَزَلِ الشَّمَالُ عَالِيَهُ زَمَانَ العُشْبِ وَ وَقْتِ الحِرْكَهَ، حَافِظُهُ لِبُلُولِهِ التَّنْبَاتِ لِرُوحِهَا حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ أَيَامُهُ، وَ دَخَلَ الصَّيْفُ ذَهَبَ سُلْطَانِهَا وَ هَبَّتِ الجَنُوبُ فِدَافَعْتَهَا.

وَ إِنَّمَا سَمِيَ الهَيْفَ لِحَرِّهَا وَ بَيْسَهَا، وَ لِذَلِكَ قِيلَ لِلسَّرِيحِ العَطَشُ: المَهْيَافُ وَ رَجُلٌ هَافٌ، وَ امْرَأَةٌ هَافَةٌ، وَ قَدْ هَافَ الرَّجُلُ إِذَا عَطَشَ.

وَ قَالَ الكَلَابِيُّ: الهَيْفُ أَوَّلُ السَّيْمُومِ وَ قَدْ يَجْعَلُ كُلَّ رِيحٍ هَبَتْ بِحَرِّ هَيْفَا وَ إِنْ كَانَتْ الشَّهْرَةَ فِي ذَلِكَ لِلجَنُوبِ وَ الدَّبُورِ. وَ التَّنْكَبَاءُ الَّتِي بَيْنَهُمَا. هَذِهِ أَغْلَبَ الرِّيَاحِ عَلَى الهَيْفِ وَ قَالَ ذُو الرِّمَّةِ يَصِفُ عَيْشًا وَ نَسَاءً انْتَجَعَنَهُ شَعْرًا:

أَلْقَى عَصَى النَّوَى عَنهِنَّ ذُو زَهْرٍ حَفَّ عَلَى ألسِنِ الرُّوَادِ مَحْمُودِ

حَتَّى إِذَا وَ جَفَتْ بِهَمِي لَوَى لَبِنِ وَ اصْفَرَ بَعْدَ سَوَادِ الخَضْرَى العُودِ

وَ غَادَرَ الفُرْخَ فِي المَثْوَى تَرِيكْتَهُ وَ كَانَ مِنْ حَاضِرِ الرُّجْلِينَ تَصْعِيدِ

ظَلَلَتْ تَخْفَقُ أَحْشَائِي عَلَى كَبْدِي كَأَنَّي مِنْ حِذَارِ البَيْنِ مُورُودِ

قوله: ذو زهر يرید بها نباتا ثم و اکتھل فظھرت زھریه یرید استغنی به عن انتجاع.

و قوله: و حفت: أی یبست فطیرته الریح، و قوله: غادر الفرخ تریکته أی بیضته التی خرج منها، و هذا باب واسع. فأما قول الآخر:

و نقيم فى دار الحفظ بيوتنازما و يظعن غيرنا للأمرع

فإنما تبجح بحسن صبره فى دار المحافظه على العز و المنع عن الحریم، إلا أنه عد الظعن عيبا يدل على ذلك قوله من بعد:

يسيل تغر لا يسرح أهله اسقم يشار لقاءه بالإصبع

و أنشد الأصمعى:

إذا الجوزاء أردفت الثرياظننت بآل فاطمه الظنونا

و هذا يحتمل وجهين: يجوز أن يكون جمعهما المربع، و كان ساكن النفس لاستمتاعه بها و امتداد الوصال معها، حتى إذا رأى الجوزاء طالعها علم أنها تظعن و ينقطع ما بينهما، فترجع إلى بعض محاضرها، لأن ذلك وقت الانصراف عن البدو، فلذلك ظن الظنون السيئه لا سيما و قد كان أبهم عليه منصرفها.

و أما أن يكون مبدؤه كان مخالفا لمبدئها، فهو لا يدرى مقرها، لأنهم ما داموا منتجعين فدارهم حيث يصادفون الكلا و الماء فليما طلعت الجوزاء علم أنه لا بد لها من الحضور، و قد عرف لها محاضر شتى، فالظنون تردده بينهما و تخالجه فلا يتملك متيقنا.

قال أبو لیلی: يفارق القمر الثريا فى زمن الوسمى كله، و هو شهران، و شهر من الدفى ء ثم تأفل الثريا أربعين ليلة شهرا من الدفى ء و عشر ليال من الصيف. ثم تطلع صلاه الغداه إلى أن تأفل ثانيه من العام المقبل.

قال أبو حنيفه: و ربما اعتاد الحیان مبدأ بعينه، فلا يزال الربيع يجمعهما فيه ثم يصرفهما الصيف و لذلك قال ذو الرمه شعرا:

إذا الصيف قد أجلي نساء من النوى أملت اجتماع الحى فى عام قابل

و قال أيضا و هو يصف نساء أخرن الظعن عن مرتعهن حتى تصيفن:

تصيفن حتى اصفر أفرق مطرق و هاجت لأعداد المياه الأباغر

و لم يبق أنواء الثمانى بقيهمن الرطب إلا بطن واد و حاجر

فلما رأين الصنع أسعى و أخلقت من العقربيات الهيج الأواخر

جذبن الهوى من سقط حوضى بسدفة على أمر ظعان دعتة المحاضر

نسب بوارح هذا الزمان إلى سقوط رقيب الهقعه، لذلك قال: الهيج الأواخر و قد أكثر الشعراء فى إشرط هذه الأوقات التى

حدّناها بما ذكرنا من أوصافها وبيّنا كثيرا من أحوال الحاضرين و البادين فيها و فى القدر الذى أوردناه كفايه.

الباب السابع والثلاثون في ذكر الرّوَاد و حكاياتهم

إشاره

و هو فصلان

فصل [في بيان معنى قوله ماء مدرع و غيرها]

قال ابن الأعرابي: يقال: ماء مدرع: إذا أكل ما حوله من الكلاً و ماء قاصر: إذا كان المال حوله يرعى.

و حكى الأصمعي في صفة رائد: هو شديد الناظر شديد الخابر، ينظر بملء عينه لنفسه و غيره. قال: و زعم أبو صالح التميمي أنّ رجلاً من العرب سأل أعرابيين، فقال: أين مطر تما؟ قالوا: مطرنا بمكان كذا و كذا. قال فما ذا أصابكما من المطر؟ قالوا: حاجتنا. قال:

فما سيل عليكم؟ قالوا: ملنا الوادي كذا و كذا فوجدناه مكسراً، و ملنا الوادي كذا فوجدناه مشطياً. قال: فما وجدت ما أرض بني فلان؟ قالوا: وجدناها ممطوره- قد ألس غميرها- و أخوص شجرها- و أخلص نصيصها، و أليث سخيرها- و أحلس حليها- و نبيت عجلتها.

قوله: مكسراً يعني سالت جرفته و شعابه و معنانه أي جوانبه، و معن لا واحد لها من لفظها و معنى مشطياً سال شاطياها، و معنى نبيت صارت لها أنابيب. و أحلس حليها أي قد خرج فيه خضره و الخضره الطّريه. و يقال: قد أخلص و أليث سخيرها يعني اشتعل ورقا.

قال: و قيل لآخر: كيف كلاً أرضك؟ قال: أصابتنا ديمه بعد ديمه على عهد غير قديمه. فالتاب يشع قبل العظيمه. و قيل لابنه الحسن: ما أحسن شيء؟ قالت: غاديه في اثر ساريه في تنجاء قاويه. التنجاء: أرض مرتفعه لأنّ النبت في أرض مشرف أحسن. و قد قالوا: نفخاء راييه. قال: ليس فيها رمل و لا حجاره. و الجميع نفاخي و نبت الرّاييه أحسن من نبت الأوديه. لأنّ السّيل يصرع الشّجر فيقذفه بالأوديه فيلقى عليها الدّمن.

و قالت أيضاً: أحسن شيء ساريه في إثر غاديه، في روضه أنف، أكل منها و ترك.

و قيل لأعرابي: أيّ مطر أصابك؟ قال: مطيره يسيل شعاب السّخبر. و تروى التلعه المحله شعاب السّخبر. عرضها ضيق و طولها قدر رميه الحجر. و التلعه المحله التي تحلّ

بيتا. و قد حنأت الأرض تحناً و هي حانيه أى اخضرت و التفّ نبتها و إذا أدبر و تغير نبتها قيل:
اصحامت فهي مصحامه.

و قال أبو داود الأعرابي: تركنا بنى فلان فى ضفيغه من الضفائغ و هي الكلاء و العشب الكثير.

و يقال: و عبنا رقه الطريقه و هي الصليان و النصى. و الرقه أول خروج نبتها رطبا.

و حكوا عن الينمه أنا الينمه أغبق الصبى قبل العتمه و أكب الشمال فوق الأكمه، كهينه زيد الغنم يقال: شمال لبنها كثير، و كلما كثرت رغوّه اللبّن كان أطيّب له، يعنى درى بعجل للصبى لأن الصبى لأبصر و المراغى أطيّب لبنا من المصاريح. و الينمه بقله يشبه الباذروج.

و قيل لأعرابي: هل لك فى البدو؟ فقال: أما ما دام السعدان مستلقيا فلا قال، و هو أبدا مستلق كره البادية.

و عن غير ابن الأعرابي قال: خرج الحجاج إلى ظهرنا هذا فلقى أعرابا و قد انحدروا فى طلب الميره، فقال: كيف تركتم السيماء وراءكم؟ فقال: متكلمهم: أصابتنا السيماء هي بالمثل، مثل القوائم حيث انقطع الزمّث يضرب فيه تفتير و هو على ذلك يعضد و يرسخ ثم أصابتنا سماء أمثل مهنا يسيل الدّمات- و التلعه- الزّهيد- القليله الأخذ فلما كنا حذاء الجفر أصابنا ضررس جود ملأ الآخاذ. واحدها أخذ و هي المصانع. فأقبل الحجاج على زياد بن عمرو العتكى، فقال: ما يقول هذا الأعرابي؟ قال: و ما أنا و ما يقول إنما أنا صاحب سيف و رمح. قال: بل أنت صاحب مجذاف و قلس أسج، فجعل يفحص الثرى و يقول: لقد رأيتنى و إنّ المصعب يعطينى مائه ألف، فها أنا أسبح بين يدي الحجاج.

قال: و سئل أعرابي عن المطر فقال: أصابتنا السيماء بدث، و هو المطر القليل لا يرضى الحاضر و يؤذى المسافر- ثم رككت- ثم رسغت- ثم أخذنا جار الضّبع فالأرض اليوم لو يقذف بها بضعه لم تقض بترب، أى لم يقع إلّا على عشب قضت و أقضت إذا أصابها القفض أى كثر المطر، حتّى لم يوجد القفض و رسغت، أى كثر المطر حتى يغيب الرّسغ، و الرّك أكثر من الدث.

و قيل لأعرابي: ما أشدّ البرد؟ قال: إذا كانت السيماء نقيه- و الأرض نديه- و الريح شاميه. و قيل لآخر: ما أشدّ البرد؟ فقال: إذا صفت الخضراء، و ندبت الدّعاء، و هبت الجرياء. و قيل لآخر: ما أشدّ البرد؟ قال: إذا دمعت العينان و قطر المنخران، و لجلج اللسان.

و قال أعرابي: ليس الحياء بالسّجّيه يتبع أذنان أعاصير الزّريح، و لكنّ كلّ ليله مسبل رواقها، منقطع نطاقها، نبيث أذان ضأنها تنظف إلى الصّباح.

و حكى عن أبى عبيده قال: قلت لأعرابى: ما أسخ الغيث قال: ما ألقحته الجنوب و مرته الصيبا و نتجته الشّمال. ثم قال: أهلك و اللّيل ما يرى إلا أنه قد أخذه. و قال الأصمعى: قيل لرجل: كيف وجدت أرض بنى فلان؟ قال: وجدت أرضا شبعت قلوبها، و نسيت شاتها يعنى لا- يذكر. قال: فهل مع ذلك خوصه؟ قال: شىء قليل كل ما خرج عود ثم قوى فهى خوصه. قال و الله ما أحمدت و إن كان القوم صالحين.

قال ابن الأعرابى: أخصب الخصب عند العرب فيما ذكره أبو صالح إذا كان الخوص وافرا، و قال رائد مره: تركت الأرض مخضرة كأنما حولانها قصيصه رقطا و عرفجه خاصبه، و قناده مزیده، و عوسج كأنه النعام من سواده مزیده أى قد أورت.

و حكى عن أبى المجيب و وصف أيضا جدبه فقال: قد اغبرت جادتها- و درع مرتعها- و قضم شجرها- و ألقى سرحاها- و رقت كرتتها- و خور عظمها- و تميز أهلها، و دخل قلوبهم الوهل- و أموالهم الهزل. قال: الجادّه الطريق إلى الماء. قوله: و ألقى سرحاها: هو أن يأكل كلّ سرح مذيلها، حتّى يلتقيا من الجذب، قال: و إذا لم يكن للمال مرعى إلا الشجر رقت أكراشه، و خور عظمه. قوله: درع مرتعها: أكل ما عليه حتّى لم يبق شىء و هو مأخوذ من الشاه الدرعا.

و قال أبو المجيب يصف أرضا قد أحدها، فقال: خلع شيعها- و أبقل رمتها- و خضب عرفجها- و أتسق نبتها- و اخضرت قريها- و أخوصت بطنانها، و أحلت آكامها- و اعتّم نبت جراثيمها- و أحزت بقلتها- و ذرقتها و خبازتها- و خورت خواصر إبلاها- و شكرت محلوبتها- و سمت قنوبتها- و عمد تراها، و عقدت تناهيا، و أماتت ثمادها- و وثق الناس بصائرتها.

قوله: خلع شيحا إذا أورق، و المخالغ من العضاء: الذى لا يسقط ورقه أبدا. و يقال:

كلح الشجر إذا انحد. قوله: خضب عرفجها: أى اسودّ الثبات قبل أن يطلع، و الرّمث من الحمص مخصب ثم عاد- ثم سقد- ثم يرمس- يقال: أطلع الشجر إذا أورق و تفتّر- و اتقد- و أربس- و أرمس- و أرى العرفج- و بقل الرّمث خاصه- و أجدر الشجر إذا طلع ثمره حتى كأنه الجدرى.

قوله؛ أخوصت: أى نبت فيها عيدان رطبه فهى خوصه ما دامت رطبه فإذا يبست فهى شجر، و لا يخوص من الشجر إلا ما لم يكن له شوكة. قوله: أحزت لفلتها أى نبت فيه الحزاء، و هو نبات يسمّى الحزا كما تقول العلقه- و الحيله- و الفتله- فالحيله للسلم- و العلقه للطلح- و الفتله للسمر- و الدرق الحندفوق. قوله: خورت خواصرها: هو أن يؤخذ جنبها

فيضرب على خواصرها خوف أن يحبط فيبعد أفقها- و الأفق الخواصر. قوله: عمد تراها العمد أن يجاوز الثرى المنكب.

و يقال: إن ذلك حيا سنتين. قوله: عقدت تناهيا: فالتناهي حيث يتناهي السيل فيستقر فعقدها أن يمر السيل مقبلا حتى إذا انتهى منتهاه. دار بالأبطح حتى تلتقى طرفا السيل، و وثقوا بصائرتها: يراد بها ماؤها و كلاؤها.

و قال الأصمعي: وصف بعض الأعراب جدبا و عيشا، فقال: بينما نحن في زمن أعجف- و أرض عجفاء- وقف غليظ- و جاده مدرعه- إذ أنشأ الله سحابا مستكفا نشوءه- ضخاما قطره، مسبله عزاليه- جعود صوبه فاهرمع المطر حتى ملأ الأودية، فرعها و بلغ السيل النجاء حتى لم ير إلّا الماء. و صهوات الطلح فلم يمكث إلا عشرا حتى رأيتها يندى، فنعش الله به أموالنا، و وصل به طرفنا و كنا بنوطه بعيده بين الأرجاء. قوله: الجاده: يعنى الطريق إلى الماء و مستكفا أى مستديرا. و نشوؤه ما نشأ إليه. و عزاليه أفواه مخارجه. و صوبه ما سال منه و انصب. و اهرمع اشتد. و رعبها ملؤها. و النجاء جمع نجوه و هو الموضع المرتفع لا يكاد يبلغه السيل. و الصهوات عالى الطلح. و النوطه البعد. و الأرجاء: التواحي.

و قال ابن الأعرابي: بعث قوم رائدا لهم فقالوا: ما رأيت؟ قال: رأيت جرادا كأنه نعامه جائمه، جراد جبل. قوله: نعامه جائمه يقول: فيه من الخصب و العشب الكثير حتى كأنه نعامه، و إنما أراد سواد العشب و أعلى النعامه أسود. و بعث آخرون رائدا لهم فقالوا: ما رأيت؟ قال: رأيت عشبا ينجع له كبد المصرم إذا رأى هذا، و جعت له يعنى أنه لا مال له أى إبلا ترعى هذا العشب حسره على ما رأى. و يقولون: و ردنا على كلاً الحابس فيه كالمرسل يعنى يستويان فيه لكثرتة و التفافه. و يقولون: و ردنا على كلاً لا يكتمه البغيض. و قال طرفه:

يرعين و سميا وصى نبتة فانطلق اللون و دق الكشوح

وصى نبتة أتصل و اكتهل. و أنشد أبو العباس ثعلب شعرا:

دفاء عليه الليث أفلاذ كبده و كهله قلد من البطن مردم

يريد أنه مطر بنوء الأسد، و من نجوم الأسد الثره و الجهه و نوؤهما غزير تسقط الثره لاثنين و عشرين تخلو من كانون الثانى، و تسقط الجبهه فى ثمانى عشره تخلو من شباط.

و القلد النوبه يقال: القوم يتقالدون الماء أى يتصافيونه و يقتسمونه. قال: و الماء لا قسم و لا أفلاذ.

فصل فى ذكر مواقعهم و مسارحهم

قال النبى صلى الله عليه و سلم لأصيل الخزاعى حين قدم عليه المدينة: «كيف تركت مكه يا أصيل؟» قال: تركتها و قد أحجن تمامها، و أصدق أذخرها، و أمشر سلمها، فقال: «يا أصيل دع القلوب تقر». و روى أنه لما هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم أصاب القوم و عك فدخل عليه السلام على أبى بكر (رضى الله عنه) فقال: كيف تجدك فقال شعرا:

كلّ امرئ مصبح فى أهله و الموت أدنى من شراك نعله

ثم دخل على عامر بن فهيره فقال: كيف تجدك فقال شعرا:

وجدت طعم الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

و الثور يحمى أنفه بروقه ثم دخل على بلال (رضى الله عنه) فقال: كيف تجدك فقال شعرا:

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلهبفجّ و حولى أذخر و جليل

و هل أردن يوما مياه مجنّهو هل يبدون لى شامه و طفيل

فقال صلى الله عليه و سلم: «طرب القوم إلى بلادهم: اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكه» و قال الرّاجز: جاء بنو عمّك رواد الأنتق. و قال رؤبه من طول بعد الرّبيع فى الأنتق. و قال بعض الرّواد و سئل عمّا وراءه فقال: هلّم أظعنكم إلى محل تطفأ فيه النيران، يعنى لا يوجد عود يابس يوقد عليه. و قيل لأعرابى: كيف كان المطر عندكم؟ فقال: مطرنا بعراقى الدلو و همى ملّى.

و قال أبو زياد: بعث شيخ أبنين له يرتادان، فانصرف إليه أحدهما فقال الشّيخ: خلّ على ما وجدت، فقال: تأد ماد، مولى عهد، يشبع منه الثّباب، و هى تعدو أقفر، يعنى مكاهيه فلبث و لم يظعن، حتّى أتاه الآخر فقال: كيف وجدت الحياء؟ قال حياء ما ذا؟ قال:

العام و عام مقبل؟ فقال له الشّيخ: خلّ على ما وجدت. قال؛ وجدت بقلا و بقيلا و سبلا و سييلا، خوصه مثل اللّيل، قد دبّ ما تحث هنا كم السّيل قال: هل به أحد؟ قال: نعم به بنو الرّجل لا يوجد أثرهم.

قال أبو زيد: بقلا أى و سميا كان مطره قبل الشّتاء. و بقيلا كان مطره بعد ذلك.

و سبلا كان من الوسمى. و سييلا كان بعد ذلك و هو الذى نبت منه البقيل، قال: و عنى بالخواصه العرفج و الثمام و السّيط و ما كان فى أصل، قال: فلم يشك بنوه أنّ الشّيخ ظاعن

إلى ما أخبر به ابنه الأول، فلما أصبح تحمّل جهه ما أخبر به الأخير ابنه، ففزع بنوه و قالوا:

اهترّ الشّيح فقالوا: تذهب إلى أرض بها النّاس و تدع أرضا قفرا لا يرعاها أحد معك؟ قال:

إنّ تلك طغوه لا و أخيك و قد وجد أخوكم هذا الأخير حياء العام و عام مقبل ما يبقى من هذا العام، قال: فمضى و اتّبعوه قوله: يشبع منه النّاب و هى تعدو، و يعنى لطوله و اتّصاله لا- تحتاج أن تقف عليه و لا أن تتبعه. قال: و قال رائد مره، تركت الأرض مخضره كأنها حولاء بها بصيصه رقطا، و عرفجه خاصبه، و عوسج كأنه النّعام من سواد، و هذا كما قال الآخر:

وجدت جرادا كأنه نعامه باركه، يريد كثره العشب و سواده و شدّه الخضره سواده، قال:

و سأل أبو زياد الكلابي صقيلا العقيلي حين قدم من البادية عن طريقه، فقال: انصرفت من الحج فأصعدت إلى الرّبذه فى مقاط الحره، فوجدت بها صلالا من الرّبع من خضمه و صليان و قرمل حتى لو شئت لأنخت الإبل فى أزراء القفعاء، فلم أزل فى مرعى لا- أحسّ منه شيئا حتى بلغت أهلى. الصّلال: أمطار متفرقه. و القفعاء نبت من الذّكور يقول: أخصبت حتى صارت تستر البعير البارك.

و قال آخر: رأيت بطن فلج منظرا من الكلا لا أنساه، وجدت الصّيفراء و الخزامى يضربان نحر الإبل، و تحتها قفعاء، و حرث قد أطاع و أمسك بأفواه الإبل أغناها عن كل شىء و إذا نقع الجوزان فى الاجارح فذلك غايه رى الأرض لأنّ الاجارح أشرب للماء، و إذا نقع الماء فى الاجارح غرقت الأجالد، و قال ابن كناسه: بعث قوم رائدا فقيل: ما وراءك؟

فقال: عشب و تعاشيب و كماه متفرقه شيب تندسها بأخفافها الثّيب، فقيل: هذا كذب.

فأرسلوا آخر، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: عشب ثأد ماد، مولى عهد، متدارك جعد، كأفخاذ نساء بنى سعد، تشبع منها النّاب و هى تعدو. و قد مضى تفسير ما فيه من الغريب.

و بعث رجل بنين له يرتادون فى خصب فقال أحدهم: رأيت ماء غللا يسيل سيلا، و حوصه يميل ميلا، يحسبها الرّائد ليلا. و قال الثّانى: وجدت ديمه على ديمه فى عهد غير قديمه، يشبع منها النّاب قبل العظيمه. الغلل: الماء يجرى فى أصول الشّجر. و قال بعضهم: إذا أحيى النّاس قيل: قد أكلائت الأرض، و اجرنفت العنز لأختها، و لحس الكلب الوضر اجرنفاشها، ازبئرها، و زفيانها فى أحد شقيها لتنطح صاحبها، و إنّما ذلك من الأشهر حين سمت فأخصبت. و لحس الكلب: يعنى أنّه يجد و ضرا و يلحسه، و إذا كانوا مجدبين لم يتركوا للكلب شيئا. و قيل لرجل منهم: ما أخصب ما رأيت البادية؟ قال: رأيت الكلب يمرّ بالخصفه عليها الخلاصه فيشمّها و يتركها. و قال أعرابى: و قد قيل له: ما تركت وراءك؟ قال: خلّفت الضّان تظالم معزاها، يعنى أنّها لنشاطها تنطح بعضها بعضا.

و قال أبو زياد: بعث قوم رائدا لهم، فلمّا رجع إليهم قالوا له: ما وراءك؟ قال: رأيت

بقلا يشبع منها الجمل البروك، و تشكّت منه النساء و همّ الرّجل بأخيه. قال أبو زياد: لم يطل العشب بعد، فإذا أقام البعير قائما لم يتمكن منه.

و تشكّت النساء اتّخذن الشّكاء الصّغار، لأنّ اللّبن لم يكثر بعد. و قوله: و همّ الرجل بأخيه: أى همّ أن يدعوه إلى منزله، و لم يتّسع له، و يحتمل من التّفسير وجها آخر، و هو أن الجمل إذا برک شبع مما حوله من مبركه و لم يحتج إلى أكثر منه. و قوله: و همّ الرّجل بأخيه: يجوز أن يكون مثل قوله شعرا:

و أحيانا على بكر أحيينا إذا ما لم نجد إلّا أخانا

و مثل قوله: يا بن هشام، أهلك الناس اللّبن، لأنّ الجذب يشغلهم عن طلب الطوائل، و فى الخصب يتفرّغون للضّغائن. و مثل قوله شعرا:

ثعالب فى السنين محصّصات و أسد حين يمتلى الوطاب

و مثل قوله:

قوم إذا اخضرت نعالهم يتناهقون تناهق الحمر

و قيل فى تشكىّ النساء ما رواه الشّعبي عن برد و ردّوا على الحجاج و هو حاضر.

رواه عنه أبو بكر الهذلى قال: جاءه الحاجب فقال: إنّ بالباب رسلا، فقال: ائذن لهم، فدخلوا و عمائمهم فى أوساطهم، و سيوفهم على عواتقهم، و كتبهم بأيمانهم، قال:

فتقدّم رجل من سليم يقال له سيابه بن عاصم فقال الحجاج له: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الشّام. قال: هل كان وراءك من غيث؟ قال: نعم أصابتنى ثلاث سحائب فيما بينى و بين أمير المؤمنين، قال: فانتعتهنّ لى، قال: أصابتنى سحابه بجودان فوق قطر صغار و قطر كبار، فكأنّ الصّغار لحمه الكبار و وقع بسيط متدارك و هو السّح الذى سمعت به، فؤاد سائح، و واد بارح، و أرض مقبله، و أرض مدبره أى أخذ السّيل فى كل وجه، و أصابتنا سحابه بسواء، فلبدت الدّمات و أسالت الغراز، و أدحضت التّلاع و صدعت عن الكماه أماكنها. و أصابتنى سحابه بالقريتين، فقاءت الأرض بعد الرّى و امتلأت الآخاذ و أنعمت الأودية و جئتك فى مثل مجرّ الصّعب.

ثم قال: ائذن فدخل رجل من بنى أسد، فقال: هل كان وراءك من غيث؟ فقال: لا، كثرت الأعاصير، و اغبرت البلاد، و أكل ما أشرف من الجنبه، فاستيقنا أنّه عام سنه، فقال:

بئس المخبر أنت، قال: خبرتك بما كان.

ثم قال: ائذن فدخل رجل من أهل اليمامة فقال: هل كان وراءك؟ قال: نعم سمعت

الزّواد تدعو إلى ريادة، و سمعت قائلاً- يقول: هلم أظعنكم إلى محله تطفأ فيها الثيران و تشكى منها النساء، و تنافس فيها المعزى. قال الشعبي فلم يدر الحجاج ما يقول: فقال:

إنما تحدث أهل الشام فأفهمهم، قال: نعم أصلح الله الأمير أخصب الناس فكان السمن و الزبد و اللبن فلا توقد نار يختبز بها. فأما تشكى النساء فيحتمل وجها آخر من التفسير سوى ما تقدم، و هو أنّ المرأة تظلّ ترتق بهما و تمخض لبنها، فتبيت و لها أنين من التعب، و يكون التشكى من الشكوى لا من الشكوه.

و حكى أبو عبد الله قال: قدم رجل من سفر كان فيه، فقالت له ابنته: كيف كنت في سفر ك؟ فقال: تقسمتى الأداوى و النجم، قال: يعنى بالنجم طلب الهدايه بالليل أن لا يضل. و الأداوى يريد أن ينظر كم فيها من الماء أ قليل أم كثير يشكو جزعه و اهتمامه و خوفه من المتالف، و أنشد للمرار بن سعيد شعرا:

له نظرتان فمرفوعهو أخرى تأمل ما فى السقاء

قوله: مرفوعه أى ينظر إلى السماء يسأل ربّه النجاه، و أخرى إلى السقاء هل فيه ما يبلغه إلى الماء.

و لقي أعرابى آخر فسأله عن المطر فقال: أصابتنا أمطار غزيره و اشتدّ لنا ما استرخى من الأرض، و استرخى لنا ما اشتدّ من السماء، أى استرخى لنا جلد السماء، و اشتدّ الرّمل الذى ندى، و هذا مثل قول العجاج شعرا:

عزّز منها و هى ذات إسهال ضرب سوارى ديمه و تهطال

و قال أعرابى و نظر إلى السماء فوجدها مخيله: هذا صيب لا يؤمن معه الدوافع أن تدرأ عليكم بسيولها فتحولوا بأخبيتكم، و لن تنجوا من الموت، و أنشدنى بعضهم للكفيت فى المخيله شعرا:

فإياكم و داهيه نادأظلتكم بعارضها المخيل

الباب الثامن والثلاثون في ذكر الورد و من جرى مجراهم من الوفود

اشاره

قال: العريجات أن ترد غدوه و تصدر عن الماء فيكون سائر يومها في الكالأ و ليلتها و يومها من غدها، ثم ترد ليلا ثم تصدر عن الماء، و يكون بقيه ليلتها في الكالأ و يومها من الغد و ليلتها ثم يصبح الماء غدوه، فهذه العريجات، و هي من باب صفات الرّفه. و في الرّفه الظاهره و الضّاحيه و الآئبه و العريجات و ظاهره الغب، و هي للغنم لا تكاد تكون للإبل، و الظاهر أن ترد كلّ يوم ضحوه و الآئبه أن ترد كلّ ليله، و ظاهره الغب أقصر من الغب قليلا، و قال: أقصى ظمأ الغنم في الشّتاء سدس، و في الصّيف ترد كلّ يوم، و الإبل أقصى ظمأها ثلاثه أعشار في غير الجزء، و الجزء أن يكتفوا بالرّطب عن الماء، و أقصى ظمأ الحمار الأهلى غبّ في الشّتاء و الرّفه أن يرد كلّما أراد و أقلّ ظمأ الإبل الغب، و كلّ هذا حكاه ابن الأعرابي.

قال: و دخل رؤبه على سليمان بن علي فقال: ما بقي من باتك؟ فقال: إنّي لأظمى فأورد فأقصب، قال: أقصب الرّجل: إذا أورد فلم يشرب إبله إلّا شربا ضعيفا و قصبت هي.

و دخل عليه مره أخرى، فقال: ما عندك؟ فقال: يمتد فلا يشتد، فإذا أكرهته يرتد، فقال:

إنّي لأجد ذلك.

و حكى غير واحد من الرّواه أنّه لما وردت وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه و سلم قام طهفه بن أبي زهير، فقال: أتيناك يا رسول الله من غور تهامه بأكوار الميس، ترتمى بنا العيس، نستحلب الصّبير، و نستحلب الخبير و نستعضد البرير، و نستحيل الرّهام، و نستحيل الجهام، من أرض غائله النّطأ، غليظه الموطأ قد نشف الدّهن، و يبس الجعتن، و سقط الأملوج، و ماد العسلوج و هلك الهدى، و مات الودى، برئنا يا رسول الله من الوثن و العنن، و ما يحدث الرّمن لنا دعوه السيّلام، و شريعته الإسلام ما طما البحر، و قام تعار، و لنا نعم همل إغفال، ما تبض ببال و وقير كثير الرّسل، قليل الرّسل، أصابتها سنه حمراء موزله ليس

لها علل و لا نهل، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم بارك لها في محضها و مخضها(١) و مذاقها، و ابعث راعيها في الدثر يبالغ الثمر، و بارك له في المال و الولد من أقام الصلاه كان مسلما، و من أتى الزكاه كان محسنا، و من شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم، يا بنى نهد و دائع الشرك و ضائع الملك، لا تلتط في الزكاه و لا تلحد في الحياه، و لا تثاقل في الصلاه».

و كتب معهم كتابا إلى بنى نهد: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بنى نهد بن زيد: السلام على من آمن بالله و رسوله لكم يا بنى نهد في الوظيفة الفريضة، و لكم القارض و الفريش و ذو العنان الزكوب و الفلو الضبيس، لا يمنع سرحكم و لا يعضد طلحكم، و لا يحبس درّكم ما لم تضمروا الآماق، و تأكلوا الرّباق، من أقرّ بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء و العهد و الدّمه، و من أبى فعليه الرّبوه».

تفسيره قوله: نستحلب الصبير: يريد الغيم الأبيض المتراكم أى نتطلب منه الغيث و نستحلب الخبير: أى نحصد و الخلب القطع و منه المخلب و الخبير: الثّبات، و منه المخابره فى الرّاعه، و معنى نستحيل الرّهام: أى الأمطار و الواحده الرّهمة و نستحيل من قولك سحابه مخيله و خيلت و تخيلت و معنى: نستحيل الجهام(٢) أى نجده جائلا فى الأفق، و الجهام السّحاب الذى قد أراق ماءه.

قال الهذلى: ثلاثا فلما استحيل الجهام و استجمع الطّفل منه رشوحا. و يروى نستحيل بالحاء، و يكون من استحلت الشّخص: إذا نظرت إليه هل يتحرك. و قوله: من أرض غائله النّطا يريد من أرض مغنيه البعد، أى من ركبها أهلكته، يقال: غالته غول و النّطاء البعد قال، و بلده يناطها نطى. و قوله: نشف المدهن أى انتشف القارات ما تقع فيها من ماء المطر، و قوله و يبس الجعثن يعنى أصول النّبات.

و يقال: جعثه أيضا و جمعها جعاث. و قوله: و سقط الأملوج، الأملوج ورق لبعض الأشجار مفتول كالعبل. و قوله: و ماد العسلوج أى مالت الأغصان و انبت. و يقال: عسلوج و عسلج قال: أنبت الصّيف عساليج الخضر.

و قوله: هلك الهدى يراد به الإبل و أصله فيما يهدى من القرابين، و فى القرآن: حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ [سوره البقره، الآيه: ١٩٦] و الهدى.

١- فى مجمع الأنوار المحض بحاء مهمله و ضاد معجمه: اللّبن الخالص بلا ماء و هو بمعجمتين ما مخض من اللّبن و أخذ زبده- الحسن النعمانى كان الله له.

٢- كذا فى الأصل و قال فى مجمع بحار الأنوار فى خيل: بالخاء المعجمه و نستحيل الجهام هو نستفعل من خلت إذا ظننت أى نظّنه خليقا بالمطر، و أخلت السّحابه و اخبلتها و منه حديث إذا رأى فى السماء اختيالا تغير لونه. الاختيال أن يخال بنوءه المطر ١٢ الحسن النعمانى المصحح كان الله له.

و قوله: و ملت الودى يراد به فسيل النخل.

و قوله: من الوثن و العنن، فالعنن الاعتراض و المخالفه، يريد برئنا إليك من المشاقه و كل معبود من دون الله. و قام تعار: اسم جبل يريد الأبد.

و قوله: نعم إغفال أى لا ألبان لها. و الغفل الذى لا سمه له.

و قوله: ما تنبض ببلال: أى لا تنطف ضرورها بما يتل.

و قوله: و وقير كثير الرسل فالرسل اللين، و إنما وصف السنه بالحمرة للجذب الشامل لذلك. قال: إذا احمر آفاق السماء من الفرس.

و يقال: جوع أغبر و موت أحمر. و قوله: موزله من الأزل و هو الضيق. و يقال: أزل أى صار فى أزل، كما تقول أسهل و أحزن. و الدثر: المال الكثير.

و قوله: ودائع الشرك و وضائع الملك. الوديع: العهد. يقال: توادع الجيش إذا عاهد كل واحد منهما صاحبه أن لا يرى له إلا ما يراه لنفسه، فكان بينهما تشارك و لا-عرو بينهما و لا شر. و يقال: أعطيته وديعا أى عهدا. و الوضائع جمع الوضيعه: و هى ما وضع على المسلمين فى أموالهم و أملا-كهم. و المعنى: أنهم يساؤون المسلمين فيما يلزمون لا زياده عليهم و لا عتب، متى لم يلبوا الحق أو لم يلحدوا فى حياتهم عن واجب، و لم يتشاقلوا فيما اشترع من فرائض الدين. و الإلطاء: المنع و يقال: لطّ و أظ بمعنى. و الإلحاد: العدول.

و قوله: لكم فى الوظيفه الفريضه، فالفريضه الهرمه، و كذلك الفارض و المعنى: لا يعد عليكم فى الصدقه مثله.

و كذلك العارض: هى الكبير و ذات الآفه، من كلامهم: بنو فلان أكالون للعوارض.

و الفريش من الخيل: التى وضعت حديثا فهى كالتنفساء من الناس و الركوب الدلول و الفلوق (١) الضّيبس: الصّعب، و هذا كما روى: «عفونا لكم عن صدقه الخيل».

و قوله لا يمنع سرحكم: يريد ما تسرحونه فى مراعيكم لا تمنعون منها و لا تراحمون فيها. و لا يعضد أى لا يقطع.

و قوله: يمنع درّكم هو على حذف المضاف أى ذوات الدرّ لا يمنعون من الرعى، و يحشر أى إلى المصدق.

١- فى المجمع الفلوق بفتح فاء و ضم لام فمشدده و روى بسكون لام و فتح فاء.

و الأماق(١) العته و الغل، يقال فى فلان ماقه.

و قوله: و تأكلوا الزباق: يعنى العهود التى صارت كالأرباق فى الأعناق.

و قوله صلى الله عليه و سلم: «من أبى فعليه الزبوه» أى: الزيادة، يريد أن الخارج من الطاعة يتضاعف عليه ما يلزمه، و هذا كما روى عنه صلى الله عليه و سلم و قد قيل له: إن فلانا قد منع الصدقه، فقال: هى عليه و مثلها.

حديث قيله: روت قيله: قالت وردت على رسول الله صلى الله عليه و سلم فصليت معه الغداه حتى إذا طلعت الشمس دنوت و كنت إذا رأيت رجلا ذا رواء، و ذا قشر طمح بصرى إليه، فجاء رجل فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و عليك السلام»، و هو قاعد القرفصاء، و عليه أسمال ملتين، و معه عسيب نخل مقشو غير خوصتين من أعلاه، قالت:

فتقدم صاحبى فبايعه على الإسلام ثم قال له: يا رسول الله اكتب لى بالدّهناء، فقال: «يا غلام اكتب له» قالت: فشخص بى و كانت وطنى و دارى، فقلت: يا رسول الله الدّهناء مقيد الجمل، و مرعى الغنم، و هذه نساء بنى تميم وراء ذلك فقال: «صدقت المسكينه المسلم أخو المسلم بينهما الماء و الشجر، و يتعاونان على الفتان». و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أ يلام ابن هذه أن يفصل الخطه و ينتصر من وراء الحجره». يقال شخص بفلان: إذا أتى ما يقلقله و يحزّه.

و الفتان جمع فاتن و هم الشياطين يفتنون و يفتح فاؤه فيقال: فتان، على المبالغه.

و الزواء: المنظر، و القشر: اللباس، و القرفصاء: جلسه المحتبى، و العسيب: جريد النخل، و المقشو: المقشور.

و ممّا روى من أخبار الوفود أن معاويه بن ثور وفد على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو ابن مائه سنه، و معه ابنه بشر، فقال معاويه للنبي صلى الله عليه و سلم: إنى أتبرك بمسك و قد كبرت و ابنى هذا بربى فامسح وجهه، فمسح صلى الله عليه و سلم وجه بشر، و أعطاه أعزنا عفرا، و برك عليهم، قالوا: و كانت السنه ربما أصابت بنى البكاء و لا يصيبهم فقال محمد بن بشر شعرا:

و أبى الذى مسح النبى برأسه و دعا له بالخير و البركات

أعطاه أحمد إذ أتاه أعزاعفرا نواحل لسن باللجبات

يملأن رقد الحى كلّ عشيهو يعود ذاك الملء بالغدوات

بوركن من منح و بورك مانحاو عليه منى ما حييت صلاتى

و هذا باب له جوانب، و وُزِدَ العرب مختلفه الطُّرق، فمنهم من قال:

و لقد وردت الماء لون حمامهلون الفريقه صَفِيَّت للمدنف

فصدرت عنه طاميا و تركته يهتّر علفته كأن لم يقشف

و قال آخر:

و ماء قد وردت أميم طام على أرجائه زجل القطاط

فبِتْ أنهته السرحان عنه كلانا وارد حرّان ساط

و قال لييد:

فوردنا قبل فراط القطائِن من وردى تغليس النهل

طامى العرمض لا عهد له بأئيس بعد حول قد كامل

فهرقنا لهما فى دائرلضواحيه نشيش بالبلل

و قال العجاج:

وردته قبل الذباب العسال و قبل إرسال قطا فإرسال

بالقوم عبدا و المطى الكلال

و قال امرؤ القيس:

فأوردها من آخر الليل مشربابللق خضرا ماؤهنّ قليص

يعنى: عيرا و أتنا، فربّما قصدوا الحجج بركوب الفلوات التى لم تسلك، و المياها التى لم توردا ابعادا فى الغزو، و اقتحاما على المهالك. و ربما ذكروا التّوحش و مجاوره الوحوش لذلك قال الشّنفري:

طريد خبايات تياسرن لحمه عقيرته لا بأيما حن أول

بجناياته فى القبائل حتى أسلمه ذووه و تبرءوا من موالاته.

وقال:

و يشرب أسارى القط الكدر بعد ماسرت قريبا أحيائها يتصلصل

و ربما قصدوا الافتخار فيه بورود أبواب الملوك و منافره الخصوم بها و السّعى فى تحمّل الدّيات و إصلاح ما بين العشائر. و جعل المياه فراطه لهم لسبقهم كل الإغراء إليها يدل على هذا قوله:

و لا يردن الماء إلّا عشيها إذا صدر الوراد عن كلّ منهل

و ذكر بعضهم هذا فقال: خير الورد ما كان أول النهار و شره ورد العشى حتى أنهم يتعايرون به، و ذكر البيت و خالفه آخر فقال:
خير الورد ما وافق الحاجة ثم أنشد:

أوردها مهجرا يساري سار لا يروى يدا العشار

ليس بإيراد العشى عار

قال أبو عبد الله: و الذى بسط له النبى صلى الله عليه و سلم رداءه أشج عبد القيس و اسمه عائذ بن عمرو، و قال له: «فيك
خصلتان يحبهما الله: الحلم و الإناء» قال: هما فى أو شىء جبلنى الله عليه، فقال: «جبلك الله عليه» فقال: الحمد لله الذى جبلنى
على ما أحب أو نحو ذلك.

و حكى هشام عن أبيه أنه أخبره رجل من رحبه حمير قال: كنت فى جمه فيينا نسير فى بعض مفاوز اليمن فأصللهم بعارض
عرض و قد سرت ثلاثا لا- أرى أنيسا إذ دفعت إلى شجر و ظل و ماء معين. و قد ظممت و أكلت فإذا أنا بشيخ له غدیرتان
بيضاوان كأنهما ينطفان بالدّهان، و عليه حله كأنها فارقت من يومها الصبيان، و بين يديه بغلان حضرميتان كأن لم تنالا بوطاء، و
هو قائم يصلى بقراب ما بين شجرات عم، فدنوت و سلّمت، و إن رأسه ليحاذى قمه رأسى و إنى لعلى نجيب ساف عليك. ثم
أنخت و شربت من الماء و سقيت بعيرى و جلست وراءهما، فلما أحس بجلوسى ركع و سجد ثم ردّ على سلامى.

ثم قال: من أين وضح الزّاكب؟ فقلت: من رمع فقال: ما بالك على غير سمت؟

فقلت: ما زلت على لقم بهجم أوم أطراف قوادم الفجر الأشمل، و منكب الأريب الأيمن حتى هبطت بالأمس غوطا ملطاطا، حين
طفل الأصيل فبتّ حيث طخطخ الليل بصرى، فلما تهور الليل شبه لى ثابته رعاء فناء ذلك عنى بعض ما كان يشيزنى، ثم ثبت
فحله أن قد استثبت فقمتم إلى بعيرى فغيرت عليه.

ثم ركبت أوم الأصوات و كأننى فى أكساء أهلها، و ما يزداد إلّا بعدا فتفرّج عنى سربال الليل، بين نعاف متواصيه، فزلت أخبطها
سحابه يومى متوسّما تاره و متعسّفا أخرى، حتى رفع لى هذا السواد، حين نجهت من نقب، ذلكك القف فرمته حتى أضافنى
إليك هذا الصّوح، فقال: حسبك بواقيه الموقى جنه- و لو كنت ذا خبر تكنه، خطر ما هجمت عليه ما رأيت للنوم سميرا، فقابل
النعمه بالسّلام بشكرها، فقال: يا بن أخى السّماء غطاء، و الأرض وطاء. و أما موطن وراء هذا الصّراء فقد أخذتنى منه وحشه، و
قلت: يا عمى هل أنت بمخبرى عمّا رأيت من عجائب الدّهر فى مده أيامك؟ فقال: نعم أ رأيت النّعاف المتقابلات، و الغيطان
المتواصيات اللّواتى جرعتهن سائر اليوم؟ قلت: نعم. قال: هل أحسست هنالك رسما واضحا، و إثرا ماضحا؟ قلت: لا. قال: و الله
يا بن أخى لقد عهدت بتلك البيضة الفيحاء مجادل كالشّناخيب، مشرفات المحاريب، يرى الزّاكب شعافها من منزله ثلاث،

محفوفه بالجحافل الململمه، و الكتائب المسومه، ينم على أبوابها الأحبوش، و تهز الآل ينم الأسد على الأشبال، و تحوص لربها الآمال، فى الأموال، فتأذى ثات، و ماذ و ثات الأسد الضرغام، الأبلج القمقام، الملك الهمام، يخضع لبيته الأذقان، و تذعر لهيبته الجنان، عطاؤه غمر، و أخذه قهر، و سلامه إنعام، و محاله اصطلام، عمل بذلك سبعين خريفا، و أعين الحوادث عنه مغضيه، ثم شصاءه إليه يوم من الدهر، كدر المعاش، و بدد شمل الرياش، ثم اقتعد مطى تلك النعمه، ذو هلاهله تقمع الأضداد، و غمر الأنداد، و أنشأ المصانع، و بث الصنائع، فغير بذلك أربعين حجه و سبعا، لا تروعه حادثه و لا يعتن له عاتنه، و لا تعرض له هاتنه.

ثم كشرت له عن أنيابها أم اللميم، فرمته بأقصد سهامها، و رهقتهم بأفطع أيامها فحطتهم عن وثابه، دون حجابها، و مصارع أبوابها، و لم يمنع العز الصم، و لا العدير الدهم، ثم سحب و الله الزمان على آثارهم ذيول البلاء، و طحنهم بكلاكل الفناء - فأصبحت الآثار بائده- و العزه هامده- و فى ذلك يقول شاعر من غابريهم:

خلق الناس سوقه و عبيداو خلقنا الملوك و الأربابا

كان ذو ثات الهمام ربيعا يحسب الناس سيبه أحسابا

و طىء الأرض بالجنود اقتدارا و اقتسارا حتى أذل الصعابا

حواله الصهب و الجعاد يخالون لدى بابه الليوث الغضابا

و تغضض العيون من دونه الأملاك مائدا و تحنو الرقابا

فرمانى الزمان منه بيوم غادر المعمر الخصب يبابا

فكأن الجموع و العدد الدهم و ذاك التميم كان ترابا

ثم قال لى: عليك تلك الشيه فأسند فيها، فإذا فرعتها فمثلت لك الخورمات- على المازم، فتنكبها ذات اليمين، فهناك الطريق ثم غاب عنى فلم أراه بعد.

[فصل فى] تفسير الألفاظ الغريبه

الماء المعين: الظاهر و ينتعان: يقطران. و يقال: (وضح الرّاكب): و أوضح أى طلع، و اللهجم: البين، و اللقم: الطريق، و الأريب: ريح تهب متنكبه بين الصّيبا و الجنوب، فإذا هبت من تحت مطلع سهيل فهى الجنوب الخالصه. و قوله: (قوادم الفجر): يعنى جناحه، و الغوط الملطاط: ما اعترض من الأرض فى الغائط و حجب ما وراءه، و طفل الأصيل: أى أقبلت فى الظلمه، و طخطنخ الليل بصرى: أى سترت الظلمه عيني، تهور الليل: أدبر، و الثائبه: الرّحر، فتأ: سكن، تشيزنى: تقلقنى. و الإكساء: الماخير الواحد

كسوء، و المتواصيه: المتواصله. نجهت: بدوت، النَّقْب: الطَّرِيق الضَّيق، الصُّوح: منعطف الوادى، الأثر الماصح: الدَّارس، البيضه الفيحاء: الأرض الملساء، الشَّنَاخِب: أعالي الجبال، الواحد شَنخوب. المحاريب: الغرف بلغه حمير و غيرهم، ذوثات: قيل من أقيال حمير دون الملك المتَّوَج. قوله: و سلامه إنعام، يريد أنه يسالم منعما لا مضطرا، و المحال: الكيد و العقوبه، يقال: شصا بصره: أى شخص، و شصا برجله: دفعه، و الرِّياش: الهيئه، و ثروه لا يعتن: لا يعترض. الهائثه: الدَّاهيه و كذلك: أم اللِّميم. الوثابه: السَّرير بلغه حمير، الصِّم: الشَّديد الثابت.

قال الأصمعى: كانت حمير تسمى الملك إذا لم يغز (موثبان) قال: و كانت ملوك حمير قد رتبوا المملكه أن يختار الملك ثمانيه من أبناء الملوك، يسميهم المثامنه يخدمونه فإذا مات الملك انتخب أهل المملكه من المثامنه رجلا إن لم يكن له ابن أو ابن أخ، ثم أخذ من الأقيال رجل يجعلونه بدل ذلك من المثامنه لتمام الثمانيه و أخذ من أهل البيت رجل فجعل قيلا. و الأقيال: ثمانون رجلا، و أهل البيت أكثر من أن يحصوا، (و الخورمات): ثنانيا الجبال، و (المآزم) المضائق.

الباب التاسع والثلاثون فى السّير، و النّعاس، و الميح، و الاستقاء و ورود المياه

قال لييد شعرا:

و موجود من صبايات الكدى عاطف التّمرق صدق المبتدل

قال: هجدنا فقد طال السرى و قدرنا إن خنا العيش غفل

قل ما عرس حتى هجته بالتباشير من الصّبح الأول

يلمس الأحلاس فى منزله بيديه كاليهودى المصل

يتمارى فى الذى قلت له و لقد يسمع قولى حين هل

(الموجود): أصله الذى قد مطر جودا و جعله عاطف التّمرق لانثانه فى النّعاس و تمايل، و معنى صدق المبتدل: إذا ابتدل نفسه للعمل كان صلبا، و معنى (هجدنا): نومنا يريد أن السّير قد امتد و اتّصل و أنّهم مالكون لورود المقصد إن سلموا من آفات العيش، و جعله لامسا لحلسه كاليهودى فى صلاته لزوال تماسكه، و غلبه التّوابع قوله: (يتمارى) يبين به زوال تحصيله فهو شكّ فيما يدركه بسمعه و إن كان مميز الماء يخاطب به أبا حيه التّميرى:

و أغيد من طول السرى برحت به أفانين مضاء على الأسّ مرجم

سريت به حتّى إذا ما تمزّقت توالى الدّجى عن واضح اللّون معلم

أنخنا فلما أفرغت فى لسانه و عينيه كأس السّحر قلت له قم

يودّ بوسطى الخمس منه لو أنّارحلنا و قلنا فى المناخ له نم

حظاء الكره مغلوبا كأنّ لسانه بمارد من رجع لسان مرسم

ذكر ابن الأعرابى أنّ عقيل بن علقه خرج فى سفر و معه ابنه عملس و ابنته الحرياء فقال شعرا:

قضت و طرا من دير أروى و ربّما على عجل ناطحته بالجماجم

فقال لابنه: أجز، فقال:

فأصبحن بالموماه يحملن فينهتشاوى من الإدلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته أجزى فقالت شعرا:

كأنّ الكرى يسقيهم صرخد يهعقارا تمّشت في الطلى و المعاصم

فقال: و الله ما وصفتها حتى شربتها و ضربه ابنه بسهم فاختلّ ساقه و قال شعرا:

إنّ بنى رملونى بالدم من يلق أبطال الرّجال يكلم

و ما يكن من صعر يقوم ششنه أعرفها من أخزم

قال ذو الرّمه:

و ليل كجلباب العروس أدرعته بأربعه و الشّخص فى العين واحد

أجم غدافى و أبيض صارم و أعسر مهري و أشعث ماجد

أخو ثقه جاب الفلاه بنفسه على الهول حتى لوّحته المطارد

و أشعث مثل السّيف قد لاح جسمه و حيف المهارى و المهوم الأبعاد

سقاه الكرى كأس النّعاس برأسه لدين الكرى من آخر اللّيل ساجد

أقمت له صدر المطى و ما درى أ جائره أعناقها أم قواصد؟

ترى الناشئ الغزید يضحى كأنه على الرّجل مما منه السّير عاصد

قوله: (كجلباب العروس): فى التشبيّهات الظّريفه لأنّ اللّيل لا يشبهه جلباب العروس إلا فى سبوغه و اتّساعه و قله فرجه و تمامه و

مثله قول الآخر شعرا:

إذا ما الثّريا طلعت فى سنائهاطلاع العروس فى ثياب جلاء

تنفّست من علمى بما البين صانع و إنّ ردائى ليس لى برداء

و إنما ذكر الثريا لطلوعها في أطول ما يكون، و حينئذ تطلع في وقت غروب الشمس و ذلك في أوّل الشتاء، فإذا طلعت طلعت في حمرة الأفق، فشبهها في تلك الحالة بثياب العروس في حمرتها و سبوغها. قوله: (تنفّست): أى علمت أنّ الزّمان قد تغيّر عن هيئته، و أنّ الإنسان لا- يكتفى من الكسوه بما كان يكتفى به قبل ذلك لتحرك البرد، و أنّ الأحياء تتفرّق فيطلبون المحاضر و يهجرون البوادي و لابن أم صاحب:

و فتيه أرقتهم من مهجع و النّوم أحلى عندهم من العسل

لا يطعمون النّوم إلا قلاحسوا كحسو الطّير من ماء الوسل

قلت لهم: أصبحتم فارتحلوا والليل ملق حلسه داني الظلل

فنهضوا مائله أعناقهم كأنهم من الكلال و الثمل

شرب تساقوا قرقفا حمصيهكرت عليهم عللا بعد نهل

و أنشد أحمد بن يحيى:

إني إذا ما الليل كان ليلين و لجلج الحادي لسانين اثنين

لم تلفني الثالث بعد العدلين ساد الرقئين منهم ذو البردين

الرقئين: المتكابس، و قد يعد من هذا الباب قوله:

إني إذا ما القوم كانوا أنجيهو اضطرب القوم اضطراب الأرشيه

و شدّ فوق بعضهم بالأرديهناك أوصيني و لا توصى بيه

و قال آخر:

يقول و قد مالت به نشوه الكرى نعاسا و من يعلق سرى الليل يكسل

أنخ نعط أنضاء النعاس دواؤها قليلا ورقه عن قلائص ذبل

فقلت له: كيف الإناخه بعد ما حدا الليل عريان الطريقه منجل

و قال العجاج و ذكر ماء:

كأن أرياش الحمام النسل عليه ورقان القران النصل

فويق طامى مائه المجلل جفاله الأجن كحمر الجمل

يريد بالنسل: الساقطه، و القران: نبل صيغت صيغه واحده و جعلها ورقا لأنها إذا عرضت على النار تسود فتصير ورقا، و النصل:

التي قد نصلت: أى خرجت من مواضعها، و المجلل: المغطى بالعرمض و هو الطحلب. قوله: جفاله: انتصب بالمجلل و جفاله كل

شىء ما أخذ منه، و قلع من أعلاه، يريد أن الماء قد يبس مثل العبايه مما لا يورده، فعلاه مثل الحمر: و هو بقيه الأليه إذا أذيت.

و الجمل: الذين يذبيون الشحم يقال: جملت الشحم و أجملته، و الجميل الودك المذاب و مثل هذا قوله:

يتجفّل عن جمانه دلو الدّالى عانه غشراء من آجن طال

الغشراء: البيضاء إلى الدّسمه، و الآجن: المتغيّر و الطّالى: الذى عليه طلاوه و هو ما يلبسه. و أنشد فى الاستسقاء:

قد علمت إن لم أجد معيناً لأخلطن بالخلق طينا

يعنى امرأته، أى استعملها فى الاستسقاء إن لم أجد غيرها. و قال آخر يخاطب الدلو:

تملئى ثم هلمى حى إلى سواد نازع مكب

يقول: ارتفعى إلى شخص المستقى و هو سواده و النازع بالدلو: هو المكب و قال آخر:

لتروين أو لتبيدن السجل أو لأروحن أصلا لا أشتمل

أى لا أقدر على الاشتمال من إعائى و ضعفى. و قال الآخر:

إن سرك الرى أخوا تميم فاجعل بعبدين ذوى وزيم

بفارسى و أخى الزوم

الوزيم: القوه و رجل متوزم: أى شديد الوطء، أى اجعل الساقين من جنسين مختلفين، لأنهما إذا كانا كذلك لم يفهم أحدهما كلام الآخر و كان أحتّ للعمل لقله الإنس بينهما. و أنشد فى معناه:

و ساقيان سبط و جعدو فارطان فارسن و بعد

و أراد و عاد فجعل الفعل بدله. و قال: و أنشده الأصمعى:

إذا بلغت قعرها فانشقى و اغترفى من تربها الأدق

انشقى: انفتحى و اجر ما فيها. و يقال: بل دعا عليها كأنه قال: انشقى و حسبى أن يكون حظك التراب. و قال و ذكر إبلا:

فوردت عذبا نقاخا سمهجا فأعجلت شفتها أن تنفجا

نقاخ عذب و سمهج: مثله يعنى أن الإبل جاءت عطاشا، فلم ينتظروا بها أن يبلوا الدلاء فألقوها كما هى يابسه. قوله وردت: قد تكلم الناس فيه من قوله تعالى: وَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَيْدَيْنِ [سوره القصص، الآيه: ٢٣] الآيه و من قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [سوره مريم، الآيه: ٧١].

فمنهم من يقول: إن الورود يقتضى الاختلاط بالمرور و مشافهته و الدخول فيه، بدلاله قوله تعالى: ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا [سوره مريم، الآيه: ٧٣] فكيف ينجيهم منها و هم لم يأتسوا بها، فعلى قولهم يجب أن يكون قد حتم على نفسه إيراد الخلق جميعا النار، ثم ينجي منها المتقين و يذر فيها الظالمين. و الحكمة فى ذلك أن يشاهد المؤمنون موضع الكفار، فتكثر لديهم مواقع النعم و يزدادوا اعتدادا و فرحا بما منحهم الله تعالى، قالوا:

و تصير النار عليهم بردا و سلاما كما كانت على إبراهيم عليه السلام في الدنيا و إن كانت على الكفار عقوبه و عذابا، و استدلوا على ما قالوا بقوله تعالى: وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ [سوره مريم، الآيه: ٧٢] فإنه لم يقل و يدخل الظالمين.

و قال بعضهم: إن هذا يعنى به الكفار خاصه، و احتجوا بقراءه بعضهم: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [سوره مريم، الآيه: ٧١] مسوقا على قوله تعالى: ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ [سوره مريم، الآيه: ٦٩] الآية. و يكون على هذا التأويل و فى هذا المذهب قوله تعالى: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا [سوره مريم، الآيه: ٧٢] يراد به يخرج المتقين من جمله من يدخل النار فكأن الخلق على اختلاف طبقاتهم، يردون عرصه القيامة ثم يفترقون فرقا على ما بين الله تعالى فى غير هذا الموضع.

و قال أهل النظر و كثير من المفسرين منهم الحسن و ابن مسعود و قتاده: ليس الورد من الدخول فى شىء. أ لا ترى أن الأصل فى ذلك قصد المشارع و المناهل و قصدها ليس بالخوض فيها يدل على ذلك قوله تعالى: وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ [سوره القصص، الآيه: ٢٣] فالورد البلوغ إلى الماء ثم توسع فيه فاستعمل فى بلوغ كل مقصد يقولون: وردنا بلد كذا و كذا.

و قال الخليل: الورد، يوم وقت الورد بين الظميين، يقولون: وردت الطير الماء وردا و وردته أورادا و قال تعالى: وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا [سوره مريم، الآيه: ٨٦] و قالوا: أرنبه وارده و هى المقبله على السبله و قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا وَارِدَهُمْ [سوره يوسف، الآيه: ١٩] يراد طالب الماء منهم و بالغه. و قال زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامه و ضمن عصي الحاضر المتخيم

و هذا أصدق شاهد على أن الورد ليس بالدخول، و الحجه القاطعه فى أن المؤمنين و إن حضروا حول جهنم مع الإنس و الجن للحتم المقضى، و الوعد من الله الزكى، فإنهم مبعدون عن النار قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ [سوره الأنبياء، الآيه: ١٠١] و نرجع إلى إتمام الباب لأن هذا عارض عرض. و قال عجز السلولي:

و لى مائح لم يورد الماء قبله معلى و أشطان الطوى كثير

(المائح): الذى يصير فى البئر فيملاً الدلو من الماء إذا قل الماء. قال:

يا أيها المائح دلوى دونكإتى رأيت الناس يحمدونكا

و استعاره العجز لمن كان يمنحه عند السلطان و يستخرج له ما عنده و يعينه.

و المعلى الذى رشاؤه فوق الأرشية. و يقال: هو الذى إذا زاغ الرشاء عن البكره علاه فأعاده إليه. و أنشد الأصمعى شعرا:

ما ليله الفقير إلا شيطان مجنونه تودى بروح الإنسان

يدعى بها القوم دعاء الصمان و هنا من الأنفس غير عصيان

الفقير: بئر قلبه الماء و رودها و جعلها شيطانا لما يلقون فيها من التعب، المعنى أنهم فتروا و ضعفوا فكأنهم صم من النعاس، و إنما وصف قوم وردوا و سقوا و هنا من الأنفس: أى ضعفا من الأنفس لا عصيانا للزاعى. و مثله لذى الرمه:

كأنى أنادى مائحا فوق رحلهاو فى غرفه و الدلو ناء قلبها

و قال الزاعى:

حتى وردن أتم خمس بائص جدرا تعاوره الرياح و بيلا

سدما إذا التمس الدلاء نطافه صادفن مشرقه المثاب دحولا

البائص: السابق، و البوص: الفوت و السيق أى أتم خمس و بعده. و الجدر: البئر الجديده الموضع من الكلاء، و الوييل: الثقيل غير المرىء. سدم: مندفته، و النطاف: المياه.

و المثاب: هاهنا الموضع الذى يثوب منه الماء، يقال: هذه بئر لها ثاب، و المثاب فى غير هذا الموضع قد يكون مقام الساقى، و الدحول: بئر لها إرجاف. و أنشد الأصمعى:

أعددت للورد إذا الورد خفزعريا حرورا و جلا لا خزخز

و ما دحا لا ينثنى إذا احتجز فى كل عضو جردان و خرز

شبه عضل المائح و لحمه المتفروق فى أعضائه بالجردان. و الخرز: هو ذكر اليرابيع هنا و فى مثله قال أبو النجم شعرا:

فى لحمه بالقرب كالتزيريل ينماز عنه دخل عن دخل

أى تنفرج أعضاؤه من ثقل الدلو و ينماز: يصير كل قطعه لحم منه على حده إذا تمطى من ثقل الدلو: يريد أن لحمه صار كتلا.

الباب الأربعون فى أسواق العرب

إشاره

قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، فى إسناد ذكره أنّ أسواق العرب الكبيره كانت فى الجاهليه ثلاث عشره (١) سوقا.

فأولها قياما: سوق دومه الجندل: وهى على ثلاث عشره مرحله من المدينه، و على عشر مراحل من الكوفه، و على عشر مراحل من دمشق، حصنها ممرد و بها التقى الحكمان، ثم صحار- ثم دبا- ثم الشّحر- ثم رايه حضر موت- ثم ذو المجاز- ثم نطاه خيبر، ثم المشقر- ثم حجر باليمامه- ثم منى، ثم عكاظ- ثم عدن- ثم صنعا.

و كانت هذه الأسواق منها ما يقوم فى الأشهر الحرم و لا يقوم فى غيرها، و منها ما لا يقوم فى الأشهر الحرم، و يقوم فى غيرها. لكنّه لا يصل أحد إليها إلا بخفير و لا يرجع إلا بخفير.

دومه الجندل

قال أبو المنذر: كان أول هذه الأسواق قياما دومه الجندل: يوافيها العرب من كل أوب، و قيامها أول يوم من شهر ربيع الأول إلى النصف منه، ثم ترق و لا تزال قائمه على رقتها إلى آخر الشهر- ثم يفترون منها إلى مثلها من قابل. قال: و كانت كلب و جديله طىء جيرانها، و كان ملكها بين اكيدر العبادى من السكون و بين قنافة الكلبى، و كان غلبه الملكين عليها أن يتحاجبا فأيهما غلب صاحبه بما يلقى عليه تركه، و السوق يفعل بها ما شاء و لم يبع فيها أحد من الشّام و لا أهل العراق إلا بإذنه، و لم يشتر فيها و لم يبع حتى يبيع الملك كلّ

١- و قال أيضا فى كنز المدفون إن أسواق العرب كانت فى الجاهليه ثلاثه: مجنّه و كانت بالظّهران و عكاظ بين نجد و الطائف و ذو المجاز: بالجانب الأيسر إذا وقفت بعرفه ١٢ القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

شىء يريد بيعه مع ما كان إليه من مكسها، و كان للكلب فيها قنّ كثير في حوانيت من شعر، و كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء، فكانوا أكثر العرب قنا، و كانت مبيعه العرب بها بإلقاء الحجاره، و ذلك أنّهم كانوا يجتمع النفر منهم على السِّلعه يساومون بها صاحبها فأيتهم رضى ألقى حجره، و ربما اتفق فى السِّلعه الرّهط فلا يجدون بدّا من أن يشتركوها و هم كارهون، و ربما ألقوا الحجاره جميعا فيوكسون صاحب السِّلعه إذا تظاهروا عليه، و كانت قريش تخرج قاصده إليها من مكّه فإن أخذت على الحزن لم تتخفر بأحد من العرب حتى ترجع، و ذلك أنّ مضر عامتهم لا تتعرض لتجار قريش، و لا يهتجمهم حليف مضرى، مع تعظيمهم لقريش و مكانهم من البيت.

قال: و كانت مضر تقول: قد قضت عنّا قريش مذمه ما أورثنا أبونا إسماعيل من الدّين، و كانوا إذا خرجوا من الحزن أو على الحزن، و ردوا مياه كلب، و كانت كلب حلفاء بنى تميم، فلا يهتجمهم كلب، فإذا سفلوا عن ذلك أخذوا فى بنى أسد حتى يخرجوا على طىء، فتعطيهم و تدلّهم على ما أرادوا لأنّ طيئا حلفاء بنى أسد، فإذا أخذوا طريق العراق تخفّروا بنى عمور مرثد من بنى قيس بن ثعلبه فيجيز لهم ذلك ربيعه كلّها.

المشقر

ثم يرتحلون منها إلى المشقر بهجر، فيقوم لهم سوقها أول يوم من جمادى الآخره إلى آخر الشهر، يوافى بها أهل فارس يقطعون إليها تبعاً لعاداتهم ثم يتقشّعون عنها من مثلها إلى مثلها من قابل، و كانت عبد القيس و تميم جيرانها- و كانوا ملوكها من بنى تميم، من بنى عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى- و كانت ملوك فارس تستعملهم عليها كما يستعملون بنى نصر على الحيره و بنى المستكبر على عمان، و كانوا يصنعون فيها ما يريدون، و يسرون بسيره الملوك بدومه فى البيع، و كانوا يعشرونها أى يمكسونها، و كان جميع من يأتيها لا يقدر عليها إلا بخفاره من سائر الناس، و كانت أرضا معجبه لا يراها أحد فيصبر عنها، و كانت لا- يقدمها لطيمه إلّا تخلف بها منهم ناس، فمن هناك صارت بهجر من كلّ حى من العرب و غيرهم، و كان بيعهم فيه الملاسه- و الهممه- و الإيماء- يومئ بعضهم إلى بعض فيتبايعون و لا يتكلّمون حتى يتراضوا، و إنّما فعلوا ذلك كيلا يحلف أحدهما على كذب أن يزعم أنه بذل له صاحب السِّلعه.

صحار

ثم يرتحلون منها إلى صحار أول يوم من رجب، فى غير خفاره فيقدمونها لعشرين يوما تمضى من رجب، فيوافيهم بها من لم يشهد ما قبلها من الأسواق، و من شغل بحاجه

و لم يكن له إرب فيما يباع فى الأسواق التى قبلها، فىنشرون من بزّها و بىاعاتها أو بىيعون بها خمسا، فكان الجلندى يعشرهم فىها و كان بىيعهم فىها بإلقاء الحجاره.

دبا

ثم ىرتحلون منها إلى دبا، و كانت إحدى فرص العرب ىجتمع بها تجار الهند و السّند- و الصّين- و أهل المشرق و المغرب- فىقوم لها سوقها آخر يوم من رجب، فىشترّون بها بىوع العرب و البحر، و بىيعهم مساومه و كان الجلندى يعشرهم فىها، و كان ىصنع فى ذلك فعل الملوک فى غيرها.

الشّحر

ثم ىسرون بجمع من فىها من تجّار البحر- و البر- إلى الشّحر شحر مهره فىقوم سوقهم تحت ظل الجبل الذى علىه قبر هود النّبى علىه السّلام و بىيعونهم بما ىنفق بها من الأدم- و البز- و سائر المرافق- و ىشترّون بها الكندر و المر- و الصّبر- و الدّخن- و لم ىكن بها عشور، لأنّها لىست بأرض مملکه و كان جمع من ىختلف إليها من العرب بتجاره ىتخفّر ببنى ىثرب و هى تقلل من مهره، و كانت سوقهم تقوم للنّصف من شعبان و بىيعهم بها بإلقاء الحجاره.

عدن

ثم ىرتحلون منها إلى عدن إلّا تجار البحر، فإنه لا ىرتحل منهم إلّا من بقى من بىعه شىء و لم بىعه، فىوافى النّاس بعدن من بقى معه من تجار البحر شىء و من لم ىكن شهد الأسواق التى كانت قبلها و كانت تقوم أوّل يوم من شهر رمضان إلى عشر ىمضين منه.

ثم ىنقشع النّاس منها إلى مثلها من قابل، و كانوا لا ىتخفّرون بأحد، لأنّها أرض مملکه و أمر محکم و كانت تعشرهم ملوک حمير- ثم من ملک الیمن من بعدهم.

و آخر من عشرهم الأبناء من فارس غلبوا على الیمن و كان لا ىشترى فى أسواقهم و لا بىيع، و كان طیب الخلق جمىعا، بها ىعبأ و لم ىکن أحد ىحسن صنعه من غیر العرب، حتى أنّ تجار البحر لترجع بالطّيب المعمول تفخر به فى السّند- و الهند- و ترتحل به تجار البر إلى فارس و الروم، و إنّ بالنّاس على ذلك اليوم ما ىحسن اليوم عمله إلا أهل الإسلام بعدن.

صنعا

ثم ىرتحلون إلى صنعا فىأتونها بالقطن- و الرّعفران- و الأصباغ- و أشباهها مما ىنفق بها، و ىشترّون بها ما ىريدون من البز- و الحديد- و غیرهما. و كانت تقوم فى النّصف من

شهر رمضان إلى آخره، ثم تنقشع إلى مثلها من السنه المقبله و بيعهم بها الجس جس اليد، و لم يكن أحد من أهل هذه الأسواق يريد السوق الأخرى إلا إذا اشترى رجل من أهل بلده، فإنه كان يشتري منه كما يتبايعون بتلك البلاد.

ثم رايه حضرموت و عكاظ

ثم يصدر الناس عنها إلى سوقين. أحدهما: رايه بحضرموت و الأخرى عكاظ في أعلى نجد و عكاظ قريب من عرفات.

فأما رايه فلم يكن يصل إليها أحد إلا بخفاره لأنها لم تكن أرض مملكه و كان من عزّ فيها بزّ صاحبه، فكانت قريش تتخفّر ببني أكل المرار من كنده، و سائر الناس بآل مسروق بن وائل الحضرمي، فكانت مكرمه لأهل البيتين، و فضل أحدهما على الآخر كفضل قريش على سائر الناس، فكان يأخذ إليها بعض الناس و بعضهم إلى عكاظ، و كانتا تقومان بيوم واحد في النصف من ذي القعدة.

و كانت عكاظ من أعظم أسواق العرب، و كانت قريش تنزلها- و هوازن- و غطفان- و خزاعه- و الأحابيش- و هم الحارث بن عبد مناه- و عضل و المصطلق و طوائف من أفناء العرب ينزلونها في النصف من ذي القعدة فلا يرحون حتى يروا هلال ذي الحجة. فإذا رأوه انقشعت و لم يكن فيها عشور و لا خفاره، و كانت فيها أشياء ليست في أسواق العرب، كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسييف الجيد- و الحلة الحسنه- و المركوب الفاره- فيقف بها و ينادى عليه ليأخذه أعزّ العرب، يراد بذلك معرفه الشريف و السيد فيأمره بالوفاده عليه و يحسن صلته و جائزته، و كان بيعهم بها السرار، فإذا وجب البيع و عند التاجر ألف رجل ممن يريد الشراء و لا يريد له الشركه في الربح.

ذو المجاز و نظاه خيبر و حجر اليمامة

فإذا أهلوا هلال ذي الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذي المجاز، و هو قريب من عكاظ و أقاموا بها حتى يوم الترويه، و يواتيهم حينئذ حجاج العرب و رءوسهم ممن أراد الحج ممن لم يكن شهد الأسواق، و كانت العرب في أشهر الحج على ثلاثه أهواء: منهم من يفعل المنكر و هم المحلون الذين يحلون الحرم فيغتالون فيه و يسرقون، و منهم من يكفّ عن ذلك و يحرمون الأشهر الحرم، و منهم أهل هوى شرعه، لهم صلصل بن أوس بن مخاشن بن معاويه بن شريف من بني عمرو بن تميم فإنه أحلّ قتال المحلين.

قال أبو المنذر عن أبيه و خراش: هذا قول بني تميم، فأما الثبت عندنا فهو القملى الكنانى و أجداده من قبله و هو الذى نسا الشهور- و المحلون- طيىء و خثعم و ناس من بني

أسد بن خزيمه. و كان أشراف العرب يتوافون بتلك الأسواق مع التجار من أجل أنّ الملوك كانت ترضخ للأشراف، لكلّ شريف بسهم من الأرباح، فكان شريف كلّ بلد يحضر سوق بلده، إلّا عكاظ فإنّهم كانوا يتوافون بها من كلّ أوب و لا يوافيها شريف إلّا و على وجهه برقع، مخافه أن يؤسر يوماً، فيكبر فداؤه، فكان أوّل من كشف القناع طريف العنبري لما رآهم يطلعون في وجهه و يتفرّسون في شمائله، قال: قبح من وطن نفسه إلا على شرفه، و رمى بالقناع و حسر عن وجهه، قال يذكر قصته و عذره في مخالفه من قبله. شعرا:

أ و كلّما وردت عكاظ قبيلهبعثوا إلى عريفهم يتوسّم

قال أبو المنذر عن أبيه: كان الرّجل إذا خرج من بيته حاجاً أو داجاً و الدّاج التّاجر في الشّهر الحرام، أهدي و أحرم، ثم قلّد و أشعر، فيكون ذلك أماناً له في المحلين. و كان الدّاج إذا انفرد و خشى على نفسه و لم يجد هدياً قلّد نفسه بقلاده من شعر أو وبر، و أشعر نفسه بصوفه، فيأمن بها، و إذا صدر من مكه تقلّد من لحاء شجر الحرام. و كان الدّاج و غيره إذا أمّ البيت و ليس له علم بذلك و لا هو في سيماء المحرّم أخذ المحلّون ما معه، و كانت العرب جميعاً تنزع أسنتها في الأشهر الحرم غير المحلّين و الذين يقاتلونهم، فإنّهم كانوا يقاتلونهم حتى الأشهر الحرم.

و كانت الخمس تدع عرفات تهاوناً بها و إخلالاً، و تدع الصّفا و المروه فأنزل الله تعالى:

إِنَّ الصّفا وَ المَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ [سوره البقره، الآيه: ١٥٨] الآيه و أنزل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَلُّوا شَعَائِرِ اللَّهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ [سوره المائده، الآيه: ٢] الآيه. هذا للمسلم:

وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا [سوره المائده، الآيه: ٢] فأذن لهم في الصّييد بعد أيّام التّشريق و حرّم عليهم الذي أهلّ لغير الله به مع المنخنقه بالجبل إذا لم تدرك زكاتها، فهي حرام، و الموقوده كانوا يقذون الدّابه العضل من الإبل- و البقر- و الغنم- ليرخص لحمها. و المترديّه التي تردى في بئر أو من جبل. و الطّيححه التي تنطحها شاه أخرى فتموت. و ما أكل السّبع إلا- ما زكّيتم أدركتموه و به حياه. و ما ذبح على التّصّب يعنى آلتهم التي كانوا يعبدون من دون الله.

قال أبو المنذر: و تزعم مضر أنّ أمر الموسم و قضاء عكاظ كان في بنى تميم، يكون ذلك في أفخاذهم الموسم على حده- و عكاظ على حده- و كان من اجتمع له ذلك منهم بعد عامر بن الطّرب العدواني- و سعد بن زيد مناه بن تميم- و قد فخر المخبيل بذلك في شعره فقال:

ليالي سعد في عكاظ يسوقها له كلّ شرق من عكاظ و مغرب

ثم وليه حنظله بن مالك بن زيد مناه بن تميم. ثم وليه ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم، ثم وليه مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، ثم وليه ثعلبه بن يربوع بن حنظله، ثم وليه

معاويه بن شريف بن جروه بن أسيد بن عمرو بن تميم، ثم وليه الأضبط بن قريع بن عوف بن سعد بن زيد مناه بن تميم. ثم وليه صلصل بن أوس بن مخاشن بن معاويه بن شريف بن جروه بن أسيد بن عمرو بن تميم. فكان آخر من اجتمع له الموسم و القضاء بعكاظ. ثم قتل رجل من محارب بعكاظ فادعى واحد قتله في قوله:

فإن فخرت يوما رجال محارب فيا طعنه ما قد طعنت أبا حرّ

فشدّ عليه رجل من محارب بعكاظ فقتله، فقال: بؤباخي حر. وقد ذكر ذلك شعراؤهم ثم وليه سفيان بن مجاشع بن دارم، فمات فافترق الأمر فلم يجتمع القضاء و الموسم لأحد منهم حتى جاء الإسلام، فكان يقضى بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، فمات فصار ذلك ميراثا لهم.

و كان آخر من قضى منهم و وصل إلى الإسلام الأقرع بن حابس.

و أجاز بالموسم أحد بنى عوفه بن سعد بن زيد مناه بن تميم. و كان آخر من أجاز منهم كرب بن صفوان بن حباب بن شجنه بن عطارذ بن عوف و هو الذى قام عليه الإسلام.

قال أبو بكر الدريدي: لم يكن حديث الأسواق فى كتاب أبى عبيده و إنما ألحقه أبو حاتم فنقلناه من كتابه.

فلَمَّا دخلت سنه خمس و ثلاثين من عام الفيل و ذلك قبل المبعث بخمس سنين حضر السّوق من نراز و اليمن - ما لم يروا أنّه حضر مثله فى سائر السّنين فباع النّاس ما كان معهم من إبل و بقر و نقد و ابتاعوا أمتعه مصر - و الشّام - و العراق - و فيمن حضر السّوق عمرو بن شريد السّلمى و ابنه معاويه و صخر، و حضر معمر بن الحارث بن الخيبرى بن ظبيان بن حن بن حزام بن كثير بن عذره جد جميل بن عبد الله الشّاعر، فلَمَّا نظر إلى عمرو و صافنه و أمر ولده أن يخدموه، ففعلوا فلَمَّا تقوّضت السّوق دعا عمرو بن الشّريد ابنه صخر و معاويه فقال لهما: إنّ معمر قد طوّقنى ما لم يطوّقنى أحد من العرب، و قد أحببت أن أكافئه، فقالا: افعل ما بدا لك، فدعا بكاتب و صحيفه فكتب: هذا ما منح عمرو بن الشّريد السّلمى معمر بن الحارث بن الخيبرى بن ظبيان بن حن بن حزام العذرى منحه ماله بالوحيد من أخلاف يثرب أطلال ذلك و مغانيه - و رسومه - و أعراضه - و دواويه - و زحاليفه - و قريانه - و برادغه - و قسوره - و عجرمه - و بشامه - و ينعه - و تاليه - و حماطه - و شبجه - و أراكه.

و أجزته - و حذاريه - و آكامه - و برقه - و علجانه - و كل ما صاء و صمت فيه - و بكت السّماء عليه - و ضحكت الأرض عنه - فهو لمعمر دون عمرو، و ممنوح به من نيات الصّدر - لا يشوبه كدر الامتتان - و لا أمارات الامتهان - مستنزل من هضاب الجندل و جرثومه و دّ بعيد المحل، لا تخلق الأيام جدته - و لا يركد لمتنسم بارحه ما دام الزّمان - و توقّد الحران -

و سمر ابنا سمير، و أقام حراء و ثبير. و كتب لخمس و ثلاثين عاما خلت من عام الفيل. ثم بعث بالكتاب مع طرف من طرائف اليمن و عدد إلى معمر. قال الأصمعي: فهي باقيه إلى الآن يفض على ولده دخلها و ذلك في أيام الرّشيد رحمه الله تعالى.

و قال ابن كناسه: إذا غابت الثريا مع غيوب الشّمس لم ترها أربعين يوما و ذلك أفولها، قال: و أهل الشّام يطلعونها لخمس و عشرين من غير أن تطلع أو يروها، فيقيمون أسواقهم فتقوم سوق (دير أيوب) و هي أول أسواقهم المذكوره، فإذا انقضت اعتدوا سبعين يوما.

ثم تقوم سوق (بصرى) قال فأدركتها تقوم خمسا و عشرين ليله، و أخبرت أنّها كانت تقوم بولايه بنى أميه ثلاثين إلى أربعين ليله، فإذا انقضت اعتدوا سبعين ليله.

ثم تقوم سوق (أذرعات) و هي اليوم أطولها قياما، و ربما لقيت النّاس صادرين منها و أنا وارد. ثم أصدر قبل أن تغلق، يقال: قلعت السّوق خفيفه.

قال: و زاد بعضهم فى الأسواق (المجنه) و هو قريب من ذى المجاز و الأسقى خلف حضرموت.

قال أبو المنذر: كانت بعكاظ منابر فى الجاهليه يقوم عليها الخطيب بخطبته و فعاله و عدّ مآثره، و أيّام قومه من عام إلى عام، فيما أخذت العرب أيّامها و فخرها و كانت المنابر قديمه يقول فيها حسان رضى الله عنه شعرا:

أولاء بنو ماء السّماء توارثوا دمشق بملك كبرا بعد كابر

يؤمّون ملك الشّام حتى تمكّنوا ملوكا بأرض الشّام فوق المنابر

و كانوا إذا غدر الرّجل، أو جنى جنايه عظيمه انطلق أحدهم حتى يرفع له رايه غدر بعكاظ، فيقوم رجل يخطب بذلك الغدر فيقول: ألا إنّ فلان ابن فلان غدر فاعرفوا وجهه، و لا تصاهروه، و لا تجالسوه، و لا تسمعوا منه قولا فإن أعتب و إلّا جعل له مثل مثاله فى رمح، فنصب بعكاظ فلحن و رجم و هو قول الشّماخ شعرا:

ذعرت به القطا و نفيت عنه مقام الذّئب كالرّجل اللّعين

و إنّ عامر بن جوين بن عبد الرّضى رفعت له كنده رايه غدر فى صنيعه بامرئ القيس بن حجر فى وجهه إلى قيصر، و رفعت له فزاره رايه وفاء فى صنيعه بمنظور ابن سيار، حيث اقحمته السنّه فصار بماله و إبله و أهله إلى الجبلين، فأجاره و وفى و صار النّاس بين حامد له، و ذام فذهبت مثلا.

الباب الحادى و الأربعون فى ذكر مواقيت الضراب و التناج، و أحوال الفحول فى الإلحاق و الغرور

و ما يتسبب من جميع ذلك، حالا بعد حال بقدره الله و إرادته.

قال الله تعالى: وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ [سوره التور، الآيه: ٤٥] والآيه. و قال تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ [سوره الزمر، الآيه: ٦] و دخل تحت قوله تعالى: كُلَّ دَابَّةٍ أَصْنَفٍ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ سَيَفْضَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قال ابن كناسه: إذا أنزى على الشاه عند اطلاع نجم من النجوم بالغداه جدت حين ينوء، و التخله مثل الشاه سواء. و قال الغنوى: وقت إرسال الفحول فى الإبل حين يسقط الذراع اليسرى، على أى حال من جذب أو حياء، فأما إذا كان الحياء فإنهم يرسلون الفحول قبل ذلك لسمن المال فهذا هو الوقت الأوسط للضراب، و كذلك الوقت الأوسط العام للتناج، لأن الميقات فى حمل الناقه سنه.

و قال أبو عبيده: سمعت الأصمعى يقول فى تناج الإبل قال: أجود الأوقات عند العرب فيه أن تترك الناقه بعد نتاجها سنه لا يحمل عليها الفحل ثم تضرب إن أرادت الفحل، و يقال لها عند ذلك: قد ضبعت. فإذا أورم حياؤها من الضبعه قيل: أبلمت. فإذا اشتدت ضبعتها قيل: قد هرمت. فإذا ضربها قيل قعا عليها وقاع و العيس الضراب. فإذا ضرب الفحل الإبل كلها قيل: أقمها إقاما، فإن كل عليها سنتين متواليتين فذاك الكشاف.

و البسر: أن يضربها على غير ضبعه، و اليعاره: أن يعارضها الفحل فتحمل. قال الراعى:

قلانص لا يلحقن إلّا يعارها عرضا و لا يشرين إلّا غواليا

قال: و من الإبل جرر يزيد على ذلك، فإذا أتت الناقه على مضربها و هو الوقت الذى لقحت فيه لقد أتت على حقها ولدت أو أدرجت.

وقال ابن كناسه: أقلّ التّاج بالباده مع طلوع الهرايين، و هو نتاج سيّء الغذاء لشده البرد و قله اللبن و العشب.

وقال الغنويّ: إذا تصوّب المرزم و هو الدّراع قبل سقوطه أرسلت الفحول في النّعم فضربت خيار الإبل و متعطّراتها، و هي التي تحسن للفحل بنقيها و حسن حالها، و هذا نحو قول أبي يحيى في طلوع الهرايين، لأنّ طلوعهما مع سقوط الدّبران.

و إذا سقط الدّبران: فالمرزم منصوب لأنّ بينه و بين الأفق نجمين، و هما الهقعه و الهنعه، و قول السّاجع إذا طلع القلب: هزّ الشّتاء كالكلب- و لم تمكن الفحل إلّا ذات شرب- شاهد لما قالاه.

ألا ترى أنّه جعله وقتاً لأول الصّراب فكذلك يكون وقتاً لأوّل التّاج و إذا كانت الأنتى مخصبه حسنه الحال أسرع الصّبعه و احتملت الصّراب فيقدم الفحل في إلحاقها، و إذا كانت هزيله لم تضبع و لم تمكن الفحل إلّا أخيراً و الوقت الذي ذكره الغنويّ من سقوط المرزم هو وقت يتحرّك فيه الثّبت لذلك قيل: إذا طلعت البلده- حمت الجعده، و زعلت كل تلمده، و قيل للبرد: اهده. و زعل التلمده نشاطها يعني تلاد المال.

وقال الغنويّ: فإذا سقطت النّثره استحق ضراب الإبل، و عفتت الفحول في النّعم، فإذا سقطت الجبهه أقتت الفحول النّعم. و (الإقمام) أن تلقح جميع النوق. فإذا سقطت الصّرفه: جفرت الفحول كلّها إلّا القليل إذا الفضل على الفحول في الهباب و القوّه، و الهباب: شدّه الهيج.

قال ابن كناسه: و أفضل التّاج الرّبعي و لا- يزال ما نتج فيه قويّاً حسن الحال إلى سقوط الصّيرفه، و هي آخر نجوم الرّبيع، ثم ينتجون في أوّل الصّيف إلى سقوط الغفر و ذلك صالح.

و يقال للذي ينتج بعد سقوط الغفر إلى أن يمضى الخريف يقال له: هبع، و يكون ضعيفاً لذلك سمّي هبعاً لأنّ الفصال الرّبعيه أكبر منه و قد قويت فهو لا- يلحقها إذا مشت لأنها أذرع منها فهبع في مشيه. و الهبع و الهبعان شبيه بالإرقال. و إذا نتجت الإبل تركت بواهل على أولادها إلى أن تبرك، فإذا بركت و أعتمت و ذهبت فحمه العشاء حلبت، فتلك حلبه العتمه و تكون للحى.

ثم لا- تزال بواهل على أولادها حتى يحضروا المياه، فإذا حضروا حلبت كلّ يوم عند الظّهر، ثم لا تزال بواهل، ثم لا تصر، ثم تعنق بين الصّيلاتين الظّهر و العصر فترضعها، ثم تصر و ذلك الفواق حتى تحلب تلك السّاعه من الغد و ربما قالوا: ثلث بها و ذلك أن تصيروا ثلاثه أخلاف و يدعوا للفصيل خلفاً واحدا يرضعه و ربما تركوها ترضع أمهاتها من أول

التَّهَار، ثم تصرَّ و إنما فعلت هذه الأشياء بالفصال حيث حضروا لأنها أعانت على نفسها و تناولت الشَّجر، فلا يزال للفصيل في أمه حظ حتَّى يطلع سهيل. فإذا طلع سهيل خلَّت، و هو أن يدخل عود في أنفه، فإذا أراد أن يرضع نخس الخلال ما دنا منه فأوجعه فتزيفه، و ربما أجروه، و هو أن يشقَّ لسانه فلا يقدر أن يمصَّ خلف أمه فإذا فطمت أولادها و اشتدَّ البرد حلبت الصُّرعين غدوه و عشيه.

و الكفاتان: و قد يفتح الكاف منه: أن يكون للرجل إبل يراوح بينها هذه تنتج و تحمل هذه.

و المخاض: إذا طلع سهيل مال و قال: إذا طلع سهيل أخذ أحدهم بأذن الفصيل ثم استقبل به مطلع سهيل يريه إيَّاه يحلف أنه لا يرضع بعد يومه قطره، و يفصله من أمه، و قد وصف أبو النَّجم ما ذكرناه فقال: يذكر عيرا رعت الرُّطب إلى أن تخرم وقته:

كان رعى الأنواء في تبكيرها دلوبها الأوَّل من ظهيرها

حتى إذا ما طار من خبيرها و بانت العيدان من عصيرها

و لجت القروم في نذورها و اصفرت الأعجاز من جفورها

بعد الثرى الملبَّد من خطيرها و اختارت الماء على هديرها

و اعلم أن الرُّطب لما تصرَّم و حاجت الأرض لجت الفحول في الغدور و تركت الخطران و التَّهدار، و طلبت الورود. و قوله: بعد الثرى الملبَّد من خطيرها مثل قول ذي الرِّمَّة:

و قربن بالزُّرق الحمائل بعد ما ثقوب عن غربان أوراكها الخطر

و إنما يصف نساء أقمن في مربع ما أقمن ثم قربن الفحول ليرتلحن عليها إلى المحاضر، و ذلك أنَّها لَمَّا جفرت استغنى عن ضرابها. و ثقوب الخطر تقلع ما لصق بأعجازها من أبوالها في أيام هبابها لأنها كانت تبول في أذناها، ثم تخطر بها فتضرب أوراكها فتلبد. قال: و قد وقتوا وقتنا آخر للضَّراب و هو إِدبار الحرِّ و إقبال البرد من آخر الخريف، و ذلك قبل الوسمى يشهد بذلك قول الرَّاَجَز ينعت إبلا شعرا:

مدالِق الورد مكينات الصِّدر عنابل الخلق نجيبات الخير

جوف لهنَّ بجر فوق بجر حتى إذا شال سهيل بسحر

كعشوه القابس يرمى بشرر أرسل فيها مقرما غير قفر

أصهب ذبالا غلافي الوبرففنن تعسرن بأذنان عسر

فجعل الزّمان الذى يرى فيه سهيل سحرا شائلا مرتفعا وقتا لإرسال الفحول فى النّعم،

و أدنى ذلك أن يكون الطالع بالغداه الصيرفه، و ذلك لانصراف الحر و انصرام القيظ، و آخر الخريف و قبل الوسمى. و قال ذو الرّمه يصف فحلا، قال شعرا:

إذا شمّ أنف البرد ألحق بطنه مراس الأوابى و امتحان الكواتم

أنف البرد: أوّله فأخبر أنّ هذا الفحل فى الوقت الذى ذكره متعب بطروقتة يمارس أوابيها، و هى التى لا تمكن من الضراب، و بامتحان كواتمها، و هى التى يظن أنها قد لقحت و ليست بلاقح، فيسرها ليعلم حقيقه اللقح، و ذلك أنّ النّاقه ربما تلقّحت و ليست بلاقح، و تلقحها أن تشول بذنبها و توزّع ببولها و تستكبر، و يقال: لا يمكن شىء من الحيوان الأنثى منها إذا كانت حاملا الفحل و لا- يطلبها الفحل إذا حملت، و ذلك أنه يجيئها و يتشممها، فيعرف أ حامل هى أم لا فيولّى عنها، فلا هى تمكّنه و لا الفحل يطلبها، و ذلك فى الإبل و الخيل و الحمير و البقر و الشّاه، قال الشّماخ.

شج بالزريق إذ حرمت عليه حصان الفرج واسقه الجنين

قال: يقول شجى هذا الحمار بريقه حيث لا يقدر أن يضربها لئما حملت واسقه يقول:

أتسق يعنى اجتمع جنينها فى رحمها. و الاتساق: الاستداره و الاجتماع، و فى التنزيل:

وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ [سوره القمر، الآيه: ١٨]. و قال شعرا:

إنّ لنا قلائضا حقائقا مستوسقات لو يجدن سائقا

و قال أعشى عكل:

حتّى إذا لقحت و آخر حولها وضع الغيار و أحرز الأرحاما

أى لئما وجدها حولاً ترك الغيره و أحرز أرحامها، و يقال لها فى أوّل ما تضرب أيضا:

هى فى منيتها، و ذلك ما لم يعلموا أ بها حمل أم لا، فمنيه البكر عشر ليال، و منيه العقبى و هو البطن الثانى خمس عشره، و هى منتهى الأيام. و قول ذى الرّمه: إذا شمّ أنف البرد يريد أنّ النّاقه تتلقح له و ليست بلاقح، فقد أنضبه ذلك حتّى ألحق بطنه بظهره فجعل ذلك فى إقبال البرد.

و قال الكلابى: إذا طلع سهيل من آخر القيظ ثم لأوّل ما لقح من المخاض عشره أشهر فسّميت العشار، و انقطع عنها ذكر المخاض. و قول السّاجع: طلع سهيل. و برد اللّيل، و للفصيل الويل. و يروى: و لأم الفصيل الويل. و الفصل بين الرّوايتين أنّه إذا جعل الويل للأم فلاّنّ الفصل إذا فطمت فى هذا الوقت أسرع إلى ضعافها الفساد، فكثرت موتاها، و كذلك قيل: إذا طلعت الجبهه تحانت الولهه، و طلوع الجبهه مع طلوع سهيل. و إذا جعل

الويل للفصيل فذكر الأم كما يقال للإنسان: لأمك الويل، و إنما يراد به هو، و كما قيل هوت أمه و فى القرآن: فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ [سوره القارعه، الآيه: ٩].

و إنما يعم الفصال فى هذا الوقت بالفطام، لأنّ الأجواف تبرد فيه، و تكثر الأفياء و الظلال، و يطيب الوقت، فتقوى على الفطام. قال و يقال: امرأه نفساء و شاه ربّى، و فرس عائذ و أتان فريش: و هو أيام نتاجها، قال و العرب تقول: أحسن ما تكون المرأه غبّ نفاسها- و غبّ نباتها- و غبّ السماء- و غبّ التّوم- و أحسن ما تكون الفرس و الناقه غبّ نتاجها.

و حكى ابن الأعرابى قال: قالت هند بنت الحسن بن حابس الإياديه لأبيها: يا أبت مخضت الفلانيه النّاقه لأبيها. قال و ما علمك؟ قالت: المصلاراج- و الطّرق لاج. و تمشى و تفاج- قال: أمخضت يا بنيه فاعقلى، قال فلم تصبح فى مبركها. فقال أبوها لها: ما أراك إلا و قد ضيّعت، قالت: أما أنا و الله فقد رأيت عقدتى و اجتهدت، منتى و نقضت عذرتى.

قال: استوثقت إذا قال، و يقال: قالت شددتها شدّا اهترت منه عذرتى، و انقضت منه أذرتى. قال: حرّكت يد ناقتك؟ فقضوها فوجدوها تفحص فى مبرها. راج يرتج: لاج يلج فى سرعه الطّرف. تفاج: تباعد ما بين رجليها، مبرها: منتجها.

و حكى ابن الأعرابى عن بعضهم: أيهم أحبّ إليك من الإبل: المعشار أم المشكار أم المغبار؟ قال: فالمعشار: التى تغزر أيام تنتج، و المشكار: التى تغزر فى أوّل الرّبيع صيفتها ثم ينقطع، و المغبار: الباقيه الغبر التى تدوم على محلها و هى الرّفود المكود، و المجالح التى تقضم عيدان الشّجر اليابس فى الشّتاء، فيبقى لبنها لذلك.

و حكى أيضا ناقة مقراع مضباع مسناع مربع. قال: و المقراع: التى تلقح لأوّل قرعه و المضباع: التى تعجل ضبعتها، و المنساع: السّينيه العظمه القدر، و المربع: التى تلقح فى أوّل الربيع و هى خيار الإبل. و أنشد: (طب ياظهار المربيع الشّور) يصف فحلا بأنّه عالم بأحوال التّوق و الشّور: جمع شوره يقال: ناقة شوره: إذا كانت خيارا و ناقة شيار: إذا كانت سمينه، و أنشد ابن الأعرابى لغيره شعرا:

قامت تريك لقاها بعد سابعهو العين ساجيه و القلب مستور

كأنما بصلاها و هى عاقدهكور خمار على غدراء معجور

البكر من الإبل يسمّى بعد أربع عشره و إحدى و عشرين. و المسنّه: بعد سبعة أيام، و الاستماء: أن يأتيتها صاحبها فيضرب بيده على صلاها و ينقر بها فإن اكنارت بذنبها، و عقدت رأسها، و جمعت بين قطريها رأسها و ذنبها، علم أنّها لاقح، و قوله مستور: إذا لقت ذهب نشاطها.

و يقال: مسيت النَّاقه إذا سطوت عليها و هو إدخال اليد فى الرِّحم، و المسى: استخراج الولد، و المسط: أن تدخل اليد فى رحمها فتستخرج وثرها و هو ماء الفحل يجتمع فى رحمها ثم لا يلقح منه، يقال: قد وثرها الفحل يثرها وثرًا إذا أكثر ضرابها فلم تلقح.

فأما قوله تعالى: وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ [سوره النور، الآية: ٤٥] و ما تضمَّنه من تنويع الخلق فقد قيل فيه: إنَّ ما مشى على رجلين فركبته فى رجله مثل الإنسان و النعام و الطَّير كلَّها، و ما كان من الخلق كلَّه يمشى على أربع فركبته فى يديه خلافا لما يمشى على رجلين مثل الإبل و البقر و الخيل و الحمير، و ما كان فى الرِّجلين فهو عراقيب و لا يقال ركب.

و كلَّ حيوان مصمت لا شقَّ فى قوائمها مثل الخيل و ذواتها فليس لها أكراش، و لا تجتر و يكون لها أعفاج. الواحد: عفج و إنما تجتر ما كان لها كرش، و هو من ذوات الأربع من الدَّوات التى فى قوائمها خف كالإبل و البقر و الغنم فهى ذوات الأكراش و تجتر.

و ما كان من الخلق له أذنان ناتئتان فغرموله (١) ناتئ ظاهر و كذلك مذاكيره ظاهره بينه ترى. فما كان كذلك تلد ولاده مثل الإبل- و الخيل و السَّباع- و الفأر- و الخفاش- فإن أذنيه ناتئتان و غرموله ناتئ- و هو يلد و إن كان من الطَّير.

و ما كانت أذناه ممسوحيتين لا- تظهران فكذلك ذكره لا- يظهر و هو يبيض مثل الطَّير كلَّها و الحيات- و السِّمك- و جوارح الطَّير.

و أمَّا من كان من الطَّير يغر فراخه أى يزفها فليس يزيد على فرخين لعظم مئونه على أبويه مثل الحمام الأهلى- و الطَّورانى- و الورشان- و الفواخت- و القمارى- و الدِّياسى- و ما أشبهه.

و ما كان يطعم إطعاما، و لا- يغر غزا فهو أخفَّ مئونه على أبويه إذا كانا إنما يطعمانه إطعاما فهو يفرخ الثلاثة- و الأربعة- إلى السَّبعة- مثل البازى- و العقاب- و الصَّيقر- و الهدهد- و الغراب- و السُّودانى- و البلبل و الفتير- و العقق و العصفور فلخفه مئونه زاد على الاثنين، و ما كان لا يغر، و يطعم فهو أخفَّ مئونه من هذين و هو يلتقط التقاطا، و يفرخ العشره و العشرين و أقل و أكثر لخفه مئونه، لأنه يأكل بنفسه مثل الدَّجاج- و النعام و القبج- فهو يلتقط التقاطا ليس له مئونه على أبويه و هذا القدر فى التَّنبه على آثار صنعتة كاف فى هذا الموضع سبحانه ربنا من خبير.

١- الغرمول: بالصَّم: الذكر أو الضخم، الرِّخو قبل أن تقطع عزلته. القاموس المحيط.

الباب الثاني والأربعون فيما روى من أسجاع العرب عند تجدد الأنواء- و الفصول- و تفسيرها

إشاره

و هو فصلان:

فصل [في أن العرب أحفظ الأمم لما أدت إليه تجاربهم من أحوال الزمان و تعاقب الشهور و الأيام و اختلاف الفصول و الأعوام]

اعلم أنّ العرب أحفظ الأمم لما أدت إليه تجاربهم من أحوال الزمان- و تعاقب الشهور و الأيام- و اختلاف الفصول و الأعوام- بما يتجدد فيها من الأحداث- و يتغير من تدبير المعاش- فهم على اختلاف ديارهم- و تباين أوطانهم و تفاوت هممهم- يراعون من هبوب الرياح- و طلوع الكواكب- و تبدل الأوقات- ما لا يراعيه غيرهم من سكان المدر- و الوبر- و قطان البدو- و الحضر- و ليس ذلك مستحدثا فيهم. وإنما هو عادة منهم يتوارثونه الخلف عن السلف- و الغابر عن الماضي- و مقياسهم طول الدرّبه- و دوام التفقد- فلهم اعتبار في كلّ ما يتجدد في الجو من طلوع كوكب أو أفوله- و هبوب بارح- أو سكون يؤدّيهم إلى ما بينون عليه أمرهم في مقامهم و ظعنهم و مزالفهم، و محاضرهم و يعتمدونه في مكاسبهم- و معاشهم- و مناتجهم- و ملاقحهم- و سائر متصرفاتهم- من غزو- و استباحه- و انتجاع و ملازمه- استغنوا به عن نظر أصحاب الحساب.

و توغلهم من لطائف البحث و الاستقصاء، فهم أتباع ما اعتادوا من البرق إذا لمع، و الغيث إذا أصاب و وقع، و الحر إذا أقبل و أدبر، و البرد إذا خفّ و اشتدّ، لا يغفلون و لا يضيعون، فسبحان من جعل لكلّ أمه خصائص صاروا لها بمنجاه من الشرّ، و عوائد أصبحو فيها على شفا الخير، و قد سجع حكماؤهم أسجاعا أبانوا بها فوائد يحبهم، أنا ذاكر ما يحضرنى مفسرا.

قال أبو حنيفه: وجدتهم بدءوا بالثريا و إن كان الشرطان قبلها في نسق المنازل، و لم أجد العله في ذلك إلّا تعطل الأنواء و انصرام الرّطب، و هجوم الحر و قوه البوارح، فجعلوا الشّغل بما هم فيه، و طلوع الثريا هو أماره قوه الحر عند الجميع لا اختلاف فيه، فقال

فقيههم: إذا طلع النجم- و يراد به الثريا تقى اللحم- و خيف السقم- و جرى السراب على الأ-كم. و قيل أيضا: إذا طلع النجم جعلت الهواجر تحتد، و العانات تكتدم، و قيل: طلع النجم غديه، و ابتغى الزاعى شكيه، و حكى الكلابى طلع النجم غديا و ابتغى الزاعى شقيا، يجوز أن يكون شقوى لغه فى شكوى، و يكون الشكوى بمعنى الشكوه، و قيل أيضا: طلع النجم عشاء، و ابتغى الزاعى كساء، و قيل أيضا: إذا الثريا طلعت عشاء قبع الزاعى الغنم كساء.

و حكى أبو زياد: إذا أمسى النجم يقبل فشهرة فتى و شهر جمل. و قيل أيضا: إذا أمسى النجم يدبر- فشهرة نتاج و شهر مطر، و إذا أمسى الثريا قم رأس. فليله فتى و ليله فاس- و مما يحفظ من كلام لقمان بن عاد: إذا أمسى الثريا قم رأس ففى الدثار فاحنس، و عظاماها فاحدس و أنهس بليل و أنهس، و إن سلت فاعبس و مما سير فيها قوله:

إذا ما قارن القمر الثريا بخامسه فقد ذهب الشتاء

و حكى النضر فى صدر هذا الباب: أضاءت ذكاء- و انتشر الدعاء- و إذا طلعت العقرب، و هى أول بروج الشتاء- جمس المذنب و مات الجندب و فرفر الأسيب.

إذا طلع الدبران توقدت الحزان، و هى ظواهر صلبه من الأرض ليست بجبال، و ييست الغدران و استعرت النيران، و استعرت الذيان- و رمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان.

و إذا طلعت الهقعه تقوض الناس للقلعه و رجعوا إلى التجمعه و أورست الفقعه و أزدقنها المنعه.

و إذا طلعت الجوزاء توقدت المغراء و أوفى على عوده الحرباء، و كنت الطباء، و عرقت العلباء و طاب الخباء. و يروى انتصب العود فى الحرباء، و إنما ذكرت الجوزاء مع الهقعه لأنها رأسها.

و إذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع، و أشعلت فى الأفق الشعاع، و ترقرق السراب بكل قاع.

و إذا طلعت الشعرى نشف الثرى، و أجن الصيرى، و جعل صاحب النخل يرى. و قال بعضهم: إنما ذكر الشعرى مع الذراع لأنها أحد كوكبيها و قيل:

إذا طلعت الشعرى سقرا، و لم تر مطرا، فلا تغدون إمره و لا أمرا. و أرسل العراضات ببغيتك فى الأرض معمرا.

و إذا طلعت الثرة قنات البسره، و جنى النخل بكره، و أدت المواشى حجره و لم تترك فى ذات در قطره.

و إذا طلعت الصّرفه بكرت الحرفه و كثرت الطّرفه، و هانت للضيف الكلفه.

و إذا طلعت الجبهه تحانت الولهه، و تنازت السّفهه، و قلّت فى الأرض الرّفهه، و قيل أيضا:

و إذا طلعت الجبهه تزيت التّخلهو إذا طلعت الثّره تشفّحت البسره

. و إذا طلعت العذره فعكه بكره على أهل البصره، و ليست بعمان بسره، و لا لأكاريتها بذره، و إنما ذكرت العذره هاهنا لأنها تطلع مع الطّرف أو قريبا منه.

و إذا طلعت الصّرفه احتال كلّ ذى حرفه و جفر كلّ ذى نطفه، و امتيز عن المياه زلفه.

و إذا طلع سهيل خيف السّيل، و برد اللّيل، و امتنع القيل، و لام الحوار الويل، (القييل) يريد القائله يقال: قال يقيل قيلا و قائله و مقيلا- و قيلوله. (و قيل أيضا): إذا طلع سهيل طاب الثّرى و حار اللّيل، و كان للفصيل الويل، و وضع كيل، و رفع كيل. قال بعضهم: ذكر سهيل لأنّ طلوعه مع طلوع الجبهه قال: و أهل الباديه يعظّمون الفصال عند طلوع سهيل، و قيل: إذا طلعت الصّيرفه احتال كلّ ذى حرفه، و قيل: احتال كلّ ذى جرفه، و جفر كلّ ذى نطفه، و امتزّ عن المياه زلفه.

و إذا طلع العوّاء ضربت الخباء و طاب الهواء و كره العراء و شنن السّقاء.

و إذا طلع السّماك ذهب الحرّ و العكاك، و استفاهت الأحناك، و قلّ على الماء العراك.

و إذا طلع الغفر افسعّر السّففر، و تزيّل النّضر و حس فى العين الجمر.

و إذا طلع الرّبانى أحدثت لكلّ ذى عيال شبانا، و لكلّ ماشيه هوانا و قالوا: كان و كانا.

و بردت الثنايا فاجمع لأهلك و لا تتوانى.

و إذا طلع الإكليل، حاجت الفحول، و شمّرت الدّيول تخوّفت السّول.

و إذا طلع القلب، جاء الشّتاء كالكلب، و صار أهل البوادي فى كرب و لم تمكن الفحل إلّا ذات ثرب.

و إذا طلعت الشّوله أعجلت البوله، و اشتدّت على العيال العوله، و قيل: شقوه و زوله.

و إذا طلع الهرازان هزلت السّمان و اشتدّ الرّمان و وحوح الولدان. و (الهرازان): قلب العقرب و النّسر الواقع و هما يطلعان معا.

و إذا طلعت النّعائم توسّقت البهائم، و قيل أيضا: إذا طلع النّعام، كثر الغمام و ذلك ليل التّمّام، و قيل أيضا: إذا طلعت النّعائم ابيضّت البهائم من الصّقيع الدّائم، و أيقظ البرد

كَلِّ نَائِمٍ. و روى خالص البرد إلى كَلِّ نَائِمٍ، و تلاقت الرِّعاء بالنَّمائِم.

و إذا طلعت البلده حممت الجعده و أكلت القشده و زعلت كل ثلده و قيل للبرد اهده، و القشده و القلده و الخلاصه: ما يسلاً به السَّمَن.

و إذا طلع سعد الذَّابِح حمى أهله النَّاتِح، و نفع أهله الرِّائِح، و تصبِح السَّارِح و ظهر فى الحى الأنافِح.

و إذا طلع سعد بلع اقتحم الرِّبَع و لحق الهبع و صيد المرع و صار فى الأرض بقع أو لمع و قيل تشكى كَلِّ رِبَع.

و إذا طلع سعد السَّعود: مضر العود، و لانت الجلود، و كره النَّاس فى الشَّمس القعود.

و إذا طلع سعد الأخبیه: ذهب الأسيه، و نزلت الأحويه، و تحاورت الآنيه، و قيل إذا طلع السَّعد كثر الثَّعد.

و إذا طلع الدَّلُو نيت الجزو، و انسلَّ العفو، و طلب اللُّهو الحلو، و قيل أيضا: إذا طلع الدَّلُو فهو الرِّبَع و البدو. و القيظ بعد الشَّتو و كان فيه كل نوء أى مطر.

و إذا طلعت السَّمكه: أمكنت الحرکه و تعلقت الحسكه و نصبت الشَّبكه و طاب الرِّمان للنَّسكه.

و إذا طلع الشَّرطان استوى الرِّمان و حضرت الأعطان و توافت الأسنان و تهادت الجيران و بات الفقير بكلِّ مكان، و ألقيت الأوتاد فى الأبطان و قيل أيضا: إذا طلع الشَّرطان ألقى الإبل أوبارها فى الأعطان.

و إذا طلع البطين اقتضى الدِّين و امتيز بالعين و اقتفى العطار و القين. و من هذا قول الشاعر شعرا:

فإن كنت قينا فاعترف بنسيه و إن كنت عطارا فأنت المخيب

أفينا تسوم الشَّاهريه بعد ما بدا لك من شهر المليساء كوكب

المليساء: تصغير الملساء، و الشَّاهريه: جنس من الطَّيب، و الاقتفاء: الكرامه و قيل أيضا: إذا طلع البطين تزينت الأرض بكل زين. و قيل: إذا طلعت الهنعه تحمل النَّاس للقلعه.

و إذا طلع الدَّرَاع: هرات السَّناسن و الكراع، و هرات: نضجت من قولهم: لحم مهراء. و السَّناسن فقار الظَّهر و الواحد سنسن.

و إذا طلعت النّثره التقط البلح بكره، و إذا طلع الطّرف شقح الطّرف.

و إذا طلعت الجبهه تزينت البهه، و هو ضرب من النّخل.

و إذا طلعت الخرأتان: طابت أم الجرذان لضرب من التّم.

و حكى ابن الأعرابى: إذا طلع سهيل أخذ أحدهم بإذن الفصيل، ثم استقبل به مطلع سهيل، يريه إياه ثم يحلف أنّه لا يرضع بعد يومه ذلك قطره و يفصله من أمه.

و قيل: إذا طلع سعد الذّابح- انحجرت الضّوايح- و لم تهّر النّوايح- من الشّتاء البارح.

و قيل: طلع الحوت- و خرج النّاس من البيوت- و قيل: طلعت الأشرط، و نقصت الأنباط.

تفسير ما فيه إشكال من ألفاظ هذه الأسجاع: الاحتدام: الدّكاء و يقال: احتدم الرجل: إذا تلظّى غضبا. و الحطم: الكسر. و الشّكوه: الشّقاء الصّغير من مسك السّخله قبل أن يقرم. و قرمه: أكله الشجر، و القبل: أصله النّشر من الأرض يستقبلك.

و قال أبو زياد: إذا أمسى النّجم مقابلك من المطلع على قدر رمح أو رمحين قال:

و الدّبران تراه قد انصبّ عن وسط الشّماء حين تبدو النّجوم قم الرّأس، بأن تكبد السماء حتى إن سقط لسقط على رأس القائم، و قوله: (عظامها) يريد عظمى إبله و غنمه و المراد به الجنس.

و الحدس: الصّرع يقال: حدس بناقته فوجأها فى سبيلتها: إذا أناخها فوجأها فى نحرها.

و حكى عن بعضهم حدس لهم بمطفئه الرّصف، إذا ذبح لهم شاه يطفى الرّصف من سمنها. و الرّصف: الحجارة المحماه. و استفار: الدّبان شدّه أذاها و معرفتها. و الإيراس:

الاصفرار. و أردفتها: جاءت بعدها يقال ردفته و أردفته و إذا جعلته خلفك فليس إلّا أردفته.

و قال يزيد بن القحيف الكلابى: يقول الرجل للرجل يلقاه: هل لك علم برفقه بنى فلان؟ فيقول: نعم ها هي ذه مردفتنا أى وراءنا.

و يقول: حسرت الشّمس القناع، و هو مثل، و المعنى أنها لم تدع غايه فى الذكو.

و يقال للشّمس إذا اشتدّ حرّها و لم يحل من دون شعاعها شىء: انصلعت و يوم أصلع:

أى حام و أنشد:

يا قرده خشيت على اظفارها حرّ الظهره تحت يوم أصلع

و الخرفه: ما لقط من الرطب و خرفت فلانا و أخرف لنا أى اجتنى.

و تشقيح البسره أن تحمر: يقال شقح بسر و أشقح إذا تلون بحمره.

قال الأصمعي: الأمر و القميد الصيغير من أولاد الضأن، قال أبو عمر و هو السائمة كلها. و العراضات: الإبل العراض واحدتها عراضه، لأن آثار أخفافها فى الأرض عراض.

و الولهه: جمع والهه و هى ما بقى فى المداوس من التبن بعد تنقيته من الحب. و من أمثالهم: هو أغنى عن ذلك من التفه عن الرفه. و التفه عناق الأرض و هو لا يقات التبن لأنه سبع. و أم جردان: نخله بالحجاز يتأخر إدراكها.

قال الأصمعي: هو المشان بالعراق، و الجفور: الانتهاء من الضراب و الامتياز التنحى. و استفاهه الاحناك: شهوه الطعام، يقال: رجل فيه للجد الأكل، و اللكاك: التدافع و التراحم، و النضر: الخضر من كل نابته، و الوحوحه: حكاية صوت الولدان من البرد، و الزوله: المنكره. و قوله قرب الأشيب أقر الأشيب يعنى الثلج و الجليد، و ابيضاض البهائم من السقيط الواقع على ظهورها. قال شعرا:

و أصبح مبيض الصقيع كأنه على سروات التيب قطن مندف

و التوسف: التقشر. قال:

و أوقدت الشعرى مع الليل نارها و أمست محولا جلدها يتوسف

و تحميم الجعده: أن تراها قد همت باطلاع كما تحمم وجه الغلام إذا هم بالبقول.

و قوله: كل تلده فهو من التلاد و الزعل و النشاط، و (البلده): من التليد، و (اقتحام الرباع) إسراعه فى عدو لأنه قوى، و (المرعه) طائر سمين طويل العنق يملأ كفى الإنسان، و أكثر ما يرى فى الخضره و العشب. و أنشد:

له مرغ يخرج من تحت و دقهمع الماء جون ريشها يتصبب

و يقال: هو أحرص شىء على الطيران فى المطر، و هى خضراء، أشربت صفره، و (التعد): العشب و (الغض): الرطب. و من الأسجاع: كلاء تعد ماد يشبع منه الناب، و هى تعدو، و (الماد): الناعم و (الحواء) قطعه من بيوت الأعراب. و (الحسكه): ثمره السعدان و هى بقله تتسطع على الأرض إذا نبتت، و (الأنباط): المياهم المظهره نحو الآبار.

و (القنى): ما أنبطته فهو نبط و فى المثل: لتجدن نبطه قريبا، و (الجزء) الاجتراء بالرطب عن الماء، و إنما قيل: (هيب): لأنه يخاف انقطاعه و (العفو) ولد الحمار، يقال: نسل و أنسل بمعنى إذا ألقى وبره.

فصل [فى أن الفصل اسم قد جرى فى كلام العرب و جاءت به أشعارهم]

و اعلم أن الفصل اسم قد جرى فى كلام العرب و جاءت به أشعارهم قال يصف حميرا شعرا:

نظائر حون يعتلجن بروضهفصل الزبيح إذ تولت ضباثه

و سَمِيَ فصلا لانفصال الحرّ من البرد، و انقلاب الزّمن عن الزّمن الذى قبله.

و يقال للفصول: الفصيّات، الواحده فصيه و هى الخروج من حرّ إلى برد و من برد إلى حر، و الفصيّه تصلح فى كل أوقات السنه متى خرجت من أذى إلى رخاء، فتلك فصيه، و لا يستعمل الفصل إلا فى حينه. فأما الأصمعى فإنه قال: الفصيّه: أن تخرج من برد إلى حر، و أفصى القوم و هم مفصون و يقال: لو أفصينا لخرجت معك.

الباب الثالث والأربعون في ذكر العيافه و القيافه و الكهانه

اشاره

و هو ثلاثه فصول

فصل [في حكايه قصه ترتبط بالعيافه]

حكى ابن الأعرابي قال: أضلّ رجل زودا له و أمه، فخرج في طلبها فمر برجل من بنى أسد يحلب ناقه فسأله هل أحسست من زود فيه أمه سوداء؟ فقال: لا و لكن ادن منى أحلب لك فتشرب ثم أدلك على زودك و أمتك فدنا فحلب له فسقاه، ثم قال له: ما سمعت حين خرجت من أهلك قال: نباح الكلب- و ثغاء الشاء- و رغاء البعير- قال نواه تنهاك. قال ثم رأيت ما ذا؟ قال: ثم عرض لى الذئب فقال: كسوب ذو حيله، قال ثم رأيت ما ذا؟ قال:

عرضت لى النعامه، قال: ذات ريش و اسمها حسن، هل تركت في أهلك مريضا يعاد؟ قال:

نعم. قال: فارجع إلى أهلك فإنّ زودك و أمتك في أهلك فرجع، فوجد ذلك كما قال. قال:

و إنّما قال هل في بيتك مريض يعاد من قوله شعرا:

صعل يعوذ بذى العشيره بيضهكالعبد ذى الفرو الطويل الأصلم

فصل [في حكايه قصه ترتبط بالقيافه]

و قال هشام الكلبي: حدّثنى أبى عن أبى الذّيال بن نغر عن الطّرماح بن حكيم الشاعر، قال: خرج خمسه نفر من طى ء من ذوى الحجى و الرأى (منهم برج) بن مسهر و هو أحد المعمرين و (أنيف بن حارثه بن لام) و (عبد الله بن) سعد بن الحشرج أبو حاتم طى ء و (عارق) الشّاعر و (مره بن عبد رضا) يريدون سواد بن قارب الدّوسى و كان كاهنا ليمنتحنوا علمه، فلما قربوا من السّيراه قال ليخبيّ كل واحد منكم خبيئا، و لا يخبر به صاحبه، لنسأله عنه، فإن أصاب عرفنا علمه، و إن أخطأ ارتحلنا عنه و أحللنا عنه، و أحللناه محله، فخبأ كلّ واحد منهم خبيئا.

ثم صاروا إليه فأهدوا له طرفا من طرف الحيره و إبلا فضرب عليهم قبه و نحر لهم، فلما مضت ثلاث دعاهم فدخلوا عليه فتكلم برج و كان أسنهم فقال له: جادك السحاب- و أمرع لك الحباب- و ضفت عليك النعم الرغاب- نحن أولو الآكال- و الحدائق- و الأغيال- و النعم الجفال- و نحن أصهار الأملاك و فرسان العراك- يورى عنه أنه من بكر بن وائل.

فقال سواد و السيماء و الأرض- و الغمر- و البرض- و القرص- و الفرض- إنكم لأهل الهضاب الشم- و النخل العم- و الصخور الصم- من أجا العيطاء- و سلمى ذات المرقبه السيطعاء- فقالوا: إنا لكذاك، و قد خبأ كل رجل منا خبيثا لتخبر الرجل باسمه و خبيثه. فقال لبرج:

أقسم بالضياء و الحلک- و النجوم- و الفلك- و الشروق و الدلك في أسنخه الفلك لقد خبأت برثن فرخ- في إعليط مرخ- تحت أسره الشرخ. قال: ما أخطأت شيئا، فمن أنا؟ قال: أنت برج بن مسهر عصره المعور و شمال المحجر.

ثم قام أنيف بن حارثه فقال: ما خبيثي و ما اسمي؟ فقال سواد- و السحاب و التراب- و الأسباب- و الأحداب و النعم الكتاب- و يروي الكباب- لقد خبأت قطامه فسيط، و قدّه مريط، في مدره من مدى مطيط فقال: ما أخطأت شيئا فمن أنا؟ فقال: أنت أنيف- قارى الضيف- و معمل السيف- و خالط الشتاء بالصيف.

ثم قام عبد الله بن سعد فقال: ما خبيثي و من أنا؟ فقال سواد أقسم بالسوام العارب و الوقير الكارب- و المجد الرّاكب- و المشيح الجادب- لقد خبأت نغائه فن- في قطيع قد مرن- من أديم قد جرن- فقال: ما أخطأت حرفا فمن أنا؟ قال: سعد النوال- عطاؤك سجال- و شرّك عضال- و عمدك طوال- و بيتك لا ينال.

ثم قام عارق فقال: ما خبيثي و ما اسمي؟ قال سواد أقسم بنقف اللوح- و الماء المسفوح- و الفضاء المندوح- لقد خبأت زمعه طلى أعفر- في زعنفه أديم أحمر- تحت حلس نضؤ أدبر- قال ما أخطأت شيئا فمن أنا؟ قال: أنت عارق ذو اللسان العضب- و القلب التدب- مضاء الغرب- مناع الشرب- مبيح التهب.

ثم قام مرّه بن عبد رضا قال: ما خبيثي و ما اسمي؟ قال سواد: أقسم بالأرض و السيماء- و البروج و الأنواء- و الظلمه و الضياء- لقد خبأت دمه- في زمه شيط لمه- قال: ما أخطأت حرفا فمن أنا؟ قال: أنت مره الشيريع الكره- البطىء الغره الشديده المره- القليل الغره.

قالوا فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك، فقال سوادا: أقسم بالنّاظر من حيث لا يرى- و السّامع من قبل أن ينجى- و العالم بما لا يدري- لقد عفت لكم عقاب عجزاء- على

شناغيب دوحه جرداء- تحمل جذلاء- فتماريتم إماً يدا و إماً رجلا، قالوا: كذلك كان ثم مه قال:

سنح لكم قبل ترجل الشروق سيدا مق على ماء طروق

قالوا: ثم ما ذا؟ قال: ثم تيس أفرق- فسنند فى إبرق- فرماه الغلام الأزرق- فأصاب بين الواهله و المرفق- قالوا: صدقت و أنت أعلم من تحمل الأرض ثم انصرفوا فقال عارق شعرا:

ألا لله علم لا يجارى إلى الغايات فى جنبى سواد

أتيناه نساؤه امتحاناو نحسب أن سيعل بالعناد

نساءل عن خفى مخبئات فأضحى سرّها للناس باد

حسام لا يليق و لا تتأعن القصد الميمم و السداد

كأنّ خبيتنا لما انتخبنا بعينه يصرّح أو ينادى

فأقسم بالعشائر حيث قيس و من نسل الأقيصر باللباد

لقد جزت الكهانه عن سطوح و شق و كم فل من الإياد

تفسير ما يشكل منه، (التعم): الرّغاب هى الكثيره منه (و أولو الآكال): يريد القطائع و كانت ملوك الحيره تقطع بكر بن وائل و لم يكن ذلك لغيرهم. و (الأغياال): جمع الغيل:

و هو الماء الجارى و بطن الوادى. و قوله: (نحن أصهار الأملاك): يريد بنت عمرو بن الحارث الملك الكندى أم أناس منهم و هم أصهار ملوك لخم أم عمرو بن امرئ القيس الذى كان يقال له: ابن ماء السماء- و ابن ماء المزن. و (الغمر): الماء الكثير، و (البرض):

الماء القليل و (النخل العم): الطّوال، و (العيطاء): الطّويله، و (السّيطعاء): الطّويله العنق، و (أجاء و سلمى): جيلان. (الحلك): الظلمه، (الدّلك): السّواد، (البرثن) الإصبع، و (الشّرخ): من الرّجل بمنزله القربوس من السّرج، و (الإعريط): وعاء تمر. (المرخ):

مثل وعاء الباقلى، و (المرخ): شجر، و (العصره): الملجأ و (المعور): الذى قد ظهرت عورته، و (الثمال): العصمه و (المحجر): الذى قد احجرته السّينه. و (الأصباب): جمع الصبب و هو المنحدر من الأرض، و (الأحدب): جمع حدب و هو المرتفع من الأرض، (الكتاب): المجتمع- و الكباب الكثير، و (القطامه): ما قطعته بأسنانك، و (الفسيط):

قلامه الظفر، و (المريط): سهم تمرط ريشه، و (المدى): ما سال من الحوض من الماء، و (المطيط): الخاثر بما بقى فى الحوض

من الماء، و (الوقير): القطيع من الغنم برعائه، و (العاذب): البعيد فى المرعى، و (القارب): القريب، و (الجادب): العائب، و (النگائه): ما ترميه من السواك، و (النّفنف): الهواء بين السماء و الأرض، و (جرن

و مرن): بمعنى لان، و (اللّوح): الهواء، و (العفّره): حمرة أشربت غبره، و (الزّعانف):

أطراف الأدم، و (الحلس): البرذعه و الكساء، و (النضو): الذى أنضاه السيفر، و (الأدبر و الحرب و السّرب): المال الرّاعيه، و (النّذب): الخفيف، و (الدّمه): التّملة الصّيه غيره، و (الزّمه): العظم البالى، و (المشيط): ما سقط من الشّعر عند المشط، و إذا كانت الرّيشه البيضاء ظاهرته فالعقاب عجزاء. و إذا بطنت فهي كسعاء. و (الجدل): العضو بكماله، و (الشّناغيب): أطراف الغصون العلى، و (الأمق): الطّويل، و (الرامله): رأس العضد الأعلى، و (الأبرق): حجاره اختلط بها طين، و (البعل): و البقر الدهش و يقال تثأثأ الرجل عن المكاره، إذا زال، و (اللّبّاد): موضع.

و مما رواه محمد بن إسحاق قال: ذكر وقع باليمن من الحبشه فيما بلغنى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس و غيره من علماء أهل اليمن ممن يروى الأحاديث و يرغب فى جمعها يحدث بعضهم عن بعض الحديث، و بعضهم يحدث بعضا كل ذلك قد اجتمع فيما أذكره، أنّ ملكا من لخم كان باليمن فيما بين التّابعه (١) من حمير يقال له ربيعه بن نصر، و كان قبل ملكه باليمن ملك تبع الأول ثم كان بعد تبع شمر بن عث بن ياسر بن ينعم الذى غزا الصّين و بنى سمرقند- و حير الحيره و هو الذى يقول:

أنا شمر أبو كرب اليماني جلبت الجند من يمن و شام

لناتى أعبدا مردوا علينا وراء الصّين فى غيم و يام

و إنّ الملك ربيعه بن نصر رأى رؤيا هالته، فبعث إلى الخيره من أهل أرضه و الكهان و السحار و العراف (٢) و المنجمين ثم جمعهم فقال لهم: إننى قد رأيت رؤيا أفزعتنى و هالتنى فأخبرونى بها، فقالوا: أقصصها علينا نخبرك بتأويلها، فقال: إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عنها أنّه لا يصيب تأويلها إلا الذى يخبرنى بها قبل أن أخبره، فلما قال لهم ذلك، قال رجل من القوم: إن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح و شق، فهما يخبرانه عما رأى من ذلك و هما أعلم من بقى، و كان سطيح رجلا من غسّان يقال له: سطيح الذئبى نسب إلى ذئب بن عدى بن مازن بن غسان و كان شق رجلا من قسر بن عبقر بن أنمار، و كانا كاهنى اليمن فى ذلك الزّمان و إليهما انتهت الكهانه، فأرسل الملك ربيعه بن نصر إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فدخل عليه فقال له الملك: يا سطيح إننى قد رأيت رؤيا هالتنى و فضعت بها حين رأيتها و إنك إن تصبها قبل أن أخبرك عنها أصبت تأويلها.

١- فى القاموس و التّابعه ملوك اليمن الواحد كسكر (تبع) و لا يسمّى به إلا إذا كانت له حمير و حضر موت ١٢ مصحح.

٢- قال فى كتر المدفون فرق بين.

قال: رأيت حممه خرجت من ظلمه- فوقعت تهمه- و في روايه فوقعت بين روضه و أكمه. فقال الملك: ما أخطأت من رؤياى و سمه، فما عندك في تأويلها يا سطيح؟ قال:

أحلف بما بين الحرتين من حنش- لتنزلق أرضكم الحبش- و ليملكن ما بين أبيين إلى جرش. قال له الملك: و أيبك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ و موجه فمتى هو كائن يا سطيح؟

أفى زمنى أم بعده؟ قال: لا بل بعده بحين- أكثر من ستين أو سبعين- يمضين من السنين.

ثم يقتلون فيها أجمعين- أو يخرجون منها هاربين. فقال له الملك: و من الذى يقتلهم، و يلى ذلك من إخراجهم؟ قال الذى يليه ابن ذى يزن- يخرج عليهم من عدن- فلا يترك أحدا منهم باليمن. قال الملك: أ يدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال سطيح: بل ينقطع. قال و من يقطعه؟ قال: نبي مكي يأتيه الوحي من قبل العلي. قال: و من هذا النبي يا سطيح؟

قال: رجل من دار غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر.

قال له الملك: و هل للدهر من آخر؟ قال: نعم يوم يجمع فيه الأولون و الآخرون- يشقى فيه المسيئون- و يسعد فيه المحسنون. قال له: أحق ما تقول يا سطيح؟ قال له: نعم و الشفق و الغسق و القمر إذا اتسق إن ما نبأتك لحق.

فلما فرغ من مسألته خرج من عنده و قدم عليه شق فقال له الملك مثل ما قال لسطيح، فقص عليه الرؤيا على ما قصها سطيح، فقال الملك: ما تأويلها يا شق؟ قال:

أحلف بما بين الحرّتين ليغلبن على أرضكم السودان و ليملكن كلّ طفله البنان- و لينزلن ما بين أبيين إلى نجران- قال الملك: و أيبك يا شق إن هذا لنا لغائظ فمتى هو كائن؟ أفى زمانى أم بعده؟ قال بل بعده بزمان- ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، فيذيقهم أشدّ الهوان. قال له الملك: و من هذا العظيم الشأن يا شق؟ قال: غلام ليس يدنى و لا مدن- يخرج من بيت ذى يزن- قال: فهل يدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل- يأتى بالحق و العدل- بين أهل الدين و الفضل- يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل- قال له الملك: و ما يوم الفصل يا شق؟ قال: يوم يجزى فيه الولاة و يدعى فيه من السماء دعوات، يسمع فيه الأحياء و الأموات، و يجمع الناس فيه للميقات، فيكون فيه لمن اتقى الفوز و الخيرات. قال له الملك: أحق ما تقول يا شق؟ قال: إى و ربّ السماء و الأرض- و ما بينهما من رفع و خفض- إن ما نبأتك به لحق ما فيه من أمض- فلما فرغ من مسألتهما وقع فى نفسه أنّ ما ذكره له كائن من أمر السودان فجهز بنيه و أهل بيته إلى العراق بما يصلحهم و كتب لهم إلى ملك من ملوك الفرس يقال له سابور بن خرزاد فأنزل الحيره. و فى غير هذا أنه قال للمنجمين و الكهنة لَمّا سألوه أن يقصّ عليهم رؤياه أنّها انسلخت منى فقالوا: ما عندنا علم المنسلخ و لكننا ندلك على من يعلم.

قال الدال على الفعل كفاعله فأرسل مثلاً فقالوا: أرسل إلى سطيح الغسانی فإنه يخبرك، فدعا سطيحا فأتى به محمولاً و لم يكن له عظم كان مستلقياً دهره يفتى الناس يأتيه رثى من الجن بأخبار السماء، و ما يحدث فى الأرض و لم تكن الشياطين ممنوعه من الاستراق إذ ذاك، و إنما رجمت بالنجوم و حجبت بعد مولد النبى صلى الله عليه و سلم، فالمسترق للسيمع الآن يرمى بنجم فيصيبه و لا يقتل بل يبقى مخبولاً إلى يوم القيامة.

و فى حديث إن الشيطان إذا رجم و خاف الاحتراق رمى بنفسه فى البحر.

و فى هذا الحديث أن سطيحا قال: أحلف بآله ما بين الحرتين إلى جرش- و ما بينهما من ذى ناب و حنش- ليقطعن أرضكم الحبش- فليقتلن من دب و انكمش. و فى روايه الشرقى ابن القطامى أنه قال: فمن يلى قتل الأحبوش. قال: غلام من ذى يزن- يأتى بنى الأحرار من قبل عدن- فلا- يترك منهم أحداً باليمن. قال: فهل يدوم ملك بنى الأحرار أو ينقطع؟ قال: يقطعه نبى زكى- يأتيه الوحي من قبل العلى. قال و من هذا النبى الزكى؟ قال:

رجل من ولد النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر.

قال الكلبي: اسم سطيح ربيع بن ربيعه بن مسعود بن عدى بن الذئب بن الحارث.

و قال الشرقى: أخذته ذئبه- و هو طفل فذهبت به إلى غيضة- فجعلت تغذوه بأنواع الثمار حتى أدرك و اشتد فهرب منها و أتى قومه فخبروهم بقصتها، و أقبلت فى أثره كالأم الثكلى تطلب ولدها فرمواها حتى قتلوها.

قال هشام: و شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرک بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار.

قال: و حدثنا أبو يحيى زكريا بن يحيى الساخى فى إسناد ذكره ينتهى إلى سعيد بن مزاحم. و حدث أبو الحسن على بن حرب الطائى فى إسناد ذكره ينتهى إلى مخزوم بن هانىء المخزومى، فقال: حدثنى أبى و قد أتت له خمسون و مائه سنة قال: لما كانت الليله التى ولد فيها النبى صلى الله عليه و سلم ارتجس إيوان كسرى فسقطت منه أربع عشره شرفه، و خمدت نار فارس، و لم تخدم قبل ذلك بألف عام و غاضت بحيره ساوه، و فاض وادى السماوه و كان منقطعا قبل ذلك بألف عام.

و رأى مؤبذ المؤبذان إبلا صعبا- تفود خيلا عرابا- قد قطعت دجله و انتشرت فى بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك و تصبر عليه. ثم رأى أن لا يستر ذلك عن وزرائه و مرابته فلبس تاجه و قعد على سريره و جمعهم إليه فأخبرهم بالذى رأى فينا هم كذلك، إذ ورد عليهم كتاب بخمود النار فازداد غمًا إلى غمّه.

قال مؤبذ الموبذان: و أنا أصلح الله الملك، فقد رأيت فى هذه الليله ثم قص عليه رؤياه فى الإبل، فقال كسرى: أى شىء يكون هذا يا مؤبذان؟ قال: حادث يكون من ناحيه العرب، فكتب عند ذلك من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، أمّا بعد فوجه إلى برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه، فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيه الغساني، فلما قدم عليه قال: هل عندك علم بما أريد أن أسألك قال: ليخبرني الملك فإن كان عندي منه علم و إلا دلتته على من يعلمه و يخبره فأخبره بما رأى. فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن بمشارف الشام يقال له سطيح، قال: فأته فأسأله عما سألتك عنه، ثم اثتيني بجوابه، فخرج عبد المسيح حتى ورد على سطيح، و قد أشفى على الموت، فسلم عليه و حياه فلم يرد عليه سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول شعرا:

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن؟ أم فاظ فأزلم به شاء و العنن

يا فاضل الخطه أعتت من و من و كاشف الكربه فى الوجه الغضن

أتاك شيخ الحى من آل سنن و أمه من آل ذئب بن حجن

أزرق جهم الوجه صرار الأذن أبيض فضفاض الرداء و البدن

لا يرهب الرعب و لا ريب الزمن و هو رسول العجم يسرى للوسن

يجوب فى الأرض علندن ذو فرن بلغه فى الريح يوغاء الدمن

كأنما حثث من حضنى تكن

فلما سمع سطيح شعره فتح عينيه، ثم قال: عبد المسيح على جمل طليح- و يروى مشيح- يخب إلى سطيح- و قد أوفى على ضريح، بعثك ملك بنى ساسان- لارتجاس الإيوان، و خمود النيران، و رؤيا المؤبذان، رأى إبلا صعبا، تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجله و انتشرت فى البلاد، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوه، و ظهر صاحب الهراوه، و غاضت بحيره ساوه، و فاض وادى السياموه، فليست الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملك و ملكات، على عدد الشرفات، و كل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح مكانه، فثار عبد المسيح إلى رحله و قال شعرا:

شمّر فإنك ماضى الهّم شميرلا يفرعنك تفريق و تغيير

إن يمس ملك بنى ساسان أفرطهم فإنما الدهر إفراط دهارير

فربما أصبحوا يوما بمنزلتههاب صولتهم أسد مهاصير

و ربّ يوم له ضحيان ذى أمرسارت بلهوهم فيها المزاهير

و أسعدتها أكف غير معرفهبح الحناجر تشنها المعاصر

من بين لاحق الصقلين أسفلهاو غث و عسلوج بادی المتن محصور

منهم أخو الصّرح بهرام و إخوته و الهرمزان و سابور و سابور
و النَّاس أَوْلَاد عَلَّات فَمِنْ عِلْمُو أَنْ قَدْ أَقَلَّ فَمَحْقُورٌ وَ مَهْجُورٌ
وَ هُمْ بَنُو أُمِّ مَنْ رَأَوْا لَهُ نَشَابِذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَ مَنْصُورٌ
وَ الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرِ مُتَّبِعٌ وَ الشَّرِّ مَحْذُورٌ

و فى غير هذا أنّ الملك قال لعبد المسيح: هل بقى فى العرب أحد يخبرنا عمّا نسأل عنه؟ قال: نعم ابن عم لى بباب الجاييه يقال له سطيح، و كان سطيح لحما يحمل فى جلد لم يخلق له عظم، و إذا أرادوا تحويله من موضع طوى كما يطوى القرطاس، فإذا أرادوا أن يتكهن مخض كما يمخض الزّق ثم علاه بهر و عرق، و علتة برحاء ثم تكهن. (و فيه) فلما قدم على كسرى أخبره بالخبر، فقال كسرى: إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكا يذهب دهر طويل، و كان الرّجل منهم ربّما ملك مائه سنه فهلك منهم تسعه فى أربع سنين، و ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و حدّث أبو المنذر عن شيوخه عن زفر بن زرعه قال: خرجت مع نفر من قومى فى الشّهر الحرام فى بغيه لنا فسرنا ثلاثا حتى إذا انخرقت لنا الفلاة نزلنا واديا موحشا فعقلنا رواحلنا. و قام رجل منّا فنادى بأعلى صوته: أعود بعزير هذا الوادى من شرّ من فيه، و كذا كئنا نفعل فى الجاهليه. و ذلك قوله عزّ و جلّ: وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [سوره الجن، الآيه: ٦] قال: فلما أبهار الليل و قد نام أصحابى و قعدت أكلؤهم و قد كئنا تحدثنا بخروج النبى صلى الله عليه و سلم بمكه، و شاع خبره فى العرب، سمعت هاتفا يقول: يا وزر بن خوتع بن غزوان- هل راعك اليوم حديث الرّكبان؟ عن نبأ أيقظ كلّ و سنان- فأجابه آخر شعرا:

أربت يا هوبر من داع دان روّعت معمود الفؤاد روبان

(أربت) قطعت إربا، و (المعمود): الذى قد عمد المرض فؤاده، و روبان ناعس ثقيل مسترخ من النّعاس جل فقد أشأزت قلبى الحيران- و قال الأول: قد لفظت مكه ذات أشبره.

جمع شبر و هى أربعة أمار ما كان أبونا أثره امار علامه أثره. رواه أنّ امرأ بين المنطباح الضّفر، أى متداخل بعضها فى بعض قد نجم القول الذى قد أظهر. فقال الثّانى:

إن كان يا بن نعجه بن صبره ما قيل حقا فابعثن حبشره

فى آل ز لقوم و آل سجره إنّ التى بنخله المستغفره

حلت بها أم اللميم القشره

العرب كانوا يستنفرونها فإذا صوّت كصوت الرّعد من أحد أعداء الوادى يقول:

إن كان ما أنبأتما قد كنا فقد أقم القلت الأوثانا

و لم تزو جناها الكهاناو صادفت دون العلى شهبانا

يمنعها أن تغرب الأعنانا

(أقم الفحل): شوله. إذا ضربها كلّها و (الأعنانا): نواحي السّماء. ثم صرخ صرخه اشتعل منها الوادى نارا، فخررت صعقا، فما استيقظت إلا بأصوات أصحابى فاظ و اللّات فاظ ذللا فانتهت، و اقتصصت عليهم قصّتى و رجعنا من سفرنا و قد شاع خبر النبى صلى الله عليه و سلم فى العرب.

و حكى الهيثم بن عدى عن شيوخه قال: انطلقت أم مالك و طيئى ابنا سبأ و هما ابنا أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان حين ترعرعا إلى كاهنه يقال لها: شهيره بأرض سبأ بموضع يقال له: بلخع لتنظر إليهما و تقول فيهما، و ساقّت معها إبلا- فوجدت فى طريقها سحق نعل، فجعلتها فى كرية نخل، ثم دفعتها إلى رجل معها من قومها يقال له: صعل، فقالت: أخبئى هذا معك حتى نثور الكاهنه بشىء قبل المسأله، فلمّا انتهت إليها عقلت ببابها ثم قالت: يا شهيره إنى قد خبأت لك خبئا فأخبرينى به قبل المسأله، فقالت: أقسم بالشّمس و القمر، و الكثكث و الحجر- و الزّياح و المطر، لقد خبأت لى جلد بقر أشعر، و ما به شعر محضر، أو ما به حضر. قالت أحلف بالسّهل و الجبل و الجدى و الحمل، و القمر إذا أفل، و ما حنّ بنجد من جمل، أن قد خبأت لى فرد نعل، فى كرنافه نخل- مع رجل يدعى صعل- رب شاه و حقل، قالت:

صدقت فأخبرينى عمّا جئت أسألك عنه، قالت: تسألين- عن غلامين ولدا فى يومين- فى بطن توأمين، (أحدهما): ربه جعد، تعنى طيا، و (الآخر): سبط نهد تعنى مالكا. قالت:

صدقت، فأخبرينى عنهما، قالت: أهما معك؟ فأراهما أم تسجع نبقت عنهما؟ قالت: هما معى فنظرت إليهما ثم أقبلت على مالك فقالت: يكون من ولده قبائل و عدد و مصاليت نجد، و رأس و كتد و حق و فند، يصيبون و يصابون، و يلحم عليهم و يلحمون الحق لا المين.

ثم نظرت إلى طىء فقالت: يكون فى ولده سماح و جلد و إباء و نكد و عرام و سدد يأكلون و لا يؤكلون، شديد و الكلب، قليلو السلب، الحق لا الكذب.

فهذا عنوان ما يحكى عن كهانتهم و غيظ من فيض ما يتلى من آياتهم و عبرهم و كلّ ذلك كان قبيل ما أراد الله تعالى اطلاعه من شأن النبوه بعد الفتره الممتده، لأنّه هو الحكيم العالم يسبّب الأسباب لما يقضيه- و يهيئ الآراب و الدّواعى لإتمام ما يمضيه، و يزيح العلل عما يتعبد به، و يسهّل الطرق إلى ما يدعو إليه حتى تصير المدارج صاحبه للسالكين و الدلائل متوافيه للتأظرين و المراصد ظاهره للمعتبرين، و أبواب الفلاح مفتحة للمسترشدين.

فلما دنا وقت خلق النبى صلى الله عليه و سلم و اصطفائه إياه لبعثه و رسالته و كان فى الجنّ من يقعد

للسمع إلى سكان السماء والمتصرفين فيما يجرى عليه أهل الأرض من خير وشر، ورفع ووضع فيؤدى ما يدركه إلى الكهنة، فيستوقون به ويدعون علم الغيب فيه، حكى الله تعالى أمرهم فى ذلك فى غير موضع، و بين أن الجنّ عزلوا عما كانوا يتولونه من التقاط الأنباء من أهل السماء و بثها فيمن كان يعبدهم من السحرة و الكهنة.

فقال عزّ و علا(١): وَ أَنَا لَمَشِينَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا نَاهَا مُمَلَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهَبًا [سوره الجن، الآية: ٨] وَ أَنَا كُنَّا نَقْعِدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا [سوره الجن، الآية: ٩] يريد أنا طلبنا السماء جريا على عادتنا من قبل فى التسمع إلى أهلها و قد حجبتنا الآن دونها و ملئت بمن يحرسها منا و يرمىنا بالنار إذا تعرّضنا له.

ثم ختم الكلام فى الحكايه عنهم بأنهم قالوا: لا نعلم ما ذا أريد بما فعل لأهل الأرض من الغي أو الرشد أو الصيلاح، أو الفساد يريدون ما خفى عليهم من ايتناف الرساله و استحداث الشريعة و الدلاله على أن لمسنا طلبنا قول الشاعر و هو يرثى ابنا له:

هوى ابني من أشرف يهول عقابه صعده

ثم قال:

الأم على تبكيه و ألمسه فلا أجده

فاقتران الوجدان بقوله ألمسه: يدل على أن المراد به أطلبه فلا أجده، و قال تعالى فى موضع آخر: وَ مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَ مَا يَشَاءُ يَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ [سوره الشعراء، الآية: ٢١٠ - ٢١٢] يريد تنزيه وحيه و تثبيت رسالته على لسان نبيّه.

فإن قيل: إذا كان أمر الكهان مع شياطين الجن على ما ذكرت و مؤدى الغيب على ألسنتهم من نقلهم كما اقتضت، فما الفرق بين أخبار النبي و أخبارهم؟ و بما ذا يتميز ما مبناه على الحق و الصدق لا تبديل يصحبه و لا خلف يعترض فيه مما هو بخلافه، و مبناه على التمويه و التشبيه و المخرفه و التزييف؟! قلت: إن أولئك الكهان إنما تكهنوا فى أثناء أيام الفتره المتأخره، و قبل طلوع سوابق المعجزه، و استقام لهم ذلك لما أراد الله تعالى من تمرين الناس على ما يريد إظهاره من إلام النبوه يدل على هذا أنه لم يحك ما يشبه بلاغاتهم عند الإخبار و الاستخبار فيما تقادم من أخبار ملوك قحطان و عدنان و الذوين و التبايعة و فيما ذكر قبلهم من أخبار طسم و جديس، و من كان فى الجاهليه الجهلاء، و إنما قامت أسواقهم فى أيام النعمان و المنذر ابن ماء السماء و أشباههم.

و إذا كان الأمر على هذا فكما تناهت البلاغه نظما و نثرا على ألسن فصحاء العرب لتعقبها التحدى بالقرآن، فبين شأن الإعجاز، كذلك تعالت أشواطها الكهوان و الحزاه فيما تهاذوا به و ادّعوه فى أوقاتهم من علم مكتمن الأخبار ليعلوها شأن النبى عليه الصّلاه السّلام فى إعلان المغيبات- و سائر ما أتى به من البينات.

هذا و قد كان امتلكتهم صرفه من قبل الله تعالى تمنعهم فيما يأتونه من ادّعاء نزول الوحي عليه.

فإن قيل: بما ذا يتفصل، مما قال لك إنّ التحدى بالقرآن- و عجز من فى زمانه عن الإتيان بمثله و بأقلّ سورة منه ضمن تصوير المراد من تبارى الخطباء و الشعراء، و الوصاف و البلغاء؟ إذ كان انبعاث همهم- و تحرّك شهواتهم- و احتياج طبائعهم له لا داعى إليها، و لا- مسبب لها عند الفحص و التأمل إلّا ذلك و يكشفه ما تراه من مساعده دخلائهم من غيرهم و تعاونهم عند الأخذ عنهم فى طلب الزيادة عليهم كلّ ذلك لتصير المعجزه فى كلّ أوان مجده- كما كانت فى زمانهم محققه فما العذر فى الكهانه؟ و كيف ينماز حالها عما خلّده النبوه؟ قلت: إنّ النبوه غايتها لا تدرك لأنّها محفوفه بالصدق و النزاهه و الآيات البينه و عليها واقيه من قبل الله تعالى يبعدها من الرّيبه، و يحفظها من درن الشّبهه و الظّنه، و الكاهنين قد بين الله تعالى حاله فى محكم كتابه فقال: هَيْلُ أُتْبُكُم عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ [سوره الشعراء، الآيه: ٢٢١-٢٢٣] فحالهم حال المنجم فيما يحكم به و هو يردّد بين مصدّق و مكذّب و مؤمن به و مبطل، و إذا كان الأمر على هذا انسدت طرق المعارضات فالافتاء فى تبين أمرهم بما ذكرته واجب.

فصل فى القيافه و العيافه

فأمّا القيافه: فقد خصّ بها قوم من العرب، و إنّما هو فى الأنساب خاصه و قد ثبتها النبى صلى الله عليه و سلم، و يحكم بها الشّافعى و أصحابه، و يلحقون بها الولد و هذه فضيله خصّت بها العرب. روى سفيان بن عيينه عن الزّهرى عن عروه عن عائشه رضى الله عنها قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم و أعرف السّرور فى وجهه، فقال: ألم ترى أنّ مجزز المدلجى نظر إلى أسامه و زيد و عليهما قطيفه و قد غطيا رأسيهما و بدت أقدامهما فقال: إنّ هذه الأقدام بعضها من بعض، و هذا استدلال به الشّافعى و ذكره المزنى فيما حكى من مذهبه.

و روى أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا قائفا لرجلين ادّعيا ولدا فقال: لقد اشتركا فيه، فقال عمر للغلام: وال أيهما شئت. و روى أنّ أنسا شكّ فى ابن له فدعا القافه

للنظر في أمره. و هذه الأدلة تسوّغ في الدّين القيافه، و إنّما هي علم يتتبع أثرا أرشد الله له قوما خصّ بهم بفضيلته و يقال: قفاه و قافه و اقتفاه و اقتفاه بمعنى. و في القرآن: وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ [سوره الإسراء، الآية: ٣٦].

و أمّا العيافه ففعل الزّجار. قال الأعشى:

ما تعيف اليوم من طير روح من غراب البين أو تيس برح

فقال في الإجمال: ما تعيف من طير روح، و في التّفصيل (قال): من غراب البين أو تيس برح، فجعل التّيس من تفسير الطّير لأنّهم يقولون في تعارفهم: جرى طائرته بكذا، و حكى أبو زيد عنهم: سألت الطّير، و قلت للطّير، و إنّما هو زجرانها. و في القرآن: قالوا طائرُكم معكم [سوره يس، الآية: ١٩] و قال طائرُكم عند الله [سوره النمل، الآية: ٤٧] و الأمم على اختلافها تفعلها. فمن ذلك قول الهذلي:

أتيح له من الفتیان خرق أخو ثقه و خريق حشوف

فبينما يمشيان جرت عقاب من العقبان خاسئه دفوف

فقال له: و قد أوحى إليه ألا لله إنك ما تعيف

فقال له: أرى طيرا ثقالاتبشّر بالغنيمه أو تخيف

ففي هذا الذي قاله بيان، إنّ ذلك رجم ظن، و في العرب من يشقّ من اسم ما يعنّ له عند الطّيره، فبينى قصّته عليه كقول القائل:

قالوا: حمام قلت: هم لى اللقاء. و قالوا: غراب قلت: غرب من النّوى. و قد اشتق أبو تمام على ضد هذا فقال شعرا:

لا تشجّين لها فإنّ بكاءهاضحكك و إنّ بكاءك استعقام

هنّ الحمام فإن كسرت عيافهن جابهنّ فإنهنّ حمام

فأمّا ما يقولون في الغراب و الطّباء و هي: (السّانح) و (البارح) و (النّاطح) و (القعيد) و (الجابه) و (غراب البين) فقد اختلفوا في

(السّانح) و (البارح) فمن العرب من يتشاءم بالسّانح و يتيمّن بالبارح على ذلك قول زهير:

جرت سخّا فقلت لها أجزى نوى مشموله فمتى اللّقاء

و قال النابغه:

زعم البوارح أنّ رحلتنا غداو بذاك خبّرنا الغداف الأسود

فما تطير به زهير تبرك به النابغه، (فالسائح): ما جاء من ميامنك فولاك مياسره،

و (البارح) ما جاء من مياسرك فولماك ميامنه، فأحدهما راعى من نفسه ما كرهه و الآخر راعاه من الماربه، (فأما الناطح) فما يلقاك و (القعيد) ما استدبرك و (الجابه) ما جاء من أعلاك و قوله: (أجيزى نوى مشموله) معناه اقطعى نوى هبت عليها ريح الشمال فبددت شملها و قوله: (فمتى اللقاء): استبعاد لوقوعه.

و حكى أحمد بن يحيى عن أبي المنهال المهلبى عن أبى زيد الأنصارى أن ما مر من ظبى أو طائر أو غيره فكل ذلك عندهم طائر. و أنشد فى ذلك لكثير:

فلست بناسيها و لست بتارك إذا عرض الأدم الجوارى سؤالها

ثم خبر بعد أن قال الأدم الجوارى أنه طائر فقال:

أدرك من أم الحكيم غبطها خبرتنى الطير أم قد أتى لها

و قد فسّر قوله تعالى: وَ كَلَّ إِنْسَانٌ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ [سوره الإسراء، الآية: ١٣] الآية على أن معناه حظّه، و قيل: عمله و ما قدّمه من خير أو شر. و يكون ذلك فى الكتاب الذى لا يغادر صغيره و لا كبيره إلا أحصاها. و قال تعالى فيه: هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ [سوره يونس، الآية: ٣٠] و فى موضع آخر: هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهٗ [سوره الحاقه، الآية: ١٩] و قال الكميّ فى تصديق ما ذكرناه شعرا:

و ما أنا ممّن يزجر الطير همّه أ صاح غراب أم تعرّض ثعلب

و قال حسان بن ثابت رضى الله عنه:

ذرينى و علمى بالأمر و سيرتى فما طائرى فيها عليك مخيلا

رواه أبو زيد و فسره على أن المراد ليس رآنى بمشؤم. و أنشد لكثير:

أقول إذا ما الطير مرّت مخيلهلعلك يوما فانتظر أن تنالها

(مخيله): مكروهه من الأخيل، و أنشد: و لقيت من طير العراقيب أخيلا. و من المأثور قولهم:

اللهم لا خير إلّا خيرك، و لا طيرا إلّا طيرك، و لا ربّ غيرك، و قال خثيم بن عدى فى ضدّ ما تقدّم:

و لست بهيّاب إذا شدّ رحله بقول عدانى اليوم واق و حاتم

فإذا الأشائم كالأيامن و الأيامن كالأشائم

و كذلك لا خير و لا شر على أحد بدائم، و يشبه هذا المعنى ما أنشده أبو عبيده عن أبي عمرو:

يا أيها المزمع ثم آنسنى لا يشكك الحادى و لا الشّاحج

و لا قصيد أعضب قرنه هاج له من مزبج هائج

هذا الفتى يسعى و يسعى له تاج له من أمره خالج

يترك ما رقع من عيشه يعيث فيه همج هامج

لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج

و اصعب لضيفانك ألبانها فإن شر اللبن الوالج

الباب الرابع والأربعون في ذكر ما أبهم من الأوقات حتى لا يتبين للسامع حاله و ما شرح منها

اعلم أنّ مذاهب العرب في التّنبيه على أوقات الأفعال مختلفه و ذلك لاختلاف أحوالهم فيما يقصدونه من البيان، فربّما بالغوا في التّعين و الشّرح حتى يصير المستدل عليه كما يشار باليد إليه، و ربما أبهموها اعتمادا على القرائن لأنّها قد تنوب عن الأوصاف المخصّصه فيعتمد في الإبانه عليها أو ربما أبهموها حتى لا يكاد يتحصّل للسامع منها تفقّه على واحد منها بعينه لشمول صفاته للأوقات كلّها و جميع ذلك موجود في أشعارهم، فمن ذلك قوله يصف امرأه:

سأهت عنها الكالئين فلم أنم حتّى التفتّ إلى السّماك الأعزل

و السّماك قد يطلع في كلّ آناء اللّيل و مثله:

و نائحه صوتها رائع بعثت إذا ارتفع المرزم

و (ارتفاع المرزم) ليس مما يكون و قد لا يكون، و يروى إذا خفق المرزم، و حينئذ يقرب التّحديد به، و مثل هذا قول الآخر:

حتى رأيت عراقى الدّلو ساقطه ذو السّلاح مصوح الدّلو قد طلعا

قوله: (و ذو السّلاح مصوح الدّلو): هو مما يكون على حاله واحده أبدا، و ذلك أنّ السّماك الرّامح متى طلع سقطت عراقى الدّلو، و (المصوح) الغيبوبه و قد جاء في المصيح و الفعول و الفعيل يجتمعان في فعل واحد مصدرين، و مثله الوكوف و الوكيف، و مثل قول الآخر:

قلت له و الجدى فوق الفرقد إنك إن تضح بهذا المرقد

لا ترد الأمواه إلّا من غد

و مثله الوكوف و الوكيف.

فلما استدار الفرقدان زجرتهاو هبت شمال ذو سلاح و أعزل

و معنى هبّ طلع، فهذه أمثله المبهمات، و من المحدود قوله:

فلما أن تعمّر صاح فيهاو لَمَا يغلب الصّبح المنير

(و التّعمر): شرب دون الرّى و ذلك من خوف الرّماه و (الصّبح المنير): الواضح أى كان ذلك سحرا قبل استناره الصّبح. و قال

الرّاعى فى مثله:

فصّبحن مسجورا سقته غمامهدعاك القطا ينفضن فيه الخوافيا

و قال ذو الرّمه:

ففسلت و عمود الصّبح منصدع عنها و سائرها بالليل محتجب

فهذه الأبيات كلّها وّقت آخر الليل. و مما يستدل بالقرينه على حده قول امرئ القيس:

إذا ما الثريا فى السّماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

ألا ترى أنّ هذا الوصف و إن كان يتفق فى كل آناء الليل فقد حظره بقوله:

فجئت و قد نصّت لنوم ثيابها لدى السّتر إلّا لبسه المتفضّل

فلما علم أنّ الموقت يكون من أوّل الليل و أنّ الذى وصف من تعرّض الثريا إنّما يكون عند انصباها للمغيب، علم أنّ الزمان

زمان الدفى ء، فباجتماع هذه الأدله عاد محظورا بعد أن كان مرسلا، و مثله قول حاتم:

و عاذله هبت بليل تلومنى و قد غاب عيوق الثريا فغردا

(فغيبوبه العيوق): و إن كان قد يكون فى كل آناء الليل ففى ذكره (العاذله) دليل على أنه فى آخر الليل، لأنّه وقت العواذل

بدلاله قول زهير شعرا:

غدوت عليه غدوه فوجدته قعودا لديه بالصّريم عواذله

(و الصّريم): بقيه من الليل لأنهن يأتين بعد نومهنّ و بعد إفاقه المعذول.

وإذا علم أنّ هذا الوقت الذى عنى الشاعر هو فى آخر الليل معلوم و هو زمن الشّتاء و ليالى التّمام، فقد صار الزّمان معلوما و الوقت محظورا بالأدله، (و التّغريد): العُدول إلى

الغرد، و أصله الغراد و النخص، و فى الكلام تقديم و تأخير كأنه قال: و قد غرد عيوق الثريا فغاب. و كذلك قول أبى ذؤيب شعرا:

فوردن و العيوق مقعد رأى الضربا خلف النجم لا تتبلع

(لأن العيوق و النجم) يكونان كما وصف، إذا توسّطا السماء و توسطهما السماء آخر الليل إنما يكون فى حماره القبط. و قوله: (مقعد رأى الضربا) فى حماره القبط. و قوله:

(مقعد رأى الضربا) فى إعرابه كلام و قد بينته فيما شرحته من شعر هذيل و مثله قول الآخر.

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد. قوله: لا تتبلع: أى لا تتعدم، و ذلك أن النجوم إذا توسّطت السماء خيل إليك أنها تتحير، فلا تبرح لذلك قال: و الشمس حيرى لها فى الجوّ تدويم، و ليس قول امرئ القيس:

فيا لك من ليل كأنّ نجومه بكلّ مغار الفتل شدت يذبيل

من هذا إنما يريد أن يصف الليل بالطول فكأنّ كواكبه لا تسير، و الأوّل يريد ركود النجوم إذا توسّطت السماء خاصه، و قد أحسن لييد فى قوله و هو يصف الكواكب:

عشت دهرا و ما يدوم على الأيام إلا برمرم و تعار

و النجوم التى تتابع بالليل و فيها ذات اليمين ازورار

دائبا مورها و يصرفها الغور كما يصرف الهجان الدوار

و إنّما (ازورارها ذات اليمين) عطفنا إلى القطب لأنها جميعا تدور على القطب الشمالى مرتفع فإذا توسّط كوكب ثم انصبّ فقدرت له فى نفسك مغربا على أم قاصد عدل عن السّمت الذى توهمته. (و تزاور ذات اليمين) حتى يغيب فوق الذى قدّرتة حتّى ربّما كان البعد فى ذلك بعيدا و على هذا حال جميع الكواكب فى مدارها، و لازورارها إلى القطب. قال الشاعر يمدح رجلا:

مالت إليه طلاها و استطيف به كما يطيف نجوم الليل بالقطب

و لعلّه ذلك قال بشر:

و عاندت الثريا بعد هدم معانده لها العيوق جار

لما تدانيا فى رأى العين حين توسّط السماء و قد كان أحدهما بعيدا من صاحبه فى المطلع جعل ذلك تركا من الثريا لطريقها، و

عدولا إلى العيوق و ليس ذلك بمعانده، و لكن لما بيّنته من ازورار النّجوم كلّها في مدارها إلى القطب، إذ كانت عليه تدور، لأنّ الكواكب إذا كانت في آفاق السّماء كانت أعظم في المنظر، و كان البعد الذي بينها أوسع في الرأى،

فإذا توسّطت كانت فى العين أصغر و رأيت أيضا أشدّ تقاربا.

قال أبو حنيفه: لذلك أيضا يرى الكوكب من الكواكب إذا طلع متقدما لكوكب آخر، حتى إذا تدلّيا من وسط السّماء يطلبان الغور صار المتقدّم متأخرا منهما، و المتأخّر متقدما، و حتى يغيب أبطؤها طلوعا و يبقى صاحبه بعده مده كالسّماك الرّامح، فإنّه يطلع بين يدى الفكّه بزمن، حتى إذا هما تصوّبا للمغيب تقدم السّماك فغاب قبلها بمده، و كالعتيوق فإنّه يطلع قبل الدّبران بزمن ثم يغيب بعده بحين.

و كذلك الرّدف يطلع قبل النّسر الطّائر بقليل، و يغيب بعده بزمن. و قول لبيد (دائب مورها) يعنى جريها. و أما قوله: (يصرّفها الغور) كما يصرّف الهجان الدّوار، فقد أحسن التّشبيه لأنّ النّجوم إذا غابت ردها الفلك إلى الطّلوع كما يفعل الطّائفون بالدّوار، فإنهم إذا قضوا طوافا استأنفوا طوافا، و الدّوار: أنصاب كانت لأهل الجاهليه يطوفون حولها كما يطاف بالكعبه.

قال أبو حنيفه: و لازوران الكواكب ذات اليمين قال الشاعر شعرا:

ألا طرقت دهقانه الرّكب بعد ما تقوّض نصف اللّيل و اعترض النّسر

يعنى النّسر الطّائر و إنما اعترضه من قبل ازوراره فى السّير و أنت تراه فى وسط السّماء باسطة جناحا فى جهه الجنوب، و جناحا فى جهه الشّمال حتى إذا تصوّب للمغيب اعترض فصار أحد جناحيه فى جهه المغرب و الآخر فى جهه المشرق على خلاف الصّفه الأولى، من هذا النّحو قول امرئ القيس شعرا:

إذا ما الثّريا فى السّماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

لأنها تتلّقاك فى مطالعها بأنفها، و هو أدقّ طرفيها، حتى إذا تصوّبت للمغيب اعترضت فكانت أشبه شىء بانظام جمع طرفاها ثم طرح و تلقاك بعرضه و ذلك أنّ الثّريا سطران فهى كانظام مثنى مثنى و منه قول المرار شعرا:

و بنات نعش يعترضن كأنّما تمسى الرّكاب معارضات صواريا

و (بنات نعش): من أشد الكواكب اعتراضا لأنها لا تغيب إلا فى بعض المواضع فإذا دار الفلك بها بحيث لا تغيب، نظرت إليها بكلّ منظر معترضات و منتصبات و منقلبات، و كذلك جميع الكواكب المنتظمة على أشكال مما قارب القطب كذلك حالها حيث لا تغيب، فأمرّا تشبيه إياها بالصّوار فإنّ من عادته الشّعراء تشبيه الكواكب بالبقر و الطّباء، و إذا رأيت الوحش سوارب فى مراتعها رأيتها بيضاء تلوح كأنّها نجوم.

الباب الخامس و الأربعون فى الاهتداء بالنجوم، و جوده استدلال العرب بها و إصابتهم فى أمهم

اعلم أنّ الاهتداء بالنجوم يحتاج إليها صنّفان من الناس: سيّاره البحر و سائله الإغفال و القفر، و لذلك مهر الهدايه بالنجوم الصّيراريون و الأعراب و قد ذكره الله تعالى فى جملة ما عدّد من نعمه على خلقه فقال: **جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَ الْبَحْرِ** [سوره الأنعام، الآية: ٩٧] و قال تعالى أيضا: **وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** [سوره الأنعام، الآية: ٩٧] و هؤلاء الذين فضّل لهم هذه الآيات و اختصّهم بفضل عليها هم الذين عنى بقوله تعالى: **وَ بِالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ** [سوره النحل، الآية: ١٦] فافهم عن الله قوله.

ثم اعلم أنه لا يجد من أحبّ علم الاهتداء بالنجوم بدأ من التقدّم بمعرفة أعيان ما يحتاج إليه منها، و اعتبار النّظر إليها فى جميع آناء الليل حتى يعرفه كمعرفه خلطائه، لئلا يلتبس عليه إذا اختلفت أماكنها فى أوقات الليل، فإن كثيرا ممن يعرف النّجم من النّجوم إذا كان فى جهه المشرق حتى إذا دار به الفلك فنقله إلى جهه أخرى عمى عليه حتى لا يعرفه، و يتحير حتى لا يهتدى إليه، و يحتاج بعد الاستثبات فى معرفه أعيانها إلى معرفه مطالعها و مغاربها، و حال مجاريها من لدن طلوعها إلى غروبها، لأنّ ذلك مما يبدّل أعيان الكواكب فى الأبصار، و يدخل على القلوب الحيره و يورث الشّبهه و يحتاج أيضا إلى أن يعرف سموت البلدان التى تقصد، و جهات الآفاق التى تعمد لئلا يعلم بأى كوكب ينبغى له أن يأتّم.

و التوجّه إلى القبلة فى كل بلد هو من هذا الجنس أيضا، و علم ذلك ليس بصغير القدر فى خاصه الدّين، لأنّه أمر الله به عباده فقال تعالى: **مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** [سوره البقره، الآية: ١٥٠].

و ليس بعد أدلّه الحساب دليل أدلّ من أعيان النّجوم، فليس الشّمس بخارجه منها بل

هى أعظم النجوم خطرا و قدرا. و هل الدليل فى وضح النهار إلا هى مع ما استعان به الإنسان من هبوب ريح، و كل ذلك فى الدلالة دونها فإذا تقدّم المرء فأحكم علم ما وصفت، ثم كان ثبتا فى النظر، فطنا فى العبر، أدرك علم الهداية.

و ذكر جبار بن مالك عامر بن الطفيل فقال: كان لا- يضلّ حتى يضلّ النجم و لا يعطش حتى يعطش البعير، و لا يهاب حتى يهاب السيل، كان و الله خير ما كان يكون، حتى لا تظنّ نفس بنفس خيرا. و العرب تقول للدليل إذا كان هاديا إنّه لدليل ختخ و خوتخ، و إنّه لبرت و إنّه لخريت، و إنّه لدليل مخشف.

و ذكر اللغويون: أنّه إنّما سمى خزيتا لأنه كان يهتدى بمثل خرت الإبره و قال الشاعر فى البرت:

و مهمه طعنت فى مغبرهتله عين البرت من ذى شره

(تله): من الوله و هو ذباب العقل، و قال رؤبه يصف أرضا مجهلا. ينبو يا صغاء الدليل البرت. يعنى إذا توجّس، و قال ذو الرّمه فى الختخ فجاء به على فوعل و وصف فلاه:

يهماء لا يحنا بها المغزّربها يضلّ الخوتخ المشهّر

يريد (بالمشهّر) المعروف المشار إليه بالهداية و قال الخطفى:

حتى إذا ما طرد النيف السفاقرين بزلا و دليلا مخشفا

قال أبو عبيده: و للعرب فى حسن الاهتداء فى المعامى المضال، و المجاهل الاغفال أحاديث عجيبة فى جاهليتها و إسلامها، كان الرّجل منهم يعدو على الإبل ببلاد لحم و جذام و هى واغله فى الشّام أو بسماوه كلب فيقطعها ثم يطردها متنكرا بها أوطان الانس متتبعها بها بلاد الوحش، حتى يلقى بها الأسواق إما بصعده من اليمن، أو بحجر من اليمامة، فيتبعهنّ و يفعل مثل ذلك باليمن. ثم يرد سوق بصرى أو اذرعات و نحوهما من أسواق الشّام، و كان الواحد من الرّاييل و هم الذين يغزون فرادى، و ذو السّيريه و هو الذى يغزو فى شيعته فيمضى فى تلك المعامى و فى مناقع المياه يأخذ بيض النّعام فينقعها و يملؤها ماء و يدفنها، فإذا بلغ غايه مراده و جاء الوقت الذى ينتظره، و لعلّ ذلك يكون فى مده شهر فى مسيره، حتى إذا نضبت المياه، و انقطع الغزو و أمن الناس اعتمد مغزاه فلا يخطئ السّيمت و لا يضلّ عن تلك الدّفائن، فيمضى معتسفا على غير هدى، مستشيرا ذلك البيض، و معتمدا عليه فى شراء به.

ثم يرجع عوده على بدئه لا يستدلّ إلّا بالشّمس أو الكوكب.

قال: و ممّن فعل ذلك و عله الجرمى فى الجاهليه، و له قصه، و كان السّيليك بن السلكه السّيعدى، ثم أحد بنى مقاعس ممن يفعل ذلك، و كان أوّل الناس بالأرض و من هدايتهم

المشهورين فى الجاهليه، و له قصه دعميص الرّمل العبدى يزعمون أنّه ورد الدّيار التى يزعمون أنّ بها إرم ذات العماد، و لم يردّها أحد قط غيره و خبره مشهور. و سمّى دعميص الرّمل تشبيها بدعموص الماء.

و قال الأصمعى: يقال للدّخال الخراج، حيث لا يرام دعموص، قال الشّاعر يصف رجلا:

دعموص أبواب الملوّك و جائب للخرق فاتح

يعنى أنّه يلج أبواب الملوّك و لا- يحجب عنهم. و قال الأصمعى: حدثنى شيخ من غطفان قال: أرسل زياد بن سياره أخاه من أرض بنى عامر فقال: إني أسير عشرا و لا أدله، أى لا علم لى بالهدايه، قال: ادخل تحت هذا الكوكب حتى تبلغ.

و حكى ابن الأعرابى قال: يقال: دلّ يدلّ من الدّلاله أى صار دليلا، و دلّ غيره يدلّه دلالة و دلّاله، و دلت المرأه تدلّ دلالا، و أدلّ يدلّ من الإدلال.

و ممن شهر بالهدايه: عبد الله بن أريقط دليل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبى بكر رضى الله عنه، حيث هاجر و هما مطلوبان فتخلّل الطّرق حتى أوردهما المدينه.

و من المشتهرين منهم فى الإسلام بالهدايه: رافع بن عميره الطّائى دليل خالد بن الوليد رضى الله عنه حين توجّه من العراق يريد الشّام، فخادعن جيش الرّوم و هم على طريقه ببلاد الجزيره، فامتد رافع مفوزا به من قراقر إلى سوى و بينهما فلاه مجهل فقال فيه الشاعر:

لله عينا رافع أنّى اهتدى فوّز من قراقر إلى سوى

خمسا إذا ما ساره الجيش بكى ما سارها من قبله إنس يرى

و ممن شهر منهم أيضا بصدق الأم: عبد الجبار بن يزيد الكلبي دليل بنى المهلب حين فرّوا من يد الحجاج إلى سليمان بن عبد الملك، و كانوا محتبسين بللع فهربوا و لحقوا بالشّام، فتنكّب بهم عبد الجبار جواد الطرق و تتبع معامى الأرض فتخير يوما و هم بالسّماوه، و ارتبك، فاتّهمه يزيد و أراد قتله، فقال له عبد الجبار: أنت على قتلى إذا شئت قادر، و لكن دعنى أنم نومه فنام ثم انتبه، و قد تجلّت حيرته فسمت بهم السّمت المصيب حتى نفذ فقال شعرا:

و رهط من أبناء الملوّك هديتهم بلا علم باد و لا ضوء كوكب

و لا قمر إلّا ضئيل كأنّه سوار جلاه صانع السّور مذهب

على كل خرجوج كأنّ ضلوعها إذا حلّ عنها الكور أعواد مشجب

قوله: (ولا ضوء كوكب): يعنى أنّ الكواكب غمّت فى القتام فهدهم بالقمر ثم أخبر أنّ (القمر أيضا ضئيل) لما دونه من القتام، فكأنّه فى تلك الحاله (سوار مذهب).

و ذكر ابن الأعرابى و هو يعد أدلاء العرب فى الإسلام، فقال: هم ثلاثه فذكر رافعا و عبد الجبار و زاد فى شعره:

تفرّ فرار الشمس ممّن وراءناو نمسى بجلباب من الليل غيهب

فإلا تصبح بعد خمس ركابناسليمان من أهل الملاء تناوب

قوله: (نفرّ فرار الشمس) يريد أنا نتوجه إلى المغرب كما تغرب الشمس.

و جعل الثالث منهم خالد بن دثار الفزارى دليل ابن فزاره على بنات قين حين قتلت كليبا. و قال أبو ذؤيب: يشبه النجوم بالوحش و هو يذكر امرأه:

بأطيب منها إذا ما النجوم تعانقن مثل توالى البقر

و قال آخر:

وردت و أرادف النجوم كأنها مهاه علت من رمل بيرين راثبا

و قال ذو الرّمه يشبه الوحش بالكوكب شعرا:

كأنّ بلادهنّ سماء ليل تكشف عن كواكبها الغيوم

و قال آخر:

وردت و آفاق السماء كأنها بها بقر أقناؤه و هراقبه

الهراقب: المسان شبه الكبار بالهراقب، و الصغار بالأقناء. و قال ابن كناسه و فى الاهتداء بالنجوم يقول الشاعر:

نؤمّ بآفاق السماء و ترتضى مغانيها- أرجاء دوايه قفر

و قال أبو حنيفة قول الشاعر:

رأت غلامى سفر بعيدرغان الليل ذا السدود

إما بكل كوكب جريد إنّما اختص الفرد الحريد لأنّ الجماعه يتغيّر حالها فى المطالع و المغارب و المجارى فتلتبس، و ضبط

السّير بالحريد أسهل، و من لم يكن مدرّبا بمعرفة أعيان الكواكب التّبس عليه الحريد أيضا إذا تغيّر مكانه.

و روى عن شيخ من العرب أنه سرى برفيق له فتعب، فقال لرفيقه: هذا الجدى جداه كثيره فلم أدر أيها هو، و لذلك قال الآخر شعرا:

بصباصه الخمس فى زوراء مهلكه يهدى الأدلاء فيها كوكب وحد

و قال الفرزدق يهجو عاصما العبدى، و كان أدلّ العرب و أعرفهم بالنجم و أقدمهم على هول الليل بالليل، و أراد أن يضلّ الفرزدق و يقتله غشا و ذاك أنه استصحبه إلى المدينة ليلقى سعيد بن العاص، و رغبه فى جعله، فلما ركب الفلاه أراد أن يفتال الفرزدق ليحظى به عند زياد و يحبوه و يعطيه، فلما كانا فى الليل و أمعنا فى السّير انتبه الفرزدق فإذا النجم على غير الطريق، فصاح بالعبرى إنك على غير الطريق، فانتبه فقال: أنت على الطريق، ناولنى إداوتك فأنى عطشان و خبأ اداوته، فقال الفرزدق: و الذى أحلف به لتموتن قبلى، و شهر السّيف عليه فأقامه على الطّريق، و عرض لهما الأسد على الطّريق، فقال العبرى هذا الأسد على الطّريق، فأناخ الفرزدق ناقته و أخذ سيفه و جحفته و أقبل إلى الأسد و هو يقول:

فلأنت أهون من زياد شو كهذهب إليك محزّم الشّغار

فتنحى الأسد عن الطريق و مضيا، فقلب الفرزدق هذا المعنى كله و نسب العبرى إلى الجبن و أنه ليس بالخزيت راع لا يصلح إلّا لرعى الغنم و طعن فى نسبه. فقال شعرا:

ما نحن إن جارت صدور ركابنا بأول من عزّت هدايه عاصم

أراد طريق العنصلين فياسرت به العيس فى ناى الصّوى متشائم

(العنصلين) على طريق مكه، (و ياسرت): أخذت يسارا و (المتشائم) الآخذ إلى الشام، قال: و سمعت فصيحا يقول: توصلوا أتوا الموصل فأسقط الميم.

فكيف يضلّ العبرى ببلدهبها قطعت عنه سيور التمام

أى لو كان عنبريا لعرف بلاده.

فإن امرؤ ضلّ البلاد التى بهاتعبّر ثدىي أمه غير حازم

(تعبر): أى أتم رضاعه، و العبر بقيه اللبن.

بلاد بها ذلّت يديه و رأسه و رجله من جار استها المتضاجم

يعنى (بالجار) الفرج و أصل (الضّجم) العوج فى شفتى الرّجل.

شعر:

و لو كان فى غير الفلاه خنوعا خنوعا بأعناق الجداء التوائم

أى لو كان فى رعى الجداء لأحسن رعيها و أخذها بأعناقها ففصلها عن أمهاتها.

شعر:

و كنت إذا كلّفت صاحب ثلهسرى الليل دنا أم فروج المخارم

(الثله): القطيع من الشاء و (الثله) الجماعه من الناس و (دنا) قصر و (الفروج) الطّرق.

رأى الليل داغول عليه و لم يكن يكلفه المعزى عظام المجاشم

(الغول) الموت و منه غالته غول.

أنخنا بهجر بعد ما و قد الحصى و ذاب لعاب الشمس فوق الجماجم

و نحن بذى الأرطى يعيس ظمأؤنالنا بالحصى شربا صحيح المقاسم

أى ليس فيه ضيم، أى لا يفضل فيه أحد على أحد.

شعر:

فلما تضاما فى الإداوه أجهشت إلى غضون العبرى الجراضم

(تضافى غضونه) عروق حلقة و ثنيه، و (الجراضم) الشديد الأكل، و يروى: فلما تصافنا الإداوه، و (التصافن): التقسام على الماء

عند قلته و ضيقه فى المفاوز.

و جاء بجلمود له مثل رأسه لىسقى عليه الماء بين الصرايم

تشنع عليه بهذا لأنّ المقله حصاه صغيره يقسم عليها.

فضاق عن الأثفيه القعب إذ رمى بها عنبرى مفطر غير صائم

يريد أنّ (القعب) لم يسع الجلمود لعظمه.

و لما رأيت العبرى كأنه على الكفل حران الصّباع القشاعم

أى المسان، و قيل الصّبع لا صبر لها على العطش.

صدى الجوف يهوى مسمعا قد التظى عليه لظى يوم من القيظ جاحم

(جاحم): شديد، يهوى أى يجدد ما فى رأسه من العطش.

شدت له أزرى و خضخضت نطفهلصديان يرمى رأسه بالسّمائم

أى تحيات لأوثره على نفسه خوفا من أن يموت.

و قلت له ارفع جلد عينيك إنما حياتك بالدهننا و حيف الرواسم

أمر صاحبه أن يشمر للسير أى حياتك فى قطع الطريق.

شعر:

عشيه خمس القوم إذ كان فيهم بقايا الأداوى فى النفوس الكرائم

فآثرته لما رأيت الذى به على القوم أخشى لاحقات الملاوم

حفاظا و لو أنّ الإداوه تشتري غلت فوق أثمان عظام المغارم

على ساعه لو كان فى القوم حاتماعلى جوده ضنت بها نفس حاتم

و كان كأصحاب ابن مامه إذ سقى أخا التمر العطشان يوم الضجاجم

(الضجاجم): من منازل الفرزدق، شبه الفرزدق بنفسه بكعب بن مامه الإيادى لما آثر العبرى على نفسه، و ذلك أن كعبا نزل بموضع يقال وهب أو وهبين و قد اتقد القيظ، و كان صديقه و رفيقه التمرى فى سفرته فعطش القوم فاقتمسوا و كاد التمرى يهلك عطشا، فقال لساقى القوم: اعط أخاك التمرى يصطبج، فجعل له الماء صبوحا لعزه، و إنما يكون الصبوح فى اللبن و التبيذ، ثم أعاد القوم القسم فنظر كعب إلى التمرى قد غلبه العطش، و دارت عيناه فى رأسه، فقال لصاحب القسم: اعط أخاك التمرى يصطبج، فآثره بشربته، ثم ثلث الساقى فآثره، و ارتحل القوم، فلما ركبوا الفلاه أناخ كعب ناقته و قال: يا قوم النجاء أ لا ماء معكم فإنى أحس الموت، فمات كعب و ارتحل أصحابه، و معهم نجيبته و سلاحه و متاعه فأوردوه أهله فقال أبوه و قد كنتم بعض الخبر شعرا:

أ من نطف الدهننا و قله مائهذوات الرمال لا يكلمنى كعب

فلو أننى لاقيت كعبا مكسرا بأنقاء و هب حيث ركبها و هب

لآسيت كعبا فى الحياه التى ترى فعشنا جميعا أو لكان لنا شرب

و قال فيه:

ما كان من أحد أسقى على ظمأخمرا بماء إذا ناجودها بردا

من ابن مامه كعب ثم عى به زوء المتيه إلا حره و قدا

يروى وقذا فيه:

وفى على الماء كعب ثم قيل له يا كعب إنك وزاد فما وردا

و يروى ورد كعب. و أما التعاقب بها فمنه قول الفرزدق شعرا:

أقول لمغلوب أمات عظامه تعاقب أدراج النجوم العوائم

ستدنيك من خير البريه فاعتدل سأقل نصّ اليعملات الرّواسم

و (تعاقب النّجوم): أن يوقّت القوم لمقدار مسيرهم وقتا فتلك عقبتهم، فإذا قضوها و دخلوا في غيرها من أمثالها فتلك عقبه
ثانيه، فإن دام ذلك منهم فذلك تعاقب أدراج الكواكب، و من ذلك سمّوا الطّريق مدرجه، و من هذا قول الرّاجز يخاطب ناقتة:

سامى سمّامات النّهار و اجعلى لفلك ادراج النّجوم الأفل

و يقال للكوكب الذى يعاقب به: معقب. فقال ذو الرّمه يذكر المطايا و دوام سيرها:

إذا اعتقبت نجما و غاب تسخّرت علاله نجم آخر اللّيل طالع

جعل السّير سحورا لها فى الآخر، كما جعلها غبوقا لها فى الأوّل. و قال الرّاعى و ذكر إبله:

أرى إبلى تكالاً راعياها مخافه جارها طبق النّجوم

(تكالاً): تحارس و قوله: (طبق النّجوم) أى اللّيل كلّ فتكالؤها طبق النّجوم و هو درج النّجوم. و من هذا قول الآخر:

و لا العسيف الذى يشتدّ عقبهحتى يبيت و باقى نعله قطع

و قال بعضهم:

فأصبحن لا يتركن من ليله السّرى لذى الشّوق إلّا عقبه الدّبران

كأنهم جعلوا لمدى سراهم طلوع نجوم معلومه، و كان الدّبران آخرها، فقضوا عقب تلك النّجوم كلّها إلّا عقبه الدّبران، فإنّهم
قطعوا السّير حين بلغوه، و كان المشتاق يهوى ألّا يقطعوه و قال حميد بن ثور شعرا:

قد لاحه عقب النّهار و سيره بالفرقدين كما يلاح المسعر

الباب السادس والأربعون في صفة ظلام الليل واستحكامه وامتزاجه

قال النَّضر: سدف الليل: ظلماؤه وستره، وقد أسدف علينا الليل أى أظلم، وقال غيره: السدف و السدفة بقيه من سواد الليل فى آخره مع الفجر. وقال الأصمعى: السدف الظلمه. قال العجاج: وأقطع الليل إذا ما أسدفا. و السدف: الضوء أيضا. قال أبو داود:

فلما أضاءت لنا سدفهو لاح مع الصبح خيط أنارا

وقال الدريدى: كلّ العرب يسمّى الظلمه سدفا إلّا هوازن فإنّها تقول: أسدفى لنا أى أسرجى لنا، فكأن السدفة عندهم اختلاط بياض الصبح بباقي سواد الليل و ذلك عند سائر العرب (الغطاط و الغبش) بقيه من سواد الليل فى آخره و الجميع أغباش. قال ذو الرّمه:

أغباش ليل تمام كان طارقه تطخطح حتى ماله جوب

و يقال: غبش الليل و أغبش.

و يقال: غسا الليل غسوا و غسى غسا، و أغسى الليل أيضا إذا أظلم. و يقال لمن أراد السفر اغس من الليل شيئا ثم ارتحل أى أقم ساعه.

و يقال للظلمه و الأمر غير الرّشيد عشوه و عشوه و عشوه و تعشّيتنى أو طأتنى عشوه، و أعشينا دخلنا فى الظلمه، و العشواء بمنزله الظّلماء، و يقال: هو فى عشواء من أمره.

و (الغطش) السدف و قد أغطش الليل و غطش أيضا.

و أغسينا: أمسينا. قال الأصمعى: أغسى الليل و غسى يغسى و غسا يغسو، غسوا، و هو مساؤه و اختلاطه. و حكى أبو بكر الدريدى عن الأصمعى قال: قلت لأبى عمرو أ تقول غس الليل يغسى؟ فقال: سمعت أعرابيا منذ ستين سنه ينشد:

كأنّ الليل لا يغسى عليه إذا زجر السبنداه الأمونا

و هذا من غسى يغسى، و سمعت بعد ذلك لسنين منشدا ينشده شعرا:

فلما غسى ليلي و أيقنت أنهاهى الأرباء جاءت بأمّ حبو كرا

فهذا من غسى يغسو. ثم سمعت رويتمك ينشد. (و مر أيام و ليل مغس) فهذا من غسى يغسى.

و يقال: ليل دامس: و هو الأسود الذى ألبس كلّ شىء و قد دمست ليلتك تدمس دموسا. و أنشد:

لو كنت أمسيت طليحا ناعسالم يلق ذا روايه درابسا

يسقى عليها أغنما خواماسا يحتاب موماه و ليلا دامسا

و شركا من الطريق دارسا يحمل سوطا أو ويلا يابسا

(الوبيل): الهراوه و أصل (الدمس): التّغطيه. و أنشد الفراء عن الكسائي شعرا:

إذا ذقت فاها قلت علق مدمس أريد به قيل فغودر فى سآب

أراد (بالعلق) الخمر و (المدمس) المغطى و (القيل) الملك و (السآب) الزّق.

و يقال: غلسنا الماء أى أتيناها قبل الصّبح بسواد من اللّيل و جنوح اللّيل إذا ذهب معارف الأرض لظلامه.

و جنون اللّيل إظلامه، و يقال: جنّ علينا اللّيل. التّضرر يقال: تطخّطخ اللّيل و أظلم فى غيم و غير غيم إذا لم يكن فيه قمر، فإن كان فيه قمر فجاء غيم و ذهب بضوئه فقد تطخّطخ أيضا، و ليله طخياء، و قد طخّطخ اللّيل على فلان بصره أى تركه لا يبصر من ظلمته، و تطخّطخ بصر فلان: أى عمى.

و يقال: تدرج اللّيل أيضا: و هو اختلاطه و ظلماؤه كان فيه غيم أو لم يكن و تدرجت الظّلماء و أنشد:

حتى إذا ما ليله تدرجا و انجاب لون الأفق البرندجا

و يقال: ليله غدره و مغدره: بيّنه الغدر إذا كانت شديده الظّلمه، و فى الحديث:

«المشى إلى المسجد فى اللّيله المغدره يوجب كذا و كذا».

و ليله دامجه و ليل دامج و خدارى قال يعقوب: الخداريه الظّلماء الشّديده السّواد البهيم، و يقال: ليلتك هذه خداريه قال العجاج:

و خدر اللیل فیجتاب الخدر

و يقال: غطا الليل يغطو إذا ألبس كل شىء. و كل شىء ارتفع فقد غطا. و كذلك: دجا الليل يدجو إذا ألبس كل شىء، و تدجى أيضا و أدجى. قال يعقوب: و ليس هو من الظلمه إنما هو من الاشتمال. و قال الأصمعي: و دجا شعر الماعزه: إذا ألبس بعضه بعضا.

و أنشدنى أعرابى أبى منذ دجا الإسلام لا يتجنّف. و قال: و تدجى بعد نور، و اعتدل، و قال غيره: ليله داجيه سوداء. و أنشد فى أدجى شعرا:

إذا الليل أدجى و استقلت نجومه و صاح من الإفراط هام جواثم

و قال نضر: المدجى دجى الغيم و هو أن لا- ترى قمرا و لا- نجما، لأنّ السحاب يواريه و لا يكون المدجى إلا بالليل، و هذه ليله دجى، و ما زلنا نسير فى دجى حتى أتيناكم أبو زيد غمى مثل كسلى إذا كان على السماء غمى مثل رمى، و غمّ و هو أن يغمّ عليهم الهلال، و ليل دجوى قال:

و ليل دجوى تعسفت هوله بلا صاحب إلا الحسام المذكّر

(غيره): ليله مدلهمه: مظلمه، و ديجور و ديجوج. و الطرمساء الظلمه. يقال: أطمس الليل أى أظلم. و قال الدريدى: الطرمساء تراكب الظلمه و الغبار. و منه طرمس الليل و طرسم. و يقال: الطلمساء أيضا. و أنشد فى ليله طخياء طرمساء. و الطرمسه و الطلمسه و مرّ طرمساء من الليل: أى قطعه عظيمه. و حكى أبو حاتم طرفساء أيضا.

و الغيهب نحوه، و العلجوم الظلمه و كل شىء أسود. قال ذو الرّمه: ظلماء علجوم:

أى التى لا- ترى معها من سوادها شيئا. و المسحكنكك الأسود، و الملطخم مثله، الأموى ليله غاضيه شديده الظلمه. يقال: ليل طيسل: مظلم، عن أبى عمرو ليل دحمس، قال أبو نخيله:

و أدرعى جلاب ليل دحمس أسود داج مثل لون السندس

(و الغردقه): إلباس الليل، يقال: غردقت سترها إذا أرسلته، و تأطم الليل ظلمته.

(و ليله مطلخمه): و قد اطلخمت علينا الظلمه فما يبصر منها شيئا.

يقال: ليله بهيم لا يبصر فيها شىء، و ليال بهم. و الحندس: الليل الشديد الظلمه.

يقال: حندس الليل و ليال حنادس قال شعرا:

و ليله من الليالى حندس لون حواشيتها كلون السندس

و يقال: ليله طخياء: بينه الطّخاء، و ذلك إذا كان السّحاب بعد قمر، فاشتدّت الظّلمه

فطخا اللّيل، و سرنا إليكم فى ليل طخى، قال الزّاجز:

و ليله طخياء ترمعل فيها على السّارى ندىّ مخضل

ترمعل: يسير يقال أرمعل دمعته: سال.

و يقال: ظلّمه ابن جمير، و فحمه ابن جمير: لّيله التى لا يطلع فيها القمر.

قال: نهارهم ليل بهيم، فإن كان بدرا فحمه ابن جمير رماهم بالتلّصص و التّغيب بالنّهار، و قال ابن زهير:

و إن أغار فلم يحلى بطائلهفى ظلّمه ابن جمير ساور القطما

قوله: لم يحلى: أتى بالفعل على التمام. و ذكر بعضهم أنّ ابن جمير: اللّيل المظلم لاجتماع النّاس إلى منازلهم. و ابن ثمير: اللّيل المقبل، لأنّه يثمر انبساط النّاس للحديث و غيره من التّصرف. قال: و هذا من قولهم: هذا جمير القوم أى مجتمعهم و شعر مجمر أى مضغور و مجمور، و أجمروا على الآلاء أى أجمعوا.

و ليله معلنكسه؛ أى مظلمه، و ليله ظلّماء ديجور، و هى الدّياجير أى الظّلمه و ليل عظم أى مظلم. قال:

و ليل عظم عزّضت نفسى و كنت مشيّعا رجب الدّراع

و يقال: أغضن اللّيل و أغضى و أغضف و طلخم و ادلهّم و روق.

و يقال: أرخى رواقيه و سجوفه و سدوله.

و غسق اللّيل: ظلّمته، و منه قول عمر حين غسق اللّيل على الصّراب أى انصبّ.

و سجو اللّيل إذا غطّى اللّيل النّهار، و يقال: هو من التّسجيه، كقولك سجيه بالثّور.

قال:

يؤرّق أعلى صوتها كلّ فائح حزين إذا ليل التمام سجالها

و حكى قطرب الغبس بعد الفحمة. و قال الخليل: هو لون الدّئب، يقال: ذئب أغبس و ليل أغبس، و غبس اللّيل و أغبس. و

عسعس اللّيل إذا أظلم و إذا أدبر.

قال قطرب: هى من الأضداد، و حقيقه ذلك أنّها طرفاه، فهذا ما ذهب عن معظمه.

و قال ابن عباس: و اللّيل إذا عسعس أى أدبر. و قال علقمه:

حتّى إذا الصّبح لنا تنفّسا و انجاب عنها ليها و عسعسا

و قال آخر:

وردت بأفراس عتاق وفيهفوارط فى أعجاز ليل معسوس

و قال آخر:

قوارب من غير دجن مسسامدّرعات اللّيل لّمّا عسعسا

و الشّميّط: بياض الصّيح فى سواد اللّيل و هو عندنا مشبّه بالشّيب، و قد قيل فى الثّلاث من آخر الشّهر الدّادى، ثم جعل دادى صفه لشّدّه ظلمتهن كما قيل: حنادس ثم قالوا: أسود حنادس.

و يقال: إنّ عليك ليلا أضعف، و هو الذى علا كل شىء، و ألبسه، و قد تغضف علينا اللّيل أى ألبسنا و أظلم علينا.

و يقال: إنّ عليك ليلا مرجحنا، و هو المجلّل و الملبس و قد أرحجن اللّيل.

و ليل اثجل: أى واسع و ليله ثجلاء، و يوم اثجل.

و عكمس اللّيل: أظلم، و هو عكامس و عكمس متراكم الظّلمه كثيفها.

و أدلمس اللّيل: و ليل دلامس: مظلم.

و حكى الدّريدى: طرشم اللّيل و طرشم أظلم، و غطرش اللّيل بصره و غطرش: أظلم عليه.

و الغيطل: اختلاط ظلمه اللّيل و اختلاط أصوات النَّاس و اشتقاقه من الغطل: و هو تغطيه الشىء، يقال: غطلت السّماء يومنا و أغطلت إذا أطبق دجنها.

و يقال: أتانا حين وارى دمس دمساً و حين سد اللّيل كلّ خصاص و دارى كل جداد.

و أنشد:

و اللّيل غامر جدادها دجحين قلت أخوك أم الدّئب

و يقال: ليل أدعج، و يقال: التفت غياطل اللّيل، و اسحنكك عساكره و تلاحزت المسالك به، و ذلك تراكم الظّلمه و معنى تلاحزت: تضايقت.

و شجيج لحز: أى ضيق. و الفتل إظلام الأرض من النّخل و الشّجر.

و يقال: غتل يغتل غتلا حكاة الدریدی. و قال أبو مالک: السدیم الرفیق من الضباب.

و أنشد شعرا:

و قد حال رکن من أحیمر دونهم كأنّ ذراه جلّت بسدیم

و الجنان ذكر بعضهم فى أسماء الليل. و أنشد:

و سارى جنان مقفعل بناته رفعت بضوء ساطع فاهتدى ليا

يعنى رجلا أقوى فاستنخ فأوقد له ناراً ليتهدى بها، و قال غيره: جنان الليل ظلمته و أنشد:

و لو لا جنان الليل أدرك ركضنا بذى الأثل و الأرتى عياض بن ناشب

و حكى عمرو عن أبيه قال: سمعت أعرابياً يقول: ما زلت أتعسف الهولول حتى سطح الفرقان، قلت: ما الهولول؟ قال: ظلمته. قلت: و ما الفرقان؟ قال: الصبح.

و حكى سلمه عن الفراء عن الكسائى قال: لم يسمع فى الألوان فعلول إلّا هذا، و حلوكوك، قال ثعلب: قلت: ذلك لابن الأعرابى فوافقه.

و يقال: أطم الدجى و أففل باب النور بالظلمه قال:

بدا لى كملتاح الجناحين و الدجى مطم و باب النور بالليل مقفل

و قالوا: قسوره الليل: شدته، و قسوره، و قال توبه بن الحمير: و قسوره الليل الذى بين نصفه و بين العشاء قد أذابت أسيرها، و قيل فى قوله تعالى: فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرِهِ [سوره المدثر، الآية: ٥١] إنه الأسد، و قيل: أريد به الرّماء و أنشد:

و قسوره أكتافهم فى قسيهم إذا ما مشوا لا يغمزون من النساء

و يقال: دبر الليل دبورا و أدبر فدبر: ذهب و أدبر ولى، و قيل: أدبر أخذ به فى التقص، و كما قيل: دبر و أدبر بمعنى قبل قبل و أقبل. و قال ابن عباس: إنمّا هو و الليل إذا دبر. فأما أدبر: فإنما يقال: أدبر: ظهر البعير و قرأه زيد إذا أدبر، و يقال: دبرنى أى جاء من خلفى.

الباب السابع والأربعون فى صفة طول الليل والنهار، وقصرهما وتشبيه النجوم بها

و يقال: متح الليل و هو يمتح متحا إذا طال و كذلك النهار.

و منه قولهم: بيننا و بينهم كذا فرسخا متحا أى مدا و فرس متاح مداد.

و سرنا فى ليله عكامسه و عكمسه أى طويله، حكاه أبو حاتم قال: و يقال: عكر عكامس أى كثير من الإبل.

و يقال: يوم اثجل أى واسع و ليله ثجلاء، و منه الثجل فى الخاصره و ليل التمام فى الشتاء أطول ما يكون الليل، و يكون لكلّ نجم أى يطول الليل حتى تطلع النجوم كلّها فى ليله واحده. قال: و سمعت أبا عمرو يقول: إذا كان اثنتى عشره ساعه فما زاد فهو ليل التمام. و أنشد:

لقد طرقت دهماء و البعد دونهاو ليل كأثناء اللقاع بهيم

على عجل و الصبح تال كأئه بأدعج من ليل التمام بريم

فجعل ليل التمام للطويل من الليالى خاصه آخر.

كأنّ شميظ الصبح فى أخرياته ملاء تجلى عن طيالس خضر

تخال بقاياها التى أسأر الدجى تمدّ و شيعا فوق أرديه الفجر

و يقال: أغضب و هو اثناؤه و طوله و اجتماعه و إقباله.

و حكى أنّ عليك ليلا أضعف، قال العجاج: فانغضفت بمرحجن أعضفا.

(و المرحجن): الطويل الثقيل، و قال الدريدى: ذكر أبو عبيده أنّ المتلهب و المتمهل مثل المسجهر و هو امتداد الليل و غيره. و حكى ثعلب عن رجاله قالوا: ليل التمام فى الشتاء أطول ما يكون لكل نجم طويل أى يطول الليل حتى تطلع النجم كلّها و قال أبو عمرو

السَّيْبَانِي وَحَدَه إِذَا كَانَ ظَلَمْتَهُ خَالِصَهُ فَهُوَ الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ، وَإِذَا خَلِصَ ضَوْؤُهُ فَهُوَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ. وَالْبَرِيمُ وَالشَّمِيطُ إِذَا اخْتَلَطَا، وَفِي الْقُرْآنِ: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧].

وَحِكْيُ ثَعْلَبٍ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: مَا كَانَ مِنَ الْأَجْسَامِ وَالْمَعَايِنِ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَهُوَ التَّمَامُ بِالْكَسْرِ الْفَصِيحِ الْعَالِي، وَيَجُوزُ التَّمَامُ بِالْفَتْحِ وَمَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ وَمَا شَاكَلَهَا فَهُوَ التَّمَامُ بِالْفَتْحِ لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ، يُقَالُ: لَيْلُ التَّمَامِ وَالتَّمَامُ وَقَمَرُ التَّمَامِ وَالتَّمَامُ وَوَلَدَتُهُ لِلتَّمَامِ وَالتَّمَامُ. فَإِذَا جِئْتَ إِلَى الْأَفْعَالِ وَالْكَلَامِ قُلْتَ: تَمَّ الْكَلَامُ تَمَامًا، وَتَمَّ الْأَمْرُ تَمَامًا، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنَّ الْقَمَرَ تَمَّ فِي نَفْسِهِ قُلْتَ: تَمَّ تَمَامًا وَتَمَّ النَّهَارُ تَمَامًا وَتَمَّ اللَّيْلُ تَمَامًا. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: لَا يَكْسُرُ التَّمَامُ مِنْهُ إِلَّا فِي الْحَمَلِ وَاللَّيْلِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ طَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ وَلَا أَسْبَ لَهُ أَيُّ لَا أَكُنْ كَالْتَسْبِي فَاَسْتِطِيلَهُ يَدْعُو لِنَفْسِهِ أَنْ لَا يَبْتَلِيَ بِمَا يَطِيلُ اللَّيْلُ عَلَيْهِ.

الْأَصْمَعِيُّ شَهْرُ الْمَلِيسَاءِ أَطْوَلُ الشُّهُورِ عَلَيْهِمْ، وَاتَّعَبَهَا لَهُمْ، وَيَكُونُ عَلَى أَثَرِ الصَّفْرِيِّ وَهُوَ نَجْمَانُ السَّمَاءِ وَالْغَفْرُ، فَهَمَّ يَشْتَغَلُونَ فِي أَيَّامِ الْمَلِيسَاءِ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ وَمَسِيرِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى إِعْدَادِ الْمَثَاوِي وَالْبُيُوتِ وَمَأْوَى الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْعَنْزِ وَالْحِظَائِرِ، وَالضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ اسْتِعْدَادًا لِلشَّتَاءِ.

وَحِكْيُ الدَّرِيدِيِّ: اجْرَهْدِ النَّهَارَ أَوْ اللَّيْلَ طَالَ، وَاجْرَهْدِ بِالْقَوْمِ السَّيْرِ: إِذَا امْتَدَّ بِهِمْ ظِلَامٌ وَشَدَهُ. وَأَنْشُدَ:

وَلَيْلُهُ دَاجِيَةٌ طَخِيَاءٌ حَالِكَةٌ الْإِهَابِ وَالرِّدَاءِ

يَضْرِبُ بِالذَّاهِبِ وَجْهَ الْجَائِيِ ابْنَ الْمَعْدَلِ:

أَقُولُ وَجَنَحَ الدَّجِيِّ مَلْبَدُو لَيْلٍ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدُ

وَيُقَالُ: عَجِبْتُ مِنْ سُرْعِ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَمِنْ سُرِيحِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ جَمِيعًا قَالَ:

فَيَقُولُونَ: أَدْرَكَكَ يَوْمَكَ أَوْ لَيْلَتَكَ بَرَبْغَهُ أَيُّ: بَجْنُهُ وَحَدَثَانُهُ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: اتَّقِ النَّاقَةَ بَجْنُ ضِرَاسِهَا أَيُّ بِحَدَثَانِ نَتَاجِهَا وَسُوءِ خَلْقِهَا، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

يَكُونُ بِهَا دَلِيلُ الْقَوْمِ نَجْمُ كَعِينِ الْكَلْبِ فِي هَبِي قِبَاعِ

يَعْنِي أَنَّ الْكَوْكَبَ بِالظَّلَامِ تَعْصَبُ وَبِالْقِتَامِ انْتَقَبُ، فَلَيْسَ يَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا شِفَاؤُهُ وَشَبْهُهُ بِعَيْنِ الْكَلْبِ: لِدَوَامِ إِغْضَائِهِ وَاتِّصَالِ نَعَاسِهِ. وَالْهَبِيُّ جَمْعُ هَابٍ وَهُوَ الَّذِي حَالَ دُونَهُ الْهَبَاءُ.

وَالْقِبَاعُ: الدَّوَاخِلُ فِي الظَّلَامِ.

وَيُقَالُ: قَبَعَ الْقَنْفَذُ إِذَا دَخَلَ رَأْسَهُ فِي قَرُونِهِ قَبُوعًا، وَعَلَى هَذَا يَقُولُونَ: تَخَاوَصْتُ

النجوم و تخازرت. أبو تمام:

إليك هتكنا جنح ليل كأنه قد اكتحلت منه البلاد يا ثم

أبو نواس:

أبن لى كيف صرت إلى حريمى و نجم الليل مكتحل بغار

فأما تشبيه النجوم فبابه واسع إلا أنا نذكر منه ما يستحسن من شعر القدماء أو يستغرب من ذلك قول مهلهل:

أليتنا بذى جسم أنيرى إذا أنت انقضيت فلا تحورى

فإن يك بالذئائب طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير

و أنقذنى بياض الصبح منها لقد أنقذت من شر كبير

كأن كواكب الجوزاء عوذ معطفه على ربع كسير

كأن بنات نعش ثانياً و فرقدهن مجتنب الأسير

تتابع مشيه الإبل الزهاري لتلحق كل تاليه غيور

و تحنو الشعريان إلى سهيل يلوح كقمة الجمل الغرير

كأن الغدرتين مكف ساع ألح على تمايله ضرير

كأن التابع المسكين شيخ يزجى أعزاً خلف الوكير

كأن النجم إذ ولى سحيراً فصال جلن فى يوم مطير

كأن الفرقدين يدا مغيض يكب على مقاسمه الجزور

كأن مجره النسرين نهج لكل طريقه تحدى و غير

و عارضهن ناحيه سهيل عراض مجرب شكس غيور

كأن الجدى جدى بنات نعش يكب على اليدى كمستدير

كَأَنَّ الْمَشْتَرَى حَسَنًا ضِيَاءَ بَنِي قَاهِرٍ مِنْ فَوْقِ قَوْرِ

وَقَالَ مَضْرَسُ بْنُ لَقِيْطٍ:

وَلَيْلٌ يَقُولُ الْقَوْمُ مِنْ ظُلْمَاتِهِ سَوَاءٌ بِصِيْرَاتِ الْعَيُونِ وَ عَوْرَهَا

كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بِيوتَا حَصِيْنِهِمْ سَوْحًا أَعَالِيهَا وَ سَاجَا كَسُوْرَهَا

قَالَ ابْنُ هُوْمَةَ:

وَ بِنَاتِ نَعَشٍ يَبْتَدِرْنَ كَأَنَّهَا بَقْرَاتٌ رَمَلٌ خَلْفَهُنَّ جَازِرٌ

وَ الْفَرْقَدَانِ كَصَاحِبِيْنِ تَعَاقَدَا تَلَّهَ تَبْرَحُ أَوْ تَزُولُ عَتَائِرٌ

وَ الْجَدَى كَالرَّجْلِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُ عَضْدٌ وَ لَيْسَ لَهُ حَلِيْفٌ نَاصِرٌ

و تزاور العيوق عن مجداته كالثور يضرب حين عاف الباقر

و ترفّع النّسران هذا باسطيهوى لسقطته و هذا كاسر

و النّطح يلمع و البطين كأنّه كبش يطرده لحتف تائر

و الحوت يسبح فى السّماء كسبحه فى الماء و هو بكل سبج ماهر

و كواكب الجوزاء مثل عوائدتمرى لهنّ قوادم و أواخر

و كأنّ مرزمها على آثارها فحل على آثار شول هادر

و تعرّضت هادى السّعود كأنها ركب تأوّب بطن تبع مائر

و بدا سهيل كالشّهاب مشبه راع على شرف العرينه ساير

و بدت نجوم بين ذاك كأنها درّ تقطع سلكه متناثر

و قال أبو الأشهب الأسدى:

و لاحت لساريتها الثّريا كأنها لدى الأفق الغربيّ قرط مسلسل

قال الهيثم بن عدى: قال لى صالح بن حسان: أنشدنى أحسن بيت قيل فى الثّريا، قال قلت: بيت عبد الله بن الزّبير الأسدى رضى الله عنهما:

و قد خرم الغرب الثّريا كأنها به رايه بيضاء تخفق للطّعن

قال: أريد أحسن من هذا، قلت بيت امرئ القيس:

إذا ما الثّريا فى السّماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

قال: أريد أحسن من هذا، قلت بيت ذى الرّمه:

وردت اعتسافا و الثّريا كأنها على قمه الرأس ابن ماء محلّق

قال: أريد أحسن من هذا، قلت: بيت يزيد بن الطّريه

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمان و هي من سلكه فتبددا

قال: أريد أحسن من هذا، قلت: قول أبي قيس بن الأسلت:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن يرى كعنقود ملاحيه حين نورا

وقال الفرزدق:

كليل مهلهل ليلي إذا ماتمى الليل ذو الليل القصير

تهامي كأن شاميات جنح لجانيه إلى الغثور

كأن الليل يعطفه علينا ضرا أو يكر إلى نذور

كَأَنَّ نَجُومَهُ لَيْلٌ تَتَنَّى لِأَزْهَرِ فِي مَبَارِكِهِ عَقِيرِ

و كَيْفَ بَلِيلُهُ لَا نَوْمَ فِيهَا وَلَا ضَوْءَ لِسَارِيهَا مِنْيرِ

و أنشد المبرد:

إِذَا مَا الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ يَرَاهَا الْحَدِيدُ الْعَيْنِ سَبْعَهُ أَنْجَمِ

عَلَى كَبِدِ الْجُرْبَاءِ وَ هِيَ كَأَنَّهَا جَبِيرُهُ دَرَّ رَكْبَتْ فَوْقَ مَعْصَمِ

(الجبيره): الدستبنج العريض و شبه ابن الرومي الثريا فقال: و ذكر شعر امرأه:

يَغْشَى غَوَاشِي قَرُونِهَا قَدَمَا بِيضَاءَ لِلنَّاطِرِينَ مَعْتَدِرُهُ

مِثْلُ الثَّرِيَا إِذَا بَدَتْ سَحْرَابُ عَدَا غَمَامٍ وَ حَاسِرُ حَسْرِهِ

فأخذه ابن المعتز فقال:

وَ أَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ مِنْ ثِيَابِ حَدَادِ

وَ قَالَ كَعْبُ الْغَنَوِيِّ فِي الْجُوزَاءِ:

وَ قَدْ مَالَتْ الْجُوزَاءُ حَتَّى كَأَنَّهَا فَسَاطِيظُ رَكْبٍ بِالْفَلَاحِ تَزُولُ

وَ لِابْنِ الْمَعْتَزِ:

كَأَنَّما الْجُوزَاءُ فِي أَعْلَى الْأَفْقِ أَغْصَانُ نُورٍ أَوْ وَشَاحٍ مِنْ وَرَقِ

وَ لَهُ:

كَأَنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ فِي فَحْمِهِ الدَّجَى رءُوسَ مَدَارِ رَكْبَتْ فِي مَعَاجِرِ

وَ لَهُ:

كَأَنَّ سَمَاءَنَا لَمَّا تَجَلَّتْ خِلَالَ نَجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ

رِيَاضُ بِنَفْسِجٍ خَضَلِ نَدَاهُ تَفْتَحُ بَيْنَهَا وَرَدَ الْأَفَاحِي

وله:

ورنا إلى الفرقدان كما رنت زرقاء تنظر من نقاب أسود

وله:

تظلّ الشمس ترمقنا بلحظمريض مدنف من خلف ستر

تحاول فتح غيم و هو يأبى كعنين يحاول فض بكر

آخر:

ما ذقت طعم النّوم لو تدرى كأنّ جنبى على جمر

فى قمر مسترق نصفه كأنّه مجرفه العطر

و آخر:

و البدر يأخذه غيم و يتركه كأنّه سافر عن خدّ ملطوم

و قال امرؤ القيس:

نظرت إليها و النّجوم كأنّهم صابيح ركبان تشبّ لقفال

و قال محمد بن يزيد بن مسلمه:

لما تراءى رخل ذات عشاء فمتع

و أحمس النّسرين شخص الرّدف بالحمل الدّرع

أطار نسرا واقعاو طائر النّسر يقع

فردا و وافى سيره و سار هذا اقشع

و عن سعد ذابح يتبعه سعد بلع

و سعد سعد بعده يسعد سعد ذو تبع

دافع ذا ذاك و ذادافع هذا فاندفع

أما مهار أم إذا أعرق فى فوق نزع

يتلو نعاما وارداو صادرا حيث سكع

يطير ما طردن فإن وقعن فى الأرض وقع

و عقرب يقدمها كليلها حيث دسع
لها مصاييح دجى تحكى مصاييح البيع
يتلو الزباني فاذا جد بها السير طلع
و وارن الكف التي فيها خضاب قد نصع
قال الدليل عرسوا فليس في صبح طمع
هذا ظلام راكدا للسر في نجع
و العيس في دويّه تعمل فيها و تدع
متمده أعناقها للورد عن غب التسع
فإنها سفائن يولج في الموج الدفع

فقلت سدّد قصدها لا كنت من نكس ورع

أما ترى غفر الزباني ساجدا أو قد ركع

و قبل ذاك ما لحاضوء السماك فخشع

و انتشرت عواؤه تناثر العقد انقطع

حتّى إذا الكبش ارتعى رغاؤه ثمّ نقع

تتابع الخيل جرت فيها مذك و جذع

يعيد فى خافاتها هينمه ثمّ سطع

شعر:

كلمعه البرق اليماني إذا البرق لمع

أو سلّه السيف انتضى سلته القين الصنع

فى نقبه ينسجها بيضاء ما فيها لمع

و انهزمت خيل الدّجى تركض من غير فزع

و الصّبح فى أعراصها يخبّ طوراً و يضع

فقلت إذ طار الكرى عن العيون و انقشع

لما بدا فى رحله نشوان من غير جرع

ليس المذكى سنهفى الحرب كالغمر الصّرع

قال أبو الحسن العلوى الأصبهاني:

كأنّ سهيلاً و النجوم أمامه يعارضه راع و راع قطع

إذ قام من ربائه قلت راهب أطل انتصاباً بعد طول ركوع

قال آخر:

فإذا كانت الشعري العبور كأنها معلق قنديل عليه الكنائس

و لاج سهيل من بعيد كأنه شهاب ينجيه عن الرّيح قابس

وقال آخر:

سريت على الجوزاء و هي كأنها شمائل رقاص تميل مناطقه

قال محمد بن عبد الملك:

كأنّ كواكب الجوزاء لَمَاسُمت تعرضت بالمنكبين

أخو حرب تقلد قوس رام و قلّد خصره بقلادتين

قال العلوى الأصبهاني في النسر شعرا:

و ركب ثلاث كالأثافي تعاوروا دجى الليل حتى أومضت سنه الفجر

إذا جمعوا سميتهم باسم واحدو إن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

و قال أبو النجم فى إصغاء الشمس للمغيب:

صب عليه قانص لما عقل و الشمس قد صارت كعين الأحول

و لابن الرّومى فى طلوع الشمس من خلل السحاب:

ظلت تسترنا و قد بعثت ضوءا يلاحظنا بلا لهب

قال ذو الرّمه فى مثله و هو يصف امرأه:

تريك بياض لبتها و وجهها كقرن الشمس أفتق ثم زالا

أصاب خصاصه فبدا كليلا كلا و انفل سائره انفلا لا

قال آخر فى داره الشمس:

و الشمس معرضه تمور كأنها ترس يقلبه كمي رامح

و أنشد ثعلب:

كأن ابن مزنتها جانحافسيط لدى الأفق من خنصر

و قد تركنا تقصى الباب لأنّ فى هذا القدر كفايه.

الباب الثامن والأربعون فى ذكر السراب، و لوامع البروق، و متخيلات المناظر و وصف السحاب

(السراب): هو الذى يتلأأ نصف النهار كأنه ماء، لازقا بالأرض و هو الآل و قيل الآل يكون ضحوه، و السراب نصف النهار. و فى القرآن: كَسْرَابٍ بِقَيْعِهِ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً [سوره النور، الآية: ٣٩] و قيل فى الفرق بينهما: إنّ الآل هو الذى يرفع كل شىء، و سَمَى الآل لأنَّ الشخص هو الآل، فلما رفع الشخص قيل هذا آل. قال الأعشى:

حَتَّى لِحَقْنَاهُمْ تَعْدَى فَوَارِسَنَا كَأَنَّنا رَعْنُ قَفٍ يَرْفَعُ الْآلَا

و قيل: هذا من المقلوب، أراد كأننا رعن قف يرفعه الآل، و الآل يرتفع عن وجه الأرض، و اللعاب الذى يتساقط من السماء كأنه زبد فى مرأى العين و يسمى ريق الشمس.

قال:

يثرن الثرى حَتَّى يباشرن برده إذا الشمس مجت ريقها بالكلاكل

و يلمع اسم السراب، و فى المثل: إنما أنت يلمع.

و يقال لبرق الحلب: يلمع أيضا و لذلك قيل: أكذب من يلمع، و اليلامع من السلاح:

ما برق نحو البيضة، و لا معا المفازة جانبها.

و يقال: ما بها لا مع أى أحد، و (الرقراق) مثل السراب و قيل رقرق السراب ترققه.

قال الشاعر:

يدوم رقرق السراب برأسه كما دوّمت فى الأرض فلكه مغزل

و قد صحا السراب أى انكشف و مصح الآل و تسعسع و الذى تراه فى الشمس كأنه خيط ممتد يقال له مخاط الشيطان. و قد كنى عن السراب بأبوال البغال قال شعرا:

و حمير أبوال البغال بأننى تسديت و هنا ذلك البينا

قال بشر يصف إبلا:

فقد جاوزن من غمدان أرضاً لأبوال البغال بها وقيع

يطان بها فروث مقصرات بقاياها الجماجم و الضلوع

و إنما قالوا ذلك لأنّ البغال لا تتناسل فلا ينتفع بأبوالها كما لا ينتفع بالسراب.

و يقال: فلان كثير البول إذا كان كثير، و (الوقيع) الخضر تكون في الأرض.

و قال ابن الأعرابي: البغال باليمن، فيبين أنّ هذه الأرض تكون باليمن.

قوله بطن: يعنى قوائم الناقة، و المراد بالأرواث كروش إبل قصرن عن السير فتركت مخلفات فأكلهنّ السباع.

و يقال للسراب المسجهر الكذوب اللون. و قال ذو الرّمه يصف الأظعان:

توارى و تبدو لى إذا ما تطاولت شخوص الضّحى و انشقّ عنها غدورها

(الشّخوص): تطاول فى وقت الضّحى لأنّ السّراب يرفعها يقول تبدو لى الأظعان فى ذلك الوقت إذا رفعها الآل و توارى إذا

انشقّ عنها غدورها، يعنى السّراب، و هذا الذى يشير إليه لتخيل الشّخوص فى المناظر، لذلك قال ابن أحمّر:

و ازدادت الأشباح أخيلهو تعلّ الحرباء بالثغر

و قال جرير

و من دونه تيه كأنّ شخوصها يحلن بأمثال فهنّ شوافع

و قال ذو الرّمه فى بيان السّراب يصف فلاه:

بها غدر و ليس بها بلال و أشباح تحول و ما تريم

تموت قطا الفلاه بها أوامو يحسر فى مناكبها التّسيم

قوله: (أشباح تحول): أى تتحرّك و لا تبرح بل يخيل ذلك إليك. و قال الشّماخ و ذكر ناقة:

إذا شرفات الآل زالت و نصفت تناطح ضبعها به و يداهما

قوله: نصفت: صار السراب إلى أنصافها، وقوله: ويداها: جعل اليدين للضعين وقال:

و حومانه زرقاء يجرى سراها بمنسجه الآباط حذب ظهورها

(حومانه): أرض غليظه، و (المنسجه): المنصبه أى ليست بضيقه الفروج و قال الكميت:

إذا ما الآل أعرض لم يجمع إلّى بأعين الخوف الغيوب

(يجمع): ينظر نظرا شديدا، و (الغيوب): جمع الغيب و هو المتخفّض. و قال ذو الرّمه:

ترى الريعه القوداء منه كأنّهامناد بأعلى صوته القوم لامع

الرّيعه: هضبه و هى الجبل الصّغير المفترش مع الأرض، أى كأنّها فى السّراب، (مناد): يلمع بثوبه، و قوله يصف قنه. قوداء طائقتها فى الآل محزوم الطّائق حرف شاخص فى القنّه و قوله: كأنّما الأعلام فيها سير. أى كأنّها تسير فى السّراب. قال جران العود و ذكر أرضا:

ببلقه كأنّ الأرض فيها تجهز للتّحمل و البكور

يريد أنّ السّراب يطرد فيها فكأنّها تجهز. و قال ابن الدّمينه:

برماحه الأنضاد فماصه الصّوى تداوى المطايا من مروح العجازف

(الأنضاد): جمع النّضد و هو ما تراكم من الجبل. و (الصّوى): الأعلام و تقصمها فى السّراب.

قال أبو النّجم:

بمهمه سابغه جلاله ينفض فى العين الصّحى أسماله

أراد ينفض الصّحى أسمال السّراب فيما ترى العين و قال:

حتى إذا الأكم طفت فى آلهامثل طفو الحمّ فى آهالها

و قال:

إذا السّراب استشخص الأجدالوا و أطردت دياسقا أسمالا

و استنسج الآرام و التّلالا الأجدال: أصول الشجر، (و أطردت دياسقه): و هو السّراب الأبيض و شبهه بأسمال الثّياب. قال ابن مقبل:

و يوم يقسم ريعانه رءوس الأكام يغشّين آلا

ترى البيد تهدج من حرّه كأنّ على حزم راء بغالا

بغالا عقارى تغشينه و كلّ تحمل منه فزالا

جعلها (عقارى): لأنها لا تلد، و (ريعانه): أوله، (تهدج): تتحرك يعنى أنّ الآل يتحرّك فكأنّ (بغالا) على كل شرف توجف. و لأبى ذؤيب:

يستنّ فى عرص الصّحراء فائزّه كأنّه سبط الأهداب مملوج

و أنشد:

و نسجت لوامع الحوروسبائيا كسرق الحرير

فالمراد به السّراب يستدل من هذا البيت على أنّ السّرق يقع على الحرير الأبيض دون غيره. قال ذو الرّمه:

إذا تنازع جالا مجهل قذف أطراف مطّرد بالحرّ منسوج

تلوى الشّنايا بأحقيها حواشيه لى الملاء بأطراف التّفاريح

جعل أطراف السّراب المنسوج بالحرّ يتنازعها جانبا المفازه، و قد بالغ فى الإبانة و التّصوير. و هذا كما قال الرّاعى:

و إذا ترقّصت المفازه غادرت زبدا بيغل خلفها تبغيلا

و يعنى بالزّبد حادى الإبل، و ما أوردناه فى السّراب و وجوه تشبيهه كاف فى هذا الموضوع.

فأمّا البرق: فإنّ الأصمعى قال: أحسن ما قيل فى وصف البرق و الغيث قول عدى بن الرّفاع:

فقلت أخبره بالغيب لم يره و البرق إذانا محزون له أرق

قال أبو نصر: كذا روينا عن الأصمعى، و هذا مما يعد من تصحيفه. و رواه أبو عمر و الشيبانى و ابن الأعرابى و أبو عبيده. و

البرق إذانا محزوله أرق: أى مشرف مراقب.

و تصحيح روايه الأصمعى:

لا كلفته فيه و بعده مرن يسبح فى ريح شأميه

مكلل بعماء ألامه منتطق

معنى (يسبح): يعرض و روى يسبح أى الرّعد. و قال:

ألقى على ذات أحقاد كلاكه و شتّ نيرانه و انجاب يأتلق

نارا يعاود منها العود حدّته و النّار تسفّع عيدانا فتحترق

و بات تجتلب الجوزاء درتها بنوءها حين هاجت مربع نعق

يبكى ليدر ك محلا كان ضيعة يريق منبسط منه و مندق

جون المسارب رقراق تظل به شم المخارم و الأثناء تصطفق

يكاد يطلع ظلما ثم يغلبه عز الشوايق و الوادى به شرق

و يقال فى البرق: يشرى- و يومض- و يعن- و يعترض- و يوبض- و يستطير- و يستطيل- و يلمع- و يتبوج- و يخطف- و يخفو- و يبرق- و يتألق- و يتلألأ- و يستشرى- و ينيض- و يخرق- و يسلسل- و يشتن- و يبتسم- و يضحك- و يبعق- و ينشق- و يرتعص- و يقرى- و يهص- و يثقب- و يلوح- و يتهامل- و يتككل. و مما يستحسن فى وصف البرق و خفائه، و الرعد فى حدائه، و الثلج و لألائه- قول بعضهم:

ينبض نبض العرق فى استخفاء كأنه فى البعد و الخفاء

شراهه تطرف من قصباء أو طرف طيرهم باقتداء

حتى إذا امتدت على السواء و رجفت بزجل الحداء

و قعقت بالرعد ذى الصوضاء كأن بين الأرض و السماء

رجل جراد ثار فى عماء أو سرعانا من دبا غوغاء

و كرسفا يندف فى الهواء تطيره الريح على قواء

أو حلبا ينطف من أطباء أو رغو تنفش من غرلاء

أو كتفى الفضة البيضاء أو كانتشار الدر ذى اللألاء

أو كانتظام الودع فى الإخفاء فأشمطت الأرض على فتاء

و استوفت الآكام بالصواء

و قال آخر:

و أرض أنست بأهوائها و غيث سريت له إذ سرى

و شمت بوارق أقطاره فبرق يلوح و برق خبا

و بات يعجّ عجيج القطاو باتت بجوالقها تيمترى

و قد هدا الصّوت من غيره و دارك بين البكا و الفنا

و قلت له حين أبصرته يراوح بين الخسا و الزّكا:

أ أنت القطار أم أنت البحار أم أنت قاسم المرتجى؟

فأنت ما لم يكن نابتاو قلع من نبتة ما عفا

و لم تلبث الأرض أن صرّحت عن النور و اخصر أعلى الضّفا

و صار على الأرض من وبله قناع السيول و إزر الربى

شعر:

تأزرت الأرض ثم ارتدت من النور حليا كساها الحيا

و صار سواء إذا جبتها مفاوز برّبها و القرى

قال العتّابي:

أرقت للبرق يخبو ثم يأتلق يخفيه طورا و يبيديه لنا الأفق

كأنها غزه شهباء لامحفي وجه دهماء ما في جلدها يلق

أو نغر زنجيه تغترّ صاحكتهبدو مشافرها طورا و تنطبق

أو غزه الصبح عند الفجر حين بدت أو في المساء إذا ما استعرض الشفق

له بدائع حمر اللون هائلهفيها سلائل بيض ما لها حلق

و الغيم كالثوب في الآفاق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق

تظنه مصمما لا فتق فيه فإن سالت عزاليه قلت الثوب منفتق

إن قعقع الرعد فيه قلت ينخرق أو لألا البرق فيه قلت تحترق

تستكّ من رعده أذن السميع كما يغشى إذا نظرت في برقه الحدق

فالرعد صهصلق و الرّيح مخترق و البرق موتلق و الماء منبعق

غيث أو اخره تحدو أوائله أرب بالأرض حتى ماله لثق

قد حاك فوق الرّبي نورا له أرح كأنه الوشى و الدّيباج و السرق

فطار في الأنف ريح طيب عبق و نار في الطرف لون مشرق أتق

من خضره نبتها حمراء قانيها أو أصفر فاقع أو أبيض يقق

و لبعض بني مازنه:

إذا الله لم يسق إلّا الكرام فاسق ديار بني حنبل

ملتا مربا له هيدب صخور الزواعد و الأزمل

تكركره حصحصات الجنوب و تفرغه هزه الشمال

كأنّ الرّباب دوين السّحاب نعام تعلق بالأرجل

كأنّ الركيه من فيضه إذا ما بدا فلكه المغزل

قال على بن الجهم في السّحاب شعرا:

و ساريه ترتاد أرضا تجودهاشغلت بها عينا قليلا هجودها

أتتنا بها ريح الصّبا و كأنّها فتاه ترجيها عجوزا تقودها

تميس بها ميسا فلا هي إن دنت نهتها و لا إن أسرعت تستعيدها

تقاربها في كل أمر تريده ليسرح في أكنافها من يريدها
إذا فارقتها ساعه ولهت له كأم وليد غاب عنها وليدها
فلما أضرت بالعيون بروقهاو كادت تصم السامعين رعوها
دعتها إلى حل النطاق فأرعشت يداها وخرت سمطها و عقودها
و كادت تمس الأرض إما تلهفاو إما حذارا أن يضيع فريدها
فلما رأت حرّ الثرى متعقدا بما زلّ عنها و الرّبي تستريدها
و أنّ أقاليم العراق فقيرها إليها أقامت بالعراق تجودها
فما برحت بغداد حتى تفجرت بأوديه ما تستفيق مدودها
و حتى رأينا الطير في جنباتها تكاد أكف الغايات تصيدها
و حتى اكتست من كل نور كأنها عروس عليها وشيها و برودها
و دجله كالدرع المضاعف نسجها لها حلق تبدو و تخفى حديدها
فلما قضت حقّ العراق و أهله أتاها من الرّيح الشّمال يريدها
فمرت تفوت الطير سبعا كأنها جنود عبيد الله و لت بنورها

الباب التاسع والأربعون في تذكّر طبّ الزّمان - و التهلّف عليه - و الحنين إلى الألف - و الأوطان

كنا قد ذكرنا فيما صدّرنا به هذا الكتاب ما أنشأ الله عليه الخليقه من حبّ الوطن و السّكن، و ما درج إليه أولى النّحل السّليمه - و العقد الصّحيحه من الولوع بحفظ متقدم أعصارهم، بما اتفق من سير و حكم نخبهم - و أنه حبّ إليهم ما يآثره القرن بعد القرن، منهم ليظهر من جلائل صنعته - في كل حين و فوائد منحه على كلّ حال ما توافق فيه الرّواه - و تلاحق به المدد و الأوقات.

و ذكرنا أيضا شيئا صالحا من علّه الحنين إلى الألف و الأوطان، و ما تأسّس عليه أسباب التّنافس و التّحاسد بين الرّجال، إلى انكشاف الأحوال عن التّراضى بينهم بمختلفات الأقسام، و إنّ جميع ذلك حكمه بالغه من الله جلّ جلاله في الأنام، فأحبينا أن نجدد هنا ما يتأكّد به ما تقدّم، أنشد المبرد شعرا:

لعمري لئن جليت عن منهل الصّبالقد كنت ورّاد المشربه العذب

ليالي أعدو بين بردين لاهيا أميس كغصن البانه الناعم الرّطب

سلام على سير القلاص مع الرّكب و وصل الغوانى و المدامه و الشّرب

سلام امرئ لم تبق منه بقيهسوى نظر العينين أو شهوه القلب

قال أبو تمام:

إذا لا صدوف و لا كنود اسماهما كالمعنيين و لا نوار نوار

إذ في القتاده و هي أنجل أيكهنمر و إذ عود الزّمان نزار

قال دريد بن عبد الله:

حننت إلى رّيّا و نفسك باعدت مزارك من رّيّا و شعبا كما معا

و أذكر أيام الحمى ثم أنثنى على كبدى من خشيه أن تقطعا

تلّقت نحو الحيّ حتّى وجدتني وجعت من الإصغاء لينا و أخذعا
و ليست عشيات الحمى برواجع عليك و لكن خلّ عينيك تدمعا

أنشد أبو صالح الآمدى عن الأخفش:

سقى الله أياما لنا ليس رجعا لينا و عصر العامريه من عصر

ليالى أعطيت البطاله مقودى تمرّ الليالى و الشهور و لا أدري

مضى لى زمان لو أخير بينه و بين حياتى خالدا آخر الدهر

لقلت دعونى ساعه و حديثها على غفله الواشين ثم أقطعوا عمري

و قال آخر:

أقول لصاحبى و العيس تهوى بنا بين المنيفه فالضمار

تمتّع من شميم عرار نجدفما بعد العشيّه من عرار

ألا يا حبّذا نفحات نجدو ريا روضه بعد القطار

و أهلك إذا يحلّ الحيّ نجدوا أنت على زمانك غير زار

شهور ينقضين و ما شعرنا بأنصاف لهنّ و لا سرار

قال ابن الرومى:

بكيّت فلم تترك لعينك مدمعازمانا طوى شرخ الشّباب فودّعا

سقى الله أوطارا لنا و مآربا تقطّع من أقرانها ما تقطّعا

ليالى ينسين الليالى حسابها بلهنيه أفضى بها الحول أجمعا

على غره لا أعرف اليوم باسمه و أعمل فيه اللهو مرأى و مسمعا

قال معن بن زائده:

تمطى بنيسابور ليلي و ربما يرى بجنوب الدير و هو قصير
ليالى إذا كلّ الأحبه حاضرو ما كحضور من يحبّ سرور
فأصبحت أمّا من أحبّ فنازح و أمّا الألى أقليهم فحضور
و إذا لأبالي أن يضئع سائس و يشقى بما جرّت يداه وزير
يحنّ إلى الألف قلبى و قلبه إذا شاء عن ألفه لصبور
أبيت أناجى النفس حتى كأنما يشير إليها بالبنان مشير
لعلّ الذى لا يجمع الشمل غيره يدير رحي جمع الهوى فتدور
فتسكن أشجانا و تلفى أحبهو يورق غصن للشباب نصير

أراعى نجوم الليل حتى كأنى بأيدى العداة الثائرین أسیر
وله:

باد الهوى و تقطعت أسبابه و صبا فعاود قلبه أطرابه
ذكر التميمى الغوانى بعد منازل المشيب و بان منه شبابه
و تذكر اللهو القديم فساقه أن شط بعد تقارب أحبابه
غشى المنازل بالسليل فهاجه ربع تبدل غيره أربابه
بانوا و ما من بين حى راحل إلا له أجل يلوح كتابه
و لقد نراه للقتول و أهلها جارا تمس بيوتهم أطنابه
صافت بوج فى ظلال كرومه حتى شتا و تصرمت أعنابه
و تذكرت متربعا من أرضه بردت شمائمه و جال سحابه
كم قد أرب بجوه من معذق متهمم قرد يطير ربابه
فمحلها منه رواء مبقل هزج إذا ارتفع النهار ذبابه
حل به ثمد و محضر بهجهحرما و أمنا حوله أنصابه
يهوى إليها العالمون كأنهم قطع القطا متواترا أسرابه
إن الذى يهوى فؤادك قربه قد سدّ بالبلد الحرام حجابه
أنى ينال إذا انتمت فى مشرف دون السماء حصينه أبوابه
لج المتيتم فى البعاد سفاههو البين ينبع ظيبه و غرابه
حتى إذا احتمل الحبيب تبادرت عيناه دمعا دائما تسكابه
إن امرأ كلفنا بذكرك موزعاحق عليكم وصله و ثوابه

قد طال ما انتظر التّوال لديكم حتى استملّ ولامه أصحابه
لو تنطق العيس اشتكت ما عالجت من حبسها عند القتول ركابه
قال ابن ميادة:

ألا ليت شعري هل ابیتنّ ليلهبجرّه ليلي حيث ربني أهلي
بلاد بها نيطت علىّ تمائمى وقطّعن عنى حين أدركنى عقلى
قال ابن الرومى:

ولى وطن آليت ألّا أبيعهُ و ألّا أرى غيرى له الدّهر مالكا
عهدت بها شرخ الشّباب و نعمهكنعمه قوم أصبحوا فى ظلالكا
وقد ألفتة النفس حتى كأنّه لها جسد إن غاب غودرت هالكا

و حَبَّ أوطان الرِّجال إليهم ما رَب قضاها الشَّبَاب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتهم عهود الصِّبا فيها فحنَّوا لذلكا

اعتل رجل في غربته فتذكَّر أهله فقال:

لو أنّ سلمى أبصرت تحدّدي و دقه في عظم ساقى و يدي

و بعد أهلى و جفاء عودى عَضَّت من الوجد بأطراف اليد

قال أبو عنيه:

ألا خَبِّروا إن كان عندكم خيراً تقفل أم نثوى على الهَمِّ و الضَّجْر

شعر:

نفى التَّوم عن عيني تعوَّض رحلها الهَمِّ و استولى بها بعدها السَّخر

فإن أشك من ليلي ليلي طوله فقد كنت أشكو منه بالبصره القصر

فيا حَبْذا بطن الحزير و ظهره و يا حسن واديه إذا ماؤه ذخر

و يا حسن تلك الباسقات إذا غدت مع الماء تجرى مصعدات و محدر

و يا حَبْذا نهر الأبله منظر إذا مدَّ في إبانه النَّهر أو جزر

و فتیان صدق همهم طلب العلى و سيماهم التَّحجيل فى المجد و الغرر

لعمرى لقد فارقتهم غير طائع و لا طيب نفسا بذاك و لا مقر

و قائله ما ذا نأى بك عنهم فقلت لها لا علم لى فسلى القدر

فيا سفرا أووى بلهوى و أنثى و نَعَصنى عيشى عدمتك من سفر

و قال آخر:

أعلى اليأس أنت أم أنت راج كلِّ همِّ مصيره لانفراج

ما تغنى القمريّ إلا شجاني و غناء القمريّ للقلب شاج

فلنوح الحمام يهتاج قلبي يا لقوم لقلبي المهتاج

و خليل سرى إلى و دونى سير شهرين للبالغ التّواج

عامدا ما تراه يقظان عيني و هو فى التّوم لى ضجيج مناج

جعلت نفسه لنفسى على البعد مزاجا أحب به من مزاج

كم بجرجان ليت شعري مقامى و متى من غمومها أنا ناج

إنّ أشهى إلى منها مقام بين دار المنجاب و الحجاج

فى فتو من كل أيلج يكفى وجهه فى الظّلام فقد السراج

ربّ فاحفظهم و ردّ إليهم غرابتى يا مؤلف الأزواج

و قال آخر:

ألا ما لعينك لا ترقدو ما لدموعك لا تجمد
و ما بال ليلك ليل السليم ساوره الحيه الأربد
و خلّاك صحبك في زفره هَمّ عنك في غفله هَجْد
فما لك من وحشه مؤنس و ما لك عند البكا مسعد
فقاس الهوى و تقرد به فأنت الوحيد به المفرد
مللت بجرجان طول الثوى و بالبصره الدار و المولد
و كم لى بها من أخ أصيدنماه لمجد أب أصيد
مصايح ليل إذا أشرقت يفرج عنه الدجى الأسود
إذا الناس غمّتهم أزمهفلم يبق كهل و لا أمرد
يؤمّل أو يرتجى رفته يعود بخير و لا يرفد
و لم يدر حرّان ذو درّيهالى من بكرته يقصد
سواء إذا ازدحم الواردون أقربهم فيه و الأبعد
إذا ما التقوا و ثقوا عنده بأن لن يزدادوا و لن يطردوا
و يغشون فى الحرب حوماتها إذا شبّ نيرانها الموقد
و أعرضت الخيل مزور هسرايلها العلق المجسد
إذا وعدوا أنجزوا وعدهم و إن أوعدوا حان من أوعدوا
مواريث آباء آبائهم يورثها سيّد أسيد
فلو كان يخلد أهل الندى و أهل المعالى إذا خلدوا

متى ألقهم بعد طول المغيب أجدهم على خير ما أعهد

ألا ربّما طاب لي مصدرى لديهم و طاب لي المورد

شعر:

و إن يقدر الله لي رجعه فجدّي بقربهم الأسعد

و إلا فلا حزني منقض و لا حرّ نيرانه يبرد

فيا سادة الناس أنتم مناي على بعد داري فلا تبعدوا

و أقسم ما طاب لي بعدكم مقام و لا طاب لي مقعد

يغور هواي إذا غرتم و إن تنجدوا فالهوى منجد

ألا ليتني جاركم بالعراق ما جاور الفرقد الفرقد

ألا أيها الناس إنني لكم على خالد مشهد فاشهدوا

بكى من عتاب توالت به قواف يردها المنشد

فكيف إذا ما استحرّ الهجاء إذا لا يقوم ولا يقعد

قال محمد بن عبد الله بن ظاهر:

يا جبل السَّماق سقيا لكأما فعل الطّبي الذي حلكا

فارتق أوطانك لأنّه فارقك الخلّ ولا ملكا

فأى أوطانك أبكى دماماءك أو طينك أو ظلّكا

أو نفحات منك تأتي إذادمع الندى تحت الدّجى بلّكا

حدّث الزّيدى قال: أخبرنا الزّبير بن بكار قال: كانت ظييه تحت محمد بن أبى بكر بن مسور و كانت ذات مال و لا مال له، فخرج يطلب الرّزق فلما كان فى موضع يقال له:

بلكثه، انصرف راجعا فدخل إليها فقالت: الخير رجعت فقال شعرا:

بينما نحن بالبلاكت فالقاع سراعا و العيس تهوى هويا

خطرت خطره على القلب من ذكراك و هنا فما استطعت مضيا

و لو أنّ ما أهدى لي كان شربهبطن اللّوى من وطب راع شفانيا

و أنشد أبو بكر بن دريد قال: أنشدنى أبو عمر أنّ الكلابى لرجل من قومه قال شعرا:

يحنّ إلى الرّمل اليمانى صبابهو هذا لعمرى لو رضيت كئيب

فأين الأراك الدّوح و السّدر و الغضاو مستنجز عما يحبّ قريب

هناك تغنينا الحمام و يجتنى جنا اللّهو يحلو لي لنا و يطيب

قال أعرابى:

أيا أثلاث القاع من بين توضح حينى إلى أظلالكنّ طويل

و يا أثلاث القاع قد ملّ صاحبي ثوائي فهل في ظلّكن مقيل

و يا أثلاث القاع ظاهر ما بداعلى ما بقلبي شاهد و دليل

و يا أثلاث القاع قلبى موكل بكنّ و جدوى خير كنّ قليل

ألا هل إلى شمّ الخزامى و نظرها إلى قرقرى حتى الممات سبيل

قال أعرابى:

ألا حبذا و الله لو تعلمانه ظلالكما يا أيها الطللان

و ماء كما العذب الذى لو شربته و بى صالب الحمى إذا لشفانى

و أنشد الأخفش على بن سليمان:

اقرأ على الوشل السلام و قل له كلّ المشارب مذ هجرت ذميم

سقى لظلك بالعشى و بالصّحى و لبرد مائك و المياه حميم

لو كنت أملك منع مائك لم يذق ما فى فلاتك ما حيت لثيم

قال الرّياشى أنشدنى أعرابى:

سلم على قطن إن كنت تاركه سلام من يهوى مره قطنا

قلت لبيك إذ دعانى لك الشوق و للحاد بين كرا المطينا

ثم كروا صدور عيس عتاق مضمرات طوين السير طيا

ذاك مما لقين من دلج الليل و قول الحداه بالليل هيا

فقلت: لا جرم و الله لأشاطرنك ملكى فشاطرته.

قال أبو تمام:

و ما سافرت فى الآفاق إلّو من جدواك راحتى و زادى

مقيم الظنّ عندك و الأمانى و إن تلفت ركابى فى البلاد

معاد البعث معروف و لكن ندى كفيك فى الدنيا معادى

و أين تجور عن قصد لسانى و قلبى رائح برضاك غاد

و مما كانت الحكماء قالت لسان المرء من خدم الفؤاد

قال البحتريّ:

أملى فيكم و حقّى عليكم و رواحى إليكم و ابتكارى

و اضطرابى فى الناس حتى إذا عدت إلى حاجه فأنتم قصارى

قال أبو تمام:

كلّ شعب كنتم به آل وهب فهو شعبي و شعب كلّ أديب

إنّ قلبي لكم لكالكبد الحزّي و قلبي لغيركم كالقلوب

أبو عبد الله بن الأعرابي قال: أنشدتني امرأة من أهل اليمامة لنفسها و كانت مرضت بمصر شعرا:

تحاشد جاراتي فجئن عوائد اقصار الخطى تجر البطون حواليا

و جئن برمان و تين و فرسك و بقل بساتين ليشفين دائيا

شعر:

أحبه و الذى أرسى قواعده حبا إذا ظهرت أعلامه بطنا

فليتنا لا نريم الدهر ساحته و ليته حين سرنا غربه معنا

ما من غريب و إن أبدى تجلده إلّا سيدكر عند الغربه الوطن

قال أعرابي:

لا و الذى إن كذبت اليوم عاقبنى و إن صدقتكم ربى فعافانى

ما قرّت العين بالأبدال بعدكم و لا وجدت لذيد النوم يغشانى

و من المستحسن فى هذا المعنى قوله:

شيب أيام الفراق بمفارقى و انشزن نفسى فوق حيث يكون

و قد لان أيام اللوى ثم لم يكدمن العيش شىء بعدهنّ يلين

يقولون: ما أبلاك و المال غانم عليك و ضاحى الجلد منك كثير

فقلت لهم: لا تعذلونى و انظروا إلى النازع المقصور كيف يكون

يعنى بالنازع المقصور: بعير حنّ إلى وطنه فقيّد مخافه أن يهيم على وجهه و هذا فى الإبل معروف لذلك قال القائل:

لا تصبر الإبل الجلال تفزقت بعد الجميع و يصبر الإنسان

قال:

هبت و ما فى الأفق منه فزعهو ليس منه أحد على أمل

فأنشأته قطعا تمت مازال و ما زالت به حتى اتصل

و طأطأت بالأرض من أكتافه و سدّدت منه الفروج و الخلل

حتى إذا كان بعيدا فدناو كان فى السّير خفيفا فتقل

و أسمع الأصمّ صوت رعدِهِ و وقر السّمع الصّحيح و أعل
و أبصر الأكمه ضوء برقه و خطف الطّرف الحديد و أكل
و صرّ حتى قيل هذا حاصب من السّماء و عذاب قد أظل
و نحن مصنوع لنا مدبريه و لكنّا خلقنا من عجل
حلّت عزاليه بسرّ من رأى فلم تزل تعلّها بعد النّهل
إذا تلكا هتف الرّعد به و أومضت فيه البروق فهطل
ليل التّمام و النّهار كله متّصلا مذ غدوه حتى الأصل

فما دنا حتّى اتقى النَّاس أذى إفراطه و قالت الأرض بجل

شرقت فيما ضرّ منه أهله و ما شركت فى السّرور و الجذل

و لا نفعت غله بمائه فى معشر قد نفعوا به الغلل

و لا أجلت الطرف فى رياضه و لا أسمت السّرح فى الوادى البقل

و لا تحملت له صنيعهيشملنى مرفقها فيمن شمل

إلّا بتحميل السّلام سيّله إلى مدينه السّلام إن حمل

إلى بلاد جلّ إخوانى بهاو من أعزّ من صديق و أجل

خرج عوف بن محلم مع عبد الله بن طاهر إلى متصيد، فكان عبد الله يحدثه و سمعه يثقل عن الاستماع فانبرى يقول شعرا:

إنّ الثّمانين و بلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

و أبدلتنى بشطاط الخناو كنت كالصّعده تحت السّنان

و عوّضتنى من زماع الذّدى و همّه همّ الدثور الهدان

فتهت بالأوطان و جدا بهاو بالفوانى أين منى الفوان

و صرت ما فى لمستمتع إلّا لسانى و بحسبى لسان

أدعو به الله و أثنى به على الأمير المصعبى الهجان

و قربانى بأبى أنتما من وطنى قبل اصفرار البنان

و قيل ينعانى إلى نسوها و طانها حرّان فالزّقتان

سقى قصور الشّاذياخ الحيامن بعد عهدى و قصور الميان

الباب الخمسون فى ذكر أنواع الظل وأسمائه ونعوته

و يقال: ظلّ و فى ء و تبع فجمع ظل ظلال و ظلل و جمع الفى ء أفياء و فيوء.

تتبع أفياء الظلال عشيها على طرق كأنهنّ سبوت

و قال آخر:

فسلام الإله يغدو عليهم و فيوء الفردوس ذات الظلال

و إنما قال: أفياء الظلال، فأضاف الفى ء إلى الظل، لأنه ليس كلّ ظل فى ء و كلّ فى ء ظل و كان رؤبه يقول: الظل ما نسخته الشمس و هو أول، و الفى ء ما نسخته الشمس و هو آخر.

و قالوا: الظل بالغداة و العشى، و الفى ء بالعشى. و قال أبو حاتم: الظل يكون ليلاً و نهاراً، و لا يكون الفى ء إلّا بالنهار، و هو ما نسخته الشمس ففاء و كان من أول النهار و لم تنسخه. قال الشاعر:

فلا الظل من برد الصّحى نستطيعه و لا الفى ء من برد العشى نذوق

و قال:

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله و أفعده فى أفيائه بالأصائل

و التبع: الظل بالغداة و العشى. قال الشاعر:

نرد المياه حضيره و نفيضه ورد القطاه إذا استمال التبع

و إذا كان الظل تاماً لم ينقص و لم تنسخه الشمس قيل: ظل دوم و دائم. قال: شتان هذا و العناق و التّوم و المشرب البارد و الظل الدّوم.

و هذا كقوله تعالى: **إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا** [سوره الملك، الآية: ٣٠] أى غائراً- و ظلّ

رفق و مسترفق، و جلس فى أرفق الظل و ظلّ ممدود و مديد، و ظلّ واصب- و ظلّ ساكن.

و ظلّ راتب راسب و معتد و عتيد. و ظلّ أمم و عمم، فإذا كان كشيئا ثخيناً لم تنسخه الشمس أو نسخته و وفرته. قيل ظلّ قوى- و كشيء- و ثخين رصين- و سجدس- و وارف- و وريف.

قال:

غدا تحت فينان من الظلّ وارف

و ظل و اف و صاف- و ظلّ سابغ- و ظلّ و حف و نعف- و ظلّ- واعد- و صادق- و موثوق- و ظلّ- و مظلّ- و ظليل و ظلّ فينان- و ذو فيون- و ظلّ مغطال- و مغطئل.

و إذا كان ضعيفاً شفا قيل شف هف. و شفيف هفيف- و شفشف- و شفشاف- و هفهف- و هفهاف- و شعشع- و شعشاع- و خادع- و خداع- و خدوع و كاذب- و كذاب- و كذوب- و ظنون- و حتيفور- و ملدان- و ملاق- و خفاق.

فإذا أكلته الشمس- و تحيفته قيل أخذ الظلّ يتراجع- و يتراد- و يزحل و ينحلّ و يسهل- و يذبل- و ينحف- و يهرد و ينزل- و يأفل- و ينشل- و يشل- و يليح- و يلق- و يدق- و يموت- و يأزى- و يحسر- و يقصر- و يمصح- و يهرب- و يجنح- و يرزح- و ينفق- و يحول و يزول- و يصيف- و يضيف- و يقلص- و يضحى- و يكرى. قال ابن أحمري:

و تواهقت أخفافها طبقاو الظلّ لم يفضل و لم يكثر

و يتأزف- و يتجارف- و يتأزى- و يتقاصر- و يسمئيل- و يضمحلّ- و يغيب- و ظلّ منقوص.

و إذا ضاق كلّ ضيق قيل: أخذ يضيق- و يقع- و يسقط- و ينصب- و كرب يغيب- و يرزأ- و يفى ء- و يبلى- و يموت- و قد عاد- و لاذ- و عاوذ- و لاوذ، و الأذ- و استرق- و انحمق- و انغفق- و انسرب- و انبتر.

و الظلّ: ضيق- و ضيق- و زناء- و أحمق- و محمق- و سهل- و وائل- و ناشل- و شعى- و لقى- و هزيل- و نحيف- و حرض- و دنف- و هالكك- و ساقط- و متكرس- و متزرب- و خانس كانس- و أعجف- و محيف مذيق- و صحصاح.

فإذا أسرع الزوال- و تعجل فى الانفتال- قيل ظلّ مستوفز- و مستقلص و مستطرد- و مالح- و راغش- و والى- و دالى.

فإذا أخذ يترجح قيل يترجح- و يميد- و يمور- و يتراد- و يتغيف- فإذا وقف قيل قد وقف- و صام- و قام- و مكد- و ركد- و مصد- و حار- و تحير- و دوم- و تلدد- و تبلد- و عقل- و اعتقل- و تخبس- و تصبر- و ظلّ حيران ثابت لا يزول.

و يقال: وردته و الظل عقال- و حذاء- و طباق- و طراق- قال الشاعر:

و كان طَرّاق الخف أو قل زائدا

و شعار و دثار- و رداء- و خف- و نعل- و جورب.

قال: و انتعل الظل فصار جوربا. و ساق- و ظل مثارب من الأرومه و متجعثن من الجعثنه و متجرثم من الجرثومه.

فإذا حوّل قيل حول- و فاء- و راع- و نسخ- و انتقل- و بدل- و اعتدب.

و يقال: يزل الظل محولا و محولا و طاردا، و مطرودا- و ناسخا- و منسوخا و سارقا- و مسروقا- و لاحقا- و ملحوقا.

و يقال: له أول ما يظهر في فيئه نبت الظل- و نجم- و نسّم- و عسم- و بدا- و تولّد- و ظهر- و أنتج- و نبع- و نبغ- و انتعش- و انتقش- و أحنى- و طلع- و نسغ و جلس في نسيغ الظل و رسيغه. و موكده- و منتجه- و منبته- و مستنبته- و مستنبطه- و مستوشاه- و مستعلقه- و مستذاقه- و مستطعمه- و مسترفقه- و مستحلقه- و مستودقه- و مستمتعته- و مسترفده- و ملتقطه- و مستفاه- و مشتفه- و نفاشه- و جناه.

فإذا انبسط شيئا في فيئه قيل: حى- و ربا- و نبت- و سعى- و مشى- و حبا- و ثار- و سار- و جسم- و سمن- و استطال- و فضل- و نمى.

و يقال: ظلّ شاب- و جذع- و قيان- و شارخ- و غض. قال قد صبحت و الظل غض ما زجل- و ظلّ دوم و دائم- و روح- و رائح و ثمل- و هائل- و ظلال ثمل- و ثمله و ثوامل- و جاءنا في ثميله الظل- و ثامله- و مشتمله- و ثمله- و ثمده- و شجره مثمله و قد استبرد في الظل- و استروح- و استندأ- و ظلّ مدفئ- و دفىء- على فعيل- و سخن- و ساخن- و سخاخين- و ظلّ بارد- و كريم- و أدفأت الشجره بظلالها- و دفأت و أبردت- و أروحت- و أراحت- و أطابت- و أطيبت- و تفيأت الشجره بظلالها- و أفاءت ظلالها- و قد فاء الظل بفيء فاء و فيئا.

و يقال: ظل مومن- و مشمل- و موسر- و ميامن و مياسر- و قد أيمنت- و يامنت و أيسرت- و ياسرت- و أشملت- و وقع ذات اليمين- و ذات الشمال- و إذا تحرّك خلال الشجر قيل رمح الظل- و ركض و ارتكض- و صرخ- و رقص- و رنق.

و يقال: ركض الماء في المعجر أيضا.

و يقال: ظل أبيض- و أشهب- و أسمر ليس بشديد السواد- و العس- و أدعج و أظمأ-

و ألقى - و أحمر - و أحوى قال فى ظلّ أحوى الظل رفاف الورق - و يحوم و أدهم - و أدلم شديد السواد - و أتيت فى دلمه الليل و ظلمته أى فى شدّه سواده.

و يقال: ظل يقق - رقق - و ازغاز - و ناضب غائب - و منسرق منحقق - و مخنق مدنق - و حاسر - و قاصر - و عادل مائل - و زائل حائل - و ناحل ضاهل - و جانح - أو ماضح و منتقل - أو معتقل - و ماكد راكد - و مشفش - و ناسم - أو جاسم - و ساه واه و عائد لايد - و معاوذ - ملاوذ - و معافر - أو منافر - و مضمحل - و مسمثل - و والى دالى - و ملس محلس - و ههف - شفشف - و هف شف - و ههفاف شفشفاف - و ههف أو رفراف و ساج داج - و متجارف متأزف - و صاييم قائم - و تخين رصين - و ناحل - أو زاحل و وحف - نغف - و أمم - أو عمم - و زائل آفل - و ناشل و اشل - و مكر مجن - و متبلمد و متلدّد - و نافق عافق و شارخ أو مالخ و خانس كانس و سقيط - أو لقيط - و راتب راسب - و منزب منسرب.

قال أبو عمرو ما يجرى مجرى التفسير و هو أكثر سماع من أبى العباس ثعلب.

يقال: سجس الظل فهو سجس إذا دام و سكن. و منه سجس الماء علاه الطحلب فواراه. و كذلك لا أفعله سجس الليالى و هو باقياها و دائمها. و ظل ساج: أى ساكن. و قد سجس سجوا. و ظل داج ملبس. و قد دجا دجوا و هو من قولهم دجا الإسلام أى ظهر و انتشر.

قال شعرا:

و ما مثل عمرو غير أعمم فاجر أبى مذ دجا الإسلام لا يتجنّف

و يقال: دجت شعره الشاه: ضفت و سبغت. و رقق الظل ما تسترقق به منه.

و يقال: ماء رقق قليل للغشاء قريب الرشاء. و ظل ماتع طويل. قال:

ماتعه راد الصّحى أفاؤها و قد متع الظل و متع النهار و متع الثّبات

قال ابن مقبل: و عاد لويه بعد المتوع، و ظل وحف كشف - و شعر وحف و قد وحف و حوفه و وحافه. و لغف مثله. و قد ألغف قناعه، و أغدفه، و ظل واعد يعد بسكون، و دوام و سحاب واعد يعد يمطر، و فرس واعد يعد بجرى. قال:

حتى إذا أدرك الرّامى و قد عربت عنه الكلاب فأعطاها الذى يعد

يصف ثورا دافع كلبا بقرنه.

و ظلّ مظل - و ظليل - و قد أظلّ يومنا - و ظل مغطال و مغطّل - قال و أغطال شكيرها - و شف هف - من قولهم: شف الثوب إذا أدى ما وراءه، و هف رقيق.

و يقال: سحاب هف رقيق- و شهده هف لا عسل فيه- و ثوب هف هف رقيق- و هف هف كذلك.

و يقال: ظلّ مشعشع أى رقيق. و شعشع كذلك و هما غير الظليل. قال الهذلي: و الظل بين مشعشع و مظلل. و شعشع الشراب: أرقه بالمزج.

و رجل شعشاع طويل دقيق إلى كلّ شعشاع و أبيض فادعم
و خادع و ظنون لا يوثق بدوامه.

و يقال: سنون خداعه لا- زكوه فيها، و كل شىء لا دوام له و لا بقاء فهو خيتعور، و الدنيا خيتعور، و حبّ المرأه خيتعور. قال شعرا:

كلّ أنثى و إن بدا لك منها آيه الحبّ حبّها خيتعور

و الغول خيتعور و شىء يظهر على وجه الأرض، فلا يثبت خيتعور و الملدان الكذوب.

و يقال: زحل الظلّ أى سار. قال: و الظلّ غض ما زحل. و ضهل قل: يقال ماء ضهل و ضاهل و ظل ضهل. و هرب الظلّ: غاب. قال: من هارب الوتد. و أفل غاب و أفلت الشمس تأفل أفولا و أفلت السحاب صحت، و أفل لبن النّاقه، قلّ، و الأفيل و الإفال صغار الإبل لأنّها تغيب فى جلتها و كبارها.

و يقال: نشل الظلّ قل و يدنا شله نحيفه ضئيله، و وشل اللبن و وشل حظ الرّجل و ولق يلق أسرع. قال: جاءت به عنس من الشّام تلق.

و ودق: دنا من السّقوط، و يقال: و دقت الأتان و أودقت و استودقت فهى و ديق و مودق و مستودقه إذا اشتهدت الفحل فدنت منه، و ودقت السّره تدلّت إلى الأرض، و الوديقه الهاجره لأنّ السّمس تنزل إلى الأرض بحرّها.

و يقال: أذى الظلّ يأذى أزيا و أزيا إذا قصر و صار نعلا، و تأزّى القوم فى حلتهم إذا تقاربوا، و فلان أزمه فلا يبرحه. و اسمأل الظلّ لاذ بأصل الشّجر و اسمأل الثّوب أخلق، و كلّ ضعيف مسمئل و كلّ قوى مضمئل.

و يقال: قلص الظلّ قلو صا و ضحى يضحى ضحوا. و مصح مصوحا، و جنح جنوحا، و رزخ رزوخا، و نصب الظلّ و نصب الماء و نصب البرق. و أنشد أبو زيد فى عماء ناضب.

و زنا الظلّ و هو زناء. قال شعرا:

و تدخل فى الظلّ الزّناء رءوسهاو تحسبها هيمما و هنّ صحائح

و عادنا الشّجر و جلست فى عوذ الظلّ، و انسرق الظلّ.

و يقال: قواه منسرقه أى ضعيفه، و غزال منسرق، و انغفق: ضعف و كاد ينتقل.

و يقال: تغفق بظل الشجره. قال:

تغفق بالأرطى لها و أرادها رجال فبذت نبلهم و كليب

و انسرب: دخل فى السَّيرب و انزرب دخل فى الزرب و كنس و جنس و ظل لقا و ظلال القاء و ملح الظل أسرع ملخا. قال: تميز فى الباطل مرا مالخا. و داغش لاوذ و قد داغش الورد. قال عطشان داغش ثم عاد يلوب.

و قال: (أ ما تراهنّ يداغشن السرى): و يروى يواغشن و عقل الظلّ.

قال شعبه الساق إذا الظلّ عقل، و الظل بالغداه محول و بالعشى محول. قال شعرا:

إذا حوّل الظلّ العشى رأيته حنيفا و فى قرن الضحى يتنصّر

و يقال: جلس فى نسيغ الظلّ و رسيغه. قال: و فى نسيغ الظلّ أو رسيغه. و ظلّ رقق و رقيق و نفق سريع الزوال واز قصير و غاز و قد غزا و طنه فقصر.

و يقال: غزا الماء أوطانه: إذا لحق بقراره من الأرض و حسر عنه المدد.

و يقال: ساه راه و ظلال أرهاء. قال شعرا:

و استكن العصفور كرها مع الضّب و أوفى فى عوده الحرباء

فنفى الجندب الحصا بذراعيه و أودت بأهلها الإرهاء

و المعافر لم يفسر، و قالت امرأه لابنتها: لا تأتيني إلّا معافره أو منافره.

و يقال: شجر المى الظلّ قال:

إلى شجر المى الظلال كأنه رواهب أحلى من الشّراب عذوب

يقال: أخذ الظلّ يموت و قد مات و ماتت الزّريح، قال: إنى لأرجو أن تموت الزّريح، و أقعد اليوم و تستريح. و قوله مشتفه من قولهم: اشتف الشّراب: إذا أخذ يتجرعه و أشنف جوز الفرس الحزام إذا استوفاه، قال: و دفان يشتفان كل ظفان بمنزله الحرام.

الباب الحادى و الخمسون فى ذكر التاريخ و ابتدائه و السبب الموجب له، و ما كانت العرب عليه لدى الحاجه إليه فى ضبط آماذ الحواذ و الموايد

اشاره

و هو فصلان:

فصل [فى أن تاريخ كل شىء فى اللغه غايته و وقته الذى انتهى إليه]

تاريخ كل شىء فى اللغه غايته و وقته الذى انتهى إليه. و منه قولهم: فلان تاريخ قومہ فى الجود: يريدون الذى انتهى إليه ذلك، و سئل بعض أهل اللغه ما معنى التاريخ؟ قال:

معنى التأخير. و قال آخر: بل هو إثبات الشىء.

و يقال: و رخت الكتاب تورخا هو لغه بنى تميم و أرخته تأريخا لغه قيس و تأريخ و تاريخان و تواريخ.

و يقال: أرخ كتابك و ورّخه. قال أحمد: جميع ما ذكرنا فيه من اختلاف اللغات و ما دارت عليه الكلمه فى التصاريف يدل على أنّها جاريه مجرى ما أصله العربيه دون ما نقل إليه من العجميه، و لكل نبوه و مملكه تاريخ، فأما العرب فكانوا يؤرخون بالنجوم قديما و هو أصل، و منه صار الكتاب يقولون: نجمت على فلان كذا حتى يؤديه فى نجوم و يجمع النجوم أنجمه.

و يقال: نجم له رأى أى ظهر، و اشتهر لفظه النجم بالثريا فأما قوله تعالى: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ [سوره النجم، الآيه: ١] كان الكلبى يقول: و القرآن إذا نزل نجوما أو شيئا بعد شىء و قال غيره: النجم هاهنا الثريا أقسم الله تعالى به على المعنى الذى فسّرناه كأنه قال: و خلقى الذى لا يقدر أحد أن يخلق مثله، و على أقسامه بالطور و التين و ما أشبههما، و فسّروا قوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٥] على النجوم الطوالع لقوله:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٧] و على نجوم القرآن أيضا، و قيل فى قوله:

وَ النَّجْمِ وَ الشَّجَرِ يَسْجُدَانِ [سوره الواقعه، الآيه: ٧٧] إِنَّ النَّجْمَ مَا نَجْمٌ مِنَ النَّبَاتِ وَ لَا سَاقَ لَهُ وَ يُقَالُ لَوَاحِدٍ: هَذَا النَّجْمُ نَجْمُهُ. قال الحارث بن ظالم شعرا:

أحصى حمار بات يكدم نجمها توكل جيرانى و جارك سالم

صغّر أمره و شبّه بحمار سوء، و كانت العرب تؤرّخ بكلّ عام ينفق فيه أمر جليل مشهور متعارف كتاريخهم بعام الفيل، و فيه ولد النّبىّ صلى الله عليه و سلم و كان ذلك فى السنّه الثامنه و الثلاثين من ملك كسرى أنو شروان.

و روى لنا عن أبى العيناء فى إسناد يرفعه إلى أبى جعفر محمد بن على قال: ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم ليله الاثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول، و كان الفيل فى النّصف من المحرّم بينه و بين مولد رسول الله صلى الله عليه و سلم خمس و خمسون ليله. و بذلك الإسناد أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم ماتت أمّه و له ستّ سنين.

و روى جبير بن مطعم أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: أنا يومئذ ابن ثمان سنين.

و روى عن الزّهري أنّ أبا رسول الله صلى الله عليه و سلم توجه إلى الحجاز ممتاراً فمات و رسول الله صلى الله عليه و سلم حمل.

و روى أن آمنه أم رسول الله صلى الله عليه و سلم ماتت و تركت أم أيمن و هى أم أسامه بن زيد، فأرثها رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان إذا رآها قال: بقيه أمى. فهكذا كان يجرى أمر التاريخ، و كما أرخوا قبله بعام الخنان (١) لأنهم تماوتوا فيه، و عظم أمره عليهم. قال التّابعه شعرا:

فمن يك سائلا عنى فإننى من الشّبان أيام الخنان

مضت مائه لعام ولدت فيها و عشر بعد ذاك و حجّتان

فقد أبقت صروف الدّهر منى كما أبقت من السيف اليمانى

و روى من غير وجه أنّه كان بعد النّبىّ صلى الله عليه و سلم كان الأقرع بن حابس يحكم العرب فى كلّ موسم، و كانت العرب تتيمّن و هو أول من حرّم القمار، فانقادوا له لذلك قال البيهق:

و عمى الذى انقادت معد لحكمه فألقوا بأرسلان إلى حكم عدل

قوله: القوا بأرسلان: كما قيل: ألقيت إليك المقاليد، و ما أقل من أرّخ فى شعره على أنه يروى للمستوخر بن ربيعه و هو من المعمرين:

و لقد سئمت من الحياه و طولها و ازددت من عدد السنين سنينا

مائه أتت من بعدها مائتان لى و أردت من عدد الشّهور مئينا

هل ما بقى إلّا كما قد فاتنا يوم يكرّ و ليله تحدونا

١- فى القاموس الخنان كغراب داء يأخذ الطير فى حلوقها و فى العين و زكام الإبل. و زمن الخنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء ماتت الإبل منه- شريف.

قال أكتف بن صيفى:

إن امرأ قد سار تسعين حجَّهالى مائه لم يسأم العيش جاهل

أت مائتان غير عشر و فاءهاو ذلك من مرّ اللىالى قلائل

أنشد المازنى:

هزئت زينب و إن رأت يرمى و إن الخنى ليقال من ظهري

من بعد ما عهدت فأدلفنى يوم يجىء و ليله تسرى

حتى كأننى خاتل قنصاو المرء بعد تمامه يجرى

لا تهزئى منى زينب فمافى ذاك من عجب و لا سحر

أولم ترى لقمان أهلكه ما اقتأت من سنه و من شهر

و بقاء نسر فلما انقرضت أيامه عادت إلى نسر

ما طال من أبد على لبدرجعت محورته إلى قصر

و لقد حلبت الدهر أشطره و علمت ما أتى من الأمر

و أرخت العرب بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم، و لذلك قال الشاعر:

و أصبح بطن مكّه مقشعراً كأنّ الأرض ليس بها هشام

و مات زهير بن أبى سلمى قبل مبعث النبى صلى الله عليه و سلم بسنه، و مات التابعه قبله فقال زهير لبننيه: رأيت رؤيا و ليحدثنّ أمر عظيم و لست أدركه رأيت كأننى أصعدت إلى السماء حتى إذا كدت أنا لها انقطع السبب، فهويت فمن أدركه منكم فليدخل فيه فأتى ابنه بحير(١) النبى صلى الله عليه و سلم و كان زهير يكنى بحير فأسلم و أبى كعب أن يسلم حتى هاجر النبى صلى الله عليه و سلم إلى المدينه فقدم و أسلم، و مدح النبى صلى الله عليه و سلم بقصيدته اللاميه و اعتذر مما كان فيها.

و روى الزهرى و الشّعبى أنّ بنى إسماعيل أرخوا من نار إبراهيم إلى بنائه البيت حين بناه مع إسماعيل فإنّ بنى إسماعيل أرخوا من بنان البيت إلى تفرق معد، ثم أرخوا بشىء إلى موت كعب بن لؤى، ثم أرخوا بعام الفيل إلى أن أرخ عمر بن الخطاب من هجره النبى صلى الله عليه و سلم و كان سبب ذلك أنّ أبا موسى كتب إليه أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ،

١- فى تجريد أسد الغابه بحير بن زهير بن أبى سلمى أخو كعب أسلم قبل أخيه و كلاهما شاعران مجيدان و أبوهما من فحول الشعراء. ١٢ الحسن النعمانى.

و روى أنه قرأ صكا محلّه شعبان، فقال الشّعابين الماضى أم الآتى؟ فكان ذلك سبب التاريخ من الهجره بعد أن أرادوا أن يؤرّخوا من المبعث، ثم اتفق الرأى على الهجره، وقالوا: ما نجعل أول التاريخ؟ فقال بعضهم: شهر رمضان وقال بعضهم: رجب، فإنه شهر حرام، و العرب تعظّمه، ثم اجمعوا على المحرّم فقالوا: شهر حرام و هو منصرف الناس عن الحج، و كان آخر الأشهر الحرم فصيروه أولاً- لأنها عندهم ثلاثه سرد: ذو القعدة و ذو الحجه و المحرم، و واحد فرد و هو رجب فكان الأربعة تقع فى سنتين. فلما صار المحرم أولاً اجتمعت فى سنه، و التاريخ لغه قيس، و عليه استعمال الناس و التورخ لغه تميم و ما استعمله كاتب قطّ، و إن كان التّكلم به كثيرا فى ألسنه العرب.

و قال بعض الكتّاب: التاريخ عمود اليقين - مبيد الشكوك - به تثبت الحقوق - و تحفظ العهود.

قال أبو بكر الصّولى: و كان لا يقع التاريخ فى شىء من الكتب السلطانيه من رئيس أو مرءوس إلّا فى أعجاز الكتب، و قد يؤرخ النّظر و التابع ما خص من الكتب فى صدورها.

و قال إبراهيم بن العباس: الكتاب بلا تاريخ نكره بلا معرفه، و غفل بغير سمه.

قال أبو عبد الله: و كتب عمر بن الخطاب إلى الأمصار أن يبعث إليه من كلّ مصر برجله، فوفد عليه عتبه بن فرقد السّلمى من الكوفه- و مجاشع بن مسعود السّلمى من البصره- و أبو الأعور السّلمى من الشّام- و معن بن يزيد السّلمى من مصر فتوافوا عنده كلّهم من بنى سليم.

قال أبو الحسن على بن سليم: قال بعض الشعراء فى صاحب توفى و كان يؤرّخ علم القرون فما هو اليوم أرخاء.

و ذكر الصّولى أنّه كاتب أبا خليفه الفضل بن الحباب القاضى فى أمور أرادها، قال:

فأغفلت التاريخ، فكتب بعد نفوذ الثّانى: وصل كتابك مبهم الألوان مظلم البيان، فأدى جراما القرب فيه بأولى من البعد، فإذا كتبت أعزّك الله فلتكن كتبك موسومه بتاريخ لأعرف به أدنى آثارك، و أقرب أخبارك إن شاء الله قال: فكتبت إليه كتابا جعلت التاريخ فى صدره و قلت معه: قد قبلنا دلائل البرهان- و اعترفنا بالبرّ و الإحسان- و جعلت التاريخ بعد دعاء لائحا للعيون كالقنوان.

شعر:

حبذا أنت من مفيد علوم وافادات بحكمه و بيان

هى أسنى ذكرا و أكثر نفعامن كنوز اللّجين و العقيان

فكتابى إليك يا زينها الدنيا لخمس خلون من شعبان

قال أبو العباس: آخر من مات بالكوفة من الصّحابة من الأنصار عبد الله بن أبي أوفى - و بالبصرة أنس بن مالك، و بالشّام أبو أمامه الباهلي، و بالمدينة سهل بن سعد، و بمكة عبد الله بن عمر رضى الله عنهم، و ممن ذكر سنه فى شعره و أرّخه زهير بن خباب الكلبي فى قوله:

و نادمت الملوک من آل عمرو و بعدهم بنى ماء السماء

و حقّ لمن أتت مائتان عاماعليه أن يملّ من الشّواء

قال الصّولى: و كُنّا يوما عند المغيرة بن محمد المهلبى، فقال له رجل: كم كان سن يزيد بن المهلب يومئذ؟ فجعل جوابه إنشادا بمبلغه فقال: أنشدنى التّوجى لحمزه بن بيض الحنفى فيه يرثيه:

أغلق دون السّماح و التّجدهو المجد باب خروجه أشب

يان ثلاث و أربعين مضت لا صريح واهن و لا ثلب

لا بطر إن تتابعت نعم و صابر فى البلاء محتسب

برزت سبق الجواد فى مهل و قصرت دون سبقك العرب

فصل فى حکام العرب فى الجاهليّة

قال أبو عبد الله: حکام العرب فى الجاهليّة عبد المطلب بن هاشم - و أبو طالب بن عبد المطلب - و العاصى بن وائل - و العلاء بن حارثه الثّقفى. و حکام كنانة: يعمر بن الشّداخ و صفوان بن أمية بن الحارث، و سلم بن نوفل أحد بنى الدّيك بن بكر. و من بنى أسد:

ربيعة بن حدار أحد بنى سعد بن ثعلبة بن دودان و له يقول الأعشى:

و إذا طلبت المجد أين محلّه فاعمد لبيت ربيعة بن حدار

يهب التّحيه و الجواد بسرجه و الأدم بين لواقح و عشار

و هو الذى حكم بين حاجب بن زراره و خالد بن مالك بن ربيعى بن سلمى بن جندل فنفر حاجبا على خالد.

و حکام قيس: عامر بن الظرب و سنان بن أبى حارثه المرّى، و غيلان بن سلمه الثّقفى، و كانت له ثلاثة أيام: يوم ينشد النّاس

بشعره، و يوم يحكم فيه بين الناس و يوم يقعد فيه

للناس فيزار و ينظر إلى سرره و جماله. و جاء الإسلام و عنده عشر نسوه فخيرته النبي صلى الله عليه و سلم فاختار منهن أربعاً فصارت سنه. قال: و قتلت بنو أسد من الأشراف حجر بن عمرو بن الشريد السلمى، و ربيعة بن مالك الجعفرى أبا لبيد الشاعر، و عتيبه بن الحارث بن شهاب اليربوعى. و زعموا أنهم قتلوا شهاباً جد عتيبه، و بدر بن عمرو بن جويه بن لوزان بن عيسى الفزارى و هو جد عيينه بن حصن بن حذيفه بن بدر.

فصل فى أوقات التواريخ

فى أوقات التاريخ إنما غلبت العرب الليالى على الأيام فى التاريخ، فقليل: كتبت لخمسة بقين، و أنت فى اليوم لأن ليله الشهر سبقت يومه، و لم يلبدها و ولدته و لأن الأهل لليالى دون الأيام، و فيها دخول الشهر، و لذلك ما ذكرهما الله تعالى إلا و قدم الليالى على الأيام قال تعالى: سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا [سوره الحاقه، الآيه: ٧] و قال تعالى:

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ* [سوره فاطر، الآيه: ١٣] و قال تعالى: سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَ أَيَّامًا آمِنِينَ [سوره سبأ، الآيه: ١٨] و العرب تستعمل الليل فى الأشياء التى يشاركها فيها النهار دون النهار، و إن كانت لا تتم إلا به قال تعالى: وَ وَاَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ [سوره الأعراف، الآيه: ١٤٢] و قال الفراء: و لقد دعاهم تغليب الليل على الأيام إلى أن قالوا:

صمنا عشرا من الشهر. قال: و قال أنو شروان: اليوم عشر من الشهر و يقولون: عندى عشر من الإبل و إن كانت ذكورا، و عشر من الشاء و إن كانت كباشا، و يقولون: أدركنا الليل بموضع كذا لأنه أول ألا ترى قول النابغه:

فإنك كالليل الذى هو مدركى و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

و لم يقل كالنهار.

و حكى بعضهم أن العرب تقول فى اللحم: ابن يومه، و فى الخبز ابن ليله، و فى النبيذ ابن سنه و أنشد:

و فتیان صدق لا تغبّ لحامهم إذا شبّه النجم الصّوار المنفراً

و مدح حميد الطوسى على بن جبلة بمثل قول النابغه، فقرن إلى الليل النهار فقال:

و ما لامرئ حاولته منك مهرب و لو رفعته فى السماء الطّوالع

بل هارب لا يهتدى لمكانه ظلام و لا ضوء من الصّبح ساطع

و قال عبيد الله بن عبد الله فى معنى قول النابغه:

إِنِّى و إِن حَدَّثْتُ نَفْسِى أَنِّى أَفُوتُكَ إِنِّ الرِّأى مَنِّى لِعَاذِبِ

لَأَنَّكَ لى مِثْلَ المَكَانِ المَحِيطِ بى مِنَ الأَرْضِ أَنِّى اسْتَنْهَضْتَنِى المَذَاهِبِ

فجعل مكان الليل من قول النابغه، لأنك لى مثل المكان إذ كان لا بد للمخلوق من مكان و زمان، و قالوا: صمنا عشرا من رمضان، و أنشد أبو عبيده:

فصامت ثلاثا لا مخافه بينها لو مكثت خمسا هناك لصلت

و الشهور كلها مذكرة سوى جماديين، و لا يذكر من شهر كذا إلا فى ثلاثة أشهر:

شهر رمضان و شهرا ربيع، لأنَّ الربيع وقت من السنة فخافوا إذا قالوا من ربيع أن يظن أنه من الربيع الذى قبل الخريف، و قال الراعى:

شهرى ربيع لا يذوق لبونهم إلا حموضا وخمه و دويلا

الدويل كسار الحلى ينبت مجتمعا، و كل ما يكسر من الثبات و أسود فهو دويل و لو كتب كاتب فى ربيع الأول و فى رمضان، و لم يذكر الشهر لجاز و ليس بالمختار كما قال:

جارتة فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالإيماض

و اعلم أنه لا يكتب ليله مضت لأنهم يعدون فى الليله، فإذا أصبحوا كتبوا ليله خلت، و يكتب أول يوم من كذا، و لا يكتب مهلاً كذا، و لا مستهلاً كذا لأنَّ الهلال إنما يرى بالليل. و أنشد الأصمعى و الشعر لنابغه بنى جعده، و عاش ثمانين و مائه سنة:

قالت أمامه كم عمرت زمانه و ربحت من عزّ على الأوثان

و لقد شهدت عكاظ قبل محلّها فيها و كنت أعد فى الفتیان

و المنذر بن محرّق فى ملكه و شهدت يوم هجا بن النعمان

و عمرت حتى جاء أحمد بالتقى و قوارع يتلى من الفرقان

فلبست بالإسلام ثوبا واسعا من سيب لا حرد و لا مئان

و قال حين أتت عليه مائه و اثنتا عشره سنه:

مضت مائه لعام ولدت فيه و عشر بعد ذاك و حجّتان

و أبقى الدهر و الأيام منى كما أبقى من السيف اليماني

يصمّم و هو مأثور جراز إذا اجتمعت بقائمه اليدان

قال أبو عبد الله فتياك الجاهليّة: الحارث بن ظالم المرّي- و البراض بن قيس الضّمري- و تأبّط شرّاً و اسمه جابر بن سفيان

الفهمي- و حنظله بن فاتك أحد بني عمرو بن أسد. و فتاك

الإسلام: مالك بن ريب المازنى- و عبيد الله بن الحر الجعفى- و عبد الله بن سبره الجرشى- و عبد الله بن خازم السلمى- و القتال الكلابى- و مرار بن يسار الفقعسى- و عتيبه بن هبيرة الأسدى- و من باب التاريخ قول الشاعر:

ها أنا ذا أملّ الخلود و قد أدرك عمري و مولدى حجرا

أيا امرأ القيس هل سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا

و ما يجرى مجرى التاريخ بما يتضمّن من التشبيه ما أنشده ابن الأعرابى و أظن بعضه قد مضى، و إن كان يسيرا، و أنشد أبو هفان و زعم أنّه من أحسن أشعارهم شعرا:

منعمه لم تلق بؤسا و لم تسق بعيرا و لم تضمم وليدا إلى نحر

و لم تدر أى الناس أعداء قومها و تمضى الليالى و الشهور و لا تدرى

سوى أن تصوم الشهر فيمن يصومه و تسأل عن يوم العروبه و الفطر

فلو كنت ماء كنت صوب غمامهو لو كنت مزنا كنت ثره من بكر

و لو كنت لهوا كنت تعليل ساعهو لو كنت نوما كنت تعريسه الفجر

كلفت بها عمري فلما تقطعت و سائلنا ودّعت ما فات من عمري

و أنشد نبطويه عن أبى العباس ثعلب:

فلو كنت ليلا كنت ليله صيف من المشرقات البيض فى وسط الشهر

و لو كنت ظلّا كنت ظلّ غمامهو لو كنت نوما كنت تعريسه الفجر

و لو كنت يوما كنت يوم سعادتهرى شمسه و المزن يهضب بالقطر

و فى هذه الطريقه ما أنشد به أحمد بن لجأ و يروى للعين المنقرى:

فقيّم يا شرّ تميم محتدالو كنتم ماء لكنتم زبدا

أو كنتم ليلا لكنتم صرداأو كنتم شاء لكنتم نقدا

أو كنتم صوفا لكنتم فرداأو كنتم عيشا لكنتم جحدا

و أنشد:

لو كنت لحما كنت لحم كلب أو كنت نارا لم تحل في عطب

أو كنت ماء لم تسع لشرب أو كنت سيفاً لم تكن بعضب

و روى أبو عمر عنه أيضاً قال: أنشدني أبو عبد الله:

لو كنت من مال امرئ ذي نيقه لكنت خير ناقة مسوّقه

من ناقة خوارة رقيقهترميهم ببيكرات روقه

و حكى ابن الأعرابي قال: غزا خالد بن قيس بن المضلل فيمن تبعه من بنى أسد فغنم و سبا فمّرت به جاريه أعجبتة فقال لها: كيف كان أبوك يطبخ اللبّاء؟ قالت: كان يهنيه و يمينه حتى يستقر، و رضفه فيه، فأعرض عنها ثم دعا بأخرى فسألها عن مثل ذلك، فقالت: كان يهدره و يمدره، و يطعن الفارس فينثره، فاتخذها لنفسه، فجاءت بعاصم بن خالد، و كان يقال له: البر من بزه بأبيه و له يقول أبوه شعرا:

أرى كلّ أمر إلى عاصم فما أنا لو كان لم يولد

فلو كنت شيئا من الأشربات لكنت من الأسوغ الأبرد

قول الأولى: يهنيه و يمينه: أى يحسن علاجه و هذا مما يوصف بها الرّعاة.

و قول الثانية: (يهذره و يمدره): أى يفسده فإذا طعن الفارس أشرقه بدمه فأنثره، و يشبه هذا عندى قول الآخر:

إنّ عليها فارسا كعشرها إذا رأى فارس قوم أنثره

أورده منكفيا أو أشعره معنى أشعره: رماه بسهم جعله شعارا له، و هذا شبيه بقول الجعدى:

فتانا بطيرير مرهف جفرها لمخرم منه فسعل يريد

لما جافه بالطعنه أشرقه بدمه فسعل به، و أنشدت عن نبطويه، قال: أنشدنى ثعلب عن ابن الأعرابي:

لو كنت ليلا من ليالى الشهر كنت من البيض تمام البدر

بيضاء لا يشقى به من يسرى أو كنت ماء كنت غير كدر

ماء سماء فى صفاتى صخر أظله الله بعيص الصدر

فهو شفاء من غليل الصدر و أنشدت عنه أيضا قول الآخر:

فلو كنت يوما كنت يوم تواصل و لو كنت ليلا كنت لى ليله القدر

و لو كنت عيئا كنت نعمه جنه لو كنت نوما كنت تعريسه الفجر

و أنشده من غير هذا الوجه:

لو كنت من شىء سوى شركنت المنور ليله البدر

و أنشد أبو العباس المبرّد في الدّم و الإزراء:

لو كنت ماء لم تكن بعذب أو كنت عاما كنت عام خصب

أو كنت سيفاً لم يكن بعضب أو كنت غيراً لم يكن بندب

أو كنت لحماً كنت لحم كلب

و أنشد ابن الأعرابي:

لو كنت ماء كنت لاعدب المذاق و لا مسوسا

ملحا بعيد القعر قدفلت حجارته الفتوسا

قال المسوس: كلّ ما شفى الغليل، لأنّه مسّ الغله و أصابها و أنشد:

يا حبذا ريقتك المسوس و أنت خود بادن شمس

و يقال: ماء قعاع، و زعاق و حراق و ليس بعد الحراق في الملوحة شيء لأنّه إذا شربت الإبل أحرقت أكبادها.

و روى لنا أبو الحسن البديهي قال: سمعت أبا عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي يقول: سأل بعض أهل العلم أصحابه فقال: أتعرفون رجلاً من الصّحابة يروى عنه الحديث، و يقال له أسد بن عبد مناف بن شيبه بن عمرو بن المغيرة بن زيد؟ قالوا: لا. قال:

على بن أبي طالب: سمّته أمّه فاطمه أسداً و هي بنت أسد باسم أبيها، و عبد مناف اسم أبي طالب، و شيبه اسم عبد المطلب و عمرو اسم هاشم، و المغيرة اسم عبد مناف، و زيد اسم قصي.

و أخبر أنّ النّبي صلى الله عليه و سلم تولّى دفن فاطمه بنت أسد و كان أشعرها قميصاً له، فسمع و هو يقول: ابنك، فسئل صلى الله عليه و سلم فقال: إنّها سئلت عن ربّها فأجابت، و عن نبيها فأجابت، و عن إمامها فلجلجت، فقلت: ابنك ابنك (١).

١- الظاهر أنّ هذه الرواية من كتب الشيعة الإمامية و الله أعلم.

الباب الثانی و الخمسون فیما هو متعالَم عند العرب، و من داناہم، و أدركوها بالتفقد و طول الدّربہ و لم یدخل فی أسجاعہم

اشارہ

قال أبو حنیفہ: یقولون إذا طلع فرغ الدّلو المؤخّر، و ذلك أول الرّبيع اختال العشب، و أدرك الباقلی و الفاکهہ المنکرہ بالعراق، و ظهرت الهوام.

و إذا طلع بطن الحوت حصد أول الشّعیر بالعراق، و زعموا أنّ النوء الذی فیہ هو نوء السّماک قلّ ما یخلف.

و إذا طلع الشّرطان أكل فريک الحنطه.

و إذا طلع البطين: فرغ من حصاد الشّعیر، و ابتدئ بحصاد الحنطه و القطابی و هی الجنوب، و كثرت الفاکهہ بالعراق و الشّام، و قيل: إنّه قلّ ما یعدمه سحاب.

و إذا طلعت الثّریا عم الحنطه الحصاد، و أدرك التّفاح، و مدّ فی آخره التّیل.

و إذا طلع الدّبران: هبّت السّمائم و أسود العنب.

و إذا طلعت الجوزاء فیها الهقعه أدرك البطیخ و الفاکهہ.

و إذا طلعت الهنعه: أدرك البسر و التّین، و فیہ تنقص المیاہ.

و إذا طلعت الذّراع و فیها الشّعری: أدرك الرّمان، و حصد القصب التّبطی.

و إذا طلعت العذره و فیها الثّره: قطف العنب بالعراق، و أكل الرّطب و بلح النّخل بالحجاز. و أدرك جمیع الفاکهہ بالعراق و الشّام.

و إذا طلع الطّرف كثر الثمر فی ذلك الوقت، و اللّبن الذی یستقضونه من الصّروع، لفصال الأولاد عن الأمهات، و یطوف أهل مصر. و نوؤه ستّ لیاال و ینسب فی الشّعیر إلى الأسد.

و إذا طلعت الجبهه: كثر الرطب و سقط الطل.

و إذا طلعت الزبره و طلع معها سهيل بالعراق: برد الليل و الماء و ولى القيظ.

و إذا طلعت الصرفه برد الليل و اختلفت الرياح و تحرك أول الشمال و قطعت العروق، و شربت الأوديه، و جد النخل بالحجاز، و بكل غور و يشتر العسل.

و إذا طلعت العواء و طلع معها السماك الرامح: أخذ الناس فى صرام النخل و قطف الزمان و السفرجل، و فيه، ينتهى غور المياه و تهيج الصبا.

و إذا طلع الغفر: زرع أول زرع الحنطه و زرع الرطاب و حصد القصب الفارسى و جد النخل و فى النوء الذى فيه و هو نوء الشرطين أول مطر ينتفع به.

و إذا طلعت الزباني دخل الناس البيوت، و يسقط الزبل: و هو الورق الذى نبت فى دبر القيظ ببرد الليل.

فإذا طلع الإكليل لم يكد يخطئ النوء الذى فيه و هو نوء الثريا السحاب و الغيوم، و قطعت الحداء و الخطاطيف و الرخم إلى الغور.

و إذا طلع قلب العقرب: هبت رياح الشتاء الباردة.

و إذا طلعت السوله سقط الورق كله و كثر الرذاذ و المطر.

و إذا طلعت النعائم و طلوعها لاثنين و عشرين ليله من كانون الأول و سقوطها لاثنين و عشرين يخلو من حزيران، يتشعب الرعاء و يتلاقى التمايم لأنهم حينئذ يفرغون، و لا يشغلهم رعى فيلاقون و يدس بعضهم إلى بعض الأخبار.

و إذا طلعت البلده نقى البساتين و كرب الكروم.

و إذا طلع سعد الذابح لم يكد يخطئ النوء الذى فيه و هو نوء النثره مطر و إن أخلف فريح.

و إذا طلع سعد نقت الصفادع، و باضت الهداهد، و تزوجت العصافير و هبت الجنوب، و أعشبت الأرض.

و إذا طلع سعد السعود و تحرك أول العشب، و أوراق الشجر و زقا المكاء و جاءت الخطاطيف، و قلما يخطئ النوء الذى فيه، و هو نوء الجبهه المطر الجود.

و إذا طلع سعد الأخبيه لم يكد يخطئ النوء الذى فيه، و هو نوء الزبره مطرا شديدا و قلما أخلف المطر و فيه يورق الكرم.

وإذا طلع فرغ الدلو المقدم: يسلم الناس من الحاسه في النوء الذى فيه و هو نوء

الصَّيرْفَه فَقَدْ أَمِنَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْحَوَاسِ إِلَى آخِرِ السَّنَةِ، وَفِيهِ يَقُولُ الْقَائِلُ: إِذَا دَخَلَ آذَارُ أُخْيَاءِ وَآبَارِ، لَمَّا يَتَخَوَّفُ النَّاسُ مِنَ الْآفَاتِ فِي هَذَا النَّوْءِ وَفِيهِ يَعْقِدُ اللَّوْزُ وَالتَّفَاحُ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو حَنِيفَةَ خَرَّجَهُ غَيْرُهُ عَلَى الشُّهُورِ الرُّومِيَّةِ، فَقَالَ زَائِدًا عَلَيْهِ:

تشرين الأوّل

سلطان المَرَّةِ السُّودَاءِ وَهُوَ ثَلَاثُونَ يَوْمًا آيَتُهُ وَاحِدٌ، وَهُوَ بِالْفَارْسِيَّةِ شَهْرِيْرَمَاهُ وَآيَتُهُ أَرْبَعَةٌ، وَهُوَ أَوْسَطُ الْخَرِيفِ وَ لَهُ مِنَ الْبُرُوجِ الْمِيْزَانُ وَهُوَ هَوَائِيٌّ مُؤَنَّثٌ نَهَارِيٌّ شِمَالِيٌّ. رَبُّهُ بِالنَّهَارِ زَحْلٌ وَبِاللَّيْلِ عَطَارْدٌ، وَالشَّرِيْكَ الْمَشْتَرِيُّ وَهُوَ بَيْتُ الزَّهْرَةِ، وَشَرَفُ زَحْلٍ هَبُوطُ الشَّمْسِ فِيهِ. وَ الْإِقْلِيمُ الرُّومِ إِلَى إِفْرِيْقِيَّةِ مِصْرَ، وَ لَهُ مِنَ الْمَنَازِلِ الْغَفْرِ وَ الزَّبَانِيِّ وَ ثَلَاثُ الْإِكْلِيلِ، وَ فِي أَوَّلِهِ يَبْتَدِئُ أَهْلُ الْحِجَازِ بِالزَّرْعِ وَ فِي عَشْرِ مِنْهُ تَزْرَعُ الْحَنْظَلَةُ وَ الشَّعِيرُ وَ الزُّطَابُ وَ يَقُومُ سُوْقُ الْقَادِسَانَ بِسُوْقِ الْأَسْوَاقِ أَسْبُوعًا. وَ فِي خَمْسِ عَشْرَةَ مِنْهُ يَبْرُدُ الزَّمَانُ وَ تَكْثُرُ الرِّيَّاحُ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ فِي إِحْدَى وَعَشْرِينَ يَطْلُعُ الْغَفْرُ وَ يَسْقُطُ، وَ فِيهَا يَغْلُظُ الشَّجَرُ وَ يَكُونُ أَوَّلُ مَطَرٍ، فَإِنْ أَخْطَأَ فَرِيْحٌ شَدِيدَةٌ، وَ تَرِيْحٌ نَيْلٌ مِصْرَ، وَ يَقُومُ سُوْقُ حَلْبَ، وَ فِي خَمْسِ وَعَشْرِينَ مِنْهُ يَطْلُعُ الزَّبَانِيُّ وَ يَسْقُطُ الْبَطِيْنُ، وَ فِيهَا يَدْخُلُ النَّاسُ الْبُيُوتَ وَ اسْتَقْبَلُ الْوَسْمَى وَ يَقُومُ سُوْقُ مَاسْرَجِسَانَ.

تشرين الآخر

سلطان المَرَّةِ السُّودَاءِ: ثَلَاثُونَ يَوْمًا آيَتُهُ أَرْبَعَةٌ، وَهُوَ بِالْفَارْسِيَّةِ مَهْرَمَاهُ آيَتُهُ سِتَّةٌ، وَهُوَ آخِرُ شَهْرِ الْخَرِيفِ. وَ لَهُ مِنَ الْبُرُوجِ الْعَقْرَبُ، وَهُوَ مِنْ بُرُوجِ الْمَاءِ وَهُوَ بَيْتُ بَهْرَامَ، وَبَهْرَامُ هُوَ الْمَرِيْخُ، وَ مَنْزَلُهُ فَوْقَ قَلْبِ الْعَقْرَبِ وَ هَبُوطُ الْقَمَرِ فِيهِ. رَبُّهُ بِاللَّيْلِ الزَّهْرَةُ وَ بِالنَّهَارِ الْمَرِيْخُ، وَ الشَّرِيْكَ الْقَمَرُ، وَ الْإِقْلِيمُ مَكَّةَ. وَ لَهُ مِنَ الْمَنَازِلِ ثَلَاثُ الْإِكْلِيلِ وَ الْقَلْبِ وَ ثَلَاثُ الشُّوْلَةِ، فِي أَوَّلِ يَوْمِ تَهَبُّ الْجَنُوبُ وَ فِي الثَّانِي يَطْلُعُ الزَّبَانِيَانُ وَ يَسْقُطُ الْبَطِيْنُ وَ تَقُومُ سُوْقُ عِنْدَ كَنِيْسَةِ الرَّقَّةِ وَ يَبْرُدُ الْمَاءُ وَ يَبْتَدِئُ أَهْلُ الشَّامِ بِالزَّرْعِ، وَ يَذْهَبُ زَمَانُ الْمَنْ وَ السَّلْوَى، وَ يَلْقَطُ الزَّيْتُونَ وَ يَدْخُلُ النَّمْلُ ذَوَاتِ الْأَجْنَحَةِ بِالشَّامِ وَ بِكُلِّ أَرْضٍ بَارِدَةٍ جَوْفِ الْأَرْضِ وَ يَخْرُجُ الْحَدَاءُ وَ الرَّخْمُ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ بَارِدَةٍ، وَ عِنْدَ ذَلِكَ يَعْرِفُ الشِّتَاءُ مِنَ الصَّيْفِ، وَ فِي خَمْسِ عَشْرَةَ مِنْهُ يَطْلُعُ الْإِكْلِيلُ وَ يَسْقُطُ الثَّرِيَاءُ وَهُوَ آخِرُ الْخَرِيفِ وَ يَكُونُ الْمَهْرَجَانُ عِيدُ الْمَجُوسِ، وَ فِيهَا يَبْتَدِئُ الْبَرْدُ وَ يَرْتَجُّ الْبَحْرُ وَ يَجِيءُ شَيْءٌ مِنَ الْمَطَرِ، فَإِنْ لَمْ يَجِيءْ هَاجَتِ الرِّيَّاحُ، وَ تَهْلِكُ كُلُّ دَابَّةٍ لَيْسَ لَهَا عَظْمٌ، مِثْلُ الدُّوْدِ وَ الدَّبَابِ وَ الْجِرَادِ وَ الْيَعَاسِيْبِ، وَ يَسْقُطُ وَرَقُ الشَّجَرِ، وَ مَا قَطَعَ فِيهِ مِنَ الْخَشْبِ لَمْ يَقَعْ فِيهِ أَرْضُهُ، وَ يَقَعُ الْجَلِيدُ فَوْقَ الْأَرْضِ وَ تَتَحَرَّكُ فَحَوْلُهُ الْغَنَمُ. وَ فِي أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ مِنْهُ يَكُونُ النَّهَارُ عَشْرَ سَاعَاتٍ، وَ اللَّيْلُ أَرْبَعَةَ عَشْرَةَ سَاعَةً، وَ لِحَمْسِ وَعَشْرِينَ مِنْهُ تَعْلُقُ الْبَحْرُ فَلَا يَرْكَبُهُ أَحَدٌ. وَ لثَمَانِ وَعَشْرِينَ مِنْهُ يَطْلُعُ الْقَلْبُ، وَ يَسْقُطُ الدَّبْرَانُ وَ يَطْلُعُ النَّسْرُ

الواقع و يشتدّ القر، و يختار النَّاس ما يقل من الثَّياب و يشتد موج البحر و يقل صيده و يعصر الزَّيت و يلقط الجوز.

كانون الأوّل

سلطان البلغم، آيته واحد، و هو أوّل شهور الشّتاء و له من البروج القوس و هو من بروج النار ذو جسدین، و هو بيت المشتري. ربّه بالنّهار الشّمس و بالليل المشتري و الشّريك زحل. الإقليم بابل و له من النّجوم ثلاثه، الشّوله و النّعائم و البلده. و في أوّل يوم منه يقوم سوق دمشق، و لإحدى عشره منه يطلع الشّوله و هي ذنب العقرب، تسقط الهقعه و يجىء مطر، و تهيج رياح و يخرج النّمل ذوات الأجنحة فتجىء القوارى من الطير فتصطادها و تولد الضّأن. و لاثنتى عشره منه يرى أوّل الطّلع، و لخمس و عشرين منه تطلع النّعائم و تسقط الهنعه و هو حميه الشّتاء، و فيه ميلاد المسيح عليه السلام و هي أطول ليله في السنه و أقصر يوم يكون يومه تسع ساعات، و ليله خمس عشره ساعه. و هو عيد النصارى، يكون الميلاد الدّهر كلّه في خمس و عشرين من كانون الأوّل و تطلع البلده، و يسقط الدّراع، و ذلك أشد ما يكون من القر وقت السّحاب و المطر و يطلع النّسر الطائر.

كانون الآخر

سلطان البلغم واحد و ثلاثون يوماً، آيته اثنان، و هو بالفارسيه آذر ماه آيته ثلاثه، أوّسط شهور الشّتاء، له من البروج الجدى، و هو برج منقلب من بروج الأرض و هو بيت زحل و شرف المريخ و هبوط المشتري. ربّه بالنّهار الزّهره و بالليل المريخ، و الشّريك القمر.

و للجدى من النّجوم سعد الذّابح و سعد بلع و ثلث سعد السعود. و في اليوم الثّانى منه عيد النصارى يقال له القليدس، و تهبّ فيه ريح عاصفه، و لستّ خلون منه تطلع البلده و يسقط الدّراع و هو ميلاد عيسى عليه السلام، الأخير يقال له الرّيح و هو حد الشّتاء يكون الرّيح الدّهر كلّه في سبع من كانون الآخر. و فيه تفقأ عيون الحيات و تموت الذبان و يغمس النّصارى أولادهم في الماء، يزعمون أنّ في تلك الليله تعذب المياه المالحة و يطلع النّسر الطائر. و فيه يبدأ بكراب الكرم، و في أربع عشره تكون الثّلوج و الأمطار و يكون آخر القر.

و في تسع عشره منه يطلع سعد الذّابح و تسقط الثّره و يشتدّ البرد، و هو حد الشّتاء، و فيه البرد و فيه يتدئ أهل الرّوم بالكرب و غرس الأشجار، و ذلك وقت دوام المطر، و يجرى الماء في فروع الشّجر، و فيه تقطع الزّره بتهامه و يزرع القطنى و البطيخ، و هو وقت رذاذ و طل و يكون معه الصّباب، و في أربع و عشرين منه يطلع سعد بلع و يسقط الطّرف. و الليل أربع عشره ساعه، و النّهار عشر ساعات.

شباط

سلطان البلغم ثمانية وعشرون يوماً، آيته خمسه، وهو بالفارسيه ديماء آيته خمسه، وهو آخر شهور الشتاء و له من البروج الدلو و هو برج الرياح ثابت مذكر مغربي و هو بيت زحل، ربّه بالنهار و بالليل عطارد، و الشريك المشتري و الإقليم الشام، و له من المنازل ثلثا سعد السجود و سعد الأخبيه و ثلثا مقدّم الدلو. و فى اليوم الأوّل منه يطلع سعد بلع و يسقط الطرف و ينكسر البرد، و يرى الحداء و الرّخم. و فيه ينسكك النَّصارى، و هو وقت كثره الأمطار. و فيه يورق الشجر، و يخرج الثّمل و ينبت العشب و تكثر الدّباب، و لسبع منه تهبّ الرّياح اللّواقح و تغرس الكروم. و اليوم العاشر و الحادى عشر و الثّانى عشر صوم قوم يونس عليه السلام حين صرف الله تعالى عنهم العذاب. و فى أربع عشره منه يطلع سعد السّعود و تسقط الجبهه، و فيه يسخن جوف الأرض و تؤكل الكمأه و الفطر و الهليون و تسقط الجمره الأولى، و يخرج النمل ذوات الأجنحه و الدّر و يجرى الماء فى العود، و تسقى الدروع و يخرج بقول الفرس، و الورد و الياسمين و تنشر دواب الأرض، و تزرع بقول الصّيف، و لتسع عشره منه أول يوم من أيام العجوز، و فى أربع و عشرين منه يكون النّهار إحدى عشره ساعه و اللّيل ثلاث عشره، و لسبع و عشرين منه يطلع سعد الأخبيه و يسقط الخرأتان، و تقع الجمره الوسطى، و لا يغرس فيه إلى أربع من آذار لا غرس و لا كرم، فإنّه يفسده السّوس و فيه: تتزوج الطّيور و يتوالد الوحش.

آذار

سلطان البلغم أحد و ثلاثون يوماً، آيته خمسه، وهو بالفارسيه بهمن ماه آيته سبعة، وهو أول شهور الصّيف، و له من البروج الحوت، و هو ذو جسدین مؤنث من بروج الماء، فيه هبوط عطارد و شرف الزّهره، و هو بيت المشتري، ربّه بالنهار زحل، و بالليل عطارد، و الشريك المشتري، و الإقليم الصّين و له من النّجوم ثلاثه: الفرغ المقدم و الفرغ المؤخر و بطن الحوت. و فى أول يوم منه يطلع الدلو و تسقط الصّيرفه و هى الحمره الأخيره، و يلقي حرّ السماء و حرّ الأرض و تخرج كلّ دابه ليس فيها عظم، و فى اليوم الثّانى يزرع قصب السكر بالأهواز، و البطيخ و يلقي النخل. و فى اليوم الخامس يطلع الغفر، و هو وقت ذهاب الحواس و أول الصّيف و تختلف الرّياح، و تجرى السفن فى البحر، و تفتح عيون الحيات. و ذاك أنّها تغمضها فى الشتاء، و فيها ترى معالم الصّيف و يستبل الزّرع. و فى أربع و عشرين منه يطلع مؤخر الدلو، و يسقط العواء و يستوى اللّيل و النّهار. و فى سبع و عشرين منه يسخب جنان، و تخرج الهوام و يكثر موج البحر و يبذر الأرز بالأهواز.

نيسان

سلطان الدّم ثلاثون يوماً، آيته واحد، و هو بالفارسيه اسفندارمذماه، آيته اثنان، و له من البروج الحمل، و هو بيت المريخ، برج منقلب مذكر من بروج النّار، و للحمل من النّجوم الشّرطان و البطين و ثلث الثريا، و هو شرف الشّمس و هبوط زحل. ربّه بالليل المشترى و بالنّهار الشّمس، و يشاركه بالليل و النّهار زحل، و الإقليم بابل، فى أوّل يوم منه قام يوحنا و هو غداه يوم الأحد بعد ثلاثه من نزول المريخ. و لستّ منه تأفل الثريا، فلا ترى أربعين ليله. و لسبع منه يطلع الحوت، و يسقط السّماك، و قلّما يخطئ المطر فيه بإذن الله تعالى، و يبدأ بحصاد الشّعير، و تفيض العيون و الأنهار، و تقوم سوق الدّبر بأرض سوارت من سوق الأهواز ستة أيام، و لعشر منه توفى آدم عليه السّلام، و فى ثلاث عشره منه يطلع الشّرطان و يسقط الغفر، و يظهر ما استخفى من الهوام، و هو فيهما ظل و غيوم و يمد الفرات المد الأعظم، و تهبّ الرّياح الشّريفه كالصّبا، و فيها يفرّخ الطّير. و فى ستّ بقين منه يطلع البطين، و يسقط الزّبانان، و يقوم سوق كرو بفلسطين سبع ليال، و يكون النّهار فيه ثلاث عشره ساعه، و اللّيل إحدى عشره ساعه.

أيار

سلطان الدّم واحد و ثلاثون يوماً، آيته ثلاثه، و هو بالفارسيه فروردين ماه آيته واحده، و هو من شهور الصّيف و هو التّيروز رأس سنه القمر، و هو عيد المجوس الأكبر ثمانيه أيام، له من البروج الثّور و هو برج أنثى من بروج الأرض و هو بيت الزّهره و شرف القمر، ربّه بالنّهار الزّهره و بالليل القمر، و يشاركه بالليل و النّهار المريخ، الإقليم التّرك و الخرج. و له من النّجوم ثلثا الثريا و الدّبران و ثلثا الهقعه. و فى ثلث منه يطلع البطين و يسقط الزّبانان.

و فى اليوم السّابع تطلع الغميصاء، و يكون فيه ريح و مطر، و فى اليوم الرّابع عشر يجرى الماء فى منتهى العيون، و فى ستة عشر منه تطلع الثريا و يسقط الإكليل و هو أوّل يوم من الصّيف و آخر الربيع، و بطلوعها يطيب ركوب البحر، و يبدأ أول السّائم و يفرّك القمح و يبرد نيل مصر، و تغور المياه، و يخرج الجراد و تهيج الصّبا. و فى أربع و عشرين منه يكون النّهار أربع عشره ساعه، و اللّيل عشر ساعات، ينقص ساعه لتمام ثلاثين يوماً. و تزرع الدّره و الدّخن بأرض تهامه و اليمن و أرض النّوبه. و فى سبع و عشرين منه يرتفع الطّاعون بإذن الله تعالى من كل أرض، و لتسع و عشرين منه يطلع الدّبران و يسقط القلب و تهيج فيها البوارح و السّمائم، و يسودّ أوّل العنب و تستين زياده نيل مصر و تهبّ الشّمال.

حزيران

سلطان المرّه الصّيفراء ثلاثون يوما، آيته سته، و هو بالفارسيّه اردبهشت ماه، آيته ثلاثه و هو أوّل شهور القيظ، و له من البروج الجوزاء، و هو ذو جسدین و هو التوأمان من بروج الرّياح، برج مذکر مغربى شرف رأس التّنين، ربّه بالنّهار زحل و بالليل عطارد. و يشاركه بالليل و النّهار المشترى. الإقليم بربر و إفريقيه، و له من النّجوم ثلاثه: الهقعه- و الهنعه- و الدّراع- و فى إحدى عشره منه تطلع الهقعه و تسقط الشّوله، و فى أربع و عشرين منه تطلع الهنعه و يسقط النّعائم، و يرجع الشّهر، و يهبط من صعودها الأعلى، و هو أطول يوم فى السنّه، و هو اليوم الذى ولد فيه يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما زعموا و يزعم أهل العلم أنّ داود النّبى عليه السلام فيه افتتن، و فى ثلاثين منه يطلع الدّراع و يسقط البلده، و فيه تسكن الرّياح و يشتدّ الحر.

تموز

سلطان المره الصّيفراء واحد و ثلاثون يوما، آيته واحده، و هو بالفارسيه خرداد، آيته خمس، و هو أوسط القيظ، و له من البروج السّيرطان برج منقلب أنثى من بروج الماء، و هو شرف المشترى و هبوط المرّبخ، ربّه بالنّهار المرّبخ و بالليل الزّهره، و يشاركه بالليل و النّهار القمر. و الإقليم الشّام و الجزيره و الرّوم، و له من النّجوم النّثره- و الطّرف- و ثلث الجبهه- و يشتدّ الحر فيه، و لسبع منه يطلع الدّراع و تسقط البلده. و يقوم سوق سليمه جمعيتين، و يرتفع الطّاعون بإذن الله تعالى، و فيه يحرث ما يصلح فى تلك السنّه من الزّرع، و ما يفسد منه، و يؤخذ لوح قبل أن تطلع الشّعري بتسع ليال، فيزرع عليه من كل صنف حتى إذا كان ليله تطلع الشّعري وضع ذلك فوق بيت على مكان مرتفع لا يحول بينه و بين السّماء شىء فما أصبح منه مخضراّ فإنه يصلح بإذن الله تعالى، و تطلع الشّعري الغامضه فى خمس منه. و فى عشرين منه تطلع النّثره و يسقط سعد الذّابح، و فيه مولد السنّه أبدا، فاحفظ منه أعلام الشّتاء، و يزرع البطيخ الشّتوى فى أرض اليمن.

آب

سلطان المره الصّيفراء واحد و ثلاثون يوما، آيته أربعه، و هو بالفارسيه تير ماه، آيته سبعة، و هو آخر شهور القيظ. و له من البروج الأسد، و هو برج ثابت مذکر مشرقى من بروج الملوك توافقا، و هو بيت الشّمس، ربّه بالنّهار الشّمس و بالليل المشترى، و يشاركه بالليل و النّهار زحل، الإقليم بابل. و للأسد من النّجوم ثلثا الجبهه- و الخراتان- و ثلثا الصّرفه- فى

يومين منه يطلع الطرف و يسقط سعد بلع و يقوم سوق بيت جبرين(١) و يطلع سهيل و لا يرى بالعراق. و فى خمس عشره منه تطلع الجبهه، و يسقط سعد السعود و فيها يبرد آخر الليل و يرتفع سهيل، حتى يرى بالعراق و تطيب البوارح و إن تخللها السمائم و يهيج الزكام، و يكون فيه عيد عسقلان، و هو عيد كبير جامع للنصارى. و هو يوم ماتت مريم بنت عمران فيما يزعم أهل الكتاب. و يبرد جوف الأرض، و يرجى فيه المطر بالسند. و فى أربع و عشرين يكون النهار ثلاث عشره ساعه، و هو أول الشتاء، و العرب تسمى ذلك الزمان الخريف. و فى ثمان و عشرين منه يطلع الخراتان، و يسقط سعد الأخيه، و تهب الشمال، و هو فيما يذكرون يوم قتل يحيى عليه السلام، و هو آخر يوم من القيظ، و فيه تسقط المن و السلوى بأرض الشام و أرض بنى إسرائيل.

أيلول

سلطان المره السوداء، ثلاثون يوماً، آيته سبعة، و هو بالفارسيه مرداد ماه، آيته اثنان، و له من البروج السنينه برج ذو جسدین أرضى أنثى، و هو بيت عطارد و شرفه و هبوط الزهره، و ربّه بالنهار الزهره، و بالليل القمر و يشاركه بالليل و النهار المريخ. الإقليم الشام و الجزيره، و له من النجوم ثلث الصّرفه و العواء و السماك. فى ثلث منه توقد النار بأذربيجان و بكل أرض بارده. و يقوم سوق منيح بالجزيره، و سوق هرمردان بجند نيسابور. و هو رأس سنه اليهود، و تزرع فيه البقول الشتويه، و يسقط الندى، و تتحرك أول الشمال. و لعشر منه يطلع الغفر و يسقط مقدّم الدلو. و يزرع أهل مصر و الجزيره. و لثلاث عشره منه يكون عيد الصّليب و هو الصوم الأ-كبر. و تجرى فيه ریح شديد الهبوب، يتقى فيها على السيفن، و لإحدى و عشرين بنى النصارى فى كنائسهم، يريدون بذلك تقويم قبلتهم، و فيه يقوم سوق رحبه بالجزيره و سوق بردايا بالسوس، و يقوم سوق اسبايريار بتستر أسبوعاً. و لأربع و عشرين تطلع العواء و يسقط مؤخر الدلو، و يستوى الليل و النهار، و يجرى الماء فى فروع الشجر، و هو آخر القيظ و أول الخريف و أول الصّيرام بالبصره. و قال أبو عبد الله أول نجوم القيظ و البوارح الثريا، و سهيل، و إذا مضى سهيل آخرها و إذا مضى سهيل طالت الأظماء، و برد الليل، فإذا طلعت الجبهه انكسر الحر و امتد الظماء، و تباعدت الإبل فى مراعيها، و يكثر الكرش و يغلظ فيمسك الماء و يطول لذلك ظمؤها، و إذا قصر الظماء رعت حول الماء، فإذا طلعت الصّيرفه فهو انقطاع الحرّ و تحرك ریح الشتاء، ثم نجوم القر الشديد و أولها سقوط الذراع، فإذا سقطت الجبهه سخفت الأرض و لانت على الماشى و أطلعت الأرض ذخائر و سميتها من الثبات، و اختلفت الإبل فى مراعيها يعنى تباعد بعضها من بعض. و نظرت الأرض بإحدى عينيها فإن

١- فى القاموس بيت جبرين بين غزّه و القدس - الحسن النعمانى.

كان فى ذلك الوقت كان مخصبا بإذن الله تعالى، و كان أنفع مما قبله و ما بعده، و يقال: ما امتلأ واد من نوء الجبهه إلا امتلأ بقلا، و هى أنفع النجوم للأرض إذا صدق نوؤها و هى من نجوم الشتاء و أنفع نجوم الوسمى مطر الثريا، فإن صدق نجمها حمد الوسمى فى ذلك العام، فإن ولتها الجبهه فى وقتها كان عاما حياء، و خير بإذن الله تعالى، فإن ردها السماك فى الصيف، و هو أحد نجوم الصيف فهو حياء تلك السنه، فإذا سقطت الصيرفه نظرت الأرض بعينها و أخرجت كل ذخيرتها، و انصرف القرّ و صفت فأول الصيف العواء و آخرها سقوط الشوله و طلوع الهنعه.

الباب الثالث والخمسون فى انقلاب طبائع الأزمنه و ثباتها، و امتزاجها و الاستكمال و الامتحاق

و أزمان مقاطع النجوم فى الفلك، و معرفه ساعات الليل من رؤيه الهلال، و مواقيت الزوال على طريق الإجمال.

اعلم أنه قد تقدم القول فى أنه متى انتقلت الشمس إلى أول نقطه الحمل اعتدل الليل و النهار، و أخذ النهار فى الزيادة على الليل، و ذهب برد الشتاء، و رطب الهواء و مالت الشمس إلى الشمال، و فى الارتفاع إلى سمت الرءوس فى البلدان الشماليه و مواضع العماره فى الصيعود إلى ذروه فلكه الخارج المركز و ابتداء النشوء و النمو فى النبات و الحيوانات و المعادن و المياه و تورقت الأشجار.

و إذا انتقلت إلى أول السيران صار النهار فى نهايه الطول و الزيادة على الاعتدال، و اشتد الحرّ و سلس الهواء، و أخذ النهار فى النقصان.

و إذا انتقلت إلى أول الميزان اعتدل الليل و النهار ثانيا، و أخذ الليل فى الزيادة على النهار و يغلب اليبس على الهواء مع ابتداء البرد، و كل شىء من أحواله يخالف أحوال الربيع، و تأخذ الشمس فى الميل إلى الجنوب و تتباعد عن سمت الرءوس و يكون فى انحطاط من الارتفاع، و انحدار إلى حضيض فلكه الخارج المركز.

و إذا انقلب إلى أول الجدى يصير النهار فى نهايه القصر، و الليل فى نهايه الزيادة و الطول. و الليل فى النقصان إلى أن تعود الشمس إلى أول الحمل و قد بان بما و صفنا أن ابتداءهم بالحمل دون سائر البروج للأحوال التى ذكرنا.

و لكل فصل من هذه الفصول ثلاثه أبراج من البروج الاثنى عشر. (فبروج الربيع):

الحمل - و الثور - و الجوزاء. (و بروج الصيف): السيران - و الأسد و السنبله. (و بروج الخريف): الميزان - و العقرب - و القوس. (و بروج الشتاء): الجدى - و الدلو - و الحوت.

و لذلك سميت الحمل و السرطان و الميزان، و الجدى منقلبه لأنها متى نزلت الشمس أول الحمل انقلب الزمان من طبيعه فصل الشتاء و أحواله إلى طبيعه فصل الربيع، و إذا نزلت السرطان انقلب الزمان من طبيعه فصل الربيع إلى طبيعه فصل الصيف و أحواله. (و إذا نزلت) الميزان انقلب الزمان من طبيعه فصل الصيف و أحواله إلى طبيعه فصل الخريف و أحواله.

و إذا نزلت الجدى انقلب الزمان من طبيعه فصل الخريف إلى طبيعه فصل الشتاء و أحواله، و سميت الثور و الأسد و العقرب و الدلو ثابتة لأنه إذا نزلت الثور ثبتت طبيعه فصل الربيع، و إذا نزلت الأسد ثبتت طبيعه فصل الصيف، و إذا نزلت العقرب ثبتت طبيعه فصل الخريف، و إذا نزلت الدلو ثبتت طبيعه فصل الشتاء، و سميت الجوزاء و السنبلة و القوس و الحوت ذوات جسدین، لأنه إذا صارت الشمس فى النصف من الجوزاء تمتزج طبيعه فصل الربيع و طبيعه فصل الصيف، و إذا صارت فى النصف من السنبلة تمتزج طبيعه فصل الصيف بطبيعه فصل الخريف، و إذا صارت فى النصف من القوس تمتزج طبيعه فصل الخريف بطبيعه فصل الشتاء. و إذا صارت فى النصف من الحوت تمتزج طبيعه فصل الشتاء بطبيعه فصل الربيع.

و اعلم أن الشهر إذا تم فكان ثلاثين يوماً طلع الهلال (١) بعد ما تجاوز.

١- قال فى كتر المدفون: يقال للهلال: هلال لليلتين من أول الشهر و لليلتين من آخره، و يسمى ما بين ذلك قمرًا، و قيل إنه خص كل ثلاث ليال باسم، فالثلاثة الأول يقال لها هلال، و الثلاثة الثانية يقال لها قمر، و الثلاثة الثالثة يقال لها بهر، و الثلاثة الرابعة يقال لها زهر، و الثلاثة الخامسة يقال لها: بيض، و الثلاثة السادسة يقال لها درع، و الثلاثة السابعة يقال لها ظلم، و الثلاثة الثامنة يقال لها حنادس، و الثلاثة التاسعة يقال لها: دآدى، و الثلاثة العاشرة يقال لليلتين منها محاق و ليله و هى آخره سرار. و قيل: غير هذه ثلاث غرر، و غره كل شىء أوله، و قيل: شهب و ثلاث زهر و الزهره البياض، و قيل نفل و ثلاث تسع لأن آخر يوم منها هو التياسع و ثلاث بهر لأنه يبهر فيها الظلام، و ثلاث بيض لأن لياليها بيض بطلوع القمر من أولها إلى آخرها و ثلاث درع لأن أوله يكون أسود و باقيته أبيض و ثلاث دهم، و فحم و ثلاث حنادس و ثلاث دآدى و ثلاث محاق لانمحاق الشهر، و قيل: إن العرب تسمى الليله الثامنة و العشرين دعجاء و ليله تسع و عشرين دهماء، و ليله ثلاثين ليلاء (من كلام الشيخ كمال الدين الدميرى). قال شعرا: ثم ليالى الشهر ما قد عرفوا كل ثلاث الصيفات تعرف فغرر و تفل و تسع و بهر و البيض ثم الدرع و ظلم حنادس دآدى ثم المحاق لانمحاق بآدى القاضى محمد شريف الدين المصحح عفا الله عنه.

الشمس بمنزله و نصف و يرى عظيمًا فيدخل تلك المنزله في مسيره حتى يستتر في ثمان و عشرين و نصف، فيكون استتاره في ذلك الشهر يوما و نصفًا و يطلع و هو خفي، و يكون ذلك الشهر تسعه و عشرين يوما، و يكون استهلاله بعد ما تجاوز الشمس بمنزله فإذا رأى الهلال على رأس منزله من الشهر كان أدق ما يكون و أخفاه لقربه من الشمس، و يكون ذلك الشهر ثلاثين يوما. و إذا رأى على منزله و نصف من الشهر كان أعظم ما يكون و أبينه لبعده من الشمس، و يكون ذلك الشهر الذي يعظم فيه الهلال تسعه و عشرين يوما فأقل ما يستتر يومان.

و اعلم أنك إذا رأيت الهلال لليله فإنه يمكث في الشتاء ستة أسابيع الساعه- و إذا كان لليلتين فإنه يمكث ساعه و خمسه أسابيع الساعه، و إذا كان لثلاث فإنه يمكث ساعتين و أربعة أسابيع الساعه. و إذا كان لأربع فإنه يمكث ثلاث ساعات و ثلاثه أسابيع الساعه، و إذا كان لخمس فإنه يمكث أربع ساعات و سبع الساعه، و إذا كان لست ساعات و سبع الساعه، و إذا كان لسبع فإنه يمكث ست ساعات و إذا كان لثمان فإنه يمكث ست ساعات و ستة أسابيع الساعه، و إذا كان لتسع فإنه يمكث سبع ساعات و خمسه أسابيع الساعه.

و إذا كان لعشر فإنه يمكث ثمان ساعات و أربعة أسابيع الساعه، و إذا كان لإحدى عشره فإنه يمكث تسع ساعات و ثلاثه أسابيع الساعه، و إذا كان لاثنتي عشره فإنه يمكث عشر ساعات و سبع الساعه، و إذا كان لثلاث عشره فإنه يمكث إحدى عشره ساعه، و سبع الساعه و إذا كان لأربع عشره فإنه يمكث اثنتي عشره ساعه، و ذلك ساعات الليل كله، و إذا كان لخمس عشره فإنه يطلع بعد ستة أسابيع الساعه. و إذا كان لست عشره ليله فإنه يطلع بعد ساعه و خمسه أسابيع الساعه، و كذلك ينقص في كل ليله ستة أسابيع الساعه حتى يستتر تحت الشعاع ليله ثمان و عشرين.

و اعلم أن الشمس تقطع البروج الاثني عشر التي هي جماع الفلك على ما ذكره بعض المتقدمين في ثلاث مائه و خمسه و ستين يوما و ست ساعات و خمسي الساعه، و تسير في كل برج ثلاثين يوما و عشر ساعات.

و يقطع القمر البروج في ثمانيه و عشرين يوما، و يصير في كل برج يومين و ثمان ساعات.

و يقطع زحل البروج في ثمانيه و عشرين يوما، و يصير في كل برج يومين و ثمان ساعات.

و يقطع زحل البروج كلها في ثلاثين سنه، و يصير في كل برج خمسه و أربعين يوما.

و يقطع المشتري في اثنتي عشره سنه، و يصير في كل برج اثني عشر شهرا.

و يقطع المريخ في سبعة عشر شهرا يصير في كل برج خمسه و أربعين يوما.

و تقطع الزَّهره في عشره أشهر و تصير في كل برج خمسه و عشرين يوما.

و يقطع عطارد البروج كلها كما يقطع الشمس سواء و يسير في كل برج كما تسير الشمس لأنه معها لا يفارقها.

و تقطع الجوزاء البروج في ثمانى عشره سنه و يصير في كل ثمان عشر شهرا.

فأما الكلام في مواقيت الزوال في الشتاء و الصيف و نقصان ذلك و زيادته في كل شهر من شهور الفارسيه، و الداعي إليه ضبط أوقات الصلاه المفروضه و الاحتياط في إقامتها سننها و في أوقاتها.

و لئما كان يختلف في السنين و البلدان من أجل اختلاف العروض و السماوات، عمدت إلى حلول الشمس أوائل البروج و قسمت عليها أقدام الظل ببلدنا الذى هو أصبهان سنه ثلاث مائه و اثنتين و تسعين ليزدجرد إذ كان أبعد من الاختلاف و أقرب إلى الدوام و الثبات، و لئلا يجب أن يغير في كل سنه عند تحوّلها، و علمت أن من يكمل للنظر في هذا الكتاب يكون متمرنا بمعرفه حلول الشمس أول كل برج، و متدربا بعلم وقته و الله الموفق.

فأول حلول الشمس برج الحمل يكون الظل عند الزوال أربعه أقدام و نصف العشر، و إذا سار عشر درجات منه يكون ثلاثه أقدام و ربع و خمس، و إذا سار عشرين درجه منه يكون قدمين و نصف و ثلث و عشر.

و أول حلولها برج الثور يكون الظل قدمين و ثلثى قدم و ثلثى عشر. و إذا سار عشر درجات يكون قدمين، و إذا سار عشرين درجه يكون قدما و ثلثى قدم.

و أول حلولها برج السرطان يكون الظل ثلثى قدم و خمسا و عشرا و إذا سار عشر درجات يكون قدما و عشرا و نصف العشر.

و أول حلولها برج الأسد يكون الظل قدمين و ربعا و سدسا. و إذا سار عشر درجات يكون الظل قدمين و ثلثين و ربعا. و إذا سار عشرين درجه يكون ثلاثه أقدام و نصف قدم.

و أول حلولها برج الميزان، يكون الظل أربعه أقدام و عشرا، و إذا سار عشر درجات يكون أربعه أقدام و خمس و سدس و عشر قدم.

و أول حلولها برج العقرب يكون الظل ستة أقدام و سدس قدم. و إذا سار عشر درجات يكون سبعة أقدام، و إذا سار عشرين درجه يكون سبعة أقدام و نصف و ربع.

و أول حلولها برج القوس يكون الظل ثمانيه أقدام و ربع و خمس قدم. و إذا سار عشر درجات يكون تسعه أقدام، و إذا سار عشرين درجه يكون تسعه أقدام و ربع و عشر قدم.

و أول حلولها برج الجدى يكون الظل تسعه أقدام و نصف قدم. و إذا سار عشر درجات يكون تسعه أقدام و ثلث قدم، و إذا سار عشرين يكون ثمانية أقدام و نصف و ثلث و عشر قدم.

و أول حلولها برج الدلو يكون الظل ثمانية أقدام و ثلث قدم، و إذا سار عشر درجات يكون سبعة أقدام و نصف و خمس قدم، و إذا سار عشرين درجه يكون ستة أقدام و نصف و ثلث و عشر قدم.

و أول حلولها برج الحوت يكون الظل ستة أقدام و سدس قدم و إذا سار عشر درجات يكون خمسة أقدام و ثلث و عشر قدم، و إذا سار عشرين درجه يكون أربعة أقدام و ثلثي و نصف عشر قدم.

الباب الرابع والخمسون في اشتداد الزمان بعوارض الجذب وامتداده بلواحق الخصب

يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في دعائه على الكفار: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، و اجعل عليهم سنين كسنى يوسف» فدعاهم جهد البلاء إلى أن أكلوا العلهز و هو المعجون من الوبر بدم القراد أعاذنا الله تعالى من سوء برحمته و من ذلك قول الشاعر شعرا:

هَلَّا سَأَلْتُ بَنِي ذِيانَ مَا حَسْبِي إِذَا رَعَائِي رَاحَتْ قَبْلَ حَطَّابِي

و ذلك إذا اشتدَّ البرد فراح الزاعى يإبله قبل الحطَّاب، لقله المرعى و لأنَّ المحتطبين يحتبسون مستكثرين من الحطب لشده البرد، و قال النابغه فى مثله:

هَلَّا سَأَلْتُ بَنِي ذِيانَ مَا حَسْبِي إِذَا الدَّخَانُ تَغَيَّى الأَشْمَطُ البرما

و يقال: أتانا فلان من الطيخه إمّا فى فتنه و إمّا فى جذب و بلاء، و أنشد:

و كنا بها بعد ما طيخت عروضهم كالبهريقه يبغي ليظها الدسما

و المطيخ: الفاسد و قال ابن مقبل:

ألم تعلمى أن لا يذم فجاءنى دخيلى إذا اغبرَّ العضاه المجلِّح

يريد أنّ الدخيل لا يذمه إذا غشيه فى وقت لم يكن مستعدا للاحتفال به و المجلِّح الذى أكلته الإبل حتى ذهب بغيصونه، و صار كالرأس الأجلح، و مثله قول الأعشى:

و إني لا يشتكىنى الألوک إذا كان صحو السحاب الضّريبا

أراد بالألوک ذو الألوک و هى الرساله، يريد لا أردّ صاحبها بغير شىء فيشكونى فى هذا الوقت البارد الجذب، و بين هذا المعنى لبيد و بسطه فقال:

و غلام أرسلته أمه بألوک فبدلنا ما سأل

أو نهته فأتاه رزقه فاشتوى ليله ريح و اجتمل

زاد على الأول لأنه قال: تطلب إذا طلب و نبتدئه إذا أمسك، و قال الكميت يذكر سنه جدب:

و كأنّ السوف للقينات فوقاتعيش به و هنيث الرقوب

و صار وقودهم للنار أماو هان على المخبأه الشحوب

قال أيضا:

و أنت ربيعنا فى كلّ محلّ إذا المهداء قيل لها العفير

(المهداء): الكثيره البر على الجيران، و العفير الذى لا يهدى من الجدب، و الأصل فى التّعفير أن يعلل العظيم بالشىء ء ليستغنى به عن اللبن و يشهد للمهداء قوله:

و إذ الجراد اغبررن من المحل و كانت مهداؤهنّ عفيرا

و قال لييد:

يكبون العشار لمن أتاهم إذا لم تسكت المائه الوليدا

أى لا يوجد فى المائه من اللبن ما يعلل به صبي إذا بكى و قال أوس فى مثله:

و ذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جدعا

(الهدم): الخلق، (و التّولب): ولد الحمار، و استعاره للعظيم و الجدع السيئ الغذاء.

و قال الفرزدق: و عام تمشى بالفراع أرامله، الفراع: الجرب، و إنما يتمشى بها تسأل الصدقه و قال الهذلى:

و ليله يصطفى بالفرت جارزها يختص بالنضرى المثرين داعيها

يريد أنّ الجارز لشده البرد يدخل يده فى الكرش ليدفأ و قال الفرزدق:

إذا السنه الشهباء حلّ حرامها

أى: يأكلون فيها الميتة و الدّم، و قال رؤبه جدباء فكّت أسر القعوس. و القعس:

الهودج أى فكّوها و أوقدوا بها من شدّه البرد، و قال الكميت:

فأى عماره كالحى بكر إذا اللزيات لقيت السنينا

أكر غداه أبساس و نقر و أكشف بالأصائل إذ عرينا

اللزيات: الشدائد، و اللزیه تلقب بالسنه حتى بنى منه الفعل، فقیل: أسنت القوم أصابتهم السنه، و التاء فى أسنت قال أصحابنا: هى بدل من الواو الظاهره فى الجمع، إذا

قيل سنوات، و مثله التاء فى قولهم أخت.

و يقال هذا عام سنه و الأرض وراءنا سنه. و من ألقاب الجذب قولهم: كحل و تحوط.

قال: و الحافظ الناس فى تحوط إذا لم يرسلوا تحت عائد ربعا. و يروى فى تحيط.

و يقال: أصابتهم لزيه- و حطمه- و أزمه- و لأواء- و لولاء- و قحمه- و حجره و شصاصاء و أكلتهم الصَّبْع و الفاشوره قال:

قوم إذا صرحت كحل بيوتهم عزّ الدليل مأوى كل قرضوب

و أحجرنا عامنا و هى الحجره قال:

إذا الشتاء أحجرت نجومه و اشتدّ فى غير ثرى أزومه

و السنه القاويه، و قد قوى المطر إذا قحط، و يقال: حقد المطر: إذا احتبس و قوله: إذا عرينا: يريد بردن، و يقال: ليله عريه و يوم

عري أى بارد، يقول: يكشفون تلك الأصائل بالإطعام و تفقد الناس، و قال الكميت يصف زمن الجذب شعرا:

و جالت الرّيح من تلقاء مغربها و ضنّ من قدره ذو القدر بالعقب

و كهكه المدلج المقرور فى يده و استدفأ الكلب فى الماسور ذى الذئب

(العقبه): شىء كان يرده مستعير القدر من المرق فى القدر و هو العافى. و (كهكه):

نفخ فى يده من شدّه البرد. و أنشد الأصبغى فى العافى:

إذا ردّ عافى القدر من يستعيرها

و قال الفرزدق:

و هتكت الأطناب كلّ ذفرهلها تامك من عاتق التى أعرف

(التامك): السنام، و (الأعرف): الطويل العرف، يقول: إذا أصابها البرد دخلت الخباء فقطعت الأطناب. و قال الكميت:

فأى امرئ أنت أى امرئ إذا الزجر لم يستدرّ الزجورا

و لم يعط بالعصب منها العصبوب لا التّهيّت و إلا الطّخيرا

(التّهيّت): الصّياح و الرّغاء، و (الطّخير): الضّرب بالرجلين و (الرّجور): التي لا تدر حتى تزجر، و هذا في شدة الرّمان. و قال أيضا:

بعام يقول له الموكفون هذا المعيم لنا المرجل

و كان سواء لنا تجين تمام الحوارين و المعجل

و المرجل أى جعلهم رجالات و قوله: و كان سواء أى ليس للأمهات لبن، فالتمام يموت أيضا، قال أبو عمر: و هما حواران أحدهما، (تمام): و الآخر. (معجل).

و حكى ابن الأعرابى: هذا عام صار الرّوم فيه علوقا، و الرّفود زجورا، فالرّوم العطوف على ولدها، و الرّفود التى تملأ رفين فى حلبه أى قد حين و العلوق التى ترأم بأنفها و تمنع درّها و الرّجور التى لا تدر حتى تزجر، و كلّ ذلك الانقلاب للّصير و الشّدّه و كلب الرّمان و قال ابن مقبل شعرا:

و لا اصطفى لحم السنّام ذخيرا إذا عزّ ريح المسك بالليل قاتره

قاتره من القطار، عزّه غلب عليه، يقول فى زمان الجذب: يكون ريح القطار أطيّب من ريح المسك و قال:

بلى إنّ الرّمان له صروف و كلّ من معاركة السنّين

فيسمن ذو العريكة بعد هزل و يغتر الهزيله بالسمين

العريكة من قولهم ناقه عروك إذا لم يكن فى سنامها إلا شىء يسير، و المعنى إنّ صروف الدّهر تقلب: فيسمن المهزول و يهزل السّمين و الهزال من الشّحم و الهزل من الجذب و الموت و قال عروه شعرا:

أقيموا (١) بنى أمى صدور قناتكم

فإنّ منايا النّاس شرّ من القتل

و يقال عام: (مجرنمز) إذا كان المطر وسطه دون أوله، و المجداب الأرض لا تكاد تخصب، و الرّمد القحط و أرمد القويم هلكوا جدبا.

و يقال: سنه سنوء- و حصاء- و شهباء- و غبراء- و أرض بنى فلان جرز و الجمع أجزاز و مجروزه، و أنشد ابن الأعرابى الأسودان أبردا عظامى. الأسودان الفث و الماء، و الفث حب يطحن و يخبز منه خبزا أسود، و هذا كما قيل فى التمر و الماء الأسودان و معنى: (أبردا عظامى) أى أذهبها مخى، و الفث يأكله الصّركاء. قال الطّرماح:

لم يأكل الفثّ و الدّعاء و لم يتعفّ هبيدا بجنبه مهتبه

(الهبيد): حب الحنظل، قال حسّان رضى الله عنه:

لم يعللن بالمغافير و الصّمغ و لا شرى حنظل الحظبان

١- أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

المغافير: جمع المغفور و هو شىء ينضجه التمام.

و يقال: عيس عزير- و زمان عزير: أى لا يفرع أهله و عام غيداق. و سيل غيداق، و ماء غدق. و يقال: زمن مخضم لا مقضم. و حكى الفراء عام أذب.

قال أبو عبيده: عيش حزم و هى عربيه و أنشد لأبى عينه:

و جنه فاقت الجنان فماتبلغها قيمه و لا ثمن

ألفتها فاتخذتها وطناً إن فؤادى لأهلها وطن

زوج حيتانها الضباب بهافهذه كنه و ذا ختن

و انظر تفكر فيما يطوف به إن الأريب المفكر الفطن

من سفن كالنعماء مقبله من نعم كأنها سفن

أخذ هذا من قول الخليل بن أحمد شعرا:

زر وادى القصر نعم القصر و الوادى لا بد من زوره من غير ميعاد

يرفى بها السفن و الظمان واقفهو الضب و التون و الملاح و الحادى

و قال بعضهم: سقيا لزم من حضنتنى أحشاؤه- و أرضعتنى أحساؤه- فما هو فى الأزمان إذا قيس حاله- و اعتبر نشوه و نماؤه- ألا أخ عرفت مذاهبه- و جزت خلائقه- فصح لك غيبه- و بعد عنك عيبه- فهو شقيق روحك- و باب الروح إلى روعك.

و قال بعض البلغاء: من أتى قصر أنس بن مالك ظهرا يرى أعرابيا يحدو بزوملته- و رأى ملاحا يغنى على سكانه- و رأى صيادا قد طرح شبكته- و رأى غلاما عند جحر ضب يريغ صيده- ثم رأى أرضا كان ترابها الكافور- و لا تسفيه الريح لأنها تربه- فمتى شئت رأيت بساطا موشيا- و متى شئت رأيت جنه و حريرا- و قال أبو عينه شعرا:

تذكرنى الفردوس طورا فأرعوى و طورا تواتينى على القصب و الفتك

بغرس كأبكار الجوارى و تربهكأن ثراها ماء ورد على مسك

فيا حسن ذاك القصر قصرا و منظرا بأفصح سهل غير وعر و لا ضنك

كأنّ قصورا لقوم ينظرن حوله إلى ملك موف على منبر الملك

يدلّ عليها مستطيلا بحسنه و يضحك منها و هي مطرفه تبكى

و أنشد ابن أبي ناظره، قال أنشدني الرّياشي عن الأصمعي:

إنّما يتمّ الفؤاد غزال ذو دماليج يوم سال العقيق

مالئ الطرف من بعيد عميم و مليح إذا دنوت عتيق

لو رآه رهبان مدين طارواو استخف المطران و الجاثليق

و لها مربع بطيبه لَدُو لها بالحمى مبدى أنيق

سلوه العيش و الندى فإذا ما ودعتها رواعد و بروق

سكنت دسكراتها و أطبها ظلّ عيش نضر العيون و ريق

فى رياض تحفهنّ نخيل باسقات تعلّى عليها الوسوق

و إذا أهل جنه حصنوها حين تعرو نواب و خفوق

تلموها لابن السبيل و للعافى فيها للمعتقين طريق

و من كلامهم: وقع فى الأهيين: أى الطّعام و الشّراب. و سئل بعضهم ما أطيب العيش أو الأوقات؟ فقال: ما قلّ أذاه. و كثر جداه، أيام ترييع الحمى و قصيفه، و يريح من الهوى ظلّ المنى و ريفه.

و حكى الأصمعيّ: موت لا يجزّ إلى عار خير من عيش فى رماق: أى قدر ما يمسك الرّمق. و قال طرفه:

نحن فى المشتاه يدعو الجفلى لا ترى الآداب فينا ينتقر

و يقال: فلان يدعو الجفلى و الأجفل إذا عمّ بدعائه، و فلان يدعو الثّقرى إذا خصّ قوما دون قوم، و قال كلّ الطّعام يشتهى ربيعه: الخرس و النقيعه. (الخرس): للولاده.

(و الأعذار): للختان و (الوليمه) للعرس، و (النقيعه): طعام القادم من سفره و (المأدبه) كلّ طعام صنع و دعى إليه و (الوكيره) الطّعام يصنع عند بناء البيت و قال الشاعر:

فظللنا بنعمه و اتكأناو شربنا الحلال من قلله

اتكأنا طعمنا: و منه قوله تعالى: وَ أَعْتَدْتُ لَهُنَّ مُتَّكَأً [سوره يوسف، الآيه: ٣١] أى طعاما (القلل) جمع قلّه، و قال حرمله بن حكيم:

يا كعب إنك لو قصرت على حسن التّدام و قلّه الجرم

و سماع مدجنه تعلقناحتّى نثوب تناوم العجم

لصحوت و الثّمريّ يحسبها عمّ السماك و خاله النّجم

و يروى على شرب المدام (المدجنه) الداخلة فى الدّجن و هو اليوم المطير، و أراد حتى نثوب نتناوم تناوم العجم، و كانوا لا ينامون إلّا على ضرب الأوتار و شرب الرّحيق.

و قال ابن الأعرابى: يقول لو أحسنت المناديه لنادمتك حتى الصّبح إلى صياح الدّيكه.

قال: و النمرى: هو كعب نفسه، أى لصحوت و أنت تحسب هذه المسمعه. كذلك فى عظم

القدر، و هذا كقولك ما يحسبه إلا ابن ماء السماء و قال لبيد:

يشنى ثناء من كريم و قومه ألا انعم على حسن التّحيه و اشرب

قوله: يشنى ثناء أى يديم ما كان عليه من الثّناء. و قال آخر:

كرام إذا ناب البحار ألذّه مخاريق لا يزجون فى الخمر

و ألذّه مخاريق أى يخرقون فى العطاء كما قال:

فتى إذ هو استغنى تخرّق فى الغنى و إنّ قلّ مالا لم يضع متنه الفقر

الباب الخامس و الخمسون فى حدّ ما يشتمل على ذكر ما فى إعرابه نظر من حديث الزّمان

قال ذو الرّمه شعرا:

فلما نصفن اللّيل أو حين نصبت له من خدى آذانها و هو جانح

يروى لبسن اللّيل يعنى الحمر، و نصبت للتّوجّه إلى الماء، و قال بعضهم حين فعل من الحينونه و المراد أو حين دنا اللّيل للنّصف فحذف و أنشد سيبويه:

أرواح مودّع أو بكورلك فاعمد لأىّ حال تصير

وقيل: جعل الرّواح هو المودّع على السّعه، و قيل: أراد ذو رواح أنت أم بكور فحذف.

و روى سيبويه: أنت فانظر و معناه انظر أنت، فانظر، و قال هذا يرتفع على الحدّ الذى ينتصب به عبد الله إذا قلت عبد الله ضربته، و قال: أى حال و وجه الكلام أیه حال لكنّه حمله على لفظه الحال. و قال ابن أحمر شعرا:

ألا فالبتا شهرين أو نصف ثالث إلى ذاكما ما غيبتنى غيايا

أراد شهرين أو شهرين أو شهرين و نصف ثالث، و قيل: أراد بل و أو يكون بمعنى بل و قيل: أو بمعنى الواو كأنه أراد و نصف ثالث، قوله: ما غيبتنى غيايا أراد بالغياب الغيايه، لذلك أنّ كما قال تعالى: **فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ** * [سوره يوسف، الآيه: ١٠] إنّهُ حذف الهاء مع الإضافه لأنّ المضاف إليه كالعوض مثل: ليت شعرى و هو أبو عذرها.

و يجوز أن يكون غيايه و غياب مثل قتاده و قتاد، فحمله على التّأنيث مثل نخل خاويه.

و قالت أميه بنت عتيبه بن الحارث:

تروّحنا من اللّعباء قصر او أعجلنا الإلهه أن تتوبا

و يروى: و أعجلنا الحمائل أن تتوبا. يريد به الشمس أى استعجلناها مخافه أن تتوب و لثلا تتوب و معنى تتوب: تغيب كما قال:

و ليس الذى (١) يتلو النجوم بأثب

و يروى: و أعجلنا الإهه و قيل الإهه اسم للشمس، لأنه كانت تعبد. و قال الفرزدق:

فسد الزمان و من تغير أهله حتى أميه عن فزاره تنزع

أى و من تغير أهله فسد، فحذف و قيل: و من تغير أهله أميه تنزع، و قيل: بل أراد أن يجعل حتى معلقه لا تعمل فى شىء، و يكون بمعنى الواو. سبب هذا الشعر أن أميه بن خالد بن أسد عزل عن عمله لعمر بن هبيره، و يشبه هذا قوله شعرا:

فيا عجا حتى كليب تسبني كأن أباهها نهشل أو عطارد (٢)

و قال عبد العزيز بن وديعه المزمى:

نسأت القلوص على لاحب و مرّ الليالى يزلن النعيما

مرّ الليالى: هو الليالى، لذلك قال يزلن و مثله لجرير:

رأت مرّ السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال

و أنشد سيويه فى مثله:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع

و قال الفرزدق:

على حين ولى الدهر إلا أقله و كاد بقايا آخر العيش تذهب

جعل لآخر العيش بقايا، و البقايا من العيش لا من آخره، و المعنى كادت بقايا ذلك الأقل تذهب أيضا. و قال و عله الجرمى:

و لما رأيت الخيل تترى أتايجا علمت بأنّ اليوم أحمس فاجر

يروى حاذر و حاذر، أى: محذور. و قال الفرزدق:

مثل النعام يدينها تنقلها إلى ابن ليلى بها التهجّر و البكر

١- يرعى النجوم. للناغفه الذببانبى.

٢- أومجاشع.

ارتفع التّهجر و البكر على أن يكون فاعل يدينها و انتصب تنقلها على البدل من المضممر فى يدينها. و قال حميد بن ثور:

تعلّلت ريعان الشّباب الذى مضى بخمسه أهلين الزّمان المذبذب

الزّمان: بدل من الشّباب، و جعله مذبذبا استقصارا لوقته، و قال أيضا شعرا:

فإمّا ترينى اليوم أمسكت بعد ما تردّيته برد الشّباب المجر

انتصب برد على البدل من المضممر فى تردّيته، يريد بعد ما لبست برد الشّباب أى استمتعت به. و قالت امرأه منهم شعرا:

صاح الغراب بدار هند سدْفهصمّ الغراب و خرس ما ذا ينثر

دعت عليه بالصّم و الخرس.

و مرّ القول فى السّدْفه. و أنشد ابن الأعرابى لبعض بنى أسد:

و لقد رأيتك بالقوادم مرّ هو على من سدْف العشىّ رياح

أى أريحيه و خيلا من الشّباب. فقال رياح و أنشد سيبويه لعمر بن قمية:

لما رأت ساتيدا ما استعبرت لله درّ اليوم من آلامها

فرّق بين المضاف و المضاف إليه بالظرف كما يفرّق بينهما بالقسم. و قال عمر بن ربيعة:

أما الرحيل فدون بعد غدفتى تقول الدّار تجمعنا

أجرى: تقول مجرى تظن فى الاستفهام، أعمله عمله.

و إذا كان كذلك فانتصاب الدّار على المفعول الأول، و تجمعنا مفعول ثان: المعنى متى تظنّ الدار جامعه لنا تقول. و أنشد

سيبويه:

أكلّ عام نعم تحوونه يلقحه قوم و تنتجونه

قوله: تحوونه صفة للنعم كأنه قال: نعم محويه، فكونه صفة منع من أن يكون عاملا فيما قبله. و أنشد للهدلى:

حتّى شاءها كليل موهنا عمل بانث طرابا و بات اللّيل لم يتم

جعل سيويه كليلا يتعدى إلى موهن كما يتعدى ضارب إلى مفعوله، و خالفه جمع

التَّحْيُوتِ كُلِّهِمْ، وَجَعَلُوا مَوْهِنًا ظَرْفًا وَ قَدْ تَكَلَّمْتُ لَهُ وَ عَلَيْهِمْ فِيمَا عَمَلْتَهُ مِنْ شَعْرِ هَذِيلٍ وَ أَنْشَدَ سَيَّبُوتِيهِ لَعْدَى بِنِ زَيْدٍ:

أرواح مودّع أم بكور؟ أنت فانظر لأى حال تصير

قال: أراد ذو رواح أنت أم بكور فحذف. و قال سيبويه: معناه: انظر أنت فانظر و قال هذا يرتفع على الحد الذى ينتصب به على شىء ما بعده تفسيره، و مثال ذلك المنسوب إذا قلت زيد أضربته لأنّ المعنى أهنت زيدا ضربته. و قال شعرا:

ذكرتك لَمَّا أتلت من كناسها و ذكرك سبات إلى عجيب

قال: إلى بمعنى عند و السبه القطعه من الدهر. و قال آخر:

أرى كلّ يوم زرتها ذو بشاشهو لو كان حولا كلّ يوم أزورها

يقول: أراد و لو كانت زيارتى كلّ يوم حولا. قال:

على حين عاتبت المشيب على الصّبا فقلت أ لَمَّا أضح و الشّيب وازع؟!

قوله: على حين بناه على الفتح أى فى حين و أراد عاتبنى المشيب فجعل الفاعل مفعولا. و قال الأصمعى فى قول سحيم بن وثيل:

و إنى لا يعود إلى قرنى غداه الورد إلّا فى قرينى

أراد: مع قرين أى مع أسير آخر أقرنه إليه، و قال غير الأصمعى: أراد بالقرين الجبل.

و قال متمم بن نويرة:

فلَمَّا تفرّقنا كأنى و مالكا طول اجتماع لم نبت ليله معا

قال: أراد مع طول اجتماع، و قيل: أراد كأن طول الاجتماع كان سبب التفرّق، لأنّ الشىء إذا تناهى عاد ناقصا. و قال آخر:

إنّ الرزیه لا رزیه مثلها أخواى إذ قتلا بيوم واحد

أى فى يوم واحد.

و من القلب و الإبدال قوله: كان لون أرضه سماؤه، أراد كان لون سمائه أرضه. قال الأعشى:

لقد كان فى حول نواء ثويتهتقى لبانات و يسأم سائم

أراد فى ثواء: حول ثوبه، و قوله: و يسأم سائم: أراد سأمه سائم و قال:

مروان مروان أخو اليوم اليمى قال: أراد اليوم اليوم فأخّر الواو و قدّم الميم، ثم قلب الواو حين صار ظرفا كما يقال فى جمع دلو: آدل، و قيل: بل أراد أخو اليوم اليوم كما يقال فى الحرب عند النداعى اليوم اليوم، أى هو أخو هذا المقاله. و أنشد الأخصب بيت الفرزدق:

كم عمه لك يا جرير و خالهفدعاء قد حلبت علىّ عشارى

قال: يجوز فى عمه الرفع و النصب و الخفض. قال فرفعه على الابتداء و بجعل كم ظرفا و خاله، و نصبه على نيه التّنوين فى كم فشبهه بعشرين درهما و ما أشبهه، و الخفض على الإضافة، كما يقول كم رجل قد رأيت لأنه أجرى مجرى عدد لا تنوين فيه، نحو ثلاثه أثواب. و قال عمرو بن معديكرب و يروى لغيره:

و كلّ أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلّا الفرقدان

ارتفع الفرقدان عند أصحابنا البصريين على أنه بدل من قوله: كلّ أخ و الكوفيون يجعلون إلّا بمعنى الواو، كأنه قال: و الفرقدان أيضا. و قال جرير شعرا:

لقد لمتنا يا أمّ غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطىّ بنائم

و مثل هذا كثير.

قال سيبويه: جعل الثوم لليل كما جعل النّابغه الشّهر له فى قوله:

كتمتك سراً يا لجومين ساهراو همين هما مستكنا و ظاهرا

و التّحقيق ما ليل المطىّ بذى نوم، و قال غيره: أراد لا ينام من قاساه، فحذف لأنّ المعنى معروف. و قال و عله الجرمى شعرا:

و لئما رأيت الخيل تترى أتايجا علمت بأنّ اليوم أحمس حاذر

قالوا: أراد بالحاذر المحذور، و روى فاجر أى سديد ذو فجور، و كانوا يسمّون من يغزو فى الأشهر الحرم فاجرا، قالت ليلي الأخيلىّ:

على تقاها دائما و فجورها. و أنشد:

بنى أسد ما تعلمون بلاءنا إذا كان يوم ذو كواكب أشنعا

جعل أشنعاً حالاً و لعتره:

أ من سمّيه دمع العين مذروف لو كان ذا منك قبل البين معروف

قال: أراد لو كان القصه، و قال الفراء: لو كان ذا فى موضع نصب. و قال أحمد بن يحيى فى الأمر و كان مجهول، و هذا يقارب طريقه أصحابنا. قال: و من العرب من يجعل العفل للّصّفه فيرفعه كما قال: قلت أحبى عاشقا يحبكم مكلف: أى هو مكلف. قال الأعرشى:

أسرى و قصّر ليله ليزوداو مضى و أخلف من قتله موعدا

أخلف: أى وجدته كذلك كما قال:

و أهيج الخلصاء من ذات البرق: أى وجدته هائجه الثبت، و كقول العباس:

لعمره رسم أصبح اليوم دارساو أقفر منها رحران و راكسا

أى وجدتهما قفرا. و قال جرير:

إذا خفت يوما أن يلج بك الهوى فإنّ الهوى يكفيكه مثله صبيرا

أراد: فإنّ الهوى يكفيك هوى مثله، أى هوى آخر، و تمّ الكلام و نصب صبيرا على معنى فاصبر صبيرا. و قال آخر: أراد يكفيكه أن تصبر صبيرا. و قال الأعرشى:

هذا النهار بدا لها من همّهما بالها بالليل زال زوالها

نصب النهار: أى فى النهار و نصب، زوالها: كأنه دعاء على الليل فقال: زال زوالها:

أى مع زوالها، فلا- يكون ليل إذ زالت أثارق فيه و أسهر. قال أبو عبيده عن أبى عمرو بن العلاء: زال زوالها: كلمه تقال بالرّفْع فتركها على حالها، و لم يلتفت إلى القافيه، و قال الأصمعى: لا أدرى ما هو. و قال الأخصس: أزلته عن مكانه و زلته لغه، فأراد أزال الله زوالها بزوال زال. قال أبو صخر الهذلى شعرا:

أ رائح أنت يوم اثنين أم غادو لم تسلّم على ريحانه الوادى

العرب تقول: هذا يوم اثنين بغير ألف و لام، و كان أبو زيد يقول: مضى الاثنان بما فيها، و مضت الجمعه بما فيها، و مضى الثلثاء بما فيهن. و قال جرير:

فالشَّمس طالعه ليست بكاسفهبكى عليك نجوم اللّيل و القمر

أراد الشَّمس طالعه و ليست بكاسفه نجوم اللّيل، و القمر، لأنها طلعت لفقدك ضعيفه التّور. و قيل: انتصب القمر لأنه مفعول معه
أراد مع القمر. و روى: تبكى عليك نجوم اللّيل

على أن تكون نجوم الليل مفعول تبكى، يقال: باكيته فبكيته، أبكيه و يكون من أفعال المبالغة، كأنَّ الشَّمس تغالب في البكاء النجوم و القمر فتغلبها و أفعال المبالغة تجى ء فى الماضى على فاعلته أفعله بضم العين، يقول: طاولته فطلته أطوله، إلَّا ما كان من نبات اليباء، فإنَّه يحامى على اليباء منه لئلا يختلط نبات اليباء بنبات الواو. هذا الباب المعتمد فيه على السيِّمَاع فاعلمه. و قال الطَّرْمَاح شعرا:

فإنى و إياكم و موعد بيننا كيوم لييد فارق أربدا

يريد: أنَّ يومنا و يومكم و يوم ميعاد بيننا كيوم لييد، و الأجود فى تفسير البين أن يكون المصدر لا الظرف. و قوله: يوم فارق العامل فيه معنى الفعل الذى دلَّ عليه قوله: يوم لييد لأنَّه يريد به الشَّده و الصَّعوبه. و أخبره أنَّ السَّبيل ثنيه صعودا ينادى كلَّ كهل و أمردا، صعودا فمن يعمل يلمع به اليوم بأنَّها، و من لا يلهى بالصَّحَاء فأوردا. أربد أخو لييد مات فقال:

و أرى أربد قد فارقنى و من الأرزاء رزء ذو جلال

و المعنى؛ فجعت بكم و أنا أتبعكم فما الخلق فيما كتب من آجالهم إلَّا سابق و لاحق، على ذلك نحن و من تقدَّمنا فى تواعدنا، و السَّبيل يريد به سبيل الموت و أنَّ الاقدام تتساوى فيه فمن دعى أجاب، و قوله: فمن يلمع به الصَّعود يأتها، يريد إذا أشارت إليه أولا، و هذا كما قال أوس: أشار بهم لمع الأصم. و قوله: ثنيه صعودا يريد أنَّها عقبه شاقه. و قوله: و من لا يلهى بالصَّحَاء، وضع الماضى موضع المستقبل أراد و من لا يلمع به فى أوَّل النَّهار يلمع به من بعد، و الصَّحَاء للإيل و هو وقت الغذاء للناس، يريد به قرب ما بين الأحياء و الأموات فى الموت و مثل قوله: و من لا يلهى به فى حذف الشَّرط منه قول الآخر:

و ألما يقيموا صاغرين الرُّؤسا. لأنَّ المعنى: ألَّا تقيموا تقيموا كما أنَّ التقدير فى هذا لا يلمع به يلهى. و قوله: فأوردا. فى موضع الجزم لأنَّه معطوف على من لا يلهى. و المعنى من لم يتله فيورد و فيه وجه آخر. قال زهير:

إنَّ الرِّزِيه لا رزيه مثلها ما يبتغى غطفان يوم أضلَّت

(لا رزيه): مثلها فى موضع الصَّفه للرِّزِيه و ما ينبغى فى موضع الخبر.

شعر:

إنَّ الرُّكَّاب ليبتغى ذا مرَّهجنوب نخل إذا الشَّهور أحلَّت

يعنى: إذا انقضت الأشهر الحرم. و قال آخر:

و باد الشَّبَاب و لذاته و ما كان للدَّهر الأخلَّا

أى أكلها أكل الحشيش و فى طريقته قوله: فلست خلاه لمن أوعدن. قال حميد بن ثور:

أ تنسى عدوّ إسار نحوك لم يزل ثمانين عاما قبض نفسك تطلب

و تذكر سرداحا من الوصل باقياطويل القرى أنضبتة و هو أحدب

تقعدته عصرا طويلا أروضه يلين و ينبو تاره حين أركب

أراد بالعدو الدهر، و السرداح الطويل من الإبل، ضربه مثلا للعيش الذى قضاه قوله:

يلين و ينبو أى: يأتى مره بالبؤس و مره بالتعم. قال آخر:

و صاحب المقدار و الزديف أفنى ألوفا بعده ألوف

يعنى بالزديف النجوم التى تتعاقب، يقول: يعاقبها على مرّ الدهور لا يبقى أحدا.

أنشد أبو العباس:

أجدك لن ترى بثعيلبات و لا بيداء ناجيه ذمولا

و لا متدارك و الشمس طفل ببعض جوانب الوادى حمولا

قال لك: إن تقول ما زيد قائما و لا قاعدا، و لا قائم و لا قاعد. من رفع توهم أنّ الأول مرفوع. و كذلك الخفض، و لو خفض الأول جاز فى المنسوق عليه ثلاثه أوجه. و كذلك لو كانت صفه قلت ما زيد خلفك و لا محسن و لا محسنا و لا محسن، يتوهم أنّ المقدم فعل و يجوز ما زيد بقائم و لا بقاعد، و أنشد: بطعنه لا غس و لا بمعمر. و أنشد الكسائى: أما ترى حيث سهيل طالعا.

قال: رفع حيث و أضافها و خفض بها، و إذا خفض بها فينبغى أن ينصب و وجه الكلام عبد الله حيث زيد نصبت حيث، و أضفتها. و أنشد للنابغه شعرا:

تبدو كواكبها و الشمس طالعهلا النور نور و لا الإظلام إظلام

قيل: أراد شدّه الأمر بقوله: تبدو كواكبه كما قال: و يريه النجم يجرى بالظهر. و كما يقال: لأرينك الكواكب، و قيل بل أراد لمعان السيوف و بريق البيض ذهبا بظلمه الغبار.

و إنّ الغبار غطّى الشعاع الساطع منهما، فلذلك حال كلّ عن المعهود. و أنشد أبو الحسن عن يونس:

إذا أنا لم أو من عليك و لم يكن كلامك إلا من وراء وراء

وراء من أسماء الزّمان. قال الشّعْر مرفوع. و قد جَوّز فيه غير وجه منها الضّم فيها و يكون الثّاني بدلا من الأوّل، و قد جعل غايته و جَوّز إلّا من وراء وراء يريد و رأى فحذف ياء

الإضافه، و ترك الكسره عليها، و تكون الثانيه بدلا أو تكريرا و يكون من وراء وراء على أن يجعل وراء معرفه فلا- يصرفها للتأنيث و التعريف، و تكون الثانيه تكريرا و روى ابن حبيب عن أبي توبه إلا- وراء وراء أضاف وراء إلى وراء فجزّه للإضافه و وراء المضاف إليه بنى على الضم مثل تحت و دون و يجوز إلما من وراء وراء تضيف وراء الأول إلى الثاني. و قد جعلته لا ينصرف للتأنيث و التعريف، و وراء الأول التقدير فيه الأفراد كما يقدر في سائر ما يضاف.

قال زهير شعرا:

لعب الزّياح بها و غيرهابعدى سوافى المور و القطر

القطر: لا يسفى. فقال الأخصش: هذا الباب يشير إلى مثل قوله:

متقلد أسفا و رمحاو علفتها تبا و ماء باردا

و قول جرير شعرا:

تبيّن فى أنف الفرزدق لؤمه يقبّح ذاك الأنف أنفا و مشفرا

كلّه إنما جاز بإضمار فعل آخر كأنه قال: و حاملا رمحا و سوافى المور، و صوب القطر و قال:

ما كان مثلك يستخفّ لنظره يوم المطىّ لغربه مر حول

و هذا مثل أتيتك زمن الحجاج أمير. و قال حميد الأرقط:

فأصبحوا و التوى عالى معرّسهم و ليس كلّ التوى يلقى المساكين

قال سيبويه: أضمر القصّه أو الأمر و قدم مفعول الخبر، و هذا لا يجوز لو لم يكن فيه إضمار كأنه قال: و ليس الأمر كلّ التوى يلقى المساكين، لأنّه لا يلى ليس و لا كان ما يعمل فيه فعل آخر، لا يجوز أن يقول: كانت زيدا الحمى تأخذ فيفرق بين كان و اسمها بمفعول غيرها، و لو كان مفعولها لجاز كقولك: كان زيد قائما لأنّ قائما مفعول كان. و أنشد سيبويه لعمر بن أبى ربيعة شعرا:

معاوى إنّنا بشر فأسجح فلسنا بالجبال و لا الحديدا

و قال: هذا مما يجرى على الموضع لا على الاسم الذى قبله لأنّ المعنى فلسنا جبالا و لا حديدا. و قيل: إن سيبويه دسّ هذا البيت لأنّ القصيده مجروره، و فى هذا كلام. و قال آخر:

فأوّه لذكراها إذا ما ذكرتهاو من بعد أرض بيننا و سماء

من قولك: أوّه و أراد من بعد أرض، و من بعد سماء، فجعله للصفتين و نحوه قول القطامي:

ألم يحزنك أن جبال قيس و تغلب قد تباينت انقطاعا

يريد: و جبال تغلب. و قال النابغة الجعدي شعرا:

غدا فتيا دهر و راحا عليهم نهار و ليل يكثران التواليا

و إنما يغدو واحد و يروح آخر، و يجوز على هذا أن يقول: غلامان قد طبخا خبزا و أحدهما طبخ و الآخر خبر. و قال آخر:

تعلمنّ و الله ما أبالي تعود عند آخر الليالي

أراد أن يقول: أخرى الليالي، و هو وجه الكلام. و قال جرير شعرا:

مطاعيم الشتاء إذا استحنت و فى عرواء كل صبا عقيم

قال ابن الأعرابي: استحنت بفتح التاء بمعنى حنت يعنى الشمال، و قال عماره: بضم التاء، و قال: أراد استحنت الشتاء الشمال أى هيّجها، و الشمال: مستحنته فلذلك روى استحنت.

سبقنا العالمين بكلّ نجم و بالمستمطرات من النجوم

و قوله: و ليست يعنى النجوم و أضمر لأنّ فى الكلام دليلا عليه. و قال جرير شعرا:

ياوى إليك فلا منّ و لا جحد من ساقط الضّيع الحصا و الذّئب

فاعل ياوى من ساقط، و أراد بالضّيع الحصا السنه الجديه لا نبت فيها، قوله: و الذّئب يريد أنّ الذّئب تطمع فى الناس لضعفهم. و روى أنّه سئل السنه: أى الجذب ما عوانك، فقال: الحرب و الذّئب. و قال الفرزدق شعرا:

يداك يد ربيع الناس فيها و فى الأخرى الشّهور من الحرام

أراد فى إحدى يديك ربيع الناس، يعنى إنه يغنيهم، و الأخرى كالأشهر الحرم يعنى عقد جوارح، فأخرج الكلام كما ترى. و أنشد ثعلب:

و لعلّ خيرا منك قرما ماجدا ضحّاك ساعات النجوم سميّد

يعنى طلاقه وجهه فى الجذب إذا خوت النجوم، و اللفظ على ما يشاهد و فى طريقته قال شعرا:

قفار إذ العام المسمى تزعزعت بشيفائه هوج الرياح العقائم

قوله: المسمى. يعنى المشتهر بصفاته. و أنشد للعجاج أو رؤبه:

كأنه لو لم يكن حمارابهنّ تالى النجم حيث غارا

يجوز أن يكون المراد بقوله: بهنّ بطردهنّ فحذف المضاف، و يجوز أن يريد كأنه باجتماعه معهنّ، و يكون فى الباء تقديران: أحدهما: أن يكون العامل فيه ما فى كان من معنى الفعل، أى يشبه العير تطرده الأتن تالى النجم، و الآخر: أن تعلقه بكان أى لو لم يكن حمارا بطردهنّ أو بالاجتماع معهنّ، و المعنى أنّ كونه حمارا يمنعه أن يكون كتالى النجم على الحقيقة، و إن كان كونه خلفها، يطردها ككون الدبران خلف الثريا و قال: مرّت على آثارها دبرانها. يشبه هذا ما أنشده أبو زيد. كوني بالمكارم ذكرينى. قولهم زيدا ضربه، و زيد ليقم، بالمكارم متعلق بذكرينى فكأنه قال: أنت ذكرتنى فرفع أنت بالابتداء ثم دخل الفعل عليه، و يشبهه قول الجميع: إن الرياضه لا ينصبك للشيث. فإن قلت: بيت الجميع أحسن فى القياس أو ما أنشده أبو زيد، قيل: جهه قياسهما فى الارتفاع بالابتداء واحد. و قوله: لا ينصبك أحسن من كوني بالمكارم ذكرينى لأنّ قوله ذكرتنى يدل على كوني، و نظيره قولهم:

كان زيد قام، و قد أجازة النحويون إجازة حسنه و زعموا أنّ أخوات كان ليس فى ذلك لكان و الله أعلم.

الباب السادس والخمسون فى ذكر الكواكب اليمانيه و الشاميه و تميز بعضها عن بعض

و ذكر ما يجرى مجراه من تفسير الألقاب.

و اعلم أنّ القوم لما أرادوا تميز الكواكب قسموا الفلك قسمين، و سموّ أحد النّصفيّن جنوبيّا، و هو الذى يلى الجنوب، و سموّ النّصف الآخر شماليّا و هو الذى يلى الشّمال، و سموّ كلّ ما وقع فى النّصف الجنوبي من البروج و الكواكب جنوبيّه، و سموّ ما وقع فى النّصف الشّمالي من البروج و الكواكب شماليّه، و سمّت العرب تلك الشّماليه شاميّه، و الجنوبيه يمانيه، و المعنيان واحد، لأنّ مهبّ الشّمال عندهم من جهه الشّام، و مهبّ الجنوب من ناحيه اليمن و لذلك جعلوا ما بين رأس الحمل إلى رأس الميزان من البروج شاميّه. و جعلوا ما بين رأس الميزان إلى رأس الحمل من البروج يمانيه. و كذلك جعلوا ما بين الشّرطين من المنازل إلى السّمّاك شاميّه، و جعلوا ما بين الغفر إلى الرّشاء يمانيه. فكلّ كوكب مجراه ما بين القطب الشّمالي إلى ما بين مدار السّمّاك الأعلّ أو فويقه قليلا- فهو شامىّ، و كلّ كوكب مجراه دون الفلك إلى ما يلى القطب الجنوبي فهو يمانىّ. و التّسران أحدهما الطّائر و الآخر الواقع و هما شاميتان. فأما الواقع فهو منير، و خلفه كوكبان منيران، يقولون: هما جناحاه، و قدّامه كواكب يقال لها: الأظفار. و أمّا الطّائر فهو إزاء الواقع، و بينهما المجرّه، و لا يستتر إلا خمس ليال. و أمّا قول ذى الرّمه شعرا:

يحبّ امرؤ القيس العلى أن ينالها و تأبى مقاريتها إذا طلع النّسر

فإنّما يذمّمهم بأنهم لا يطعمون فى الشّتاء، و المقارى الجفان.

قال أبو حنيفه: و كذلك مدار الكوكب الذى تسميه العرب: الفرد و هو قريب من الفصل بين شامىّ الكواكب و يمانيه. و قول عمر بن أبى ربيعه فى سهيل بن عبد الرّحمن:

و تزوّجه الثريا العبلية من بنى أميّه، يضرب لهما كوكبى سهيل و الثريا مثلا فقال:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان؟

هي شاميه إذا ما استقلت و سهيل إذا استقل يمان

و قال آخر في نعت سهيل إذا طلع صباحا:

أراقب لمحا من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل يطرف

و قيل: هو كوكب ذكر نكاح، حريص عليه، و ربما طلع في الليله الواحده مرتين، و يغيب مرتين. و يقال: غيبته بعد طلوعه لدنوه من كوكبته و صاحبته.

و حكى عن بعض علماء العرب: النظر إلى سهيل يشفى من البرسام، و لذلك يقول مالك بن الزيب:

أقول لأصحابي ارفعوني فإنني يقر بعيني أن سهيل بدا ليا

و يقال: سهيل أشفق الكواكب على الغرباء و أبناء السبيل، و بين رؤيه سهيل بالحجاز و بين رؤيته بالعراق بضع عشره ليله، و قالت الهند: إذا نظر ناظر إلى سهيل عند نهيق الحمار و به صداد عوفى. من خرافات العرب: أن سهيلا طلع بأرض العراق و قابل الزهره، فضحكت إليه و قالت: أ لست الذى يقال فيك إنك كنت عشارا فمسحك الله شهابا، عقوبه لك؟ فأجابها و قال: ليس كل ما يقوله الناس حقا، فقد قالوا فيك: إنك كنت امرأه فاجره فمسحك الله كوكبا مضيئا يحكم فى خلقه.

فأما معرفه الشَّرْقَى من الكواكب و الغربى فيجب أن تعلم أن الكواكب إذا كانت خلف الشمس بخمس عشره درجه فهى شرقيه فى ذاتها إلى ما تباعدت. و إذا كانت قدام الشمس بخمس عشره درجه فهى غربيه فى ذاتها إلى ما تباعدت. و الكوكب الشمالى إذا جاز رأس جو زهره إلى أن يبلغ ذنبه، و الجنوبى إذا جاز ذنب جو زهره إلى أن يبلغ إلى رأسه.

و أقيا معنى اقتران الكوكبين فهو مسامته أحدهما الآخر، لأن أحدهما أعلى من صاحبه، و فلكه خلاف فلك الآخر، فیسامت أحدهما صاحبه فيحاذيان موضعا واحدا من ذلك البرج، و يتحرّكان على سمت واحد، فيراهما الناظر مقترنين لبعدهما من الأرض، و بين أحدهما و صاحبه فى العلو بعد كثير فبهذه العله صار اقتران الكوكبين، و هذا كما يقال:

البروج المتصادفه إذا اتفقت فى جميع الجهات، كالبروج الثّاربه مثل الحمل - و الأسد - و القوس - و الجوزاء - و الميزان - و الدّلو. و البروج المتعاديه: و هى المتصاده فى كل وجه كالحمل - و السّرطان - لأن أحدهما نارى و الآخر مائى. و من هذا النوع قولهم: البروج الجامعه إذا دلت على صلاح الحال. و البروج المبدّده إذا دلت على التّبديد و البروج

المعطيه: تدل على اليسار و الإحسان. و البروج الآخذة تدل على خلافه و مما يبين ما ذكرناه فى سهيل قوله:

إذا ما نجوم الليل آضت كأنها هجائن يطلعن الفلاه صوادر

شاميه إلا سهيلا كأنه فنيق غدا عن شوله و هو جافر

ألا ترى أنه جعل يمانيا إذ كان مداره فى شق اليمين. و جعل الثريا شاميه إذ كان مدارها فى شق الشمال. و قال آخر فى سهيل:

فمنهنّ إدلاجى إلى كلّ كوكب له من عمانى النجوم نظير

فجعله عمانيا إذ كان مجراه فى ذلك الشق، كما جعل الأول يمانيا و فى معنى قوله:

فنيق غدا عن شوله و هو جافر. يقول الآخر شعرا:

و قد لاح للسارى سهيل كأنه قريع هجان يتبع الشول جافر

شبه فى انفراده بفحل انقطع عن الضراب فتخى عن الإبل و تركها. و قال آخر:

إذا سهيل لاح كالوقود فردا كشاه البقر المطرود

فهذا يريد ويصه و شعاعه و انفراده كما قال غيره يريد التّهيج، قال شعرا:

حتى إذا لاح سهيل بسحر كعشوه القابس ترمى بالشر

و قال آخر يصف ثور وحش:

فبات عدوبا للسماء كأنه سهيل إذا ما أفردته الكواكب

العدوب: القائم الذى لا يطعم. و قال آخر فى انفراده:

من يك ذا مال يكاشر لماله و إن كان أنأى من سهيل الكواكب

يعارض عن مجرى النجوم و ينتحى و يسرى إذا يسرين غير مصاحب

و قال آخر يصف رفقاء تجمّعوا:

و فتيه غيد من التّسهيديتّهم من مهجع مورود

و النجم بين الغمّ و التعرید إذا سهیل لاح كالوقود

فردا كشاف البقر المطرود و لاحت الجوزاء كالعنقود

كانّها من نظر ممدود بالأفق انظامان من فريد

الإنظام: القلائد ينظم فيها، و الفريد: الشذر، و إذا نظرت إلى الجوزاء و هو على الأفق

فتأملت نظمها رأيتها أشبه شىء بما وصف. وهذا من حسن التشبيه، وهذا كما شبّهوا الكوكبين المتدانيين اللذين على منطقتهم
الجوزاء بالعذبة، والعذبة فى اللغة طرف السوط، وما أرسل من شراك النعل، وكذلك عذبه العمامة والغصن، والعذبة الطراد
أيضا. وكما قال بعضهم: رايه السماك يعنى رمحه، ويسمى السماك وحده حارس السماء، لأنه يرى أبدا لا يغيب تحت الشعاع
فلا طلوع له ولا غروب.

الباب السابع والخمسون في ذكر الفجر - والشفق - والزوال و معرفه الاستدلال بالكواكب و تبين القبلة

إشارة

روى عن عدى بن حاتم قال: لما نزلت: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ [سوره البقره، الآيه: ١٨٧] قال: عمدت إلى عقالين أحدهما أبيض، والآخر أسود، فجعلتهما تحت و سادى، فلما تقارب مرّ الليل جعلت أنظر إليهما فلم يتبين لى شىء، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته، فضحك و قال:

«و سادتك إذن لعريض الليل و النهار، إذن تحت و سادتك إنما ذلك الليل و النهار».

و روى عن على بن رضى الله عنه أنه صلى الفجر ركعتين ثم جلس على مجلس له ثم قال: هذا حين تبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

و اعلم أنّ الفجر فجران: أحدهما قبل الآخر: فالفجر الكاذب يستدقّ صاعداً فى غير اعتراض، و يسمى ذنب السرحان لدقته، و لا يحلّ شيئاً و لا- يحرمه، و إنّما يؤذن بقرب النهار. و قال الخليل: الفجر ضوء الصّباح و قد انفجر الصّبح، و الفجر المعروف منه. يقال:

ما أكثر فجره و فى التنزيل: فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا [سوره البقره، الآيه: ٦٠] لأنّ الحجر كان يفجر منه الماء فى اثنى عشر موضعا عند نزولهم، فإذا ارتحلوا غارت مياهها.

و الفجر الثانى: هو الصادق و المصدق، قال أبو ذؤيب يذكر الثور و الكلاب شعرا:

شغف الكلاب له الصّاريات فؤاده فإذا يرى الصّبح المصدق يفرع

و إنما قال: يفرع لأنّه وقت القائض الفجر الثانى هو المستطير المنتشر الضوء و مع طلوعه يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. قال أبو داود:

فلما أضاءت لنا سد فهو لاح من الصّبح خيط أنارا

و قال آخر:

نميت إليها و النجوم شوابك تداركها قدّام صبح مصدق

و الصَّيْح - و الصَّبَاح - و الإِصْبَاح واحد. و فى التَّنْزِيل: فَالِقُ الْإِصْبَاحِ [سوره الأنعام، الآية: ٩٦] و الصَّبِيح: الحسن الوجه. و كذلك الصَّيْحَان، و قد صبح صباحه و الحق الصَّابِح البين، و قد صبح الحق يصبح صباحا. و المصباح السَّراج و كما قيل: وجه صبيح قيل أيضا وجه مسرج. قال: و فاحما و مرسنا مسرجا.

و كذلك الشَّفَق شفقان: أحدهما قبل الآخر، و مثلهما من أول الليل مثال الفجرين من آخره، فالأول هو الأحمر و إذا غاب حلت صلاه العشاء الآخرة. و الثَّانِي: هو الأبيض و الصلاه جائزه إلى غروبه و هو يغرب فى نصف الليل و آخر أوقات العشاء الآخرة نصف الليل.

و الزَّوال: يشار به إلى ما دلَّ الله تعالى عليه بقوله: أقم الصَّلَاةِ إِذْ لَوْكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] و دلوك الشمس: غروبها و زوالها، فدلَّ بالدلوك على صلاه الظَّهر، و على صلاه المغرب، و دلَّ بقوله: إلى غسق و هو الظلام على صلاه العشاء الآخرة. و قال تعالى: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى [سوره البقره، الآية: ٢٣٨] و هى العصر، و جعلها الوسطى لأنها بين صلاتين فى النَّهار و صلاتين فى اللَّيْلِ. و قال تعالى: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] فدلَّ على صلاه الصَّيْح. و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلّى الظَّهر إذا دحضت الشمس. يراد إذا زالت، و أصل الدَّحَض الزَّلَق و ذاك أنها لا تزال ترتفع حتى فى جَوْ السَّيَاء فتراها تقف شيئا ثم تنحط، فحينئذ تزول و تحول الظل من جانب إلى جانب، و يسمّى فيئا. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أمنى جبرائيل مرّتين فصلّى الظَّهر حين مالت الشمس قيد الشَّراك، و صلّى العصر و ظلّه مثله، و صلّى المغرب حين رفعت الشمس و صلّى العشاء حين غاب الشَّفَق، و صلّى الصَّبح حين طلع الفجر، فلما كان الغد صلّى الظَّهر و ظلّه مثله، و صلّى العصر و ظلّه مثلاه، و صلّى المغرب حين رفعت الشمس، و صلّى العشاء حين ذهب ثلث الليل، و صلّى الغداة فأسفر بها و قال: الوقت ما بين هذين». و يروى أنه قال: إنَّ الصلاه فيما بينهما. فقوله صلى الله عليه و سلم حين مالت الشمس قيد الشَّراك: يريد أنها زالت، فصار للشخص فى ء يسير قدر الشَّراك، و ليس يكون هذا فى كل بلد إنما يكون فى البلد الذى ينتقل فيه الظل عند الزَّوال، فلا يكون فى ء أصلا.

و قال الزَّاجز:

إذا زقا الحادى المطى اللغباو انتقل الظل فصار جوربا

و قال ابن مقبل و ذكر فرسا:

يبنى على حاميه ظلّ حاركه يوم توقده الجوزاء مسموم

و الحاميان: جانبا حافره. و الحارك: فروع كتفيه و إذا قام ظل كل شىء تحته صار ظل الحارك على حامبي حافره، فالحجاز و ما يليه يتنقل فيه الظل، فأما البلد الذى تزول فيه الشمس، و للشخص ظل فإنه يعرف به قدر الظل الذى زالت عليه، فإذا زاد عليه مثل طول الشخص فذاك آخر وقت الظهر، و أول وقت العصر، فإذا زاد عليه مثلا طول الشخص فذلك آخر وقت العصر، على ما روى فى الحديث. فأما قول الشاعر:

إنى على أونى و انجرارى أوّم بالمنزل و الدرارى

فالأون: الرّفق و الانجرار: سير الإبل و عليها أحمالها و هى ترعى و أوّم: يريد أقصد بمنازل القمر و كبار الكواكب فأهتدى. و قال ذو الرّمه و ذكر الإبل:

تياسر عن جرى الفراقد فى السرى و يا منّ شيئا عن يمين المغاور

يعنى: أنهم قصدن وسطا فيما بين الفرقدين و بين المغاور، و هى المغارب و ذلك أنّ ابتداء المغارب قريب من منحدر بنات النّعش و قال لناقه:

فقلت اجعلى ضوء الفراقد كلّها يمينا و مهوى التّسر من عن شمالك

فإنما يصف سمت جهه و أجزاها أنّه يريد فى مسيره ما بين منحدر التّسر للمغيب و بين الفرقدين، فإذا أردت الاهتداء بالتّجوم فاعرف البلد الذى تؤمّه و فى أى أفق هو، فإن كان فى ناحيه المشرق كخراسان و ما صاقبها، استقبلت منازل الشمس و القمر، إن كان مسيرك ليلا و التّماء مضحيه و جعلت الجدى و بنات النّعش على يسارك و الشّعريين و سهيلا عن يمينك، و إن كنت فى ناحيه المغرب استدبرت منازل القمر و جعلت الجدى، و بنات نّعش وراءك و الشّعريين و سهيلا عن يسارك. و إن كان فى ناحيه اليمن جعلت منازل القمر على يمينك و جعلت الجدى و بنات نّعش أمامك، و سهيلا وراءك، فإذا أنت فعلت ذلك فأنت على سمت الوجه الذى تريد إن كنت على الطّريق غير راجع و لا جائز و إن كان مسيرك ليلا و السّماء غائمه استدلت أيضا بالمشرق و المغرب، فإن اشتبها عليك استدلت على المشرق بنسيم الصّبا و روحها، فإنّها تأتى من ناحيته و على المغرب بريح الدّبور و حرّها فى الصّيف.

و أمّا القبلة فالاستدلال عليها بالجدى: و ذلك أن تجعله حذاء منكبيك الأيمن، أو أخذعك، و إن كان مسيرك نهارا، فبالشمس، فإنّ ما بين المشرق و المغرب قبله المسافر.

و قال محمد بن كناسه: إذا سقط منزل من منازل القمر بالغداه عند نوءه فعّدّ منها سبعة أنجم على موالاه العدد، فالسّابع هو القبلة إلى أن يسقط العقرب. فإذا سقطت العقرب فالنّعائم قبله. و البلده بعد تلك السّاعه قليلا قبله. ثم يعود الحساب فإذا سقط سعد الدّابح فالحوث قبله و هو السّابع. و مثال ذلك أنّه إذا سقط الشّرطان كان السّابع منه الدّراع و هو

القبلة. و إذا سقط البطين فالتثرة قبله. و إذا سقطت الثريا فالطرف قبله. و إذا سقطت الدبران فالجبهة قبله. و إذا سقطت الهقعه فالزبره قبله، و إذا سقطت الثرة فالسيماك قبله، و إذا سقط الطرف فالغفر قبله، و إذا سقطت الجبهة فالزباني قبله. و إذا سقطت الزبره فالإكليل قبله، ثم يقع الشك في القبلة عند سقوط الصيرفه- و العواء- و السيماك- و الغفر- و الزباني- و الإكليل- و القلب- و الشوله- و النعائم- و البلده.

و ذلك لأن العقرب تسقط جميعا فلا يستقيم الحساب على سبعة أنجم، غير أنه إذا سقطت العقرب كلها كانت النعائم قبله. ثم البلده قبله و القبلة قريب منها. ثم يسقط سعد الذابح فيكون رأس الحوت قبله. و هو مذموم بالكف الخضيب و يرجع الحساب إلى السابع.

و قال ابن كناسه في ذلك و ذكر طريق مكه، قال شعرا:

يوم النجوم السابعات من التي تأوب إلا أن تأوب عقرب

فإن هي أنت فالنعائم آبها و بلدتها ثم السواب أصوب

قال: و كواكب العقرب أربعة: منازل تطلع في الأوقات التي بينت و تسقط كلها في وقت واحد.

فصل في صرف القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

ذكر الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى: **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** [سورة البقرة، الآية: ١١٥] قال: بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم سريه فأنتهم ضبابه، فصلوا لغير القبلة، فسألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يأمرهم بالإعاده، و كانوا يصلون نحو بيت المقدس فنزلت: **فَأَيْنَمَا وَلُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ**، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لجبرائيل: «وددت أن ربي جل جلاله صرفني عن قبله اليهود إلى غيرها»، فقال جبرائيل:

إنما أنا عبد مثلك، فادع ربك و سلمه ثم ارتفع جبرائيل و جعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه بالذى سأل، فأنزل الله تعالى: **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ** [سورة البقرة، الآية: ١٤٤] الآية. قال: فنسخت هذه الآية ما كان من الصلاة قبلها نحو بيت المقدس، قال: و كانوا يصلون نحو صخره بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، بعد أن قدم المدينة ثم حوّل إلى الكعبة إلى الميزاب قبل بدر بشهرين.

و روى عن ابن عباس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الذين ماتوا و هم يصلون إلى البيت المقدس فأنزل الله تعالى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ** [سورة البقرة، الآية: ١٤٣] و ذكر سعيد بن المسيب أن قوله تعالى: **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ** من المهاجرين و الأنصار [سورة التوبة، الآية: ١٠٠] هم أهل القبلتين.

و اعلم أنّ الذى لا غنى لمؤمن عنه و لا يتم إيمانه إلا به هو: العلم بأنّ الله ليس بناسخ مديحه، و لا حسن الثناء عليه، و لا أسماءه الحسنى، و لا ما أضيف من الصّيفات العلى إليه، و لا ينسخ شيئاً من أخباره عمّا كان أو يكون، لأنّ نسخ المديح ذم و تقبح و نسخ الأسماء الحسنى إثبات الأسماء السوأى، و نسخ الصّفات العلى إيجاب للصّفات السفلى، و نسخ الأخبار انصراف المخبر من الصّيدق إلى الكذب و عن الحق إلى الهزل و اللّعب. و هذا من جوزه على الله تعالى فيما مدح به نفسه، و أخبر به عباده الحد فى أسمائه و الله تعالى يقول:

وَ لِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ [سوره الأعراف، الآية: ١٨٠] يقول أيضاً: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عِدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ [سوره الأنعام، الآية: ١١٥] و هذا كاف، و الاقتصار عليه واجب، لأنّ الكتاب لم يوضع لذلك فاعلمه إن شاء الله تعالى.

الباب الثامن والخمسون فى معرفه أيام العرب فى الجاهليه و ما كانوا يحترفونه و يتعايشون منه

و ذكر ما انتقلوا إليه فى الإسلام على اختلاف طبقاتهم.

اعلم أنّ احترام العرب فى الجاهليّته و قرب الإسلام على وجوه خمسه: قود الكتائب- و جرّ الغارات- و شنهها على القبائل حين كان الزّمان من عزيز- و أخذ الرؤساء منهم المرباع- و ما يجرى مجراه من الصّيفيه و الفضول و النّشيطه، و صنوف الاحتكام منهم. ثمّ الوفادات على الملوكة فى فكّ الأسرى- و حقن الدّماء و حمل الدّيّات- و إصلاح ذات البين و غيرها، ثمّ ترقيح (١) العيش من ظهور الإبل و بطونها و نتاج الخيل، ثمّ غراس النّخل- لذلك روى عنه صلى الله عليه و سلم: «خير المال مهره مأوره أو سكه مأوره».

و روى أيضا: الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة» إلى كثير تركناه لشهرته، كقوله صلى الله عليه و سلم: «ارتبطوا إناث الخيل، فإنّ ظهورها حرز و بطونها كنز». و كقوله صلى الله عليه و سلم: «الخير تعدو بأحسابها فإذا كان يوم الرّهان عدت بحدود أربابها» و كقوله: «جعل رزقى فى أطراف الأسنه» يعنى من الغزو، ثمّ طبقه العسفاء و الجمّالين و هذه حرفه يرغب عنها كرامهم و صرّحواؤهم فهذه وجوه مكاسبهم، و معالم حرفهم عليها تدور أزمّنتهم قبل الإسلام و بها شافهت ما دانه.

ثمّ صارت فى الإسلام على أربع طبقات:

الأولى: مهاجرون يقبضون الدّواوين و يحفظ بهم البيضه فيغزون الثّغور و يقاتلون العدو. حكى عن جعفر بن محمد قال: قال على رضى الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الخير فى السّيف و الخير مع السّيف و الخير بالسّيف».

و الثانيه: مقيمون يعتملون سوارح الإبل و روائحها، و يتبعون مساقط الكلام، و مدافع المطر، و يكرّون عواملهم إلى الأمصار و الكور و يتواردون الأرياف و جوانبه الخضر.

١- فى القاموس ترقيح المال صلاحه و القيام عليه. ١٢ محمد شريف الدين.

و الثالثة: طبقه مقيمه فى مياها و محاضرها و مراتبها و مزالها، راضيه من العيش بما يحفظ عليهم التّجمل و ينقى عنهم التّشّيف و التّبدل، فيتّجرون فيما يعتنون جلبا، و ينقلون ما به يقضون أربا.

الرّابعه: العسفاء و الأجراء و يروى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: «إن الخيل العرب تراث أبيكم إسماعيل فاقتنوها و اركبوها، و كان أول من ركبها إسماعيل و بنوه، و كانوا اثني عشر رجلا يسمّون الفوارس». قال أسد بن مدركه منتميا فى شعره إلى إسماعيل عليه السلام.

أبونا الذى لم يركب الخيل قبله و لم يدر شيخ قبله كيف يركب

و عودنا فيما مضى من ركوبها فصرنا عليها بعده نتلقّب

لعمرك ما عمّاى شمر و يبهس و لكنّما عمّاى بكر و تغلب

فإن يك أقوام أضاعوا آباءهم سفاها فما ضلّت ربيعه أكلب

و روى عن يحيى بن أبى كثير قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إنّ هذه الخيل كانت وحشا فى الفلوات، لها أجنحه فى مواضع أكتافها» قال: و كان فى دور العجم مثل خلق الخيل صوراً لها كالأجنحه فى مواضع أكتافها تسمّى بالفارسيه درواسف و تفسيرها بالعريه ذو الأجنحه من الخيل، فلم أعرف معناه حتى سمعت هذا الحديث، قال ثم ذلت لاسماعيل و كانت معه فى جرحهم فلمّا توفاه الله عادت و حوشا إلى مواضعها، حتى جاء زمن داود فذلت له ثم ورثها سليمان، و كان يعجب بها و هى التى ذكرها الله تعالى فى قوله: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ [سوره ص، الآية: ٣١] و كان أصحاب النّخل أكثر دعه و أرفع عيشا، و أندى جنابا و أحضر نفرا من أرباب الإبل، إذ كانت الإبل أشدّ امتهاناً لأهلها و ابتداءً لمتخذيها مع ما يلحقها عند سقوط الغيث، و نبات البقل، و درور الألبان من الفاره و التّدود و الشّروود مع الكلف اللّاحقه من لوازم الرّعاء و التّحفظ من الحزابه و التّيله و مع ما ينالها فى شهب التّينين من الشّواف و سائر العاهات، و فى استقبال بارد الرّيح من الأدواء المهلكه، و تلحقها من عدوه السّباع الضّاربه، حتى أنّ ربّها يمسى غنيا مكثرا و يصبح فقيرا مدقعا.

و الخيل ثلاثه أصناف: فمنها ملوك الخيل التى لا تجارى، و هى تسبق بعنقها و كرمها و حسبها مع حسنها و تمام خلقها و استوائها و هى الرّوايع. و الصّيف الثّانى المضامير: و هى سباع الخيل المتعاله اللّحوم، و خلقتها غير خلقه الأولى لكنها أخفّ و أرقّ منها. و الصّيف الثّالث: ضباع الخيل قويه شديده تحمل الرّاد و المزداد فى السّهل و الجبل، و هى الغلاظ الشّداد، مع جوده الأنفس، لأنّ الغليظ أحوج إلى شدّه النفس من غيره.

و قال أبو داود الإيادى يصف الجواد من الخيل بصفه جامعه يستغنى بها عن تخصيص المفردات بما يحمد منها:

و قد أغروا بطرف هيكل ذى ميعه سكب

ذو ميعه؛ أى جرى سائل، و كذلك السكب، و يقال: فرس سكب و بحر و حت.

أسيل سلجم المقبل لا شخت و لا جأب السلجم: الطويل و الشخت: الدقيق، و الجأب: الغليظ يريد أنه بين و صفيين.

طويل طامح الطرف إلى مفزعه الكلب يريد أنه يسمو بطرفه إلى حيث يفزعه الكلب من الصيد إذا طلبه.

مسح لا يوارى العير منه عصر اللهب اللهب: شق فى الجبل أى من إشراقه يراه، و إن كان مستسرا فيه بشى ء.

مكر سبط العذره ذى عفو و ذى عقب العذره: شعر الناصيه، و العقب: آخر الجرى.

كشخص الرّجل العريان فعم مدمج العصب العصب: إدماج الخلقه.

له ساقا ظليم خاضب فوحى بالزعب الخاضب: الذى قد رعى الرّبع.

و قصرى شبح الإنسان بناح من الشعب الشعب: الملتويه القرون.

و متنان خطانان كزحلوق من الهضب الزحلوق: الأملس و كذلك الزحلوف.

يهزّ العنق الأجرد فى مستأفق الشعب الأجرد: يريد به المحكم الأمر.

من الحارك مخشوش بجنب مجفر رحب

أى أدخل: فى الجنب. و الجفر: الواسع.

ترى فاه إذا أقبل مثل الساق الجذب الشلق: الأرض المتجرده من النبات.

نبيل سلجم اللحيين صافى اللون كالقلب القلب: السوار.

جواد الشدّ والإحضار و التّقريب و العقب عريض الخدّ و الجبهه و الصّيهوه و الجنب يخذ الأرض خدّ الصّيمل سلط و أب الصّيهوه: مقعد الفارس، و الصّمل: الشّديد من الحوافر، و الوأب: التّعب.

صحيح النّسر و الحافر مثل الغمر القعب له بين حواميه نسور كنوى القسب القسب: التمر الرّدى ء.

و أرساغ كأعناق ضباع أربع غلب و المستفرغ: الميعه بعد التّرع. و الجذب: الميعه التّشاط.

يعنى الخاضب الأخرج فى ذى عمد صهوب و غير العانه القب الحماص النّحص الحقب يزين البيت مربوطا و يشفى قرم الزّكب فبهذه الصفات و ما يشبهها يختار جياذ الخيل. و قال مرار بن منقذ يفضّل النّخل على سائر ما يحترف منه إذا أخرج الحقوق منها، قال شعرا:

كأئن من فتى سوء تراه يعلك هجمه حمرا و جونا

يضمّن بحقها و يذمّ فيها و يتركها لقوم آخرينا

و إنك لن ترى إبلا سوانا و تصبح لا ترين لنا لبونا

فإنّ لنا حظائر ناعمات عطاء الله ربّ العالمينا

طلبن البحر بالأذنان حتّى شرين جمامه حتّى رويانا

تطاول محزى صددي أشتى بوائك لا يبالين السّينا

كأنّ فروعها فى كلّ ريح جوار بالدّوائب ينتصينا

بنات الدهر لا يحفلن محلًا إذا لم تبق سائمه يقينا
يسير الضيف ثم يحلّ فيها محلا مكرما حتى بينا
فتلك لنا غنا و الأجر باق فغضى بعض لومك يا ظعينا ب
نات بناتها و بنات أخرى صواد ما صحين و قد روينا
و لأحيحه بن الجلاح فى مثله:

لقد لامنى فى اشتراء النخيل قومى فكلهم يعذل
و أهل الذى باع يلحونه كما عدل البائع الأوّل
هو الظلّ فى الصيف حقّ الظليل و المنظر الأحسن الأجل
تغشى أسافلها بالجنوب و يأتى حلوبتها من عل
و تصبح حيث تبيت الرعاء و إن ضيعوها و إن أهملوا
و لا يصبحون يبغونها خلال الملا كلهم يسأل
فعمّ لعميكم نافع و طفل لطفلكم يؤمل

و قال كعب بن زهير يذمّ الغنم، و قد اتّخذ مالا و معيشه، شعرا:
يقول حيان من عوف و من جشم يا كعب ويحك لم لا تشتري غنما
من لى منها إذا ما جلبه أزمّت و من أويس إذا ما أنفه رذما
أخشى عليها كسوبا غير مدّخر عارى الأشاجع لا يشوى إذا ضغما
إذا تولّى بلحم الشاه نبذها أشلاء برد و لم يجعل لها و ضما
إن يغد فى شيعه لا يثنه نهرو إن غدا واحدا لا يتقى الظلما
و إن أغار فلا يحلى بطائلهفى ليله ابن جمير ساور العظما

إذ لا يزال فريش أو مغيهصيداء تنشج من دون الدّماغ دما

الكسوب: يعنى به الذئب. لا يشوى: أى لا يصيب غير المقتل و قوله: لا يثنيه نهر:

أى نهار، يقال: ليله نهره أى مضيئه. و قوله: فى شيعه: يعنى أصحابه من الرّباب، و ابن جمير: أظلم ليله فى الشّهر، و هى التى لا يطلع القمر فيها من أولها إلى آخرها. و العظم:

السّخال التى قد فطمت. يقول: جاء يطلب الكبار فلما لم يجدهنّ ساور الصّغار. و المغيه:

التى قد دنت من الموت، و فيه بقيه. و الصّيداء: التى قد التوت عنقها و تنشج: أى ما لها نشج و صوت من الدّم.

قد ذكر بما اقتصّ كيف كان أصل خيل العرب، فأما النّبي صلى الله عليه و سلم فكان له خمسه أفراس:

الظّرب- و السّكب- و اللّزار- و اللّجاف- و المرتجز، سمّى به لحسن صهيله.

ثم خيل أصحابه كان لجعفر بن أبي طالب فرس أنثى يسمّى سبحة يقال اسمها سمحة، و كان عرقبها يوم استشهد و هو أول من عرقب الخيل فى الإسلام، كانت تحته يوم استشهد فى غزوه مؤته. و لحمزه بن عبد المطلب فرس من بنات العقال قال فيه شعرا:

ليس عندى إلّا السلاح و وردفارج من بنات ذى العقال

أتقى دونه المنايا بنفسى و هو دونى تغشى صدور العوالى

و فى هذا ألم بقول الآخر:

أقيه بنفسى فى الحروب و تقى بها ديه إننى للخليل و صول

و كان تحت الزبير بن العوام يوم بدر فرس يسمّى اليسوب. و تحت المقداد بن الأسود فيه فرس يقال له: ذو العنق، و لأبى ذر فرس يسمّى الأجدل، و لمحمد بن مسلمه فرس يسمّى ذا الجناح، و لعباس بن مرداس فرس يسمّى العتيد، و لعكاشه بن محصن فرس يقال له: أطلال كانت تحته يوم القادسيه، و تحدث أنّ الناس أحجموا عن عبور نهرها أو خندقها، و كان عرضها أربعين ذراعا، فصاح بها فخلفته و ثبا، حتى قال أهل النظر: ذلك من معجزات النبى صلى الله عليه و سلم.

و سباق: خيل العرب مشاهير. كأعوج الكبير، و أشقر مروان. و الزعفران فرس بسطام بن قيس، و ثادف و اليعموم و زهدم و إنما المراد التنبية على مكاسب صميم العرب و فضلائهم، و الإشاره إلى ما تنطوى عليه أيامهم فى الجاهليه و قبيل الإسلام، و فيمن صحب النبى صلى الله عليه و سلم.

و أما فرسان العجم فلم يذكر لهم خيل و لا فرس سابق إلا أدهم اسفنديار- و شبديز كسرى- و رخس رستم- و ذكروا عنها أحاديث ظريفه.

فأما الشجاعه و الصبر على المجاهده فناهيك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ما حكى عن قول القائل: كُنّا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه و سلم، و ما قاله عبد الملك بن مروان فى حديث عمرو بن ود. خرج عمرو يوم الخندق معجبا بخيلائه، فبرز له أبو الحسن فضربه ضربه سطحه بها، و كان لمثلها فعلا. و قيل لعلى: هل رأيت أحدا؟ قال: نعم الوليد بن عتبة كان حدثا، فضربته ضربه على رأسه فبدرت منه عيناه.

و ممّا يشهد لما آثرناه عن العرب من حسن تفقدهم للخيل، و اشتغالهم بمصالحها و اشتراكهم فى إيثارهم إيّاها على أنفسهم، و التوفر على مناقبها و مذامها لما يرجونه من جميل العقبى، منها: ما روى عن امرئ القيس و علقمه بن عبده العجلي. و ذكر أنهما تنازعا فى الشعر و احتكما إلى أم جندب، امرأه امرئ القيس، و ادعى كلّ منهما أنّه أشعر من

صاحبه، فقالت قولاً شعراً في صفة الخيل على روى واحد، فقال امرؤ القيس في قصيدته:

خليلى مراً بي على أم جندب لتقضى حاجات الفؤاد المعذب

للسوط الهوب و للساق درهو للزجر منه وقع أخرج متعب

و في نقيضها قال علقمه:

فولّى على آثارهنّ بحاصب و غيبه شؤبوب من الشدّ ملهب

فأدر كهنّ ثانيا من عنانه تمرّ كمرّ الريح المتحلّب

فحكمت لعلقمه على امرئ القيس، و قالت: أما أنت فحمدت نفسك بسوطك و زجرك و مريك إياها بساقك. و أما هو فإنه أدرك فرسه الطريده ثانيا من عنانه لم يمرّه بساق، و لم يضربه بسوط، و لم يزره بنده، فقال امرؤ القيس: ما هو أشعر منى و لكنك تعشقينه فطلّقها. و قال طفيل شعراً:

و للخليل أيام فمن يصطبر لهاو يعرف لها أيامها الخير يعقب

و قال مالك بن نويرة شعراً:

جزائى دوائى ذو الخمار و صنعتى بما بات مطويّاً بنى الأصاغر

رأى أننى لا بالقليل أهوره و لا أنا عنه بالمواساه ظاهر

أهوره: أى لا أظنّ القليل يكفيه، يقول: هو يهيار بكذا و يهابه: أى يتّهم و يزن. قوله:

و لا أنا عنه ظاهر: من قولك: ظهرت لجاجه فلان إذا لم يعن بها. و قال عنتره لامرأه:

لا تذكرى مهرى و ما أبليته فيكون جلدك مثل جلد الأجر

يعنى: أنه إن آذته ضربها حتى يظهر عليها أثر الضرب.

شعر:

إنّ الغبوق له و أنت مسوءهفتاً وهى ما شئت ثم تحوىبى

فدوقوا كما ذقنا غداه محجر من الغيظ فى أكبادنا و التّحاوب

كذب العتيق و ماء شن بارد إن كنت سائلتي غبوقا فاذهبي

إن الرجال لهم إليك وسيلها إن يأخذوك تكحلي و تخضبي

و يكون مركبك القعود و رجله و ابن النعامه يوم ذلك مركبي

و أنا امرؤ إن يأخذوني عنوها قرن إلى شر الرّكاب و أجنب

و قد قال بعض الرواه: لم يكن قوم أشد عجبا بالخيل، و لا أعلم بها، و لا أصنع لها

و لا أطول لها ارتباطا، و لا أهجى لمن لم يتخذها، أو اتخذها و أهزلها، و لا أمدح لمن اتخذها و أكرمها منهم.

و كذلك أضيفت إليهم بكلّ لسان- و نسبت إليهم بكلّ مكان- و فى كلّ زمان- حتى قالوا: هذا فرس عربى، و لم يقولون: رومى، و لا هندى، و لا فارسى فحصنها تحصين الحرم، و صانوها صون المهج، ليبدلوا يوم الرّوع و يأمنوا بها أوان الخوف، و ليجعلوها درّيه يوم اللّقاء، و وصله إلى درك الثّار حتى قالوا: إنّ الحصون الخيل، لا مدر القرى، كما قال الآخر شعرا:

و لما نأت عنا العشيره كلّها أنخنا فخالفنا السيوف على الدّهر

و كانوا يصبرون على مئونها فى الجذب، و يغبقون الماء القراح فى الأزل و يؤثرونها على العيال بالصّنيعه، ليكافئ عند الطلب، أو الهرب، و لذلك قال الأشعري مالك الجعفى:

لكن قعيده بيننا محفوهباد جناجن صدرها و لها غنى

تقفى بعيشه أهلها و ثابها و جرشع عبل المحازم و الشوى

و قال خالد بن جعفر الكلابى:

أريغونى أراغتكم فإنى و حذفه كالسّجى تحت الوريد

أسويها بنفسى أو بحرّو ألحفها ردائى فى الجليد

أمرت الرّاعبين ليؤثروها لها لبن الحلوبه و الصّعود

الباب التاسع والخمسون فى ذكر أفعال الرِّيح لواقعها- وحوائلها- و ما جاء من خواصها فى هبوبها و صنوفها

قال مؤرخ من خواص الجنوب: أنها تثير البحر حتى يسودّ، و تظهر كلّ ندى كائن فى بطن الوادى حتى يلتصق الأرض، و إذا صادفت بناء بنى فى الشتاء و الأنداء أظهرت نداءه و حسنه، حتى يتناثر و يطيل الثوب القصير، و يضيق الخاتم فى الإصبع، و يسلس بالشمال و الجنوب تسرى بالليل. تقول العرب: إنّ الجنوب قالت للشمال: إنّ لى عليك فضلا أنا أسرى، و أنت لا تسرين. فقالت الشمال: إنّ الحره لا تسرى و قال الهذلى:

قد حال دون دريسه ماويهامسح لها بعضاه الأرض تهزير

الماويه: التى تهبّ بالنهار كلّه إلى الليل ثم تسكن، قال الله تعالى: يا جبال أوبي معه و الطير [سوره سبأ، الآيه: ١٠] أى: سبّحى النهار كلّه. و مسع الشمال و الدريس: الثوب الخلق، و الشمال تستدري منها بأدنى شىء، و يسترك منها رحلك، و ذرى الشجره و الجنوب لا يستر منها شىء، و ربما وقع الحريق بالباديه فى اليبس، فإن كانت الرّيح جنوبا احترق أياما، و إن كانت شمالا فإنما يكون خطأ لا يذهب عرضا. و للشمال ذرى الشجره، و ذلك أن يجتمع التراب من قبلها فيستدري بالشجر، فإن كان الشجر عظاما كانت لها جراثيم، و إن كانت صغارا ساوى التراب غصونها، و لا- ذرى للجنوب ترى ما يلى الجنوب منها عاريا مكشوفًا. و الشمال تدمّ بأنّها تقشع الغيم و تجىء بالبرد، و تحمد بأنها تمسك الثرى، و تصاحب الضباب، فتصبح عنها كأنّها ممطوره، و تصبح الغصون و تنظف و أكثر ما يكون عن غب المطر، فإذا ارتفعت الشمس ذهب الندى و تقطع الضباب و انحسر، و ليس من الرّيح أدوم فى الشتاء و الصيف من الشمال، كما أنه لا شىء منها أكثر عجاجا و سحابا، لا مطر فيه و هى هيف، تقشر الأرض، و يحرق العود من النكباء التى بين الجنوب و الدبور التى تهبّ من مغيب سهيل.

و قال أبو عبيده فى قوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ [سوره الحجر، الآيه: ٢٢]

جمع ملقحه على لواقع. قال: و رأيت العرب تجعل الرّياح لقاحا للرّياح لأنها تنشئ السّحاب و تقلّبه و تصرفه و تحلّه. قال الطّرمّاح و ذكر بردا استظّل به:

قلق لأفنان الرّياح للاقح منها و حائل

فاللاقح: الجنوب لأنّها تلقح السّحاب، و الحائل: الشّمال لأنّها لا تنشئ سحابا، و كما سمّوا الجنوب لاقحا سمّوا الشّمال عقيما، لأنّها عندهم لا تحمل كما تحمل الجنوب.

و قال كثير: و مرّ بسفساف التّراب عقيما.

و قال أبو و جزه:

حتّى سلكن الشّوى منهنّ فى مسدمن نسل جوّابه الآفاق مهداج

يذكر حميرا وردت ماء يقول: أدخلت قوائمها فى الماء، و هذا الماء من نسل جوّابه الآفاق، أى ريح تجوب البلاد، أى هى أخرجته من الغيم و استدّرته، فجعل الماء لها نتاجا ولدا، فالرّياح على هذا هنّ اللّواقح.

و أكثر العرب تجعل الجنوب هى التى تنشئ السّحاب، و تسدّده و تصف بواقى الرّياح بقلّه المطر، و الهبوب فى سنى الجذب. قال أبو كثير الهذلى:

إذا كان عام مانع القطر ريحه صبا و شمال قره و دبور

فأخبر أنّ هذه الثّلاثة لا قطر معها، و أنّ القطر مع الجنوب.

و قال طرفه:

و أنت على الأدنى شمال عريهشآميه تزوى الوجوه بليل

و أنت على الأقصى صبا غير قرّهتأب منها مزرع و مسيل

فأخبر أنّها إذا لم تكن بارده كان معها القطر، و لعلّ الهذلى أراد مثل هذا فاكتفى بذكر الشّمال و وصفه. و قال آخر:

فسائل سبره الشّجعيّ عنّاغدها تحاليا نجوا جنيبا

و النّجو: السّحاب، و الجنيب: الذى أصابته جنوب، فشبّه حفيفهم فى القتال بحفيف المطر، و قال المسحل:

حار و عَقَّتْ مزنه الرّيح و العاريه العرص و لم يشمل

حار: تحيّر و تردّد، و عَقَّتْ: قطعت، و لم يشمل: أى لم تصبه الشّمال فيقشعه.

و قال أبو كثير:

حَتَّى رَأَيْتَهُمْ كَأَنَّ سَحَابَهُمَا عَلَيْهِمْ لَمْ يَشْمَلْ وَ دَقَّهَا

و قال آخر من هذيل:

مَرَّتْهَا النَّعَامِي وَ لَمْ تَعْتَرَفْ خِلَافَ النَّعَامِي مِنَ الشَّامِ رِيحًا

النَّعَامِي: الجنوب، و مرتها: استخرجت مطرها، و من الشَّام: يريد الشَّمال، فهذه كَلَّهَا تجعل العمل في المطر للجنوب، و تجعل الشَّمال يقشع السَّحاب، و يسمونها محوه، لأنَّها تمحو السَّحاب.

قال العجاج:

سَفَرُ الشَّامِ الزَّبْرَجُ المَزْبَرَجُ اقْدَ بَكَرْتِ مَحْوَهُ بِالْعَجَّاجِ

فَدَمَّرَتْ بَقِيَةَ الزَّبْرَجِ

الشَّغْرُ: القشْر، و الزَّبْرَجُ: السَّحاب.

و كان الأصمعي يحكى عن العرب: أنَّ ما كان من أرض الحجاز فالجنوب هي التي تمرى السَّحاب فيه و الشَّمال تقشعه. و ما كان من أرض العراق، فالشَّمال تمرى فيه السَّحاب و يؤلفه، و لم يقل إنَّ الجنوب تقشعه، و لا أنَّه لا عمل لها فيه. قال: و أحسبه أراد أنَّ الشَّمال و الجنوب تفعلان ذلك جميعا بأرض العراق دون الحجاز، و على هذا وجدت بعض الشعراء. قال الكميت، و كان ينزل الكوفة:

مَرَّتْهُ الْجَنُوبُ فَلَمَّا اكْفَهَرَتْ حَلَّتْ عِزَالِيَهُ الشَّامِ

فجعل الجنوب تستدره و الشَّمال تحله. و قال عدى و كان ينزل الحيره و ينتقل في أرض العراق: و جىء بعد الهدو يزجيه شمال كما يزجى الكسير فاستدرت به الجنوب على الحرير، فالجنوب سيره مقصور، يريد لثقله و جعل الشَّمال تسوقه و الجنوب تستدره، لأنَّ الجنوب عند أهل الحجاز و ما يليه هي التي تأتي بالغيث حتَّى جعلوها مثلا للخير. قال حميد:

لِيَالِي أَبْصَارِ الْغَوَانِي وَ سِيرِهَا إِلَيَّ وَ إِذْ رِيحِي لَهَيَّ جَنُوبِ

و على حسب تيمَّنتهم بالجنوب و تصييرهم إيَّاهما مثلا للخير، تشاؤمهم بالشَّمال و تصييرهم إيَّاهما مثلا للشر. قال أبو و جزه يذكر امرأه:

مَجْنُوبَهُ الْأَنْسُ مَشْمُولُ مَوَاعِدِهَا

جعلها لا تفي بوعدها كالشمال لا تأتي بالغيث. قال زهير شعرا:

جرت سحًا فقلت لها أجزى نوى مشموله فمتى اللقاء

وقال بعضهم: أراد جرت الطير بها من ناحيه الشمال، ولذلك قيل: اليمن والشؤم، فاليمن من اليمن، والشؤم من اليد الشؤمى، قال: وقد يتشاءمون بها من جهه البرد، قيل لبعضهم: ما أشد البرد؟ فقال: ربح جرياء فى أثر عماء، فى غب سماء. و الجرياء:

الشمال و العماء: السحاب يريد شمالا هبت بعد مطر، وقيل لآخر: أى الأيام أقر فقال:

الأحصّ الورد، و الأزب الهلوف.

قال أبو عمرو: الأحص الورد: يوم تطلع شمس، و تصفو شماله، و يحمر فيه الأفق، و لا- يجد لشمسه مسا. و الأحص: التى لا سحاب فيه كالرأس، و الأحص: الذى لا شعر عليه، قال و الهلوف: يوم تهبّ فيه النكباء تسوق الجهام و الصراد لا تطلع شمس، و الأزب:

من الإبل الكثير الوبر.

يقال: لحيه هلوفيه إذا كانت كثيره الشعر، و اليوم إذا كان بهذه الصفه كان ذا زمهرير، و كانوا يقولون مع هذا: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض و إذا ذخرت الأوديه بالماء كثرت الثمر، و المؤتفكات: الرّياح البوارح و هى شمال حازّه فى الصيف، و ذات عجاج، سمّيت لتقلّبها العجاج، مؤتفكات و لا أحسبهم أنّ لها عملا فى ذلك، و إنّما يريدون أنّ عضوفها، إذا اشتدّ و كثر كان ذلك إماره الرّكاء، و يجوز أن يكونوا أرادوا بالمؤتفكات الرّياح كلّها إذا اشتدّت.

قال بعض الحكماء: الرّياح على ثلاثه أضرب: منها ما هى من الملائكه و صفتها أن تكسح من الأعلى إلى الأسفل، و تهبّ صافيه ثم تنقطع، و منها ما هى حرکه الجوى، و صفتها دوام هبوبها صافيه، و كدره سفلا و علوا.

و روى طاوس فى خبر يرفعه: لا تسبوا الرّياح و لا المطر و لا الرّعد و لا البرق، بعثن رحمه للمؤمنين و عذابا على الكافرين. و فى حديث آخر: لا- تسبوا الرّيح فإنّها من نفس الرّحمن. و فى آخر: ما هلك قوم و لا- عاش آخرون إلا- بهبوب الرّياح و درور السحاب.

و ذكر بعضهم أنّ الروم تسمى الأمطار و الرّياح نقالات الدّول. و عن سفيان الثّورى:

الدّعاء عند هبوب الرّياح و تحت المطر لا يرد.

وقال بعضهم: النّسيم الطّيب صديق الرّوح، قال: و الرخاء: ريح سليمان و كانت تحمل عرشه، و قيل: النّسيم بدو كلّ ريح، يقال: نسمت الرّيح.

و يروى عن عبد الله بن عباس أنه قال: الزّياح فى كتاب الله ثمان: أربع منها رحمه:

النَّاشِرَاتِ وَ الْمُبَشِّرَاتِ وَ الذَّارِيَاتِ وَ الْمُرْسَلَاتِ، وَ أَرَبَعٌ مِنْهَا عَذَابٌ: الْقَاصِفِ وَ الْعَاصِفِ وَ الْعَقِيمِ وَ الصَّرْصَرِ.

وَ قَالَ الْحِكْمَاءُ: الْجَنُوبُ رِيحٌ، ذَكَرَ سَعْدٌ شَرْقِيَّ حَارٍ لَاقِحٍ يَقْوَى السَّحَابَ وَ يَفْجُرُ الْأَمْطَارَ، وَ يَلْقَحُ الْأَشْجَارَ.

وَ قَالَ؛ رَاحَ تَمَرٌ بِهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى فِيهِ شُوبُ جَنُوبٍ، مَنْفَجِرٌ وَ يَسْمَى الْأَرْنَبُ وَ النَّعَامِي.

وَ يَرُوى عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْجَنُوبَ تَخْرُجُ مِنَ الْجَنَّةِ وَ تَمُرُ بِالنَّارِ فَيَصْبِيهَا وَ هَجَّهَا، فَمَا فِيهَا مِنْ حَرٍّ فَمَنْ ذَاكَ، وَ هِيَ رِيحُ بَرُوجِ الرِّبْعِ، كَمَا أَنَّ الشَّمَالَ رِيحُ بَرُوجِ الصَّيْفِ، وَ هِيَ أبردُ الرِّيحِ.

وَ يَرُوى عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّمَالَ: تَمُرُ بِالْجَنَّةِ جَنَّةً عَدَنَ فَتَأْخُذُ مِنْ طَيْبِ عَرْفِهَا، فَتَمَرُّ بِهَا عَلَى أَرْوَاحِ الْأَبْرَارِ وَ الصَّيْدِيقِينَ. وَ الدَّبُورُ تَهِيحُ الرِّيحِ وَ تَثِيرُهَا وَ هِيَ أَشَدُّ الرِّيحِ عَلَى رِكَابِ الْبَحْرِ، وَ لَا تَهَبُ إِلَّا عَاصِفًا، وَ هِيَ الَّتِي أَرْسَلَتْ عَلَى قَوْمِ عَادَ.

وَ رُوى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «نَصَرْتُ بِالصَّبَا وَ أَهْلَكْتُ عَادَ بالدَّبُورِ»، وَ هِيَ رِيحُ بَرُوجِ الْخَرِيفِ. وَ الصَّبَا لَطِيبٌ نَسِيمًا وَ هَبُوبًا لَقَبْتُ بِرِيحِ الْعَشَّاقِ.

وَ قَالَ ابْنُ دَمِيَّةَ:

أَلَا يَا صَبَا نَجِدَ مَتَى هَجَّتْ مِنْ نَجْدٍ فَفَقَدَ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَ جَدَا عَلَى وَجَدِ

وَ قَالَ امْرَأَةُ الْقَيْسِ:

إِذَا قَامَتَا يَضُوعَ الْمَسْكَ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيحِ الْقَرْنَفَلِ

وَ قَالَ آخَرُ:

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذَكَرَهَا فِيهِجْنِي نَسِيمَ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ مَا يَطْلُعُ الْفَجْرُ

وَ رُوى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا [سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الْآيَةُ: ٩] هِيَ الصَّبَا. وَ قَالَتِ الْعَرَبُ: عَصْفُ الْجَنُوبِ فِي الْخَرِيفِ دَلِيلُ النَّقْمَةِ، وَ عَصْفُ الدَّبُورِ فِي الرِّبْعِ دَلِيلُ الْعَذَابِ، وَ عَصْفُ الشَّمَالَ فِي الشِّتَاءِ دَلِيلُ الْوَفَاءِ، وَ عَصْفُ الصَّبَا فِي الصَّيْفِ دَلِيلُ الْبُؤْسِ. وَ قِيلَ فِي الدَّبُورِ: هِيَ رِيحُ بَرُوجِ الشِّتَاءِ.

وَ قَالَتِ الْحِكْمَاءُ: مَهَبَّ الْجَنُوبِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى زَوَالِهَا، وَ مَهَبَّ الشَّمَالَ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا. وَ مَهَبَّ الدَّبُورِ مِنْ مَغْرَبِ الشَّمْسِ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ. وَ مَهَبَّ الصَّبَا مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، لَا تَطْلُعُ هَذِهِ فِي هَذِهِ وَ لَا هَذِهِ فِي هَذِهِ.

الباب الستون فى ذكر الأوقات المحموده للنوء و المطر و سائر الأفعال، و ذكر ما يتطير منه أو يستدفع الشر به

اعلم أنّ العرب تحمد الولد إذا ولد فى الهلال، فإن حملته فى قبل الطهر كان ذلك أعجب إليها، و لذلك قالت الفارعه أخت لقمان بن عاديا لإمرأه إني امرأه نزور و زوجى رجل محقق، و أنا فى ليله طهرى، فهى لى ليلتك، و اسمينى على فراشك فإذا رجع لقمان من عند الشرب ثملا، فوجدنى على فراشك وقع علىّ، و هو رجل منجب فعسى أن ألد منه ابنا نجيبا، فأجابتها إلى ذلك، فوقع عليها لقمان فحبلت بليقيم بن لقمان. و لذلك قال النمر بن تولى لقيم بن لقمان: فإن ولدته قبل النهار كان ذلك الغايه. قال:

ولدت فى الهلال من قبل الطهر و قد لاح للصباح بشير

و قال الزاعى:

و ما أم عبد الله إلا عطيهمن الله أعطاهامرأ فهو شاكر

هى الشمس و افاهها الهلال فنسلهانجوم بأفاق السماء نظائر

و المنجمون يزعمون أنّ الهلال نحس، و نحن نجد عامه حاجات الناس إنما تجزئ مع الأهله منها التاريخات كلها، و محل الديون، و فراغ الصيناع و التجار، و يوم الفطر، و آجال المستغلات، و قدوم الولاه، و زياده المد، و نقصان الجزر، ما بين الصيين إلى المزار، و المواعيد، و الإجازات، و أكثر الحيض الذى جعله الله مصححه أبدان النساء. ثم نزول الغيث الذى نشر الله به رحمته فأحيا به الأرض بعد موتها، و فى حياتها حياه من عليها و لأسد بن ناغضه جاهلى فى شأن عبيد بن الأبرص شعر:

غداه توخى الملك يلتمس الحيا فصادت نحسا كان كالدبران

و للأسود بن يعفر يهجو رجلا:

ولدت بحادى النجم يحدو قرينه و بالقلب قلب العقرب المتوفر

و قال آخر جاهلي:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنّه سواء عليكم بالتحوس و بالسعد

و قال آخر:

فإنك قد بعثت عليك نحساشقيت به كواكبه ذكور

و قال آخر:

فإن يك كوكب الصّمعاء نحسابه ولدت و بالقمر المحاق

و قال الأصمعي: إذا كان المطر عندهم في سرار الشهر كان محمودا، و رجوا غزارته، و كثره الخيرات به. و أنشد للزاعي:

تلقي نوءهنّ سرار شهر و خير التوء ما لقي السرار

و قال الكميّ:

هاجت له من جنوح الليل رائحها الضبّ ممتنع منها و لا الورل

في ليله مطلع الجوزاء أولها دهماء لا قرح فيها و لا رجل

يريد إنّ هذه الليله من السرار، فلا ضوء في أولها، و هو القرح، و القرح: بياض وجه الدابة. و قوله: مطلع الجوزاء أولها يريد أنّها من الشتاء، و الجوزاء في الشتاء يطلع أول الليل.

و قال الحطيئه:

باتت لها بكسيب حريه ليله طفاء بين جمادين درور

قوله: بين جمادين يريد أنّها ليله لا- يدرى أهي آخر من الشهر الأول، أو أول ليله من الشهر الثاني. و أراد أنّ المطر كان في السرار أو في الغره.

و إذا كان أيضا في الغره كان محمودا.

قال الكميّ:

و الغيث بالمتألفات من الأهلّه في التواحر

النواحر: جمع ناحره و هى الليله التى تنحر الشهر، أى تكون فى ناحره.

وقال ابن أحرمر:

ولا مكلله راج الشمال بهافى ناحرات سرار بعد إهلال

و قد توافقوا كلهم على هذا إلا أبا و جزه، فإنه ذكر نصف الشهر فقال:

فى ليله لتمام النصف من رجب خواره المزن فى أقتارها طول

و ليس يحمدون المحاق إلا فى المطر وحده، و قال جران العود، و ذكر امرأه تزوجها فلم يستوفقها: قال شعرا:

أتونى بها قبل المحاق بليلهو كان محاقا كله ذلك الشهر

و حكى المفضل أن زبان بن سيار خرج غازيا و معه النابغه فرأى جرادا، فقال النابغه:

جراده تجرد ذات ألوان. فانصرف متطيرا، و مضى زبان فغنم و سلم فلما قفل قال شعرا يخاطب به النابغه من ذلك قوله شعرا:

شعر:

تعلم أنه لا طير إلا على متطير و هو الثبور

بلى شىء يوافق بعض شىء يفاجئنا و باطله كثير

و من يبرح به لا بد يوم يجيء به نعي أو بشير

و قال الكميت:

أ للورق الهواتف أم لباك عمّ عمّا يزنّ به غفول

الباكي: الغراب يقول: يزن بأنه ينبع بالفراق و هو غافل عن ذلك. و قال الكميت لجذام فى انتقالهم إلى اليمن شعرا:

و كان اسمكم لو يزر الطير عائف ليينكم طيرا منبئه الفأل

أى اسمكم جذام، و الزجر فيه الانجدام، و هو الانقطاع. و قال أيضا يمدح زيادا:

و اسم امرئ طيره لا الظبي معترضوا لا التعيق من الشحاجه النعب

فقال اسمه زياد، فالزجر فيه الزيادة و الشحاجه الغربان.

و قال آخر:

دعا صرد يوما على ظهر شوحطو صاح بذات البين منها غرابها

فقلت: أ تصريد و شحط و غربهفهدا لعمري نأيهها و اغترابها

و قال في مخالفته آخر:

و قالوا: قاب قلت: عقبى من النوى دنت بعد هجر منهم و نزوح

فزجر في العقاب الخير ثم قال:

وقالوا حمام قلت حمّ لقاؤها و عادت لنا ريح الوصال تفوح

وقالوا تغنى هدهد فوق ليلهفقلت هدى نغدو به و نروح

قال أبو العباس المبرد: و لم أرهم زجروا في الغراب شيئا من الخير لكنني سمعت بيتين أنشدهما بعضهم في المدح و التفاؤل به أحدهما:

نعب الغراب فرقّ بالمشتاق فدنا و صاح برؤيه و تلاق

لا سلّ ريشك إذا نعبت بقربهم و وقاك من ريب الميته واق

و الآخر:

نعب الغراب برؤيه الأحباب و لذاك صرت أحبّ كلّ غراب

لا سلّ ريشك إذ نعبت بقربهم و سقيت من نام صبيب سحاب

و سكنت بين حدائق في جنهمحفوفه بالنّخل و الأعناب

و لم أسمع غير ذلك، و يقال للعائف الحازي، و كان أصل التطير في الطير، و كذلك الرّجز بأصواتها و عددها و التغلى و التّنسف، ثم صاروا إذا عاينوا الأعور و الأعضب و الأبتّر زجروا و زجروا بالسّنوح و البروح. و قد تقدّم فيه كلام و قال رؤبه:

يشقى به الغيران حتّى أحسباسيدا مغيرا أو لياحا مغربا

الليّاح: الثور الأبيض، و كانوا يتشاءمون بالمغرب و قال:

قد علم المرهتون الحمقى و من تجزى عاطسا أو طرقا

أ لا نبالي إذ بدرنا الشّرقا يوم نحس أم يكون طلقا

و قال:

و قد أعتدى قبل العطاس بهيكل سديد مسك الجنب فعم المنطق

و قال:

و خرق إذا وَّجَّهت فيه لغزوه مضيت و لم يحسبك عنه الكوادر

الكُداس: العطاس و كانوا يتطَّيرون منه. و كانوا إذا عطس العاطس قالوا: قد أنجمنا أى منعنا. و قال ابن الأعرابي: يقال: عطست فلانا النجم أى أصابه الهلاك الذى يتطَّير فمات، قال و النجم أيضا دويبه صغيره. و قال ذو الرِّمّه:

و لا أبالى النجم العواطسا

و قال طرفه:

لعمري لقد مرّت عواطس جمهو مرّ قبيل الصّبح ظبي مصمع

قال عواطس لأنّه رأى أشياء مما يتشاءم بها، فجعل كلّ واحد كالعاطس و جعل الظبي مصمعا: و هو الصّغير الأذن استقباحا له. و قيل: المصمع: المسرع. قال:

و عجرا دفت بالجنّاح كأنّه مع الفجر شيخ في بجاد مقنّع

فإن تمنعى رزقا لعبد يصيبه و لن تدفعى بؤسى و ما يتوقع

قال الفرزدق:

إذا وطنا لمغتنيه ابن مدرّك فلقيت من طير العراقيب أخيّلا

و يقال: صبّحهم بأخيل: أى بشؤم. و يقال: بعير مخيول: إذا وقع الأخيل على عجزه فقطعه. و قال الأعشى:

انظر إلى كفّ و أسرارها هل أنت إن أوعدتني صابر

جعله مثلا لأنّهم كانوا ينظرون إليها يستدلّون بها. و قال جرير في طريقته:

و ما كان ذو شغب يمارس عيصنا فينظر في كفيه إلا تندّما

العيص: الأكمة شبّه حسبهم بها، و معنى ينظر في كفيه أى إذا تعيف علم أنّه لاق شرا.

و قال المرقم السدوسي مخالفا لهم شعرا:

و لقد غدوت و كنت لأغدو على واق و حاتم

فإذا الأشائم كالأيامن و الأيامن كالأشائم

الواق: الصرد، و الحاتم: الغراب. و أنشد الجاحظ:

و لست بهيّاب إذا شدّ رحله يقول: عداتى اليوم واق و حاتم

و لكنّه يمضى على ذاك مقدما إذا صدّ عن تلك الهنات الخثارم

الخثارم: المتطهر من الرجال.

قال الجاحظ: ولإيمان العرب باب الطيره و الفأل عقدوا التمام و الرتائم و عشروا إذا دخلوا القرى كتعشير الحمار، و استعملوا في القداح الأمره و الناحيه و المتربص، و هي غير قداح الإيسار و يشتقون من اسم الشىء المعاین أو المسموع ما يقيمون به العاده في ذلك، فجعلوا الحمام مره من الحمام و مره من الحميم، و مره من الحمى. و جعلوا البان مره من البين، و مره من البيان.

و قال الحارث بن حلزه، و كان ينكر الطيره: يا أيها المزمع ثم انثنى. الأبيات و قد مرّت في باب العيافه و القيافه. و أنشد المفضل شعرا:

تغثال عرض الرّويّه المذاهو لم ينطعها على غلاله

إلّا بحسن الخلق و التّباليه آذن بالبين صريد الصّاله

فبات منه القلب في البلبالهيئزو كنتز و الطير في الحباله

صريد: تصغير صرد، و أضاف إلى الصّاله، و هذا كما يقال: غراب البين.

و لقي النبي صلى الله عليه و سلم حضرميّ بن عامر في ناس من قومه فنسبهم النّبي صلى الله عليه و سلم و قال: «من أنتم؟» فقيل: نحن بنو الرّنيه فقال عليه السلام: «بل أنتم بنو الرّشده» فقالوا: لا نرغب عن اسم أبينا، و لا نكون مثل بنى محوله، يعنون بنى عبد الله بن غطفان. قال: «بل أنتم بنو عبد الله فسمّوا بنى محوله».

و ما ذكرناه في هذا الباب كاف في موضعه، و قد استقصيت الكلام في فنونه و شعبه في كتابي المعروف (بعنوان الأدب) و ذلك في الباب الجامع لذكر الرّموز و العادات. و هو باب كثير الفوائد، غريب الموارد.

و في الحديث: أنه كان يعجبه الفأل و يكره الطيره، و اعترض بعضهم عليه فقال: إذا كان الفأل لا يوجب إلّا مثل ما توجب الطيره فيما يرجى أو يخاف، فلا فصل بينهما و ذاك أن قول القائل يا واجد و أنت باغ، لا يوجب أمرا بخلاف ما يوجه قوله: يا مضلّ، لأنّ مطلوبك على ما كان عليه لا حقيقه تبدّله، و لا مجاز يغيّره، فيؤدّي الحالتين على طريقه واحده. قلت: إن تسمع كلمه في نفسها مستحسنه و تكون قد أحدثت من قبل طمعا في أمر من عند الله تعالى فيعجبك سماعك لها إذ كان الطمع خلاف اليأس، و لأنّ الكلمه واقفته.

و مثاله أن تسمع و أنت خائف يا سالم، فالفأل لا يوجب السّلامه، و لكن كأنه يبطل اليأس، و يدفع سوء الظّن، و الرّجاء بالله و حسن الظّن به محمود مندوب إليه، و إذا ظنّ أنّ المرجو من حيث وافق تلك الكلمه كالأقرن، ففرح بذلك فلا بأس عليه. و إذا كان الأمر على هذا فالطيره بعيده من هذا، و كذلك المتطير فيما يأتيه أو يذره و هذا ظاهر.

و حكى الجاحظ عن الأصمعي، قال: هرب بعض البصريين من بعض الطّواعين فركب حمارا و مضى بأهله نحو سفوان، فسمع غلاما له أسود يحدو خلفه و يقول: لن يسبق الله على حمار، و لا على ذى ميعه مطار أن يأتي الحتف على مقدار، قد يصبح الله أمام السّارى، فلمّا سمع ذلك رجع بهم، و من أعجب ما لهم قول الشّاعر:

فإن يبرأ فلم أنفث عليه و إن يفقد فحقّ له الفقود

و قول آخر:

فلم أرقه إن ينج منها و إن يمت فطعنه لا غس و لا بمغمر

لأنّ ظاهر هذا الكلام يقتضى أنّهم كانوا إذا شكوا سلامه رميهم رقوا نبالهم برقيه، و نفثوا فيها نفث السواحر فى عقد ما يبرمونه من سحرها. و هذا كما اعتقد فى النيران و هى كثيره ينسب بعضهم إلى العجم، و بعضهم إلى العرب و فى أثنائها نيران الديانات حتى عبت. و يذكر هنا ما يأخذ كتابنا هذا منه بحظ، فقد استقصى الجاحظ القول فيها، و ذكر أحوال المعظمين لها و المستهينين بها و قد قال الله تعالى فى ذكر الثقلين: يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَ نُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [سوره الرّحمن، الآيه: ٣٥-٣٦] و ليس يريد أنّ التعذيب بالنار نعمه يوم القيامة، و لكنّه أراد التحذير بخلقها لها و الوعيد بها غير إدخال الناس فيها، و إحراقهم بها، و فى ذلك نعمه من الله مجدّده، إذ كان حال من حذر مخالفا بحال من أهمل و ترك و ما يختاره. و قال الشاعر يد الخصب شعرا:

فى حيث خالطت الخزامى عرفجا يأتىك قابس أهله لم يقبس

و من أمثالهم: فى كلّ شجر نار، و استمجد المرخ و العفار. و فى الجاهليه الأولى إذا تتابعت عليهم الأزمات، و ركذ البلاء، و اشتدّ الجذب، و احتالوا إلى استمطار جمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا فى أذناها و بين عراقبيها السلع و العشر ثم صعّدوا بها فى جبل وعر و أشعلوا فيها النار و ضجّوا بالدعاء و التضرع، و كانوا يرون أنّ ذلك من أسباب السّقى. لذلك قال أميه بن أبى الصّلت:

سنه أزمه تخيل بالنّاس ترى للعضاه فيها صريرا

سلع ما و مثله عشر ماعائل ما و عالت البيقورا

و يقال: بقر و باقر و بيقر و بيقور و بغير. و قال بعضهم: تقرّبوا بذلك، كما تفرّد بعضهم بقربان تأكله النار فإنهم كانوا يأتون بالقرايين و يوقدون نارا عظيمه و تدنى تلك القرايين فى لخلف منها و هم يطوفون حولها و يتضرّعون، فإذا أكلت النار و قد أشعلوها تلك القرايين عدّوا ذلك قبولا لها، و إسعافا بالمطالب منها. و أنشد القحذمى للورل الطائي فى لاستمطار:

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

أ جاعل أنت بيقورا مسلعه ذريعه لك بين الله و المطر

و على ذكر النار فللعرب منها ما يذكر فى الرموز. و منها ما يجعل علامه لحوادث كحذر. و منها ما يضرب بذكره مثل، أو يعقد به ديانه، أو يقام به تشبيه و سنّه، و الجاحظ قد

أثار الزهج في جمعها و وصفها، و الكلام عليها و على المتديّنين بعبادتها، و أنا أذكر منها هنا ما يكتفى به إن شاء الله تعالى.

قال الجاحظ: قال الله تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ [سوره يس، الآية: ٨٠] النار من أكبر الماعون، و أعظم المرافق، و لو لم يكن فيها إلّا أنّ الله تعالى جعلها الزّاجره عن المعاصي، لكان في ذلك ما يزيد في قدرها و نباهه ذكرها و قال تعالى: نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَ مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ [سوره الواقعة، الآية: ٧٣] فالعاقل المعترف إذا تأمل قوله تعالى: نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً تَصَوَّرَ ما فيها من النعم أولا و من النقم آخرا. و قد عذّب الله تعالى الأمم بأنواع العذاب و لم يبعث عليهم نارا لأنّه جعلها من عذاب الآخرة.

قال: و من الثيران بعد ما ذكرها من أنّ العرب في الجاهليّه كانت تستمطر بالنار التي كانوا يوقدونها عند التحالف، فلا يعقدون حلفهم إلّا عندها، و كانوا يقولون في الحلف:

الدمّ الدمّ و الهدم الهدم لا يزيده طلوع الشمس إلا شداً، و طول الليالي إلا مداً، و ما بلّ البحر صوفه، و ما أقام رضوى في مكانه، إذ كان جبلهم رضوى أو ما أنفق من مشاهير بلادهم يؤكّدون العقود بمثل ذلك، و على هذا ما ورد في الخبر أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال للأنصار لِمَا أَرَادُوا أَنْ يَبَايَعُوهُ، فقال أبو الهيثم بن التيهان: إنّ بيننا و بين القوم حبّالا نحن قاطعوها و نخشى إن الله أعزّك و أظهرك أن ترجع إلى قومك، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: «لا بلّ الدمّ الدمّ، و الهدم الهدم، و اللدم اللدم» أي حرمتي مع حرمتكم أطلب الدمّ بطلبكم، و أعفو بعفوكم، فأجرى الكلام صلى الله عليه و سلم على ما كان يجرونه حينئذ عند التحالف و قال الشاعر:

ثم الحقى بهدمي و لدمي: أي أصلى و موضعي. و الهدم متحركا المهذوم. و قال أوس يصف عيرا:

إذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه كما صدّ عن نار المهول حالف

و كان قوم اختلفوا عند نار فغشوها حتّى محشتهم النار، فسّموا المحاش. لذلك قال النّابغه يخاطب رئيسهم.

جمع محاشك يا يزيد فإنني جمعت يربوعا لكم و تميما

و نار أخرى: و هي التي كانوا يوقدون بها خلف المسافر و الزائر الذي لا يريدون رجوعه.

لذلك قال بشار:

صحوت و أوقدت للجهل ناراً و ردّ عليك الصبّي ما استعارا

و نار أخرى توقد لجمع الناس للحرب، و توقّع جيش عظيم. قال عمرو بن كلثوم:

و نحن غداه أوقد في خزازي رفدنا فوق رفد الزافدينا

و نار أخرى: و هى نار الحرّتين و هى نار خالد بن سنان، و لم يكن فى بنى إسماعيل نبىّ قبله، و هو الذى أطفأ الله تعالى به نار الحرّتين، و كان حرّه ببلاد عبس، فإذا كان الليل فهى نار تسطع فى السّماء، و كانت طيىء ينفش بها إبلها من مسيره ثلاث، و ربّما ندرت منها العنق فتأتى على ما تقابله فتحرقه. و إذا كان النّهار فهى دخان يفور فبعث الله تعالى خالد بن سنان عليه السلام، فأطفأها و له قصه مرويه.

و روى أنّ ابنته قدمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم فبسط لها رداءه و قال: «هذه ابنه نبىّ ضيعة قومه» و أنشدوا شعرا:

كنار الحرّتين لها زفير تصمّ مسامع الرّجل البصير

و نار أخرى و هى التى أطفأها خالد بن الوليد لما أرسله رسول الله صلى الله عليه و سلم إليها، و كان السّادن احتال حتى رماه بشرر يوهمه أنّه لتعرضه لها فقال: كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك، فكشف الله تعالى ذلك الغطاء برسول الله صلى الله عليه و سلم.

فأما نيران السّعالى و الجن و الغيلان فلها شأن آخر. و النّار التى توقد للظّباء و صيدها معلومه.

و من النّيران المذكوره نار أبى جباح، و نار الجباح أيضا، و قيل أبو جباح رجل كان لا ينتفع به فى ماعون و لا فى موقد نار، فجعل ناره مثلا لكلّ نار تراها العين، و لا حقيقه لها عند التماسها و نسبت إليه. و قال القطامى:

ألا إنّها نيران قيس إذا شتوا الطارق ليل مثل نار الجباح

و يشبه نار الجباح نار البرق.

و نار اليراعه، و اليراعه: طائر صغير يصير بالليل كأنّها شهاب قذف أو مصباح يطير.

و كانوا ربّما أوقدوا نارا واحده و ربّما أوقدوا نيرانا عدّه، و ربّما أوقدوا نارين. فالواحد توقد للقرى، و يستدلّ بها الضّالّ و المتخّير فى الظّلمه فى الليل البهيم. و المطعم يوقد الليل كلّّه فى الشّتاء. و لذلك قال الشّاعر شعرا:

له نار تشبّ بكلّ واد إذا النيران ألست القناعا

و ما أن كان أكثرهم سواما و لكن كان أرحبهم ذراعا

و قال مزرد:

و شبت له ناران نار برهوهو نار بنى عبد المدان لدى الغمر

فأما الإكثار من النيران فى مجتمعهم فكما يكثرون من الدّبح فيه مخافه أن يجزّروهم

جازر، فيستدل بقله الذبح و النيران على قله العدد و ضعف العدد، و هذا من مكائدهم.

و من أحسن ما قيل في نار الضيافة قول الأعشى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرها إلى ضوء نار في بقاع يحرق

تشب لمقرورين يصطليانها و بات على النار الندى و المحلق

رضيحي لبان ثدى أم تقاسما بأسحم داج عوض لا نفرق

و قول الحطيئة أحسن منه و هو:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

و نار أخرى و هي نار الميسم: و يقال: ما نارك؟ فيقول: علاطه أو خباطه، أو كذا لذلك قال بعض الحزاب:

تساكني الباعه أين دارها إذ زعزعوها فسمت أبصارها

فكل دار لأناس دارها و كل نار المسلمين نارها

قد و فزنا قسط هذا الباب لفوائده، و قد أتى الجاحظ على ذكر نيران العرب و العجم و نيران الديانات، فبلغ الغاية، و لم يترك

لمتتبع مقاله، و إن كان أخل بذكر نارين، إحداهما:

نار الغدر، و هي التي أرادها زبير في قوله شعرا:

و توقد ناركم شررا و يرفع لكم في كل مجمعه أواء

و الثانية: نار الوشاه: و هي التي أرادها أبو ذؤيب في قوله:

أبى القلب إلا أم عمرو فأصبحت تحرق نارى بالشكاه و نارها

الباب الحادى و الستون فى ذكر الاستدلال بالبرق، و الحمرة فى الأفق، و غيرهما على الغيث

قال أبو عمرو تقول العرب فى السَّحَابِ: تنشأ إن تبهرت متنكبه و مبيضها ضعيف يخفى مرّه و يظهر أخرى، فقد أخلفت و معنى تبهرت: تقطعت و البهر حفر تكون فى الأرض، و معنى تنكبت: عدلت عن القصد، و منه التكبء فى الرِّيح.

و حكى عن أبى عبيده قال: قلت لأعرابى: ما أسحّ الغيث؟ قال: ما ألقحته الجنوب و مرته الصَّيْبَا، و نتجه الشَّمال، و إذا كان السَّحاب أبيض يبرق بضوء فذاك دليل مائه، و يقولون: إذا رأيت السماء كأنه بطن أتان قمرء، فذلك الجود. قال الشاعر:

و أضحي يحطّ المعصمات حزيره هو أصبح رجّاف اليمامة أقمرا

الرجّاف: ما رجف من السَّحابه. و قال آخر: و هو المتنخل الهذلى يذكر مطرا شعرا:

تمدّ له حوالب مشعلات تجللهنّ أقمر ذو انعطاط

قالوا: و إذا كانت السَّحابه تبرق كأنها حولاء ناقه، و هو ما يخرج مع الولد فذلك من علامات.

و إذا كانت السَّحَابِ نمره فهى خليقه بالمطر لذلك قال قائلهم: أرينها نمره - أركها مطره. و النمره التى ترى سحابها صغارا بتداني بعضها من بعض، و يكون كلون النمر، و إذا كان السَّحَابِ بطيئا فى سيره، فذاك دليل على كثره مائه و لذلك قال الهذلى يصفه:

و أقبل مرّا إلى بحدل سباق المقيد يمشى رسيفا

و قال عبيد:

دان مسفّ فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

جعل له هدبا يتدلّى لثقله و دنوّه من الأرض.

شعر:

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكّن كمن يمشى بقرواح

و مثله قول الآخر:

أسدف منشقّ عراه فذو الأدمات ما كان كذى الموثل

الأسدف: الأسود و جعل عراه ينشقّ بالماء و الدّمث: السهل اللين، و الموثل: المكان المرتفع الذى يثل الناس إليه من السيل.

و روى أن المعقّر البارقي سأل ابنته عن السّحابه و قد كفّ بصره، و إنّما سمع صوت رعدده فقالت: أرى سحما عفاقه، كأنّها حولاء ناقة ذات هيدب دان و سير وان فقال: يا بنيه وائلى بى إلى جنب قفله، فإنها لا تنبت إلا بمنجاه من السّيل. القفل: ضرب من الشجر لا ينبت إلا مرتفعا من السّيل و إذا كان السّحاب أصهب إلى البياض فذاك دليل على أنه لا ماء فيه و على الجذب. قال النابغه شعرا:

صهباء ظمء أبين البين عن عرض يزجين غيما قليلا ماؤه شبما

و قال أميه بن أبى الصّلت يذكره شدّه الزّمان فى الشّتاء:

و شوّدت شمسهم إذا طلعت بالجلب هفا كأنّه الكتم

شوّدت: عليت و عمّمت، و يقال للعمامة المشوّد و الجلب: سحاب لا ماء فيه، و الهف: الرّقيق. و ذلك من علامات الجذب.

و قد يعترض فى الأفق حمرة بالغداه و العشى من غير سحاب فى الشّتاء فيستدلّ به على قلّه الخير و شدّه الزّمان. و قال النابغه شعرا:

لا يبرمون إذا ما الأفق جلّله صرّ الشّتاء من الإمحال كالآدم

يريد: لا يخلون فى هذا الوقت، و البرم: الذى لا يدخل مع القوم فى المسير. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جنوبها الشيبان أو ملحان فاليوم أشهب

و قال الفرزدق:

يغضون بأطراف العصيّ تلفهم من الشّام حمر الضّحى و الأصائل

يريد حمر الآفاق: أوّل النهار و آخره، فهذه الحمرة التي بيّنتها و دللت عليها بشواهدا

من الشَّعر وغيره هي التي تدلّ على الجذب.

وقد يستدلّ بالحمرة إذا اشتدّت جدا في السَّحاب المخيل و إنّما تكون من شعاع الشَّمس عند الطُّلوع و عند الغروب على المطر. و الفرق بينهما أنّ تلك تكون بغير سحاب أو تكون مع شيء رقيق منه، و حمرة الغيث تكون شديده عند الطُّلوع و عند الغروب في سحاب متكاثف مخيل. و الحمرة التي يشير إليها إنما هي من قرص الشَّمس لأنك تراه في المشرق و المغرب للغبار و البخار، و الضَّباب المعترض بينك و بينها أحمر و أصفر للهواء الملابس لها، و قد توجد النَّار تختلف على قدر اختلاف النعظ الأزرق و الأبيض و الأسود.

و ذلك كلّه يتغيّر في مرأى العين بالعرض الذي يعرض للعين، و على قدر جفوف الحطب و رطوبته، و على قدر أجناس العيدان و الأدهان تجدها حمراء أو صفراء أو خضراء.

و لذلك يوجد برق السَّحاب مختلفا في الحمرة و البياض على قدر المقابلات و الأعراض، و تجد السَّحابه بيضاء، فإذا قابلت الشَّمس بعض المقابله فإن كانت السَّحابه غربيّه و الشَّمس منحطه، رأيتها صفراء ثم حمراء ثم سوداء تعرض العين لبعض ما يدخل عليه، و قال الفلتان الفهمي في النَّار:

و يوقدها شقراء في رأس هضبه

و قال مزرد:

فأبصر نارى و هي شقراء أوقدت بعلياء يشز للعيون النَّواظر

و قال الراعى و هو يريد أن يصف لون ذئب:

كدخان مرتجل بأعلى تلعهغرثان حزم عرفجاء ميلولا

المرتجل: الذي أصاب رجلا من جراد و هو يشويها و جعله غرثان لأنه لغرثه لا يميز الرطب من اليابس، فهو يشويها بما حضره، و أدلّه هذا الكلام كلّه ليكون لون الدخان و لون الذئب الأطلح متفقين، فأما شيم البروق فكانوا يقولون: إذا بلغت سبعون برقه انتقلوا و لم يبعثوا رائدا لثقتهم بالمطر، و إذا كان البرق عندهم و ليفا و ثقوا بالمطر. و الوليف: الذي يلمع لمعتين. قال الهذلي شعرا:

لشّماء بعد أشتاب النَّوى و قد بتّ أجنبت برقا و ليفا

و إذا تتابع لمعانه كان مخيلا للمطر.

و يقال: ارتعج البرق إذا كثر و تتابع. و قال الرّاجز شعرا:

سَخَا أَهَاضِيبٌ وَ بَرَقَا مَرَعَجَا يَجَوبُ الرِّعْدُ إِذَا تَبَوَّجَا

و إذا تتابع بلمعتين لمعتين شبه بلمع اليدين. قال امرؤ القيس شعرا:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين فى حبى مكّلل

الحبى: السحاب المشرف، مكّلل بعضه على بعض.

و يقال: مكّلل بالبرق و إذا كان خفوا كان دليلاً على الغيث. و قال حميد بن ثور شعرا:

خفا كاختداء الطير و هنا كأنه سراج إذا ما يكشف الليل أظلما

و اختداء الطير: تغميضها أعينها و فتحها إياها، كأنها تلقى القذى منها، و كلهم يجعل البرق يمانيا و لا يجعله أحد شاميا، لأنّ الشامى أكثره خلب عندهم، و هذا يدلّ على أنّ المطر للجنوب لأنّها يمانيه. و قال آخر شعرا:

ألا حَبّذا البرق و حَبّذا جنوب أتنا بالعشى نسيمها

و يقال: أوسم البرق إذا بدا و ألاح إذا أضاء ما حوله. و أنشد لأبى ذؤيب شعرا:

رأيت و أهلى بوادى الرّجيع من آل قيله برقاً مليحاً

و يقال: أوسمت المرأة؛ إذا بدا ثديها ينوء. قال أبو عبد الله و قال العقيلي: إذا رأيت السماء قد اصحامت فكأنها بطن أتان قمرأ. و رأيت السحاب متدلّياً كأنه اللحم الثنت، مستمسك منه و منهت، فحينئذ الغياث. و قال أبو صالح الفزاري: كنا نقول: إذا رأيت البرق فى أعلى السحابه أو فى جوانبها فهى بإذن الله ماطره غير مخلفه، و إذا رأيت البرق فى أسافلها فقد أخلفت.

الباب الثاني و الستون فى الكواكب الخنس و فى هلال شهر رمضان

قال الله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ الْجَوَارِ الْكُنُسِ [سوره التكوير، الآيه: ١٥-١٦] و قد تقدّم القول فى أنها خمسه: زحل- و المشتري- و المريخ- و الزهره- و عطارد. و أنها سيّاره كالشمس- و القمر. و قد يسمّى بعضها بغير هذه الأسماء المريخ بهرام. و يسمّى المشتري البرجيس- و يسمّى الزهره أناهيد- و يسمّى زحل كيوان- و يسمّى القمر ماه- و تسمّى الشمس مهر- و يسمّى عطارد نير- و قال رؤبه:

أسقيه نضاح الصبا بجيسا كافح بعد الثره البرجيسا

البرجيس: المتفجر، و فى القرآن: فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا [سوره الأعراف، الآيه: ١٦٠].

و يقال: هذه أرض تنبجس عيوننا، و كافح: واجه. و الثره: من ذوات الأنواء، و البرجيس: هو المشتري، و لا- حظّ له فى المطر عندهم، و ظن رؤبه أنه من ذوات الأنواء، و هذا كما أنّ الكميّ قال و هو يصف ثورا بشدّه العدو شعرا:

ثم استمر و للأشباة تذكره كأنه الكواكب المريخ أو زحل

أراد أن يشبّهه بكوكب منقّص، فظنّ أنّ المريخ و زحل ينقضان، و قيل فى عذر رؤبه:

إنه كان سمع البرجيس و إنه اسم كوكب، و خفى عليه أنه اسم المشتري فى لسان غيرهم.

و قيل فى عذر الكميّ: إنّ انقضاض الكوكب إسلامى رجم به مسترقه السمع، و لم يعرف قبل الإسلام فلذلك خفى عليه أنّ المريخ و زحل ليسا من الزجوم. و إنما سمّيت هذه الكواكب خنسا لأنها تسير فى الفلك ثم ترجع، بينا أحدها فى آخر البروج كّر راجعا إلى أوّله، و لذلك لا ترى الزهره فى وسط السماء أبدا، و إنّما تراها بين يدي الشمس أو خلفها.

و ذلك أنّها أسرع من الشمس، فتستقيم فى سيرها حتى تجاوز الشمس فتصير من ورائها، فإذا تباعدت عنها ظهرت بالعشاء فى المغرب، فترى كذلك حيناً ثم تكرر راجعه نحو

الشمس حتى تجاورها، فتصير بين يديها فتظهر حينئذ في المشرق بالغداة، هكذا هي أبدا، فمتى ظهرت في المغرب فهي مستقيمه و متى ظهرت في المشرق فهي راجعه، و كل شىء استمر ثم انقبض فقد خنس، و منه سمى الشيطان خناسا لأنه يوسوس في القلب، فإذا ذكر الله خنس، و سميت كئسا بالاستسرار كما تكنس الأطباء. و صفات الخنس الزهره أعظمها في المنظر، و أشدها بياضا ثم المشتري في مثل هيئتها. و في زحل كموده. و في المريخ حمره و في عطارد صفره. و قد تقدم القول في استسرار القمر، و أنه يقطع المنازل في استساراه كما يقطع في ظهوره. و أنهم يسمون آخر ليله في الشهر البراء لتبرؤ القمر من الشهر فيه. و أما قول الشاعر شعرا:

يا عين بكى عامرا و عسا يوما إذا كان البراء بخسا

فالمراد إذا لم يكن فيه مطر، لأن المطر يستحب في سرار القمر.

فأما هلال شهر رمضان فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إذا غم عليكم فأكملوا العده». و هذه روايه ابن عباس رضى الله عنهما.

و في حديث آخر: «إذا غم عليكم فاقدروا له» روايه ابن عمر رضى الله عنهما. و معنى أقدروا له: قدروا له المسير و المنازل.

يقال: قدرت الشىء و قدرته بمعنى، و التقدير له يكون إذا غم على الناس ليله ثلاثين في آخر شعبان ليله و يعلم أنه يمكث ستة أسابيع ساعه من أولها ثم يغيب و ذلك في أدنى مفارقتة للشمس، و لا يزال يزيد في كل ليله على مكثه في الليله قبلها ستة أسابيع ساعه، فإذا كان في الليله السابعة غاب في نصف الليل، و إذا كان في ليله أربع عشره طلع مع غروب الشمس، و غرب مع طلوعها ثم يتأخر طلوعه عن أول ليله خمس عشره ستة أسابيع، و لا يزال يتأخر طلوعه ليله ثمان و عشرين مع الغداة فإن لم ير صبح ثمان و عشرين، علم أن الشهر ناقص و عدته تسعه و عشرون يوما.

و إن رأى علم أن الشهر تام و عدته ثلاثون، و قد يعرف أيضا بمكث الهلال في ليالى النصف الأول من الشهر و مغيبه، و أوقات طلوعه ليالى النصف الآخر من الشهر، و تأخره عن أول الليل، و يتعرف من المنازل بأن الهلال إذا طلع في أول ليله من شعبان في الشرطين، و كان شعبان تاما طلع في أول ليله من شهر رمضان في الثريا، و إن كان شعبان ناقصا طلع في البطين، و هذا أمر يضيق و يصعب على الناس، و يكثر فيه التنازع و الاختلاف، فنسخه رسول الله صلى الله عليه و سلم بقوله: «إذا غم عليكم فأكملوا العده ثلاثين» و لا يمكن أن يرى الهلال بالغداة في المشرق بين يدي الشمس و بالعشى في المغرب خلف الشمس في يوم واحد، و لكن يمكن ذلك في يومين فهو حين يستسر ليله واحده، و إذا كان في ثلاثه فهو حين يستسر ليلتين.

و أما ما روى من قوله صلى الله عليه و سلم: «صوموا لرؤيته و افطروا لرؤيته» فإن اللام فيه بمعنى بعد و مثله قوله تعالى: فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ [سوره الطلاق، الآية: ١] و اللام لإضافه عدّه مواضع.

و قد ذكرتها أو أكثرها فى غير هذا الموضوع، و قال بعض أهل النظر: المراد صوموا لما أقبل من رؤيته.

و كذلك طلقوهنّ لما أقبل من عدّتهن. قال و قبل كلّ شىء وجهه و أوله، كما أنّ دبره آخره، و كلّما يوقّت فله أول و آخر، فما دام زائدا فهو مقبل، فإذا أخذ فى التّقصان فهو مدبر مثل النهار فهو مقبل من الفجر إلى الاستواء لأنّه فى الزّيادة ثم مدبر، لأنّه فى التّقصان إلى الليل، و لا يقال: هو مقبل و قد أقبل إلّا عند دخول وقته. و منه قوله صلى الله عليه و سلم: «إذا أقبل الليل و أدبر النهار فقد أفطر الصائم». و لا يجوز أن يقال: أقبل الليل إلّا بعد مغيب الشّمس، لأنّ الصّائم لا يعود مفطرا إلا به لقوله: فقد أفطر الصّائم. أى انقضى صومه لذهاب وقته و دخول وقت آخر لا يكون الصّوم فيه و يؤيد هذا الذى ذكرناه قول الرّاجز شعرا:

و قلّه الطّعم إذا الزّاد حضرو تركى الحسناء فى قبل الطّهر

لأنّ المراد أول طهرها لا ما قبله من الحيض، فمراد الشّاعر فيه مثل مراد الأخطل حين قال شعرا:

قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون النّساء و لو باتت بإطهار

و قد بيّن غيره بأنّهم من هذا الذى قال:

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النّساء عواقب الأطهار

و هذا ظاهر و لو جاز أن يكون إقبال شىء فى إدبار غيره الذى هو ضدّه لكان الصّائم مفطرا قبل مغيب الشّمس، إذ الليل عنده يقبل فى إدبار النّهار، و قبل انقضائه كلّ و هذا لا- يقوله أحد. و إذا كان الأمر على هذا فأذن الله تعالى فى الطّلاق بقوله: فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ [سوره الطلاق، الآية: ١] لا- يكون واقعا إلا بعد دخول وقت العدّه التى أذن الله فى الطّلاق له، و الطّهر و بعد انقضاء إدبار الوقت الذى منع من الطّلاق فيه و انتهائه و هو الحيض، فكذلك قوله صلى الله عليه و سلم: «صوموا لرؤيته و افطروا لرؤيته» يعنى الهلال و الصّوم لا يكون إلا بعده بساعات و وقت مديد، و من مواضع اللّام قوله تعالى: أقم الصّلاة لِتَذَكَّرَ بِهَا [سوره طه، الآية: ١٤] لأنّ المعنى أدم الصّلاه لتسبّحنى و تمجّدنى، و ذلك هو الذّكر إذ كان عله له و سببا، و هذا يخالف: أقم الصّلاة لِتُذَكَّرَ بِهَا [سوره الإسراء، الآية: ٧٨] لأنّ دلوك الشمس بيان وقت، و مثله قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ [سوره الحشر، الآية: ٢] فى أنه بيان وقت، ألا ترى أنّ الحشر لم يكن عله لإخراجهم، بل كان عله لإخراجهم كفرهم و إباؤهم الإسلام.

الباب الثالث و الستون فى ذكر مشاهير الكواكب التى تسمى الثابته و هذه التسميه على الأغلب من أمرها

اشاره

إذ كانت حركه مسيرها خافيه غير محسوسه.

قال أبو حنيفه: اعلم أنّ سير هذه الكواكب على خفائه مستمر على تأليف البروج الاثنى عشر لا يعرض لشىء منها رجوع، فقد ميز قدماء العلماء كواكب السّماء على وجه الدّهر و صنّفوها فجعلوها منزله فى منازل سبعة من الأقدار فجعلوا كبارها فى القدر الأول، و هى التى يسميها العرب الدّرارى، و الواحد درى منسوب إلى الدرّ فى الصّيفاء و الحسن، و فى التنزيل: كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ [سوره التّور، الآيه: ٣٥] و قال الرّاجز:

أنى على أونى و انجرارى أوم بالمنزل و الدّرارى

الأون: الثقل، و الانجرار: أن يترك الإبل فى مسيرها و عليها الأحمال ترى.

يقال: جرّ الإبل يجرّها جرّاً و يعنى بالمنزل و الدّرارى منازل القمر و درارى الكواكب، و هى مشبوباتها ذوات السّيطوع و التّوقد. قال الشّماخ:

و عنس كألوان الأران لضاتها إذا قيل للمشبوبتين هماهما

لضاتها و نساتها بمعنى أى زجرتها و هيّجتها. و قيل: أراد بالمشبوبتين الشعريين. و قيل الزّهره و الشّعري العبور و هما أنور نجوم السّماء. فالذى أحصى العلماء من درارى النّجوم سوى الخمسه المتخيّره خمسه عشر كوكبا، و هى فى القدر الأوّل من العظم و هى الشّعريان- و سهيل- و المحنّث- العيوق- و السّماكان- و اليدان- و قلب الأسد- و النّسر الواقع- و الصّيرفه- و منكب الجوزاء- و رجلها و أضوا كواكب الفرعين.

و الذى أحصوا مما هو دون هذه و هى فى القدر الثّانى من العظم خمس و أربعون كوكبا: كالفرقدين و بنات نعش الكبرى و قلب العقرب و الرّدف و النّسر الطائر، و رأس الغول- و العناق- و قلب الحوت- و أشباهها مما ترك ذكر سائرهما للأقدار الباقية لأنّ مواضعها غير

كتابنا هذا. وقد ميّز أصحاب الأحكام من المنجمين من هذه الكواكب الستين ثلاثين كوكبا و جعلوا لكل كوكب منها خراجا من طبائع الكواكب الخمسة المتحيرة و وضعوها أساسا للأفضيه التي يحلفونها و الله يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد.

فإن قيل: كيف تميّز للعلماء مواضع هذه الكواكب و مقاديرها في سيرها على خفائها و عجز الحس عن إدراكها؟ قلت: أدركوا ذلك في الأزمنة المتعاقبه و الدهور المترادفه، فكان أحدهم يقف في عمره مع تفقده البليغ لها على بعض أحوالها، ثم يرسم ما يقف عليه لمن يخلف بعده، و قد شاركه فيما مضى ثم قاس الأخلاف بعدهم قرنا بعد قرن، فوجدوها و قد تقدّمت عن تلك الأماكن الأول، و كذلك فعل الأخلاف للأخلاف، و قد ضبطوا تواريخ تلك الأزمنة معتبرين فوجدوها تتحرك بأسرها معا حركه واحده، فتقطع في كل مائه عام درجه واحده، حينئذ حكموا بما قالوا، فهذه حال هذه الكواكب المسماه ثوابت، إلا كوكبا واحدا، فإنه سيار خلاف سيرها، و خلاف سير السيارات كلها و هو الكوكب الذي سماه المنجمون ذا الضفيره و ذا الدّؤابه و هو الذي تسميه العامه كوكب الدّنب، و إنّما يظهر في الزّمان بعد الزّمان و لأصحاب الملاحم فيه روايات.

فعلى هذا عرف العلماء مواضع هذه الكواكب من الفلك و حكموا بما حكموا في كتبهم من شأنها.

و لما أرادوا تميز كواكب السّماء قسّموا الفلك قسمين، فسموا أحد القسمين جنوبيا، و النّصف الآخر شماليا، و لذلك سمّوا ما وقع من البروج و الكواكب فيهما، و سمّت العرب تلك السّماليه شاميه، و الجنوبيه يمانيه، و لا فرق بين المقصودين، و لذلك جعلوا ما بين رأس الحمل إلى رأس الميزان من البروج شاميه، و ما بين رأس الميزان إلى رأس الحمل من البروج يمانيه.

و كذلك جعلوا ما بين الشّرطين من المنازل إلى السّماك شاميه، و جعلوا ما بين الغفر إلى الرّشاء يمانيه، و جميع ذلك قد تقدم القول فيه، فأقرب مشاهير الكواكب إلى القطب بنات النّعش الصّغرى و هي شاميه سبعة كواكب في نظم بنات نعش الكبرى، أربعة منها نعش و ثلاث بنات، و المنجمون يسمونها ذنب الدّب الأصغر. فمن الأربعة الفرقدان و هما المتقدّمان المضيطان، و الآخران وراءهما خفيّان. و من البنات و هي ثلاث أولها: الكوكب الذي يسمّى الجدى و هو الكوكب الذي يتوخي الناس بها القبلة، لأنّه لا يزول و تسميه العرب جدى بنات نعش، يكبّ على اليدين فيستدير. و قال الأخطل و ذكر بنى سليم شعرا:

و لا يلاقون فراضا إلى نسب حتى يلاقى جدى الفرقد القمر

نسب الجدى إلى الفرقد كما نسبه الآخر فقال يذكر المطايا:

تياسر عن جدى الفرقاد فى السرى و يا من شيئا عن يمين المغاور

و هذا الجدى ليس من البروج و لا منازل القمر فهو لا يلقي القمر أبدا، و كذلك بنات نعش، لذلك قال بعضهم و هو يهجو:

أولئك معشر كبنات نعش خوالف لا تسير مع النجوم

خوالف: أى متخلفه عن النجوم، و الخالفة ما لا خير فيه فيقول: لا نفع عندهم و لا فائده من جهتهم.

و يروى: ضواجع و معناه: رواكد لا غناء عندهم، كما أنّ بنات نعش لا نوء لها و لا نسب شىء إليها. و قال بشر بن أبى حازم فى دورانها حول القطب:

أراقب فى السماء بنات نعش و قد دارت كما عطف الطّوار

يريد أنّه سهر ليلته كلّها إلى أن دارت بنات نعش و هى تنقلب فى آخر الليل و خص بنات نعش لأنّها لا تغيب لذلك لا يجعلون الاهتداء بها و بالفرقدين. و قال الراعى شعرا:

لا يتخذنّ إذا علونا مفازها لآ بياض الفرقدين دليلا

قال أبو حنيفة: فالكواكب الثلاثة التى هى البنات و كوكبان من النّعش فيهما أحد الفرقدين، هؤلاء الخمسة فى شطر فيهما واحد كقوس، و قد قابله شطر آخر مثله فيه كواكب خفيّة متناسقه، أخذت من الجدى إلى الفرقدين حتى صار هذان الشّطران شبهان بخلقه السّيمكة، و النّاس يسمّونها بالفأس تشبها بفأس الرّحى التى القطب فى وسطها، يظنّون أنّ قطب الفلك فى وسط هذه الصّوره. قال: و ليس كذلك بل القطب بقرب الكوكب الذى يلي الجدى من هذا الشّطر الخفى الكواكب فوجدت هذه الكواكب أقرب كواكب السّماء كلّها من هذا القطب، لم أجد بينه و بين القطب إلّا أقلّ من درجه واحده. و ليس القطب بكوكب بل هو نقطه من الفلك.

و من الشّاميه بنات نعش الكبرى، و هى أيضا سبعة كواكب على عدد الصّغرى و فى شبيه تنظّمها ثلاث بنات و أربعة نعش، و العرب تسمّى الأوّل من البنات، و هو الذى فى الطّرف القائد: و تسمّى الأوسط العناق: و تسمّى الثالث الذى يلي النّعش، الجون: و إلى جانب الكواكب الأوسط منها كويكب صغير جدا يكاد يلزق به و يسمّى السّهى و به جرى المثل فى قولهم: أريه السّهى و يرينى القمر، و يقال له: الصّيدق و يعيش و النّاس يمتحنون به أبصارهم فمن ضعف بصره لم يره.

و يروى أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم كانوا يفعلون ذلك، و تقول العرب لبنات نعش بنو نعش و آل نعش. قال:

تمزّزتها و الدّيك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوّبوا

و إنما قال: دنوا فتصوّبوا لأنّه لما أخبر عنها كما يخبر عن العاقلين جعل ضميرها ضمير العاقلين. و قال الشّاعر:

فنيث و أفناني الزّمان و أصبحت لداى بنو نعش و زهر الفراقد

و قال آخر:

و هل حدّثت عن أخوين داماعلى الأيّام إلّا ابني شمام

و إلّا الفرقدين و آل نعش خوالد ما تحدّث بانهدام

و قال آخر يذمّ قوما:

و أنتم كواكب مسحولتهرى فى السّماء و لا تعلم

فهذا فى طريقه قوله:

أولئك معشر كبنات نعش

و المسحولة: المرذولة. و بالقرب من الفرقدين كوكبان مقترنان بينهما فى رأى العين بعد القامه، إذا اعترض الفرقدان انتصبا، و

إذا انتصب الفرقدان اعترضاً، يسمّيهما العرب:

الحزّين و يسمّيان أيضاً: الدّنين، و يسمّيان أيضاً: العوهقين.

و قال الرّاجز:

بحيث بارى العوهقين الفرقدا عند مسدّ القطب حيث استوسقا

و قال أبو زيد الكلابى: الحزّان كوكبان أبيضان بين العوائذ، و الفرقدين بينهما قدر ثلاثة أذرع فى رأى العين، و يسمّيان الدّنين،

و قدّامهما كواكب صغار تسمّى: أظفار الدّئب، و هناك كوكبان أوسع من كوكبى الحزّين يقال لهما: كوكبا الفرق و عند

الأعلى منهما كواكب صغار خفيته مستديره تسمّى: القدر و القرحة كوكب أسفل من كوكبى الفرق كموضع قرحة الدّابه من

الأذنين. و زعموا أنّ القرحة إذا طلعت استقبلت قبله الكوفه و فيما هنالك الهلبه:

و هي كواكب ملتفه يظنّ من لم يتثبت من تأملها أنّها الثريا، و العامه تسميها السّنبله و معنى الهلبه الخصله من الشّعر. و العرب تسمي هلبه الأسد، و هي فيما بين البنات من بنات نعش الكبرى.

و أمّا الصرّفه فهي الكوكب الثّير المنفرد الذي على أثر الزبره، و العرب تقول:

ضرب الأسد بذنبه فنغزت الطُّبأ، و نغزات الطُّبأ ثلاث: كلُّ نغزه منها كوكبان متقاربان كأثر ظلّفى الطُّبى.

و يقال لها أيضا: التّوافز و الفقرات و يسمّى أيضا القرائن و أشعيلبات، و الطُّبأ كواكب خفّيه مستطيله مثل الحبل الممدود من عند الهلبة إلى العتيوق، و أولاد الطُّبأ كواكب صغار فيما بين الطُّبأ و الفقرات. و فيما هنالك الحوض و ليس بمتّصل الاستداره و العوائذ و هى كواكب أربعة مربعه غير متباعده فى وسطها كوكب كأنه لطحه غيم يسمى الرّبع شَبَهَهَنّ بأنيق أربع، عطفن على ربع و هى من الشّاميه عن يسار النّسر الواقع فيما بينه و بين بنات نعش.

و من الشّاميه الفكّه: و هى كواكب مستديره فيها مرجه، و العامّه تسميها قصعه المساكين من أجل التّلمه التى فيها. و من كواكبها كوكب هو أنورها يقال له: منير الفكّه و الأوائل من المنجمين سمّوا الفكّه الإكليل الشّمالي و إذا توسّطت الفكّه السّماء أو قاربت فنظرت إليها رأيت السّجّماك الرّامح بين يديها، و رأيت رأيه السّجّماك خلفه بينه و بين الفكّه و هو كوكب منتبذ عنه، يعارضه كوكب بالقرب منه كأنه عذبه فى رمح. و لذلك قيل له: الرّامح و ذو السّلاح و قيل للسّماك الآخر الأعزل.

و النّسقان: شطران ابتداء أحدهما إلى قرب النّسر الواقع، و هو النّسق الشّامى، و الآخر إلى جهه النّعام الوارد حتّى شرع فى المجزّه و هو النّسق اليمانى.

و يقال لما بين النّسقين الرّوضه، و فى داخل الرّوضه كوكب أبيض منفرد يقال له الرّاعى. و بالقرب منه كواكب صغار، و يقولون هى غنمه يرعاها فى الرّوضه، و فى أضعاف تلك الكواكب كوكب و باض صغير، يقولون: هو كلبه و يقال للنّسق النّسيق أيضا.

و من الشّاميه النّسر الواقع، و إليه ينتهى النّسق الشّامى و هو كوكب أزهر خلفه كوكبان منه كأنهما و إياه أثافى قدر، و كذلك تسمّيها العامّه، و إمّا قيل له: الواقع لأنّ الكوكبين اللّذيين معه بمنزله جناحيه قد ضمّهما إليه، و لأنّ هناك نسرا آخر يقال له: الطائر، و سمّى القدماء من المنجمين النّسر الواقع الاوزه.

و بإزاء النّسر الواقع مما يلي الجنوب النّسر الطائر ثلاثه كواكب مصطفه و الأوسط منها هو أنورها، و هو النّسر و الآخران جناحاه، و قد بسطهما و لذلك قيل له الطائر، و العامّه تسمّيه الميزان، لاستواء كواكبه فى اصطفاها و اعتدال الأوسط منها بين الآخرين.

و رواء النّسر الواقع كواكب أربعة على اختلاف قد قطعت المجزّه عرضا و يسمّيه العرب الفوارس، تشبيها بفوارس أربعة يتسايرون.

و وراءها بالقرب كوكب أزهر منفرد فى وسط المجزّه تسمّيه العرب الرّدف كأنه ردف

الفوارس يتبعها، والمنجمون يسمون هذا الكوكب: ذنب الدجاجة، وقد وضعوه في الاصطراب للقياس به، و يسقط الفوارس و الرّدف مع طلوع الثّره و تطلع مع طلوع الشّوله.

و كذلك النّسران و هما من الكواكب الشّاميه، و على أثر النّسر الطائر كواكب أربعة مصلبه النّظم تسميها العامه الصّليب، و تسميها العرب القعود و يسقط الصّليب مع طلوع سهيل، و تطلع مع سقوط الشّعري.

و وراء الرّدف في حومه المجرّه كفّ الثّريا الخضيب، و هي كواكب خمسه بيض مختلفه النّظام و هي أيضا سنام النّاقه، و النّاقه في مثل خلقه النّجيب الضّامر الدّقيق الخطم، و خطمها في جهه الجنوب، و عنقها كواكب تتابعت من عند الرّأس، فانحدرت انحدار العنق، ثم ارتفعت إلى سنامها، و هنالك لطحه سحابيه في مثل موضع الفخذ، يقولون: هي وسم النّاقه، و هذه اللّطحه هي معصم الثّريا و رأس الحوت في لبّه النّاقه، و هو في مثل صوره السّمكه غير أنّها عظيمه.

و في جملتها كوكب هو أضبوؤها يقال له: قلب الحوت. و فوق رأس النّاقه حوت آخر، و رأس النّاقه ذنبه و هو أقصر من الحوت الأسفل و أعرض.

و وراء الكفّ الخضيب العيوق، و هو كوكب عظيم يتر في حاشيه المجرّه التي تلى الشّمال يقال له: عيوق الثّريا، و ذلك كأنّهما يطلعان معا، و إذا توسّطا السّماء تدانيا في رأى العين. قال الشاعر شعرا:

كأنّ صديا و الملامه ما سقى لكالتجم و العيوق ما طلعا معا

يقول: لا يتخلّف اللّوم عن صدى كما لا يتخلّف واحد من الثّريا و العيوق عن صاحبه، و في إضافه العيوق إلى الثّريا قال الشاعر:

و عاذله هبّت بليل تلومنى و قد غاب عيوق الثّريا فعردا

و لتدانيهما إذا توسّطا السّماء قال بشر:

و عاندت الثّريا بعد هدهد معانده لها العيوق جار

ظنّ أنّ الثّريا تركت طريقها و عاندت إلى العيوق و ذلك من أجل البعد الذى بينهما فى المطلع و القرب الذى بينهما فى وسط السّماء، و هو فيعول من العوق و العيق جميعا و العوق الذى لا حرّ فيه.

و يقال: العيق و هو من قولهم ما يعيق به حرّ و لا يليق. و وراء العيوق غير بعيد كواكب

ثلاثه: زهر مصطفه متقوسه قد قطعت المجزه عرضا و يسمى: توابع العيوق. و يقال لها:

الأعلام أيضا. و يقال للذى تحته: رجل العيوق.

و من أمثالهم فيما يبعد من الطمع: هو أبعد من العيوق، كما يقولون: هو أبعد من الثريا. و هناك سطر من كواكب امتدت فى الشمال على انعطاف تسمى: الكفّ الجذماء لقصرها، و يقولون للثريا: الرأس فيما بين اليدين و فى اليمنى كواكب هى أنورها فيها العاتق و هو أقربها إلى الثريا، ثم المنكب بعده، ثم المرفق كويكب صغير يقال له: إبره المرفق، و هنالك أيضا المابض.

أما إبره المرفق من الإنسان فهو طرف عظم الساعد و هو الذى يذرع بذراع و الطرف الآخر الذى يثنى إذا قبضت ذراعك إليك يقال له: القبيح. حيث تلاقى الإبره القبيحا.

و يقال لما بين المرفق و المعصم الساعد و يصغر فيقال: السويعد. و يقال ما بعد المعصم و هى الكف، الخضيب كف الثريا. و هناك كوكب نير قدر كوكبى المرفق و العضد فهو معهما فى صورته مثلثه واسع كل كوكب فى زاويه من زواياها و المنجمون يسمون هذا الكوكب: رأس الغول. و قريب منه كوكب نير فيما بين قلب الحوت و مرفق الثريا يسمى:

عناق الثريا و هى غير العناق الذى فى بنات نعش.

روى ابن الأعرابى عن العرب: قال عند بنات نعش كوكب يقال له: رأس الحيه و رأس الحيه مثل رأس الخلخال، و التنين فيما وصفه المنجمون هناك عند رأسه.

و يوجد من بنات نعش كوكب أحمر يقال له: الذبج. و هو ذكر الضباع. و هناك كواكب صغار فيما بين القرحة و الجدى. و الراعى كوكب من كواكب الشاء. و كلب الراعى: كوكب صغير قريب منه.

و أسفل من بنات نعش كواكب كثيره مختلطه يقال لها الضباع.

و يوجد كواكب صغار عن يمين الضباع بينها و بين بنات نعش. و الخباء كواكب فى مثل هيئه الخباء أسفل من أولاد الضباع.

و خلف العاتق كوكبان بينه و بين العنق يسميان: المرجف و البرجس.

و قال عن يمين الكفّ الجذماء البقر أسفل من الكفّ الجذماء متّصله بالثريا فهذه مشاهير الكواكب الشاميه.

و نذكر الآن الكواكب اليمانيه فمنها: منكب الجوزاء و هما أيضا يداها. و الأيمن منهما كوكب أحمر، و قد وضع فى الاضطراب، و العرب تسميه مرزم الجوزاء، و الهقعه بين

المنكبين و هي عند العرب رأس الجوزاء لأنّ الجوزاء في المنظر شبيهه بصورة الإنسان.

و ربّما سمّوا المنكب الأيسر النّاجذ.

و أمّا الكواكب البيض المستعرضه في وسط الجوزاء الوباضه فإنّ العرب تسمّيها النّظم و تسمّيها أيضا: نطاق الجوزاء و فقار الجوزاء. و يسمّون الكواكب الثلاثة المنحدره من عند هذه الأولى الجوارى و كأنّها في موضع الرّجل من ظاهر الصّوره.

و هناك كوكب أبيض و باض في مثل القدم يقال له: رجل الجوزاء اليسرى و قد وضعه المنجّمون للقياس، و رجلها اليمنى كوكب أبيض أصغر من الأول و قال الشّاعر:

فلما رأى الجوزاء أوّل صابح

و ضربتها الكواكب التي معها. و قال الآخر فيهما جميعا. و فتيه غيد من التّسفيد.

الآيات. و قد مضت في الباب السّادس و الخمسين، و من نظر إليها و هي على الأفق بان له حسنها.

و تحت كلّ واحده من رجل الجوزاء كواكب أربعة تسمّى كرسى الجوزاء، و أحد الكرسيين أبين من الآخر، و يسمّى كرسى الجوزاء التّهل.

و فوق رأس الجوزاء كواكب صغار كالعقد الموزج يسمّى تاج الجوزاء و يسمّيها العرب أيضا ذوائب الجوزاء.

و أسفل من الجوزاء على يسارك إذا نظرت إليها الشّعري العبور، و هي الكوكب العظيم الوباض، و قد ذكرنا الأخرى في منازل القمر، و إنّ المجرّه تمرّ بين الشّعريين و أسفل من كرسى الجوزاء.

و من الشّعري العبور ثلاثه كواكب بيض مختلفه التّليث تشبهها العرب عذره الجوزاء و قد يجعلها قوم خمسة كواكب. و هناك كواكب إن ضمّ بعضها إلى الثلاثه صارت خمسة، و قد تسمّيها العرب: العذارى و هي في حاشيه المجرّه الغربيّه.

و إذا انحطّت الجبهه عن كبد السّماء فنظرت رأيت بينها و بين الشّعري الغميصا أربعة كواكب مربعه فيها استطاله كهبيّه وجه الفرس، تسمّى رأس الحيّه، و قد امتدت من عنده كواكب متناسقه على تعريج، حتى قربت من عرش السّماك الأعزل، و هذه الكواكب هي بدن الحيّه، و فيها كوكب هو أضوا كواكبها يسمّيها المنجّمون: عنق الحيّه، و منهم من يسمّيها فقار الحيّه، لأنّه بعيد من الأوّل، و قد وضع هذا الكوكب في الاصطربلاب، و العرب تسميه الفرد، و إياه عنى الشّاعر بقوله:

و قد مالت الجوزاء بالكوكب الفرد

و سَمِي فردا لانفراده عن أشباهه.

و الخيل كواكب كثيره أكثر من العشره نيره، و فيها ستّه كواكب فى ثلاثه أمكنه متفرقه فى كلّ مكان منها كوكبان. و فيما بين كواكب الخيل كواكب صغار تسمى أفلاء الخيل، و هى كلّها بين يدى الشّوله فوق المجرّه و أسفل من الخيل.

و من شوله العقرب كواكب يقال لها: القبه، و إذا رأيت الزّبانين مرتفعتين عن أفق المشرق رأيت فيما بينهما و بين عرش السماك أسفل منها كواكب مجتمعه نيره مختلطه على غير نظم، تسمى الشّماريخ، لأنّها كأنّها شماريخ كباسه.

و إذا توسّطت الشّعري العبور السّماء ثم نظرت على سمتها قريبا من الأفق رأيت سهيلا قد توسّط مجراه أو قريبا و ذلك أرفع ما يكون فى السّماء و هو قليل العلو، قريب المجرى من الأفق، و هو عند المنجمين طرف سكّان السّيفينه، و هو كوكب منير عظيم أحمر منفرد عن الكواكب، و أقرب مجراه من الأفق تراه أبدا يضطرب، و لما يعرض لسهيل من ذلك و لانفراده قال الشّاعر:

أراقب لوحا من سهيل كأنّه إذا ما بدا من آخر الليل يطرف

يعارض عن مجرى النّجوم و ينتحى كما عارض الشّول البعير المؤلف

و لو بيضه و شعاعه و انفراده. قال الآخر يصف ثورا شعرا:

خبأت عدوبا للسّماء كأنّه قريع هجان يتبع الشّول جافر

شبهه فى انفراده بفحل انقطع عن الصّراب فتتخى عن الإبل و لتوهجه قال الآخر:

حتّى إذا شال سهيل بسحر كعشوه القابس ترمى بالشّرر

و طلوعه بالعراق لأربع ليال بقين من آب و ذلك مع طلوع الزّبره، و يطلع بالحجاز لأربع عشره ليله تمضى من آب مع طلوع الجبهه. قال الشّاعر شعرا:

إذا أهل الحجاز رأوا سهيلاو ذلك فى الحساب بشهر آب

و يسمى سهيل كوكب الخرقاء. قال الشّاعر:

إذا كوكب خرقاء لاح بسحر سهيل أذاعت غزلها فى القرائب

يريد أنّ الخرقاء لعبت صنعها، و ضيّعت وقتها، و لم تغزل، فلمّا طلع سهيل و جاء الشّتاء و ضاق الوقت استغزلت قرابها، و فى نحوه قال الآخر شعرا:

علّك أن تنسجى و تدأبى إذا سهيل فاق كلّ كوكب

فتعلّمى قرضك غير معجب

و إذا طلع مغرب الشمس استبدلت الإبل الأسنان قال:

إذا سهيل مغرب الشمس طلع فابن اللبون الحق و الحق جذع

و فى مجرى سهيل كوكبان يقال لهما: حضار و الوزن و هما يطلعان قبل سهيل و من كلامهم حضار و الوزن محفان.

و ذلك أنه إذا طلع أحدهما فرآه الرائي قال لصاحبه: طلع سهيل فيقول صاحبه: ليس بسهيل فيتماريان حتى يحلفا، فلا بدّ من حنث أحدهما، و إذا كان الشئ يعرض فيه الشك كثيرا قيل: إنه لمحلف و محنث، و لذلك قيل كميت محلف قال:

كميت غير محلفه و لكن كلون الصّرف غلّ به الأديم

و هنالك أيضا الفروود و هى كواكب صغار عند حضار. قال الشاعر:

أرى نار ليلي بالعقيق كأنّها حضار إذا ما أعرضت و فروودها

و ذكر ابن الأعرابي أنّ فى مجرى قدمى سهيل من خلفهما كواكب زهر ألا ترى بالعراق يسميها أهل تهامة الأعيار.

و بعد السّعود الأربعة المذكوره فى منازل القمر، سعود سته متناسقه فى جهه الدلو كلّ سعد منها كوكبان، بينهما كنعو ما بين سعود المنازل، و هى أربعة، و هى كواكب خفيه غير ثيره، فأولها سعد ناشره، و هو أسفل من سعد الأخيبه و هو يطالع الشرطين أى يطلع مع طلوعه.

و على أثره سعد الملك ثم سعد البهام، و يقال له: مريق البهام، و أسفل منه كواكب صغار تسمى: الرّيق، و الرّيق: جبل يمد بين و تدين يريق إليه البهم، و على إثره سعد البارع ثم سعد مطر.

و روى ابن الأعرابي عن العرب فى الكواكب اليمانيه أشياء، قال: سهيل اليمن و تحته سهيل بلقين و هو غير حضار و غير الوزن، و قال: فيما بين الفرد و بين زباني العقرب الخباء.

قال أبو حنيفه: إن كان عنى بالخباء عرش السماك فذاك، و إلا فليس هناك خباء غيره، و قال: على أثر الخباء كواكب يقال لها: الشّراسيف و هى كواكب مستطيله مثل الحبل.

و قال: بين الشّراسيف و الخباء كواكب مستديره متبده على غير نظام يقال لها:

المعلف. قال: و بعد المعلف: الشّماريخ.

و وراء القبه الصّردان، أحدهما يجرى قريبا من الأفق و الآخر فوقه بحياله. قال:

و خلف الصّرد الأعلى اليمامتان: و بينهما و بين الصّردين فى رأى العين نحو من عشرين

ذراعاً. قال: وهالك: القطا، وهى كواكب متقاطره كقطار القطاء وهى كواكب غير تيره إلاً كوكبان.

قال: و ثم الظليمان فوق ذلك و هما كوكبان نيران بينهما فى رأى العين إذا استويا فى السماء قدر مائه ذراع و بينهما الزال.

و قال السفينه كواكب خفيّه متابعه متقدمها عند سعود البهائم و مؤخرها السمكه.

و قال: فى مقدمها الضفدع الأول فى مؤخرها الضفدع الآخر.

فهذا ما أردنا ذكره من مشاهير الكواكب.

تم الباب و بتمام هذا الباب تم الكتاب و لله الحمد بلا عدد. و على المصطفى محمد، و آله و أزواجه و ذرياته و أصهاره و أصحابه و أنصاره أبد الأبد صلوات و رضوان و سلام و غفران.

فرغت منه ضحوه يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث و خمسين و أربع مائه، حامداً الله تعالى على نعمه و أياديه الظاهرة و الباطنه، و مصلياً على أنبيائه و رسله و مسلماً.

قال الشيخ أبو على المرزوقى رحمه الله هذا الفصل خاتماً به كتابه حرس الله ما خولك من الشّتات، و حفظ ما نولك من عارض الانبتات، و أعانك فى طلب الأدب على الازدياد. و وفقك فى سائر متصرفاتك لصالح البدء و المعاد.

قد سهّل الله تعالى و له المنّ ما تمنيت بلوغه من الفراغ من كتاب الأزمنه فجاء على حدّ من الكمال، طاب له العيش و خفّ على النفس فيه التعب، و ما أدانى إلى ذلك إلا لطيف هدايه الله تعالى جدّه و كريم كفايته، فبهما اشتدّ أزرى و استبد ما اختلّ من خاطرى و ذهنى، فأماً ما كنت أشكوه من قبل حتى استطيلت مدّه الانتظار فى عمله، فلما أُلزم حواملى و جوارحى من الضّعف العارض و الوهن الحادث، و قد أبدل الله تعالى على كريم عادته به استجمام الأمل فى زواله و استحكام الطمع فى انحسامه على تطوّل الله المعول فى تحقيق المرجو و هو حسبنا وحده و نعم الوكيل.

و اعلم أنّ هذا الكتاب ينقسم أقساماً ثلاثه و هذا الحكم يتناول جماهير أبوابه و فصوله لا يختصّ به بعض دون بعض.

أحدها: التّنبيه على نعم الله جل جلاله فيما نصب للمكلفين فى آناء الليل و النهار من الأدلّه الواضحه و الحكم البالغه، و أفادهم فيما سخّره لهم و أعانهم به فى جوانب البر و البحر من التّعّم الظّاهره و الباطنه قولاً و فعلاً و جملاً و تفصيلاً فى بدهاه العقل، و على ألسنه الرّسل

فإنَّ صلّه إحدى التّعتمتين بالأخرى فيهما كصله الإبصار بالضوء- و الأنفاس بالجو- و كما هدى إلى الاستدلال بالشاهد على الغائب- و بالجلي على الخفى، و كثر ما أشرت إليه يمرّ عليه المارّون، و هم عنها معرضون.

و الثّانى: التذكير بحكم العرب فى لغاتهم- و آدابهم- و عاداتهم- و مآربهم- مع تلاحق أقطارهم- و تضايق أوطانهم- و رضاهم بالعفو من مقاماتهم- و مآبهم على اختلاف أسبابهم- و طرقهم، و اقتنان هممهم- و وجههم- هذا إلى ما خصّوا به من الفضائل دون الأمم، و توخّدوا به من جلائل المنح و النعم، و فوائد هذين القسمين فى الاتّسع كالشمس فى ضيائها- و الرّيح فى هبوبها يتكافأ فى نيل الحظ منهما المحب و الكاره، و يعترف بهما إذا أنصف المسلم و المعاند.

و الثّالث يحوى لمعا من الأشعار- و غررا من النّوادر و الآثار- اقتضى ذكرها مناسبتها للأزمان التى هى من همنا و فرضنا على أنفسنا الوقوف تحت ظلّها، و لو تقصّينا أبوابها لفنى العمر و بقى منه الكثير فتطرّفنا منها ما تطرّفنا إيّادانا بأنّ الغفله لم تحل دونها و لئلا- تخلو تضاعف الأبواب من بعضها فليعذر الناظر فيه هذا الكتاب. إذا انتهى إلى المواضيع التى أشرنا إليها متصوّرا حالنا، و ليحذر إلحاق الغائب بنا، ففى مستحسنه إن شاء الله ما يشغل عن مستهجنه، و الشّمس يطمس نورها- ما أحاط من الكواكب بها- و قد قيل: لكلّ حسناء دأماً.

و اعلم أنّ من حقّ المصنّف إذا جمع الأصول بحقائقها- و استوفى الفروع بلواحقها- أن يمنع خاطر من تجاوز الأنس بالميسور، إلى وحشه المعسور، و يدفع الهاجس من الخروج عن مساعده الألوّف إلى مشامسه الثّغور، حرصا على بلوغ غايه شأوه لا يلحقها، و دفعا فى وجه ممكنه جهده لا يحيط إلاّ بها، لأنّ التّحفظ مع الإقلال أقرب- و هو مع الإكثار أبعد- و نصره الرّأى فى مجاذبه الهوى حصن من النّدامه- و أمن من الملامه، و لأنّ البليغ و إن كان مؤيدا فى خصله مسددا فى نقده، يصحب التّثبت و يجتنب التّجوّز لا يعجزه ما غاب- و لا يغلبه ما راب، فمن الواجب عليه أن يجتنب الاستبداد- عند الاستعداد- و يحاذر الملل- قبل حصول الكلال، لأنّ من عاف مصادر الغرور- لم يركن إلى موارد الجبور- فتراه يصفح المذموم بيد الاحتقار- متهاتفا فيطرّحه، و يكافح المرذول بسيف القباحه متأنفا فيتنزّه عنه و ترك الشّر قبل الاختيار- أفضل من ملابسه على الاعتراض و الأدب حبس العقول، و التّأدّب اكتساب القلوب- و الاستنباط جوالب الأفكار، و البحث عن المكامن بأداه البصائر و الأبصار، و لكلّ منها أسباب مكرمه- و أعلام مرفعه- يسيره كاسب الجمال- و كثيره كاسى الجلال و لا غرو فإنّ السّجايا تدخلها المتاجر و المرابحه، فمنها ما هو أمحض من الكرم- و أنزه من الدّنس- و فى الثّناء الباقي الدّهر خلف من نفاذ العمر.

تقريف وجد آخر الأصل

بسم الله براعه الاستهلال، و التخلص بالصيلاه على محمد رسوله و الآل. ثم براعه الختام عليه و على آله و صحبه السّلام، و بعد فمن قابل أبواب هذا الكتاب و سلك أرجاء المطرزه بالآداب وجد حديقه موشحه بديع الطريقه، مرصعه بدرارى البيان موشعه بلوامع التبيان، مرشحه بعقود اللآلى، مدبجه كالغزالي، منسجمه الألفاظ و المعانى، موزونه الأركان و المبانى، مطيبه بأفواه البلاغه، مسوره بلجين لا لجين الصيناعه، فكأن بانها قد خطها فى ذهنه الوقاد قبل الشروع، و مهّده أصولها لاستنباط الفروع ثم أسسها بأساس التحقيق، و رفعها بلبن التدقيق، و زينها بمصاييح الفصاحه، و أنارها بثوابت السّماحه، حتى أتت جنه عاليه، قطوفها دانيه، فيها أعين فوائده جاريه، و حور خرائد لقلوب المدنفين فاربه، و موائد للمعاني و للمعاني قاريه، و غرائب لم تكن على الأفئده طارئه، و طرائق للسالكين واضحه كافيه، و دبارق لقلوب العاشقين فنون البلاغه شافيه، بيد أنها جامعته للغه الغريبه، و التكت العجيبه و خرائد الأذهان الحصان، التى لم يطمثهن أنس قبله و لا جان، فيخ له من لودعى تحرير، و ألمعى تنقيح و تقرير، ما أرشق براعه استهلاله و تخلّصه، و ما أوفق حسن مقطعه و تربّصه، إلى أن حافظ على براعه الختام، بأوقات الصلاه بخير اهتمام، و جعلها تذكره مده الأعوام و الأيام، و ها أنا أختم بالسّلام على سيّدنا محمد خير الأنام، و على آله الأعلام و خير صحبه الماسكين زمام الإسلام.

ص: ٥٥٩

فهرس كتاب الأزمنه و الأمكنه

ص: ٥٦١

الفهرس المقدمه ٣

مقدمه المصنف ٥

ذكر أبواب الأزمنه و الأمكنه، و فصولها ١٥

الباب الأول ١٩

فصل فى بيان النسى ء ٦٧

فصل فى تأويل أخبار مرويه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و الصحابه و بيان ما يحمد و يذم من معتقدات العرب فى الأنواء و البوارح ٦٩

فصل آخر فى جواب مسائل للمشبهه من الكتاب و السنه مما تستدل به المشبه ٧٦

فصل فى تبيين المحكم و المتشابه ٨١

فصل الاستدلال بالشاهد على الغائب ٨٦

فصل فى أسماء الله و صفاته و أحكامه (و بيان الأصوات كيف تكون حروفاً، و الحروف كيف تصير كلاماً) ٨٨

الباب الثانى: فى ذكر أسماء و معان للزمان و المكان، و متى تسمى ظروفًا، و معنى قول النحويين الزمان ... و إبطال الفاسد منها و ما يتعلق بذلك و فصوله أربعة: ١٠١

فصل فى ماهيه الزمان ١٠٣

الباب الثالث: و يشتمل على بيان الليل و النهار على فصول من الأعراب يتعلق بهما و هى ظروف الفصل الأول ١١٣

الباب الرابع: فى ذكر ابتداء الزمان و أقسامه و التنبيه على مبادئ السنه فى المذاهب كلها و ما يشاكل ذلك من تقسيمها على البروج ١٢٠

الباب الخامس: فى قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها ١٢٦

الباب السادس: فى ذكر الأنواء، و اختلاف العرب فيها، و منازل القمر، مقسمه الفصول على السنه و أعداد كواكبها و تصوير مأخذها ضاره و نافعه ١٣٢

فصل فى بيان الاختلاف الواقع بين العرب فى أوقات الأنواء و الكلام فى الضيقه ١٤٦

الباب السابع: فى تحديد سنى العرب و الفرس و الروم و أوقات فصول السنه ١٥٠

الباب الثامن: فى تقدير أوقات التهجد التى ذكرها الله تعالى فى كتابه عن نبيه و الصحابه و يبين ما يتصل بها من ذكر حلول الشمس البروج الاثنى عشر ١٥٤

الباب التاسع: فى ذكر البوارح و الأمطار، مقسمه على الفصول و البروج، و فى ذكر المراقبه ١٦٠

الباب العاشر: فى ذكر الأعياد، و الأشهر الحرم، و الأيام المعلومات، و الأيام المعدودات، الصلاه الوسطى ١٦٥

الباب الحادى عشر: فى ذكر - سحر- و عدوه- و بكره- و ما أشبهها، و الحين و القرن و الآن و إيان و أوان و الحقبه و الكلام فى إذ و إذا و هما للزمان و ما أشبهها ١٧٢

فصل فى المحدود من الزمان و غير المحدود ١٧٥

الباب الثانى عشر: فى لفظ أمس- و غد- و الحول- و السنه- و العام- و ما يتلو تلو، و لفظ حيث- و ما يتصل به- و الغايات- كقبل- و بعد- و ذكر أول- و حينئذ- و قط- و منذ و منذ و إذ المكانية ١٨٠

الباب الثالث عشر: فيما جاء مثنى من أسماء الزمان و الليل و النهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها ١٨٩

فصل فى ترتيب الأوقات و تنزيلها ١٩٣

الباب الرابع عشر: فى أسماء الأيام على اختلاف اللغات و مناسبات اشتقاقها و تثنيها و جمعها ١٩٩

الباب الخامس عشر: فى أسماء الشهور على اختلاف اللغات، و ذكر اشتقاقاتها، و ما يتصل بذلك من تثنيها و جمعها و هو فصلان ٢٠٥

الباب السادس عشر: فى أسماء الدهر و أقطاعه، و ما يتصل بذلك و هو فصلان ٢١٤

الباب السابع عشر: فى أقطاع الدهر و أطراف النهار و الليل- و طوائفهما و ما يضارعهما من أسماء الأمكنه أو يداخلها من ذكر الحوادث فيها. و هو ثلاثه فصول ٢٢١

الباب الثامن عشر: فى اشتقاق أسماء المنازل و البروج و صورها، و ما يأخذ مأخذها و الكواكب السبعة و هو فصلان ٢٣٠

فصل فى بيان الكواكب السبعة ٢٣٦

الباب التاسع عشر: فى أقطاع الليل - و طوائفه - و ما يتصل به و يجرى مجراه ٢٣٩

الباب العشرون: فى أقطاع النهار و طوائفه- و ما يتصل به و يجرى مجراه ٢٤٧

الباب الحادى و العشرون فى أسماء السماء و الكواكب و الفلك و البروج و هو ثلاثه فصول ٢٥٥

فصل ٢٥٥

فصل ٢٥٨

فصل فى بيان امر المجره و شرح بعض أحوالها ٢٦٠

الباب الثانى و العشرون فى برد الأزمنه و وصف الأيام و الليالى به ٢٦٣

فصل فيما وضع على السنه البهائم ٢٦٩

الباب الثالث و العشرون فى حر الأزمنه و وصف الليالى و الأيام به ٢٧١

الباب الرابع و العشرون فى شده الأيام و رخائها و خصبها و جذبها و ما يتصل بها ٢٧٦

الباب الخامس و العشرون فى أسماء الشمس و صفاتها و ما يتعلق بها ٢٨٥

الباب السادس و العشرون فى أسماء القمر و صفاته و ما يتصل بها من أحواله ٢٩٤

فصل ٢٩٤

فصل فى أسماء ليال من أول الشهر ٣٠٠

الباب السابع و العشرون فى ذكر أسماء الهلال من أول الشهر إلى آخره و ما ورد عنهم فيها من الاسجاع و غيرها ٣٠٢

الباب الثامن و العشرون فى ذكر أسماء الأوقات لأفعال واقعه فى الليل و النهار و أسماء لأفعال مختصه بأوقات فى الفصول و

الأزمان ٣٠٦

الباب التاسع و العشرون فى ذكر الرياح الأربع و تحديد مهابها و ما عدل عنها ٣١٤

الفصل الأول ٣١٤

الفصل الثانى فى تبين ما ذكر من كلام الأوائل فى ذلك ٣٢١

الباب الثلاثون فى أسماء المطر و صفاته و أجناسه ٣٢٣

الفصل الأول ٣٢٣

الفصل الثانى فى عله ما ذكرنا من كلام الأوائل ٣٢٧

الباب الحادى و الثلاثون فى السحاب و أسمائه و تحليه بالمطر ٣٢٩

فصل ٣٢٩

فصل فى كلام الأوائل يتبين منه حال الأنديه و الأمطار و العيون و الانهار و غيرها ٣٣٤

الباب الثانى و الثلاثون فى الرعد و البرق و الصواعق و أسمائها و أحوالها ٣٣٦

فصل ٣٣٦

فصل فى الرعد و البرق و السحاب من كلام الأوائل ٣٣٩

الباب الثالث و الثلاثون فى قوس قزح و فى الدائره حول القمر ٣٤١

فصل فى قوس قزح ٣٤١

فصل فى كلام الأوائل فى البرد و الطل و الدمق ٣٤٣

فصل فى أسباب الطل ٣٤٤

الباب الرابع و الثلاثون فى ذكر المياه و النبات مما يحسن وقوعه فى هذا الباب ٣٤٥

فصل ٣٤٥

الباب الخامس و الثلاثون فى ذكر المراتع المخصبه و المجدبه و المحاضر و المبادئ ٣٥١

فصل ٣٥١

فصل فى ذكر ما كانت العرب تفعله وقت إمساك القطر ٣٥٤

الباب السادس و الثلاثون فى ذكر أحوال البادين و الحاضرين ٣٥٥

الباب السابع و الثلاثون فى ذكر الرواد و حكاياتهم ٣٦٠

فصل ٣٦٠

فصل فى ذكر مواقعهم و مسارحهم ٣٦٤

الباب الثامن و الثلاثون فى ذكر الرواد و من جرى مجراهم من الوفود ٣٦٨

الباب التاسع و الثلاثون فى السير- و النعاس و الميح- و الاستسقاء و رد المياه ٣٧٦

الباب الأربعون فى أسواق العرب ٣٨٢

الباب الحادى و الأربعون فى ذكر مواقيت الضراب و التناج و أحوال الفحول فى الإلقاح و الغرور و ما يتسبب من جميع ذلك

حالا بعد حال بقدره الله و ارادته ٣٨٦

الباب الثانى و الأربعون فيما روى من اسجاع العرب عند تجدد الانواء- و الفصول- و تفسيرها ٣٩٥

فصل ٣٩٥

فصل ٤٠١

الباب الثالث و الأربعون فى ذكر العيافه و القيافه و الكهانہ ٤٠٢

فصل ٤٠٢

فصل ٤٠٢

فصل فى القيافه و العيافه ٤١٢

الباب الرابع و الأربعون فى ذكر ما ابهم من الأوقات حتى لا يتبين للسامع حاله و ما شرح منها ٤١٦

الباب الخامس و الأربعون فى الاهتداء بالنجوم و جوده استدلال العرب و اصابتهم فى

ص: ٥٦٥

أمهم ٤٢٠

الباب السادس والأربعون فى صفه ظلام الليل و استحكامه و امتزاجه ٤٢٨

الباب السابع والأربعون فى صفه طول الليل و النهار و قصرهما و تشبيه النجوم بها ٤٣٤

الباب الثامن والأربعون فى ذكر السراب و لوامع البروق و متخيلات المناظر و وصف السحاب ٤٤٢

الباب التاسع والأربعون فى تذكر طب الزمان- و التلهف عليه و الحنين إلى الآلاف- و الأوطان ٤٤٩

الباب الخمسون فى ذكر أنواع الظل و أسمائه و نعوته ٤٥٨

الباب الحادى و الخمسون فى ذكر التاريخ و ابتدائه و السبب الموجب له و ما كانت العرب عليه لدى الحاجه إليه فى ضبط آماذ
الحوادث و المواليد ٤٦٤

فصل ٤٦٤

فصل فى حكام العرب فى الجاهليه ٤٦٨

فصل فى أوقات التاريخ ٤٦٩

الباب الثانى و الخمسون فيما هو متعالم عند العرب و من داناهم، و أدركوها بالتفقد و طول الدريره و لم يدخل فى اسجاعهم
٤٧٤

الباب الثالث و الخمسون فى انقلاب طبائع الأزمنه و ثباتها و امتزاجها و الاستكمال و الامتحاق و ازمان مقاطع النجوم فى الفلك
و معرفه ساعات الليل من رؤيه الهلال و مواقيت الزوال على طريق الاجمال ٤٨٣

الباب الرابع و الخمسون فى اشتداد الزمان بعوارض الجذب و امتداده بلواحق الخصب ٤٨٨

الباب الخامس و الخمسون فى حد ما يشتمل على ذكر ما فى اعرابه نظر من حديث الزمان ٤٩٥

الباب السادس و الخمسون فى ذكر الكواكب اليمانيه و الشاميه و تميز بعضها عن بعض و ذكر ما يجرى مجراه من تفسير الألقاب
٥٠٦

الباب السابع و الخمسون فى ذكر الفجر- و الشفق- و الزوال- و معرفه الاستدلال بالكواكب و تبين القبلة ٥١٠

فصل فى صرف القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ٥١٣

الباب الثامن و الخمسون فى معرفه أيام العرب فى الجاهليه و ما كانوا يحترفونه و يتعايشون منه. و ذكر ما انتقلوا إليه فى الإسلام
على اختلاف طبقاتهم ٥١٥

الباب التاسع و الخمسون فى ذكر أفعال الرياح لواقحها- و حوائلها و ما جاء من خواصها فى هبوبها و صنوفها ٥٢٣

الباب الستون فى ذكر الأوقات المحموده للنوء و المطر و سائر الأفعال و ذكر ما يتطير منه أو يستدفع الشر به ٥٢٨

الباب الحادى و الستون فى ذكر الاستدلال بالبرق و الحمرة فى الأفق و غيرهما على الغيث ٥٣٨

الباب الثانى و الستون فى الكواكب الخنس و فى هلال شهر رمضان ٥٤٢

الباب الثالث و الستون فى ذكر مشاهير الكواكب التى تسمى الثابته ٥٤٥

التقريظ المكتوبه على الأصل ٥٥٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩